





التلح بالعلي الارض والتعجر على شواطئ بحيرة «لادروننت» في منطقة البحيرات باكترا

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الثاني والتسعين

٢٩ ذوال سنة ١٣٥٦

١ يناير سنة ١٩٣٨

العلم والمال

ليس هذا البحث بمقابلة بين قيمة العلم وقيمة المال على نحو ما قال الشاعر العربي « لنا علم وللجهال مال » ولكنه تحقيق في النزعة الحديثة البادية بين طوائف من العلماء وارباب الجامعات الكبيرة ، ولاسيما في الولايات المتحدة الاميركية ، الى التوسل بالكتشفات والمخترعات العلمية الى حضي الربح منها بتسجيلا واستغلالها ، وهل فائدة هذه النزعة تربى على ضررها ، او ضررها يربى على فائدتها . فتنة فربق من الكتاب يرى ان الاكتشاف العلمي على يدي باحث في جامعة اشبه ما يكون بمؤلف بائع رؤاه استاذ الادب وينتزه ويحتفظ بحقوق طبعه ويعني منه قليلا او كثيرا . فهل هناك مأخذ يؤخذ على الباحث العلمي ، اذا هو سجل مكتشف او مخترعا جديدا له وحتى منه ما يستطيع ؟ هذا هو السؤال ا

كان الرأي بين العلماء في القرون الماضية ولا يزال سائدا بعض دوائرهم حتى الآن ان العلم يطلب لذاته ، لا للثروة التي قد يفضي اليها . وقد اترعن بعضهم اقوال في هذا الموضوع جذيرة بالترداد . قال العالم المواليدي الاميركي ، لويس اجاسيز ، اجاب صديقا يسئل له سبيلا من سبل التفع المذموم بأنه « لا يجد متسا من الوقت لجمع المال » . ولما اقترح على باستوران تسجيل مكتشفاته في علم الجرائم ومخرج بها شهادات تمحصر استعمالها فيه او ان يسمى الى حضي الربح منها بيضا اجاب : « ان رجل العلم يسبون ذلك حيلة من ذلتهم » : ثم كان يحدث لا يدي

كأفشد فقال : « لا يعني ان اعمل في سبيل المال ولكنني استطيع ان اعمل دائماً في سبيل العلم »
ذلك ان العلماء يرون ان الوقت ثمين ، وان المال في المقام الثانوي بين مطالب الانسان ،
وان المغامرة في سبيل الكشف عن اسرار الطبيعة اجدى على النفس غبطة ولذة من السعي وراء
الثروة . ثم انهم يقولون ان السعي للكسب المادي لا يتفق والملائمة العلمية

الا ان المشاهد ان العمل في سبيل العلم يفضي بحكم الطبع والتقدم الى العمل في سبيل
المال . ومهما يكن البحث العلمي مجرداً ، فإنه على الغالب ينتهي يوماً ما الى التطبيق العملي . ان
جميع الفنون الاسلكية تزدُّ الى معادلات مكسول الرياضية وتحقيق هرز لصحتها بالتجربة .
وجميع الاساليب المستعملة في شركات النفط للتكرير والتحطيم ترجع الى المعادلات الرياضية التي
استنبطها تافه جامعة يال العلامة ولررد جيبس Willard Gibbs . ولو كانت الشركات الصناعية
تأثر بمرقان الجليل لوجب ان تقيم لمهذين الفيلسوفين الرياضيين اقصاً من النخب الايرز

يضاف الى هذا ان العلم وتقدمه رهن التأييد الذي يناله الباحثون من رجال المال في سبيل
البحث لان المختبرات الحديثة والاجهزة العلمية التي لا يبد منها ، تقتضي نفقة كبيرة . والباحث
العلمي في حاجة الى الاطمئنان والاستقرار على اسباب معيشته ومعيشة من يلوذ به ، لكي يفرغ
للتأمل والبحث . فاذا كان العلم يخلق الثروة ، أفلا يجوز للعالم ان يجني مما يكشف ويستبسط لكي
ينفق ما يجني في سبيل البحث العلمي ؟ وإذا كان من المتاح للمهندسين وأصحاب الاموال أن
يتناولوا مباحث فراداي ومكسول وجيبس الاساسية ، وينبوا على اساسها الشركات الصناعية
الكبيرة التي تدر بدرات الاموال ، أفلا يصح للكاشفين انفسهم أن يفعلوا بينات افكارهم
وثمار جهدهم ما يفعلها غيرهم ؟ إن الجواب عن هذه الاسئلة ، بالنفي حتماً من الناحية
الشرعية ، اذ ليس ثمة قانون ينهم ان يفعلوا ما ييغون بمكشفتهم ومستبسطهم ، ولكن هناك
موانع عملية اساسها بمذر الناحية بالبحث والاستغلال المالي والصناعي في آن واحد ، وأخرى
نظرية وعمرانية مستمدة من طبيعة البحث العلمي والحرية الفكرية واخوة العلماء

في سنة ١٩٠٥ كان مدرّس كيمياوي شاب في جامعة كاليفورنيا ، يبحث عن عمل اضافي
يزيد به دخله لضيق ذات يده ولقلة مرتبه الشهري . ولو كان هذا الشاب ، مدرّساً في قسم
الادب ، لألف كتاباً أو أنشأ رسائل يجزيه عليها الناشر أو اصحاب الصحف جزاء
لا بأس به . ولو كان مدرّساً في قسم القانون ، لاتصل بمكتب أحد المحامين ، واهق معه على
إعداد بعض المذكرات القانونية ، ولكن كوتريل F. Cottrell كان كيمياوياً - فاذا فعل ؟
اتصل ببعض الشركات الصناعية لعلّه يجد فيها مدرّاً يهد اليه في الاشراف على بعض

الاعمال الكيماوية فيها ، فأتفق له أن عرف في أثناء بحثه مدير معمل يصنع الحامض الكبريتيك وكان هذا المدير يشكو ضياع بعض الحامض ، لان ابخرته تصمد من المدخنة في أثناء التكرير . فخطرت لكوتريل طريقة تمكنه من ترسيب ابخرة الحامض قبل ضياعها . فضع شبكة من القضبان المعدنية ووضعها في المدخنة ، ثم وصلها بسلك كهربائي ، فوجد أنه اذا شرعت الابخرة تصمد في المدخنة ، وكانت الكهربائية تجري في قضبان الشبكة ، اخذت ابخرة الحامض تنقلص على القضبان فتتكون قطرات من الحامض لا تلتصق حتى تعود الى الرجل . ثم ثبت ان هذا الاسلوب الصناعي الجديد يصلح للاستعمال في صناعات مختلفة

وقضى كوتريل هو وزميلان له في استغلال هذا الاستنباط ، خمس سنوات متوالية ، أصابوا في نهايتها النجاح المطلوب بعد اتفاق اربعة آلاف جنيه . ولكن هذا النجاح حيرهم . لأن الشبان الثلاثة علموا وطنوا النفس على البحث العلمي لاعلى الاستغلال للمالي فاذا يفعلون ؟

كانوا قد تعاهدوا عندما اقدموا على هذا العمل ، أن يقتصروا الجاهة التي يدرسون فيها ، بنصيب من اسم الشركة التي انشأوها وما تدره من الربح ، اعترافاً منهم بحبيلها عليهم ، ولأنها سمحت لهم ان يجرؤوا المباحث اللازمة في معاملها . فرضوا ذلك على مجلس الجامعة فشكر واثى عرضهم لان المصاعب التي تحول دون اشتراك معهد علمي في عمل تجاري ، كانت في رأي مديرها ، مما يتذرر التثلب عليه . فضاقت الثلاثة ذرعاً ، بما يفعلون ، فرضوا على الجمعية الكيماوية الاميركية ان تولى الاشراف على استغلال هذه المستنبطات المدرة ، فأبت ، وكذلك فعلت غير واحدة من جمعيات المهندسين . وأخير أذهب كوتريل الى واشنطن بدعوة من مدير مصلحة المناجم لاستشارته في موضوع علمي . وهناك اقبل بمدير المعهد السمنوني المشهور ، فاستقر الرأي اخيراً على انشاء شركة كبيرة مستقلة تقيم فقرأ من كبار رجال الاعمال وطائفة من العلماء ، لتتصرف على استغلال هذه المستنبطات ، وغيرها وما يمنحها المستنبطون حق استغلاله ، على ان لا توزع هذه الشركة ربحاً ما على حملة اسهمها ، بل يوزع المال الذي تجنيه على معاهد العلم وطوائف البحوث تشجيعاً للبحث العلمي ، أي ان تصبح الشركة محسناً كبيراً قائماً على اساس التعاون ، بدلاً من الاكتفاء بالجهود الخاصة من اموال أثرياء افراد كروكفلر وكارنيجي ولورد قبلد

وقد بلغ ماوزعته هذه الشركة من المال ، على معاهد العلم والبحث ١٥٠ ألفاً من الجنيهات حتى بداية سنة ١٩٣٦ ومن اشهر البحوث العلمية الحديثة المدينة لها بحوث لورنس الاميركي في تهشيم القدرة بجماعة كاليفورنيا ، وكذلك بحوث دة جراف في معهد ماسنغوستن الصناعي ، وهينز بيرج في جامعة لينتسج ، وبحوث المعهد السمنوني في ما للاشعاع من التأثير في الحياة وغيرها وقد السع عمل هذه الشركة ، اتساعاً عظيماً فتغلطت قرعاً مستقلاً عهدت في ادارته الى

كوتريل نفسه ، ومهمته البحث العلمي في علوم الطبيعة والاحياء والاجتماع والاقتصاد وقد عيّنت جامعات كثيرة في اميركا بهذه الناحية من البحث فأنشأت اما شركات مستقلة منحت حق استغلال المكتشفات والمستقبطات التي تكتشف وتستبطن في الجامعة ، وغيرها مما يمكن الفوز به ، واما نقب رجالها في تصوص قوانينها الاساسية لملهم يجدون فيها ما يسمح للجامعة باستخراج امتيازات التسجيل والاستغلال باسمها الخاص ثم تنشأ لجنة خاصة من رجالها للإشراف على استغلال هذه الامتيازات استغلالاً مالياً

ففي بدء سنة ١٩٣٦ كان في الولايات المتحدة عشر جامعات لها شركات خاصة أثلثت للعمل وفقاً للنهج الاول . حالة ان النهج الثاني اتبع في جامعة تورنتو عند ما اكتشف الدكتور بانتغ الاسولين فعهد في الاشراف على استغلاله لمصلحة الجامعة الى لجنة من رجالها . وحدثت جامعة سانت لويس ومعهد الامراض المعدية بشيكافو حدو جامعة تورنتو

وقد يقال ان تسجيل الاساليب الخاصة بالمقايير الطبية وخلاصات الفدد وما اليها والاشراف على صنعا عمل واجب لان فيه وقاية للجمهور من بعض الشركات التي لا توخي الدقة كل الدقة في صنعا بحسب الاحوال العلمية فيتعرض مستعملها لخطر الموت على نحو ما حدث من عهد قريب في مادة « السلفانيلاميد » ^(١) . وهذا القول وجيه ولكن تسجيل اكتشاف او اختراع لوقاية الجمهور من مضار التطبيق الناقص ، شيء والتسجيل رغبة في الربح والاستغلال شيء آخر مع ان الغرض الواحد قد يقضي الى الآخر على الراجح

ومع ذلك ، ومع ان الازمة الاقتصادية قد حالت دون امداد معاهد العلم والبحث بأموال هي في أشد الحاجة اليها ، ومع ان حق العلماء في استغلال ثمار بحوثهم لا نزاع فيه من الناحية القانونية ، ومع ان مرتبات الباحثين لا تقابل بمرتبات الكتّاب في الصحف وكلاء الاعلانات وكواكب الصور المتحركة على الرغم من ان « كل مبلغ مهما يظلم يمد ضئيلاً ازاء عمل هؤلاء الرجال الذين يملكون قوة الابداع والتفاني على رقية الفكر العلمي خطوة خطوة حتى يصلوا به الى البيوت فينشروا فيها اسباب الصحة والراحة والرفاهة . . . » ^(٢) — مع كل ذلك لا يزال بين العلماء فريق كبير يمارض في الاستغلال التجاري لثمار البحث في معاهد العلم العالي

ولسنا في حاجة الى اقامة الدليل المفصل على اختلاف الرأي في هذا الموضوع . وحسبنا ان نشير الى ان مجمع تقدم العلوم الاميريكي عني به في سنة ١٩٣٣ فبين لجنة من اكبر العلماء لدراسته فوضعت اللجنة تقريرها في أربعين صفحة كبيرة ملخصة فيه ما يقال تأييداً للاستغلال

(١) راجع مقتطف ديسمبر ١٩٣٧ صفحة ٦٦١ (٢) للستر هوفر رئيس الولايات المتحدة السابق

المالي « لتماز البحث في معاهد العلم العالي » واعتراضاً عليه . ولكن المسألة لم تنتهِ عند هذا الحد ، وما زالت الصحف الطبية تنشر الفينة بعد الفينة مقالاً لمام كبير ، أو لمدير معهد علمي في تأييد هذا الرأي أو فيه

والغالب ان تكون الناحية الادبية في الموضوع في مقدمة ما يستند اليه المعارضون . فهم يذهبون الى ان الجامعة تعتمد على تأييد الشعب لها . فاذا كانت جامعة حكومية كان هذا الاعهاد غير مباشر ، لان الاقاي عليها من خزينة الحكومة يعود في آخر الامر الى المال الذي يجمع من الشعب وتسمح الهيئة التشريعية باتفاقه عليها . اما اذا كانت جامعة خاصة فاعتمادها على ما يجود به الاسخياء من ناحية وعلى اعطائها من ضرائب معينة تبلغ الوف الجنيهات من ناحية اخرى . وطالما دافعت الجامعات الخاصة عن وجوب اعطائها من الضرائب على ممتلكاتها الواسعة من ارض وبناء ، بقولها انها معاهد طامة لا تبني الربح ، وان اعمالها وقف على الخير العام . فاذا شئت الجامعات ان تنزل الى حلبة الاعمال المالية ، وتجنبي الربح من مكشفتات رجالها ومختراتهم ، اياً كان سيل الخبي ، فهي تناقض ذلك المبدأ الادبي العالي الذي تعتمد عليه في استمداد المعونة من الجمهور والحكومة

ثم ان الجامعات مرتبطة بهند غير مكتوب مع الاسخياء الذين جادوا عليها بالمال لتشييد المباني ومجهزها بمعدات البحث وتوفير المال لمرتبات رجالها . هل كان قصد هؤلاء المحسنين سوا ان افراداً كانوا ام جماعات ، ان يهيئوا للجامعات السبيل لتنافس التجاري ؟ بل هناك عهد آخر لا يسع الجامعات ان تخرج عليه بمسئلتها المالي من دون ان يوصم حينها بوصمة ادية . ذلك هو العهد الضمني بين رجال البحث في هذا العصر ، او في اي عصر ، والرواد الذين سبقوهم ، الى تمهيد الطريق واستجلاء الغامض . فليس في العالم اكتشاف جديد او استبطاء حديث لا يمكن ان ترده خطوة خطوة الى مباحث عشرات من العلماء الذين جهدوا وشقوا في اكتشاف الحقائق واحدة اثر اخرى . فكيف يجوز لمباحث حديث ان يسجل طريقته ويحصر استعمالها لخير الربح منها مع ان صاحب الركن الاساسي لم يفعل ، ولو فعل لما اتاحت له الاركان التي تقوم عليها طريقته . قد تقبل هذا من صاحب شركة تجارية ، ولكنه من عالم او باحث في جامعة ، يحسب نقضاً لذلك العهد الادبي المتفق عليه بين العلماء على ان العلم مشاع . خذ مثلاً على ذلك اكتشاف الطريقة الحديثة في معالجة الانيميا الحديثة بخلاصة للكبد . فقد توصل مينو Minot ومرقي Murphy الاميركيان الى اكتشافها باعتمادهما في ما اعتمدا عليه ، على مباحث هوبل Whipple في معاهد مختلفة . وهوبل اعتمد على سلسلة متعددة الحلقات

من المباحث في الفسيولوجيا والكيمياء الحيوية . فلو شاء ميتو ومرفي أن يسجلا طريقتهما ومنها استعمالهما الآن عن يوفى الثمن الذي يطلبانه أو تطلبه الجامعة التي يشتغلان فيها ، لكان لها وللجامعة ذلك من الناحية الشرعية ولساء عملها عملاً من الناحية الادبية . ومن بواعث غفرها ان الطريقة اصبحت للعالم بغير قيد ولا شرط . ولذلك ترى ان المهد الذي عليه توزيع جوائز نوبل الطبية اشرك هويل معها في الجائزة من بضع سنوات

هذا من الناحية الادبية . ولكن للسؤال ناحيتها العملية ايضاً . ومن حق الباحث في شؤون العلم والنزوية والاجتماع ان يؤكد من دون أن يخشى لوماً ان مصلحة الترية مرتبطة اوثق ارتباط بمصلحة البحث العلمي ، وكل ما يفضي الى تعزيز الجامعة ومعمل البحث يفضي حتماً وعلى المدى الطويل الى ارتفاع الالسان والحضارة . واذن فستقبل معاهد العلم وبجانبها في تأدية مهمتها أمر مهم الناس . ومع اتنا لسلم بأف مسألة الخلاف على الناحية الادبية في موضوع العلم والمال ، قد تكون خاصة بالعلماء انفسهم ووجهة نظرهم الى الامور ، لا يستأ أن لنفل العناية بنواحي كفاية المعاهد في ابداع الجديد وما يمكن أن يكون لهذا الجديد من ثبوت وقائدة . فهذه المسائل الاخيرة ، وان كانت في صميمها من شأن فلسفة الفلزم ، الا أنها من ناحية التطبيق امور عملية كالخص الامور العلمية

لا ريب في ان تجهيز معادل البحث بكل ما يلزم لها من الادوات اللازمة للبحث من أم وسائل الارتقاء العلمي في هذا العصر . وكثيراً ما يكون استنباط جهاز جديد للبحث وسيلة عظيمة الشأن للكشف عن حقائق خفيت عن انظار الباحثين لقصور وسائلهم . ولعلنا لا نخطئ اذا ضربنا على ذلك مثلاً بالسبكترون في مباحث الذرة ^(١) فمائل البحث الطبيعي في الجامعات والمعاهد المختلفة تميز عن المعنى في بحث ناحية من قلب الفترة اذا خلعت من هذا الجهاز ، وقد اذكر لورد رذرفورد العظيم ضرورته قبلاً في معمل كاندش بجامعة كبريدج ، ثم غير فكره

ولا يخفى ان تجهيز معادل البحث ، بهذه الادوات الحديثة اللازمة للكشف العلمي ، يقتضي نفقة غير يسيرة . ولو لم يقض لورنس الاميريكي ، من نفقة بمنطيس كهربائي كبير بلا مقابل ، وبمال من جامعة كوتريل (الذي تقدم ذكره في هذا المقال) لينفق على سائر ما يحتاج اليه في اتقان هذا الجهاز ، لما أتبع له أن يصل بمباحثه الى مرتبة مكتنه من مجازاة الطبيعة بفض المجازاة ، وذلك بتوليد المواد المشعة على نمط الراديوم من مواد غير مشعة

ومن الحقائق التي يجبر بها العلماء وحكام الحكام كالرئيس هوفر والرئيس روزفلت أن ما يجوز به الامم على دور البحث ، لا يبلغ عشر منشار ما تنفقه على البوارج والفواصات

والطيارات والمدفع والغارات ، بل لا يبلغ مشار ما يتفق على المسجونات المطرية بكل سنة وقد قال عالم يدعى شيندر وهو مدير معهد البحث في جامعة سنماني الاميركي ، ما ملخصه : وماذا في وسعنا ان نفعل اذا كان عندنا برنامج وافر لبحث جدير بالاعتناء ، فنسجز عن المضي فيه لفلة المال ، انقبذه ام نضل كما قبل كوبرنيكوس ، فنبارس التجيم ، ام نحتذي حذو باستور فنشتغل لحساب المحتارين . لقد بذلت الجهد في سبيل الفوز بالمال اللازم من الافراد والمؤسسات ومن ميزانية الجامعة نفسها ، فاشقت . ولا اعلم ما تفعل الجامعات الاخرى ، ولكنني اعلم ان استثناء الاكف عمل شاق ، وعند ما اردت احس انني اود ان الارض ان تنشق وتبتلني .

هذا بعض ما يقوله شيندر . ولذلك عمد الى تسجيل بعض المكشفات التي اكتشفها سبرتي Sperti ، لكي يحكي منها المال اللازم لتابعة برنامج البحث الذي وضه . ولو اتبع له المال الذي يحتاج اليه ، لكان في ذلك غنى للانسانية ، ذلك ان سبرتي اجري بحثاً دقيقاً في الطاقة على اساس من نظرية المقدار « الكونتم » فتوصل الى اسلوب مكثه من تغير انواع مينة من الاشعة تولد فيتامين لافي الطعام الخالي منه عند تريضه لها . ولو لم يكن شيندر وسبرتي في حاجة الى المال لتابعة البحث ، لما سبجلا هذه الطريقة ، فكان في تسجيلها ويعمها لشركة مينة خسارة عامة وليس بالسير ان تعدد الامثلة . فالوقت الذي تنفقه عامة الشعب من معامل البحث ومعاهد العلم العالي ، مشوب بروح من التعالي مردها الى هذا السؤال : وما الفائدة من كل هذا . بل ان هذه الروح لا تقتصر على عامة الناس ، وتعداها الى فريق كبير من الخاصة فلا تحدثهم في الموضوع الا وترسم على شفاههم بسة ازدراء وتطلق منها هذه الكلمات او ما هو شبيه بها : ما الفائدة العملية ؟ وم لو كانوا على المايميسير بتاريخ العلم لما كشفوا عن جهلهم بهذا السؤال ، والا لتكانوا وجدوا في جميع السجائب اللاسلكية قائدة عملية من مبادلات مكسويل ؟ ولتذكروا قول فراداي عند مارد على سيدة سألته ما الفائدة بقوله : وما الفائدة من الوليد ما الفرض من معاهد العلم العالي ومعامل البحث وما الصلة التي تربطها بالعالم . ان البحث عن الحقيقة بعصرف النظر عن قائدها العملية ، هو سر وجودها وبقائها وصلتها بالاجتماع . ثم ان البحث العلمي يتدمج في الفن او أن الروح التي تحرك الباحث العلمي والرجل الفني روح واحدة . فالعالم يقبس ، والفنان يبدع . ولكن كلا منهما يعمل لا ليصبح رغبة الهبازة ، بل لكي يعمل ويتفن . كل منهما يحاول ان يعمل ما لم يعمل قبلاً ، وفي هذا ضرب من النزعة الفردية للمتطرفة . وفي معاهد العلم العالي ، ومعامل البحث ، ترى هذه الطريقة من طرق التفكير والنظر الى الوجود والحياة . هـ لـ يـ كـ ن البحث العلمي لا يعمل بصاحبه الى التطرف في النزعة الفردية فقط ، بل يفرض عليه قيوداً من التضافر العالمي . ذلك ان العلم ليس مجموعة من الحقائق

المنحة والمبوغة بحسب، بل هو اخوة دولية باخص معاني الاخوة، فنتائج البحث في جميع ميادين العلم تجمع وتنتشر بلا قيد ولا شرط ليأخذ منها ويستفيد بها من يستطيع. فمالك العلم هو روح العلم او قل ان العلم هو الشيوعية الكبرى

واذن قبل الجامعات والمعاهد الى تسجيل المكتشفات الجديدة وتخليدها بقيود الملكية الخاصة يخذ تلك الروح. ثم انه يفضي الى التكم في النشر بدلاً من الصراحة، وتصبح المعاهد العلمية ورجالها، في حلبة يتنافسون فيها الى السكبان بدلاً من ان يتنافسوا الى السبق في النشر واذاعة التور. وهناك من الحوادث ما يؤيد هذا القول. فقد روي عن عالم بحثة انه زار جامعة غير جامعتي واطلع على بحث باحث شاب في موضوع من اختصاصه. فلو كانت تلك الجامعة من المعاهد الحرة، لاطلع الاستاذ ذلك الشاب على ما يلم في الموضوع ولا يفضي الاشتراك في الرأي الى خير كبير. ولكن تلك الجامعة كانت من المعاهد التي تسمى الى الكسب المالي من كل كشف يكشف فيها، فامتنع الاستاذ عن الافشاء، وكان العلم هو الحاسر

ويضاف الى هذا الخطر الموجه الى التعاون العلمي، خطر آخر وهو ان العلم بأن مجلس الجامعة يجزي الباحث الذي يكتشف او يستنبط شيئاً منه فائدة مادية مجبة، يؤثر في ذهنية فريق من الباحثين على الاقل، فيصرفهم عن تناول الباحث الاصلية الاساسية، الى الاهتمام بما يعلق به امل في الربح المباشر. ولسنا في حاجة الى ترديد القول، بأن البحث في الاصول هو ركن التقدم العلمي، دون غيره. فالباحث في أسرار الكون والطبيعة والحياة، يجب ان يكون حراً مطلقاً، ان يسير في الطريق الذي يرى، حراً في الاعتقاد على مباحث غيره لانه يعلم ان في هذا الاعتقاد لا يمكن ان يوصم برغبة الكسب الخاص. والاجتماع الانساني يمنح الجامعة ورجال البحث فيها هذه الحرية بلا حد ولا شرط، ويتنظر مقابل ذلك، ان يهب الباحث نفسه لهذا المعنى العالي الذي أصبح ملازماً لمعنى الجامعة، بلا حد ولا شرط كذلك

ان قرأ سيرة بير وكوري وزوجته ماري يلمون ان موضوع الكسب المالي من مكتشفاتها في ميدان الاشعاع والراديوم عرضت لها فأيا، وقد اشارت مدام كوري في سيرة حياتها الى هذا الموضوع فقالت ما ملخصه... «وكذلك ضحيتنا بذرة كبيرة لامتناه عن استغلال مكتشفاتنا. وقد زعم اصدقاؤنا اننا لو ضلنا، لا خلفنا لا بنتينا مالا قسديان عليه فقط، بل لنمكثنا من انشاء معهد لراديوم فلا تأتي في بحثي قلة ما في يدي منه». ومع ذلك اظن اننا كنا على صواب. ان الاساية تحتاج ولا ريب الى الرجال والنساء الملمين... ولكنها في حاجة كذلك الى اصحاب الرؤى والاختلاط، الذين يسبرون بقاسر خفي وراء رؤاهم واحلامهم فيفسون السانية بمصاحبتهم الخاصة...» ومن يشك في ان مدام كوري كانت على حق!

الانسان المجهول

لإسماعيل مطهر

مقدم

في سنة ١٩٣٥ ظهر للعلامة « الكسيس كارل » كتاب عنوانه « الانسان المجهول » احدث في دوائر الثقافة العالمية أثراً ، لعلنا لا نخطئ ، إذا قلنا إنه لا يقل عن الأثر الذي خلفته مؤلفات فلافل ظهرت في خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ولعل ذلك الأثر الميق راجع الى ان الكتاب شامل الاغراض ، غير مقتصر على ناحية بينها من نواحي العلم بالانسان ، فهو ان قام في اساسه على فكرة اجتماعية ورمى الى اصلاح اجتماعي ، فان بحوثه قد قامت على دعامه من علم الاحياء — Biology — والى تأملات فلسفية استخلصت من العلم بطبيعة الانسان ، علماً اقل ما نصفه به انه عميق كل العمق ، واضح كل الوضوح . والجمع بين العمق والوضوح ، صفة قلما يمتاز بها كاتب لغاً طلياً وربّي طلياً وألف والترعة العلمية تكثفت والأسلوب الاستقرائي يقوم من وراء كل ما حصل من علم بالانسان الذي قصر ذلك الكتاب على بحث التواحي المجهولة من حياته ، تلك التواحي التي يستمد ذلك العلامة الفار « ان العليدم بها ينبغي ان يتخذ اساساً لاصلاح حالات الاجتماع . وكأنه يريد بذلك ان يقول ان الجهل بالانسان قد اقام النظمات والمعاهد الخاضرة على اساس بيد عن ان يكون الاساس الامثل ، وستك بالاصلاح الاجتماعي نهجاً بيداً عن ان يكون النهج الواضح السوي . أضف الى ما تقدم ان الكتاب في مجموعه نتيجة لظاهرة ثقافية ندر ان تقع عليها في كتاب آخر من الكتب التي طلجت الانسان وحالاته . فقد لايس الكتاب روح فلسفية طالية ، ولكنها روح فلسفية قامت على العلم ، بقدر ما بدت عن التأمل والقرض . بهذا محور من المذهبية ووجهت كل قوتها الى تحرير الفكر وتطور الفهن ، ولاحت عليها سمات الهدوء الذي يمكن من ورائه كل مادي الثورة من قوة الفكر ، وزعت في اول ما رمت اليه الى القضاء على كل ما اناحت به الفلاسفة وعمل في الظلاميون من البدايء التي انصبت الاجتماع الانساني

فلا عجب اذا فكر الاستاذ محرر المقتطف في ان يُلخِّص الكتاب في مقالات تظهر متتالية على صفحات المقتطف ، ولا عجب إذا لبت دعوته ، راجياً القراء ان يستعينوا بالصبر على قهقري مبادئ هومسكال ، هي في الواقع اقرب اليهم من جبل الوريد . مبادئ ومشاكل موضوعها الانسان ، وكفى بذلك دليلاً على جلالة الموضوع واثره البالغ

تقدم علم الاحياء ابطلاً من تقدم

علم للمادة الجامدة ؛ جهلنا باقتنا

— ١ —

ان بين علوم للمادة الجامدة ، وعلوم الأحياء ، لتفاوتاً كبيراً يمحلتنا على السحب والتأمل . فسلم الفلك وعلم الآليات وعلم الطبيعة ، قامت جميعها على تصورات يمكن التصير عنها تصيراً دقيقاً قوياً بلغة مستمدة من علم الرياضيات . ولقد اقامت هذه العلوم كوناً فيه من الألفة والتجانس ما نأنس في الآثار الجميلة التي خلفتها لإغريقية القديمة ، ونسجت من حول ذلك الكون شبكة باهرة من التقديرات والقروض ، كما عمدت الى البحث عن الحقيقة في طام يقع من وراء ذلك العالم الذي تحوم فيه الأفكار العادية ، فدلقت إلى مجرّات قوامها موادلات مكونة من رموز . أما علوم الاحياء ، فالحال فيها على خلاف ذلك . فان اللّذين يبالغون البحث في ظواهرات الحياة ، يحسّون كأنهم في به غامض مبهم ، او كأنهم في حرجة سحرية مظلمة المسالك ، لا تستر أشجارها في مكان ، فهي دائمة التقل ، ولا تبقى على صورة واحدة ، فهي دائماً التغير . يحسون ان كواهلهم تكاد تنوء بأثقال من الحقائق . حقائق يستطيعون ان يصفوها ، ولكنهم عاجزون عن تحديدها وتعريفها ، بافرانها في موادلات جبرية

من الاشياء التي لصادفها في عالم المادة ، كالنرات او النجوم او الصخور او السحاب او الصليب او الماء ، أمكن استخلاص بضعة صفات عامة تشملها جميعاً ، كاللجم والامتداد في الفراغ . وهذه المجرّدات ، لا الحقائق الجامدة ، هي موضوع التفكير العلمي . فان مشاهدة أشياء الطبيعة ، والاقصار على المشاهدة وحدها ، إنما يكون صورة من العلم دنيّة بذاتها وطبيعتها ، تلك هي الصورة الوصفية من العلم . فالعلم الوصفي يصنّف الظواهرات . أما العلاقات الثابتة القائمة بين الكيانات المتباينة ، وبالطري السان الطبيعية ، فلا تلوح في أفق العلم ، الا عند ما تردّد حفة التجريد فيه . ومن أجل ان علوم الطبيعة والكيمياء علوم مجردة ، وهي فوق ذلك كئيّة ، اي تعلق بالكيان ، أصابها التجاح السريع الباهر . وبالرغم من ان هذه العلوم لا تدعي القدرة على الكشف عن غايات الاشياء ، اي عن الطبيعة الهائية للاشياء ، فانها تزودنا بما نستطيع به ادراك حوادث مستقبلية ، وان نين باختيارنا في النالاب أوجه حدوثها . وهدرس سر للمادة وتكوينها وخصيّاتها ، أمكننا ان نسيطر على كل ما هو موجود في كرة الارض ، اللهم الا شيئاً واحداً : هو أقتنا ، إن علم الاحياء ، على الجملة ، وبخاصة ما تعلق منه بالفرد من بني الانسان ، لم يتقدم بمثل

تلك الخطى الكبيرة . انه ما يزال في الطور الوصفي من درجات العلم . والانسان كلُّه بالغ التعقيد لا يمكن تجزئته . ولا يستطيع ان يمثل له بشيء بسيط التكوين . وليس لدينا من أسلوب يمكننا من ادراكه دفعة واحدة في مجموعه وفي اجزائه وفي علاقته بالعالم الخارج عن حيزه . ومن اجل ان نحلّل افئسا ، ينبغي لنا ان نلجأ الى وسائل علمية شتى ، وان نستخدم ، بناء على هذا ، علوماً متفرقة . وطبيعي ان تلك العلوم تختلف من حيث التصورات المتباينة التي تكوّنُها في درس الموضوع العام الذي تمكف على درسه . فهي لا تستخلص من الانسان إلا ما في مقدورها ان تستخلص منه بأساليبها الخاصة . وما تستخلص تلك العلوم ، وبلغة الفلسفة ما مجرد ، من الانسان ، يظل حتى بعد ان يضم بعضه الى بعض ويفرغ في قالب كامل ، أقلّ غناء من الحقيقة الجامعة . فلا شك في انها تختلف من ورثتها حشالة او بقية ، هي بطبيعتها اعظم من ان تهمل . فالتشريح والكيمياء وعلم الوظائف وعلم النفس والزرية والتاريخ والاجتماع والاقتصاد السياسي ، جماعها لا تستغني موضوعها درساً . فالانسان كما يعرفه الاختصاصي ، بعد عن ان يكون بذاته الانسان الحقيقي . انه ليس اكثر من صورة تتألف من صورٍ أخرى قيمياها الوسائل العلمية الخاصة بكل علم على حدته . فهو عند المشرح تلك الحيفة التي يقطعها ارباً ، وهو الوصي والشعور عند العالم النفسي والقائلين بالحياة الروحانية ، او هو الشخصية التي يظهرها الاستبطان لكل انسان ، قارة في صميم ذاته . وهو عند الكيميائي تلك الجواهر الكيميائية التي تؤلف الانساج واختلاط البدن . وهو عند الوظائف (العالم بالوظائف) تلك المائر الباهرة من الخلايا والوسائل المغذية التي تمكف على درس قواعدها وأسسها . وهو عند رجال الصحة والمرين ، إما تلك الانساج المركبة ، وإما تلك القوة الشاعرة الواعية ، التي يحاول هؤلاء بمجملتهم ان يفهموها الى السمت الاعلى من التطور والنشوء على مرّ الأزمان . وهو عند أهل الاقتصاد ذلك « الانسان الاقتصادي » Homo oeconomicus : الذي ينبغي له ان يستهلك ، على التوالي ويفترق انقطاع ، تلك المصنوعات التي يؤدي استهلاكها الى بقاء الآلات التي استمدته وورثته رقيقاً ، تعمل الليل بعد النهار . لم يبق الانسان في اعتبارنا ذلك الكائن البالغ التعقيد الذي يحلله الوسائل العلمية لا غير ، بل هو فوق ذلك الفاعل والبطل والتدريس . هو تلك الميول والخواطر والآمال التي تسوق الإنسانية . لقد امتزجت تصوراتنا عن الانسان بالقيس وما بعد الطبيعة . لقد قامت هذه الاشياء عامة على أسس يموّزها الضبط والتحديد ، حتى لقد أصبح الاعراض في اختيارها يمدّ لنا ، عظيماً قوياً . لهذا ترى أن فكرتنا في الانسان تختلف بمقتضى مشاعرنا ومعتقداتنا . فلادى والروحاني كلاهما يقبل التعريف العلمي الذي يحدد بدوره من كلوريد الصوديوم ويؤمن به . ولسكنهما يختلفان آزاء الانسان . والتفاسي الذي يؤمن بالبدن الآتي ، لا ينظر الى الكائن الحي نفس النظرة التي يراها التفاسي المؤمن بالبدن الحيوي (أي الروحاني) .

فالكائن الحي الذي يراه « جاك لوب » يختلف جهد الاختلاف عن ذاك الذي يراه « هنز دريش ». ولا شبهة في ان الانسان قد بذل جهداً جباراً لكي يعرف ذاته . وعلى الرغم من أننا نملك كنوز المشاهدة التي استجيبها العلماء والفلاسفة والشعراء والمُتَنَاهُونَ على مدى الاحقاب والدهور ، قائما قفاه الا بض نواحي خاصة من اقصنا ، ولم ندرك الانسان في مجموعه . عرفناه شيئاً مكشوراً من أجزاء مستقلة . وحتى تلك الاجزاء قد خلقناها بأساليبنا . فكل منا انما هو بمثابة جبهة من الخيالات والاشباح ، تستقر في جوفها حقيقة مجهولة .

والواقع ان جهلنا عميق . فان اكثر للمشكلات التي تقوم امام اولئك الماكفين على درس الانسان تظل غير حلٍّ مرضٍ . فان اتفاقاً واسعة من طائنا الداخلي لا تزال مجهولة . فكيف تتحد جزئيات الجواهر الكيميائية تتوَّف أعضاء الخلية المعقدة ؟ كيف ان المورثات (genes) التي تكون في نواة البَيِّنَصَة الملقحة تميز خصائص الفرد الناشئ من تلك البيضة ؟ كيف تنظم الخلايا اغسها بمجهدا الذاتي في جامات فتكون انساجاً أو أعضاء ؟ ومثل الخلايا في ذلك كمثل النمل والنحل ، لكل منها معرفة تامة بالدور الذي ينبغي لها أن تمله في حياة الجماعة . في حين أن قدرتها الآلية الحقيقية علينا تمكنها من ان تبني كائناً عضوياً ، إذ هو معقد ، رآه بسيطاً . وما هي طبيعة بقائنا ، أي حقيقة أعمارنا ، من حيث الزمن النفسي والزمن الوطائني ؟ نحن انما نعلم اتما تركيب من الانسجة والاعضاء والسوائل والوعي . غير ان العلاقة بين المنع والوعي ، لا تزال سرّاً ، وانا لعل جهل كامل بوظائف الخلايا العصبية . والى أي حد في استطاع قوة الارادة أن تكيف من حالات الكائن الحي ؟ وكيف يتأثر العقل بالحالة التي تكون عليها الاعضاء ؟ وعلى أية صورة تميز الخصائص الضوية والعقلية متأثرة بأسلوب الحياة والجواهر الكيميائية التي يتضمنها الغذاء ، وبطبيعة الاقليم وبالنظلمات الوطائية والادوية ؟

بميدعلنا أن نعرف ما هي العلاقات القائمة بين الهيكل والعنلات والاعضاء ، وبين اوجه القنطاط العقلي والروحي . نحن على جهل بتلك العوامل التي تستحدث التوازن العصبي ومقاومة التعب والاجهاد ومقاومة الامراض . نحن على جهل بالطريقة التي تسمى بها في اقصنا صفات الحس الادبي ودقة الحكم والشجاعة . وما هي القيمة النسبية القائمة بين النشاط الادبي والعقلي والمبول التأملية ؟ وما هي قيمة الحس بالجمال والحس بالدين ؟ وما هو نوع تلك الطاقة التي تحدث الاتصال الفكري وتقل الافكار بين الافراد ؟ وبما لا شك فيه ان هناك عوامل وطائنية واخرى قسبية تقدر السعادة أو الشقاء ، النجاح أو الفشل . ولكتنا لا نعلم ما هي . اتا لا نستطيع ان نهيء فرداً من الافراد بالقدره على بلوغ السعادة ، كما اتا لا نعرف اية بيئة هي النسب البيئات ليلغ الانسان في ظلها الحد الاعلى من التطور والنشوء باعتباره كائناً مديناً . أي مقدورنا ان نكتف الصراع والمجد والالم عن أن تعمل في كياتنا الوطائني والنفسي ؟ كيف نستطيع ان نحول بين

الانسان وبين الفساد في المدينة الحديثة؟ اتا نستطيع ان نضع كثيراً من الاسئلة الجوهرية في مسائل من أخص ما يتعلق بمصالحنا؛ ولكنها ستظل بغير جواب . وظاهر جلي أن كل مستحدثات العلوم التي اتخذت من الانسان موضوع درس وتحقيق ، قد ظلت غير كافية ، وان طعنا باقتسالا بزال من البدييات

٢ -

جهلنا انما يرجع الى اسلوب الحياة التي طاشها اسلافنا ، وإلى تعدد تكوين عقولنا وإلى تعدد ركب الانسان ، وإلى تكوين عقولنا ، وإلى تعدد اسلوب الحياة التي طاشها اسلافنا ، وإلى تعدد طبيعتنا ، وإلى تكوين عقولنا . كتب على الانسان ان يبتغى اول شيء . والحاجة الى العيش تطلبت غزو العالم الخارجي ، أي العالم المحيط بنا . كان لزاماً ان نحصل على القوت والحيمى ، وان نقاتل الوحوش ، كما نقاتل غيرنا من الناس . ولقد ظل اسلافنا عصوراً متطاولة لم تتح لهم الفرصة ، ولا عرض لهم الميل للدرس انفسهم . ذلك بأنهم قد صرفوا ذكاهم في نواحي اخرى ، كصناعة الاسلحة والادوات واستكشاف النار وتدجين البهائم ، والحيل منها خاصة ، واختراع الدولاب (السجلة) ، وزراعة الحبوب الى غير ذلك . وقبل ان يحس اسلافنا ميلاً الى البحث في تكوين جسامهم وعقولهم بأزمان طويلة ، انصرفوا الى التأمل في الشمس والقمر والنجوم والمذنب وتغير الفصول . ولقد تقدم علم الفلك تقدماً كبيراً في ازمان كان علم الوظائف فيه من الاشياء المجهولة كل الحيل . آية ذلك ان « غليلو » قد رد الارض من مركز للكون ، سياراً صغيراً حقيراً تابعاً للشمس ، في حين ان معاصريه لم يدركوا اوليات العلم بشيء من تركيب الدماغ وخصائصه او الكبد او الغدة الدرقية . وكا ان تركيب الانسان العضوي يستمر طاملاً بغير ان يصيبه اضطراب ما ظلت حالات الحياة ملائمة له ، كذلك العلم ، فانه سار في الناحية التي لاعمت ناحية التطلع في الانسان ، أي الى العالم الخارجي

بين فترة واخرى ، ومن بين البلائين العديدة التي تعاقب وجودها على الارض من بين الانسان برز افراد قلائل خصوصاً بقوة نادرة ، وهيئوا بقدرة غير عادية ، وخصوصاً بالهام يستظهر المجهولات ، وتصور بخلق العوالم الجديدة ، وكفاية تمكنهم من كشف العلاقات القائمة بين ظاهرات معينة . وكان من نصيب هؤلاء ان يستكشفوا الكون المادي . والكون المادي بسيط التركيب . لهذا رآه قد خضع وشيكاً لهجمات العلماء وأفضى اليهم بسر بضعة من النواميس . ولقد مكنتنا المعرفة تلك النواميس ، من ان نستخدم طام المادة في قضاء مصالحنا . وتطبيق المستكشافات العلمية تطبيقاً عملياً شيء مريح لاولئك الذين يمارسونه . فانهم يسهلون البقاء للجميع ، ويرضون الجماهير بأن يزيدوا من راحتهم ومناعتهم . وما من شك في ان كل فرد قد أصبح بحكم طبيعته أكثر تطللاً الى المحترقات التي تقصص خيالهم الجهد الانساني وتقليل من اعباء العمل على

العامل ، وتريد من مرعة الاتصال والتقل ، وتلطف من خشونة الحياة ، منه الى المستكشفات التي قد تلقي بعض الضوء على المشاكل المعقدة التي تملق بتكوين جسمونا او حقيقة الوعي فينا . لهذا نرى ان غزو العالم المادي ، ذلك الغزو الذي استفد كل اقباء الناس واستحوذ على اراذلهم ، قد ادى الى ان يظل العالمان العضوي والروحاني مهملين كل اهل ، مستحقين كل استهزاء . وفي الحق ان علمنا بما يحيط بنا من الاشياء كان ضرورياً ، ولكن علمنا بطبيعتنا قد ظهر لنا اقل استجابة لمصالحنا المباشرة وفوائدها الملحة . ومع هذا كله فان المرض والالم والموت ، وفوق ذلك الآمال الفاضلة التي عقدناها في قوة خفية تستل على كل ما في الكون المنظور وتهمين عليه ، طامة اذا وجه اقباه الانسان بقدر ما ، الى العالم الداخلي القاري في جسمونا وفي عقولنا . ففي اول الامر حصر الطب همه في مسألة عملية ترمي الى شفاء المريض بوسائل تجريبية . ولقد حقق الطب ، ولكن حديثاً ، ان امثل الطرق في منع الامراض او علاجها هو ان يعرف الانسان ، معرفة عميقة ، طبيعة الجسم في حالتي الصحة والمرض ، فاضطر الى تكوين تلك العلوم التي لسميها التشريح والكيمياء الحيوية والوظائف والامراض . ومع هذا فان سر وجودنا ، والآلام الاديية ، وشهواتنا الى استجلاء المجهول ، والظواهرات النبية ، كل هذا قد ظهر لا بآثا أعظم شأناً من الآلام الجسمية والامراض . ودرس الحياة الروحانية والفلسفة قد اجتذبت لتاجها عدداً من الباحثين اعظم مما اجتذب الطب . ومبادئ التأله وطرائقه قد عرفت قبل ان يعرف علم الوظائف . غير ان مثل هذه المبادئ لم تر التور الا بعد ان لفا في الانسان ميل كافر وجه اقباه الى اشياء اخرى غير غزوة العالم المادي

هناك مؤثر آخر قد يميز الى السبب في بطء التقدم الذي نال معرفتنا بانفسنا . فان علمنا قد ركبت بحيث يهم بالتأمل من الحقائق النافية . وانا لنشعر بنفور من ان نهاجم مشكلات معقدة كتكوين الكائنات الحية او الانسان . فالقوة الناقلة ، كما قال « برجسون » قد اختصت بنصف طبيعي منها من ادراك مر الحياة . وعلى العكس من ذلك ، نرى اننا نحج ان نكشف من الكون عن تلك الصورة الرياضية الهندسية التي تستقر في اعماق وعينا . فان ما في آثارنا القديمة والحديثة من اثر الضبط وطابع الاتقان ، وما في الآثا من مجالي الدقة ، كلها اشياء تبهر اصدق تميز عن حقيقة علمنا . ان الهندسة لا وجود لها في طائنا الارضي . لقد خلقت في قوسنا . وأساليب الطبيعة ان تبلغ من الدقة مبلغ الاساليب البشرية . فاما لا نجد في الطبيعة ما يشبه ذلك الضبط وذاك البهاء ، الذي تألمه في أفكارنا . لهذا نحاول ان نجرد من تعقيد الظواهرات قليلاً من التظامات البسيطة التي ين بعض اجزائها المؤلفة ، وبعض علاقات تنمخ لتتبان عنها بطريقة آية . والى قوة التجريد في العقل الانساني ، يرجع ذلك التقدم الباهر في علمي الطبيعة والكيمياء . ولقد كان لهذا التجراح مثل في درس الكائنات الحية درساً قائماً على اساس طبيعي كيميائي . ونواميس

الكيمياء والطبيعة واحدة سواء في الاشياء الحية ظهر اثرها ام في الاشياء غير الحية ، على ما قال « كلود برنار » من قبل . ولقد تبين لنا هذه الحقيقة لم تكشف علم الوظائف الحديث مثلاً عن ان استمرار قلبية الدم وماء البحر ، انما ترجع في كلتا الحالتين إلى نوايس واحدة . وان الطاقة التي تبذلها العضلة المتقبضة يحدها تخثر السكر في الجسم ، الى غير ذلك . ان في بحث المظاهر الطبيعية الكيميائية في الانسان من السهولة والبساطة ما في بحث الاشياء الاخرى التي يتضمنها عالمنا الارضي . وذلك هي المهمة التي يحجب علم الوظائف العلم في الاضطلاع بها

ان بحث المظاهر الوظيفية الصحيحة — اي تلك التي تنشأ من نظام المادة الحية — تواجه عقبات أعظم من العقبات التي تواجه غيره من البحوث . فان الاشياء موضوع البحث والتحليل في هذا العلم اذ هي صغيرة جهد الصغر ، يمتد علينا ان نتخذ الادوات العلمية في الطبيعة والكيمياء ذرية لبحثها . فاية أداة من أدوات العلم وأجهزته في مستطاعها ان تظهرنا على التكوين الكيميائي لنواة الخلية التناسلية او صفياتها — Chromosomes — وللوثرات التي منها تتكون تلك الصفيات ؟ ومع هذا فان هذه الكتل الدقيقة المكونة من جواهر كيميائية لذات خطر عظيم . ذلك بأن فيها يكمن فرد النسخ ، وسلالة المستقبل . وكذلك هشاشة أنساج مينة ، كعادة الانساج الصلبة ، فإنه يمتد عليك ان تدرسها في حالة الحياة . وليس لدينا من وسائل علمية تتحرق صميم الخلق فتصل الى أسرارها ، وإلى تألق خلاياها ونجمتها . ان عقلاً ، ذلك العقل الذي يجب الجمال الساذج الذي يأتس في للمادلات الرياضية ، ليحار ويهر اذا ما مضى يتأمل تلك الكتل المنظمة المكونة من خلايا وأخلاط ووعي ، تلك التي يتألف منها الفرد الحي . لهذا نمجد انفسنا في ان نطبق على هذه الاشياء المركبة ، تلك التصورات التي افصح لها مفيدة في الكشف عن غوامض الطبيعة والكيمياء والآلة ، والمذاهب الفلسفية والدينية . غير أن مثل هذه المحاولة لم تنجح نجاحاً كبيراً ، لاننا لا يمكن أن نرتد الى مجرد نظام طبيعي كيميائي ، ولا الى شخصية روحانية لا غير . وطبيعي ان علم الانسان عليه أن ينفع بكل التصورات التي كوئنها العلوم الاخرى . ولكنه بجانب هذا ينبغي له أن يسمي من تصورات الخاصة . لأن ذلك العلم جوهرى كعلم الذرات والجزيئات والكهربيات

وعلى الجملة فإن بطء التقدم في المعرفة بالانسان ، مقيساً بالارتفاع الباهر في علوم الطبيعة ، والفلك والكيمياء والآلة انما يرجع الى نقصان الميل في اسلافنا الى بحثه ، وإلى تعدد الموضوع ذاته ، وإلى تركيب عقولنا . وهذه ولا شك عقبات كبار ، فوق أنها جوهرية . ولا أمل لنا في التخلص منها . انها عقبات ينبغي لنا ان نستقوى عليها بل جهد المقلوط . وعلمنا بانفسنا ان يتاح حد السهولة الحية والجمال والتجريد الذي نمجده في علم الطبيعة . والدوام التي سببت تأخره ، سوف تبقى ولا تزول . وعلينا ان نؤمن ان علم الانسان هو اصعب العلوم جميعاً

حكم انكليزية ويابانية

يهزل الحسود اذا ممن جارمه
كلمة الصادق حجة
قد تخرب ساعة ما عمر في حيل
درهم من الحكمة خير من رطل من الذكاه
يبدأ الكذوب بخداع غيره وينتهي بخداع نفسه
الجمال بلا طهارة كسم في حق من ذهب
الحصاة والجوهره سنان في نظر الاعمي
لا تق بصديق ياديك ثم يصلحك
خير للانسان ان يحسد من ان يُرعى له
من كان ضيقه مطمئنا نام والرعود تقصف
في الجدال الطويل يضع الحق
الاعتدال هو السلك الذي يضم سلسلة الفضائل
كثيرون يقبلون اليد التي يريدون قطعها
ليس الجود السطاه بسخاوه بل بحكمته
الفوز للفئة الصغرى اذا كانت على حق
اذا عرفت نفسك لم يجهلك أحد

اشتم جارك واحفر قبرين
تبيد الضباب بالروحة محال
باب جبر يصل الى السحب محال
غرف البحر بالصدقة محال
الكلب جسر عند باب صاحبه
الشاعر يرى العالم اجمع وهو في يده
عرش الالهة على جبين الصديق

مصنع المثل الاعلى

للمعلم الربحاني



ان للعباءة ، على تنوع اسبابها واغراضها ، وعلى اختلاف درجاتها في المدينة ، مثلاً اعلى ، كبيراً او صغيراً ، هو الضامن لسلامتها ورفقها ، وهو الضامن لدوامها . وان لهذا المثل الاعلى عوامل شتى تبدأ بفكر المصلح والمخترع ، وتندرج في هذا الزمان الى افكار ارباب العمل والمال اما الفكر فلا كان له يذكر بدون الالف باء والصناعة التي تخلق الالف باء . فهو يتجسد في الاولى ، ويتخذ من الثانية اجنحة للطيران . وبكلمة اخرى اقول ان الفكر البشري ، في نشوئه وتطوره ، وفي ارتقائه واتقائه ، هو ابن الطباعة ، وهو كذلك سيدها

فقد بدأت الطباعة بالحرف الخشبي والمطبعة الصغيرة اليدوية في منتصف القرن الخامس عشر وتمت بعد ذلك على سنة النشوء والارتقاء ، فاصبحت المطبعة في تمدد اقسامها وادواتها ، وفي عملها الآلي الثاني ، كالانسان ، لا ينقصها غير الفكر المولّد للمخترع . بل هي في عملها السجيب ، وان كان محدوداً ، ترى ولا عين لها ما لا يراه الانسان ، وتعمل ولا يد لها ما لا يستطيع عمله ، وتضبط فوق ذلك عملها ، ولا فكر لها ، ضبطاً تاماً تعجز عنه اليد البشرية

هو الفكر — اعود الى اوليتي — فكر الانسان المخترع . فقد جئنا ، بعد اربعمئة سنة من الاختراع الاول ، بأعظم آلة للطباعة واعجبها حتى اليوم . هي منضدة الـ لينوتيب . ومعنى الـ لينوتيب سطر من الاحرف line of type فن الحرف الفرد الذي كان الاساس في التضيد تدرجنا الى السطر الفرد ، ومن صندوق الحروف انتقلنا الى بودقة الرصاص لسكب الحروف .

هوذا الالوج الذي ادركته الطباعة في هذا الزمان

لست بميكانيكي ، ولا علم لي بالميكانيكات . ولكنني اتف دهشاً مسحوراً امام آلة عجيبة كما اتف امام صورة زيقية لشهير من المصورين . ولقد سحرتني منضدة الـ لينوتيب التي تكاد تكون عاقلة رشيدة كالانسان الماقل الرشيد ، هي آلة كبيرة كثيرة العوامل والاسباب ، ولكنها للمعامل بها بسيطة في عملها ببساطة الالف باء . وفيها مع ذلك اسرارٌ تنشرها وتطيرها ، وآيات ينطق بها

الحديد . ان لها في الحديدية يد ، ومئة عين ، تملد جميعها ، بنظام يفوق التصور ، عملها العجيب
ومن اعجب ما فيها لتلي وللقرء غير الميكانيكين الطريقة التي تلي بها المتصد التاقر على مفاتيح
الالف باء البادية امامه . فهي ترسل الامهات من مستودعها وتصفها صفاً متساوياً متراً متناً
كل الاتقان . وهذا السطر من الاحرف ، بكلماته وفواصلها ، يمشي بعد ان يتم الى قالب يقف
به امام الباب او المتفذ الذي يتصل ببودة الرصاص للمصهور ، فيجري سائل الرصاص منها
ويصب في الامهات المحبوبة احرفاً بارزة . ثم يخرج السطر قطعة واحدة جامدة لطيفة مصقولة
ويسقط مكانه من عمود الجريدة او صفحة الكتاب . السطر الفرد بدل الحرف الفرد هو اليوم
اساس التنضيد . واعجب عما ذكرت الطريقة التي تعاد بها الامهات الى المستودع ، ونوزع آلياً
بعمل ذاتي كما يوزع المتصد الحروف في الصناديق . على انها في عملها اسرع جداً منه واكثر
تدقيقاً . فهي ترسل كل حرف الى يته وقلم تخطي . آلة طاقية رشيدة ، اختراع مدهش عجيب !
هذه هي منضدة الآينوتيب التي يجلس اليها العامل كما يجلس الى آلة الكتابة ، فيلقنها
الالف باء — الالف باء التي يتكون منها الفكر لخدمة الانسان ، بل لنشر التل الاعلى في حياة
الانسان وحياة الامم

المختراع الهولندي

منذ اربعمئة سنة ، بعد ان اخترع غوتنبورغ مطبعة البدوة وحروفه الحشوية ، كان الرهبان
وطائفة صغيرة من العلماء خارج الاديرة يمتنون وحدهم بخير ذلك الاختراع . اما اليوم فالتنضدة
العظيمة هي شبيهة بالآلة ينثر خيره في الناس جميعاً وفي اقطار العالم المتمدن جماء . والفضل في
الاختراع الثاني ، مثله في الاختراع الاول هو لرجل الماني . ان قصة الاول لمن صفحات التاريخ
المعلومة . سأقص اذن قصة الاختراع الثاني ، وهي تبدأ في المجلس النيابي الاميركي بواشنطن
ولا عجب . فالسلام حياة المجالس النيابية في العالم . والنواب ، اميركين كانوا او شرقيين
لا يشتهرون الا اذا اكثروا الكلام ، واحسنوا منه ما يدعى بالركب المفيد . الا ان لكلام
النواب ، مركباً كان او غير مركب ، مفيداً او غير مفيد ، حق الخلود في سجلات الحكومة .
اجل ، يجب ان يسجل . ومن يستطيع من كتاب المجلس ان يتبع النائب التصيح اذا ما طفق
يتدفق بالكلام ا عونا نوايح العلم والاخترع . عونكم ، او تضيق درر الفصاحة والبيان والحكمة
جاء المخترعون بلفظ الاختزال ، فاستطاع المختزل ان يمدو والخطيب — هذا ينثر وذاك يلتقط —
دون ان تُفقد غالية من غوالي الخطبة . على ان التسجيل في جريدة الحكومة الرسمية من
الازمومات ، فوجب على الكاتب ان يسد كتابته المختزلة بلفظ يفهمها منضد الحروف ، وقد كانت
الخطب تضد يومئذ بالطريقة القديمة — حرف من هذا البيت ، وحرف من ذاك ، والصندوق

كثير البيوت والحقن . يالها من طريقة بسيطة مزعجة شاقة . أفنستطيع والحالة هذه ان نصدّر الجريدة الرسمية كل يوم . الجريدة الثراء التي يترقبها الثواب رقب الصائم للال العيد ، أعكنا أن نأبرهم في سرعة العمل وهم دوماً يخطبون ؟ وينضبون اذا نقص من الخطبة كلمة واحدة . بل كان النائب الخطيب ، وهو راجع مسودة خطبته ، يضيف اليها ما قات الكاتب منها ، ولاسيا تينك الكلمتين بين الملايين (تصفيق حاد) في مواقفه الرنانة المفحمة ، اكراماً لمتنضيه في الاقل فيقرؤها في جرائم الحيلة ويهتفون : هذا نائب ا ويعيدون امتحابه للمجلس

على ان كُتّاب الخطب سثموا علمهم المزدوج المزج ، وكان مدير الجريدة الرسمية يتضجر من تراكم المواد في ادارته ، والثواب الخطباء يتسخطون على الجريدة لتأجيل نشر خطبهم الثراء . ولاختصارها في بض الاحايين . ما العمل وما التدبير ؟ فكّر الكُتّاب كُتّاب المجلس ، بطريقة تريحهم من الحنة او تخففها . أليس من الممكن ان نطبع موادنا المختزلة مباشرة على آلة منضدة ؟ عونكم ، نوايح الاختراع . جال بض كُتّاب المجلس جولة في ميدان الاختراع وطادوا عتققين وفي تلك الايام ، اي منذ خمس وخمسين سنة ، كان في واشنطون شاب يدعى أطمّر مُرغثالّر ، جاء من ورتبرج بلانيا ، يدفعه الطموح ، وقستويه الشهرة والثروة . وكان له ابن عم « ساطني » قدمه الى البلاد الاميركية ، فاستخدمه في دكانه . ان في الساعات وأدواتها الدقيقة غذاء لعقل المخترع . فبين كان « أطمّر » يشتغل في الدكان كان فكره يحول في عالم الاختراع . وقد كانت المادة في عقل هذا الشاب شبيهة بتلك التي أنارت عقل ابن بلاده الذي قدمه باربعة سنة ، اي المخترع الاول للطباعة جوهان غوتنبورج

ممع كُتّاب المجلس الزباني بهذا الشاب ، وأنه مخترع اختراعاً للطباعة جديداً . فجاهوا به الى المجلس مستطلعين حقيقة الخبر ، فسروا بما علوا ، وساعدوا الشاب ادياً ، ثم توفقوا الى من ساعده مالياً . فأصبحت تجرباته في سنة ١٨٨٦ الاختراع الاول لمنضدة اللينوتيب

هو الحادث الثاني العظيم في تاريخ الطباعة

انما المبكر لا يرضى يا كورة عمله ، ولا يقف المخترع عند حده في اختراعه . ان لكل اختراع قصة في النشوء والارتقاء ، تبدأ بالفكر المولد ، ولا تنتهي ما زال ذلك الفكر حياً متنبهاً مولداً اختراع مُرغثالّر منضدته ، قتولت شركة صنعها وبمعها ، وظل الفكر المتنبه المولد يحسن فيها حتى أصبحت منضدة اليوم اذا قيست بالمنضدة الاولى كالطبعة الاسطوانية اذا قيست بالطبعة اليدوية . انما المخترع هو هو ، والمنضدة تحمل اسمه الذي اصبح خالداً مثل اسم مواطنه غوتمبرج .

يد ان الفرق بين الاثنين هو ان مرغثالّر أحرز في اختراعه فوق الشهرة مليون دولار المانيان هاكوكيان في عالم الانباء المطبوعة ، وفي سماء الفكر المنشور . وان بين الكوكيين

مسافة لا تعد بين الكواكب طويـلة . على أنها في حياة المثل الاعلى — وبدون مجاز أقول : في نشره وتعميمه — لأعجوبة من اعاجيب الزمان
فماذا عسى ان يكون من أمر الطباعة بعد اربع مئة سنة من عهدنا هذا، عهد اللاسلكي والطيران ؟

التحسين ونوافله

دع عنك الماضي والتسكن بما عسى ان يكون في المستقبل . ان المثل الاعلى اليوم مصناً كبيراً في البلاد الاميركية . قد اُسِمَتْهُ مصنع المثل الاعلى لما تقدم يانه فقط — لا لانه من العوامل الكبرى في نشر المعارف ، وتعميم الثقافة — بل لانه مؤسس على مبدأ المثل الاعلى في الارتقاء الدائم الذي يشمل العامل والآلة والانتاج معاً

كان المثل في الماضي مؤسساً على قاعدة واحدة اولية هي قاعدة الازدياد . وكان العامل في سبيل الازدياد ، لاصحاب العمل وحاملى أسهمه ، كآلة الصماء ، بل كالزئبق المكثود المتكدود ، يعمل اثنتي عشرة ساعة في النهار براتب ضئيل ، ويبئس وطائفة في ريشة تسعج من القذارة والفقر والجهل ، وما يصحبها من المآثم والامراض . قار المصلحون الاجتماعيون على هذه الحال ، ولبت الحكومة تدريجاً مطالبهم او بعضها ، فاشترعت الشرائع لتحسين العامل ، وتحسين احوال العمال فيها . وقد أصبحت هذه الاصلاحات من الامور السادية المرحية في المسائل الاميركية . يد ان هناك من التحسين ما لا ترضه الحكومة ، وما قلما يخطر في بال المصلحين . هي نوافل التحسين التي يقوم بها اصحاب المعامل من تلقاء انفسهم

رب قائل قال : ليس الدافع لهذه النوافل مجرد الحب الانساني . هو قول معقول . فقد يكون الدافع لما حب التتوق الصناعي ، اي التنافس بين ارباب الصناعة الواحدة . وقد يكون الدافع لما رغبة الزيادة في الازدياد . على انه في كلا الحالين لا يخلو من الحب الانساني الذي يوجب المثل الاعلى في العمل ، فيدخل على قلب ارباب المال البعيدة الاجتماعية الاقتصادية انهم والعمال اخوان وشركاء . هذي هي نوافل التحسين التي لا تفرضها الحكومة ولا تمحصر نتائجها في الازدياد المادية وانك تجد في المصنع الذي احدثك الآن عنه شيئاً كثيراً منها . جمال زره ممي ، نقاشطري ولاشك السرور والاعجاب — اما في طريقنا الى القسم الاداري منه ، وهذه الصور الزينة على الجدران تمثل تاريخ الكتابة والطباعة ، منذ نقبش الاشوريون سير ملوكهم وآلهم في الحجارة الى يوم كتبت الكتب خطأ على البردي ثم على الرق ، ومن عهد غوتنبورغ الخفي الى عهدنا هذا الكهربائي وما روقك في الطابق الذي يحتوي على القسم الاداري هندسته الاورية القديمة . فالوراق

فيه شبيه بأروقة الاديرة في القرون الوسطى . هو الملم والذكريات الجميلة لمهد الملم في اوربا وهل للتجاح في الصناعة والتجارة غير الملم سيلاً ؟ هاك الى جاني رواق الملم شتى المسكاتب

التي تقوم بشؤون العمل الادارية والتجارية . وفي احد هذه المكاتب يرحب الرئيس بنا ، ويصحبنا بدليل للطواف بالمصنع الكبير الكثير الدوائر والاقسام ، الذي يعمل فيه اثنتا عشرة مائة من العمال رجالاً ونساء

ان دليقتنا مدير الصناعات العام لفيلسوف حكيم . يتحدثنا ، وهو يطوف بنا بيت عجائب الحديد والنجاس ، عن عجائب العقل البشري ، وأسرار الضعف والقوة في الانسان العامل ، والانسان المفكر . اني اذكر قوله : « المرء يميل طبيعاً الى السهل من الامور . ونحن نسمى دائماً الى تسهيل العمل على الآلات ، ولازالة اخطارها » . وأذكر كذلك هذه الكلمات : « غايقتنا الاولى هي ان نحول العمل من المضلات الى العقل » . سترى اذن كيف ان الاعمال اليدوية الشاقة أصبحت اعمالاً عقلية دقيقة مستحبة

سيرة الحرف اليدوي

في كل ما اخترعه العقل البشري ، وصنعه اليد البشرية ، لا اظنك تجد شيئاً صغيراً حقيراً كالحرف الواحد من احرف « الالفباء » ذات سيرة عجيبة كسيرة . فان في صنعه ، منذ يرسم على الورق الى ان يتصلب في الوراق الكهربائي ، يفحص بالتأطير المكبر ، ويمسح الشهادة انه صالح لتوليد مليوناً مثله من الحروف ، ان في صنعه آية من آيات التقسيم والتنظيم والتوحيد في الصناعة . اجل ، ان هذا الحرف الواحد يمر في تكوينه على اثنين وخمسين عاملاً ، يعمل كل في عمله هما يكن صغيراً ، وبدونه لا يتم

هاتين في دائرة الرسامين وأكثرم من الجنس اللطيف . هو الفصل الاول من السيرة المدهشة . فالحرف يرسم على الورق رسماً ضخماً هو اربعمئة مرة اكبر من الحجم العملي . وهذه الرسوم ترسل الى دائرة الفن والتصوير للنظر والنقد ، فلا يخرج رسم منها وفيه نقص او خلل بالنسب الفني

ثم ترسل الرسوم هذه الى دائرة الحفر في النحاس ، وفيها آلات صغيرة صغرة صغرة ، تدبرها أيد لسوية نحيفة ، فيحفر الحرف على قطعة من النحاس ربع حجم الرمم حجمها . ان سر الضبط في هذه الآلات لعجيب . فليس على الفتاة ان يجهد غير عينا بين ان يدها تحرك ابرة على الرسم كأنها تميد رسمه . وهذه الابر تتصل بأدوات محجوبة مركبة تركيباً دقيقاً بحسب الاقيسة الهندسية والرياضية ، فتتحرك ابرة من القولاذ على قطعة النحاس ، فيحفر الحرف مصغراً ليكون حجمه ربع الحرف المرسوم وأربعين مرة اكبر من الحرف المطلوب . ثم يحفر ويحلى كل ما حوله فيبقى الحرف وحده نائراً على النحاس

بعد ذلك يرسل هذا الحرف النحاسي الى دائرة الامهات ، وهناك صف من الحسان ،

في اثواب من الحرير ، جالسات امام آلات صغيرة الحجم كبيرة العمل ، شبيهة اصلاً بالآلات التي تصنع الحروف النحاسية . وكل فتاة تحرك ابرة أمامها على حرف النحاس ، فتتحرك الآلة وتحفر في جوف اسرارها الحرف الصغير المطلوب الذي يدعى الطابع

ومن هذا الطابع البارز تصنع الامهات الخوفاً . اي انه يستخدم لطبع الحرف في القطعة التي تدعى «الام» ، والتي تباع للطابعين . ولكن هذا العمل لا يتم بغير الضغط الشديد . لذلك يشوى الطابع في وجاق كهربائي حرارته ألف وأربعمئة درجة (فارنهایت) ثم يُغمس في الماء فيكتسب الصلابة وقل المتانة اللازمة لفعله ، فلا يتدد في الكبس عليه ، ولا ينكسرتحت اثقال الادوات أما «الام» التي تصنع من الطابع فهي كما اسلفت القول محفورة تجويفاً في قطعة من النحاس ذات اسنان ونجاويف اخرى لتمكن المنضدة من القبض عليها واستخدامها في الضغط ، وفي سكب الرصاص والتوزيع . وهذه الام ، قبل ان تصبح صالحة لطبع الجرائد والمجلات والكتب تمر كما قلت على اثنين وخمسين عاملاً كل يعمل فيها عمله الميكانيكي او الكهربائي او الفني . ان في هذه الدائرة خمسة عامل وطامة يشجعون في الاسبوع الواحد مليوناً واحداً من الامهات بقي ان اقول ان آخر الاعمال يقوم به الفاحصون او بالحري الفاحصات الجالسات وراء الناظور الكبير في خيم صغيرة ، فترى الفتاة الحرف الذي يعكس على الزجاج واضحاً امامها ومن اغرب طرق الفحص وأسهلها ما تراه الى يمين الفاحصة وإلى يسارها . هناك زندان يتصلان بالآلة التي تدفع الامهات في احد طرفي الناظور فتعكس في الطرف الآخر مكبرة امام الفاحصة فإذا كان الحرف سالماً من الشوائب حركت زند الدين ، وإذا كان فيه خلل حركت زند اليسار . فالحركة الاولى ترسله الى صندوق الاتاج الصالح للبيع ، والحركة الثانية تسقطه في صندوق آخر للاصلاح

قال المدير دليبي العالم بأخلاق الناس علمه بأسرار الآلات : لو « كان الفحص على غير هذه الطريقة ، او بالحري يدويًا بالمكرسكوب ، لاستغرق الوقت الطويل ، ولكننا مضطرين مع ذلك ان نقيم الفاحصين على الفاحصات ، فلا يتهاملن او يتكاسلن في عملهن . اما وقد جعلنا طريقة الفحص مقيدة بهذين الزندين ، وحركة الواحد سهلة حركه الآخر . فلا سبيل للتفضيل اول للهاون . تستطيع الفتاة ان تحرك كليهما على السواء ، وبالي باقي موكل بنظرها »

قلت : « وبضميرها » فقال : « اذا سهلت العمل استقام الضمير »

آلات تصنع آلات

لو حاولت ان اصور للتأريء صورة من الحيازة والافزام في عمل واحد ، بل من الافعال في العمل ومن الفعل ، وأجمل الوحدة المنظمة محور الصورة كما ينبغي ، فتبدو الصلات في الاعمال

كانها الشرايين في الجسم البشري ، لكان السجز او الاجهاد أظهر ما في الصورة . لذلك أكتفي بالإشارة الى التل والى الاقيال لأرمز على ما في هذا المصنع من الاشياء الدقيقة والاشياء الضخمة . ومن الدقة الصناعة والمهندسية في كل عمل يتعلق بها ، كبيراً كان او صغيراً

لقد شاهدنا في معمل الامهات الحرف الذي هو كالمخلة الصغيرة محفوراً في التماس . فهب ان رجلاً من ارجل المخلة كان مجروحاً فهل يُرى الجرح بالعين المجردة ؟ على ان الحفل في الحرف الصغير لا يقاس حتى بالجرح في رجل المخلة . فهي بالرغم منه تمشي . اما الحرف المشوب بأصفر الشوائب فهو لا يمشي . وهو فوق ذلك يشوه سطرأ في صفحة من الحروف ، وقد يقضي بتوقيف المطبعة . فاذا كان طالياً مثلاً فهو يحرق الصفحة ، او يبدو بين أقرانه وقد أتمل حبراً كالبد الاسود بين صف من البيض . واذا كان واطياً فلا تدركه المطبعة فيحتفي . وكما ينبغي ان يكون مقدار الزيادة او النقص ليحسب خلافاً ؟ ان الحرف الواحد ، كما تعلم اذا كنت منضداً او طاباً ، هو جزء صغير من السطر الذي ينبغي ان يضبط «على الشعرة» كما يقال . وليس في القول مبالغة . فاذا كان الحرف طالياً او واطياً او زائداً او ناقصاً في ممكن وعرضه وطوله ، جزئين من عشرة آلاف جزء من البوصة ، فهو غير صالح في نظر ارباب الصناعة ، فينبذ او يصلح وحده يمكنك ان تصور مثل هذه الدقة في الصناعة ؟ اقسام البوصة الواحدة الى عشرة آلاف جزء ، ومثل لنفسك ان استطعت جزئين منها . فهذان الجزءان اذا زادا او نقصا في جسم الحرف يشوهانه صناعياً او فنياً ، فهو اذ ذاك لا يصلح للعمل

وهذه الدقة العجيبة ترى في كل جزء من اجزاء المنضدة كبيراً كان او صغيراً . فضلاً عن ذلك ان الحفل الذي لا يدرك بغير التواظير المكبرة يؤثر في الآلة اجمالاً . فالضبط في عمل المخلة اذن هو أزم من الضبط في عمل القيل . بل ان في هذا الضبط تستقيم الوحدة التي اشترت اليها ، والتي فصل وظيفة القيل بوظيفة المخلة

بعد هذا البيان ثقل من يت الخل الى بيت الاقيال — من دوائر الحروف والامهات الى دوائر الآلات الضخمة الحيارية . ها هنا الحديد يقل الحديد ، والقولاذ يقطع القولاذ ، والآلات الخوقة تصنع الآلات العجيبة . ها هنا تم وتركب أجزاء المنضدة ، قتر قطعة من الحديد صاه في آلة ضخمة يستطيع الولد أن يجرها بأن يضبط زرّاً أو يدير لولياً . ثم تخرج من الآلة وفيها الثقوب أو الاسنان ، أو الصقل أو التجويف أو الاصلع اللازمة لكانها كجزء حي سوي من أجزاء المنضدة . ولكل عمل في أحد الاجزاء آلة مخصوصة ، فينقل من الواحدة الى الاخرى ليذكر درجة الكمال . ثم تقل الاجزاء الكاملة كلها الى بيت التركيب ، حيث تركيب المنضدة تركيباً تاماً ، يؤهلها للعمل الذي اسلفت يانه

السكة الحلقية

قلت ان اجزاء المتضدة تقبل اثناء صنعها من آلة هائلة الى اخرى . وقد تقبل عشرين مرة في الطابق الواحد الذي يبلغ طوله اربعة قدم . على ان تقل هذه الاجزاء باليد ، ومنها ما هو ضخم ثقيل يختلف وزنه من القطارين الى الاربعة القطاير ، يشغل عدداً كبيراً من الهال ، ولا يخلو من خطر ، فضلاً عن البطء فيه والمشقة . فهي لذلك تقبل على السجلات ، وقد أعدت لها سكة من حديد . هي الطريقة المتبعة للألوفة في المصانع الاميركية

اما السجيب في سكة هذا المصنع فهو انها مملقة في السقف اقلو مدّت على الارض ضيّقت على الآلات ، وسيت الازدحام والتلبك . الازدحام — في الآلات او في عمالها — انما هو عدو النظام ، والنظام صفة ملازمة للاقتان ، وفي الاقتان الطريق المستقيم الى النجاح والازدحام . إذن ، سنمنع الازدحام ، وسنطلق السكة في سقف البيت

هي ذي آية اخرى من آيات العلم والاختراع — سكة في السقف من حديد ، وقد ابنت هناك بكلايب الحديد . هي خطوط ذات ادوات رافعة متصل بها ، ومخالب كاللاقط تتدلى منها لكل جيلان يدنو طرفاها من الارض ، فيشد العامل احدهما فنزل الآلة الرافعة . وتقبض بمخالبها على قطعة الحديد التي يراد نقلها ، ثم يشد الطرف الآخر فتصمد وقد حملت حملها ، وتسير به مدفوعة بقوة الكهرباء ، فتجري على السجلات فوق رؤوس الهال وفوق الآلات

هذا ما اراده المدير دليلي بقوله ان الغاية القصوى في المصنع هي ان تضاعف الاعمال العقلية السهلة عن الاعمال البدوية الشاقة . وقد شاهدت في الطابق الثالث مثلاً آخر باهرأ من هذه الامثلة . هناك تُجمع وتركب اجزاء المتضدة ، فتصف صفّاً من طرف المكان الى الطرف الآخر ، الجزء يلو الجزء ، كما يقتضي التركيب . فيبدأ العامل بفرش أرض المطبعة على مائدة ذات عجلات ، ثم يشرع يدقها امامه ، فيقف بها عند كل جزء يضيفه اليها حتى تم للرحلة وتكمل المتضدة

وفي تركيب الاجزاء تُرعى الدقة الذي تقدم يانها في الكلام على فحص الامهات . فالجزء يرتبط بالجزء بطريقة محكمة مضبوطة « على الشجرة » ولا مبالفة . بل ما دقت في التمييز . فهي تضبط حقيقة على ورقة « السيكارة » . هوذا العامل والورقة الرقيقة بيده ، يضما بين طرفي جزئين ويستلها ، وهو يحكم ارتباطهما . وقد بقضي ساعة او ساعتين في هذا العمل حتى يمسى استلال الورقة من بين الجزئين المتصلين مستجيلاً . ان هذه الطريقة في الضبط تقاس بضمة اجزاء من عشرة آلاف جزء من البوصة

— « فانيما القصوى ان نستغني ما استطنا عن الاعمال البدوية الشاقة »

وايك ، قبل ان تقل من الدوائر الميكانيكية ، بمثل آخر من هذه الامثلة الصناعية الباهرة ،

في الطابق الاسفل تولد القوى البخارية الواجبة للعمل والدفع. هناك صف من الخزانات الكبيرة، ولكل خزان وحاق حياته الفحم، فكان يطعم في الماضي باليد او بالحري بالرفش، فقفب الوقت امام النار المتأججة يرفش الفحم، وهو أحر العينين، أسود الوجه، وقد لصقت قيصه بجسمه من العرق. ساعة واحدة من هذا العمل تمثل للعامل الموت والجحيم بعداً للهلكات. هاك خارج المعمل مستودع الفحم وقد رفع عالياً، فتمتد منه جبال الحديد تجري عليها الزنايل الملائى بالفحم فتقفذ به الى الوجاق. عملية ميكانيكية يقوم بها رجل واحد، وهو بعيد عن النار وشرها، فلا تضر عيناه، ولا تحترق يدها، ولا يبرق ويشق قد يظن القارىء ان الاخطار تحوق بالعامل في هذا المصنع الكثير الآلات والادوات، وهي تدار بالقوى البخارية والكهربائية. ليس لدي ما ينفي هذا الظن. الا اني علمت ان الشركة احزرت جائزة السلامة من دائرة الحكومة لفحص المصانع، لان حوادث الحظر في السنة الواحدة لم تتجاوز الاثنتين في المئة. وقد زرت المستشفى فيه للعَد للاسعافات الاولى في مثل هذه الحوادث، فرأيت الممرضة تطالع كتاباً، وما رأيت شخصاً في سرير.

ومع العمرة الصحة والرضى

اني مسهب في وصف هذا المصنع وسأر دوائره اكراماً لاخواني الشرفين الذين ينتهون لاطنانهم ما يتبع به الغرب من ثمار العلم والصناعة. فهاكم المثل الاعلى في الاثمين. لأثروة بلا علم، ولا علم بلا عمل، ولا عمل يفلح بدون النظام والتضامن. لقد شاهدنا في ما تقدم مظاهر باهرة من مظاهر العلم والعمل والنظام

اما التضامن فالعروة الوثقى فيه إنما هي العدل، وقل هي اشتراك العمال واصحاب المال في ثمار الانتاج اشتراكاً عادلاً. من الاقوال المبثثة: أحسن معاملة للعامل يحسن عمله. وفي احسان المعاملة الارباح لك وله. فاذا عمل بالقول المبثذل صار قولاً ذهبياً. لقد اسلفت الذكر لما كان من اصلاح المعامل بواسطة الحكومة، وأشرت الى نوافل التحسين التي يقوم بها اصحاب المصنع من تلقاء أنفسهم مما كان الحافز بهم الى تلك الاعمال. وأي مصنع هو أجدر بالتحسين الدائم من هذا الذي يصنع الادوات لتشر المصارف، وتسميم الثقافة الحديثة في العالم. ان خبره ليصدق خبره. نقول نحن العرب: الثقافة من الايمان. ويقول النريون قولاً شبيهاً به يقرن الثقافة بالالوهية. انما يشفقون القول بالعمل، والعمل بأمانة من الثقافة وهي تهاخر بيناتها الثلاث: الصحة والاقبال والسعادة

لست مسجياً بشيء من تلك الآلات الضخمة، ذات الاسرار المحجوبة، اعجابني بالثقافة فيها، وحولها ونحتها، وفوقها—ارض من الخشب المنقوش كأنها كُنست وغسلت ساعة دخلنا المصنع—

صناديق للكتاسة في كل مئة ذراع من المكان ، بأغطية تفتح بدفعة يد ، وتقل بعمل ذاتي — خزانات من حديد لا ثواب الهال — مناسل كبيرة ، بأنابيب مرتفعة ، ترش المياه رشاً أفقياً ، يصل فيها الهال بالمياه الجارية ، لا كما كانوا يسلون في الماضي بالأجران الجامعة للادوار والجرائيم — حفيات تقذف الى العلاء بالماء المبرد ، فيشرب المرء دون ان تمس شفتاه الحفية (هي طريقة معكوسة للابريق الذي لشرب به في لبنان) اما الآلات تقسها فلعلها لا يزول ، وحسبها لا يحول ، تجلس إليها الحسان في أنواب من حرير ، وبعد يوم من العمل يمدن إلى يوتنن كما غدون منها ، كأنهن قائدات من دور السينما . ناهيك بالفسحات بين الآلات وعمالها ، وبالجدران التي تكاد تكون كلها نوافذ وشبابيك تفتقر المكان بفيض من الشمس ، وبدورة مستمرة من الهواء التي . أضف الى ذلك التسمية الكبرى : لا روائح ، ولا ضجيج ، ولا ازدحام

ان العلم والاختراع والتطافة آيات في كل مكان . فهناك الآلات الصاقية لبعض أجزاء من المتضدة . ان عملها ينشر دقيقاً من المعادن لو ظل هناك لملق بالمهواء وأفسده ، فاخترع له اختراعاً هو المصاصات . وما أدراك ما هي . أنابيب كبيرة تمتد من أمام الآلة الصاقية الى الخارج ، تمتص دقيق المعادن وتدفع به الى زنايل على السطح تفرغ كل يوم .

اما وقد انتهينا من أهم فروع العمل الميكانيكية ، وسان وقت الغذاء ، فدعوة الرئيس للاكل لا تُرد . ما خرجنا من المصنع لهذا الغرض الشريف ، بل يمنا المعلم فيه ، وهو كبير بطول وعرضه ، موائده لا تعد ، يجلس الى بعضها ستة وإلى غيرها عشرة من الهال أو المدبرين ، رجلاً ولساء . وهم جميعاً — اقب ومثان عدداً — يؤمون المعلم في ساعة معينة ، فيتناولون الطعام في وقت واحد . لا حاجة الى وصف التطافة هاهنا . إنما اقب بالقارىء عند المطبخ المنفصل بالزجاج فقط ، فيرى بمخافته ، ويوقظ الغالبية في السقيم . كأن تلك الوجبات الكهربائية ، والمواعين ، وأدوات المائدة ، مبروسة كلها للبيع ، لا ممددة للعمل . وما كل مبروس للبيع في المخازن بأنظف منها غواً ، أبها القارىء العزيز . اني معجب بما أراه من الكمال في القرب المادي ، لعلنا في هذا الشرق نقبس شيئاً منه ، ندعم به استقلالنا ، ونحسن به بعض أحوالنا . . . التطافة ، نقول ، من الإيمان . وما قولك اذا كان إيماناً نفسه يحتاج الى التنظيف والتجديد ؟ — ان علومنا الروحية لفي حاجة الى العلوم الاجتماعية والاخلاقية والتربية والفنية ، فتحيها ، وتشمل نور الزمان الحاضر فيها . التطافة في كل مكان — في السوق وفي العمل كما في الخزن والبيت . في الكبير من أمرها ، وفي الصغير على السواء . وهالك من الصنير المثل الأعلى في المصنع الذي طوّقتك به . ان فيه الدليل على اجتهاد مديري المصنع في درس الاخلاق البشرية والعمل بما تقتضيه . ان الاشارة لخير من الامر . بل ان الاشارة لخير من القول المعروف — لا تبصق على

الارض . انها من باب التهي عن المنكر . وفي التهي شيء من التفوق والتحكيم — في البصاق العدوى ، لحافظ على صحة أخيك . انها من الكلمات المحقرة للناس ، المذكورة بمرض فيهم او جهل . قبل الامر والقول المعروف ، حتى والمعقول منه ، تحييم بالاشارة ، وهي أفصح من الكلام وأبلغ

ان جدران الادراج في المصنع مدهونة باللحان الازرق والزوايا منها باللحان الايض . فما معنى هذا التميز ؟ من عادات المال القبيحة انهم يصقون في الزوايا فلا تُرى فعلتهم . نجاة الاشارة في الزوايا البيض ، كأنها قول للعامل : ان انت بصفت هنا ، او رميت بشيء يوسخ المكان ، فالتوبيخ جزاك . وعن التوبيخ ؟ لا من المدير ، ولا من احد اخوانك المال اما هو من نفس عملك البادي امام ناظريك . هو نقطة سوداء في صحيفتك البيضاء . فته . هي ذي الاشارة التي تقوى يلاغتها بلاغة الآيات والامثال . فالادراج نظيفة على الدوام ، وبالاخص زواياها البيض

لداً بؤرة في المعاملة

من المبادئ التي يلتزم للصالحين في الشرق السلبها المبدأ القوي يحمل صاحب العمل على معاملة عماله كبنه . فيرقمهم في المعمل وخارج المعمل بنظره ، ويفار على آدابهم غيرته على مصالحهم ، ويحسن في بعض الاحاطين اليهم احساناً ابويّاً صافياً . لك ان تعرض على التعت الاخير . اما المدير الاميركي فهو يتعرض على المبدأ الابوي باصوله وفروعه . لا . ليس لهذا المبدأ حرمة ، وليس له انصار في المعامل الاميركية

تناولت الغذاء وبعض المديرين في المطعم المام . وكنت قد ظننت ان الطعام يقدم مجاناً لهم ولعمال ، فأخطأت الظن . وقد دهشت لما رأيت الرئيس يدفع ثمن غذائه وغدائي . نظرت في لأحة الطعام فإذا بها مسخرة ، واذا بالاسمار اقل من نصف ما يتقاضاه مطعم من مطاعم المدينة . حدثت الرئيس في الامر فذكرت الضيافة قائلاً : « اذا الشرقي انشأ مطعماً لعماله فهو يكلله بالضيافة فيجعله مجاناً » . فابتم وقال : « لا زى الحكمة في المبدأ الابوي . فاذ انت اعطيت المرء شيئاً مجاناً فهو يظن ان لك في ذلك غرضاً خفياً ، فيحنوك ، وقد يسيء بعد ذلك اهلك » هي حكمة اميركية . وقد تكون خيراً من الحكمة الشرقية . ميد اتا في الشرق نشمر بالجميل شعورنا بالكرم وأشد . فهل نستطيع الحكمة الاميركية عن حكمتنا يا ترى ؟ هي الحكمة المألوفة في البيع والشراء . لا شيء بلا شيء . على ان المطعم مؤسس على غير قاعدة الارباح . فهو لعمال والمديرين بما يكف الطعام والخدمة لا زيادة ولا نقصان

أضف الى ذلك ان المسكان يستعملون كرفس عريثين في الشهر . فقام فيه الهياي الراصة ،

يخضرها الشبان والشابات من المال ، وهم يدفعون من ملهم اجرة الموسيقيين . هي القاعدة الاميركية بالضبط . كأن الشركة تقول لهما : قاعة الرقص مني ، والموسيقيون منكم ولا تفاضل ولا منة

سألت الرئيس : « هل تخص الشركة المال بشيء من الارباح السنوية »

فاجاب قائلاً : « كلاً . ان في ذلك شيئاً من المبدأ الايوي »

قلت : وهل تساعدون من يمرض او يصاب في حادث اثناء العمل ؟

قال : مساعدة بسيطة في مستشفى المعمل فقط . بعد ذلك يُنقل المريض او الجريح الى بيته او الى احد المستشفيات في المدينة ، فيُعالج ويمرّض هناك على ثقته ، او على ثقة الجمعية »

قلت : « اية جمعية ؟ » قال : جمعية التاون المؤسسة من المال ولهم . اما اذا قد المال من صندوق الجمعية فهم يستعينوننا قسيتهم »

— وهل من منافع مادية تخصونهم بها ، وهم في اخلاصهم واجتهادهم يزيدون إنتاج المصنع وروثه ؟

— « لكل عامل من المال الحق ان يشتري بما يذخره من راتبه اسهماً في الشركة ، فيشارك اذ ذاك في الارباح . هو حق الجميع رجالاً ونساء »

— « وما هو عدد المشتركين ؟ »

— « أربع المال بالتقريب اسهم في الشركة »

وهي فوق ذلك تضمن حياة المال ، كل عامل وطامة ، بألف وخمسة دولار ، فتدفع الى شركة الفئان القسط السنوي عنهم جيماً . ولا تحسبه من رواتبهم

قد تُعد هذه الطريقة المتبعة في اكثر المعامل الاميركية ، من الايويات . ولكنها في الحقيقة من باب التماون والتضامن . ان لصاحب العمل حقه ، وللعامل حقه ، وان قسمة كليهما

موكلة بثلاثة هي احسان العمل ، واحسان الجزاء ، والاقتصاد . فالمعامل المجتهد في عمله ، المقتصد في ثقافته ، يصبح من الشركاء في المصنع . اما اذا كان من غير المجتهدين المقتصدين فخفه

ينحصر في راتبه ، وفي جك الفئان المخصص به اكراماً لمآلته ، فاذا مات فقيراً ساعدت الشركة مآلته بما ضمننت حياة فقدها ، اي بألف وخمسة دولار

قال الرئيس : « على الشركة واجبات ادبية ثلاثة ، هي ان ترضي عمالها ، وزبائنها ، وحاملِي اسهمها »

اما المال فقد شاهدت ما تقوم به الشركة من اعمال التحسين لجيرم وخيرها . فهي لا تسألهم خير ما تقدم من علم ومقدرة واجتهاد ، بل تعد الاسباب ، وتعد السبل المشجعة على ذلك ،

فيسلكها العامل لسهولتها مسروراً بعمله ، راضياً بثمرته

وفي هذه الحال تسكن الشركة من القيام بالواجبين الآخرين . فان في اتقان العمل رضى الشاري ومصلحته ، وفي اقبال والارباح رضى الشركاء حاملي الاسهم . فلا تهاون ، ولا اجمال ولا تقصير في التحسين مهما اقتضاء من العلم والتجربات ، ومن التفات

ورعى التعاون في الاختراع

ان الشركة تمنح جائزة مالية لكل عامل يبيها بفكرة جديدة ، او اقتراح مفيد ، للتحسين الميكانيكي او الفني او الاداري في المصنع . قرأت الاعلان المنشور على الجدران النبي بهذه الجائزة . ونحت النوان صندوق وأوراق الكتابة ، فيكتب العامل اقتراحه ، ويضعه في الصندوق . هذه الاقتراحات تجمع مرة في الشهر ، وتعرض على لجنة من المديرين تظر فيها ، فتجيز صاحب الاقتراح المقبول بما يستحقه ، بمد ان تقدر ما قد يكون من الفائدة في العمل بذلك الاقتراح سألت المدير : ولم هي قيمة اكبر جائزة منضموها ؟ فأجاب : « الف دولار »

تمرة من لبنان

أعود ، وقد دنوت من نهاية هذه الرسالة ، الى المتضدة التي أوحى الي . فقد طفنا ، ايها القاري . بمصنعا الكبير ، الكثر المحاسن الميكانيكية والفنية والادارية . ومن أم ما علمنا ان من اركان النجاح في الصناعات ركبتين اصلين هما صحة العامل ، وصحة الآلة التي يديرها . ولنا ان نقول ان الركن الاول والاكبر هو العلم بالاخلاق البشرية ، وبلاسرار الميكانيكية ، علما مقرونا بالعمل والالفاف . علما ذلك وتحققناه في ما شاهدنا

بقي ان أعلمك ان منضدة البينوتيب اصبحت تنطق بخمسين لغة من لغات العالم ومنها لغة الضاد ، وان في جامعة برنستون بأمريكا ثلاث منضدات عربيات لطبع ما تختاره من الخطوط القديمة في مكتبتها العربية النادرة ، باشراف قيّمها العالم الفاضل مواطننا الاستاذ قليب حتي ولبن الفضل في اختراع منضدة البينوتيب العربية ؟ قد علمت ان مخترع المنضدة الانكليزية هو اللاني هاجر في صباه الى امريكا . أجل . ان أطهر سُرقتال لمن المهاجرين بحق للمهاجرين وأبنائهم في تلك البلاد العظيمة ان يقتخروا ويفخروا به ، ويجب ان اخبرك ان مخترع المنضدة العربية هو ايضاً من المهاجرين . هو لبناني من الفريكة ، هو ابن قريتي الاستاذ سلوم مكرزل . بحق لبناء العرب اللبنانيين ، المهاجرين والمتخلفين ان يقتخروا به

اما ثالث الثلاثة فهو ، ولاخر ، كاتب هذه الرسالة . لبناني مخترع المنضدة الناطقة بالضاد ولبناني يشرف على مطبوعاتها النفيسة في اشهر جامعة اميركية ، ولبناني يقص قصصاً على ابناء هذه الامة الشريفة . هذا واجب . هذا حق . فان في لبنان الخالد — بغير سياساته ورؤسائه — دوحة للعلم والادب اصولها: عربية ، وفروعها شرقية غربية

للنبات والمعدن

شعور نابض

بسرّة المعظم الهندي بوز
وطرف من مباحثه العجيبة

في اواخر العقد الثامن من القرن الماضي وضع احد العلماء الفرنسيين كتاباً يسن فيه ان بين حياة النبات وحياة الحيوان وجوه شبه متعددة . فالتبات الاخضر الورق يطلق ثاني اكسيد الكربون في الليل ويأخذ الاكسجين ، اي انه يضل ما يفعله الانسان عند ما يتنفس . ثم ان في التبات خاتر هاضمة تحوّل الغذاء الى سكر ، وله مفرزات كذلك ولكنه لا يفرزها الى الخارج بل يهود فيستعملها في شؤونته الحيوية . واذا قيل ان التبات ليس فيه عضل قيل نعم ولكن التبات منصف بالقدرة على الحركة . فالازهار تنجّه احياناً الى الشمس وتحنى اعناقها عند ما يهطل المطر ورؤوس افنانها في حركة دائمة . بل ان بعض التبات يقوم بضروب عجبة من الحركة ، كأن له عقلاً يأمر وعضلات تنفذ الامر كالسنط الحساس و«مذبة زهرة» وغيرها لم ينهض بين علماء الاحياء طالم يتوفر على هذه الناحية من حياة التبات توفر أعلياً ، الا في مستهل هذا القرن . وهذا العالم هو الاستاذ السرجاناديس شندرا بوز الهندي الذي نقلت اليها الانباء البرقية خبر وفاته من عهد قريب

بدأ بوز حياته العلمية استاذاً رقيق الحال في جامعة بالهند ، فاستوفت مباحثه نظر طالين انكليزيين كبيرين هال سرجيس ديوار والورد راليه ، فاستقدماه الى بريطانيا واسمحاه مجال العلم والبحث في معمل فراداي بالمعهد الملكي في لندن . وفي اثناء اقامته في انكلترا طار صيته واسترعت مباحثه انظار الصحف فجلت تنشر ابحاثها لما رآه فيها اصحابها من غرابة وعجب . ثم عاد الى الهند وقضى عشرين سنة في بحث متواصل ودأب مستمر . ولما عقد مجمع تقدم العلوم البريطانية اجتماعه الثوري برآسة البرنس اوف ويلز في جامعة اكسفورد سنة ١٩٢٦ دعى السرجاناديس بوز اليه فألقى فيه محاضرة على اكبر علماء العصر وكان اينشتين نفسه في طلبتهم فلما انتهت المحاضرة صرّح اينشتين بأنه يجب ان يقام لبوز تمثال ينصب في طاعة جامعة الامم . وقد وصفه احد العلماء وهو يحاضر بقوله : ان روح الجمال الحق ينبثق منه وهو يتكلم ..

ولماذا تأثر اينشتين بمحاضرة بوز؟ بل لماذا ذاع اسم بوز في جميع أنحاء العالم، فلم يقتصر على دوائر العلماء المختصين شأن فريق من العلماء؟ ذلك ان بوز أثبت وحدة الحياة . انه دل بالتجربة على ان الصلب وغيره من الفلزات ذات شعور ، وان للنباتات افعالات ، وان كل ما خلق يحيا ويموت ، ولو كان جاداً . وبوز لم يقتصر في مباحثه على مراقبة النبات بالعدسة المكبرة . ولكنه استنبط طاقة من الاجهزة الدقيقة لقياس الافعال الصيية العكسية في النبات . لقد وصف بأنه صوفي، ولكنه اذا صح هذا الوصف عليه ، كان صوفياً يقيس جزءاً من مليون جزء من البوصة! قد يكون خياله مستمداً من اصله الشرقي ، ولكنه أضاف إليه الدقة السجية التي يتصف بها العالم الغربي — بل كل عالم على الاطلاق

ومع ذلك فان في مكتشفاته من العجب العجائب ، ما يحمل كثيرين على الشك فيها والاحجام عن التسليم بها . فانها أقرب الى بنات الخيال منها الى أصول الحقائق العلمية . واليك ما يقوله في فصله له : لقد كنا حتى الآن نحسب النباتات والاشجار بعيدة الصلة بنا اذا لا صوت لها ، نمر به ، ولكنني سأثبت لكم انها مخلوقات نحس ، وانها تستطيع ان ترد على الاسئلة التي نوجهها اليها . فورقة السط الحساس عند ما تحس بصدمة تستجيب لها بالانقباض والانحناء على اعناقها ، وقد استقبلنا جهازاً يمكننا من تحويل هذا الجواب الى خط يرى . . . ثم وصف الجهاز والتجربة والواقع ان الاجهزة التي استقبلها بوز لقياس احساس النبات دقيقة كل الدقيقة . ولا يخفى ان حركات النبات ، بطيئة على الغالب ، فاللزاقة البطيئة أسرع في حركتها من نمو النبات هنة آلاف ضعف . اذ لا يزيد متوسط نمو النبات على جزء من مليون جزء من البوصة في الثانية . ولكن من النبات ، كالخيزران ، ما هو أسرع جداً في نموه من معظم النبات . وليس بالنادر ان ترى غصناً من أغصان الخيزران يضمو من تسع بوصات الى اثنتي عشرة بوصة في اربع وعشرين ساعة . ومع ذلك استقبل بوز جهازاً لقياس نمو النبات قوامه عتلة مغنطيسية وبرة لا تتأثر بمغنطيسية الارض وبقة من الضوء تمكس على ستارة من مرآة صغيرة ومجهر . وللدلالة على قوة هذا الجهاز نقول انه اذا طبق على حركة البراقة ظهرت وكان سرعتها مئتي مليون قدم في الساعة قال بوز : لنباتات قلوب . وقبل ان استنبط الكريسوجراف (اي مقياس نمو النبات) كنت واثقاً بان عصير النبات يجري في عروقها بجهاز يشبه في اصوله جهاز الدورة الدموية في الجسم البشري اي ان ضغط العصير في حركته لم يكن على نمط واحد بل كان كأن وراثة مضخة تبض نبضاً منتظماً . وقد أبدت آلة الكريسوجراف ظني هذا

وقد طانى بوز في سبيل اتقان اجهزته عرق القربة . ولكن شغفه بالبحث سهل عليه كل مشقة . وعلى مقربة من مدينة كلكتا أنشئ معهد بوز . هناك بهو متسع للمحاضرة ومعمل للبحث تحيط به حديقة غناء . ويحيط بالحديقة مساكن الطلاب من هنود وغربين . وكل ما

يستعمل في بناء الاجهزة يصنع في المعهد نفسه . ومع أنه لم يكن كثيراً بتسجيل مكتشفاته اتبع له جمع روة غير يسيرة فوّه مئة ألف جنيه منها على هذا المعهد

من التجارب الحسية التي جربها ، ما له صلة بتأثير السم في النبات وذلك بنفس جنحها في مركب البرومور ثم يصل ادائها بأجهزته الدقيقة ، فتبدو فيها خطوط مترجحة اذا قولت بخطوط التنبه وهي سليمة سوية ، تبين فيها ما يدل على اضطراب التنبه وخفقانها تحت تأثير السم كما يفعل الحيوان . وأغرب من هذا ان اطباء الهنود الاقدمين كانوا قد اكتشفوا ان قدراً يسيراً من السم من انياب الكوبرا قد يفعل في المريض المشفي فيعيد اليه الحياة . وهذا يفسر عادة قديمة عندهم وهي امتناعهم عن دفن من مات بلفغ الكوبرا بل يوضع على رمث في التهر ظناً منهم ان الحياة قد تعود اليه . هذا وقد اثبت بوز ان سم الكوبرا يزيد خفقان العصور التأني في النبات

ولم يكتف بوز بمصر بحثه في النبات ، بل تعدا الى المعادن ثبت له ان في المعادن ايضاً قوة حيوية . فالصانع القين يتناولون المعادن والفلازات يملون ان الفلازات تصاب بظاهرة تشبه التسبب في الانسان . ولذلك قيل ان حلق القفن يقتضي الا تستعمل شفرة الموصى يوماً بعد يوم . بل يجب المدادولة بين الشفرات حتى تستريح . وقد اثبت الفحص بالاشعة السينية ، ان فترة الراحة تتيح لحبيبات الفلز ان تعود الى وضعها الاصيل . وقد استعمل بوز جهازاً كهربائياً يدعى « غلفا نومتر » لقياس ما تصاب به الفلازات من التسبب ، ثبت له ان احساس الفلازات ينصف بتوالي الحافز الكهربائي عليها ، ثم اذا استراحت فترة ، عادت اليها قوة احساسها السوية . بل ذهب الى ابعد من ذلك اذ اثبت أن الفلازات تتأثر بالحرارة والبرد فينصف احساسها في البرد . وأدعى من ذلك أنه بين انها تتأثر بالتخدرات كما يتأثر الدماغ بها . فنفس قطعة من القصدير في محلول برومور البوتاسيوم يفقدها قوة الاحساس العادية . ولا يخفى ان جرعة كبيرة من الافيون تخدر اعصاب الانسان وان جرعة صغيرة تهيجها ، والفلازات تستجيب بالطريقة نفسها . بل ذهب الى ان السموم تميمت الفلازات كما تميمت الخلايا الحية ، فقد أخذ قطعة من المعدن واستحسنها بالحلقة نومتر فوجدتها سوية الاحساس ثم طاحها بالحامض الاوكساليك ، فظهر في آثار الحلقة نومتر دليل الاضطراب فيها ، ثم ضفت الحركة وريداً وريداً الى أن كادت تبطل تماماً . ثم طاحها بترياق حماد شوزها وريداً وريداً . وبعد فترة من الراحة بدأت القطعة سوية . ثم اعاد هذه التجربة فابقى الفلز مقبوراً بالسم الى ان بطلت دلائل العصور علماً فاستخرجها وطاحها بالترياق والراحة ولكن الموت كان قد ادر كما فلم يُعَفَقْ

هذه النتائج الثرية لا تزال عمود البحث والعجزة في مختلف أنحاء العالم ، وقد وجه اليها نقد علمي من علماء مجريين (وانفتح نصوص في التاريخ الطبيعى) . أما ما لا ريب فيه فهو ان بوز قد فتح ابواباً جديدة لظلال منها على وحدة الوجود

اصلاح النسل

مدخل الى هذا العلم الخطير الشأن

للكونت - شريف عيسوي



مقامه وتاريخه

ان موضوع اصلاح النسل من الموضوعات الاجنبية الخطيرة الجديدة بالبحث لانه يتناول نواحي الحياة المختلفة من شخصية واجتماعية واقتصادية وسياسية وطبية وتهديبية وغير ذلك مما يهم الفرد والمجتمع ويؤول الى خيرها واساها

قال الاستاذ بانسون رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني سنة ١٩١٤ ان المسائل السياسية التي يقتضي حلها معرفة الحقائق البيولوجية كثيرة ومنها مسائل التعليم والقوانين الجنائية وجميع فروع الادارة والسياسة فكثيراً ما تمرض لاهل السياسة مسائل يحكون فيها فيما يمكن عمله او ما لا يمكن عمله لاحداث تغيير مطلوب في فرد مخصوص او في شعب بكامله ولا بد للحكم في هذه المسائل من المعرفة بالحقائق البيولوجية ولا تعد المعارف البيولوجية من المعارف الضرورية لاهل السياسة والاحكام في الوقت الحاضر ولكن سوف يأتي يوم يضطر فيه العلم والحاكم والمحامي والسياسي الى الاشتراك مع الطبيعي في معارفه التي تتعلق بفسولوجيا الشعوب^(١). وقد اهتمت به الامم الراقية في عصرنا الحاضر واحقته عمله الرفيع فصنت له القوانين والانظمة وظهرت عشرات لابل مئات من الكتب فيه لاشهر علماء العصر وكثر انصاره والمنضون تحت لوائه والداعون اليه مع انه لا يزال طفلاً يترعرع. وسندرسه على ضوء الحقائق العلمية الصحية المجردة عن العاطفة والخيال وللभाفة في الاقوال متدين على اوتق المصادر المعترف بها في عالم العلم. وسنجد فيه لذة وغذاء شويًا للنفس التواقة الى المعرفة

(تاريخه) ليست فكرة اصلاح النسل من ابتكارات عصرنا الحاضر بل سبقنا اليها الاقدمون. فقد ذكرها الشاعر اليوناني ثيوغينيس في النصف الاول من القرن الثاني قبل المسيح ونجها افلاطون نحو قرن بعده واقترح ان تدخل الحكومة في الامر بتزويج الاحسن للاحسن والارذل للارذل وتجميع تاسل الفتاة الاولى وتولى تربية اولادها وتحذف باولاد الفتاة الثانية

(١) العلم والسران هدية المتكلمة السنة ١٩٢٨ ص ٢١٣

في مجاهل غير معروفة^(١) وان لا تألف جمهورية من اكثر من ٥٠٤٠ وطنياً Citizens وأشار بتحديد النسل لحفظ موازنة هذا العدد^(٢)

وقد طرق ارسطاطاليس هذا الموضوع من الناحية السياسية والاقتصادية وايد مذهب تدخل الدولة في النسل^(٣) وينسب اليه القول الآتي : اذا ولدت امرأة عدد الاولاد المحدداً ثم حملت فيجب طرح الولد منها قيل ان تدب فيه نسمة الحياة^(٤). ويروي لنا التاريخ ما كان يفعله الاسبرطيون في سيل تحشين ابائهم بتدريهم على الفروسية وتريضهم لقارس البرد ولا فح الحر ليخلقوا منهم رجالاً اولي بأس وقوة يكلّفون في ميادين القتال ويتصرفون على الاعداء

﴿ اصل النفلة ﴾ ان نفلة يوجنكس Eugenics يونانية الاصل ومعناها الاصل او الحيد الولادة^(٥) Woll born. واول من طبعا يطالع العلم الحديث العلامة الانكليزي النافع السير فرايس غالتون صاحب المصنفات النفيسة في الوراثة واصلاح النسل ومقياس النكاح وبسم الاصابع وغيرها من البحوث الاجتافية الاجتماعية الممتدة ولا يلق بنا ان نمر بشخصية فذة كهذه من دون ان توسع قليلاً في دراستها

المعركة العالمية

ولد غالتون (١٨٢٢ — ١٩١١) في نفس السنة التي ولد فيها مندل ولم يعلم شيئاً عن ابحاثه التاسلية في الثبات ولكنه طرق الموضوع من ناحية اخرى احصائية وظهرت رسالته قبل رسالة مندل بشهرين وبرهن في كتابه «التبوغ الوراثي» الذي سنشير اليه فيما بعد على ان التبوغ والتفوق العقلي وغيرهما من المواهب جميعها وراثية وعرف اصلاح النسل بما يلي : اصلاح النسل هو درس العوامل التي تحت سيطرة المجتمع والتي تمكن بها من اصلاح الجيل المقبل او افساده جسدياً وعقلياً^(٦).

نشر غالتون مقالته الاولى في هذا الموضوع في مجلة مكلان سنة ١٨٦٥ وبين فيها انه من الممكن تحسين نسل البشر بمعد ائصال جديده وتوسع في هذا الموضوع في كتابه التبوغ الوراثي Hereditary Genius^(٧) وقد تبع نسب ٤١٥ مشهوراً من مشهوري انكلترا بمخون الى ٣٠٠ امرة وجد فيها ما يقرب من الالف مشهور^(٨) منهم ٨٥ قاضياً و ٣٩ سياحياً و ٢٧ قائداً و ٣٣ اديباً و ٤٣ ملكاً و ٢٠ شاعراً و ٢٨ قسّاً و ٢٥ قسيساً^(٩) وقصده ان يبرهن على ان التبوغ وتوق المواهب

(١) اصلاح النسل التطبيقي Applied Eugenics, Poponoe and Johnson p. 343, 1933

(٢) Abortion Spontaneous and Induced, Dr. Frederick Tausig 1936

(٣) Abortion Spontaneous and Induced (٤) Applied Eugenics, p. 343

(٥) دائرة المعارف البريطانية الطبعة الرابعة عشرة تحت نفلة Eugenics

(٦) دائرة المعارف البريطانية الطبعة الرابعة عشرة (٧) Applied Eugenics p. 344

(٨) Hereditary Genius p. 307 (٩) Applied Eugenics p. 344

المقلبة بدرجةها وراثية . قال في كتابه التبوغ الوراثي : « ان الحجج التي حاول ان استدل بها لابرهن على ان التبوغ وراثي هي وفرة عدد المشهورين الذين ينتمون بنسب الى مشهورين مثلهم من أقرائهم »^(١)

وسنة ١٨٧٤ طبع رسالة عن سيرة ١٨٠ طالما انكليزيا يرهن فيها على ان الوراثة لا المحيط هي الاصل في مواهب الانسان وسنة ١٨٨٣ طبع كتابه : البحث عن موهبة الانسان وتطورها . وطبع غيرها من الكتب التي يستشهد بها كبار المؤلفين في هذا الموضوع ولها نجد باحثا يبحث في هذه الموضوعات ولا يستشهد بأقوال هذا العلامة الشهير ويستشهد بمواهبه وعلمه

وسنة ١٩١١ قرأ رسالة امام جمعية علم الانسان Anthropology موضوعها ، امكان تحسين نسل الانسان تحت تأثير الشعور والقوانين الحاضرة . وبعد ثلاث سنوات تلا رسالة أخرى أمام الجمعية الاجتماعية موضوعها اصلاح النسل تعريفه ومنهجه وغايته ملخصها : (١) تميم معرفة قوانين الوراثة (٢) البحث عن معدل مواليد الامة القديمة والحديثة بين طبقاتها الاجتماعية (٣) جمع احصاءات صحيحة عن مقدار المائلات الكبيرة التي نشأت (٤) درس العوامل المتعلقة بالزواج (٥) أهمية علم اصلاح النسل للامم

وأسس سنة ١٩٠٤ كرسيًا خاصًا لهذا العلم وأوصى بعد مماته في ١٧ يناير سنة ١٩١١ بتأسيس استاذية لهذا العلم بمهدة Karl Pearson الشهير وخصص لها المبالغ اللازمة من ماله الخاص^(٢) ثم انتشرت هذه الدعاية في أميركا والمانيا وفرنسا وإيطاليا وروسيا واكثر الامم الاوربية وبعض الامم الاسيوية كاليابان والصين ولا نطيل الشرح هنا ومن شاء المزيد فعليه مراجعة (Applied Eugenies) وقد اخترنا منهج ايتين مختلفتين لهذا الموضوع ننشرهما هنا لانهما يلخصان أهم الموضوعات التي سنطرقها في بحثنا وهما نموذج لابحات هذا العلم الحيوي الخطير

مصرح الامة الامبركية

انتشرت هذه الحركة في اميركا قبل غيرها . ولكنها سارت يبطء فأسس لورن مودي (Loring Moody) سنة ١٨٨٠ معهد الوراثة في بوسطن وساعده الشاعر الشهير لونغ فلو (Longfellow) وغيره من المشهورين . وكان الكسندر بل مخترع التلفون اول من طرق هذا الموضوع بصورة عملية سنة ١٨٨٣ وأنشئت سنة ١٩٢٦ جمعية اصلاح النسل الاميركية ووضعت سنة ١٩٣١ مقترحاتها الآتية نوردتها هنا لانها تبين وجهة نظر الامة الاميركية ونورد بعدها وجهة نظر الامة الالمانية

(١) ادخال موضوع تحسين النسل في مناهج المدارس الابتدائية والعالية وجعله جزءا

لا يتجزأ منها والتشجيع على التخصص به في المدارس العالية كالكليات والجامعات (٢) تعميم الارشاد الكافي عن حقائق هذا الموضوع بواسطة الصحافة والمحاضرات والمعارض والكتب والتشرات الخ (٣) تشجيع الابوة والبحث عن الصفات الوراثية النافعة للامة (٤) تشجيع تزويج من يتصفون بصفات وراثية جيدة وذلك بما يلي :

(١) استقصاء سبب قلة نسل ذوي المواهب المتفوقة

(ب) البحث على تتبع انساب الاسر ودرس الصفات المتأصلة فيها

(٥) منع زواج المصايين باهات وراثية كالجنون وما أشبهه ومن شرائع خاصة لهذه الغاية

(٦) عزل الاباء والامهات للمصايين باهات وراثية (٧) سن قوانين خاصة للزواج من جهة تحسين

النسل تشمل الامور الآتية :

(١) جعل الحد الأدنى لسن الزواج ١٦ سنة

(ب) تأخير اجازة الزواج ثلاثة ايام من تاريخ الطلب ونشر اعلان عنه في الصحف او غيرها

(ت) عدم منح الاجازة الا بعد الحصول على شهادة طبية تثبت سلامة طالب الزواج من

الامراض الوراثية والزهريّة

(ث) جواز تزويج الاشخاص البعدي القرابة

(ج) ان يدخل ضمن موجبات الطلاق عدا الزنا الجنون الوراثي وضف العقل والمجر والعقم

(٨) سن قوانين تمنع هجرة من فيهم صفات وراثية غير مرغوب فيها (٩) تعميم ارشاد الناس

في طرق منع الحمل تحت اشراف اطباء اكفاء في المستوصفات العامة

مصرح الامة الألمانية

تأسست جمعية تحسين النسل الألمانية سنة ١٩٠٥ ونشطت هذه الحركة في ألمانيا خاصة بعد

الحرب العامة وها هو ذا ملخص خططها مقابلة للخطة الاميركية

(١) إن الخطر الرئيسي الذي تتعرض له الامم هو الفساد الناشئ من فقدان الناصر

القوية الصالحة (٢) ان الامم التي تستطيع ان تازع غيرها البقاء هي التي فيها نسبة كبيرة من

رجال ولساء ذوي مواهب عقلية وجسدية صحيحة واخلاق وآداب صالحة (٣) ان صحة الامة

وحيويتها واتاجها الثقافي لا تتوقف على المحيط فقط (كالتذاء والتهديب والامراض الخ) بل على

قابليتها الوراثية التي تعد من الاسس الجوهرية في كيانها (٤) ان ميراث الامة الوراثي عرضة

للفساد بطريقتين الاولى تقديم العناصر الفاسدة على الصالحة والثانية افساد السلالة بادخال عناصر

منحطة اليها (٥) ضد الشعوب المتمدنة في الوقت الحاضر اختيار قاسد يؤول الى فساد النسل بمقدار

كبير (٦) من سوء الخط أن يرافق الصعود الاجتماعي قناء الاسر (٧) ان تشجيع تكثير نسل

ذوي المواهب الوراثية المتفوقة الذين يصلحون لقيادة الامة من خيرة الوسائل لتحسين السلالة (٨) من أهم مشكلات حفظ صحة النسل الاحتفاظ بالامر المهمة اجتماعياً من كافة الطبقات (٩) إن النسل الذي لا يصلح يتوقف على منه أكثر مما يتوقف على تجنب اسبابه (١٠) لا كان جميع المواليد لا يملكون مستوى الإنتاج المتفوق فخطوة الاكتفاء بولدين ليست حميدة لانها تؤول الى اقراط الامر عقب اجيال قليلة ويكاد معدل ثلاثة أولاد لا يكفي لحفظ كيان الأسرة (١١) ان اسباب قعند منع الولادة اجتماعية واقتصادية فيجب تشجيع علم صحة السلالات بتكثير الحيد وتقليل الذر والناتج عن تكثير نسل مثل هؤلاء (١٢) يجب أن يأخذ التشريع بين الاعتبار حجم العائلة ويجزى الارث. لغاية الضريبة الى اكبر عدد ممكن بحسب افراد الأسرة (١٣) يجب أن تعفى الأسرة المؤلفة من ثلاثة اولاد أو ولدين من ضريبة الارث وتستثنى التراكب الكبيرة من هذا الحكم (١٤) يجب أن تسن أنظمة خاصة لحماية الضرائب من سكان الاروايف حتى لا ينجش سكانها خوفاً من قلة الاولاد والضرائب (١٥) يجب أن يراعى في انشاء القرى احتمال تامل المزارعين . وتشجيع سكنى الاروايف واشياها مهم من وجهة صحة السلالة (١٦) ان سياسة تعاقب النسل واتباع نظرية مثوس يخرج موقف تحسين النسل لان التخص يحصل حتى بين احسن الاسر (١٧) ان الاعتماد على مجرد زيادة النسل بقطع النظر عن اختيار العناصر ذات الوراثة الصالحة مضر لانه يفسح المجال لتكاثر العناصر المنحطة

نطيقى اصموم النسل

نبحث الآن هل موضوع اصلاح النسل قابل للتطبيق أو أنه من الموضوعات النظرية الفلسفية التي يتلذذ المرء بمحرفها وتقابل بين آراء المتحمسين الذين يتمدون عليه في خلق جيل كامل من الناس والرجيين الذين يعدون التدخل في الامور الطبيعية تحدياً للعزة الالهية كما قال المستر دارو: « من هو ذلك الاحوج الذي يجزؤ على تغيير طرز الانسان الجسدي » (١) في العالم اذكاء واقوياء وصالحون وبنفاء وغيرهم من ذوي الصفات الصالحة المتنازة وفيه الضعفاء والبلداء والتافس والمقل والمجرمون والاعلاء وغيرهم من اصحاب الصفات السقيمة والقوانين والانظمة والتعاقبات والمدنيات والتهديب والتاليم والعادات والتقاليد وغيرها من مظاهر الحياة وليدة هذا الجرم الصغير الذي انطوى فيه العالم الاكبر تصلح بصلاحيه وتفسد بفساده فلماذا لا نستبدل الفريق الاول بالفريق الثاني ونصير كوكناجنة عدن ونشوى الكمال (Utopia) الذي يتخيله الفلاسفة والمصلحون . هذا ما يحلم به دعاة هذا المذهب وما عناه رئيس جمعية اصلاح النسل الاميركية بقوله : يجب أن نجتهد أن نري العالم أن اصلاح النسل (يوجينا) من انجح الوسائل لحل المشكلات

التي يطلبها الاطباء ورجال الصحة والاجتماعيون والقسوس والمصلحون ، مشكلات مكافئة العجز والبطالة والتقص العقلي والاخلاقي والقضاء على الرذيلة والاجرام^(١)

يستطيع الانسان أن يكيف النباتات وفقاً لرغائيه فينبعث الخطه ذات الحب الكبير والصغير والبيضاء والسمره ويولد أنواع الفواكه الطيبة الطعم الكثيرة الانتاج وضروب الورود القوامة يستطيع ان يوجد البقر الحلوب والسمين الصالح للاكل والقوي الصالح للفلاحة. يستطيع ان يختار خيل السباق وخيل الركب والدجاج الكثير البيض وكلاب الحراسة والصيد وغير ذلك مما نراه من ضروب النباتات والحيوانات وفقاً لرغائنا . فلماذا لا نطبق نفس هذه الحقائق على الانسان وهو يعيش في نفس المحيط وتؤثر فيه العوامل التي تؤثر في النبات والحيوان ويخضع لنفس التواءيس الطبيعية التي تخضع لها

يقول العلامة غالتون في كتابه التبوغ الوراثي : كما انه من السهل توليد سلالة دائمة من الكلاب او حياض السباق او غيرها منصفة بالصفات المرغوب فيها اذا بذلنا العناية في اختيار تاسلها كذلك يمكننا علمياً ان نخرج سلالة من البشر ذات مواهب فائقة بزواج احيائها المتماقية^(٢)

ويقول هومز في كتابه « مشكلة اصلاح النسل » : من الممكن توليد ضروب الناس من بين سلالات البشر الموجودة الآن بالتناسل الانتحائي ، الانثى (ذو ست اصابع) والمفتوح الكف والاشقر والاصلع والادرد^(٣) والاعمى والاعمى والقزم ذي الرأس الضخم وأتواع درجات التكامل من الابله الى البقري^(٤) ويقول ليونارد دارون الشهير في كتابه « ماهو اصلاح النسل » : حينما يعزم امرؤ على الزواج بهم بمقدار الميراث المالي ولكنه قلما يلتفت للميراث الجسدي والعقلي^(٥) هذه لمحة قصيرة عن تضارب الآراء في هذا الموضوع الحيوي وستتبع خطة معتدلة في يميز عجزه ويحججه معتمدين على أقوال القادة المتدلين . ان خير تعريف حديث لهذا العلم هو تعريف الطبيب الهولاندي الشهير فان ده فلد Van de Velde في كتابه العلم والحسب في الزواج : ان المثل الأعلى في تاسل البشر هو إيجاد سكن متناسين مع موارد الطبيعة والثقافة تزداد في كل جيل قابليتهم ومواهبهم الطبيعية وتقص عيوبهم وعظيهم^(٦) وقد جمع هذا التعريف على اختصاره فأوعى فناية تحسين النسل تشجيع الصفات الحيدة ونبتذ السقيمة وما لا شك فيه ان كل أمة تمنى ان يكثر فيها عدد النبناء والمخترعين والاقوياء والاذكياء وتقص فيها المجرمون والبله والضغفاء

11. S. Jennings : The Biological Basis of Human Nature 1930, p. 130 (١)

Hereditary Genius p. 1 (٢)

(٣) الرد — وهو ان تقطع الاستان كلها وقد مرد حرداً فهو اردود والاثني مردوله (ابن سيده)

The Eugenic Predicament (Holmes) 1933 p. 10 (٤)

What is Eugenics 2. by Leonard Darwin p. 1 (٥)

Sterility and Fertility in Marriage : Van de Velde 1431 p. 49 (٦)

واضرابهم . وما لاريب فيه أن الانسان كسائر المخلوقات الحية تابع لسنة التطور . ويؤكد العلماء بناء على ما استتجوه من المتحجرات أن الانسان الحالي يختلف عن الانسان الاول . ولا يستطيع أحد أن يجزم بمدى تقدم الانسان . ويرجعون أن قدمه لا يقل عن التعف مليون سنة وقد اقرضت أكثر أنواع الانسان ولم يبق إلا النوع الحالي أي الانسان العاقل (Homo Sapiens) الذي لا يقل تاريخه عن خمسين ألف سنة . وقد مرت به أطوار عديدة كان في خلالها عرصة للطبيعة تتصرف به كما تصرف بغيره من الحيوان . ولما ارتقى دماغه اخذ يخضع المحيط فاستطاع التغلب على كثير من الامراض واكتشف سبلاً للعيش والوقاية من الحر والبرد وغير ذلك من مستنبطات الانسان التي استطاع بواسطتها ان يتغلب على كثير من العوامل المحيطة به ولا يزال جاداً في هذا السبيل يعمل لما فيه خيره وسعادته

يؤكد العلماء أن مواهب البشر الوراثية لم تتغير وإن التغير الذي حصل اقتصر على محيط الانسان ولكن صفاته الاحائية (البيولوجية) لم تتطور ولا تزال على ما كانت عليه منذ الوف السنين . وليس من مقتضيات المدنية تقدم الناحية الاحائية . وسيان لدى الطبيعة إن كنا حشرات أو أرقى طبقات البشر فالذي يهبها تخليد الحياة وليس نوع الحياة التي نحبها . فالتطور يؤول الى التقدم أو التأخر أو ينهما^(١) فينشأ جيل من الناس مواهبهم الوراثية ارق من الجيل الحاضر بالقياس الى عصرهم . فقد ذكر غالتون في كتابه البوغ الوراثي ان اقدم سلالة في التاريخ هي سلالة اليونان الاقدمين اذ لم يسبقهم احد فيما اخرجوه من الآثار التي تحتاج الى مواهب عقلية ممتازة ولان السكان الذين تحدر منهم هؤلاء التوابغ كانوا قليلي العدد فسكان اتينا (Attica) اقدر ارداف السلالات اليونانية فقد نشأ فيها خلال قرن اي بين ٤٣٠ و ٥٣٠ ق.م صدفة دون قصد كوكبة من المتازين بمواهبهم العقلية يبلغ عددهم اربعة عشر مشهوراً اي واحد لكل ٤٣٠٠ من السكان الاحرار البالغين . وفي القرنين ما بين ٣٠٠ — ٥٠٠ ق.م أخرجت هذه البلاد القاحلة التي لا تبلغ مساحتها مساحة جزيرة رودس اليوم وسكانها اقل من الخمس ما يقرب من ال ٢٥ مشهوراً من الاحرار الخالص منهم :

ثيمستوكليس وميلتياديس وارستيديس وبركليز من الساسة والقواد . وسقراط وافلاطون وارسطوطاليس من الفلاسفة . واسكليس ويوريبيدس وسوفوكليس وارستوقليس من الشعراء . واكتيس وفيدياس وبراكسياتيليس من الناثين والمتالين . وتوسيديديس وكريستون من المؤرخين . وديموستينيس وايسوقراطيس من الخطباء^(٢) (البقية في باب الاخبار العلمية)

Holmes. The Eugenic Predicament p. 4-5 (١)

Heredity and Environment 1930 (Conklin) p. 299 Hereditary Genius p. 329 (٢)

بيت الشاعر

في منطقة البحيرات بإنجلترا وفي قرية « جراسمير » الجبلية بيت الشاعر « وردسورث » المشهور باسم « كوخ الحمامة » وقد زاره الشاعر من ستين وقال فيه هذه الايات : —

يا بيت « وردسورث » لا أقترت منك النى . ولا عدك السلام !
 فبك حل الشمر أصفاده . وانطلق الطير وغنى الحمام !
 يا شاعر الدنيا ^(١) وما قد حوت هدايت . والدنيا كمهدي بها
 والتاس : حي سائر للبلبل تلك البحيرات وشطآنها
 مشوة في الارض جباها مشوة في الارض جباها
 للشمر فيها نشوة حلوة وللطيمن فيها هيام . . .
 توجي الى الفتن من قها وتلهم النغم معنى النرام
 الحبل الرابض في أرضها مستشرق الفدوة مالي السنام
 يجلب التلج به قرة كأنه شيخ جليل القام !
 والكلا الخضل في صدره كأنه صدر علاه الوسام !
 والشجر الملتف من حوله يلوح في الوادي كبض ^(٢) الخيام !
 لله تلك الارض من جنة يحلو بها العيش ويصفو المقام
 قد فتن الشاعر في حسنها وجل ^(٣) ما بين رايها وهام
 هذا جمال الله ما صاغه فن الوري أوزخرفته الانام
 يا بيت « وردسورث » هل وقفة تبل من قمي الصدى والامام ؟
 وهل يبد البحر جولانا بين روابك وبين الامام ؟
 وهل « جراسمير » كمهدي بها العيش فيها نية وانقام ؟
 ظننت بالامس عيانتا تدوم . . لو كان لشيء دوام . .

(١) كان وردسورث وكولريج وسدي أشهر شعراء الطبيعة عند الانجليز (٢) في شمال إنجلترا نوع من الشجر على شكل القمع وما أشبه بالخيام المرفوعة في الصحراء (٣) كانه لوردسورث جولات كثيرة في ارض البحيرات وله كتاب اسمه (جولة المساء)

الشاعر وردزورث
في شيخوخته



كوخ الحمامة — بيت الشاعر وردزورث
(تصوير محمد عبد الفتحي حسن)

قصادم عبقریتین

الصراع بین ابی جعفر المنصور

وَأبی مسلم الخراسانی

لعلی ارهم

یقف مدونو التاريخ الاسلامي وقفات طويلة حبال الخلاف المشهور الذي ثار بین ابی مسلم الخراسانی وأبی جعفر المنصور وأسفر عن قتل ابی مسلم ، ويکتزون من تفصيل حوادثه واستقصاء اسبابه وسرد مختلف الروایات التي تدور حوله وتصل به . وعذرم في ذلك واضح مقبول . فقد كان الرجلان من الشخصيات النابهة المنیفة التي ارتبطت بتاريخها حوادث عصرها اشد ارتباطا . وأبو جعفر هو رجل الباسيين الذي ثبتت لهم الخلافة وأرسى قواعد الملك وكان واحد عصره في قوة الشکيمة ومضاء العزيمة وفاذا النظر وإحكام التدبير . وأبو مسلم نادرة من نوادر التاريخ وتاج غريب لاحتماك الاسلام بالحضارة الفارسية ، وقد انحدر على الاغلب من صلب بزرجهر بن البصکان وزير کسرى انوشروان فهو من اصل فارسي شريف تلهب فيه الروح الفارسية تحت غلالة الاسلام ، وتلمح في تصرفاته سطوة الارستقراطية وقسوتها ودهاؤها وثمائل الملك وعزة السلطان ، وقد استطاع بصادق حماسه وبراع قيادته وقائق تدبيراته ان يغير مجرى التاريخ الاسلامي ويضرب ملك بني مروان الضربة القاضية ويرفع على اقتاضيه يمت بني الباس ، وقد تمکن من انجاز ذلك قبل ان تبلغ سنه الخامسة والثلاثين

وقد كان في بني الباس طموح ودهاء وحرص على طيات الدنيا وتزوع الى السلطة وخبرة جيدة بالذواضع الانسانية . وقد احسنوا تدبير الخطوة واختيار الارض الغدراء الصالحة لاستنابات بذورها وعرفوا القرصة المناسبة لظهورهم والجرم بدعوتهم . ولم تكن فيهم تلك النزعة الصوفية المشوبة بالزهد والعجز في الحياة العملية التي تميز بها العلويون وجرت عليهم الاخفاق في كل محاولة وصيرت تاريخهم سلسلة من المآسي المفجعة تستوجب الاسف وتستدر الدموع وجعلت الرجال العمليين یقعدون عن نصرتهم لانهم لم يجدوا عندهم ايلة الملك ولا صيانة المال ولا مکيدة

الحرب كما قال احد هؤلاء الرجال وهو الاحنف بن قيس . ولكن كان ينقص بني العباس القائد الحربي الموهوب المتدرب على وضع الخطط وتدير المارك وتطعيم القيادة ، وقد اصابوه في ابي مسلم . فلولا براعته الحرية واساليه السجية لافلتت منهم الفرسة ولما امكنهم ان يبتزوا ملك الامويين وعلى رأسهم خليفة من اقدر رجالهم مثل مروان بن محمد الذي لم تنض الهزيمة من مزايه الحرية ولم يستنخ التاريخ ان ينكر عليه همه العالية ومواهبه المستازة

والذي يتدبر اخلاق هذين الرجلين يعرف انهما شخصيتان قدر لهما ان يتصادما . فكلاهما اتاني الى اقصى حدود الانانية لا يطبق ان يرى الى جانبه منافساً في قوده او قسباً له في ملكه ، وكلاهما ميكافلي من فرعه الى اخره لا يعرف معنى للمواظف الثبيلة او المبادئ السامية اذا وقعت حجر عثرة في سبيل اغراضه ، فأبو مسلم لم يتورع عن الاسراف في القتل على الشبهة والتدبر بأصدقائه وأعدائيه على السواء ، والمنصور اول من قتل في الاسلام على الملك عمه وابن اخيه وأظهر قسوة بالغة في معاملته لابناء عمه العلويين

وقد كان أبو جعفر متبحراً في دراسة الفقه الاسلامي ، وكان لهذه الدراسة تأثير كبير في تكيف عقله وصقل تفكيره ، وقد مكنته من ان يدرك في سهولة أوجه الشبه بين الاشياء دون ان تلبب منه اختلافاتها الدقيقة ، وشحذت رغبته في البحث والتقصي والصبر على الشك والترتب في التفكير والاستعداد للمراجعة ، وقد كانت حاسة النظام والترتيب في قلبه أقوى من حاسة ادراك الجمال ، ولم يكن بطبيعته شديد الميل الى النساء وانهالك على اللذات او غالياً في التألق ، ولم يكن شديد الولوع بالشعر فان أعجب بشيء منه قائماً بحسب الجانب التعليمي فيه وبما قد يحسنه من مأثور الحكم وناضج التجارب وما يمكنه ان يستخرج منه درساً سياسياً او قاعدة عملية . وكما زادت دراسة الفقه استقامة في التفكير واثابة في اصدار الاحكام فكذلك طول صحبته للعلماء زادهُ بدءاً عن الاسراف في الترف والافتناس في اللهو

وكانت نشأة أبي مسلم سياسية عملية خالصة ، وقد جمع بين براعة السيامي ومهارة القائد ، وكان ينظر الى ابي جعفر نظرة متأثرة بذلك الازدراء الحفي الذي يضره رجال العمل وأبطال المبادئ للعلماء ، وهذا الاحتقار المستور كثيراً ما يسمي أبعد الناس نظراً وأصدقهم فراسةً عن مشاهدة مزاي التبر وتقدير المواهب . وانك لم تفسر لابي مسلم تقدير ابي جعفر تقديراً دقيقاً ولم يستطع وهو في ربهان قوده وعنفوان انتصاره ان يدرك ان هذا الرجل هو نابغة قومه وباقية عصره ، ورجل العمل والكفاح في حاجة ماسة الى ان يكون مله من طراز أرسطو معلم الاسكندر ليوقر العلماء . ولم يلق أبو مسلم بالله الى تأثير الحوادث في التصور وكيف أقاد تجربة وحكمة . ولقد طش أبو جعفر في الظل والحناء وطاش في الضوء الساطع وعلته الاقامة

في ذلك المذني البعيد عن الحضارة تلك القرية النائية المشرقة على الصحراء المسماة الحيمة ان يطيل التفكير ويحيد وزن الامور . واذا كان الانبياء المرسلون يخرجون الى العالم من اعماق الوحدة والزاوي المهجورة فلا مانع من ان تكون تلك القرية الموحشة مدونة للسياسيين الملمهين والسياسة ضرب من الفلسفة العملية تشترك فيه التجربة والتفكير والبداة ، ومن نظر الى الحياة من اطالها واعماقها وذاق حلوها ومرها لا يزدحم له اقسامات الملحق ولا تطير به الوشايات والغمائم لانه تعود مراجعة النفس وألق الحذر

وأول ما وقع في نفس ابي جعفر من ابي مسلم وكان له تأثير في مستقبل العلاقات بينهما هو ما كان من رسول ابي مسلم لما قدم على ابي العباس السفاح عند بدأ ظهوره واستعلان امره فقد دخل عليه الرسول لتبليغ التحية وتقديم التهئة ، وكاتب أبو العباس جالساً مع ابي جعفر وجماعة من وجوه بني العباس ، فسأل الرسول « أياكم ابن الحارثية » ؟ وكانت أم المنصور جارية بربرية اسمها سلامة . وكان اخوه ابو العباس اصغر منه سناً ولكن ابراهيم الامام اوصى له بالخلافة وآثره بالاسبقية لان امه عريضة حرة ، ولا نزاع في ان هذا التفضيل المقصود كان يحز في نفس ابي جعفر الذي كان يعرف قيمة نفسه ويرى انه أحق بالخلافة واقد رعى التهور بواجبها من اخيه الذين المستضعف . وقد نكأت كلمة رسول ابي مسلم هذه الفرحة في نفس ابي جعفر ، وهي في تقديره اهانة لا يتفكرها رجل مثله شديد الحقد الداء

اوقده بعد ذلك السفاح الى خراسان ، وكان السبب الظاهر لتلك هو اخذ البيعة من ابي مسلم للسفاح ولابي جعفر من بعده ، وكان السبب الباطن هو الرغبة في اختبار احوال ابي مسلم وسبر غوره لان خيانة ابي سلمة الخلال ومحاوثة قتل الخلافة الى السلوين عقب عجي الاخبار ب وفاة ابراهيم الامام اثار شكوك الباسيين وجمتهم يستريون رجال دعوتهم ويحرصون على الاستيثاق من اخلاصهم وكان لهذه الرحلة تأثير كبير في نفس ابي جعفر فقد رأى بينه قوة قود ابي مسلم ولس عن قرب سعة سلطانه ومدى سطوته وتعلق اصحابه به وقهنيهم في طاعته . ويظهر ان ابا مسلم لم يوفه حقه من الرماية واستحقاق به بعض الاستحقاق ، واهتق اتمام وجود ابي جعفر هناك ان ابا مسلم اشتبه في سليمان بن كثير كبير قباء خراسان قدامه اليه وقتله دون ان يستشير في ذلك ابا جعفر او يرجع الى رأي الخليفة . فلما عاد ابو جعفر افضى الى اخيه بمخاوفه من استفحال قود ابي مسلم وزيّن له الخلاص منه ، ولكن ابا العباس كاتب يستظم الاقدام على ذلك ويمخض عواقبه فلم يعمل برأيه وارسله الى واسط ليتولى تضييق الحصار على ابن هيرة ، وابل ابو جعفر في هذه المهمة بلا حسناً حتى اضطر ابن هيرة الى طلب الامان ، وجرت السفراء بينهما وجعل له ابو جعفر اماناً وكتب به كتاباً مكث ابن هيرة

يشاور فيه العلماء ودحا من الزمن حتى رضىه وإطمان إليه ، ثم أقذعه الى أبي جعفر فأقذعه الى أبي العباس فأمره بامضائه . وكان من رأي أبي جعفر الوفاء له بما أعطاه ولكن أبا العباس استشار أبا مسلم وكانت فرصة لتوهين رأي أبي جعفر فاشار على السفاح بقتله لان الطريق السهل اذا التقيت فيه الحجابة فسد ولا يصلح طريق فيه مثل ابن هيرة . وعارض أبو جعفر في ذلك معارضة شديدة فألح عليه أبو العباس حتى اضطر الى تنفيذ أمره واستطاع أبو مسلم في هذه المعركة ان يتغلب على أبي جعفر ويبرزه ملوثاً بدم النذر موصوماً بنقض ميثم اليهود ووجه أبو العباس أبا جعفر عقب ذلك والياً على الجزيرة ، وكانت بينه وبين أهلها وقعات وحروب شديدة ، ثم صالحوه واستقام أهل الجزيرة وحدثت هدنة اضطرابية بين الرجلين انصرف خلالها كل منهما الى معالجة شؤون ولايته وإخاد الفتن ورتق الفتوق ، وبعد انقضاء أربعة أعوام عاد الخلاف بينهما على أشده وذلك لان أبا مسلم كتب الى أبي العباس يستأذنه في القدوم عليه للحج ، وكان ما يري إليه من وراء ذلك هو ان ينظر يشرف ولاية الحج توطيداً لمركزه وتوسيعاً لنفوذه ، وأدرك أبو العباس قصده ورأى في ذلك ما يزيد علواً وتمكيناً ، وبعد أعمال الفكر للعبولة دون ذلك كتب الى أبي جعفر يستعنه على ان يستأذنه في الحج حتى لا يطمع أبو مسلم في تقدمه عليه ، ورحب أبو جعفر بهذه الفرصة التي عنت له لمراعاة خصه فلي الطالب وكتب الرسالة ، ولما علم أبو مسلم بذلك اضطنعا على أبي جعفر

وقدم أبو مسلم الانبار فأمر أبو العباس ان يتلقاه القواد واعيان الدولة وبارئ الناس ، وأعظمه وأكرمه ، وقدم أبو جعفر من الجزيرة ، واهلق اثناء وجودهما بالانبار ، ان دخل أبو مسلم على السفاح وأبو جعفر حاضر فسلم على السفاح ولم يسلم عليه فاستعزى أبو العباس التفاته الى أبي جعفر فقال أبو مسلم « اني قد رأيته ولكن هذا مقام لا يقضى فيه حق غيرك » وهو مختص لبق اكتفى به أبو العباس الذي كان لا يرى كبير بأس في بقاء ما بين هذين الفحلين متباعداً ، وعاد أبو جعفر يلح على أخيه في ضرورة القضاء على أبي مسلم وأغراء بغتياله ولكن أبا العباس كان لا يزال يتخوف الاقدام على ذلك

وسارا بعد ذلك في طريقهما الى الحج ، وكانت مباراة محبذة ومناصفة مكشوفة استطاع أبو مسلم ان يكون فيها أمد صوتاً وأخلب مظهرأ من أبي جعفر ، فقد نجرى استصلاح الطريق وحفر الآبار وكسو الاعراب وأغدى عليهم النطايا وتهدم بالطعام ولم يكن أبو جعفر بطبعته ميالاً الى الجود واجتذاب القلوب وكان يؤثر على الدوام ان يكون غشي الجانب مرهوب السطوة . ولما صدرا من الحج رامت اليهما الانباء بوقاة الخليفة أبي العباس فعدا أبو جعفر الناس الى البيعة ، وبأمره أبو مسلم بعد تلاكؤ يسير ، وأظهر أبو جعفر لابي مسلم تخوفه من شهره عليه عبد الله

ابن علي وشيخته . ولما اخذ عمه البيعة لنفسه اشار ابو جعفر على ابي مسلم بالتوجه الى قتاله لان طامة جنده ومن معه من خراسان . وكان ابو مسلم يحاول جهده الاسراع في العودة الى خراسان ويؤثر ان يخفي ما بين ابي جعفر وعمه عبد الله ، وكانت الحجة التي أبدأها للنصور هي ان امر عبد الله قليل الخطر وان أمر خراسان أعظم شأنًا وأحول خطراً مما يستدعي بقائه هناك ، ولكن أبا جعفر ألح عليه وأغرى بعض رجاله بتحويله عن رأيه حتى قبل أخيراً التوجه لاختاد حركة عبد الله ، وقد استلزم القضاء عليها مجهود ستة أشهر انتصرت في نهايتها حركات ابي مسلم الموقف القوية على حركات عبد الله الضعيفة ، وفي خلال هذه المدة أتم ابو جعفر تدوير الخطة للقضاء على ابي مسلم . ولم يكن ابو جعفر يجهل حاجته الى قائد عظيم ووزير قدير مثل ابي مسلم والدولة في طالمة امرها والمتربصون بها كثيرون والطامعون فيها لا يخلون من قوة وبأس ، وكان يعرف ان ابا مسلم هو مدبر المؤامرات الناجحة ورأس الخطط المثمرة ولكنه وازن بعقله الحسب بين الضرر واللطفة ولما قطع بالرأي لم يتردد في تقيده لان الرجل كان لا يعرف الموادة ولا تغلبه العاطفة في مواقف الخطورة ومواطن الجِد . وقد كان ابو مسلم كلما سما مقامه وطفى نفوذه اصبح خطراً كبيراً على قوود الخليفة ، فليس هو الآن متقدّمه ورائع دعاته ملكه والحاجز المنع ضد الثورات ، وانما هو مناظر مخوف الجانب يستطيع ان يضد عليه امره ويسلبه ملكه . وكان المنصور قد حكم منذ زمن على ابي مسلم بالاعدام بينه وبين نفسه وهو حكم اتجه التفكير الهاديء والنطق الذي لا يلين ولا يرحم وزادته الايام ايماناً بصحة ذلك الحكم وضرورته

وكان ابو مسلم خلال اداء تلك المهمة التي اناطها به المنصور — وقبلها مضطراً كارهأ — نافقاً على المنصور ، ولم يستطع ان يقمع استخفافه به وموجدته عليه ، فكان يأتيه منه الكتاب فيقرأه ، ثم يلوي شدقه ويرمي بالكتاب الى صديقه الحميم ابي نصر (مالك بن المهيم) فيقرأه ويضحك استهزاء . وقد ساء ذلك القائد البارع الحسن بن قحطية فارسل الى ابي ايوب المورياتي وزير المنصور رسالة شغوية خاصة ضمنها اذتيابه بابي مسلم

وكان للمنصور يحاول الآن — وقد اتوى ازاخه ابي مسلم من طريقه ألا يدو قتله في صورة الغدر الاتهم والحيانة الصارخة ، والوسيلة الوحيدة لذلك هي ان يستفز اجاءه ويشير غضبه حتى يخرج عن طوقه ، ويجد المنصور اذ ذلك مسوعاً لقتله امام اتباعه . فلما انهزم عبد الله بن علي وكتب ابو مسلم الى المنصور بذلك ارسل المنصور رسولا من قبله لاحياء الفئام وتحصيل الاموال ، وكان يعلم ما في ذلك من الاساءة الى ابي مسلم الذي تمود الاستمتاع بالسلطة المطلقة بلا رقيب ولا حسيب . فلما قدم عليه الرسول وعلم بمهمته لم يستطع ان يكظم غضبه

وبسط لسانه في أبي جعفر وهم يقتل الرسول لولا تدخل اصحابه . فقاد الرسول الى ابي جعفر وأخبره بذلك . وكان المنصور يحاول جهده ان يحول يمينه . وبين خراسان فأرسل اليه رسولا آخر معه كتاب يخبره فيه بأنه قد ولاء مصر والشام وأنها احسن له من خراسان وان يوجه الى مصر من يشاء من قبله . ويقم هو بالشام ليكون قريباً من الخليفة . فلما جاءه هذا الكتاب عرف غرض ابي جعفر وغضب واعزم المضي الى خراسان وأقبل من الجزيرة مجماً على الخلاف . والواقع ان ابا مسلم كان قد تمسك بالسلطة وأن يقطع برأيه ويتصرف بحسب هواه وان يأمر بقطع ويستشار ويستصح فيعمل بمشورته ويؤخذ بنصيحته ، ولم يكن يستطيع الآن ان يصانع ويخلق ويخطب الود ويلتمس الرضى وغير غريب ان يتحدى ويقاضب . ومن الصعب على الانسان ان يصل الى ذروة السلطة المطلقة والسيطرة الكاملة على الناس ثم يتنازل عن ذلك كله في يسر وسهولة وعند اول اشارة ، وقد تحول الامر بأبي مسلم من عدم الاكثارات لأبي جعفر الى التنازل والاصرار ومن التنازل والاصرار الى التحدي والظاهر والخائفة الصريحة وقد زاده الانتصار الاخير اعزازاً برأيه وادلالاً بمكانته وشدة شعور بشخصيته ، وكان المنصور من ناحية اخرى يريد النظام وأبى الفوضى في أمة صوره من الصور ومثل هذا الرجل لا يطيق ان يرى منظر أله في سلطانة ولا يسمح ان يعيش في ظل ملكه الوديع بغاراً واحداً هادئ البال مصون السماء

وخرج ابو جعفر من الانبار الى المدائن وكتب الى ابي مسلم في المصير اليه . فكتب اليه ابو مسلم وقد نزل الزاب وهو على الرواح الى طريق طوان « انه لم يبق لامي المؤمنين اكرمة الله عدو الا أمكنه الله منه » وقد كنا نروي عن ملوك آل ساسان ان أخوف ما يكون الوزراء اذا سكنت الدهماء ، فحقن نافرون من قربك حريصون على الوقاء بهدك ما وفيت ، حريون بالسمع والطاعة غير أنها من بيد حيث تقارنها السلامة ، فان ارضاك ذلك فأنا كاحسن عبيدك وان أويت الا أن تعطي قسك ارادتها قضت ما أبرمت من عهدك ضماً بنفسي »

ولما وصل هذا الكتاب الى ابي جعفر كتب الى ابي مسلم « لقد فهمت كتابك وليست صفك صفة اولئك الوزراء النعشة ملوكهم الذين يشنون اضطراب جبل الدولة لكثرة جرائمهم قائما راحتهم في انتشار نظام الجماعة فلم سميت قسك بهم وانت في طاعتك ومناصحتك واضطلاعت بما حملت من أعباء هذا الامر على ما انت به ؟ وليس مع الشريعة التي اوجبت منك سماع ولا طاعة واسأل الله ان يحول بين الشيطان وزغاته ويضعك قائم لم يجد باباً يفسد به يمتك أو يفسد عنده وأقرب من طيبن الباب الذي قصه عليك » واختار ابو جعفر من رجاله ابا حميد المروزي ليحمل الكتاب الى ابي مسلم ورسم له الخطة التي يسلكها بعد تقديم الكتاب وهي ان يبدأ فيكلم

أبا مسلم بألن كلام وبلوح له بالعود وبنيه الاماني ويستفرغ في ذلك جهده ويحذره طاقبة البغي فان أصر على الخالفة وصرح بالصبيان ويؤس منه يبلغه هذه الرسالة الشفوية وهي ان امير المؤمنين يقول له « لست للباس وانا بريء من محمد ان مضيت مشاقاً ولم تأتني ان وكلت امرك الى احد سواي وان لم آل طلبك وقاتلك بنفسي ولو خضت البحر لحضته ولو اقتععت النار لاحتجتها حتى اقلتك او اموت قبل ذلك » واوصى المتصور من حضره من بني هاشم بان يكتبوا الى أبي مسلم يعظمون امره ويشكرون ما كان منه ويحذرونه طاقبة القدر ويأمرونه بالرجوع الى امير المؤمنين وان يتسبى رضا



وسار ابو حميد في جماعة من اصحابه ممن يثق بهم حتى قدموا على ابي مسلم بمحلولان ، فدخل ابو حميد ومعه اصحابه ودفع الكتاب الى ابي مسلم ، وقال له ان الناس يلعنونه عن امير المؤمنين ما لم يقله وخلاف ما عليه رآه فيه حسداً ونبأاً يريدون ازالة التهمة وتغييرها ونصح له ان لا يفسد ما كان منه ، ففكر هذا الكلام على ابي مسلم لان اذنه لم تعود سماع النصائح فالتفت الى ابي حميد وقال له في كبرياء واقفة « متى كنت تكلمني بمثل هذا الكلام » فقال له أبو حميد « لقد دعوتنا الى طاعتهم أفتريد حين بلشنا منتهى أملاً ان تفسد أمرنا وقرق كلمتنا ، وقد قلت لنا من خالفكم فاقتلوه وان خالفتمكم فاقتلوني »

وكان الى جانب أبي مسلم صديقه الحميم مالك بن الحيثم ، فأقبل عليه وقال « أما تسمع ما يقول هذا ! ما هذا بكلامه يا مالك »

فقال له مالك « لا تسمع كلامه ولا يهولك هذا منه ولمعري لقد صدقت ما هذا كلامه ، ولما بد هذا أشد منه فامض لامرك ولا ترجع فوالله لئن أتيتك ليقطعتك وقد وقع في نفسه منك شيء لا يأمنك أبداً »

وأراد ابو مسلم ان يخلو بنفسه فصرف القوم وأخذ يفكر ويقلب الامر على وجوهه ، ولما أتمبه التفكير استدعى نيزك وكان موضع ثقته وكلام سره . فلما أقبل نحوه نيزك التفت اليه ابو مسلم وهو يحاول ان يخفي اضطراب خواطره ويظهر بقاء الاهتمام وقال له « يا نيزك اني والله ما رأيت طويلاً أعقل منك فما ترى ؟ فقد جاءت هذه الكتب وقد قال القوم ما قالوا » فقال له نيزك « لا أرى ان تأنيب وأرى ان تأتي الري فتقيم بها فيصير ما بين خراسان والري لك وهم جندك ما يخالفك احد ، فان استقام لك استقيمت له وان أبي كنت في جندك وكانت خراسان من ورائك ورأيت رأيك » وإلمان أبو مسلم الى هذا الرأي وعول على الاخذ به

ودعا أبا حميد وقال له « ارجع الى صاحبك فليس من رأيي ان آتية »
 فقال له أبو حميد « او قد عزمت على خلافه ؟ فقال له أبو مسلم « نعم »
 فقال له أبو حميد « لا تقل » فقال ابو مسلم وقد بدت على وجهه علامات الاصرار
 « ما أريد ان القاء »



وهنا لم يجد ابو حميد بداً من ان يلغنه رسالة ابي جعفر الشفوية . فلما سمعها ابو مسلم وجم
 طويلاً ، وأخذت تتكشف له طيبة الرجل الذي يريد مخالفته وكانما رفع عن بصره الغطاء
 في تلك اللحظة وأدرك انه أفرط في تحدي أميره ، وكان ابو مسلم يعلم جيد العلم ان سلطان
 ابي جعفر قائم على دعامتين قويتين ليس من السهل هدمهما وهما قوة الدين وشرف النسب . وقد
 حاول ابو مسلم من قبل ان يتزعج جانباً من هذا الشرف ويخلصه على نفسه وذلك بادعائه مرة
 انه من ولد سليط الذي كان ينسب الامويون الى عبد الله بن العباس وبمحاولته مرة أخرى ان
 يحطب الى المنصور عمته أمينة بنت علي . وراعه هذا التهديد للكشوف الذي يشف عن صدق
 الفزعة والاستهانة بالخطر ، وكان ابو جعفر عند ما حاول استغزاز ابي مسلم قد احتاط للامر
 وأخذ يحرك المتافسة والحسد في قلوب مناظري ابي مسلم وحاسديه ، فكتب الى ابي داود
 خليفة ابي مسلم على خراسان بولي امر خراسان ما بقي ، فكتب ابو داود الى ابي مسلم
 من رسالة انا لم نخرج لمعية خلفاء الله واهل بيت نبيه صلعم ، فلا تخالفن امامك
 ولا ترجعن الا بأذنه وواقاه الكتاب وهو في تلك الحال من ثبليل الفكر وتضعف العزم فزاده
 حملاً ورجماً ، وهنا ارتبكت اعصاب الرجل ونحلت عزيمته فاستدعى رسول ابي جعفر وصديقه
 جليلكاً وقال لها « اني قد كنت معزماً للمضي الى خراسان ثم رأيت ان اوجه ابا اسحق الى امير
 المؤمنين فيأتيني برأيه فانه ممن اتق به » ولما قدم رسوله الى المنصور تلقاه بنو هاشم بكل ما يجب
 وقال له ابو جعفر اصرفه عن وجهه ولك ولاية خراسان وأجازه فرجع ابو اسحق الى ابي
 مسلم وقال له انه لم يجد من القوم ما يكره وأنهم معظومون لحقه وأشار عليه ان يرجع الى امير
 المؤمنين فيستد الى ما كان . وكان ابو جعفر قد نجح في ان يهز ثقة الرجل بنفسه وان يبطال
 قوة رأيه القاطع فأجمع على العودة الى الخليفة لانه لم يجد بداً من ذلك وحاول نترك ان يثنيه عن
 الرجوع ولكن ابا مسلم كان يشعر بقوة القاهرة تحيره على الشعب ، ولما اطال عليه تركه مثل
 ابو مسلم قائلاً

ما للرجال مع القضاء عالة ذهب القضاء بحجة الأقوام

فقال له نيزك وقد عجز عن اقتاعه « أما وقد عزمت على هذا فأحفظ عني واحدة ، إذا دخلت عليه فأقتله ثم بايع لمن شئت فإن الناس لا يخالفونك » وكتب أبو مسلم إلى أبي جعفر يخبره أنه منصرف إليه ، ولما طوى أكثر الطريق تلقاه رجل من قواده وحذره ونصح له بالعودة فاشتدت به المخاوف وكثرت هواجسه وخايلته فكرة العودة فردد وتلبث ولكن الشبكة المحكمة لم تمكنه من الإفلات واحس بشدة وطأها وعجزه عن التوجه فاستسلم للقضاء ، وكان المنصور الذي لا تقدر حيلة بدس عليه رجالاً ليلغوه ما بقي عنه الوساوس ويوحى إليه الطمأنينة ، ولما شارب المدائن أمر المنصور الناس فتلقوه واحتق بمقدمه القواد والرؤساء وأعيان الباسيين ، ولما دخل المدائن كان النهار قد أدير وأرخى الليل سدوله وجلس أبو جعفر ينتظر قدومه وقد حقه صمت عميق ووقار رهيب ، ودخل أبو مسلم على المنصور وسلم والتقى الرجلان وجهاً لوجه على ضوء الشموع ، وكان أحدهما وهو المنصور اسمعيل القون رقيق السمرة طويلًا نحيفًا خفيف العارضين عليه أبهة الملك وجلال النسك ، وكان الآخر — وهو أبو مسلم — قصيرًا اسمعيل أحمر العين عريض الحبهة وأفر الوجهة سالم الوجه شارد الفكر يحاول جهده أن يتماسك ويتجملد ، ولم يصب عن عين المنصور ما يمانيه أبو مسلم من الاضطراب الحفي فتلطف معه وترفق به واحتق بمقدمه وتهللت في وجهه المهيب الدائم الميوس تلك الابتسامات التي يتخذها الساسة قناعاً يسترون به مبهم التباين وخفي الأغراض . ولم يطل قيام أبي مسلم فقد أذن له الخليفة بالأصراف ليتفص عنه غبار السفر ويرتاح من وعثائه ، وقد حاول كل منهما خلال تلك اللحظات النصار التي قضياها معاً أن يتلذذ بمنظراته الحادة إلى سريرة صاحبه ، وخرج أبو مسلم وقد ذهب به الفكر كل مذهب ، ولعله لم يشعر تلك الليلة بما حفلت به المدائن من اصوات البشائر وبما أقيم لقواده ورجال حاشيته من الحفلات والولائم ، وأوى إلى فراشه مبكراً ، ولمستطع أن تصور أبا مسلم في تلك الليلة متسللاً فوق فراشه لا يقر له قرار ولا يهدأ له بال ، ولم تستطع مظاهر الحفاوة والتكريم التي فوبل بها أن تبديد مخاوفه وتقي عنه الأفكار السوداء وأخذت كلمات التحذير التي قالها له صديقه أبو نصر وصاحبه نيزك تدوي في أذنيه دويًا متصلًا وترن رنينًا عجزت أن تلهه أخذ يعجب من نفسه وكيف جاء إلى المدائن وسمى إلى حفته وكيف خذلته شجاعته والتوى عليه الرأي وهو الجندي الباسل والباسي الخطير ، وكان يشعر بزلته وأنه وحيد في عالم غريب وإن الخطر الذي يهدد حياته قد صار على كسب منه ، ولما مضى الهزيع الأول من الليل هدأت الحركة في المدائن وهدمت الاصوات ، وران الكرى على الجفون ولكن بقي رجلان ساهرين أحدهما أبو مسلم القتي كان يفكر في مصيره وما تحبته

لهُ الاقدار ويخشى ان يندر الخليفة بأقدر رجاله وأعقل وزرائه ، والآخرون التصور وقد اخذ
يولم نفسه لأنه لم يهتبل الفرصة ويقتل ابامسلم عندما ملا عبده منه ويربح نفسه ويشفي غله
وضار يستطيل الليل ويرقب تابشير الصباح في قلق وحذر



ولما اقبل الصبح استدعى المنصور اربعة من رجال حرسه الاشداء وعرفهم بالمهمة الموكولة
اليهم فهاهم الامر ولكنهم لم يجترأوا على المخالفة وأوصاهم بالوقوف خلف الرواق وان يبرزوا
اذا ارتفع صوته وصفق يديه ويقتلوا ابامسلم
وأصبح ابو مسلم متعباً حزناً لما عاناه من ارق وتسميد وما ساوره من افكار ومهوم وكانت
بينه وبين عيسى بن موسى ابن اخي المنصور صداقة ومودة فأتى منزله وتناول عنده العشاء وفي
خلال الحديث افشد عيسى

سيأتيك ما افنى القرون التي مضت وما حل في اكناف طاد وجرم
ومن كان انأى منك عزاً ومفخراً وانهد بالحيش الهمام الرمرم

فالتفت اليه ابو مسلم وقد استمع وجهه وقال له « هذا مع الامان الذي اعطيت » فقال له
عيسى اعتق ما امك ان كان هذا لشيء من امرك وما هو الا خاطر أبنائه لساني « فقال ابو
مسلم فبئس الخاطر واقه اذن » وبعد قليل واقاه رسول الخليفة يدعوه الى الحضور فقال لعيسى
« لا تسجل بالدخول حتى احضر وادخل معك ، فابطأ عيسى بالوضوء ومضى ابو مسلم فلما هم
بالدخول على الخليفة جرده البواب من سلاحه فدهش لذلك ، ولما مثل بين يدي الخليفة شكاه
اليه ما صنع به فغضب المنصور خاطره واقبل بمد ذلك عليه يمانه ويحصى عليه ذنوبه ويضي على
زلاته وشدد التكبر على سلوكه نحوه وكيف كان يتقدمه في طريق الحج وكيف كان يكتب اليه
فيدأ بنفسه وكيف أقدم على قتل سليمان بن كثير مع ثلاثه في دعوتهم وكان ابو مسلم يرد على
ذلك بكياسته الموهودة ، ولما اكثر عليه المنصور أخذته المرة فقال له « لا يقال لي هذا بمد
بلاني في دولتك وما كان مني » غضب المنصور وقال له « لو كانت امة مكانك لأجرت ناحيتها
انما علمت ما علمت في دولتنا وبريختنا ولو كان ذلك اليك ما قطعت قتيلاً » وسبه بمد ذلك وذكره
كيف تناول الى خطوبة عمته وادعى انه من ولد سليط ، وغلت مرآجل المنصور وافتقت في
نفسه شهوة الانتقام ولاحت في عينه بوارق الغضب والحقد ولواغ الفخر وأدرك ابو مسلم خطورة
الموقف فأخذ يبرك يده ويخبطه ويحاول تهدئة تأثرته ، ويزيد غضب المنصور وصفق يديه فبرزت

الرجال بالسيوف ولم تزد أول ضربة على ان قطعت حمائل سيفه فقال « يا أمير المؤمنين استبقني لمدوك » فقال له المنصور « لا أبقي الله اذن وأي عدو اعدى لي منك » وصاح برجاله « اضرخوا قطع الله ايديكم » ولما توالى على ابي مسلم الطعنات خارت البقية الباقية من شجاعته وانطوى لإياؤه وارتجف من اللوت هذا الرجل الذي اذاق الالوف طعم الموت وجرحهم مرارته وصار يلتمس الغو في ذلة وضراعة حتى عجب للمنصور وقال له « الغو وقد اعتورتك السيوف »

ووقف المنصور امام قريسته كالوحش الضاري ينشد

زعمت ان الدين لا يقضي قاستوف بالكيل أبا مجرم
سقيت كأساً كنت نسي بها امرّ في الخلق من العلقم

ودخل بعد ذلك عيسى بن موسى وسأل عن ابي مسلم فقال له المنصور « ها هو ذاك في البساط فأبدي عيسى اسفه وقبحه وذكر اخلاص ابي مسلم وطاعته فقال له المنصور « خلع الله قلبك وهل كان لك ملك او سلطان او امر اذنهي مع ابي مسلم » وامر المنصور فحملت بقايا ابي مسلم ورمى بها في دجلة وبعث الى عدة من قواده بمجوائز سنية واعطى جميع جنده حتى رضوا ورجع اصحابه وهم يقولون لقد بسا مولانا بالدرهم

ومرّت على هذه الحادثة اعوام وبينما كان المنصور ذات ليلة يسمر مع جماعة من خاصته قال لهم : « ثلاثة كنّ في صدري شقّ الله منها كتاب ابي مسلم اليّ وانا خليفة طافانا الله وأياك من سوء ، ودخول رسوله علينا وقوله ايكم ابن الحارمية وضرب سلمان بن حبيب ظهري بالسياط »



وطوى عصر المنصور ودارت الايام دورتها وضرب الدهر ضرباته وتسم عرش الخلافة احد احفاده وهو عبد الله المأمون وجلس ذات ليلة يسمر مع رجال حاشيته ودار الحديث على أبطال التاريخ فقال لهم اجل ملوك الارض ثلاثة وهم الذين قاموا بقتل الدول الاسكندر المقدوني واردشير وابو مسلم الحراساني !

وقد كانت قتل ابي مسلم ضرورة سياسية ومحاولة جارية قام بها المنصور لصد نيار النفوذ الفارسي واعادها بعده الرشيد بإيقاعه بالبرامكة وكررها للمأمون باغتياله الفضل بن سهل ولكنهم لم يوقفوا في تلك المحاولة الشيفة التوفيق كله لان تمييز مجرى الحوادث في كثير من الاحوال من وراء قدرة الرجال ولو كانوا من طراز المنصور والرشيد والمأمون

الادب العالمي

للأستاذ محمود ميمب



— ١ —

لينين والرواية

أفكان لينين يمشق الرواية ويقرؤها ويتكب عليها وهو الرجل الصلب الجاف الذي عاش عمره مضطرب في نفسه فكرة واحدة سيطرت عليه فصيلته من كل فكرة أخرى ، تلك هي الرسالة التي أخذ على طاقه ان يقوم بها ويوفر عليها جهوده ؟ أفكان يجد في نفسه هوى للرواية ونحن نرى فيها مسلاة وملهاة تملأ الفراغ وتقطع الوقت ، وهو . . . هو لينين رجل العمل والجد ؟ نعم ، لقد قرأ لينين الرواية وانغم بها ، رواية واحدة كان يجد فيها الاستاذ والمعلم والمرشد ، والثبراس الذي يهتدى بهديه ويستلهم منه الفكرة ، تلك هي « طيبب القرية » بلزاك . ولكن أي فكرة سامية في هذه الرواية فتجذب اليها لينين فيقرؤها ويقرؤها فقط ؟ إن طيبب القرية (يناسيس) الذي صورته بلزاك بقلبه الرائع واسلوبه الجذاب ورجل عاش في الريف في منأى عن كل ما يشغل الناس ويفت فيهم روح التناحر الدائم . . . عاش هناك ، على بضعة أميال من جزيببول ، ليضرب الناس مثلاً طالياً في الدكاتورية الصالحة التي تهض بها — اول ما تهض — الام اخذ الطيبب يناسيس نفسه بأن يذر في قوس الناس الذي ينهم ما ييذر للمعلم الامين في قوس تلاميذه الصغار من غراس الخلق الطيب والعلم الصحيح . فراح يطهر الناحية من أدران الجهل والكسل والفتور ، وهب يرفع من اسباب البئس ومستوى الحياة فأحسن الناس بالحاجة الى اشياء ، وهو يقول « إن الذين لا يستمعرون الفاقة هم الفقراء حقاً » . وألحت الحاجة على صحابته فاندفعوا يستبدلون مع الاجانب متاعاً بمتاع . وحين بدا هو في اصينهم نقيطاً دؤوباً مقداماً مصلحاً تهاقوا اليه يولونه قنهم ومحبتهم فأخرج منهم ناساً فيهم الادب والرقابة وجاء جينستاس ، وهو رجل حرب ، ليرى الطيبب ، فزل ضيفاً مكرماً في دأوه ، وراح

الطيب يكشف له عن بعض ما كان منه ويسبط امامه خواطره وآراءه و... وآماله ...
وعلى حين فجأة مات الطيب

والقارئ يرى في الطيب رجلاً بارزاً لا يصفيه السمل ولا يقمديه الجهد ، لا يهدأ ولا يستقر ،
تدفعه الساطفة والمقل مما الى الغاية التي يبتغي . أفلم يكن لينين من هذا الطراز ؟ أفلم تحمل فيه
روح الطيب فتشيع في نفسه مبادئه حين يقول « ان الذي يعيش طاملاً هو لئس اجتماعي »
وحين يقول « لا بد ان يعيش الرجل بين الناس زبها » أو حين يقول « ان الذي يدرك معنى
الحكم ، ويعيد في نفسه القوة على حمل اعبائه ، يجب عليه حين يسلك بالدقة ان يديرها في
حزم وصمت » ؟

وروعة الكتاب تبدو في مواضع كثيرة اوضح فيها ان المادة هي شغل الناس الشاغل . ولقد
اراد الطيب ان يرب نفسه لما فيه صلاح القوم فاضطربت في رأسه فكرتان : يعيش بين الناس
طبيعياً يداوي عاظم ويخفف عنهم ام هو يسعى جهده ليقرب بينهم السلام والهدوء ؟ وتنازعاً عاملان :
أف يكون طيباً أو فاسداً ؟ وخيل اليه ان الانسان يصنع في رضا لمن يخفف عنه آلامه اكثر
مما يطمئن الى من يمتنع ويخوفهم ، فراح يسهر على مرضاه ، واستقر الى جانب الفلاح الذي
يكدر عمره لينال قوت يومه . ولكن الانسانية الخاملة لا ترقى الا على سلم من الاعتداد
بالذات ، فهذا الظلم الذي يقذف بنفسه في خضم الجهاد ، هو لا رب يسمى لينت روح الاعتداد
بالنفس في قوس الشعب لينشئ خلقاً جديداً غير ان الحيل الجديدة سيكون ولا شك مادياً
ولعل لينين نفسه شعر بما شعر به الطيب فاندفع بنبج نهجاً

ثم نحى الفكرة الدينية ثلثاً — دائماً — عن نفسها ولقد قال الطيب : « إن الكاثوليكية
كتلة من التمسك والخرافة تآلفت في لقمان ودقة ، يستطيع العقل الحصيف ان يمتد اليها بالتطير
والاصلاح » ولكنه حين انخر في عمله بين الفلاحين رأى انها « هي القوة الوحيدة التي تضم
في اضماها كل المبادئ الاجتماعية السامية وتسع عليها من روح الحياة والوحدة السياسية »
وان الدين « لم يكن — في يوم ما — سلوة يستمتع بها المرء بل هو اداة صالحة تقود الجماعات
— دائماً — الى التناجح » . وحين أخذ لينين بهذا المذهب اصبح هو في روسيا الرجل المحترم
المقدس ، وغداً عباد القانون الارضي وحارسه

ولقد اخذت كل من روسيا والمانيا وايطاليا بالبدل الذي رسمه طيب بذاك « . . . إن
اخلاط الناس هم سفلة القوم الذين يسهرون على حماية الامة . . . واذا هب رجل عظيم يريد
الاصلاح فلا بد ان يستمد على الحكومة والآلة التي باتت في غمار الثورة . . . ان يجالس الثغوري
والبرلمانات والديموقراطية كل اولئك خور وضغب وضياع للوقت دون ثمرة فحيتي . . . يا حبيبي ،

يا عيال! كيف يجلس قوم يتنازعون بينهم الرأي، والخطر على خطوات منهم يمدحهم بنظرات يتطايرون منها الشر فلا يستطيعون دفعه! لا بد أن تكون السلطة والقانون و... أشياء تقبض عليها يد واحدة... يد واحدة فقط»

وأخيراً نشر امام أعيننا رسم الدكتور الصالح الذي نادى به بلزك قائداً وحاكماً، والذي سار على ضوئه لينين ومن بعده الزعماء ذوو الحزم والعزم مثل هتلر وموسوليني وسنالكين... : «أن يكون بيد النظر ثاقب الفكر، لا يطيش ولا يذهب بلبه الغرور والخذاع، وأن ينزع عن نفسه شهواتها وأطاعها ليمسك على مواهبه في نزاهة وعدل، في عزم وقوة، وأن ينفذ أوامره في صرامة وشدة فلا يضطرب ولا يختلج ولا يرحم ولا يصفي إلا لنداء ضميره هو، وأن يستلب عن نفسه الشك والثقة العمياء فلا يطمئن إلى رفاقه وأعدائه دون تجربة، وألاً يكون سهلاً ليناً ولا صلباً جامداً، وأن يكون على أهبة فلا تدمره الحادثة فيضطرب لها ويفزع ويتزلزل زلزالاً شديداً، ثم هو يجب عليه أن يجول بين الناس يشع عليهم من عبقريته وينفذ إلى قلوبهم من خلال أحاديثه الرقيقة ونظراته القاذرة، وألاً تشغله الصغار بل هو يبنى دائماً بالتأني... ذلك هو الرجل الذي يرقى درجة فوق الإنسانية»

تلك هي المبادئ التي بذر بلزك غراسها في عقل لينين فتأثر بها وشغته حباً...

— ٢ —

اللمح الضائع لسافو

في الأربعين السنة الأخيرة انحسرت رمال الصحراء المصرية عن ألحان من الشعر الاغريقي فيها الروعة والجمال، طوّحت بها المسيحية الى أعماق التسيان والاممال حين راحت تحط من قيمة الأدب الوثني في أعين الناس، فكشف كل من جريقتل وهنت عن مقطوعات من شعر سافو، وعثر العالم الايطالي ميديانورسا على اربع قطع ونصف من الشعر كتبت في القرن الثاني قبل الميلاد على قطع من الفخار، عرف هو — عندما قابل فيها وبين ألحان آخر — انها لسافو. وهي قطع من رائع الشعر تصف حفلاً حشد في إقليم كاثه الفردوس فيه الماء والزهر والاشجار وفي اضافتها دعوة الى أفروديت معاصرة سافو لتحضر الحفل مكللة بالفاروق في يدها كأس ذهبية فيها الرحيق

والاسطر الاربعة الاولى مضطربة غير ان القارئ المدقق يستطيع ان يستقي من ورائها

امرئ : الاول ، انها تصف ناراً تألق في السماء علامة يستبشرون بها كلما هم الناس بسمل ذي خطر ولعل الملل هو حفل زفاف والتار هي علامة رضا الالهة ، قائلان كانوا يستقنون ان التار والبرق والرعد سمات البشرية ترسلها الالهة الى الناس . والثاني ، ان سافو تملن عن نفسها امام الزمر في كريت . ولكن كيف ذهبت سافو الى كريت ومتى ؟ إن التاريخ يقول انها قضت من وطنها وهي طفلة الى سلسيا ولعلها لبثت في هذه الجزيرة عمراً من عمرها في ذهابها او في إيابها ! ومهما يكن في الامر من شيء فهي التي تقول « على نعم الموسيقى وحول المذبح المقدس اندفع قنابات كريت يرقصن في ارجل لدنة ويسطان الازهار الجميلة البالغة في خفة . . » وفي هذا الهن نجد سافو تذكر حفل كريت في حين وشوق

واذا اغفلنا الاسطر القليلة المضطربة استطعنا ان نترجم ما بقي من الهن « . . . ما اجل اشجار التفاح المتشابكة والبخور يتصاعد سحباً عطرية من المبد ، والماء البارد يتدفق في صخب بين الشمام ، والظلال تنشر ثوبها الرقيق على المكان كله ، وحفيف الاشجار ينبعث كأنه صوت الناس المقدس ، والحيل ترمي في الرياض الزهرة ومن فوقها أكلام زهر البلوط ، والنسيم يهب رقيقاً يفتح ريحه البطر الشذي . . . ! تمال الآن ، ايها القبرصي .. تمال لتأخذ زهرتك ، وتصب في رفق رجفك الشهي في الكأس الذهبية ، ثم انث فيها اللذة والسعادة ! »

وهذه اغنية ترددت — ولا ريب — يوم زفاف سافو نفسها . والاستاذ ميديا يقول انها اغنية خاصة لم ترتع بها الاصوات لدى المبد بل كانت ترتع بها هي ورفيقاتها . وحجته في ذلك ان اثنائي العرس كثيرة وعديدة ، وومضات البرق تلمد الى النفس ذكرى ابولون وهو يسلم هيرا المشاعل لتحملها في عرس فيلا وميتس أبوي « أخيل » اوهي تذكر الناس بالتار التي شبت من جانب السماء حين ربط بين زيدو وإينوس بالرباط الوثيق في الكهف . ولعل حديقة التفاح المقدسة هي حديقة افروديت فهي كانت قدس التفاح لانه عندها علامة انتهاء عهد الزوبة وابتداء عهد الزواج . ثم هي ذكرت سحب البخور وهي تتمدد في سماء الخراب علامة نجاح الحفل . ولقد خاطبت سافو الكريتين لانهم رفاق زوجها فهي لم تناد واحداً منهم بل كانت تنادي زوجها وحده

وانه يستوقف النظر ان نرى سافو تدعو أفروديت الى المهرجان وعلى رأسها النار وفي يدها الكأس الذهبية مترعة بالرحيق لتقدمها هي الى الزوج فيقبلها وعلى شفثه اقباسمة علامة الرضا والترحيب بجيائه الجديدة ، فلقد كان يحبل الى سافو ان الالهة يحضون من حولها وانها تتحدث اليهم ، فهي تدعو أفروديت ربّة الزهر لتقوم لها بما يقوم به هيرمس في اعراس الاولمب ، او لعلها كانت تاجي زهرة من بين الازهار الجديدة التي نثرها في ارجاء المكان كأنها هي ربة الزهر

ودوى لحن عرس سافو تدوية شديدة ، في عالم الآثار ، فما هو كثيره من الاحلان
الاخرى لانها كشفت لنا عن بعض ما يضطرب في نفس المرأة في ليله العرس من نوازع فيها
اللفة والطرب ، وفيها السحر والسعادة ، ثم هي استطاعت بعد ذلك ان تتغلغل في النفوس
ببارات فيها السهولة واللين ، وفيها الخيال والروعة ، ثم هي تعيد البارة مرات ومرات فما يمجها
الدوق ولا تماها الاذن لانها تفت فيها في كل مرة من روحها الجذابة ونغمها الساحر
وطافتها المتسعة

والآن يا مصر ، اقبضي علينا بما نكتنن عنا الحاناً آخر فيها السحر والجاذبية والجمال
فلطالما لجئت بك الضئيلة

— ٣ —

مؤمر ورق البردي

في اواخر اضططس الماضي عقد المؤتمر الخامس لـلم البردي وحضره اكثر من ستين ومائة
ملم من انحاء اوربا واميركا . وغريب ان تجتمع لورق البردي المؤتمرات فيبقى اليها العلماء من
كل صوب ! وماذا في ورق البردي حتى يعنى به العالم ويولييه من عنايته ومهمته ووقته ؟

لقد كان لورق البردي المسكان المرموق عند قدماء المصريين والافريق والرومان فهم قد
كتبوا عليه كتبهم ودونوا وقائعهم العامة والخاصة ، والبردي ورق مصنوع من نبات مائي كان
الى حين يثبت على صفات النيل ، وهو مريع البلى غير ان جو مصر الجليل وزيتها الحافظة ساعدا
على ان يجتاز هذا الورق القرون الطويلة وهو في جديته وبهائيه لم تبت به الايام

وكان تاريخ الادب يتدى من القرن الرابع الميلادي ، فجاء البردي يفتح امامنا صفحة
اخرى يمتد تاريخها الى ما قبل ذلك بقرون

وكشف عن ورق البردي — اول ما كشف عنه — في سنة ١٧٧٨ حين عثر جماعة من
اهالي مديرية الفيوم على حزمة منه في اثناء خزي في قاشقري احد الهواة بعضها بالثمن البضخ ،
واحرق القوم ما بقي حين لم يجدوا فيه فائدة ترتجي . واستطاع كاردينال بونوخيا ان يحصل على
هذه الاوراق فطبها في سنة ١٧٨٨ قاذافها اسماء الملوك القديسين قلموا بأعمال الري سنة ١٩١٠ بعد الميلاد

وفي التسعين السنة التالية لم يثر الا على وزيفات لا تقضي غلة عنها فيها بعض قطع من ادب
هوميروس وهيريديس تيرب ديموستينيس والسكان

وفي سنة ١٨٧٧ اكتشف اكبر قدر من هذا الورق وهو قرابة الف وثمينة مجيع

اسطرها ما كان من اسر مدينة ارسينو ، وهذه المجموعة حفظها الارشيدوق راينر النموي وجاءت سنة ١٨٩١ تحمل في اضافها جزءاً من ورق البردي فيها الادب وفيها العلم مما قطبت دارالآثار الانجليزية بعضها وهي: رسالة ارسطو المفقودة في تاريخ اثينا ، والاشعار لهيودس وبعض خطب هيريدس ، ورسالة مستفيضة في الطب ، ثم بعض ما كتب هوميروس وديموستينيس واسوكراتيس ، وفي ذلك الحين كشف عن وثائق فيها شذرات لهوميروس وافلاطون ثم المأساة المفقودة ليوريديس

فابتدأ حب الاستطلاع يدفع الباحثين الى دراسة ما يزجيه الينا البردي من الادب والتاريخ ، فتوزعته الايدي بين برلين ولندن وفيينا وجنيف ، وتناولته العقول بالبحث في نواحيه المديدة ...



ومنذ اربعين سنة تدفق سيل من اوراق البردي فأفهم مكتبات اوربا ومصر واميركا بمئات من القطع الادبية وآلاف من غير الادبية ، ذلك عدا بعض كتب في اللغة المصرية القديمة ولسخة اغريقية من الكتاب المقدس تسبق كل ما بين ايدينا من هذا الكتاب بمئتي سنة . ولقد افادنا البردي من الناحية الادبية فائدة عظي ، فهو قد كشف لنا عن بعض ما كتب عظماء الفلاسفة والكتّاب والشعراء مثل : ارسطو وهيريدس وهيودس وميناندر وتيموئيس ، وقطع لسافو وهنار ومأساة سوفكليس ، ثم هو قد نشر على اعيننا كل ما لم نعرف الاّ الآن عن الادب والعلم عند قدماء المصريين ، والتي بين ايدينا بعض المخطوطات القبطية التي اوضحت لنا عن الفكرة الدينية الصحيحة ...

وجاءت الوثائق غير الادبية تهدينا الى الملل العذب الصافي الذي نفترق منه كل ما تصبو اليه النفس من الحقائق عن تاريخ حكم البطالسة والرومان والبيزنطيين والرب في مصر ، ثم الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مصر في مدى الف سنة



وبالبحث في القانون يجد مئات من الوثائق تجمع في تماياها المواد القانونية والمحاكمات الهامة من عهد المصريين القدماء حتى العهد البيزنطي ، واخرى تشمل خطابات خاصة تتم على الحياة في عصور المدينة السحيقة

افليس في كل هذا ما يبعث على ان تجتمع المؤتمرات وان تشاد المعاهد العلمية لدراسة ما جاء في اضاف ورق البردي من ادب وتاريخ وعلم ؟

الدهن وأنواعه

بحث لنوي تحليبي

لمربي انتسابي ماري الكرملی

احد اعضاء مجمع اللغة العربية الملكي

١ - نصير

في معاجم لغتنا اللينة ، شائعة شوّهت حينها التاسع ، وكادت تنسي ما في سائر جسمها وقوامها من المحاسن والبدايع وهذه الشائبة هي انك تجد احيانا في تلك الدواوين — على اختلاف مؤلفيها وعصورهم — مثل هذه الكلمة (معروف) عوض التثريف . وان لم تذكر هذه الكلمة بنصها الواضح الصريح ، فانه يلحح اليها تليها ، يمت في صدرك السأم واليأس ، بحيث تستشيط غضبا على من وضع السيفر الذي يدك وترمي به يدك

انك لا تستطيع مثلاً ان تعرف معنى (السرير) معرفة صادقة تامة ، مهما بحثت وتقررت وصرفت الساعات الطوال للاهتمام الى حقيقة او صورته . وكذا قل على (اللحم) و (الكُمحل) و (الكاهن) و (التمنح) و (النمنحة) الى غيرها . بل هذه كلمة (القُسْطَيط) التي ذكرها القويون بقولهم : (شجرة معروفة) هي اجهل المجهولات . أو احدثت الى حقيقتها ؟ — كلا ولعل سبب ذلك غرايتها ، فانها تنفر أذنك من سماعها حال بلوغها اليها بل تهرب من الاخذ في تطلب معناها ، اذ قد اجتمع فيها شيان : غرابة تركيبها ووزنها . وكذا قل عن عشرات الكلم التي كانت (معروفة) في عهد المصنفين ، لكنها اليوم لا تكاد (تعرف) او تعرف بعض المعرفة ، فتدفع الكتاب الى الجدل والمناقشة على غير طائلي ، ولو عرف معناها حق المعرفة في اول تدوينها في المعاجم لما وقع عليها النقاش والتفتار والتفار

ومثل هذه الشائبة لا تصيبها في مصنفات أهل العرب على اختلاف ألسنتهم وأقوامهم وديارهم ومن جهة الحروف (المعروفة) : الدهن الذي اردنا له هذا المقال . فاهو ؟

٢ — الدهن وتعريفه على ما في كتبنا اللغوية

الدهن ، ما ادراك ما الدهن — قال المجد : « دَهْنٌ : نَاقِقٌ . ورأسُهُ وغيرُهُ دَهْنًا ودَهْنَةٌ : بُلَّةٌ ^(١) والاسم الدُّهْنُ ، بالضم » اهـ . ولم يوضح في ما بقي من المادة ما يزيد هذا الكلام وضوحاً وتيناً

وفي لسان العرب : « الدُّهْنُ (معروف) ، دهن رأسُهُ وغيرُهُ ، يدَهْنُهُ دَهْنًا : بُلَّةٌ . والاسم الدُّهْنُ والجمع ادُهْنانٌ ودُهْهان . . . » الى آخر ما قال وليس فيه جلاء في تحقيق المعنى وقال في اساس البلاغة : « دهن رأسُهُ ودَهْنُهُ وادُهْنٌ وتدُهْنٌ ، وكأنها مداهن الفضة ، جمع مدهن وهو الذي يحمل فيه الدهن » اهـ . ولا ترد على هذا القدر من الابهام والكلام الغامض . واما في مختار الصحاح والصحاح ، فالكلام فيها على مثل هذا القموض ، فقد جاء فيها : « الدهن (معروف) — واذا قلنا هنا كل ما ورد في معاجم الاقدمين ، فلا تزداد علماً ولا تحقيقاً ولا درايةً لشيء ، بل رسوخاً في الابهام والابهام وغامض الكلام

واما في المعاجم الحديثة مثل محيط المحيط وما نقل عنه أو صُنّف بعده ، فالإشارة الى معنى الدهن أبين لكن ركازة العبارة ظاهرة . قال المعلم بطرس البستاني في دهن من محيط المحيط « الدهن | وهي مضبوطة بالكسر . . . من الحيوان : اللحم الابيض كلحم أية الضأن ونحوه الواحدة دَهْنَةٌ . مؤنثة . والدُّهْنُ (وضبطها بالضم) الاسم من دهن الشيء : اذا بُلَّةٌ ودهن السمس وغيره : زَيْتُهُ . ج : ادهان ودُهْهان . ودهن الحل : السرج » اهـ

واول شيء يلاحظه القارئ انه قال : اللحم الابيض ، وهو تعبير قاسد لان من يقول : (لحمًا) لا يتصور الا شيئاً او مادة رخصة حمراء تكون مملوءة دماً ومن اعضاء الحيوان . فقوله : (اللحم الابيض) كقول من يقول : (الاحمر الابيض) وقوله (الواحدة دهنه) ، تعبير اورك من الاول . لانه يقال : الواحدة كذا لما هو من شبه الجمع كقولك : بَقَرٌ وتَمْرٌ وتَمْرٌ فتقول : (الواحدة بقرة وثمرة وتمرة . واما ما ليس من شبه الجمع فيقال فيه : (الطائفة منه أو القطعة

(١) لم يفهم كثيرون من اصحاب المعاجم الحديثة معنى « بل رأسه » فغلب اليهم ان المراد بالبل هنا ايسال شيء من الماء اليه ، وليس هذا هو المطلوب . اتما معنى « بله » : رطبه ورطله وطراه ، أي وضع عليه من الطيب او الطلاء او المادة الرطبة ما يمنع شتته . ورطل الشعر ، أخذ من رطبه قلبت الباء لآمالاً لاحداث معنى جديداً يخرج من معناه المؤلف العام الى هذا المعنى المحدود به ، الخاص به دون اصله . وقلب الباء لآمالاً في مثل هذا اللغز اكثر من ان يحصى فقد قالوا ممزاج وممزال ، والذي قد عذب بابه — والتنديب والتنديل للزار المنثور بشروب الخاء وأفانيه ويتق السافر ولشق اي تأخر وعجز عن السفر — وعراويل الامور وعراقبها اي عظامها وصاحبها ، الى غيرها وهي جة لا تحصر .

منه كذا) كالا يخفى على من له اطلاع على اللغة ، ومصطلحاتها
 ثم إن هذا « الايض » الى آخر ما قال فيه ، كان في غنى عنه لو قال « الشحم » أو
 الفهن والظاهر أنه « لم يعلم أن الدهن » بالذال المهملة المكسورة هي تصحيف الدهن ،
 بالذال المعجمة المكسورة ، وكان عليه أن ينبه على ذلك ليتنبه القائل ويعلم المولد أن التصحيف
 بين الكلمتين هو من قبيل لغة من لغات بعض العرب الاقدمين والحديثين
 وصاحب البستان أخذ كلام محيط المحيط وحذف منه البارة الاولى المتعلقة بالدهن (المكسورة
 الاول) وقال في الدهن ، المضموم الاول : « الدهن ، بالضم ، الاسم من دهن الشيء : إذا
 بلبه دهن الحلق » (كذا بإحفاء المعجمة وهو خطأ طبع بلا أدنى ريب ، وما كان ينبغي أن يقع
 مثل هذا الخطأ في معجم لغة من شأنه أن يرشد الباحث فيه الى الصواب) ، الشيرج دهن
 السمسم زينه دهن وادهان « اهـ

فقول البستاني : « دهن الحلق : الشيرج » خطأ ، لأن الحلق هو الشيرج قسماً ، فكيف
 يجوز أن يقال : دهن الحلق الشيرج . فكانك تقول : « دهن الشيرج : الشيرج » وهو كلام
 لا معنى فيه ولا فائدة

وللرب كلمة تقال على كل دهن وهي (الاهالة) وتصدق على كل ضرب من ضروب الدهن .
 قال في اللسان في (اهل) : « الاهالة ما أذيب من الشحم . وقيل : الاهالة : الشحم والزيت .
 وقيل : كل دهن أؤندم به إهالة . والاهالة : الودك . وفي الحديث : « أنه كان يُدعى الى
 خبز الشير والاهالة السنخة فيجيب » . قال : كل شيء من الادهان مما يؤندم به إهالة ، وقيل ،
 هو ما أذيب من الالية والشحم . وقيل : اللحم الجليد . والسنخة : المتغيرة الریح ، وفي حديث
 كعب في صفة النار : (يحاه بمجنهم يوم القيامة كأنها مسن إهالة) أي ظهرها . قال : وكل ما
 أؤندم به من زبد وودك شحم ودهن مسم وغیره فهو اهالة . وكذلك ما علا القدر من ودك
 اللحم السمين : (إهالة) . وقيل : الالية للذابة واللحم المذاب : (اهالة) ايضاً . ومسن
 الاهالة : اذا سكبت في الاناء . فشيء كعب سكون جهم قبل أن يصير الكفار فيها

٣ — الزهر وتصريفه على ما يحصل من كتب القوم

وأيت أن الدهن في كتب أئمة اسم مصدر لدهن الشيء : إذا بلبه . فكل ما يلب شيئاً
 يسمى دهناً ، أي كل سائل ذي إهالة يسمى دهناً . هذا من باب التسميم ، واما من باب التخصيص
 وعلى ما يتحصل من كتب الادب والعلم ، بل من أسفار أئمة قسماً فان (الدهن كل مادة
 دسمة) . ولما كان اللحم يوجد في الحيوان والنبات والجماد ، كان تسمي الدهن : (كل جوهر
 ومادة دسمة من حيوان ونبات وجماد) . ونحن نؤيد هذا القول بالنقل عن الأئمة :

٤ — الدهن التبانى

الدهن التبانى ما يستخرج من عصر بعض الالبنة التي فيها زيت كالبان والزيتون والزنبق والخردل والسسم والجوز والوز والجلوز والمشلوز وهي كثيرة حبة العدد واحسن دليل على وجود الدهن في التبان ما جاء في سورة المؤمنين : « وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصيغ للآكلين » . فليس شيء اوضح من هذا الكلام على وجود الدهن في الزيتون . ولا جدل في هذه المسألة

وسمى العرب دهن البان : (المضمون) على ما صرح به صاحب المحكم وغيره ومما دهن الزنبق ودهن الخردل (السبط) . والطبيب المطبوع بالرياحين (الدهن المقتت) . ومما دهن الدهن الذي يتخذ من الزيت باقاويه (الحطار) . ولاحظ حسناً هذه الكلمة (الدهن الذي يتخذ من الزيت) ، مما يدل دلالة صريحة جلية على ان هناك فرقاً بين (الزيت والدهن) قالواحد غير الآخر من باب التخصيص ، بخلاف ما ذهب اليه بعضهم ودونك عبارة القاموس ، ليعلمن قلبك الى ما نورد عليك . قال المجد الفيروز ابادي : « والحطار ، ككتان : دهن يتخذ من الزيت بأقاويه الطيب » . وفي الحسن : « الحطار : دهن من الزيت ذو اقاويه » وكذلك ميزوا بين الاثنين في كلامهم على « المقتت من الزيت » . قال المجد : « زيت مقتت : طيب فيه الرياحين او خلط بأدهان طيبة » . فهذان نصان يتناحران على ان « الزيت غير الدهن » . وان الدهن مادة دسمة تدخل في بعض الزيوت ، قالواحد غير الآخر

وذكر صاحب الحسن في مادة (ن ش ش) ما هذا نصاً به : « روى الازهري عن الشافعي ، قال : الادهان : دهنان : دهن طيب مثل البان المنفوش بالطيب ، ودهن ليس بالطيب ، مثل سليخة البان غير منفوش . ومثل القيرق . قال الازهري : المنفوش : المرطب بالطيب ، اذا رطب بالطيب فهو منفوش . والسليخة : ما اعتصر من ثمر البان ولم يرطب بالطيب » اهـ وهناك غير هذه الامثلة المتعبسة من كلام ائمة الفنوين فاجتزأنا بهذا الوصل ، لان ما زاد على هذه الشواهد ، او على هذا القدر ، لا يزيدنا فائدة او علماً على ما ذكرناه

٥ — الدهن الحيواني

وجود الدهن في الحيوان امر لا ينكر . قال ابن البيطار في ترجمة (التاوند) : « ابو العباس الحافظ : هو دهن معروف لونه مثل لون السمن ، وقوامه في الجود كذلك . وهو معروف بالحجاز ، يؤتى به من اليمن ومن بلاد الحبشة . ويأتيهم من الهند » الى آخر ما قال وهو لا يريد زيت الزيتون ولا غيره . اما النيري فيقول : « التاوند طائر يتخذ وكره على ساحل البحر ...

وهذا الطائر المتخذ منه «شحم» الفوائد المعروف، وهو يقيم المقصد... إلى آخر ما قال.
فما ساء أبو الباس الحافظ «دهنا» ساء الديري «شحا» لأنها شيء واحد
وهذا أين دليل على أن «الشحم والدهن» من جنس واحد. فهو «شحم» إذا كان
جامداً. وهو «دهن» إذا ماع أو لم يجم

وأهل بغداد يسمون «السن»: «دهنا». ومنهم من يقول: «دهنا حراً» لتمييزه عن
سواه من شحم وزيت إلى غيرها. ويقولون: «هذا اللحم دهين»، إذا كان كثير الودك
والشحم. فقول الأطباء والكتبة: «المواد الدهنية» أصح من قولهم: «المواد الشحمية»
لشهرة الكلمة عند جميع الناطقين بالضاد، من جميع ديار الناطقين بها، من مصريين وسوريين
وعراقيين إلى غيرهم، ولأن صحة الدهن لا غار عليها، إذ تمني الشحم والزيت وكل مادة
دسمة، وإذا في الآلية دهن وشحم، وفي الإنسان دهن وشحم، وفي الأمعاء دهن وشحم.
هذا فضلاً عن أن الشحم كلمة مبتذلة صارت اليوم من لغة القسّامين والصحّامين والشعّامين
ومن تميز القنويين للدلالة على أن الدهن يكون في الإنسان، شرحهم للكلمة (الفرقارة)
فقد قالوا فيها: خرقه (تكون دون المقنعة) توفي بها المرأة فخارها من الدهن (ق). وقالوا
مثل ذلك في (الصيفاق) والصوفة (ق). وليس المراد هنا الدهن الذي تستعمله النساء للطيب،
بل الدهن الذي يفرزه أو يقذفه الرأس، إذ لو كان من دهن الطيب، لما عم القنويون الكلام
واطفوه على كل امرأة تستعمل الحمار، وإنما خصوا به النساء لأن الرجال أقل استعمالاً لما يلبس
على الرأس من النساء، ولأنه يلازمهنّ ليل نهار، والأفرووس الرجال تقذف الدهن كما
تهبض به رؤوس النساء

٦ — انزه من المعرفى

سيأتي في العودة إلى الكلام على (الاحالة) أنها استعملت للزيت المبدئي على ما ذكره
استرابون، وهو من أعظم العلماء الإثبات وأقدمهم، فهو ثقة دون كل ثقة، لكنه من الأماجم
ونحن في حاجة إلى حجة في لغتنا العربية، ولما كان للدهن مترادفات عدة، اخترنا من جملها
واحداً من عشراته وهو (المسهل) أو (المسهلة)

قال في لسان العرب: «المسهل، اسم يجمع مدينيات الجواهر. والمهل ما ذاب من صفر
أو حديد. وهكذا فسر في التزويل. والله اعلم. والمهل والمهلة: ضرب من القطران مائي،
رفيق يشبه الزيت، وهو يضرب إلى الصفرة من مهاوته، وهو دسم تدخن به الأبل في الشتاء.
قال: والقطران الحار لا يهنا به. وقيل: هو دردي الزيت. وقيل: هو السكر المثلج.

وقيل : هو رقيق الزيت . وقيل : هو طمته . وانشد ابن بري للأفوه الاودي :
 وكأنا اسلانهم منهوة بالهمل من ندب الكوم اذا جرى
 شبه الدم حين يمس بدردي الزيت . وقوله عز وجل : « يقاتوا بما كملهم » يقال : هو
 التحاس المذاب . وقال ابو عمرو : المهمل دردي الزيت . قال : والمهمل أيضاً القبح والصديد .
 ومهلت البير : اذا طليت بالخصخاض فهو مهول . . . وقالت السامرية : المهمل عندنا انسم . . .
 إلى آخر ما جاء هناك ، فراجعه أن شئت التطويل في التفصيل
 فقد رأيت أنه فسر المهمل والمهله بالخصخاض ثم اطلق عليه اسم الزيت أيضاً . والخصخاض
 على ما قال صاحب اللسان ، تقرأ عن أبي منصور الأزهري : « ضرب من التفت أسود رقيق
 لا خثورة فيه وليس بالفطران . . . (وهو) ديم رقيق يبيع من عين تحت الأرض . . . » اه
 وقال ابن مكرم في (نط) : « التفت والتفت . دهن . والكسر افصح . وقال ابن
 سيده : والتفت والتفت : الذي تطل به الأبل للعرب والدبر والفردان وهو دون الكحيل ..
 والتفت والتفت حلاية جبل في قمر بر تود به التار . والكسر افصح » اه
 فلو لم يكن في ابدننا إلا هذا الشاهد المذكور في اللسان ، لكفانا دليلاً على أن (الدهن)
 قد يكون لسائر معدي ولم يكن اهدأ محصوراً عند العرب بما يحصل من عصر بعض الائمة
 الحلاوية زيتاً .

٧ - أصل الكلمة

من غريب تركيب أحرف هذه الكلمة ، أنها لا تصل بما يوجه معناها إلى الدهن أو الشمع
 أو الزيت أو اشباه هذه المعاني ، لكننا نراها مضارعة لليونانية *elaia* جمع *elaion* ومعناها في
 أول وضها « زيت الزيتون » ثم اطلقوها على جميع الدهان التي ذكرها لغويو العرب بمخافيرها .
 لا بل ذكر استرابون الاقاصمي من علماء وُصاف البلدان المقدمين (وكان في سنة ٦٦ قبل
 المسيح إلى ٢٤ بعد الميلاد في كتابه الذي نشره ج . كراسر في سنة ١٨٤١ إلى سنة ١٨٥٢
 في الفصل الحادي عشر والقطعة الخامسة) : أن الاحالة يراد بها الزيت المدني أيضاً وكان بعض
 الفقراء يطيبونه ويتخذونه اهالة أو اداماً لهم . فصحت الاحالة على أن تطلق على كل زيت من
 معدي ونباتي وحيواني

واللهة الرمية لا تأتي هذا الاطلاق ولا تنبذ ولا تقاؤه ، إذ يشترط في (الاحالة) أن تكون
 « مادة دسمة وإن يؤتمد بها »

وتعريب « الآية » اليونانية بصورة « اهالة » غير بعيد ، لأنه كان لبعضهم لغة يجملون

فيها اللام هاء . فكانوا يقولون شاكهة في شاكهة (راجع المزهرة طيبة بولاق الاولى ١ : ٢٢٨) وقالوا الخفات كاللغات وزان سحاب وهو الاحق ، الى غيرها من نظائرها . وأما ابدال اللام بالياء فكانت لغة عند العرب ذكرها المزهرة ايضاً (في ١ : ٢٧٠) والجاحظ في كتابه البيان والبيان (الطبعة الاولى ١ : ١٧٠)

والذي يدفعنا الى هذا القول أن ليس للاهالة ما يقابلها في التركيب في سائر اللغات السامية والكلمة « الاية » لثان آخران هما : (الإنيمة والإهنية) فجانسهما العربية اوضح وأقوى

٨ — أصل المزل والمزلة

المُزَل تشبه قلب أليسم Oleum اللاتينية (٢) لأنها تصير حيثنر Moleu ولا عبارة بآخر حرف أو إنه حول هاء . وهو غير بعيد فقد سبق للسلف أن قبلوا Litra فقالوا فيها رطل Bitla وقالوا في Mensis أي الشهر Nemis وفي Virgo بكر أي بول Vigro الى نظائرها مما ورد مقلوباً ومنقولاً عن اللاتينية أو اليونانية

زد على ذلك أن جميع معاني الفتحة الرومية Oleum تراها واحداً فواحداً في العربية وبالعكس . ولهذا لا ترى لها مقابلاً من هذه المادة في سائر اللغات السامية . هذا رأينا ولعلنا نخطئ في جميع هذه الاحرف

٩ — أصل الدهن

هذه الكلمة تنظر الى Demos اليونانية ومعناها الدهن ، أي كل مادة دسمة والشمع ايضاً على حد ما في لغتنا الضادية . والحرف H اليوناني يقابل الهاء العربية . وقد صورناه هنا هكذا H

(٢) وما نشأ من الكلمة Oleum الرومية ، كلمة عربية أخرى هي (الحل) بمعنى زيت السمسم ، أو (الشيرج) وهذه الثانية من الفارسية « شير » أي صبر أو عصارة : —
والحرف O الرومي — بل اليوناني ايضاً — كثيراً ما يرد لواء حرف حالي في اللغات السامية ولا سيما في العربية . فاللاتينية Odor تقابل « عطر » — و Offa : عفة و Olla : حلة . وقد جهل بعضهم هذا الاصل المرب . فقد جاء في تاج الروس ما هنا اصله : « الحلة في اصطلاح اهل بندان كهيئة الزئبق الكبير من القصب يجمل فيه الطعام . قلت الصافقي . قلت (أي السيد مرفعي) : وفي اصطلاح مصر يطلق على قدر النحاس لانه يجمل فيها الطعام » اه كلامه قلنا : والحلة معروفة بهذا المعنى الى يومنا هذا في العراق . الا انها تستعمل لوضع الحمام فيها (الطير المعروف) لا الطعام . ولعل اصل قول الصافقي كان (الحمام) لا (الطعام) . والكلمة رومية بلا شك ولا ريب . ومعناها القدر أو الرجل . هذا هو الاصل ثم أطلق على ما يشبهه من نسيج القصب والحوص او نحوهما ، من باب التوسم في المعنى والخروج من سلاسل التشديد .

ولما كانت الدال اليونانية تقل مرة دالاً مهمة واخرى ذالاً معجمة ، جاءت في العربية الدهن (بالضم) والذهن (بالكسر) وبين الضم والكسر تماق غير مجهول . والظاهر ان اليوناني هنا هو العبرة (اي الاصل الاول الذي تردّ إليه النظائر) دون غيره . والدليل على هذا ، اننا نجد في العربية (المدموم) بمعنى المتأهي السمن المتلىء بالشمع ، وفي المادة العربية (دم) عود الى المعدن اليوناني من غير ادنى تبديل او تغيير او تعديل .
قال في اللسان في (دم) : « المدموم . المتلىء شحماً من البير ونحوه . وقد دم بالشمع اي اوقر ... والمدموم : المتأهي السمن ، المتلىء شحماً كأنه طلي بالشمع ... ويقال للشيء السمين : كانما دم بالشمع دماً ... ودم البير دماً : اذا كثر شحمه ولحمه حتى لا يجرد اللامس من حجم عظم فيه » اهـ

١٠ — تأثير ونحوه

ظهر لنا من بسط هذا الموضوع : ان (الدهن) يعني كل مادة دهنية ، معدنية كانت ام نباتية ام حيوانية ، سائلة ام جامدة ، ويقابلها في الفرنسية Corps gras ou grasse التي توافق هذا التسميم وهي بالانكليزية Fat or grease . اما (الزيت) فهو كل سائل او مائع دم او دهني وهو Huile بالفرنسية وتشمل الزيت النباتي والمعدني والحيواني وهو ، في الانكليزية Oil . — واما (الاحالة) فتشمل الدهن والزيت وكل مادة دهنية يؤتم بها ،

وهي بالفرنسية Toute matière grasse ou huileuse avec laquelle on mange le pain

وبالانكليزية All fatty or oily matter eaten with bread

ومن الغريب ان ليس كلمة واحدة في لغة من لغات العالم تؤدي معنى (الاحالة) الذي وضع لها ابناء عدنان ، بل يضطر اصحاب تلك اللسان الى اتخاذ عبارة للدلالة عليه كما مرّ بك . والفتنة اليونانية مع غناها ، واللاتينية مع شيوخها وذيوخها بين طبقات العلماء من جميع البلاد ، لم ترصد كلمة واحدة للمؤدى الذي اشرنا اليه . فأكرم بفتنة تمحدي ألسنة الدنيا كلها بسمتها واذا هم افكار ابنائها ودقائق معانيها في جميع الصور وفي جميع الفنون والعلوم والصنائع (و السهل) او (الملهة) نجح كل سائل او مائع ^(١) على اختلاف أنواعه وضروبه ، جامداً كان اصله ام غير جامد ، حتى ان المعادن الصلبة اذا ميسمت ، يقال لائنها (المله)

(١) الفرق بين السائل والمائع ان المائع ما كان اصله جامداً ثم اذيب بجري ، والسائل ما كان اصله جارياً . فغلاء الزيت من السوائل والدهن والشمع والالاية اذا اذيت من اللامات . وقد يتوسع فيها والاصوب ان يحافظ على وضع العرب الامليل

شدة الاحساس

بأشياء ومواد معينة

والاستهداف بسببه لحالات مرضية متنوعة

يعرف كاتب هذه السطور سيدة اميركية طالية الثقافة حسيّة الرأى شديدة النايّة بشؤون معيشتها ومعيشة اهل بيتها ، تقطن ضاحية المادي قرب القاهرة ، ولكنها مضطّرة الى مغادرتها مع اغتباطها بكل ما حوالها لانها تصاب كل سنة ، عند ما تبسم الارض في الربيع ، وتخرج الازهار من اكفها بمرض يعرف « بحسّ الثين او القش » ، فتلتهب جفونها وتلسع عيونها ويسيل انهما وتصاب احياناً بضيق التنفس . وليس لذلك سبب ظاهر . فاهلها يأكلون ما تأكل ويشربون ما تشرب ويتنفسون الهواء الذي تنفس ولا يصابون بما تصاب . وسرّ هذا الامر ان هذه السيدة شديدة الاحساس بمحييات الفلاح التي تظاير من ازهار الحقل ، فتستهدف لهذه الاعراض وقد تعرف كذلك سيدة أخرى كانت اذا اكلت الكروكند الشائك والسرطان النهري (Lobster) أو السرطان (Crab) تصاب بما يشبه التسمم مدة اربع وعشرين ساعة ، وقد اكلتهما هنا وفي اوروبا وفي لبنان وكانت تصاب دائماً بالاعراض نفسها

في سنة ١٨٣٩ كان العالم الفسيولوجي الفرنسي فرنسوي «ماجندي» Magendie يجرب بعض التجارب بالكلاب فحقن كلباً بقدري صغير من زلال البيض فلم يبد على الكلب آثار تدل على انه اصيب بضرر من هذه الحقنة . ثم بعد فترة وجيزة حقق ليكيلي ثلثية يالتقدر قومه من زلال البيض فبات فجأة قتيصير «ماجندي» في ما رأى لان الكلب لم يمان زلال البيض ليس ممّا ومع ذلك قَبِلَ . فلما لم يبق الكلب فحقن عليه

بعد ذلك بربع قرن ذهب حدث من الاجداث الى اجتماع في الريف ، وبعد ما تمشى اكل قطعة من الحلوى التي قدمت للزوار وكانت مصنوعة من الحنطة السوداء ، وما كاد يزدردّها حتى احسّ نأراً تأجج في حلقه ومدته ثم احرّت مقلته ووزدت وجته ثم ظهرت على شفثيه اورام حر . فساوره خوف عظيم . وعزم ان يسير الى بيته ليمسّ قلبه . وبعد ما سار مسافة ثلاثة اميال في التلج خفت وطأة الاعراض التي احس بها وضد ما وصل به كان قد

ثبت في ذهنه ان الحلوى المصنوعة من الحنطة السوداء هي سبب اصابته. وبعد سنوات اكل هذا التقي كمكة مصنوعة من القردة فاصيب بالاعراض نفسها . فلما تحرى المسألة ظهر ان القردة كانت قد طحنت في مطحنة طحنت فيها الحنطة السوداء فاقصت حبيبات منها بدقيق القردة

واقضت سنوات ، وبلغ التقي سن المراهقة . وحدث له ما حمله على الاعتقاد ، بأن دقيق الفلفل الاسود يسبب نفس الاعراض التي يسببها دقيق الحنطة السوداء ، اذا ذرته على طعامه . ولكنه وجد انه اذا اشترى حبات الفلفل وسحقها في يده وذررها على طعامه ، لم يصب بها . فغمله ذلك على الظن بأن دقيق الفلفل الاسود الذي يباع في الاسواق مدخول فيه ، فجعل ينقب ويبحث حتى اتصل بمدير اشدى الشركات التي تحضر دقيق الفلفل وتبيعه وعرف منه ان شركته بتناع قفور الحنطة السوداء وتسحقها وتخلطها بدقيق الفلفل

ولما بلغ الخامسة والاربعين من العمر ذهب الى مستشفى جامعة جونز هبكنز . وكان العلماء في خلال ذلك قد جموا حقائق كثيرة عن هذه الظاهرة الغريبة ، فحضروا قفورا من دقيق الحنطة السوداء ، وخذشوا ذراعه ووضعوا على الخدش قطرات من القفوع ، فما انقضت عليه خمس عشر دقيقة ، حتى صاح « ان الحنطة السوداء قد شرعت تعمل فعلها » وجعل يشكو ضيقا في الصدر وأخذ يحمل كما يحمل المربو (المصاب بالربو Asthma) وظهرت على وجهه وجسمه وأطرافه بقع حمراء ، لم يسمه الا أن يحكمها حكما عنيفا

ثم استرعت هذه الظاهرة الفلارطيين من اطباء فينا هما كلنفس فون بيركه Pirquet وبيلا شيك Schiek . ولا يخفى ان فون بيركه اصبح في ما بعد من اشهر الاطباء المتوفرين على امراض الاطفال في العالم . اما شيك فاستنبط الكاشف المنسوب اليه لامتحان القين يشبه في اصابهم بالدفتيريا . كان هذان الطبيبان يماجلان اطفالا مصابين بالحصى الفرزية بعمل جديد استنبط حديثا لعلاج هذا المرض . وكانت لا بد في هذا العلاج من استعمال مقادير كبيرة من المصل . فلاحظ ان بعض الاطفال اصيب فجأة بحصى وتقريرة وقطع حمراء على الجلد . وألم في المفاصل بعد انقضاء نحو اسبوعين على الحقنة . فواليا البحث ووجدا ان الاطفال الذين لم يصابوا بهذه الاعراض بعد الحقنة الأولى ، كانوا يصابون بها حتما بعد الحقنة الثانية . فاطلقا على هذه الحالة «مرض المصل» واسمها اخرى منها اللفظ Allergy . وبه تعرف في رسائل الاطباء ومن ضروب الربو ما يعرف «بربو الحياء» والذين يصابون به تبدو عليهم اعراض الربو عند ما يكونون على مقربة من جواد او عند ما يتصل بهم شعر من شعره او خبار كان قائما به على نحو ما يصاب بعض الناس « بحصى التبن » عندما تنتثر حبيبات القفاح النباتي في الهواء . فهؤلاء الناس من المعضلات التي يواجهها الاطباء عندما يمرضون ويتقضي المرض حقنهم بمصل ما ،

لان طاقته كبيرة من المصل تولد في دم الخيل . فاذا أصيب احد منهم بالفتريا وجب حقه بالمصل المضاد لها ، وهذا المصل يولد في دم الخيل ، فيصاب الحقون باعراض الربو . فم إن ارتقاء وسائل النقل بقوة البخار المحركات الدائمة كقطارات السكك الحديدية والسيارات ، بمد المركبات التي تجرها الحياض ، قد أزال عاملاً من عوامل هذا الضرب من الربو . ولكن تقدم الطب في استعمال المصل عرض بعض الناس له من جديد

ومن الناس من يتأثر تأثراً خاصاً بقرية من الغم أو الحمازير والكلاب والمهرة والارانب والجرذان والسحاج والبط والاوز أو بأكله قطعاً منها على نحو ما يتأثر بعضهم بالحياض . بل إن بعض الناس يتأثر بريش السحاج فلا يكاد ينام على وسادة محشوة بهذا الريش حتى يصاب بنوبة من الازم الشديد ويمكن ان يقال بوجه عام أن المواد التي تسبب هذه الاعراض هي انواع من الطعام ، وحييات القحاح والقبار ، وشر الحيوان وقشوره وجذور الاوريس (وهو نبات اسمه العلمي اريس فلوريتينا وارس جرمانيكا ويستعمل دقيق جذور الاول او نشاؤه في تعطير بعض مستحضرات الجمال بغير بنفسجي) وبعض البكتيريا . ويذهب بعضهم الى أن البرد والحر قد يؤثران في الجسم فتشعل بعض المواد الزلالية في الجسم فتصح من طبقة المواد « الالبرجية » . وتقسّم المواد التي تحدث هذه الاصابات الى ثلاثة أقسام عامة منها ما يتصل بالساج الجسم عن طريق الاكل واخرى بالمس وغيرها بالاستنفاق

وهذا يعود بنا الى المثل الذي ضربناه في مسئل هذا المقال . لعني « حى الثين » Hay Fever . وهي نادرة في مصر . فقد وصف الطبيب الانكليزي جون بوستوك Bostock هذا المرض أولاً سنة ١٨١٩ وكان يصاب به في الصيف فاطلق عليه اسم « زكة الصيف » وانقضى القرن التاسع عشر والنظن الراجح انه مرض نادر

وكان الطبيب وليم دنبار Dunbar اول من دس دراسة علمية في اواخر القرن التاسع عشر وكان رأيه انه نتيجة من نتائج الحضارة الحديثة . قال أن الحال في الامم غير المتحضرة لا يصايون به ، او تندر اصابتهم به حال أن الامم البالغة شأواً حالياً من الحضارة تكثر فيها الاصابة به . وبين ان الاصابات به في امريكا الشمالية كثيرة . وقد كانت قبل نصف قرن نادرة فاصبحت الآن مألوفة ويبلغ عدد حوادثها نحو المليون كل سنة

الأ أن الطبيب الانكليزي تشارلز بلاكي بدأ تجاربه في منتصف القرن الماضي ، أي نحو اربعين سنة قبل مباحث دنبار ، فثبت له أن حيات القحاح النباتي تسبب هذا المرض ، وكان بلاكي نفسه مريضاً للاصابة به ، فجمع حيات القحاح ووضعها في عينيه وأشبه فحدث فيه اعراض هذه الحمى . وكان العلامة الالمانى هلمهتز مريضاً للاصابة به كذلك ، فأخذ بعض مفرزات أنفه وهو مصاب بأعراضه ونفسها فوجد فيها بكتيريا لا تكون فيها عندما يكون سليماً . وكذلك ظلت النظرية

البكتيرية في سبب هذا المرض سائدة سنين متتالية ، لان مقام علمهاتز العلمي كان في الطبقة العليا الا ان دنبار ، مع ذهابه في تفسير هذا المرض الى استناده الى الحضارة ، بدا له ان في اقوال بلاكلي شيئاً من الصحة . فجلل يجمع حبيبات اللقاح النباتي ويجربها في الناس المرضين لحى الذين . تثبت له الصلة بين الحبيبات والاعراض وأتم أنواع هذه الحلى ينشأ عن لقاح نباتين احدهما يعرف باسم العود النهمي (وهذا ترجمة الاسم الانكليزي Golden-Rod كما جاء في معجم شرف وهو خروسوغون او دسفس : يونانية في معجم اسماء النبات ليمس) وكلاهما يثر حبيبات لقاحه في الصيف . وقد أثبت البحث ان حبيبات اللقاح في النبات الثاني (Ragweed او عشب الحرقه : شرف) يمكن ان تنثر الى مسافات خمسة عشر ميلاً وان نبتة واحدة منها تستطيع ان تقتل ملايين من الحبيبات في اليوم

وهناك نوع آخر من هذه الاصابات يعرف بالحساق او الحساق وهو شبه الجدري يتسقط به البدن ويعرف عادة باسم « الشرى » . واعراضه ظهور بقم و ارمه حول العين وفي الشفتين والدين والبدن . ولو اقتصر عليها لمان الامر ولكنه قد يحدث في الحلق والحنجرة فيفضي الى الموت احتشاقاً وبعد فئا هو تفسير هذه الاصابات ؟ ليس ثمة رأي واحد يمل جميع ظاهراتها . ولكن منها رأي فوغان (Vaughan) فهو يقول ان الخلايا في الحيوان السوي تخصص . فاذا دخل الطعام الجهاز الهضمي ووصل الى الامعاء افرت خلايا الامعاء مفرزات خاصة تسمى الطعام وتحمّله . فاذا حقن احدث تحت الجلد يجعل مستمد من دم جواد ، عمدت الخلايا المختصة الى افراز خثار تحمل مادة المصل . فاذا افرت مقادير كبيرة من هذه الخثار بعد الحقنة الاولى كان الجسم مستعداً لحل هذه المادة عند ما يحقن بها ثانية ، فتولد مواد سامة تحدث اعراض هذه الاصابات . ويقول بعضهم ان مادة الهيستامين Histamine — وهي مادة أثبت الطبيب الانكليزي ديل H. H. Dale تكثر في معظم انساج الجسم — هي التي تسبب هذه الاعراض . والهيستامين نفسه اذا حقن في مقادير يسيرة سبب الاورام وهبوطاً في ضغط الدم وبض اعراض الصدمة التي تمتاز بها الامراض « الالرجية » . ومن بواعث القلق — لولا حكمة الخلق — ان يعرف الانسان ان في انساجه من هذه المادة ما يكفي لقتل عشرات من الناس

ويقال كذلك ان المواد « الالرجية » اذا دخلت مقادير كبيرة منها الجسم او عجزت الانساج عن حل ما يدخل الجسم بالسرعة اللازمة سببت اعراض الاصابات التي تقدم ذكرها . ويمزى عجز الانساج عن حلها بسرعة الى نقص في بعض مفرزات الغدد الصم . فبعضهم يذهب الى ان النقص هو فقط في مفرزات الكظرين . وآخرون الى انه نقص في مفرزات اللوة . وثمة تقارير طبية مختلفة وصف فيها استعمال خلاصات اللورقية او الكظرين او الميضين في علاج هذه الحالات

حيوانات مشهورة

وصحة اسمها

للفريق الدكتور امين الملقوف

أوردت في مقتطف ماضي شيئاً عن الحشرات واني موردٌ في ما يلي غيرها مما عثرت عليه في مؤلفات القوم منها الكلمات الآتية وهذه الحشرات مما لم أذكره قبلاً

Ant lion Myrmelcon

لَبِثَ عِشْرِينَ

بقرة بني اسرائيل . أم قيس . أم عوف . ابو عوف . دوية من عصية الاجنحة بأكل دموعها النمل فانه يحفر لنفسه حفرة في شكل مخروط قته الى الاسفل وقاعدته الى الأعلى ويندس فيها فاذا مرت نملة فوق الحفرة تدهورت الى أسفلها فيقبض عليها بمخيليه وينوص بها في التراب ويقرسها . وهو يسمى ليت غرين وبقرة بني اسرائيل وأبو عوف . في كان دموعاً فاذا نبتت أجنحة طارسمي أم قيس وأم عوف . والصبيان في مصر يسمون دموعه غزالة ولا أذكر ما كنا نسميه في بيروت

وهاك ما جاء عن هذه الدويبات في المختص من معاني ليت غرين ٨ : ١٠٣ . ليت غرين مثل الفسيقة لونه لون التراب يندس في التراب وفيه ٨ : ١١٦ « ابو عوف دوية غبراء تحفر بذنها وقرنها لا تظهر ابداً » وهذه الدوية غبراء تحفر بذنها وقرنها لا تظهر ابداً كما يقول كل من يعرفها ولا يخفى ان عوف تصغير عوف وهو الاسد . وفي حياة الحيوان « بقرة بني اسرائيل هي التي يقال لها أم قيس وأم عوف وهي دابة صغيرة لها قرنان تكون في الرمل فاذا أردت ان تخرجها فاطرح في موضعها قلة فتخرج » وهو أحسن وصف لها وقد كنا نلبث بها في بيروت ولستعص عن القملة بنملة فان امها تالم ترك لنا قليلاً لا يجامتا البيولوجية قلت ولم يذكر احد من اصحاب المجامع هذه القوية على صحتها

Aphid. A plant louse

أرقة . واحدة الأرقي الآتي ذكره

Aphidae. Plant lio

أرقي

فصيلة من الحشرات تصيب الزرع فتحدث فيه الآفة المعروفة بالأرطان

Aphis. Pl. Aphides

أُرْقَة

جنس من الأرقى يحدث الآفة المعروفة في السودان بالأسل وفي مصر بالتدوة السلية ونصيبها الأرقان

A. gossypii

أُرْقَة القطن . وهي تحدث فيه أرقان القطن أي التدوة السلية

A. mali

أُرْقَة التفاح

A. sorghi

أُرْقَة الذرة

الأرقى والأرقان والأرقان واليرقان وفيه لثات غير هذه آفة تصيب الزرع والثاس بشير منها اللون . أما في الثاس فلهشهور منها اليرقان وهو داء معروف عند الأطباء وعند العامة بهذا الاسم . وأما الآفة التي تصيب الزرع فتسمى في السودان بالأسل وفي مصر بالتدوة السلية وفي الشام بلن وسببها حشرات صغيرة تعرف عند العامة بلن . ولما كانت الأرقى والأرقان واليرقان ومرادقاتها نصيحة بهذا المعنى فقد اخترت اللفظة الأولى أي الأرق لهذه الحشرات وجملت واحدها أُرْقَة قياساً وتركزت سائر المرادقات لآفة الزرع خلا اليرقان فهو مشهور بمعنى الداء المعروف الذي يصيب الثاس . أما تسمية العامة لهذه الحشرات بلن فهو لأنها تحدث هذه الآفة الحلوة الطعم فسمتها العامة منًا . والبن مادة أخرى تكون على شجر البلوط والطرقاء والماعول وهي غير هذه

وسببها حشرات أخرى غير الأرق See Coccidae

هذه الفاظ وضعتها لما يعرف عند العامة بلن ولا انظني مخطئاً قلن عامة بهذا المعنى

شبكة الجناح (الكثور صروف) اسد الأرق والبن Aphid. Lion. Lacewing fly

Coccidae. Scale insects or Mealy bugs

ككسيدة . حشرات المنافير

نصبة من الحشرات تحدث المنافير في الشجر كالبن الذي يؤكل . ومنها حشرة القرمز المعروفة بدودة القرمز . المغز والمغشور شيء ينضج الثمام والمغشور والرمث مثل الصنع وهو حلو كالسل يؤكل وربما سأل ثناء على الثرى مثل الدبس وله ريح كريهة ج منافير . ومثله المغشور والمغشور . ولا شبهة ان المنافير هي هذه أي التي تضع المن

Coccinella punctata. Ladybird

دُعشوقة

خنفصة صغيرة مرقطة تعرف في مصر بام البيد

Coccinellidae

قصبة الداسيق . بنات البيد

نصبة من الجناح صغار مرقطات بالوان مختلفة

قلت وقد ذكرت للمعاجم هذه الحشرة باسم إبي البيد ولم تذكر الدعشوقة وقد أخذتها عن التاج قال : الدعشوقة بالضم دويبة والدعشوقة بالعين المحجة دويبة ويقال قصبة والمرأة القصيرة يا دعشوقة تعجباً لما يترك الهويمة أو هي شبه الخنفساء وفي حياة الحيوان الصغيرة فتج الدال دويبة كالخنفساء وربما قيل قصبة والمرأة القصيرة تديها بها قالة في الحديث وفي مختصر العين

الزبيدي أيضاً ألا أنه ضبطه بالقلم بفتح الـ في نسخة صحيحة . قلت وقولهم يا دسوقة مثل قولنا في ميوت يا ابو بليقة والابو بليق طائر ميم يوك كل دسوقة واحدة بلا تنظيف

لنصفه . دودة تقف عن ذباب يتطفل على الحيوان والانسان جميعها نف Bot, Bott

Botfly. Any of the Oestridae

ذباب يتطفل على النعم والابل والبقر والحيل فينولده منه النصف . والنبر لا يوسع وانما يبيض تحت الجلد ويخرج منه نف أما في الجلد او في مجاري الالف او في المعدة ولما كان النصف لا يوسع قالوا عنه دودة اذا دبت على البير تورم جلده وانتفخ وربما يكون ذلك سبب هلاكه

نبر النعم يتطفل على النعم فينولده النصف في اتونها Botfly of the sheep. Oestris ovis

Botfly of the camel. Cephalomyia maculata

يتولد نفه تحت جلد البير فيتورم

نبر الحيل يتولد نفه في معدة الفرس Botfly of the horse. Gastrophilus equi

نبر البقر Botfly of the ox. Hypoderma bovi and H. lineata

يبيض تحت جلد البقر فيتورم جلدها

Bots, Botts.

نصف

دود في انوف الابل والنعم او تحت جلد البقر والابل او في معدة الحيل واحدة نصف

Gadfly. Syn. Horsefly or Breeze fly. Any of the Tabanidae

ذباب من فصيلة النعم وهو ذباب كبير له خرطوم طويل يلسع به الدواب ويؤلمها الم شديد . ونعم الحار دخل النعمرة في اناه فاضطرب فهو نعمر والامة في الشام تقول نوعر ونسعمل النعمر لظمن الحادكا نعمر النعمرة . واسم النعمرة في السودان السرووت وهي كثيرة في امالي النيل . ولا يلسع الذكر من الثمرة بل الانثى وقد يطلق الانكليز هذه اللفظة على ذباب آخر هو النبر بالبرية وقد تقدم ذكره

Tabanus dorsivitta

سرووت في السودان

(See Botfly; Oestridae; Tabanidae)

Tabanidae. Gadflies

فصيلة النعمر الواحدة نمرة

ذباب كبير طويل الخرطوم يلسع لسماً مؤلماً ويمس دم المسوع والانثى هي التي تلسع اما الذكريات بالازهار . وقد تقدم الكلام على الثر وهو انواع كثيرة

Tabanus. Gadfly.

نمرة

ولا ينبغي ان الحشرات كثيرة تمد بالانوف في بعض النصال نحو عشرة آلاف نوع وقد ذكرت بعضها فقط

حَذِيقَةُ الْمُقْتَطِفِ

رباعيات الغزالي

للساعر الفرنسي مانه لاهور

الحب الصوفي — الشك

تألفها خليل منداوي



الحب الصوفي

٣ — الشك

كنتُ مؤمناً من قبل ، والآ ن ليس لي إلاّ الشك ،
أراني أقلّ جنوحاً وارتباحاً وقوةً للعسل .

شجرة العلم هي شجرة الموت
ونمازها مرّة المذاق للتذوق .

هذا النور الحار في هذه السماء الزرقاء
يخيل اليّ أنه نظرة أو قبلة الإله .

أين يشوي في الشتاء ؟

ومن أين ينبعث خان الآلهة الملهب حباً حيناً يمينا في الصيف ؟

وأنت أيها المصور الالهيّ الذي — على حوائط الأبدية وفي أعماق الفناء —

يتم صور السماوات والأزهار والأكوان الجميلة

قل لي : هل اعملت الانسان من بين الأكوان ؟

لماذا يقهر الشك الروح دائماً ؟

وخير من فينا يحطمه القدر ؟

وما يشيده الحب يهدمه الموت .

أي صاحب خلقنا ، وأي عدو خرقنا ؟

آه ! ما هو هذا الجسد الذي ينخره التدو سريعاً ؟

والحب الذي يموت علينا بهذا الصفّ النضير ؟

إذا قدرت يا الهيّ على ابداع الوجود مرة ثانية

فكيف تقادح حطك فيه غير كامل ؟

كنهر يجمع الرمال ويفرقها .

يجمع الزمن ويفرق طوراً بعد طووز من يستدعيهم الحب ويؤلف بينهم

غير مركّب أبداً ما لا يفتني .

يُحِيلُ ان السماء تقارن: السعداء في الحياة ؟
 انا لم احلم ابدأ بالبقاء طويلاً .
 هل يرون الكهول يضحكون ويسمرون بهناء ؟
 ان مائهم القاتم لا يولد في قسي شيئاً من الفيرة .
 انك خلقتني يا الهسي بدون رأيي !
 وها أنا ذاهب لأهوي في الهوة المجهولة ،
 من قبل ان ادرك اسرار وجودي الذي تفعلني عظيماً أكثر من الفناء !
 الحلم الذي تمناه حقيقة حين قام .
 واذا يتلاشى في ساعة يقطتك ترى أن روحك قد فقدت حقيقته
 كذلك الاموات يشككون في حياتهم النابرة .
 أرانا نمتي تأمن كالحجابين
 ونحن يتزق شعلنا على الدروب .
 اية غبطة تروك من ذلك ؟
 ولماذا الشريك يقضي علينا بالعك ؟
 المعركة انتهت ، والموتى — هنالك — واقدون .
 وقد حمدت جميع اصوات البنس والشقاء .
 وهذا السكون الذي يتلو كل حاصفة بشرية كم يعلن قوة هذا الفناء !
 والسماء الخلية التي قد وُتِيت !
 ما عسى يشيها ان يتألم الناس او ان يتهموا من ألمهم ؟
 وفي هذه الهوة البعيد قرارها ، هوة الزمن والنضاء
 ما قيمة شقاء ذرة طابرة ؟
 وانت خاضع لهذا القليل الذي هو كيانك
 إذا اتاك الموت فلا تصح ،
 قائماً الارض بخرج تُصِيب وسادة لنا ،
 نسيماً على أن نحلم لحظة قبل الرجل .

ان هذه البنية التي ربما كانت مجبولة
من رفات عمر ، أو فيريدون ، أو الاسكندر الكبير
قد تمجج في تشييد قصور للاحياء ،
ستيد الرياح تنفث آثارها ، ونثر ترابها .

اتما بأيدي القدر شهبون بالدُحَى الصغيرة ،
أو بكلمات وإشارات باطلة .

تختلط ، وتمحرك وتدور مصممة اصواتها
ثم يثمرها الصمت ، ثم يلفها الليل الملمم !

ايها العقدة السرية بين الدم والوجود !

آه ايها الحب لماذا دعوتني الى الظهور ؟

ايها الخيال الهائم بين الاخيلة المختلفة

والمحجب — مثلها — بهذا العالم المبهم ؟

إن سر الآله كامن في كل ذرّة . . .

والصوان يوارى في اعماق كراه كاليل في سكونه

هذا السر الذي تخفيه عنا الشمس .

مضى فنادر قصر الوجود المتوهج

غداً أو بعد غد ، هل أدري ؟

ولكننا سندور رقاً مهملين في الرماد المجدب لكل الآتي ذلك

الموت منهم الحياه !

الارض والصخور والبحار

وهذه الكواكب الساطعة !

والنفس البشرية مع آلهتها واحلامها وعقبريتها وجنونها

كل هذا يبني له أن يتلاشي في صدر السهاء النسيخ !

حلي وحده هو الذي ينطق بالجمال والصفاء
هذه الشمس النقية السموية التي توطئ في القرار .
ولكن عندما يقهر الوعي الانساني على أمره
قد تستطيع ان تشتمل بعده لامة ، ولكن صفاءها يتدو باطلاً .

تغذية جوفه ، وافصام كيمه ، وسروره بتخليد القضاء والشقاء بلا نهاية .
ألا ما هو كل هذا القضاء ؟ وماذا يدعوته الحياة ؟
ليسرع الموت الذي يتخذنا !

رجلٌ طائر أوحى بسفر تكوين الآلهة !
على أنهم لم يكونوا قبيل آلهة الاولى ، ولا قبل الاصباح الاول ،
ولا قبل الانسان الاول . . .
وأما الخوف او الحب عمرا السهاوات بالآلهة .

اشقانا من قبل — في الايام الماضية . . .
السأم والخوف ، التفرز والبض
وازدراء الدعاة البشرية .
لنتخس الموت أقل مما نخشاه فهو وحده يشفي كل شيء .

سليمان الذي كان عرشه مرصاً
يأمر ارواح الارض والماء !
ولكن السأم القاسي على المظالم
قد أكله في قة مجده .

اتمة ساعة أعلن فيها ان كل شيء باطل .
حتى الحب الانساني والحب الالهي —
ووجد ان الخير للانسان ألا يكون .
فهاذا يفكر البد اذاً — وهو دُمية في يد مولاه ؟

مع الموت وادناسه
كل شيء يحيا ويتجدد — وهذا نظام دائم
الفرسة والزهرة والحيوان
والخير النادر والشر.

ان غريزتك البهيمية للحياة كثيرة فيك
وإذا كان — لا شيء — يوقظ من الآن قلبك
والأشياء — عندك — يندو لا شيء ، ولا يثير فيك غيرة
فأقلع عن هذه الحياة غير آسف ولا خائف .

سيحل محلك من يولدون ،
ابناءك القتيان الأشداء .

فهل تحس أنهم بإزاحتهم إياك ظافرون جذلون بما صاروا إليه ؟
قال لي الموت « انطلق ! انك زحمت إنباءك ! »

انني ابغض ، واكره . . . بل كنت زمناً سكران بالبغض .
وكنت استمين اذا وقعت علي الفاحشة العامة بجائر يحطم هذه الهوام البشرية
والآن صرت اخجل من تفري المشغوم الذي فترته .

وعند ما نحس — في الحالة التي نغم فيها عن اصوات اصحابك الكتب —
نحس مرارة الحياة وشقاءها
وعند ما نئن ناعباً لان الحياة جرحتك
لحلم " بلانهاية الازمان " التي لا يحصى منها .

العوالم المغمورة في ابديتك ،
المتلاشية فيك ، ماذا سيحل بها ؟
اتحول الى حلم ، او شعاع برق ومضت ومضت ؟
لماذا هذا الاضطراب الباطل — لحظة — بهذا القضاء ؟

الشمر الأديب بالهسي قد اتخذ المادة عبدة
وأحبها فجعلها يوماً أمّا .
ولكنه الأيق هذا الذي الفت به وشجته
مقيداً بقيود هذا الحب التريب ؟

روحك ظهرت لي يا الهري في الشمس
حيناً رقيقة ، وأكثر أحيانها مشتعلة .
الا أنها كفت تألم وتنفق دامية
في بعض أسيات في التروب الفرزي ؟

اهواؤك الالهسية شبيهة بأهواتنا !
فلماذا تركب في رأسك هذه النجوم المجنونة ؟
اوليست قسك التي لا تقاها — يا الهسي —
غير هذه النفس التي تضطرب قلقة فينا ؟

منذ ذلك اليوم الرائع ، يوم ولادتك يا آدم
يفضي ذات الشماع في الايمان والشمس
وجودي والكون هما من كنه واحد
وقسي واضطرباها اجدتها فيه .

ايها المسخ الذي تحركه قس منظمة
ايها المسخ الاخرس ، يا أمي الطليعة !
هل انا ضيقك وضيقك ؟
ولماذا يخيل الي أنك لا تمكربن ولا تهللين إلا بي ولي ؟

ايها الشابة دائماً ، ايها الأم دائماً
ايها الحليّة الدلّة والمقدسة حيناً

يا مضاعفة المشهد دائماً — أيها الطيبة !
أني أراك قاسية كما أنت مشفقة وعذبة كما أنت مرّة .

قد قهمت قلمي خيراً من قبل حيناً لاحظت نفسك ؟
وفي قلب أبنائك الفاحشين ما وجدت إلا أياك :
ولا خطيئة فيهم إلا كنت أنت مصدرها

أيها الابل المزني للالسان !
أيها الابل : يا حلم ابن الكرى وراحته !
أيها الابل الهادئ الذي تسكن الاعمال فيه .
أيها البحيرة السوداء ، ويا أيها القبر الساكن الذي تظلم فيه عقولنا !

انك وانت حي — أما نحيا وتسمن بموت قهوس
وارتشاف دماء أجدادك الفارين !
ضع ما تأخذ !

وادخل بلا ضياء كنهز في بحر ، بحر الأكوان .

وفي هذا الكون المجنون الذي صنم (مايا)^(١)
تجد من قادم الحب يتدحرجون خلال الأشياء
ويضطربون لما بدون سبب ، يشربونها حقائق منشودة

الست مروّحاً بالدم المغمى ظلاماً ؟
حيث ثلاثي فكرتك وانت تحمل كثيراً
أصدم من الدم ، فالحب وحده يقفك
ويأخذ يدك ويهتف بك الى حياة جديدة !

(١) بحسب الحرافة الهندية

ألا بالرغم عن القنعر وعن الشقاء الذي يمضنا
لا تزال — هناك — لحظات سعيدة في هذه الرحلة الكونية
قالمهدوء في طرف المدوة الثانية
والسلام الأكبر تلقاه تحت مظلة الموت .

في بعض الأسياات حيث تذهل الحواس
يبدو لك الوجود كآثر آلهي رائع .
وتسقط الریح لما حلاوة الاشارة
ولمعات السباه تشبه الاالحان . . .

في فؤادي حفظت ذبول حبيك
الشبهتين بالازهار التي تطلها النفس علينا .
وفي فؤادي صفت شذا كيانك .
وعذوبتك تركتني رجياً .

انك تدري العقدة والفصل الاخير . . .
حيث لا نظر ولا كلام ثم لا شيء . . .

تذوق — لحظة ثانية — هذا التور وارشفه
تأمل واحلم
اعمل دائماً . . .
واصنع الخير . . .

خليل هندواي

« يتلوه : شفقة الاستسلام »

سَيَرُ الزَّمَانِ

الوحدة العربية

لحنا خباز .

روسيا

على مفترق الطرق



الوحدة العربية

لخاتمة

نشأت في السنين الاخيرة دعاية جدية الى الوحدة العربية . وجعل دعايتها ينادون بها في الاندية وفي الصحف ، مستبشرين او مبشرين بتآلف الاقطار العربية وقامها ومحالفها ووحدها . وقد تجاوز بعضهم هذا الحد الى التصريح « بالامبراطورية العربية » كما هو في حيز الامكان

وكان قد سبق قنفخ بالبوق هذي التهمة الجليلة المرحوم عبد الرحمن الكواكبي بكتابه الشهير « ام القرى » وذلك قبل نحو نصف قرن . وخفت ذلك الصوت بعدها ، الى ان تجدد في آخر عهد الملك فيصل الاول ملك العراق . فارتفع صوت ذويه بالتداه بها على اثر عودته من لندن ، ولتأس في تحليل ذلك مذاهب متباينة ، والذي اطله ان الدكتور قدري بك سفير العراق في باريس ، وقارس بك الحواري رئيس مجلس النواب السوري ، ورسم حيدر بك ، وغيرهم من امثالهم ، يرون ان تلك الوحدة لابد من تحقيقها ، وانها ثمرة طبيعية لتحرر الامم العربية من السلطة الاجنبية . فان كل امة حرة هي واحدة في حكومتها ونظامها ، كابطاليا والمانيا وبريطانيا وفرنسا واليابان وروسيا وغيرها من امم الدنيا . وكل عربي صميم يود من كل قلبه ، حلول اليوم السعيد ، الذي به تكون الامة العربية متحدة متوحدة منضوية تحت علم واحد . واذكر اني كنت احادث الاستاذ عبد العزيز العالبي ، الزعيم التونسي الكبير ، في امر الوحدة العربية . فقلت له ان حصول ذلك يقتضي الزمن الطويل . فاجابني فوراً : « وما هو الزمان ؟ ليس الزمان الا انت وانا . فتى اتفقنا على امر من الامور فقد حان وقته » : وجه هذا القول نظري الى ما للقوة الروحية من التفوذ في مصير الجماهير . على انه لم يعني عما يترض الوحدة العربية من العقبات . فهما تشر في قوسنا حجة الوحدة لا يمكنها ان تخفف صوبة ما يترض تحقيقها من العقبات . ولا اراني ارمي الى تبيط عزائم بني امي باشارتي اليها . انما هي نظرة علمية لا بد من الساتية بها اذاعة ما نسمع ونرى كل يوم من اعراض يقظتنا المباركة ، ورغبنا في ادراك شأو الامم الراقية في مشارق الارض ومغاربها . وسأطالع الآن العقبات على ان افرغ فضلاً خاصاً ، للاساليب والوسائل التي يجب ان نتخذها لتذليل هذه العقبات في سبيل ذلك الهدف السامي :

١- الوضع الجغرافي وصنوعية المراضات

نظرة الى خريطة العالم العربي ، قلنا نرىك حالاً ان تلك الاقطار غريبة الوضع ، لا مثيل

لها في بلاد غير العربية من الامم . بلاد تمتد من الاوقيانوس الاطلنطي غرباً الى جبال كردستان شرقاً . ومن جبال طورس شمالاً الى بحر الهند جنوباً . وفي وادي النيل تمتد الاقطار العربية الى قلب افريقية . واكثر هذه الاصقاع صحاراً وبلاقع ، يزرع فيها الزرع والضرع ، بل هناك ما هو اكثر من ذلك نكدآ ، وهو انها تزرع فيها الموصلات . وتمتد الخطوط الحديدية ، الاً ما كان من منشآت الاجانب . يستثنى من ذلك الخطوط الحديدية في مصر . على ان تلك الخطوط محمية لا تصل قطراً بقطر آخر من الاقطار العربية الاً ما يصل مصر بفلسطين اذا صح القول بانه خط واحد . ثم ليس في كل الاقطار العربية نهر يصلح لحر السفن فيه الاً النيل والدجلة والفرات . على ان للمواصلات فيها عذوبة وسفر الركاب قليل . ان تقارب الاقطار ، وسهولة الموصلات فيها وتوافرها من اول الشروط لامكان وحدتها . قابل الاقطار العربية بأي بلد آخر ، كاليابان او المانيا او فرنسا ، نجد اليون الفاسح بين هذه وتلك . والاقطار العربية ليست منتشرة في قارتين فقط ، بل انها في القارة الواحدة بعيدة المدى صبة المراس . مثلاً ، الاقطار العربية في افريقية تمتد من الاسكندرية الى قلب السودان نحو ثلاثة آلاف كيلومتر . ولكن امتدادها من بورسعيد الى الدار البيضاء في غربي مراكش هو اطول كثيرآ مما ذكر . كذلك الاقطار العربية في آسيا قاتها غير متألقة ، ولا متدانية ، فيها الشام ، وال عراق ينهما صحراء سورية ، ثم الجزيرة العربية بصحاريها ورمالها ، وجفاف بقاعها

ومن المعلوم ان الاقطار المتباعدة ، الصبة المسالك ، القليلة الموصلات تنشيء في اقوامها تمافرآ في المشارب وتباينآ في الاخواق . لان الانسان ابن الطبيعة . ولكل اقليم تأثير خاص في نفوس ساكنيه وفي اخلاقهم . فترسخ مزاج كل قطر في قومه على مدى الاجيال ، فتصير فيهم ملكات تبعذ رزعاها او يتصر . وهذا يحول دون تآمامهم وتساندم واتحادهم لجر المنافع ودفع المفارم ، فكيف يهون عليهم انشاء امراطورية على ما بينهم من بعد الدار ، وتباين الآراء والميول ؟ فان الوحدة السياسية اذا لم تكن اختيارية ، واذا لم تكن ثمرة الثقافة الواحدة والصيغة الروحية الواحدة ، قلما أن تكون مستحبة ، ولما ان تكون ، اذا أمكنت ، بلاء على الناس ، كما كانت حال الاقطار الخاضعة للدولة العثمانية

لكل قطر من اقطار العربية مزاياء الخاصة ، وطوائه ، وقائده ، وميوله . ولدى محاولة جمع هذي الاقطار لتأليف ، وحدة او حلف بينها ، يبرز التباين بين مزاياءها ، وتبدو صعوبة انصوائها تحت علم واحد . بل ان هناك تُغرأً أوسع ، وأدواء أشنع . حتى في اقسام القطر الواحد . مثلاً : بر الشام ، وهو اصغر الاقطار العربية ، وأقلها حظاً . ففي هذا القطر من تباين الآراء ، وتمافر الاخواق ، ما ليس له مثيل في قطر من اقطار الدنيا . فالتباين التماسي

بين الشمال والجنوب أمر تحققاته ، في معاهد العلم التي ضمت أبناء البلاد ضمن جدواتها . وهناك عناصر لا يحون امتزاجها بعضها ببعض . كالدروز والموارنة والتسيرة واعراب البادية . وعلاوة على ما ذكر هناك « اليهود » وهم سائبون نظيرنا ، ومع ذلك ، فإن بينهم وبيننا ما صنع الحداد . وقد ضاعت حكمة اساطين السياسة في أوروبا وأميركا أمام المشكلة اليهودية في فلسطين وارجو القاريء العزيز أن لا يذهب عن فكره ان في القطر السوري من الادمغة والهلم الشفاء ما يميز نظيره في أقطار هي أوسع مساحةً وأكثر سكاناً . تلك حقيقة لا مرأى فيها ، تؤيدها شهادات أقطاب العالم المتمدن . ومع ذلك فأنت ترى ما فيها من الانقصاب وتماثر الاذواق ، وعدم التوافق . فإذا كان هذا هو الواقع في قطر واحد صغير ، فما ظنك في الاقطار المتباعدة ككسر وحضرموت او الجزائر والراق ؟ فهذه أول عقبة في سبيل الوحدة العربية

٢ - الفقر

هو الداء الضال الذي لا يفتح فيه دواء ، ولا رقية ولا تمويذة ولا حيلة . الفقر اعضل الادواء البشرية واعصاها على نفس الاجتماع والسياسة . هذه الاقطار العربية ، على جودة اقاليمها — بعضها لا كلها — وموقعها الجغرافي الممتاز ، قاتها صلة الوصل في العالم ، وبالرغم من ذكاه اقوامها وصفاء فطرتهم ، بالرغم من كل ذلك يحقق بها الفقر المدقع ، الفقر الاسود وكيف يمكن ان تصان الوحدة والامة طحيزة عن الدقاع ؟ هذي هي بشارتنا ببحر العرب وخليج عمان ، والبحر الاحمر بخليجبة العقبة والسويس ، والبحر المتوسط ، وبوغاز جبل طارق ، وشرقي الاطلنطي . هذي هي البحار التي تفصل الشطوط العربية ، فكيف بارحة فيها لنا ولكم لسافة ولكم طراد ؟ فلنفرض جدلاً ان الوحدة العربية ، التي نحلم بها ونعلم بها ، قد حصلت فإذا في طوقنا للدقاع عن الشطوط . وهب ان الحكومة حاولت ان تقعد قرناً داخلياً فكيف مليون جنبه يمكنها ان تقرر ، وماذا عساها ان تفعل بتلك المبالغ ؟ . اذكر ولا انسى يوم اعلن الدستور الثاني سنة ١٩٠٨ ، وهبت الامة لتتولى الدقاع عن نفسها . فأذاعت جمعية الاتحاد والترقي ، وهي يوم ذاك حكومة ضمن حكومة ، اذاعت هذي الجمعية نداء في عرض البلاد بضرورة التبرع لانشاء اسطول عثماني يتولى أمر الدقاع عن شطوط الممالك المحروسة . وتبارى رجالها في كل بلد في هذا المضمار . فكانوا يدعون الاعيان والاغنياء ، ويستبشرونهمهم لخدمة الوطن ، « قررنا انشاء اسطول عثماني ، فهاتوا آرونا غيرتمكم » . فكيف جمعت الممالك المحروسة بمد بذل الجهود الحثارة ؟ الذي اذكره أنها جمعت نحو نصف مليون جنبه . فإذا عساها أن تنشئ بهذا المبلغ ، والبارحة من الطراز الاول تكلف ثمانية ملايين جنبه ، ولكم سفينة حربية يلزمنا لحماية شطوط الامبراطورية العربية التي نحلم بها ؟ . ولكم مليون يلزمنا لانشاء جميع تلك البوارج

والطرادات وغيرها من السفن الحربية، لا تفزو، بل للدفاع ؟
 وإذا عجزنا عن ذلك قال أي مستند نستند في انشاء امبراطورية اوسع من كل دولة في
 الارض اطولها شطوطاً؟ وما قوته في الاسطول يقال في الجيش البري. فيلزم من الاموال
 مالا يستهان به. واليك شاهد أحسوساً « مصر » اليوم. قالتا بناء على المعاهدة الحديثة فيها
 وبين انكلترا صار يحق لها، بل يجب عليها، زيادة الجيش للدفاع عن يضة الملك. واجتمع
 الوزراء مراراً وتبادلاً في الافكار، وسموا اقوال الحبراء، وانتهوا الى نتيجة مضبوطة وهي :
 أن انشاء جيش مؤلف من عشرة آلاف يكلف الدولة عشرين مليون جنيه او اكثر. وان
 مصر، مع ما يستدعي موقعها الحاضر لا تكاد تقدر ان تجند في العام القادم ثلاثة آلاف. فكيف
 يلزمها لتبث نصف مليون؟ ولو أنها تولت الدفاع وحدها لما كفاها نصف مليون. ويلزمنا
 للدفاع عن الامبراطورية العربية اكثر من ذلك كثيراً، فأين الاموال؟ ان فقر العالم العربي
 يقل يده عن انشاء الوحدة لانه يرى نفسه عاجزاً عن الدفاع. اللهم الا أن تكون وحدة
 زائفة خالية من مؤهلات الاعتبار والاحترام فتتدو السوبة في ايدي الاجانب

٣ — ضعف الزراعة والصناعة

الزراعة اول حصر في بناء الاجتماع البشري، وهي استغلال الطبيعة : ومنبع الثروة بلعنى
 الصحيح. والصناعة هي الخطوة الثانية، وهي ثمرة تصريف الغل بالبلاد. والارتقاء الصناعي
 لصيق العلم وظاهرة المدنية. وقد جل افلاطون الزراعة والصناعة، في كتاب الجمهورية،
 أم السران، وضامن السكيان. وعلى تبادل المنافع بين الافراد والجمهير تدور رضى المدنية
 والسياسة والارتقاء. وارتقاء الزراعة والصناعة في بلر أمانة ضوان الارتقاء. ولا يمكن ان
 ترقى أمة وزراعتها منحلة وصناعتها متفجرة. فما هي أحوال هذين الركنتين — الزراعة
 والصناعة — في العالم العربي؟ ليس ثمة من يجبل ان الاقطار العربية متأخرة في الامرين.
 وذلك أم اسباب الفقر في بني فسطاط، لان الصناعة والزراعة. ورد الثروة الاول
 أجل ان الضطر المصري، وهو أسبق الاقطار العربية مديناً، فيه نهضة زراعية وصناعية
 أيضاً. وقد خطا في مساعي الري خطوة كبيرة الى الامام. وقد صاحب ذلك نبوغ مهندسين
 وطنيين كبار، عدا الحبراء والاختصاصيين الاجانب المستخدمين في مصلحة الري بوزارة الاشغال.
 فصر هذا الاعتبار جادة في أثر الامم الحية. وأرى ان العراق يسير في اثر مصر ويستند في
 نهضته اليها نوعاً. وذلك ظاهرة حياة في مصر والعراق، ومقدمة ارتقاء في العالم العربي. أي
 اقدر ذلك قدره ككؤوج زيه للنهضة العربية. على ان زراعتي لا تأذن لي بالتعالي فالفالاة.
 فليست أجهل ان نهضة مصر والشام والعراق محلية واجتدائية. فلم يبلغ قطر من هذي الاقطار

مصاف الالم الراقية في احد ركني الحضارة . فلا تزال ، نحن العرب ، في اول اشواط الارتقاء ويتقصنا من الصناعات الشيء الكثير ، كصانع بناء السفن ، والبوارج ، والقاطرات ، والترام ، والسيارات والطائرات ، والقواصات ، والاسلحة ، والكوشوك ، والآلات المنوعة ، كآلات النسيج وآلات عمل الجوارب ، وآلات التطريز والزركمة ، كذلك معامل صنع الخرذوات ، كلرايا والازرار والابر والمبايس واقلام الرصاص ، والورق والحبر وأنواع البويات والاصباغ وغير ذلك من الصناعات التي لا بد منها للاستقلال . هذا ما أقوله في أرقى الاقطار العربية ، فإذا ترى في الجزيرة العربية والسودان وبعض اقطار المغرب ؟ هل لها صناعة وزراعة تؤذنان بادماجها في عداد الالم الراقية ؟ لا أرى معلماً عاقلاً يجمل ان الجواب ، مع الاسف ، سلبى . كنت في اليابان أدهش لرؤيتي مبلغ القوم الزراعى ، وقد لمست في ذلك حقيقة النهضة اليابانية . وكذلك في صناعتها . فلما أشرقت على أوسا كا سنة ١٩١٨ وفيها يومذاك سبعة آلاف معمل ، ورأيت مداخل المعامل في ظاهرها المدينة ، ودخلها يكاد يحجب نور الشمس عنها ، عذها فهمت معنى النهضة الحديثة ، وتمتعت بليلتي العربي نهضة نظيرها . وقد عجلى هذا الافتتاح للخاص والعام في السنين الاخيرة لما غمرت المنتوجات اليابانية أسواق العالم . ورأى ابناء العرب والضاد للتسوجات الحربية اليابانية ، والحداييد اليابانية ، هذا عدا الخرذوات والبواجر اليابانية ، وعدا الراديو وغيره من مصنوعات اليابان . وما أقوله في اليابان اقول اكثر منه في الولايات المتحدة الاميركية عوفي فرنسا وانكلترا والمانيا وايطاليا . ولا أجهل ، ولا أنكر أننا مسبقون في ذلك ، ومسبقون كثيراً ورب قائل يبارضني : ما علاقة تقدم الزراعة والصناعة بالوحدة العربية ؟ : اجيب هنالك كل العلاقة . فالتقدم الزراعى والصناعى شرط لازم لامكان الوحدة . فقد يكون ارتقاء صناعى وزراعى دون حصول الوحدة . ولكن الوحدة لا تكون بدونها . لان الوحدة ظاهرة حياة شعبية . والارتقاء الزراعى والصناعى اول ظاهرات الحياة . فلا يمكن حصول الوقت خلواً منها . ثم ان الزراعة والصناعة ادوات الوحدة تستعين بها على غلبة الصعوبات وتسهيل الامر . ولا يمكن امة في ايم الارض ان تدرك وحدتها دون تقدم حقيقى زراعى وصناعى . بل انما اذا كانت موحدة وتأخرت في الزراعة والصناعة ضفت اواصر وحدتها وانهار ركن اجتماعها ، فتتفصب وتتفرق ايدي سبا ، شاهدك المحسوس في ذلك الصين . فقد كانت الصين امة واحدة ولكن تأخرها صناعة وزراعة اتمى بتفكك اوصالها ، وتمزيق وحدتها . وليس غزو اليابان اياها علة ذلك الانقسام بل تبعيته ، كما ان غزو الترك الاقطار العربية ، وقضاء الاسبانيين على ممالك الاندلس العربية ، لم يكن علة الانقسام في الجسم العربى بل تبعيته . فالانقسام اول الاستبعاد ثانياً . وارى — وكلامي هنا سابق وقته — ان كل جهد في تحسين الزراعة والصناعة

هو خطوة الى الامام في بناء الوحدة العربية
يقع ذلك ، او ينشأ عنه « تبادل المنافع » بين الاقطار العربية . وتبادل المنافع هو الرابط
الاجتماعي العظيم . وتم الوحدة العربية والكونية حين يكمل نظام تبادل المنتجات على الوجه
الائتم . وليس الحل والشقاء في مساك الأمم والدول ، في عصرنا وفي كل عصر ، الا ظاهرة ،
او نتيجة عدم الانصاف في تبادل المنافع . فتبادل المنتجات ، في صورته الكاملة هو مجلى حياة
ومجد اشراق تلك الحياة . ترى ذلك في الجسم العضوي كالانسان مثلاً فان نظامه الفسيولوجي
صورة مصفرة لبناء الدولة والوحدة التجمعية فادام الجسم سليماً من الآفات ، والحياة آمنة في
عرشها والصحة مالمكة زمام الاعضاء ، كان التعاون وتبادل الاتاج بين الاعضاء ، على اعمه . فيقوم
كل من القلب والرئتين والمعدة والكبد والكليتين والبنكرياس وظيفته الخاصة ويمد الاعضاء
الأخرى بما يلزمها . فاذا اعتلت الاعضاء احتلت علاقاتها ، وانصرفت المواصلات ، وتطل
التبادل ، قيدت على الجسم امراض الموت . هذا هو حال ام اوربا واسيا واميركا ، وهو حال
المجموعات القبلية ، وحال الوجود في ما اعتقد . فاهي المنتجات التي تتبادلها الاقطار العربية ؟
اروجح الى ألحمة البصادر والوارد في مصر وسورية والعراق واليمن وغيرها من سائر الاقطار
العربية . ويدخل في ذلك الاصطيف والمشتى والسياحة ، وكل انواع التواصل والتعاون الاجتماعي
وخلاصة ما أقول في هذا الفرع هو ان تأخر الزراعة والصناعة والاتاج ، وقلة التبادل
في المنتجات ، عقبة في سبيل الوحدة العربية المرغوبة

٤ — اختلف المقاييس

يدخل هذا البحث تحت التباين في الحالة النفسية . لكنني اخصه بالذكر هنا لما له من شأن
كلنا فلم ما حدث في الحجاز بين المصريين والوهابيين في امر الحمل المصري وكيف اشتبك الفريقان
في القتال . ولولا الملك عبد العزيز انقذ الموقف بمحكمته لساءت الباقية . على أنه مع ما اهدى الملك
عبد العزيز من الحيلة والمهنة ، ومع اتقائه الموقف بلباقة وشمم يستحق عليهما قدر الناس اياه
قدره ، مع ذلك تصرعت العلاقات بين القطرين الشقيقين نحو عشر سنين . ولماذا كان ذلك ؟
الفريقان عرب . والفريقان مسلمون . ولصر في الحجاز اباد يرض . قلنا تتفق هناك كل سنة عشرات
الالوف من الجنبيات . وليس ثمة قطر عربي أوفر سخاء في الحجاز من مصر . فلو أن هناك امة
محبة الى قلب آل محمد ، فذلك الامة هي الامة المصرية . فلماذا كان التباين والتنازع بينهم وبينها ؟
الامر واضح . انه « اختلاف المقاييس » . مصر تحب الموسيقى وتحسبها ظاهرة حياة قسبية طالية .
والوهابيون ينكرون ذلك ويحسبونه ظاهرة خلاعة وجناية على الروح . المصري يزامل زوجته
الى السينا ، وقد يصحب صغاره أيضاً ، والوهابي يرفض ذلك ويقاومه . المصري يرسل بناته

الى المدارس الوطنية والاجنبية للتخصص في العلوم والفنون . والوهابي يحسب ذلك عاراً . المصري يحمل طارضية والوهابي برخيحيته . المصري يدخن وذلك ينكر التدخين . أقول ان اختلاف المقاييس هو كل السبب في نزاع الاخوين وتجايفهما . وهو اس التباين بين الشرق والغرب ، وبين الشيوعيين والديكتاتوريين ، وبين النفس والجسد ، وبين الارض والسماء . فكيف تنفى الوحدة مع اختلاف المقاييس والقيم ؟

هنا يدخل توحيد الثقافة ، والكلام فيها ليس من اختصاص هذي المقالة ، فاكثفي بالإشارة ان تفاوت الاقوام في المستوى الاجتماعي والعمراني والمدني والعلمي يقيم في سبيل وحدتها اصعب العقبات . فاذا كان احد الفريقين يتكلم الانكليزية والفريق الاخر الروسية فلا تفاهم بينهما . واذا راما التفاهم لزمهما الترجمان او القاموس . هذا هو موقف ام هي على درجات متفاوتة في سلم الارتقاء . فلنكي يمكننا توحيد الحطة يجب اما ان اصد اليك او انك تزل الي . ولما كان منهج الطبع الارتقاء ، كان نزولك الي غير مشروع ، فوجب ان ارفق اليك . ومتى كنا في مستوى واحد فحينذاك ، ليس الا ، يمكننا ان نسير معاً جنباً الى جنب وكتماً الى كنف

ان ما قلته في ايام الاقطار العربية يصح في المائلات ، وفي العلاقات الزوجية . فادامت المقاييس في عين الزوجين متباينة لا يمكنهما ان يستما بسعادة الاتحاد . فالزوجان السيدان هما الاذان عندهما مقاييس واحدة . فاقدمه الزوج قدسة الزوجة ، وهكذا . فاذا تباينت مقاييسهما حل بهما الشقاء

٥ — الميل الى الانشعاب

عرف هذا الميل في اليونانيين القدماء . فتمنر عليهم الانضمام تحت علم واحد . فكانوا ممالك عديدة ، حتى في بعضها كانت كل مدينة مملكة . لذلك لما تكلم افلاطون في الجمهورية مثل عليها ببلدية . لان المدينة في عرف اولئك المنقسمين هي البصلة . أما في تمدن اوربا الحديث فليس الامر كذلك ، بل نرى فيها كل امة تحت علم واحد ، فجميع الفرنسيين يخضعون لحكومة باريس ، وجميع الانكليز لحكومة لندن . وهكذا الالمان والروس والايطاليون وغيرهم . أما في العالم العربي فليس كذلك ، فلنا دول مستقلة متميزة في امة واحدة . هذي الين . والى جانبها حضرموت ، ثم الحجاز ونجد ، تليها العراق فسورية فصر . يأتي بعد كل ذلك المغرب باقسامه تونس والجزائر ومراكش ، ولانسي طرابلس والسودان . وقد بلغ من بعضهم الاعتصام بذلك حداً حسب عندهم السمي في الوحدة افتتاً وجناً ١١ والسبب في ذلك ميل الجنس العربي — كما كان في الجنس الاغريقي — الى الانشعاب

والانشعاب اسهل على الحياة القطرية من الاتحاد . ففي الحياة المادية التقدم من الواحد الى المتعدد . فالتبث اصله واحد ثم انشعب . والمائة اصلها واحد ثم تعددت . هذا هو منهج القطرة .

اما في الحياة الروحية فالتقدم هو من المتمد الى الواحد . الاصل في بني حواء فرادى . فاذا ارتقوا روحياً تقاربت افرادهم وتواصلت قبادلت الحياة . زى ذلك كله في الجسم الضوي فاذا برحت الحياة ، وبهكمت فيه نواميس للمادة تبعث وتشتت اجزاؤه حتى صار تراباً . اما اذا سادته الحياة فان اجزائه تقربط وتساند ، فالاجناس التي ما زالت على الفطرة يمز عليها انشاء الوحدة ، وعليه تقسم الامم في الطور الاول الى عشائر متباينة متبايزة . وفي جزر فيليين لكل جزيرة لغة خاصة ، وهكذا في العشائر الافريقية ، قتمداد اللغات في امم اوربا هو كالحروب من موروثات التديم ، والارتقاء آذن بتوحيد اللغة لا بقوقعها . فالامم العربية أقرب الى الفطرة منها الى الارتقاء . ومع ان يعض افطارها لاس المدينه وصمد في سلم الارتقاء ، ما زالت سنة الفطرة تسود احكامه . فمها يكبر الرضيع لا يزال يصبو الى التهد . وترى في اكبر الشيوخ الميل الى اوصاف الطفولة كللرح والكاه والشهوة والتزاع . فانشاء الوحدة العربية عمل تقدم ايجابي يثاقيه الميل العربي الى الانشعاب . فان البدوي لا يعرف الخضوع للظلم في دائرة واسعة . ولا يحترم انكار النفس في سبيل حقوق الغير . لذا كان الغزو عنده مشروعا . ومحن الحضار اخوانه شركاؤه في تراث السلف « الصالح » . كنت اقرأ كتاب تاريخ الجين للعلامة الشيخ عبد الواسع ابن يحيى الواسعي الجباني ، راعبا في الوقوف على شي من شؤون اخواتنا في قلب الجزيرة يصح الاستشهاد به في موضوعي والاستناد اليه . فاستوقف نظري تعداد العشائر في نهامة الى حذر تضع عنده الحافظة . وقد شغل ذكر العشائر المتبايزة اكثر من ٤ صفحات ، ولكل عشيرة مزايها الخاصة ومقاييسها . يقيم ذلك صعوبة كاداء في سبيل الوحدة العربية كنظام سياسي كذلك كانت إيطاليا في بدء تاريخ رومة . وكانت عشائرها وحدات متبايزة بحارب بعضها بعضاً ، كما فعل عشائر الاعراب اليوم . وبعد سقوط الامبراطورية الغربية في عهد شارلمان طادت إيطاليا الى الانشعاب . وانقسمت الى اقاليم عديدة . وفي بعضها الحكم لمدينة واحدة كالبندقية وفلورنسا وجنوى ونابلي وهكذا . وظل الانشعاب الى النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث نشأت الوحدة الإيطالية بمساعي كافور وغاريبي ومازيني وغيرهم . وقد قم بعضهم ، وأنا معهم ، على دول الاستثمار لانها قسمت البلاد الى وحدات صغيرة يسهل اذدادها . فوجدوا ما يدعونه شرق الاردن . فلسطين . لبنان . سورية . سنحج الاسكندرونه . وهكذا . على اني لا أنكر انه ثولا الميل العربي الى الانشعاب لاستحالة حصول ذلك . وعندي على ذلك شواهد لا عمل لانياتها لاضيق المقام هذي بعض عقبات ذكرتها مختصراً ، وقد تجنبت فيها ايراد الشواهد : وعندي ان هذا البسط لا ندحة عنه لوصف الحطة القوقعة التي نخنطها في سبيل التغلب على هذه العقبات ، والآنجاه الى تحقيق الوحدة . وهو موضوع مقالة على حدة ، ان شاء الله

روسيا

على مفترق الطرق

مضت سنة ونصف سنة وروسيا السوفيتية تعاني أزمة داخلية شديدة ، بدأ بعض مظهرها في محاكمة انقلاب الثورة البولشفية وفريق من اكبر قواد الجيش واعدامهم ، وما لازم تلك المحاكمة ، من اعتراف المحاكمين اعترافاً ليس فيه أثر من الرجولة بل كل اثر من الضعف والتخاذل ، وما كشف عنه التحقيق من ستم بالخيانة والتدمير موجهة الى الرؤساء في اعلى دوائر الحكومة ، وما تبعا من فقد روسيا جانباً كبيراً من الثقة التي احرزتها في العهد الاخير في اوربا وامريكا ولا سيما بعد اعتراف حكومة الولايات المتحدة الاميركية بها واتظامها في جامعة الامم في خريف سنة ١٩٣٤

فهل ستالين دكتاتور روسيا مصاب بمجنون الاضطهاد ؟ ألم قض الحوادث الاخيرة الي زعزعة الاركان التي يقوم عليها النظام السوفيتي ؟ وهل من المحتمل ان يبقى ظل حكمه الدكتاتوري ميسوماً على روسيا ؟

لتصرف النظر عن السؤال الاول . فليس في ما يعرف عن اعمال ستالين وحالاته ما يكفي لتناول ذهنه وحالاته النفسية بالتطيل السيكولوجي والطبي المجدي . ثم انه التامس اللال النفسية التطورات السياسية المعقدة ، قد يضل بالباحث عن طريق الصواب حتى في البلدان التي تحكم حكماً دكتاتورياً

الا ان السؤال الثاني ، يرمي الى تبين اثر الحوادث الاخيرة في مكانة ستالين وهل عززتها او زعزعت من اركانها ؟ ويقول باحث متكرر في مجلة الكومموري وعنه نقل — انه الرد على هذا السؤال لا يمكن ان يكون ايجاباً صرفاً ولا سلباً بحتاً . ذلك انه اذا نظرنا الى ستالين على انه زعيم الشيوعية ، وقائد للحركة التي ترمي الى احداث الثورة المالية ، فلا ريب في انه قد فقد جانباً كبيراً من سلطته وقوته وقته بنفسه . وهذا يفسر ما يشاهد في الاحزاب الشيوعية في مختلف البلدان من انقسام وتزعاع ، ولذلك عدت موسكو بعدما كانت الى عهد قريب محجة جمع الشيوعيين المستقبلي الرأي في العالم ، وهي غير ما كانت عليه . ولذلك يرى البائر في هايد بارك بلندن خطيبين شيوعيين يحطبان ، احدهما في جوار الآخر ، اولهما يحتمل علم ستالين والآخر نعت علم تروتسكي واتباعه . ولذلك يصح القول بان التهمة التي يوجهها تروتسكي في مقالاته وكتبه الى ستالين ، بانه خان الثورة الشيوعية المالية ، لها ما تستند اليه .

والواقع ان ستالين اليوم غير ما كان عليه سنة ١٩٣٣ او في السنوات التي تلت وفاة لينين . فبعد ما كان الزعيم الثوري للاشتراكية الدولية أصبح الحامي الحاكم بامره لمصالح روسيا القومية . فاذا نظرنا اليه على انه الرائد للرحلة التالية من الثورة البولشفية التي يصح ان نسميها مرحلة البولشفية الوطنية ، وجدنا انه عزز مقامه وأيد سلطته نتيجة للحوادث الجسام التي وقعت في روسيا في العام الماضي . ولعله غير مدرك تماماً هذا التحول الداخلي في نفسه . بل لعله لا يزال يعتقد انه الامين على ميراث لينين . ولكن الواقع ان ستالين زعيم الثورة العالمية قد انقلب رجلاً آخر هو زعيم البعث القومي في روسيا . فوفقاً الآن من الوجهة النظرية ، هو الموقف الذي يستخلصه الباحث من حديثه مع ولز حيث وصف بأنه رجل يواجه حقائق الحال وقد اضطرته زرعته هذه الى تعديل خطته وفقاً لتحول الحالة الدولية . اما هل يعود بمد ذلك الى موقفه الاول موقف زعيم الثورة العالمية ، فمن الصعب الحكم فيه وهو غير محتمل على الارجح ان هذا التحول في نفسية ستالين ، وفي تطور روسيا السياسي ، ليسا من نتائج المصادفة . بل هما مظهران من مظاهر الخطر الخارجي الذي يحف روسيا السوفيتية . فقيام المهر هتار في المانيا ، وأمله المقود على توسع المانيا في شرق اوروبا ، قد أثرا في اتجاه الفكر الروسي وسياسة روسيا الداخلية . ثم ان مطامع اليابان في الشرق الاقصى أيدت هذا الاتجاه . وقد كان للحروب الخارجية ، في تاريخ روسيا الحديث ، تأثير كبير في نظامها الداخلي . لذلك قال لينين ان الشيوعيين لا يستطيعون ان يدلووا في جغرافية روسيا . فالشاة روسيا الحديثة على يدي بطرس الاكبر ، كان نتيجة النزاع الطويل مع نده السويدي . والاصلاحات الثورية التي ادخلها على البلاد ، لم تكن وفقاً لبرامج أعداءه للاصلاح ، بل كانت أعمالاً قضت بها الحاجة لمواصلة الحرب . ثم ان حرب القرم أفضت الى انهاء الرق الزراعي والحرب الروسية اليابانية الى وضع الدستور ، والحرب العالمية حولت روسيا القيصرية الزراعية المتأخرة في شؤون الصناعة الى الدولة الشيوعية الاولى في ظل دكتاتورية الهال

أما اليوم فان مخاطر الحرب التي تهدد روسيا من الداخل والخارج تؤثر في نشوئها الداخلي قبل وقوعها ، لان الدولة ترى حتماً عليها ان تبذل كل جهد لتأهب لها ولو كان في كل عمل فعله في هذا السبيل ، ما يتنافس برنامج الحزب الشيوعي وخطته

ان نظام الدولة السوفيتية نفسه قد بدأ يتغير وفقاً لمقتضيات الحالة الدولية . حتى تحقيق برنامج السنوات الخمس الاول والثاني ، يحيج في المقام الثاني بالقياس الى الاصلاح الدستوري في البلاد . لقد عدل الدستور الاميركي الذي وضع من قرن ونصف قرن احدى وعشرين مرة . ولكن الدستور السوفيتي الذي أنشئ من اربع عشرة سنة قد قنع كل سنة تقريباً . وللمرة الاولى في

السنوات الأربع عشرة الماضية، فصح المجال في الإصلاح الدستوري الذي تم في السنة الماضية، لمثل
الاحرار والديمقراطيين . وكان ذلك على اثر الخطبة التي خطبها ستالين في ٤ مايو سنة ١٩٣٥
عندما بين قيمة « الشخصية » التي طاملا أنكرتها روسيا الشيوعية

ان الحكومة الروسية القائمة ترى انها في اشد الحاجة الى توسيع الاساس الاجتماعي الذي
تقوم عليه سلطتها رغبة منها في تعزيز قدرة البلاد على الدفاع . واخذ لا بد من مسألة الناصر
التي كانت تعادها قبلاً . ولذلك نص الدستور الجديد على أن جميع الروسين ماعدا المصايين
في عقولهم سيمنحون حق الانتخاب عندما يبلغون السنة الثامنة عشرة من العمر . فلا ينظر بعد
الآن الى نشأة الرجل او المرأة في بيت من بيوت الاشراف او الارستقراطيين . لان روسيا
الجديدة ستقسم من الوجهة النظرية على الاقل ، « جميع المرايين وجواسيس البوليس » اسوة
بالعمال . ثم إن الخدمة العسكرية والانتظام في الجامعات لن يكونا ميزة مقصورة على العمال . بل
على الضد من ذلك اصبح اقطاب الحكومة يصرون بان الخدمة العسكرية ، عمل شريف يجب
على كل روسي . ومن مظاهر هذا التحول ان فرسان التوزاق الذين كانوا من اللد خصوم
البولشفية ، قد أعيدت اليهم امتيازاتهم وملابسهم الخاصة . ذلك ان الحكومة تريد أن تضم تحت
لوأها جميع القوى في سبيل الدفاع عن « الوطن الروسي » !

إلا أن ما تقدم لا يكفي لانه يتصل بمظهر الدولة فقط . ولكن العقول والنفوس يجب ان يغير
ما بها ، وتعد لنهوض بالاعياء التي تواجهها . واذا بحث باحث في الصحافة السوفيتية الآن
حمله على الدهش ما يراه فيها من تبدل في اللغة وأصاليب التفكير . فهي تستخرج الآن من
دفائن الماضي الفاظاً كانت الثورة البولشفية قد حظرتها . هو ذا كلمة « الوطن » يجب ان تظهر
في كل مقال افتتاحي . « والوطنية » صفة تجمد بكل اسلوب من اصاليب التمجيد . قالت
الاسفستيا في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٣٧ :— « الوطن ! ما اعظم ما تقطوي عليه هذه اللفظة البسيطة
من المعاني تثيرها في نفس كل روسي . انها تميز عن أجل وأعلى وأبلى شعور بحول في
نفس الوطني السوفيتي . عبة المرء لبلاد ، والتباهي بقومه ، والشعور بقوته التي لا تقب ،
والاستعداد للخدمة ، والتضحية بالبلية اذا اقتضى الامر ذلك »

لقد قل بل ندر ما يذكر الآن في الصحف عن العمال الروس وأنهم رواد الثورة المالية .
وحل محلهم القول في عظمة الشعب الروسي وبعد ما ثرو القومية . فالصحافة الروسية ترسخ
في اذهان الشعب الروسي المباهاة بتاريخه وادبه وقته وبطائه اباته . وكتابتها يسدون الى
التعقيب في التاريخ الروسي فيستخرجون منه صفحات المجد وينشرونها على الناس
حتى الادب الروسي غدا يستعمل وسيلة لغرض الدعوة في سبيل جمع القوى والتأهب

للدفاع . والمؤلفون الروس يُحْثُونَ على معالجة مشكلات الدفاع عن الوطن وتتميز حبه وروح الضحية في سبيله في نقوس القراء . وقد بُعث الاناشيد الوطنية الحماسية التي كانت شائعة في العهد القديم ، لأنها مرتبطة بكثير من الاساطير التي تمجد ابطال الدفاع عن الوطن في مختلف عصور التاريخ . بل ان النهاية الوطنية في روسيا قد اخذت قسم بسمة الغلو في الوطنية . فالشاعر الروسي لوجوفسكي ، هدّد من عهد قريب بطرده من جماعة المؤلفين الروس لأنه حاول ان يخرج طبعة جديدة لاشعاره القديمة التي يصف فيها كآبة القرية الروسية وجفاف الطبيعة فيها ثم هناك تعليم التاريخ . وفي هذا الميدان نجد تبدلاً طاهراً . فقد قال احد الرحالة الانكليز ، انه عندما زور البلدان الاجنبية يعني عناية خاصة بمطالعة كتب التاريخ التي تدرس في المدارس لأنه يجد فيها أبليغ دليل على اتجاه الفكر في تلك الامة

ولا ينبغي ان أقطب التورة البولشفية في روسيا عمداً بعد التورة الى تفسير كتب التاريخ التي تدرس في المدارس ، فألقوا ستاراً كثيفاً على مكانة « الشخصية » في التاريخ ، مع ان لإجلال شخصية لينين جنتلر كان قد بلغ مبلغ العبادة . وجعلوا يفسّرون كل حادث تاريخي ، بأنه يُظهر لانزعاج بين الطبقات . ولكن هذه النزعة قد أخذت تتبدل . وغدت كتب بوكروفسكي القائمة على تفسير التاريخ تفسيراً اقتصادياً بحسب مذهب ماركس — وهي كتب أُنشئ عليها لينين ، وطبعت منها ملايين النسخ ووزعت في المدارس — غدت هذه الكتب في نظر الحكومة السوفيتية الآن منافضة للاسلوب التاريخي السليم . كانت كتب التاريخ تعتمد الى تمجيد عهد الوثنية الروسية قبل دخول المسيحية ، ولكن الكتب التي تُولف وتدرس الآن تُشير الى دخول المسيحية البلاد كعامل من عوامل الارتقاء . وبطرس الأكبر الذي كان يوصف بأنه طاغية مستبد بالجماهير الروسية ، غداً « فيمراً حكيماً نجماً للارتقاء » . والامثلة على هذا التحول في كتابة التاريخ وتدريبه كثيرة فاكثفنا منها بما تقدم

هذا السعي الى افراغ حياة الشعب الروسي المقلية ، في قالب النزعة الوطنية القومية ، بصيغة سعي آخر الى العودة بالحياة الاجتماعية الى حالة الاجتماع « البورجوازي » . فالنزعة الحرة بادية الأثر في الدستور الجديد ، حيث يترف بحقوق الانسان على مثال ما بسطت في الدستورين الاميركي والفرنسي

ثم هناك تحول عظيم الشأن في النظر الى حياة الاسرة ، رجع منه أن تحول روسيا من بلاد « الحب الحر » الى بلاد الاسرة المتهاككة . وقد صدرت قوانين متعددة غرضها مكافئة الموقف المحرّج عن الشعور بالسيولة نحو الاسرة وواجباتها فالطلاق الذي كان سهلاً جداً وضعت في سبيله القيود . وبهذا كان الراغب فيه الى عهد

قريب ، بكتفي بكتابة ورقة بقرر فيها هذه الرغبة ، فيسح الطلاق ، اضحي كل طلاق جديد يقتضي من طالبه للحصول عليه ، دفع مبلغ اضافي من المال للدولة ، يزيد بزيادة عدد طلبات الطلاق. وكان الاجحاض عملاً شرعياً خلال ست عشرين سنة ، اما الآن فهو محرّم لأنه ضار على ما يقولون ، ومن يحاوله أو يتم به يماقب عقاباً شديداً . فالامومة أصبحت في هذه النظرة الاجتماعية الجديدة « واجباً عظيماً » والوالدات اللواتي يلدن ستة اولاد او اكثر تمنحن الدولة امانة خاصة على مثال ما تفعل الحكومات الفاشستية

وما تبيّننا من اثر الانحياز الجديد في الانظمة السياسية والاجتماعية نجده كذلك في ميدان التعليم والادب . فقد استردّ المعلمون سلطتهم على الطلاب ، وطادت الجامعات توزع الالفاظ والترتب العلمية على مستحقها . وزاد الطلب على مؤلفات الكتاب الروس النظام بما يدل على ان القارئ الروسي قد أخذ ينصرف عن « الادب الاشتراكي » التي وضعت مؤلفاته باسم الدولة ، الى مؤلفات الكتاب والشعراء الروس الذين احرزوا أعلى مكانة في الادب العالمي كبوشكين وتورجنيف وتولستوي وغيرهم

وقد طادت رواية « آنا كارينا » تأليف تولستوي ، اوسع الروايات انتشاراً بعد رفع الحظر عنها . ولا يقل الطلب كذلك على مؤلفات الشعراء والادباء الاجانب كجوته وبيرون وهيئي وبلازك ، بل إن مسرحيات شكسبير ، تحسب « قمة الدراما الكلاسيكية »

ان حماسة الروس الثورية قد بلغت ، على ما يظهر ، مرتبة الجود وراقص الثورة الذي اندفع الى اقصى حدوده في ناحية قد أخذ يرتد الى الناحية المقابلة . وهناك آثار لإعياء وخمود بادية في جميع مسالك الحياة . فالنزعة الى مواجهة الحقائق اليومية أخذت تحل محل الحماسة الثورية وكذلك يمكن ان يقال ان الثورة البولشفية قد بلغت المرتبة التي تلهم فيها الثورة ايمانها — اي الافكار والمنهات الثورية — بل ومبدعي تلك الافكار والمنهات . وليس ذلك بالغير . فالتحول من الثورة والانحراف عن سبيل الشيوعية المستقيم الى مسالك « القومية البولشفية » ، ما كان يمكن ان يتم بغير نزاع ضيف ، تام وخاص . وقد كان شبان الشيوعيين في مقدمة الذين بشوا بأسئلتهم الى مكاتب الصحف ، لانهم على ما قالوا طاجزون ان يفهموا مغزى الكلام على الثقافة القومية حالة انهم نشأوا ورسخ في اذهانهم مقهم واحترامهم لثقافة الخاصة بالمال . ثم ان الانصراف عن السعي الى بث الثورة العالمية ، حال بعض اقطابها قاعترضوا عليه . وهذا يفسر اعدائهم . ان التحول الجديد ، يقتضي ازالة النزعة للثورية من سبيله . وقد أصدر ستالين امره من عهد قريب بض جماعة البولشفيك القدماء ، ومن بلغاوقات بايزوي الآن ، من ان ستالين وهو سكرتير الحزب الشيوعي ينوي ان يقضي على الحزب في شكله الحالي . وما يلحق بهذه النزعة ، فهو الحكومة

الروسية في استقبال الشيوعيين الاحباب الذين يجيئون موسكو حجاجاً او لاجئين . ان معظم هؤلاء ، يرون في روسيا الحالية ، هيكلاً احلامهم لا غير .

اما اعدام المارشال توخاتشفسكي فلا يمكن ان يفسر تفسيراً معقولاً بما تقدم . والذين يبرفونه يؤكدون ان تهمة الخيانة والتواطؤ مع اعداء روسيا ، وهي التهمة التي وجهت اليه رسمياً عند محاكته ، ليس لها ما تستند اليه . والراجح انه سلك سلكاً معيناً املته عليه وطنيته . فالحلفاء بين الحكومتين الالمانية والروسية الآن لا صلة له بما بين الشيوعيين من تآمر في القوق والطيمية . ومردّه الى عداوة مقبل بين الفاشستية والشيوعية . ومع ذلك ففي الرخصفهر ، في عهد الريح الثالث اسوة بسعد الجمهورية ، فريق مع الاقطاب من رأيهم الاتحاق مع روسيا . وقد كان توخاتشفسكي في للتصّب الذي يمكنه من فهم الخطر الذي يتعرض له وطنه اذا اضطر ان يحارب دولتين عسكريتين عظيمتين في الشرق والغرب في آن واحد . ولعله حاول حينئذ ان ينصل بذلك الفريق من الرخصفهر الذي يؤيد فكرة التغامر مع روسيا ، يباعث من شعوره الوطني وادراكه للخطر الذي يحف بروسيا . وليس من المستحيل ان تكون مساعي من هذا القبيل منطوية على فكرة نزاع داخلي او مؤامرة على ستالين . والواقع ان تطور روسيا الداخلي ، الذي وصفناه في ما تقدم كان قد انشأ جواً صالحاً لاحداث انقلاب على يد قائد كبير . ولو وقع هذا الانقلاب ونجح لكان من شأنه تعزيز النزعة القومية في روسيا . ولكن ستالين علم بما يدور فصره ضربه الفاضية ، وباعدام توخاتشفسكي فقد الجيش الاحمر قائداً من اعظم قواده واعظم جرائه .

والآن — هل يطول حكم ستالين ؟ وهل يدوم حكم هتلر ؟ وهل تخرج اوربا سليمة بوجه عام من حرب طالية اخرى ؟ وهل ثمة امل ما في اجتناب هذه الحرب ؟ انها اسئلة من صنف واحد ، وهي متصلة بعضها ببعض اوثق اتصال . ومن اليسر ان نحاول التنبؤ بما يقع في روسيا متمذّر ، ولا سيما وهي تجتاز ازمة داخلية ضعيفة وتحولاً اساسياً بعيد المدى . وانما يمكن ان يقال ، ان ستالين قد عزز سلطته بالقوة والبطش ، وان لا ريب في انحرافه رويداً رويداً الى ناجية الطريق « البولشي القومي » ، بضغط القوى الخارجية التي تهدد روسيا . والبادي للباحثين المجريين عن المهوى الآن ، ان دكتاتورية ستالين اقل تمرداً للسقوط الآن من ارت ثلثين — ارت الشيوعية الخاصة والثورة السالية .

ان مقبرة ثلثين الفخمة لا تزال قائمة في الميدان الاحمر بموسكو . ولكن هل ينبعث منها الآن ، كما كان ينبعث في الماضي ، نور وحي قوي وايمان راسخ ؟ لقد علمنا التاريخ ، ان الانصاب كثيراً ما تهدد تأخيرها في النفوس بانقضاء قليل او كثير من الزمن عليها !

باب التربية والخدمة الاجتماعية

التعليم على قمة مهبل
لكاتب الاميركي لويس اداميك

زلاقة الثقافة والعلم والنبوغ
خطبة الاستاذ محمد المشاوي بك

تاريخ حيدر وأغراض نبيلة
للسيدة انصاف منصور فهي بك

مدرسة عجيبة حيث يتعلم الطلاب
كيف يعيشون وكيف يفكرون

التعليم على قمة جبل

في هذا المقال النفيس ملخص واف لتجربة خطيرة في ميدان
التربية وصنفا للكاتب الاميركي الكبير لويس اداميك في مجلة
هاريزر لالاميركية وتلقاها من ملخص اليفرزديجيست محمد سعد فوزي

ليست بلدة « بلاك ماونتين » - أو الجبل الاسود - إلا بلدة جبلية صغيرة يحيط بها
الاخودود الازرق الكبير من جهة وسلاسل الجبال الشاهقة من الجهة الاخرى في ولاية
كلورينا الشمالية باميركا . وعلى منبسط من شهاها قامت « كلية الجبل الاسود » في بناء على طراز
الفنادق الصيفية تملكها جمعية الشبان المسيحية ولا تزال تستعمل الى الآن في شهور الصيف
كمسكر للكشافه الشبان

عندما اجتزت ردهة الكلية لم يكن في بقي ان امكث فيها الا ما يقضي الزائر العادي -
ربما ساعة او بض ساعة . ولكنني بقيت فيها شهرين ونصف شهر ادرس ما يمكن ان يصحى
اهم الابتكرات التربوية في تاريخ اميركا الحديث

إن بداءة كلية الجبل الاسود سنة ١٩٣٣ اتخذت شكلاً يصعب تصديقه . ولست ألتح في
قولي هذا الى الدكتور جون رايس الذي كانت جامعة رولينس بجلادلفيا قد طردته لانه كان
مصدر قلق دائم فيها لما اتصفته به آراؤه في التربية والفلسفة من الجرأة والخروج على المألوف ، ولا
الى ذلك الفريق من المدرسين الذين ابدوا رايس وفقدوا بسببه وظائفهم . ولكنني لا ازال
أذكر وأعجب بمنظر اولئك الشبان ، وكان عددهم خمسة وعشرين بين شاب وقاعة وهم لا يزالون
في العشرين من العمر أعجب بمنظرهم وقد انضموا بجله اختيارهم الى اولئك الاساتذة الثوار في
مشروعهم الكبير لتأسيس كلية حين كان كل مجهل طريقة الابتداء في السبل او على اي اساس
من الناحية المالية يقوم

ولقد نجح المشروع . فقد تمكن الطلبة باكتساب عام من مساعدة اساتذتهم على جمع مبلغ
يسير من المال يكفي لاستئجار المكان المذكور عدة شهور وشراء بعض اللوازم للمدرسة
ومخزين بعض الاطعمة لتكفيهم بضعة اشهر . واحضر كل طالب معه وكل مدرس كتبه الخصوصية
وجمعوها في غرفة واحدة وسموها « مكتبة الكلية » واتفقوا على ان يقوموا بالاعمال اليدوية
فيها بالتناوب . وعند انتهاء السنة الاولى كان كل مدرس قد سحب من « الخزنة » مبلغاً قدره

سبعة رالات وسبعة وعشرين سنًا في الشهر أي نحو جنيته ونصف وذلك لشراء الضروريات من ملابس وغيرها . واخذ عدد الطلبة والمدرسين يزداد تدريجياً ويمكن القول ان العدد قد يصل في بحر الثلاث السنوات القادمة الى مائة وعشرين طالباً وطالبة وثلاثين مدرساً ، وهو أقصى عدد يمكن أن تتسع له الكلية في مكانها الحالي

وليس للكلية مجلس اثناء ولا مجلس ادارة ولا عميد ولا اي مدير يمكن ان يتدخل في عمل الاساتذة . ولما كان جون رايس هو الذي انشأ هذه الكلية فهو في منزلة المدير ولكن جميع القرارات الخطيرة تصدر من الجمعية التي قوامها بعض المدرسين يختارهم زملاؤهم ومندوب او اكثر عن الطلبة . والكلية عبارة عن دولة صغيرة أساسها الديمقراطية والمساواة التامة فتدبوا الطلبة يقفون على قدم المساواة مع مندوبي هيئة التدريس . والمدرسون يجتمعون مع الطلبة للنظر في مسائل الكلية العامة ومشاكلها كل شهر مرة او عند ما تقتضي الحالة عقد هذا الاجتماع

ولقد اقيمت سياسة التدريس اول الامر على طاق الدكتور رايس . ورحمى طريقته الفلسفية في التعليم الى تخرج شبان ناضجين عقلاً « واطففة » وهو يقول في ذلك « إن مهمة المدارس هي تخرج طلبة لا يمتازون بمقدار ما تعلموا فقط ، ولكن بما في استطاعتهم أن يستفيدوا مما تعلموه . وكنيتا تخرج شباناً يعلمون أن الحياة ما هي الا سلسلة تداون محكمة الحلقات »

وموطن جون رايس في جنوب كارولينا وهو ابن قسيس ويبلغ من العمر الآن نحو سبعة وأربعين عاماً ويتصف بكمثير من النشاط الجسمي والعقلي . أما صراخته وإخلاصه فلا يرقى اليها الشك . وهو كثير التصب لمهنته . ولقد استوقفت نظري شخصيته أولاً وتملكتني حساسته ولكنني ارتبنت في نظريته المتفائلة الى مشروعه الكبير . ثم استوقفت بعد الدرس والتسميع من أن طريقته التعليمية لا بد وأن تال نجاحاً عظيماً في المستقبل القريب

والتلم في تلك الكلية ينحصر ويتركز في شيء واحد — التجربة والاختبار . فالطالب يجد هناك ببيئة من العلوم العادية ومن فيها الموسيقى ودراسة الفراما والقانون الجميلة . وهو مضطر أن يبتص كوحدة في هيئة اجتماعية مشدود عراها . وإذا استثنينا اثنين من الاساتذة يعيشان مع زوجتيهما وأولادهما في جناح خاص ، قلن باقي الاساتذة يسكنون مع الطلبة في بناء واحد ويأمنون في غير واحد ويقومون بتمريضهم الصباحية مساءً في صحن المدرسة الواسع . ويتناول الجميع الطعام في أوقاته المحددة في حجرة الطعام الكبيرة حيث يضم اليهم الزميلان المتزوجان مع زوجتيهما والاطفال

وليس في الكلية موظفون . وإذا استثنينا الطباخ ومساعدته وخادمين ورجالاً يهتم بالدفأة

في شهور البرد الفارص ، فان الأعمال البدوية جميعها يقوم بها الطلبة والاساتذة معاً بغير فارق
ففي أوقات الطمام يخدم الطلبة الاساتذة دوراً وهؤلاء يخدمون الطلبة دوراً آخر وهلم جرا .
والطلبة الذين يدفعون أقل من التكلفة المقررة للكلية أو الذين لا يدفعون شيئاً قط لا يطلب
منهم القيام بأي عمل إضافي في خدمة الطلبة الآخرين . والحكمة في ذلك سامية وهي أن
الطالب الذي يدفع أقل من غيره يشعر بضائقة تخرج عزة نفسه إذا خدم طالباً آخر يعرف
أنه يدفع أكثر منه ، ومن الناحية الأخرى فان الطالب الآخر قد يداخله الفرور وتغلب نفسه
التفحظة الكاذبة

ويبلغ عدد طلبة المدرسة الآن سبعة وعشرين شاباً واثنين وعشرين فتاة مختلف أعمارهم
من الثامنة عشرة الى الخامسة والعشرين . وليس في نظام الكلية ما يحتم قبول الطلبة في من معينة .
والكلية لا تهتم بدرجات الامتياز التي نالها الطالب في المدارس الثانوية بقدر ما تهتم بشخصيته
ومدى استعداده لتفهم مبادئ الكلية وقبولها . أما شروط الانضمام فاثنتان المقدرة على الاستفادة
من المعيشة في وسط كوسط الكلية ثم الذكاء النفسي ، وهم يفضلون أن يكون الطالب شجاع
الرأي سامي الاخلاق محباً للحق مدافعاً عنه . وكثيراً ما تقبل الكلية انتظام بعض المصاين
بنقص في عقولهم في سلك الطلبة وقصدها من ذلك هو محاولة اصلاح امرهم من جهة ومن
الجهة الأخرى إتاحة الفرصة للطلبة الماديون لتعلم كيفية المعيشة والاختلاط مع من هم أقل منهم
نمواً في العقل

ولما كان المطلوب من الطالب هو أن يتعلم كيف يعيش بنفسه وكيف يقرر ما يراه صالحاً
لنفسه بنفسه فان الكلية لا تفرض على الطلبة مواد معينة ولحسن على الطالب أن يتقدم الى
امتحانين الاول عند انتهاء سنتين من دخوله الكلية والثاني بعد أربع سنوات . أما المواد التي
يختارها الطالب والطريقة التي يتبناها في التعليم فذلك راجع اليه أولاً وآخراً . وفي إمكانه أن
يدرس بنفسه وتحت إرشاد مدرس أو يحضر الحصص اليومية المخصصة لباقي الطلبة . ولكن
المتفق عليه أن يواظب الطالب على حضور الحصص الدراسية في بدأ دخوله المدرسة . أما بعد
ذلك فالمعلم كدء يقع على عاتقه الشخصي

وطالب القسم الاعدادي في الكلية يجد الفرصة متاحة لتجربة عدة مواد حتى يستوفي من المادة
التي يميل اليها أكثر من غيرها . والاشتغال من القسم الاعدادي الى القسم العالي يتوقف على
الطالب فهو الذي يقرر متى يكون ذلك . وليس معنى ذلك هو ترك الطالب وجهه على ظروبه

لان الاساتذة مستعدون دائماً لإسداء النصح الى الراغب فيه . اما الطالب الذي يعتقد انه
 "أم" دروسه العالية ويريد التخرج فليس عليه الا ان يعلن الكلية بذلك في صورة التماس
 باعطائه الاجازة ويكون ذلك مشفوعاً بملخص وافير لما يعرف من المواد التي درسها . واذا رأت
 الكلية بعد استشارة الاساتذة ان الطالب يستحق اجازته فلها تدعو بعض المبرزين في هذه
 المواد من الخارج لامتحان

أما في أيام العطلة الصيفية فيذهب الطلبة الى منازلهم وفي آذانهم يدوي صوت أساتذتهم وهم
 يحثونهم على زيارة المنشآت الصناعية الخفيفة والامتزاج بالبيئات السياسية والاجتماعية ويطلب
 منهم عند رجوعهم كتابة التقارير المفصلة عما شاهدوا وتعلموا

ولعل أغرب ما شاهدته في الكلية هو تعاون الاساتذة والطلبة وأنحاء الفوارق بينهم
 انحاء تاماً . فلقد شاهدت الاساتذة يشتركون مع الطلبة اشتراكاً قليلاً في جميع الاعمال
 التي تتطلبها الحياة اليومية في الكلية من غسل الصحون ومسح الارض الى قطع الحشب واصلاح
 الطرق وعميد ملعب « التنس » وغير ذلك

ويمنع طالب كلية « الجيل الاسود » بحرية فلما يتمتع بها طالب آخر فله الحق كل الحق
 في ان يضحى على أعمال مدرسيه بالتدريس كما ينقد هؤلاء أعماله . وله مطلق الحرية في ان يقول
 ما يشاء عن أي شيء في أي وقت شاء مع تحمل العواقب بالطبع . ويحضر بعض الاساتذة —
 ومن بينهم جون رايس نفسه — بعض الفصول كطلبة ويجلسون مع الطلبة ولا يفرق
 بينهم مطلقاً

ومعظم دراسات الكلية تم خارج الفصول . وكثيراً ما رأيت الطلبة يجتمعون فرقة فرقة في
 صحن المدرسة ورايس يشغل بينهم فهو هنا يشرح مسألة صعب فهمها وهناك تراه جالساً
 كطالب مؤدب عادي ثم هو هناك يناقش الطلبة في مبادئ الكلية وأعراضها . او في
 مشكلة اجتماعية او سياسية . وأحياناً ينضم جميع الطلبة والاساتذة لمناقشة إحدى المسائل العامة
 ويوالون النقاش اثناء تناول الغداء والشاء وكثيراً ما تمتد المناقشة الى وقت متأخر من الليل
 فيتفق الجميع على ارجائها الى الحديث يستمد كل فريق بحججه وادله الى ان يصلوا الى
 القرار الاخير

وقد تكون اهم اغراض الكلية هي اعداد الطلبة لمواجهة الحياة الصحيحة بيزم وشجاعة
 وتفريحيهم خبيرين بالطبيعة البشرية رجالاً ونساء يتمدون على انفسهم ولا يقصرون في حياتهم في اخطاء
 في زيجاتهم او علاقاتهم الشخصية بغيرهم او ما اشبه ذلك او تكون اخطاؤهم في ذلك أقل
 من اخطاء غيرهم . وبيئة الكلية تظهر نفسية الطالب تماماً فإراء الجميع على حقيقة صكا

رى هو قرارة نفسه في وضوح وجلاء وربما لم يكن يعرف ذلك من قبل . والطالب الذي يريد ان ينجح نفسه يجد الفرصة مؤاتية له فليس هناك قواخين ولا لوائح . ولكنه لا يلبث طويلاً حتى يرى الفرق بين سلوكه وسلوك اخوانه الطلبة فان التقدير الذي تقابل به اعماله تجعله يصجل من نفسه ، وهو قد خال دائماً من الغرض او الذبح الاليم . والرغبة في مساعدة الغير متوافرة ودأمة وقوية ونيية . والطلبة القدماء يحاولون جهدهم تقوم اخلاق الزميل الجديد واصلاح اعماله

ومن المواد الاساسية التي يدرسها الطلبة في الكلية دراسة الدراما والروايات التمثيلية وهي ذات فائدة عظيمة كما سيجيء بعد . ويقوم الطلبة مع الاساتذة بتأليف خمس روايات تمثيلية كل سنة وتمثيلها واخراجها . وفي ذلك يقول جون رايس :

« فابقنا — إذا أردت مثلاً — أن نظهر شاباً تملأ نفسه غريزة الطغيان في دور الطاغية حيث يرى عواقب طغيانه واضحة جلية . ونحن نخلق لفظاً دوراً بناسه ولشئني عملاً يؤديه . ومن الناحية الاخرى فنحن نعين للطلبة أدواراً نخالف طبيعتهم كل المخالفة فالطالب الفني يقوم بدور رجل قد هداه الفقر وحطمه . ولضع الفتاة الفقيرة في مقام امرأة غنية تفسد . أما دور الشاب الحائر المتشكك فيوحى اليه معنى الكفاح في الحياة ولقد النصر ويريه كيف يموت المرء راضياً دافعاً عن مبدأ اعتقه . . »

وموارد الكلية محدودة وهي لا تكاد تكفي لانتهاء العام الدراسي . وربما يأمل الجميع ان يهبط عليهم ذات يوم ملائكة من السماء ويرميهم بمائة الف جنيه فهم في اشد الحاجة الى مكتبة عصريّة كاملة ومعدات كثيرة . ولكنهم في الحقيقة يخشون النسي الفاجي ، ويفضلون حالتهم الحاضرة مع ما فيها من عنت . ولا يقبل أحد منهم ان يتقدم لتويلهم غني ما اذا عن له املاء شروط خاصة على إدارة الكلية

قد تكون عظمة الكلية في الوقت الحالي أنها محاولة لا تزال في المهد ولكن الفكرة فيها على كثير من السمو . ويفكر كثيرون من خريجي الكلية في انشاء فروع اخرى على غرارها في انحاء الولايات المتحدة . والسائد انه في نهاية العام الدراسي الحالي يكون لدى الكلية هيئة تدريس تصلح مع من ينضم اليهم من الطلبة القدماء كنواة لانشاء فرع جديد . وأنا اعتقد اعتقاداً جازماً ان عشرين كلية من ذلك الطراز تضم كل منها مئة وثلاثين طالباً وثلاثين مدرساً في امكانهم ان يقلبوا طرائق التعليم الحالية رأساً على عقب . وأعتقد ان الف طالب يخرجون منها يمتد اثرهم الى جميع المرافق في حياة العالم الجديد .

الخدمة الاجتماعية

افتتاح مدرسة لها في القاهرة

— ١ —

زكاة الثقافة والعلم والنبوغ

خطبة الأستاذ محمد الشماوي بك

وكيل وزارة المعارف

طلالما تخبت ان اتق مثل هذا الموقف ببدأ عن دائرة عملي الحكومي ، في ميدان حر ، ارحب بمشروع حر كهذا المشروع الذي نخفل به اليوم . لذلك احمده الله ان هيا لي هذه الفرصة التي اناحت لي ان ابدي عظيم الاعجاب بهمة هؤلاء السامعين الذين اخرجوا هذه المؤسسة ، متمدنين على انفسهم وعلى الجمهور ، يستمدون منه نشاطهم وقوتهم ، ثم يمكنون عليه ما استمدوه منه ، فيبشرونه للاعمال الصالحة ، ويرشدونه الى النهج وسائل التزية والثقافة والاحسان ويمثل هذه الجهود المثمرة بيا الشعب للاشتراك الفعلي في الميادين الاجتماعية . واقوم سبيل للوصول الى هذا الغرض هو ان يتولى المفكرون ارشاد الناس الى اتباعهم والاحتذاء بهديهم . واعتقد ان للجمع كل الحق في مطالبة هؤلاء المفكرين بتقديم جزء من تفكيرهم وثقافتهم للجمهور وهذا الجزء هو الزكاة التي يجب ان يؤدوها لمواطنيهم بما اكتسبوه من ثقافة وعلم ، وما حباهم به الله من تفكير ورأي

واني لا علم انهم يفرضون في بعض البلاد على كل صاحب عمل منتج ان يخصص جزءا من جهوده ، بدون مقابل ، للاعمال العامة التي تعود بالنفع على المجتمع : وهذا هو ما اسميه زكاة الثقافة والعلم والنبوغ ، وهي لا تقل شأنا عندي عن زكاة المال ولعل اهم هذه الجهود ، وخصوصا في مصر ، هو ما يبذل منها في سبيل اصلاح المجتمع . واول خطوة في هذا السبيل هي تنظيم الخدمة الاجتماعية

لعل الكثرين يسألون عن ماهية الخدمة الاجتماعية ، وافضل تعريف اطلمت عليه هو تعريف وضعه مؤتمر دولي عقد في السنوات الاخيرة لبحث وجوه هذه الخدمة ، ففسرها بانها هي مجموع الجهود التي يقصد بها تقديم المونة في التواحي الآتية : —

١ — تخفيف الآلام التي تنشأ عن البؤس : وهذه الناحية يمكن ان يطلق عليها ناحية

« الخدمة الملطفة »

٢ — وضع الاشخاص والامر في ظروف طيبة تلائمهم : وهذه الناحية هي ناحية « الخدمة الشافية »

٣ — منع وقوع الوباء الاجتماعية : وهذه هي ناحية « الخدمة الوقائية »
 ٤ — تحسين حال المجتمع ، ورفع مستوى المعيشة : وهذه هي ناحية « الخدمة الانشائية »
 فتلطيف اثر المصائب ، وشفاء الاشخاص مما يفتابهم من الملل ، ووقاية المجتمع من الحطوب ،
 وانشاء النظم التي تحسن حالته وترفع عنه : تلك هي اغراض الخدمة الاجتماعية
 ولا ضرب لحضراتكم مثلاً تظهر فيه هذه الاغراض : تصوروا الفلاح وهو عماد المجتمع
 المصري ، اذا اصيب بمرض خطير يقعه عن كسب الرزق له ولعائلته : هنا تتدخل الخدمة
 الاجتماعية لتقدم لاسرته الطعام والشراب والمسكن وما اليها ، وهذه هي « الخدمة الملطفة » . ثم
 يجب ألا يهمل علاجه ، وان يوفر له ما يحتاج اليه من دواء حتى يشفي ويستطيع ان يستأنف
 عمله : وهذه هي « الخدمة الشافية » . ثم اذا شفي من مرضه ، وجب ان تدبر له ولعائلته معيشة
 صحيحة تفهم شر الوقوع في الامراض مرة اخرى : وهذه هي « الخدمة الوقائية » . ثم يجب
 ان تنهض لهذا الفلاح وامثاله نظم معينة لضمان راحتهم وهناءتهم ، وان يوفر لهم ما يحتاجون اليه من
 ثقة وتسليية ورياضة وما الى ذلك : وهذه هي « الخدمة الانشائية »

هذا بعض ما يمكن ان تؤديه الخدمة الاجتماعية . فهلاً ترون حضراتكم ان بلادنا في أمس
 الحاجة الى ايدي كثيرة تقوم بهذه الخدمة في مختلف المرافق ؟

ضربت لحضراتكم مثلاً بحاجة الفلاح اليها . ولقد خطر هذا التل يالي لاشراكي في
 بحث مشروع المجموعات القروية الذي اقترحه حضرة صاحب العزة الدكتور عبد الواحد الوكيل
 بك احد أعضاء مجلس ادارة الجمعية المصرية لدراسات الاجتماعية ، التي تحتفل اليوم بافتتاح مدرستها
 أخذت أفكر اثناء دراستي لهذا المشروع الجليل ، الذي قصد به تحسين حال الفلاح ، فيما
 يحتاج اليه من ايد عاملة ، لان نجاحه يتوقف على الجهود التي يبذلها أعضاء المجموعة التي تباشر
 تحسين حال القرية . ويجب ان تتضمن كل مجموعة طاملاً اجتماعياً ، فكم من مئات من هؤلاء
 الاجتماعيين تحتاج اليهم بلادنا للاشتراك في رفع مستوى القرية من الباحتين المعنوية والمادية . وكم
 كنت اود لو أتيح لعدد البلاد نصيب كبير من الثقافة الاجتماعية يمكنهم من المساهمة في هذا الاصلاح
 واذا تركنا الفلاحين ونظرنا الى الحال او المجرمين من احدث وكبار او الى اللقطاء وللتشردين
 او الى الطبقات الفقيرة بصفة عامة ، وجدناهم جميعاً في حاجة كبيرة الى من يطلع ادواءهم ثم يشفيهم
 منها ويقيم من الوقوع فيها مرة اخرى ثم ينشئ لهم نظاماً ثابتاً وجادة رغدة هائلة

وليس افراد الشعب فقط هم الذين يحتاجون وحدهم الى الخدمة الاجتماعية بل ان كثيراً
 من الهيئات والمرافق العامة كالمستشفيات والملاجئ والمدارس ، في سبيل الحاجة الى طائفة من
 الاختصاصيين الاجتماعيين لينهضوا بمسئولياتهم ويحققوا لها الوصول الى الغرض الذي أنشئت من

أجله . على أن هذا العمل لا يمكن أن يؤدي على وجهه الاكمل الا اذا درست أساليبه الصحيحة دراسة علمية . وهذه هي الدراسة التي من أجلها نشأ مدارس الخدمة الاجتماعية في الامم المتقدمة واني لأرجو ان تقوم المدرسة التي نحضر اليوم افتتاحها الرسمي بما تؤمله فيها من تخرج اخصائيات واخصائين في الشؤون الاجتماعية يسدون النقص الكبير الذي لشعر به الآن في الميدان الاجتماعي . واتهنز هذه الفرصة لوجه نظر الشابات والشبان الى هذا المجال الفسيح ،

ففي الاشتغال به ما يقلل البطالة ويوفر عملاً شريفاً نافعاً لطاقته كبيرة من المتعلمات والمتعلمين ولم يفت وزارة المعارف ما للدراسات الاجتماعية من كبر شأن في المجتمع ، فأوفدت بمئة منذ سنتين الى اوروبا لهذا الغرض وهي تفكر الآن في ايجاد بنات أخرى . كما انها عملت على انهاء عيادة نفسانية (سيكولوجية) في معهد التربية لمعالجة الاطفال الشواذ بمدينتين اسباب شذوذهم وهذه ناحية هامة من نواحي الخدمة الاجتماعية للمدرسة . كما انها تدرس الآن مشروع انشاء معهد خاص بالشواذ وذوي الصعوبات . وما كادت تمل تأسييس الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية وقيامها بإنشاء مدرسة للخدمة الاجتماعية ، حتى رحبت بهذا المشروع الجليل كل الترحيب ويسرني أن اعلن اليوم ان الوزارة لم تقتصر على الترحيب الادبي ، بل شغفت به بتجميع مادي ، إذ قررت منح الجمعية هذا العام مبلغ ٣٠٠ جنيه لاطانتها على القيام بسد بعض ثغراتها وشراء ما يحتاج اليه من كتب في الشؤون الاجتماعية . كما قررت ان تدرج لها في الميزانية مبلغاً ثابتاً ينع لها سنوياً . وستنظر الوزارة في تقديم « الدبلوم » التي تمنحها المدرسة ، كما ستنظر ايضاً في وضع نظام لتفضيل الطلاب الذين يتسولون الدراسة بهذه المدرسة ، وتتوافر لهم المؤهلات المطلوبة في شغل وظائف الاشراف على النواحي الاجتماعية في المعاهد والملاجئ . وفي تلقين الطلبة بعض الموضوعات المتصلة بالدراسات الاجتماعية . كذلك وافقت الوزارة على تمكين طلبة معهد التربية للبنين والبنات وطالباتها ، وبعض المدرسين والمدرسات المشتغلين بالنواحي الاجتماعية من حضور مقررات المدرسة كلها او بعضها مقابل رسم تدفعه الوزارة عنهم لهذه المدرسة . ولم نخط الوزارة هذه الخطوات الا بعد أن تبينت حاجة البلاد الى تشجيع هذا النوع من الدراسات ، وبعد أن اطمانت الى ما تبذله هذه المدرسة مع جدادة عهدنا من جهد كبير في سبيل اداء مهنتها ، وما يسودها من نظام

وانه ليسر الوزارة أن ترى أن الجامعة المصرية لم تبخل على هذه المدرسة بالتضيد فقدمت لها كلية الطب مكاناً للمحاضرات والمكتبة وها نحن الساعة نرى هذا التضيد ظاهراً في إقامة هذا الاحتفال في قاعة الكلية . ولا يفوتني أن أنوه في هذا المقام بما قام به حضرة صاحب المالني احمد نجيب الحلالي بك من جهود جارية موقفة في سبيل الاصلاح الاجتماعي في مصر

وما هي الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية ومدسة الخدمة الاجتماعية ورابطة الاصلاح الاجتماعي وغيرها : كلها أمثلة حية ، تطلق بفضلها السبيل في الميدان الاجتماعي واني لأرجو أن تكون المدرسة التي تفتتح اليوم نواة طيبة لامتداد المجتمع المصري بأيد طامحة رشيدة تعمل على اصلاحه وتخفيف ما يفتابه من وبيلات ودره ما قد يتعرض له من أخطار وأنه لفأل حسن أن تفتتح هذه المدرسة في مسهل هذا الهد السعيد الذي تستعيد فيه البلاد شبابها اذ ينقسم عرشها لمليكها الشاب المحبوب جلالة ، ولانا المعظم فاروق الاول حفظه الله ورعاه فتستمد منه روحاً قتيه وعزماً قوياً لسير الى الامام جيل الله عهد ، لميكنا المعظم عهداً مديداً سعيداً ينهم فيه المجتمع المصري : بكل طبقاته بأوفر السادة والراقية وتبلغ فيه حياتنا الاجتماعية اسمى درجات الكمال

—٢—

تاريخ الخير وأغراضه نبيل

للسيدة المصاف حرم الدكتور منصور فهمي بك
لقد شرفني الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية ، فرأت أن أتحدث إليكم في افتتاح اول معهد بالقاهرة للخدمة الاجتماعية . واني اتمنى هذه الفرصة لأحكيكم أطيب حجة ، وأفكر لكم تلبية دعوتنا ، اذ حضرتم لهذا الحفل المبارك حرصاً على المساهمة في الاعمال النافعة التي تعود على الوطن وبنيه بالخير فجزاكم الله خير الجزاء
أيها السادة : ان الشعور بما تحتاج اليه الامم من اصلاح ، والرغبة الصادقة في القيام بالخدمات الاجتماعية ، لا يكونان الا في الجماعات الراقية التي يسودها روح التعاون والتكافل ، ولا تسود هذه الروح الا حيث تتجلى الصفة الانسانية في ارواح مظاهرها واجلاها . فالام التي تروج فيها الدعوة لتعاون بين الافراد لتزكية شؤونهم وتخفيف آلامهم تستريح في مصاف الامم الحية الراقية سادتي : ان البلاد التي نأخذ حذوها في ميادين التقدم قد سبقتنا الى الاهتمام بالخدمات الاجتماعية ، والى انشاء معاهد الخيرية بهذه الخدمات . وان نظرة عملي الى تاريخ الخدمة الاجتماعية تبين لنا ان النهضة تنشأ في اول امرها صغيرة تقوم على جهود نفر من النويرين ، وتبدو كالدائرة الضيقة تسع بمقدار ما تجد من تأييد الاعوان وانضمامهم اليها ، وبمقدار ما تنتج من صالح الأثر ، حتى يشمل محيطها الامة جميعاً

ففي البلجيك من نحو اربعة قرون شر المصلح الاجتماعي البلجيكي جان لويس فيف بحاجة المجتمع الذي كان يبتس فيه الى المعونة ووسائل الاصلاح ، فقام بفأن الامرة ووجه اول

خدماته إليها ، لأنها أساس المجتمع وطماته ، فخص لكل حي من احياء المدينة مندوبين يتفقدون احواله ويقومون على ما يميزه من وسائل الاصلاح ، فيحصى الفقراء وتعرف اسباب عوزهم رغياً في النهوض بالاسر مادياً وصحياً وخلقياً . ولقد جرت هذه البداءة وتطوراتها الى أن أنشئت في مستهل القرن العشرين ثمانية معاهد للخدمة الاجتماعية يتخرج فيها الخيريون وتقدم الحكومة شهاداتهم

وفي فرنسا من نحو ثلاثة قرون لشر الراهب الفرنسي « سان فنسان دي بول » دعوته لاهمال البر والاحسان بين سيدات الطبقة الراقية للسماحة في تقعد شؤون البائسين ومد يد المعونة اليهم ، فانتشرت هذه الدعوة وصادفت من قوس المتطوعات الخيرات قبولاً واثباتاً . ترتب على ذلك أن أسس هذا الراهب اضافة لجماعات المنقطعات من الراهبات اللائي وقفن حياتهن على عمل الخير والاحسان وسميت جمعياتهم العديدة المنتشرة في انحاء العالم باسم ذلك الراهب العظيم . ولم يرض بعد ذلك زمن طويل على أسس جمعيات الخير النسوية حتى امتدت الدعوة الى الرجال كذلك لتأسيس جمعيات شبيهة اسدت الى المجتمع خدمات مشكورة . ولما حلت الثورة الفرنسية ثيبت في فرنسا تنظيم أعمال البر حتى أصبحت لا تخلو ناحية في هذه البلاد من مؤسسة تقوم بمحاجات الموزين من أهلها ممن لا قدرة لهم على العمل ، ومحاجات الارامل واليتامى وأبناء السبيل الى غير ذلك من أعمال البر ولقد انتهت امجلاز في مستهل القرن التاسع عشر الى ما للخدمات الاجتماعية من طيب الاثر فسنت قوانين تتيح لفقراء كل حي ان يلجئوا الى كنيسة ذلك الحي لطلب المعونة والارشاد ثم ظهرت المصلحة الاجتماعية فلورانس يستجيب لحفزها الفففة على المرضى الى العناية بأمر اعداد المرضى والى تحسين ادارة المستشفيات ، وعلى الجملة الى تنظيم كل عمل بخفف وطأة الآلام وتم « كانون بارت » ومعه طائفة من الجامعين المثقفين الصادقين ، فاستوطنوا أنفراحياء لندن من طرفها الشرقي وانبثوا في غمار الشعب يهذيونه ويشغلونه في أوقات فراغه ، وذلك لكي يرفوا به ترى الحي من جهة الاخلاق ومن جهة الصحة والآداب . وبعد ذلك أخذت حركة الخدمة الاجتماعية تخطو خطوات واسعة ، فأنفقت لها ادارة ومبادئ خاصة ، وألحقت هذه المعاهد بالمعاهد . وفي أميركا قام المصلحون في بعض الولايات بإنشاء المؤسسات الاجتماعية ، وكان من اظهر البارزين في تنظيمها جوزفين شولول المصلحة الكبيرة ، وتعددت هذه المؤسسات حتى بلغت ١٦٠٠ . ثم في اوائل القرن العشرين انشئت في مدينتي نيويورك ووستن مدارس للخدمة الاجتماعية مستكملة الدراسة . وتدل الاحصاءات على ان عدد مدارس الخدمة الاجتماعية بلغ خساً وثلاثين مدرسة فيها نحو ٥٢٥٩ تلميذاً وتلميذة ، ومع ذلك كان عدد المتخرجين من هذه المدارس م دون حاجة البلاد وحاجة الناس الى الخدمات

ولنكتف الان بأبها السادة بذكر ما تقدم من الشواهد خوف الاطالة والأقنهك بلاد أخرى كالألمانيا والسويد وسويسرا وإيطاليا وأستراليا وكندا واليابان وغيرها مما رجو ألا تكون البلاد العربية وبخاصة مصر دونها حظا في هذه النهضة الانسانية . وان لنا نحن الشرقيين في القادوق عمر بن الخطاب وعنايته بالفقراء والمساكين وتقده بنفسه احوالهم اسوة حسنة وذكرى مشرفة . فان سيرة هذ الخليفة العظيم وسيرة أصحابه في اعمال المؤاساة ومقاومة الأثرة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر لما تفرجها صفحات التاريخ في الاعمال الاجتماعية والصفات الانسانية الخالدة . وان النظم الاسلامية في تطورها قد استنت السن الصالحة في سبل الخدمات الاجتماعية ، فكان في سلف المسلمين ومن نحا نحوم من يحبس الاموال بكمم لمؤاساة ذوي الماهات أو يفتها لانشاء المستشفيات والمطاعم أو لتسهيل الماء وتيسير الاتضاع به او لير الجوان وغير ذلك مما كان يسجل في الاوقاف . ولم يدك كل ذلك الخدمات الاجتماعية فلها اذا في تقاليدنا تاريخ مأمور وأثر مشكور

أبها السادة : ان الصفحة التي قدمتها في تاريخ الخدمة الاجتماعية ترينا ان كثيرا من أعمالها كان نتيجة لمجهود ذوي المبادئ السامية الذين تدفعهم رغبهم في الاصلاح الى التضحية براحتهم في سبيل تحقيق هذه المبادئ . وانه ليس لي ان اعلن بأن النصر التسوي كان له فضل عظيم في هذه النهضة وجدير بهذا النصر ان يواجه مستبسلأ حاجة الخدمات الاجتماعية ويتحمل أعباءها ، فليس من شيء اقرب الى قلب المرأة الصالحة من اعمال البر . وليس من شيء ادنى الى طبيعتها من العمل لمؤاساة الغير . وليس من شيء اشد تقريبا لها عذالة ، وأشد تأثيرا في تدعيم السلام من امومة المرأة وعملها في تربية جيل صالح ينطبع على بذل التعاون ، ويث روح المحبة ويعد اسباب السلام . وانه ليزيدني غبطة ان ارى بمصر الان عدداً من المؤسسات الخيرية كان للمرأة في نجاحها اكبر الأثر . وها هو ذاعده السيدات اللاتي يملن الخير لمجرد الخير آخذ في الازدياد . واني وان كنت ارى ان اعمال الخدمة الاجتماعية تحتاج الى جهود مشتركة من الرجال والنساء معا ، الا ان المرأة يجب ان تكون اسبق من الرجل في ميدان هذه الخدمة ، لما وهبها الله من حسن الاستعداد لذلك ، فهي التي تستطيع ان تطنق اليها ربوات المنازل ليفضين اليها يهوميهن ، وهي التي تجنح اليها الفتاة البائسة لبها الشكوى وتدلي اليها بالآلام وأحزانتها ومنازعها ، وهي التي يسهل عليها ان تغفل في صميم الاسر لتبحث وتقب وترشد وتدعو للاخلاق وللتوفيق ولشد اواصر الامرة . واني احيب بالسيدات المصريات ان يساهمن في نواجر من الخدمات الاجتماعية المسورة الشريفة التي لا تضع حق منازلهن في اعمال البر متسع لمن يريد العمل . واني انخ في رجاء كل ام تثبت البعث على البائسين في خصوص اولادها . منذ انصروا حتى نهيء بذلك المجتمع

جلاً جديداً متضاداً فيه نزعات الانانية ويسهل عليه ان يعمل للخير العام
ايها السادة : ان النهضة المصرية العامة تناولت في هذا الصرح الحديث عدة نواح في الاصلاح
بفضل جهود الموقفين من ولاة الامور وبفضل القيود من ابناء مصر على مصلحة البلاد .
لكن مهما بلغت بلادنا من الرقي في النواحي الاقتصادية والصناعية وغيرها فان بص النواحي
الاجتماعية عندنا لا يزال في طور نشأته الاولى ، وفي مقدمتها رعاية الطفولة والامومة ، ورفع
مستوى الاسرة ووطيد اركانها وتقوية روابطها ، والناية بذوي الحاجات ، وانتظر في ادوار
المراوحة ومشكلاتها ، وحماية الفتيات والفتيان من المفاصد والمخريات ، وتنظيم اوقات الفراغ .
وما شاكل ذلك من وجوه الاصلاح مما يحتاج الى الماملين الصادقين . على ان العمل في هذه
النواحي جد خطير ، وذلك لاتصاله بالنفوس البشرية المختلفة في ادق الحالات واحرج
المواقف ، فهو من الاعمال التي تتطلب خبرة وصفات خلقية سامية ، في مقدمتها ان يكون المرء
صبوراً ، قادراً على ضبط نفسه ، محباً لآخيه الانسان مضحياً بوقته وجهده في اسعاد غيره ،
وان يجد في بذل الخدمات غبطة وارتياحاً ، وبجانب هذه الاخلاق يجب ان يكون ممسكاً بنوع
من الدراسات تتفق وطبيعة الخدمات التي يؤديها ، كدراسة علم النفس وعلم الاجتماع وعلم
الصحة وطبائع الطفل وعلاج الشذوذ واسباب الاجرام والتشرد والبطالة وغير ذلك من الوسائل
الثقافية التي تهيئ على اداء ما يضطلع به من الخدمة في الجماعة التي يعيش فيها

ولايجاد الاختصاصيين الاجتماعيين الذين يمكن ان تستفيد بمجهودهم البلاد على الوجه الصحيح
فما هو قائم الآن من المؤسسات الاجتماعية ، وفيما نأمل ان ينشأ منها في المآل ، اهتمت الجمعية
المصرية لدراسات الاجتماعية ، بانشاء المعهد الذي فتشته اليوم رسمياً . ولحضره صاحب المعالي
الاستاذ احمد نجيب الهلالي بك بد تذكر قتشكر على هذا المشروع الجليل بما بذله معاليه من
جهود في توجيه التوجيه الصحيح . كما اتا لسدي الشكر لمن ساهم فيه من حضرات اصحاب
المعالي والسعادة والزما المتبرعين وصاحبات العصمة المتبرعات من مصريين واجانب
اما بعد ، فاسمحوا لي ايها السادة ان اذكر الآن نبذة قصيرة عن المعهد الذي اجتمعنا
اليوم لاقتتاحه :

بدأت الدراسة فيه في اليوم السادس عشر من شهر اكتوبر سنة ١٩٣٧ ، ودروعي في
اختيار طلبة ميلهم للخدمة الاجتماعية واستعدادهم لتلقي الدراسات المتصلة بها . وبالمعهد ٦٤
طالباً وطالبة من الحاصلين على شهادة الدراسة الثانوية (قسم ثان : البكالوريا) واكثرهم من
الموظفين المشتغلين بقسم التعاون بوزارة الزراعة ومصلحة المساحة والسجون ومن الجلالة ومن
الآنسات المتفقات . وهؤلاء الطلبة وإن كانوا من طبقات مختلفة الا انهم يجتمعون على غاية واحدة

هي اعداد انفسهم للنهوض بمصر . وان الروح السامية السائدة بين هؤلاء الطلبة الجديدة بالتشجيع ويقوم بالقاء المحاضرات اخصائيون واخصائيات في المواد التي يدرسونها ، وكثير منهم من اساتذة الجامعة ومدرسيها ومن كبار رجال التعليم بوزارة المعارف . ومن مميزات هذا المعهد انه يعمل على دعوة الاخصائيين البارزين في الشؤون الاجتماعية من الزائرين الاجانب ومن المصريين لالقاء المحاضرات العامة . ولكي يتوافر لطلابه الجو العلمي للاملاهم والمتاحف والمعامل التي تضمن مستوى طالياً من الثقافة والتحصيل ، رُئي أن يلجأ الى كلية الطب . وقد تفضل عيدها حضرة صاحب السعادة الدكتور علي ابراهيم باشا فاذن في ذلك

ويستفاد المعهد من مكتبة كلية الطب . وبما عني باستحضاره من الكتب الاجتماعية والتفسيية والنشرات الدورية المستعمدة من الخارج للقائفة الدراسية . وبني المعهد بالناحية العملية من الدراسة كنهائيه بالناحية النظرية ، فخصصت ثلاثة شهور من العام الدراسي لتدريب الطلاب تدريباً عملياً في المؤسسات الاجتماعية على اختلاف انواعها

بالمعهد روح قوية مستمدة من حضرة المعبدة السيدة برتا ككل فهي الاخصائية في العلوم الاجتماعية وهي لا تألو جهداً في العمل على رفع شأن هذا المعهد وتوطيد دعائمه سيداتي . سادتي : ذكرت لكم نبذة قصيرة عن اول معهد للدراسات الاجتماعية نشأ في مصر ، ويسرني انه اول معهد من نوعه في البلاد العربية ، وان في بوادر نشأته ما يبشر بنجاحه ولربما يباح لنا ان نتطلع الى امل مشروع ، ذلك ان تهيج الحكومة ادارة قوية منظمة لرعاية الخدمة الاجتماعية اسوة بالحكومات التي اضطررتها شؤون الحياة المصرية الى تنظيم الجهود وتبنيها كلها . ولعل الحكومة اذا هي حققت في يوم من الايام ما تأمله وتسناه نجد في خيريجي معهدنا ادوات صالحة ينتفع بها في مختلف نواحي اصلاح كالمدراس والمعاهد الخيرية والملاجيء ومراكز رعاية الطفل والاصلاحيات ومحاكم الاحداث الى غير ذلك

ايها السادة : ان كل رعاية لتقوون المجتمع البشري هي رعاية اسمى من ان تمسها اختلافات الاجناس او العقائد او الآراء ، اذ في طيبة اصلاح الاجتماعي ما يربط بين الناس جميعاً ، مهما اختلفت الوانهم وتباينت اجناسهم

وهل لمنازع الخير ومذاهب الاحسان حدود في الارض تمدها او حواجز بين الناس تصدها وتردها ! لا احد للامال الانسانية الخيرية الا عند مرضى القلوب وصغار الاحلام ألا ان مبعث هذه الاعمال صفاء النفوس ومبدأها عظيمة المهم . ألا ان مردوها واسع الرحمت ومنهاها الى رافع السموات . اسأل الله تعالى ان يحقق آمالنا الخيرية في ظل حضرة صاحب الجلالة المرعفي لخير البلاد فاروق الاول ايده الله

بَابُ اخْتِصَارِ الْعِلْمِ

عمر القمر

ومرر الامتقال بزواج مهولة الملك المعظم

المراد معرفة عمر القمر فيه مع العلم ان :-

(١) عدد اليوم هو تاريخ اليوم من الشهر

(٢) عدد الشهر هو العدد الوارد اياه

اسم الشهر في الجدول الآتي :-

٤	يوليه	٠	يناير
٦	أغسطس	٢	فبراير
٧	سبتمبر	٠	مارس
٨	أكتوبر	٢	أبريل
٩	نوفمبر	٢	مايو
١٠	ديسمبر	٤	يونيه

(٣) عدد السنة يستخرج هكذا :

اعتبر ان سنة ١٩١١ تساوي صفراً وكل سنة بعد ذلك يطرح منها العدد ١٩١١ ويضرب الباقي في ١١ ويقسم المجموع على ٣٠ فيكون الباقي هو عدد السنة ويستعمل طول ايام السنة واذا احتبنا هذه القاعدة بمضاهاة نتائجها على ما هو وارد في التقاويم السنوية وجدنا انها مضبوطة تماماً مع فرق يوم واحد في بعض الاحيان. ولنضرب لذلك مثلاً فقول ما هو عمر القمر في يوم ٢٠

طالما وجدنا من ألزم اللزوميات معرفة

عمر القمر في اي وقت نريد تهدي بوجوده في ظلمات البادية او لنذهب على ضوئه ليلاً الى كوخنا وهو «يمت النور في الظلام دليلاً»

ومن عاسن الصدف اني وجدت طريقة مختصرة لطريقة سهلة يمكن حفظها بسهولة يعرف بها عمر القمر ليس في اول السنة فقط كما هو الحال في نظام ال (Epaucts) لا بل في أي يوم من ايام السنة الافرنكية . واعتزافاً بالفضل لدوييه أقول انها للعالم الفلكي الانكليزي جورج فوربس (George Forbes) جاءت في كتابه (The Wonder & The Glory of the Stars)

وهذه الطريقة تلخص فيما يلي :-

« أضف عدد اليوم الى عدد الشهر الى عدد السنة الى العدد واحد واقسم المجموع على ٣٠ ثلاثين الذي هو اقصى عمر القمر الباقي يكون هو عمر القمر في التاريخ المعلوم

(١) ال Epaucts عبارة عن عمر القمر في اول يوم من السنة الافرنكية او هو عدد الايام التي بها يسبق ولد القمر الجديد مبدأ السنة الافرنكي

$$\text{اذن} = \frac{٢٠ + ٢٧١ + ١}{٣٠} = \frac{٢٧٢}{٣٠} = ٩ \frac{٢٢}{٣٠}$$

والباقي ١٨ وهو عسر القمر يوم ٢٠ يناير سنة ١٩٣٨

بدر رفيق ومنظم للوقت دقيق انفسحانك
 اللهم يا مبدع الكائنات ومرتب الافلاك ومنظم
 الكواكب ومسير النجوم واما لتنسى
 نواظرتنا ولن تنسى ان ذرة واحدة من هذا
 الكون الفسيح لمي آية من الايات الالهية
 تمطق بمظمتك وقدرتك جل جلالك وسبحانك
 اللهم يا من علمتنا ما لم نعلم . واليك مني ابرأ العلامة
 فوربس نحية شاكر لفضلك وطارف بحبيبتك

صبحي جلي

بموم هتسة السكة الجديد

يناير سنة ١٩٣٨ وهو اليوم الذي عنده
 حضرة صاحب الجلالة المعظم فاروق الاول
 لمقد زواجه على حضرة صاحبة المجد والشرف
 الالهة النبيلة فريدة هانم ذو الفقار بآرك
 الله هذا الزواج وجهه طالع سعد وعين
 فالجواب على ذلك هو : —

(١) عدد اليوم ٢٠

(٢) عدد الشهر صفر

$$(٣) \text{ عدد السنة} = \frac{١١ \times (١٩١١ - ١٩٣٨)}{٣٠} = \frac{٢٩٧}{٣٠}$$

$$= \frac{١١ \times ٢٧}{٣٠} = ٩ \frac{٢٧}{٣٠}$$

و هو ٩ والباقي ٢٧ وهو

عدد السنة

مائزة نوبل الطبيعية

لدا فيسون الاميركي وطمن الانكليزي

الكهربات (الالكترونات) تحمل فعل
 أمواج الضوء او أمواج الاشعة السينية
 (اشعة اكس)

فقد اثبتا كل منهما على حدة ان البلورات
 تفرق الكهربات على نمط معين كما تفرق امواج
 الضوء . فأيد بالتجربة نظرية الميكانيكا
 الموجية التي وضعها العالم الفرنسي البرلس ده
 برولي ونال عليها جائزة نوبل الطبيعية سنة ١٩٢٩
 وتبلغ قيمة جائزة نوبل هذه السنة
 نحو ثمانية آلاف جنيه نصفها لدا فيسون ونصفها
 لطمن الصغير

أذاعت لجنة جائزة نوبل ان جائزة
 الطبيعة عن سنة ١٩٣٧ منحت للباحث
 الاميركي الدكتور دافيسون احد علماء
 شركة بل التلفزيون الاميركية والعالم الانكليزي
 الاستاذ جورج طمن الاستاذ بكلية العلم
 الامبراطورية بلندن ونجل شيخ علماء
 الطبيعة في هذا العصر السرجوزف طمن
 مكتشف الالكترتون وهو الكهرب أو الكهرب
 بحسب وضع مجمع اللغة العربية المللكي

والاكتشاف الذي منح هذان العالمان
 جائزة نوبل من أجله هو اثباتهما ان

جيتنر في جامعة اربدين باسكتلندا وكان قوام تجاربه ككبريات بطيئة — بطناً نسيباً طبعاً — موجهة الى ورق رقيق جداً من الذهب الخالص

ويبلغ طمس السنة الخامسة والثلاثين من العمر أماً دافيسون في السادسة والاربعين. وقيل انه لما بلغه نبأ الجائزة وقابله الصحفيون لمحادثته أصر على وجوب ذكر مساعده الدكتور جرمر مقروناً باسمه عند النشر

جائزة نوبل للكيمياء

وكما منحت جائزة نوبل الطبيعية لعالمين احدهما انكليزي والاخر اميركي منحت جائزة نوبل الكيمائية عن سنة ١٩٣٧ لعالمين كذلك احدهما انكليزي والاخر سويسري. اما الانكليزي فاسمه الاستاذ هاورث احد اساتذة جامعة برمنهم. وأما السويسري فاسمه الاستاذ يول كارر أحد اساتذة جامعة زيوريخ كان مدار البحث الذي نال من أجله الاستاذ كارر هذه الجائزة التركيب الكيميائي لجزيء فيتامين A وهو المعروف بفيتامين النمو ويكثر في زيت السمك والزبدة والخبز وغيرها. ومن بدائع ما تمت للاستاذ كارر في أثناء بحثه ان هذا الفيتامين دقيق الصلة بمادة كيميائية تعرف باسم «ايونون» وهي المادة الاساسية في عطور البنفسج

ثم حوّل الاستاذ كارر نظره بعد ذلك الى فيتامين B الثاني وهو ضرب من فيتامين B

ان وجه الخطر في اكتشاف الحقيقة التي اكتشفها — أي ان البلورات تفرق الكبريات على نمطين — قائم على ان هذه الحقيقة الطبيعية الجديدة أصبحت وسيلة باوعة دقيقة من وسائل البحث الطبيعي وهي تقبّط باكتشاف اشعة اكس. ان تفرق هذه الاشعة عند تسديدها الى بلورات مكن علماء الطبيعة الحديثة من التفتؤ الى فهم المادان وكيف تتركب ذواتها وجزئياتها ومن فهم البلورات وما اشكالها وكيف تتجمع فتكون منها كتل بلورية كبيرة. ثم انها تصلح للدراسة الاغشية الرقيقة جداً وقوامها من ذرات وجزئيات. وفي جميع هذه الاحوال — أي المادان والبلورات والاعشية — لا تسدي اشعة اكس خدمة لهم لانها تحترق هذه المواد فتحل الكبريات محلها لانها تصطدم بالذرات والجزئيات فتتفرق فيعرف من تفرقها وشكله قوام المادة المحترقة. وفضل دافيسون وطمس قائم على اكتشاف هذه الحقيقة اولاً ثم تحرّري اساليب استعمالها ومن عهد قريب اقترح احد الباحثين الاحيائيين انه يمكن استعمال هذه الطريقة لدراسة الاعشية الحيرية الرقيقة التي تفصل خلايا الجسم الحي بعضها عن بعضها ومعرفة قوامها اكتشف هذان الباحثان — كل على حدة — هذه الحقائق سنة ١٩٢٧. وكان دافيسون يشتغل بكبريات سريعة يوجهها الى بلورة من معدن التيتكل. وكان يساعده الدكتور جرمر. اما الاستاذ طمس فكان

جائزة نوبل الطبية

وقد سبق لنا أن أشرنا في هذا الباب الى ان جائزة نوبل الطبية عن سنة ١٩٣٧ منحت لعالم المختاري الاستاذ البرت سانت جورجى . وقد رنا عند ما أشرنا الى هذا الموضوع ان الجائزة منحت له جزاء له على اكتشافه فيتامين P المعروف باسم السرتين الذي يوجد في ثمار اللوالمح والابريكا (وهي نوع من الفلفل) ولكن الجائزة منحت له لانه كان سبق العلماء الى الحصول على فيتامين C ميلوراً . وهذا الفيتامين كما لا يخفى مانع لدهاء الاسكروط . وأما فيتامين P الذي اكتشفه الاستاذ سانت جورجى من عهد قريب فوثيق صلة القرابة به الا أنه يختلف عنه

يشير الشبهة فكشف عن تركيبه الكيماوي وقد تمكن احد بيوت العقاقير ان يصنع هذا الفيتامين بالتركيب الصناعي باشراف العالم السويسري . وقول احدى الصحف الطبية الاميركية ان علماء أميركا أنجح لهم رؤية هذا الفيتامين المركب بالتأليف الصناعي في الاجتماع الذي عقدته الجمعية الطبية الاميركية سنة ١٩٣٥ وكان كل ما ركب منه ستين قطعة حيثئذ

أما مدار البحث الذي أجراه الاستاذ هاووث فكان فيتامين C المائع للاسكروط وطلاقة أخرى من المواد الكيماوية هي اساس المواد النشوية والسكرية فتقد من بحثه هذا الى أسرار تركيب السلولوس وهو المادة الاساسية في الخشب والقطن والكتان وغيرها

*

الولايات المتحدة الاميركية

تخسر هوقها في ميادين الطيران

ولعل ارتقاء روسيا من احرازها رقماً قياسياً واحداً في الطيران الى احرازها ١٥ رقماً قياسياً في سنة واحدة اكثر استيفافاً لنظر من ارتقاء ايطاليا من المكانة الثانية الى المكانة الاولى وزيادة الارقام القياسية التي احرازها طياروها من ٣٧ رقماً الى ٤٥ رقماً قياسياً . وقد كان التنافس على اشدّه بين انكلترا وايطاليا على الرقم القياسي لتحقيق في الجو وهو الآن للطيار البريطاني آدم اذ حقق الى ٥٣٩٧ رقماً

كان التفوق في ارقام الطيران القياسية في سنة ١٩٣٦ لأميركا فكان لطيارها ٥٤ رقماً ولطيارى فرنسا ٣٧ ولطيارى ايطاليا ٣٦ ولطيارى المانيا ٨ ولكل من بريطانيا وروسيا رقم قياسي واحد اما الآن فقد اصبح المقام الاول لايطاليا فلطيارها ٤٥ رقماً قياسياً وتليها الولايات المتحدة الاميركية (٤٣) فرنسا (٣٥) وروسيا (١٥) فألمانيا (١٤) فبريطانيا اربعة ارقام قياسية

العلم والديمقراطية

قصة عالم فرنسي شهير

الدولة المثلثي ولكنهُ مهندس يعرف ان الديمقراطية طاجرة عن معالجة المشكلات التي خلقها العلم ويرى ان اتقاد الديمقراطية والحكم الثاني والاحتفاظ بقواعد الحرية والمساواة لا يمكن ان يكونا الا عن طريق العلم نفسه ذلك أن الديمقراطية صورة لنظام الحكم ورمثاها من القرن الثامن عشر ولا يزال اقطابها في القرن العشرين يفكرون على الأكثر تفكير اسلافهم في القرنين الماضيين حالة أن الجماعة التي عنت للالة ومتنجات الالة أصبحت في الواقع خاصة للهيئات الصناعية والاقتصادية أكثر منها للأحزاب السياسية

لان الاحزاب السياسية هيئات منظمة يعرف اقطابها كيف يستهوون الجماهير اما العلماء حتى علماء السيكولوجيا فهم ابعد ما يكونون عن معرفة اهواء الجماهير وكيفية التأثير فيها. ولكن الحكومات والصوب التي يهيمها ان تقذ الديمقراطية للحضارة يتحتم عليها ان تتدع اسلوباً تدخل به العلماء الى غدادع الحكم

اتاييب اليراس الزجراج

كانت آنايب اليراس التي تدعى مصانع اليراس ومستودعاتها في مشاربها بالمانيا تصنع من المعدن المطلي من داخله بالفصير فأصبحت تصنع من الزجاج لان الحاجة ماسة الى الفصير في في صناعة السلاخ

يروى عن جورج كلود للمهندس والمستنبط الفرنسي المشهور انه رغب من بضع سنوات في ان ينتخب عضواً في مجلس النواب فأعد سيارة نقل كبيرة وحملها اسلاكاً ومضخات وأنايب وفوارير وذهب الى دائرته الانتخابية ليخطب في الناس ويقنعهم بائعها ولا وصل الى دائرته الانتخابية وقف على السيارة وخطب قائلاً اني لا أعرف شيئاً عن السياسة ولكن من يحتاج اليهم فرنسا في مجلس النواب ليسوا سياسيين بل كيميائيين وطبيعيين ومهندسين وفنيين مدربين يعرفون ماهي الآلات التي اسبقت على حضارتنا صفها وانجهاها استخبوني قاسمي لاجل فرنسا اعظم عما هي عن طريق العلم والمهندسة. والآن اليكم بعض التجارب العلمية فراقبة الجمهور مأخوذاً ومممة مشدوهاً ولكن جورج كلود لم ينتخب عضواً في مجلس النواب الفرنسي. ولو انه أدرك ساعتها ان المجتمع في حالته الحاضرة اشد تأميراً بما يثير المواطنين منه بما يحفز العقل لتتمكن بشيء من البراعة والاسهواء ان يحول اخفاقه الى ظفر لان تاريخ فرنسا حافل بفريق من اكبر العلماء كانوا كذلك من أقطاب السياسة رجال كبرت التسبولوحي وبرتبلى الكيمياء وبانليقيه الرياضي

ليس جورج كلود من طراز الفلاسفة المثاليين الذين اراد افلاطون ان يسودهم على

أهمط ملونة من الذهب

لون الذهب معروف لا يحتاج الى وصف ولكن التجارب الحديثة أثبتت أنه إذا خلط بمادن أخرى تغير لونه فيصبح له شأن آخر في ما يستعمل له بقصد الزينة. والغالب أن يكون لون الخليط المدني مزيجاً من ألوان المواد الداخلة في الخليط إلا أن الباحث يجد أحياناً أن خليطاً جديداً من مواد معينة يظهر في لون غير اللون الذي يتوقّعه

والذهب من هذا القبيل فإذا خلطت ٢٢ جزءاً من الألومنيوم بـ ٧٨ جزءاً من الذهب كان لك خليط مدني أرجواني أو في لون الباقوت الأحمر. والغريب الذي يبعث على الأسف أن هذا الخليط قسم سهل الكسر فلا يمكن مده اسلاكاً ولا طرقة ورقاً رقيقاً ولا يعلم الآن هل يمكن في المستقبل أن يستعمل بقصد الزينة

أما إذا خلطت الذهب بمقدار عشرة في المئة من الألومنيوم كان الخليط أبيض فإذا زاد نسبة الألومنيوم في الخليط رويداً رويداً تحول لونه الأبيض الى وردي قال أرجواني

ولا يعرف علماء المادن خليطاً مدنياً آخر بهذا اللون إلا خليطاً قوامه ٥١ في المئة من النحاس و ٤٩ في المئة من الاليتيوم ولكن لونه الأرجواني أقل زهاء من لون خليط الذهب والألومنيوم

اصمراع الفل

تمة المنشور على الصفحة ٣٩ للدكتور شريف عسيران وكان يبلغ عدد سكان اتينا ٩٠ ألفاً من السكان الخالص و ٤٠ ألف أجنبي عن البلاد وأربائة ألف عبد من المال وأصحاب الحرف. وتولد التوايح الذين مرّ ذكرهم من التسعين ألف الاولى. والسبب في ذلك أن الاثنيين فتحوا الباب على مصراعيه لهجرة العناصر الحيدة وأصدوه في وجه الفاسدة وجعلوا مدينتهم مركزاً لاوي المقدرة النافعة والثقافة العالية بخلق وسائل لم تتوافر في غيرها من المدن. واستنسخ غالتون من ذلك أن معدل مقدرة السلالة الاثينية في ذلك العصر يفوق على أقل تعديل السلالة الانكليزية الحاضرة بنسبة تفوقها على سود افريقيا. يقول هالدين : ليس هناك دليل على أن مواهب الانسان الوراثية تحسنت في الثلاثين سنة للتأخرة مع العلم بأن جادانه وعلمه تحسنت بمدى واسع. والانسان الذي اكتشف النار لا بد كان طلي الهمة شديد الذكاء. والارجح أنه لو عاش اليوم لرف كيف يستخرج النفط من الطبشير والماء وقوة الريح. وكذلك لم تقدم وراثه الامه العربية وإنما حصل تغير في محيطها فاسلافنا كانوا اخصب منا فلسفة وعلماً وأدباً ومدينة وثقافة والمحيط مهما ارتقى لا يحسن الوراثة البيولوجية ومنه الممكن تحسين وراثه النباتات والحوانات ولكن تجارب آلاف السنوات علمنا أن ما ينطبق عليها لا ينطبق على الانسان

مكتبة المتكثف

هندسة الكون بحسب فاهوس النسبية

يقلم تحولا الحداد ١٦٨ صفحة من القطع المتوسط ٢٤ X ٧ سم أصدرته دار المتكثف وعدداً خافياً
من المتكثف في شهر أغسطس سنة ١٩٣٧ م القاهرة — الثمن ١٥٠ ملياً

الاديب البحاة نقولا الحداد من رجالات الفكر الذين يمتون بتبسيط معضلات مباحث
الفوزيقا الحديثة وخاصة ما اتصل منها بنظريات البرت اينشتين في مبدأ النسبية . والكتاب الذي
نحن بصده تبسيط لاوليات نظرية اينشتين مسوق الى الافهام العامة . وهذا الكتاب يشتر الاول
في موضوعه في اللغة العربية ، والمبحث الوحيد الذي كتب في هذا الشأن . واني وان كنت
شخصياً قد وضعت دراسة مفصلة عن نظريات اينشتين في مجلدين في اكثر من خمسمائة صفحة
في العربية تلخيصاً عن كتابي Die Grundlagen der Relativitaetstheorie, Leipzig. 1934
الذي ألفتة بالالمانية في ثلاثة اجزاء ، الا أنني لم أشر من دراستي العربية غير جانب في
مجلة « الرسالة » سلسل على عدة مقالات ، وهذا الجانب يمرض لقرارات « النسبية الخاصة »
التي تقوم بمجهود لورانتز وبوانكاريه واينشتين ومينكوفسكي دون « النسبية العامة » . ولما كنت
قد نهجت في دراستي التهج الرياضي الصرف فقد كانت الفائدة قاصرة على الذين في مكتهم ان
يسروا في البرهان الرياضي العالي . لهذا وحده يمكنني ان أغفل حساب ما كتبت في هذا الشأن
واقرر ان كتاب البحاة نقولا الحداد الاول في موضوعه بأسلوبه وسيظل فريداً في بابيه بمنهجيه .
غير ان هذا لا يعني بحكم توفر الطويل على دراسة النسبية والقيام بتدريسها في وقت من
الافاق ضمن دروس الفوزيقا النظرية بمعهد الطبيعيات الروسي التابع لجامعة موسكو ان أوجه
نظر المؤلف الى بعض الاخطاء التي وقع فيها نتيجة الخلط بين النظر الكلاسيكي والنظرة الجديدة
التي تقوم بمجهود اينشتين ومينكوفسكي

ذهب المؤلف مذهب لورانتز في تفسير ظاهرة تقلص الاجسام في اتجاه سرعتها واعتبر
هذا التقلص حقيقة فوزيقية . ولكن قبل كل شيء يجب ان تفرق بين ما هو داخل في
انطلاق الفوزيقا الثانية مما هو راجع لاعتبار المساني وبين ما هو ضمن الفوزيقا الاولى بما هو يمرض
للمام الطبيعة من حيث هي ، لان موضوع الفوزيقا الثانية يتصل بالمالم المظاهر بينما موضوع الفوزيقا
الاولى يتصل بما هو واقع . إذن فلما ان نسال : هل ظاهرة التقلص في الاجسام في اتجاه
حركتها حقيقة واقعة ام حقيقة تتصل بالمالم المظاهر ؟ فان كانت حقيقة تتصل بالمالم المظاهر فهل
يصح تفسيرها تفسيراً واقعياً ؟

لقد كانت الفوزيما القديمة ترى هذه المظاهرة حقيقة وأمة حتى ان لورانتز فسرهما بنظريته في الالكترتون — انظر Hendrik-Antoon Lorentz *Elektrromagnetische Erscheinungen* in einem System, das sich beliebig, die des Lichtes nicht erreichender Geschwindigkeit. (Leiden 1895).

ولقد تابع المؤلف لورانتز في تفسيره ، ولكن الفوزيما الحديثة التي تقوم بمجهود اينشتين وتكملت بمباحث مينكوفسكي يشع ان ظاهرة التقلص ظاهريه بالنسبة للانسان وحقيقتها تصل بنظام المظاهر ، حتى ان الاب مورو Moreux يرى ان الاثر الوحيد لاينشتين في النسبية الخاصة ينحصر في هذا وحده . ولقد تبسطنا في شرح هذه المسألة رياضياً في المقال المنشور بمجلة الرسالة العدد ١٣٨ (السنة الرابعة — ٢٤ فبراير سنة ١٩٣٦) وقد جاء في ختامها :

« ومسألة تقلص الاطوال شيئاً فشيئاً كما تقرر ميكانيكة لورانتز ليست راجعة الى تقلص الاجسام في اتجاه حركتها وانما هي نتيجة لنسبية الاطوال . وليس هذا التقلص حقيقياً بل هو ظاهري حيث ان الراصد لا يمكنه ترتيب حدوث الحوادث كما تقع في عالم الواقع . وانما يرتبها بحسب ما تراه له . وتقسيم الزمان والمكان تقسيماً مطابقاً لموضوعها لا يمكن اجراؤه في صورة مستقلة بعضها عن بعض ، حيث ان سرعة اندفاع الجسم اذا بلغت سرعة انتشار التور او قاربها بلغ التقلص انقضاء — ولم يصبح للجسم عمق لدى النظر . لان الاجسام عند ما تبلغ من السرعة هذا الحد تلوح كصفائح رقيقة » . اذاً فاعتبار المؤلف تقلص الاجسام في اتجاه حركتها عملية واقعية ، خطأ لا يتفق وقواعد لنظرية النسبية لان هذا التقلص ظاهري بالنسبة لراصدين . والتفسير الذي قدمه المؤلف لتعليل التقلص لا يتفق ومنطق النظرية التي يشرحها

عرض المؤلف لنظرية النسبية كنماوس كوني، وقرر واقعية مبادئه وغاب عنه ان النسبية لنظرية تدخل في لطاق الفوزيما الثانية ، ويعترض عليها بالشيء الكثير الذي يجعل التراث في بناء نظرية كونية استقداً اليها ، شيئاً محموداً في نظر العلم

يقرر مبدأ النسبية الكلاسيكية ان الحوادث تحدث في العالم مطلقة سيات كانت منسوبة الى كياتها الوضعية co-ordinates نسبة ثابتة او كانت متحركة ازاءها حركة مستقيمة منتظمة . وتجربة « ميكلسون — مورلي » تثبت ان للنور سرعة ثابتة فهل في الامكان التوفيق بين مبدأ النسبية الكلاسيكي التوتوني وسنة ثبات انتشار الضوء في الفضاء ؟

إن الاجابة عن هذا السؤال بحسب منطق نظرية النسبية ترجع بنا الى مسألة التوافق التي توحى بنا ان الزمان ليس بفكرة آتية a priori كما تقرر الميكانيكا الكلاسيكية . وان مفهوم السرعة مشتق منه ، بل ان سرعة النور وثبات هذه السرعة مفهوم أولى، ومنها يشتق مفهوم الزمان

فكأننا براصد الحوادث مقيد بآلانه يقرر حسباً تراهي له الحادثات ، والزمان بالنسبة له ليس شيئاً وهمياً لدى القياس كما هو في ميكانيكية لورانتز له حقيقة موضوعية هذا الافتراض حققه اينشتين عن طريق ردّ مبدئي مطلقية الزمان والمكان ورجع بهما الى هيئة القياس ، أعني الى مبدأ عام ينسبهما الى الهيئة التي تقاسان بالنسبة لها . وهذه الوجهة من النظر هي قرارة نظرية اينشتين في النسبية الخاصة

ولقد خُص اينشتين الى هذا الافتراض من تحقيق رياضي عرض له المؤلف في آخر القسم الثالث ، الفقرة ٥ من الفصل التاسع ص ٨٧ — ٩٠ فلتراجع هناك . غير أنه من المهم أن نملق على هذا بأن هذا الافتراض خطأ من الوجهة الفيزيائية والرياضية ، أما الوجهة الفيزيائية فلأن تحقق ذلك قائم على الخلط بين نظريتين من حيثات القياس

وقد كان يودّي أن اشرح هذا الخطأ ولكن تحقيقه رياضي . والمقطع لا يتسع لمثل هذا التحقيق ، غير أن هذا لا يمنعني أن أطن قرائي أني أرحب بكتابهم اليّ بشأنه إذا أرادوا التوسع ، وكل ما يمكنني أن أقوله من باب عقلي يمد عن الاسلوب الرياضي أنه في الشرح الذي قدمه الباحثة قولاً الحداد ص ٦٦ — ٦٩ من كتابه كان الزمن متوافقاً بالخطر للراصد الذي بالنقطة (ب) ومتخفاً بالنسبة للراصد (ن) ، وذلك لان انتشار النور سيكون ثابتاً للراصد (ب) ومتخفاً بالنسبة للراصد (ن) . والى هنا متفق مع اينشتين ولكن تختلف معه في أن تختلف سيكون بالنسبة لن ؟ بالنسبة للراصد (ب) ؟ ام بالنسبة للراصد (ن) ؟ وان الحادثين اذا كانتا متوافقتين بالنسبة للراصد (ب) فمن الذي سيحكم بعدم توافقهما بالنسبة للراصد (ن) ؟ ومن الذي سيقنع بهذه الوجهة من النظر ؟ ان الذي سيقنع والذي سيحكم بطبيعة الحال هو الراصد (ب) ! فكان بالنسبة لوجهة نظر الراصد (ب) هناك حادثان متوافقتان له غير متوافقتين بالنسبة للراصد (ن) ! ولتحقق هذا يجب ان نعرف بإمكان معرفة الراصد (ب) وجهة نظر الراصد (ن) ، ولكن اينشتين يسوق كل نظريته ويمضي في استدلاله الرياضي دون ان يكون هناك اثبات لهذه الدعوى فكان ملاحظة اينشتين إذن ساقطة

لقد اغفل المؤلف الكلام عن ميكانيكية لورانتز التي هي نتيجة من نظرية النسبية ، لان استخراج معادلات التحويل اللورانتزية يستلزم قبول ميكانيكية لورانتز ، ولقد أخذ اينشتين بهذه الوجهة من النظر غير أن المؤلف اعرض عن هذا مع أنه في معرض الكلام عن نظرية اينشتين وكان نتيجة هذاقرة واسعة من نطاق النسبية الخاصة الى النسبية العامة لا يتأتى ادراكها الا في ضوء الكلام على الميكانيكا الجديدة والديناميكا للنسبية

فاذا ضربنا صفحاً عن الاخطاء الاصطلاحية وهي كثيرة في الكتاب وهي موضوع بحث

خاص فان الدراسة لم تخلص في أكثر فصولها من الخلط بين النظريتين الكلاسيكية والحديثة من ذلك ما قدمه الكاتب من تحليل لسبب انحراف شعاع التور المادة على مقربة من الشمس ص ١١٠ ، والذي يناقض اعمال البشتين الفلكيين — انظر J. W. Dyson, A. S. Eddington and U. Davidson, "A Determination of the Deflection of light by the Sun's gravitational field....", Philosophical Transactions of The Royal Society of London Serie A. Vol 220 (1920) , p. 291-333. Cf. E. Freundlich, Die Naturwissenschaften (1920) , p. 667-673. —

كذلك عما كتبه في «تحدب الابدان الاربية» ص ١٣٦—١٣٨ . فاذا خربنا عن كل هذه المآخذ وهي لا تنص من قيمة الكتاب اذ لا يخلو من مثلها اي كتاب مبسط في نظرية النسبية ، لا يسعنا الا ان نفكر صاحب الكتاب على ما نجحناه من مسقة في وضع هذا اثر الاسكندرية اسماعيل احمد ادم

الصيد في البلدان العربية في العصور الوسطى

٤٤ صفحة و ١١ لوحة للدكتور زكي محمد حسن

Hunting as Practiced in Arab Countries of the Middle Ages

رسالة اتيقة في موضوع طريف كتبها باللغة الانجليزية الدكتور زكي محمد حسن أمين دار الآثار العربية في مناسبة انعقاد مؤتمر الصيد الدولي في برلين . وهي محلاة بمجموعة من الصور الفنية قتلاً عن النقوش المدنية والحرفية والمنسوجات الاسلامية والاختصاص الاثرية المودعة في دار الآثار العربية وغيرها . في هذه الرسالة تناول الدكتور بحث الاسباب التي ادعت الاعراب الى الاهتمام بالصيد قبل الاسلام وكيف ان طبيعة مبيتهم في الصحراء والدفاع عن انفسهم قد وجهتهم الى التفرغ بالصيد . كما تكلم عن أسلحة الرب التي استعملوها في الصيد قبل العصر المدني في شبه الجزيرة العربية وتطورها فيما بعد اكتشاف للمعادن

واستشهد الدكتور ضمن وقائع ما كتبه بعض قصص الصيد المشهورة في الاسلام . ولا سيما عند ملوك الساسانيين والفرس والتار وسلاطين الفاطميين والايوبيين وسلاطين المماليك الذين كانوا يقدون أعمال الصيد لضابط كبير بأسم « امير شيكار »

ولم يكن لدى خلفاء بني أمية في دمشق والاندلس او بني العباس في بغداد والطولونيين وآل إخشيد والفاطميين والايوبيين وسلاطين المماليك في مصر أعز وأحب من الخروج الى الصيد على متن جيادهم الكريمة وخيولهم الصوافن يحيط بهم رجال مبيتهم يحملون أسلحة الصيد البراقة وهم في أزياهم الملونة البديعة . والرسالة اتيقة كما قلنا وطريقة الى حد بعيد . وقد أخرجتها العظمة الاميرة يولاق في ثوب قهيب

عبد الرحمن زكي

القضية الفلسطينية

لواءه الدكتور يوسف هيكل ، ي ٣٠٠ صفحة ، طبع باطمان سنة ١٩٢٧

تأزع البقاء ناموس عام في طلم الاحياء . هذه هي منازل رومة وقرطاجنة ، وبابل وأشور ، والفرس واليونان ، والصين واليابان ، وهذا ما جرى للأوربيين في قارني أميركا . فقد أفنوا سكنتها الاصلين وحلوا محلهم ، كما فعل الاتراك بالارمن . هذه سنة الكون التافذة رضىنا أم لم نرض . والكون بحسب لفظة دارون ، وتكبر شوبهور ، زاع في نزاع على هذه الصورة أرى امامي في مشهد كتاب هيكل ، اليهود والرب يتنازعا . اليهود طائفة معروفة ، من ذرية ابراهيم الخليل ، طائفة مشتقة في جميع انسام الدنيا . طائفة قديرة ، غنية ، مضطهدة متساندة ، متبوذة في كثير من البلدان . لها تقاليد دينية وجنسية تربط قلوبها بفلسطين . تحفز اليهود الى فلسطين حافظان ، هما التوراة والاضطهاد القاسي . فهو ليس في المودة اليها . وألقوا الجمعية الصهيونية في أواخر القرن التاسع لهذا المقصد . وفي واقع الامر جاء كثيرون منهم الى فلسطين في عهد عبد الحميد . واحتطوا تل أبيب وزمارين وغيرها

وشبت نار الحرب الاوربية الكبرى سنة ١٩١٤ . وهنا يقول المؤلف هيكل في صفحة ٤١ « كانت نتيجة الحرب أوائل عام ١٩١٧ غير معلومة . ووضعية الحلفاء حرجية . وكان العالم اليهودي قوة هامة . فسمت دول الحلفاء (من جانب) ودول اوربا الوسطى (من جانب آخر) لاجتذابهم . فأظهرت المانيا رغبة شديدة في الاحتفاظ ببلد اليهود وربطهم برابط صداقة جديدة . ونوسطت لدى الباب العالي ليمسح لليهود بسكنى فلسطين وألحقت على صديقتها تركيا بالتسامح مع الصهيونيين للاحتفاظ بصداقة اليهود وفي تلك الاثناء أخذ الحلفاء يتبرون اقتراحات الصهيونيين وعملوا على ارضائهم خوفاً من انضمامهم الى الالمان . فقتلوا معهم ، واتفقوا واياهم على « تصريح بلفور » . وص ٤٤ . كانت نتيجة الحرب متوقعة على الولايات المتحدة . اذ لم يكن للحلفاء أمل في الانتصار دون مساعدتها وتأكدوا انه من الصعب جداً ادخال الولايات المتحدة الحرب في صفوفهم ان لم يجتذبوا اليهم قلوب اليهود الذين فيها ، فكان تصريح بلفور »

ويذكر الكتاب في صفحة ١٧ — ٢٥ اتفاق الحسين بن علي شريف مكة يومذاك ، والحلفاء على خروجه على الترك ، والانهياز الى الحلفاء واعدين بتحرير البلاد العربية واستقلالها فلما انتهت الحرب . وقاز الحلفاء . وكثر اليهود بفلسطين وتنازعا والرب ، ذكر العرب انكثرا بمواعيدها للحسين التي مفادها استقلال فلسطين عربية ، وتقيت اليهود بتصريح بلفور

« ان يكون لليهود وطن قومي فلسطين » . فكانت انكثرا بين قوتين متضادتين فجرأتها الى جهتين متقابلتين . بهذا الاعتبار يقول المؤلف في صفحة ٧٧ : وخاطبت الحكومة البريطانية زعماء الصهيونية قائلة : ليس من الصواب ، ولا من الحكمة ، ان يتابعوا الضغط على حكومة جلالته ، لتتبع سياستهم في مسألتى المهاجرة والاراضي . اذ معنى علمهم هذا انهم يتجاهلون واجب الحكومة نحو سكان البلاد من غير اليهود

ثم قال المؤلف في صفحة ٩٩ « وبعد ان درست وزارة المستعمرات (الانكليزية) تقرير لجنة شو ، وتقرير سمبسون ، وضعت حكومة جلالته الكتاب الايض لعام ١٩٣٠ وبه انضفت العرب بعض الانصاف » . و ص ١٠١ « وجابه العرب المشروع بقوة وامان فكر ، واخيراً قبلته مبدئياً اكثر منهم . . . اما اليهود فعملوا عليه حملة شعواء » الخ . ويقول في ص ١٠٠ « واخيراً حدد الصهيونيون حكومة جلالته باعلان حرب اقتصادية عليها ان قامت بتنفيذ محتويات الكتاب الايض لعام ١٩٣٠ » . وفي ص ١٠٢ « حاول وزير المستعمرات القناع عن المشروع . غير أن أعضاء المجلس (البرلمان) المتشبعين بالاهواء الصهيونية لم يبرروا براهينه اذناً صاغية . تخففت حكومة بلدين تألب التواب عليها ، فعدلت عن مشروع تأسيس المجلس التشريعي ، وأوخرت الى مندوبها في فلسطين ان يتمهل . . . فظهر للعام بكل جلاء أن نفوذ الصهيونية دخل وتمكن في البرلمان البريطاني »

وجاء في ص ١٠٤ « نرى وللأسف أن الحكومة المتتدبة لم تقدم خطوة واحدة في سبيل ترقية الحكم الذاتي في فلسطين . . . ليس لانها لا تريد القيام بواجباتها ، ولكن لانها عاجزة عن مقاومة الصهيونية »

يتبين القارئ من هذه الاقوال وامثالها ، وهي كثيرة في الكتاب ، أن المؤلف يقصد للحكومة الانكليزية بحسن التية نحو العرب . ولكنها غير قادرة على ان تقاوم الصهيونية ذات الحول والطول في انكثرا او اميركا . وذلك ابلغ دفاع قال به فلسطيني عن الحكومة الانكليزية ثم أتى في صفحة ٢٤٩ على « الحل السلمي العادل » لمشكلة فلسطين ، وبعد ما مهد له بكلام حكيم قال في ص ٢٥٣ و ٢٥٤ ما نصه : « خير حل للمشكلة اليهودية هو . . . ايجاد وضعية دولية خاصة باليهود . أي إن يعيش اليهود في البلاد التي هم فيها . وان يكونوا مخلصين نحو حكومتها . ويقوموا بجميع الواجبات التي يقوم بها اهل البلاد . وان تترف لهم الدول بحقوق خاصة في ما يتعلق بديانتهم وعاداتهم ولغتهم . وان تكون هذه الحكومات مسؤولة عن ذلك أمام مجلس دولي . . . وتكون فلسطين مركزاً روحياً وثقافياً لهم »

وهو حل بديع لو يصح

ولا يحيط من قدر المؤلف بعض اغلاط وردت في كتابه، ارى من واجب المراجعة الاشارة اليها . قال في صفحة ٤٧ « خفف يعقوب ١٢ ولداً صغيرم يوسف » . وهو خطأ . والصواب ان صغيرم بنامين . وقال في ص ٤٨ وبعد ان مضى عليهم خمسة قرون (في ارض كتمان — يعني اليهود) مالوا الى الحضارة وحاتاروا شاول ملكاً عليهم » . والصواب ان عصر القضاة ، الذي كان اليهود فيه في شي من البداوة ، لم يزد على ٢١٥ سنة يضاف اليه عصري يشوع بن نون وصموئيل ٨٠ سنة . وقال في ص ٥٠ دخلت فلسطين ضمن امبراطورية الاسكندر عام ٣٣٢ ق م . الى ان دخلت ضمن الامبراطورية الرومانية عام ٦٤ ق م . هنا أغفل المؤلف عصر المكابيين وهو اجد سطر في تاريخ اليهود . وقال في ص ٥٤ عدد المسيحيين اكثر من ٤٥٠ مليوناً . وهو خطأ صوابه انهم اكثر من ٧٠٠ مليون . منهم في اوربا ٤٥٠ وفي اميركا ٢٦٠ عدا من في اوستراليا وافريقية واسيا وجزر البحار . اقتصر على القليل وهو عن الكثير بديل .

ثانياً على نزاهة المؤلف وسعة اطلاعه

القاهرة حنا خباز

اصول الطب البيطري

تأليف الدكتور ابراهيم مجيب محمود ، مدرس الطب البيطري في كلية الزراعة في الجامعة المصرية ،
« طبعة الاقصاد بشارع حسن الأكر واثنتين خمسون قرماً »

انه ليسر الباحث ان يتقد كتاباً مثل هذا الكتاب فهو كتاب مدرسي حسن التأليف والطبع فرأيت ان اتقد بعض فصوله لأين للقارئ بعض ما جاء فيه فالباب الاول في الحيوانات الاحلية كالبقر والابل والحيل ونحوها وقد زين المؤلف صفحاته بالصور المتقنة البديعة واورد فيها اجزاء الجسم في كل منها وكتب اسماءها باللغة العربية فصيحة في اجزاء الفرس مثلاً ما يلي:

الرأس والحية والاذن والانف والعين وقررة العين والتاسية والمنخران والشفة العليا والشفة السفلى والذقن والفك والبارزة الوجنية والرقبة والسيب اي العرف وصفحة النقي ثم الصدر ثم الجسم وفيه الحمارك والظفر والظن والجلب والبيان اي الصدر والبطن والحاصران والكفل يتوسطه العجز والجرباب داخله التضييب ويقال للجرباب القنب ثم الصفن داخله الخصيتان ثم البارزة الحرقية ثم القاعة الامامية وهي الكتف ومفصل الكتف والعضد والمرفق اي انكوع والساعد والزائدة القرنية والركبة والوظيف (المدفع الامامي) والزر (الرمانة) والقيد والشرابة الامامية اي التة والاكيل والحافر . ثم القاعة الخلفية وفيها مفصل الورك والفخذ والساق والرقوب وبروز الرقوب والوظيفة الخلفي والزائدة القرنية الخلفية والرمانة الخلفية والشرابة الخلفية اي التة والقيد الخلفي والاكيل الخلفي والحافر الخلفي والذليل وشر الذنب وفي الاتي الذراع وله خلفان اي « لمنان والحيا » في أسفل الذراع . ثم اورد أجزاء البقر والابل

وكله بلفة فصيحة . وقد سرني في تصنيف هذه الحيوانات قوله : البوننة قاتها ماصيح كثير آمن
التدية فليس كل ليون شدي على ان جمع الة لا يزال على شدي او لث الموكل بانتخاب
مصطلحات علم الاحياء لا يزال في القرن التاسع عشر او انه يرضى بالحيوانات البوننة بعض
مضي سنوات حتى ينسى من اقترح البوننة

هذا في القرس ثم ذكر المؤلف الحيوانات الالهية المشهورة في مصر ولورد رسوما
وامامها المربة الفصيحة في غاية الة والاتان . هذا في فصل واحد من الفصول وكنت
افضل ان يهل ما هو اعجمي في بعضها غيقتصر على الوظيف مثلا اما اخافة المذبح اليها فاعجمي
لا لزوم له فالدفع انكليزي والوظيف عربي وهو يكتفي وهناك مسألة اخرى احب ان اشير اليها
فقوله الجمال والاعنام والماعز كله فصيح واظن لو قال الابل قالا بل تشمل الجمال وهي المذكور
والنوق وهي الانات : فالامة قهها وهي ادق في التميز ولماذا يقول للاغنام والتم افضل وهي
جمع وتشمل الضأن والمز والتم شامة في السودان والراق ويراد بها ذوات الصوف وذوات الشعر
اما الباب الثاني في تركيب الحيوان فانه ذكر فيه الشحم والنعن وقال ان الشحم يشبه
الدهن في ذوبانه وقد ينت قبالا في المتحف ان النعن مائة سائلة وان الشحم هو مديسي
بالانكليزية Fat لا كما زعم البامة ولا كما جاء في لجنة علوم الاحياء والماديات هما بالانكليزية
والمرية كما يأتي fat and oil

(المتقط : في هذا الجزء من المتحف بحث للاب استاس ناوي الكومل في هذا الموضوع)
ثم الباب الثالث وغيره الى آخر الكتاب . فالكاتب مؤلف دقيق . ولورد فيه المؤلف بالاحياء
المربة الفصيحة كما تقدم فهو كتاب قيس واني اشير بالاعتناء عليه لفصلاته فهو من جملة الكتب
التي اختارها الله لتوحيد المصطلحات الطبية

مصر الجديدة

العين الخلووف

الثورة الزراعية

لاتور ولقة — واخراج مطبعة الجبة الجديدة سنه ١٩٣٥ نسخة

في دراسة التاريخ القومي أكبر عون على الفخر بالانساب الى وطن عظيم ، ومن أجل
هذا كانت غاية جميع الأمم الحية بدراسة التاريخ الوطني علما منها بانها خير سبل لكي
يفرس في قوس النش : روح الاعتزاز بالوطن والعمل على احياء تراث الماضي الجيد . وكانت
الوسيلة التي تبنتها تلك الأمم الحية . لا يهاظ الشعور الوطني أنها استغللت من كل صفحات
تاريخها المعني باستخراج ما فيها من دروس وطنية

والروح التي كتبت بها الأستاذ المحامي « لاور ولقة » كتابه الإخير الثورة الزراعية هي التي

بحاج اليها في معظم كتب التاريخ التي يجب ان يتداولها الطلبة في المعاهد العلمية بمد الحول الفكري الذي اصاب معظم الكتاب والمؤرخين الذين اتدبوا « رسمياً » للكتابة عن بعض صفحات تاريخية لمصر تمدوا فيها عن قصد او غير قصد الخط من قيمة تاريخنا وذكرى ابطالنا . فكتبوا ما كتبوه من الكتب وهي خالية من ذكرى الاعمال العظيمة التي اتاها الجيش المصري في فتح البلاد الاسوية بقيادة نحمس الثالث او ملوك الرامسة . وفي عمارية الصليبيين امام دمياط والمنصورة وفارسكور وفي القضاء على الحياوش الثمانية في سورية والاناخول بقيادة الجندي البطل ابراهيم . وفي القضاء على مارب الفرنسيين في مصر وفي مقاومة الحملة الانجليزية في المتي السنة الاخيرات . والتاريخ المصري الحديث حافل بحوادث الابطال المصريين — هؤلاء الابطال الذين يجب علينا ان ندرس تاريخهم بتوسع . فلا يقال عنا انا امة تنكر الجليل وتجهذ فضل ابطالها الذين ماتوا في سبيل رقبها — ومن هؤلاء الرجال . . . عرابي باشا وهو وان كان قد خاب في مساعيه الا اننا يجب ان نذكر ان خيئه لا تحط من قيمة عمله بل يجب علينا ان نكثر من درس سيرته لنعلم اسباب الاخفاق فتجنبها واسباب الرقي فتأخذ بها

هذا البحث يقدمه النا الاستاذ « أنور زقلم » في كتابه « الثورة الراية » بمد ما راجع من الكتب والمصادر النفيسة ما راجع وحل ما ورد فيها من الآراء المتناقضة لحص المؤلف اهم حوادث مصر منذ حكم محمد علي الى ايام اسماعيل العظيم . وتناول الكلام عن تسرب الفوضى والاذني الى الادارة المصرية واسبابها السيئة في قيام العاصفة فالثورة فالتصيان القومي وقيام عرابي بدافع عن الظلم الذي لحق بالجيش من جراء تصف الضباط الترك واتقل للمؤلف الى الكلام عن التداخل الانجليزي بين الحديو وشبه بحجة الدفاع عن عرش سيد البلاد . ثم وصف الحوادث التالية للثورة الى نفوب الحرب بين الجيش المصري والانجليزي . وفي الفصلين الحامين لحص اهم اسباب الثورة وتائجها فتجده يقول : « لقد اخرجت لنا الثورة جميع زعماء النهضة الحديثة في مصر ويكفي ان الزعيم سعد زغول كان احد الشبان الذين تخرجوا منها » ونحن ننهي الاستاذ زقلم يؤلفه التفتيس ونأمل ان يكشف الستار قريباً عن صفحة تاريخية ماضية لبلادنا فهوها فرائداً آخر .

عبد الرحمن

هؤاد الاول

من الصفات الثيبة التي خلفها العالم على المصريين انهم كرام . ولنا ندرى ان كان مبعث ذلك طيب مناخهم ، وصفاء سماهم ، أم انهم من سلالة اولئك العرب الذين أثبتوا علياً انهم مدمن الكرم ، فاحتفظت صفحات التاريخ بذكريات رائمة لهم ، ما زالت تثير مسير المثل وتهب هبوب العرف الشذى . ولئن كان المرحوم شاعر النيل لمى عليهم ان يتناولوا في تلك الحقبة التي

حجرت عليهم في سبيل الحياة ذاك الزحام ، كان بما لا شك فيه انه لم يجد هو او غيره مغمزاً في ذلك الخلق النبيل : خلق الوفاء الذي انتظم خاصتهم وعاتمهم . وظهر ذلك جلياً في ليالي خطوبهم كما وضع في مباحث أعيادهم . ولئن كان مظهر الكرم رائماً فيهم على الرغم من انه لم يعد يناسب الاوضاع الاجتماعية فان مظهر الوفاء فيهم ما زال أروع ، اذ لا مصدر له إلا القلب ، بخلاف الكرم فقد يكون لدواع لا تمت الى جوهره إلا بأوحي سبب !! نقول هذا على ذكر المؤلف الضخم الذي قام بتأليفه ثلاثة من رجال التربية في وزارة المعارف . أما الكتاب فهو « قواد الاول » . وأما المؤلفون فهم الاساتذة الافاضل : عبد العزيز الازهري وعلي سرحان وعبد مجاهد . لم نكد تصفح صفحاته التي تشارف الحسنة من القطع الكبير حتى راعنا حسن تنسيقه ، وجعل تبويبه ووفرة صوره هذا الى افانين من الاسلوب السهل المتشع ، والبحوث الدقيقة المدعومة بالارقام ، والبسط الوافي لكل ما له علاقة بجلالة الملك الراحل وليدأ وطالباً واميراً وزوجاً ووالداً وسلطاناً وملكاً . . . او ما له صلة بمصر الحديثة ما بين سنة ١٩١٧ التي ولّي فيها حكم مصر وسنة ١٩٣٦ التي جاور فيها الرقيق الأتلي . فدعاهم هذا الى ان يستوردوا في دقة وبراعة التهضات المصرية : علمية وسياسية ودينية واجتماعية واقتصادية . . . وما نشكركم لحضرات المؤلفين اهتمامهم بأمر الصحف والمجلات في بحث شائق استغرق ست صفحات كاملة فتحدثوا عن مباحث قنودها واثرا ومنزلتها كهيئة محترمة بين الهيئات التشريعية والقضائية والتنفيذية وأقدم الجرائد الاوربية والعربية وكان ذلك من حضراتهم تمهيداً للعلاقة الملك الراحل بالصحافة : أميراً وسلطاناً وملكاً

وكما أن المتكلم أوحى الى المؤلفين أن يجعلوا براحة الاستهلال في كتابهم أن تحدثوا عن الاسرة المحمدية العلوية واتخاب محمد علي والياً والحدود اسماعيل وسيد لجبل مصر دولة مستقلة فكذلك كان توفيقهم في الاحتتام إذ تحدثوا في آخر اقسامه عن ساعات الفروب فتنبوا صحة الملك الراحل في ترتيب متسق وعبارات رائمة مؤثرة من سنة ١٩٣٣ م حتى غربت شمس حياته التي طالما ملأت الشرق بهجة ونشاطاً . . . ولم يتركوا المفاجأة الحارة تسبب بالقلوب الدامية طويلاً بل واسوا تلك الجراح بما كان من تصيب الملك الشاب المحبوب فلروق الاول على عرش الفراشة وتنازله عن تلك خصصاته السنوية

هذا هو الكتاب في مجلته . وعندنا ان المؤلفين احسنوا التمييز عن ولائهم للذات الملكية وكان التوفيق رائداه في كل ما بسطوه في كتابهم الحافل عن الملك الخالد وعصره الذهبي وحسبهم ان التقرير الذي رفع الى جلالة الملك فلروق عن كتابهم انصفهم وشهد لهم بمجدودهم ولكن كتابهم بأنه طيب وأنه أوفى كتاب صدر الى الآن عن جلالة الملك الراحل طيب الله رآه *

فهرس الجزء الاول

من المجلد الثاني والتسعين

- | | |
|-----|---|
| ١ | النم والمال |
| ٩ | الانسان المجهول : بحث العلامة الكسيس كارل . لاساميل مظهر |
| ١٦ | حكم انكليزية ويابانية |
| ١٧ | مصنع التل: الاعلى : لامين الرمحاني |
| ٣٠ | التيات والمعدن شعور تايفس |
| ٣٣ | اصلاح النيل : للدكتور شريف عيران |
| ٤٠ | بيت الشاعر (قصيدة) : لمحمد عبد النبي حسن |
| ٤١ | تصادم عقبتين : الصراع بين ابي جعفر المنصور وابي مسلم الخراساني : لملي آدم |
| ٥٢ | اوراق من الادب العالمي : لكامل محمود حبيب |
| ٥٨ | الدهن واتواعه : للاب الستاس ماري الكرملي |
| ٦٦ | شدة الاحساس بأشياء ومواد معينة |
| ٧٠ | حيوانات مشهورة وصحة اسمائها : للفرق امين المطوف |
| ٧٣ | حديقة المقتطف * رباعيات الفزالي — الحب الصوفي — الشك : نقلها خليل هند داوي |
| ٨١ | سير الزمان * الوحدة العربية : لحنا خياز . روسيا على مفترق الطرق |
| ٩٥ | باب الزرية * التعليم على قة جيل : للكاتب الاميركي لويس اداميك . زكاة الثقافة |
| | والعلم والتبوغ : للاستاذ محمد الشباوي بك . تاريخ مجيد وأعراض نبيلة : للسيدة |
| | انصاف منصور فهمي بك |
| ١٠٨ | الاخبار العلمية * عمر القمر وموعد الاحتفال بزواج جلالة الملك : لصبحي جلي . |
| | جوائز نوبل الطبيعية والكيمياء والطبية . الولايات المتحدة الاميركية تخسر حقوقها |
| | في ميادين الطيران . العلم والمقراية : قصة عالم فرنسي . انايب اليراء من الزواج . |
| | اخلاط ملونة من الذهب |
| ١١٤ | مكتبة المقتطف * هنسة الكون بحس تاموس النسية . الصيد في البلدان العربية . |
| | القضية الفلسطينية . الثورة الجزائرية . مؤاد الإول |

JUNE—DECEMBER 1937

يونيه الى ديسمبر سنة ١٩٣٧

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

انشائها

الدكتور يعقوب سرورف والدكتور فارس عمر

المجلد الحادي والتسعين

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

Edited by: FUAD SARRUF

VOL. 91

Founded 1876 By Drs Y. Sarruf & F. Najar

فهرس المجلد الحادي والتسعين

وجه	وجه	وجه
(ج)	(ب)	(ا)
الحيل الايض تلاجته	البالكيت والكيمياء	ابتهالات (قصيدة) ٥٥٠
(قصيدة) ٥٦٢	الصناعة ١٠٧	ابن ابي ريمة ٤١
* حيل اوليا خزانه ٤٩	* البحر المتوسط مشكلته ٣٣٧	ابن جبرول وسينوذا ٦٢
* جوج السادس تمويجه ١٠١	البروتيلين والزهرى ٢٣٥	الادريالين وعلاج
(ح)	* برنستون والطوم	الملازيا ٣٦٦
الحديد وصناعتها في مصر ٣٨٥	البرية فيها ٤٠١	ادوردا الثامن: حول
الحرير الصناعي ١	البصاصة الكهربائية ٥٦٣	نزوله ٢٠٩
الحرية المختقة ٣٤٥	البنات تلميحن في مصر ٤٨١	الارض قلبها هل هو
الحزن تأثيره في البصر ٦١٥	البوتاسيوم والحياة والتمو ١١٠	حديد ٦١٢
* حشرة سان يوزي ١٦١	بلونات عجيبة لاستطلاع	* الارضة طبائنها ٥٥١
* الحفر في الحطب	الجو ٦١٣	اسماعيل باشا نواح عسكرية ٢٠٢
والتحاص ٥٠٥	البلا ترفون ٤٩٠	الاستنان منع ألها ضد
الحكومة مهمتها في الترية ٧٢	اليوريا وقيتامين ٣٦٠	حفرها ٣٦٢
الحمام الزاجل غرائب ١١٣	(ت)	امين قتي الدين ٢٢٧
الحياة مداها ٥٠٥	التألق يفضح ٤٢٩	انا واني (قصيدة) ٤٨
حيوانات مشهورة وصحة	التحليق بالطيارة: اعلاه ٣٦٥	انا الشمال (قصيدة) ٩٨
اسماها ٨١ و٣٧١	التحليل النفسي ٥١٦	الانسان عقله بين الكيمياء
(د)	تحويل الكلور الى ارغون ٣٦٦	والكهرباء ١٢٩ و٣٠٥
* دير سانت	التسمم بعد الحرق ١١٣	أنسولين جديد باضافة
* كارتين ٢٦٦ و٤٣٧	التماسك الكوني سره ٣٧٧	الزنك ٢٣٧
* ديكارت ٢٧٣ و٤١٩	توت غنخ امون صورة	الانسولين صدمته
(ذ)	عرشه ١	والجنون ٢٣٣
القرّة نهجها ٥٢٤		ايلا ابو ماضي ٢٨٧

وجه	وجه	وجه
(غ)	الشرق والغرب :	(د)
الغزالي رباعياته	مقابلات ٢١٤	الراديو ثمراته ٢٩٢
(قصيدة) ٥٤١ و ٣٢٩	شركة مصر للطيران	الراضي سيرته ٥٢٩
النيرة تأثيرها في الاجسام ٣٥٩	تقدمها ٣٩٣	الراضي كتابات له ٢٣
(ف)	الشمس العناصر فيها ١١٢	الراضي وقاته وخلقته ٢٠
القلل الرباعي ١٨٥	الشيخ احمد قارس ٣١٠	الرحيل الاول (قصيدة) ٩٩
الفكر والفن ١٥٣	(ص)	* رذرفورد وقاته
فولتير : ثمانى عشرة	صدى قبة (قصيدة) ٣٢٠	وسيرته ٣٩٤
سورة ١٤٥	* صروف الدكتور :	وشيد أيوب ٤٣٢
فولتير من حكمه ٦١٣	لصب تمثاله ١٧٨	الزقي (قصيدة) ١٣٥
الفيثامينات في الصحة	* صروف ياقوت ٥١٣	« الريح الالهي » طائره
والمرض ٢٣	الصوف الصناعي من	يابانية ١١٢
الفيثامينات كيميائها ١٦٧	الابن ٢٣٩	(ز)
فيتامين O وقرح المدة ٣٦٤	(ض)	الزراعة والبحث
فيتامين O واليوربا ٣٦٠	ضدع عجائب في ذيلها ٢٣٨	الطبي ٥٧٥ و ٢٨١
فيتامين D وفضيله ٦٠٩	(ط)	(س)
فيتامين P وجارزة نوبل ٦١١	* العقل ضيف العقل ٦٠١	سينوزا وابن جبرول ٦٢
الفيتيقيون ٥٦٩	الطفل المتأخر ٦٠٧	سفن حرية تدار
(ق)	(ع)	باللاسلكي ٤٨٧
القصدرو الصناعة الحديثة ٦١٤	عبر ٤٥٢	السلفانيلا ميد قائده
الفقر المورد ٢٨١	عذسات غير زاجحة ٣٦٧	وضرده ٦١٦
(ك)	* العرش في التاريخ ١٠٥	سوينين الشاعر ٢٩٨
كانت الذئاب تموي (نصة) ٦٦	الشره المقدمون في تاريخ	سيكورسكي رأيه في
كلية النبات الامريكية	الفكر الاساني ٨	مستقبل الطيران ١١١
بيروت ٣٥٥	العقل والجنون : بينهما ٢٣٨	(ش)
الكيمياء تدريسها ٧٦	على القصة (قصيدة) ٤١٨	الشاعر والالم ٢٢٥
الكينا والثرلة الرثوية ٢٣٩	العناصر الحيوية ٤٤٧	شاعر المني (قصيدة) ٣٢

وجه	وجه	وجه
٣٩١ التحل لفتة وحواسه	٢٢٠ المعارضة فلسفيا	(ل)
١١٤ التزلة الرثوية مصل لها	مقاومة الجسم لفرض	١١٤ ألعاب قياس سيلة
٥٧٧ القم الرقيق (مسرحية)	تختلف صيفا وشتاء ١١٣	١١٣ اللون والاقبال عليه
نوبل توزيع جوائزه	١٢٥ - ١١٥ مكتبة المقتطف	٢٣٠ البيل أغنيته
٥٨ على الامم	٢٤٠ - ٢٥٥ و ٣٦٩ - ٣٧٥	(م)
(و)	٤٩٣ - ٥٠٣ و ٦١٧ - ٦٢٣	المادة : دقيقة جديدة ٢٣٧
٣٦٨ الوسكي سم نافع	* الملك قازوق الاول ٢٥٧	٢٣٩ المئانة ثبان فيها
(لا)	نمون الفيلسوف لقولتير ٩١	٣٦٥ المحيط الاطلسي قهره
٥٥٥ لامالس الاب	من قبل طارق	١٧٢ المدرسة والطا
(ي)	(قصيدة) ٢٧٢	٢٥ المرأة في مصر
* اليابان نهجها الطالع ٥٨٩	* المنسوجات الاترية في	مركب النافلات
٥٤٤ اليبس مرضه في الموالح	مصر الاسلامية ١٢٧	(قصة) ٣٤٩
اليمين : رحلة جغرافية عمرانية	(ن)	* تمر كوني : وفاته
٤٦١ و ٣١٣ و ١٩٢	النبات مفرداته ٨٦	وسيرة ٢٥٨
* يوميات دولية ٤٦٥	٤١٢ و ٣٢٥	

كل موضوع امامه نهم يدل على أنه مضمور

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الثاني والتسعين

١ ذي الحجة سنة ١٣٥٦

١ فبراير سنة ١٩٣٨

الاشعاع

قريباً ومريئاً^(١)

موضوع الاشعاع موضوع عويص وواسع النطاق في آن، فلما يعرف الباحث، اذا حاول ان ياتي عاصرة واحدة فيه، اين يتدنى، واين ينتهي . فامواج الاشعة المرئي منها والحفي تحيط بنا من كل ناحية ، وتؤثر في معظم وجوه المعرفة والعمل والحياة .. من الامواج اللاسلكية الطويلة والقصيرة ، الى امواج الحرارة الخفية ، الى امواج الطيف المرئي ، الى امواج الاشعة التي فوق البنفسجي ، الى الامواج التي وراءها كالأشعة السينية ، واشعة غمما ، الى الاشعة الكونية ، التي نستطيع ان نفوذ من خلال الواح من الرصاص كثافتها عشرون قدماً او تزيد ما هذه الاشعة ؟ وكيف تشابه ؟ وكيف تختلف ؟ وكيف تثبت ؟ وكيف تنتقل في الفضاء ؟ وما صلتها بالمادة ؟ وكيف يفسر فعل الناصر التي تطلق اشعة ؟ وما العلاقة بين ما نعرفه من هذه الناصر وبناء المادة الاساسي ؟ وهل في المستطاع مجازاة الطبيعة فيثاق للانسان ان يخرج من المواد الجامدة ، غير المشعة ، مواد تاجع في احداثها الطاقة وتطلق منها الدقائق والامواج ؟ هذه هي بعض الاسئلة التي تخطر لباحث عندما يقترب من موضوع الاشعاع . والنرض من هذا البحث محاولة الاجابة عن بعضها، على اساسين من الابهاز والتبسيط ، فالتطويل يمتنع بالمعاد المضروب للمحاضرة، والتمحق الرياضي ليس هذا محله وهو يعلل كل حلل فوق طاقتي

(١) من عاصرة اعداها رئيس تحرير المقتطف لتلقى في الملتقى العلمي باجتماع يناير ١٩٣٨

١ — مدى لطيف الاشعاع

ولعل خير ما نسل به البحث ، تبين مدى الاشعاع في الطبيعة ، وخواص الامواج في كل قسم منه . ولعل خير تقسيم لتمد عليه في هذا الصدد ، مع انه تقسيم عرفي ، هو اتخاذ الطيف المرئي اساساً ثم البحث في مدى الامواج التي على جانبيه

عرف من عهد نيوتن في القرن السابع عشر انه اذا دخلت شعاع من ضوء الشمس حجرة معتمة من ثقب ، في جدارها او في ستار اسود مسدل على نافذتها ، ووقمت هذه الشعاع على منشور زجاجي ، فذلت منه في الناحية المقابلة ، وقد انحلت الى الوان سبعة هي الاحمر فالبرتقالي فالاصفر فالاخضر فالازرق فالتبلي فالبنفسجي . الاحمر اطولها امواجاً والبنفسجي اقصرها امواجاً ، وامواج الالوان الاخرى بينها متدرجة قصراً من الاحمر الى البنفسجي

الا ان مدى الاشعاع في الطبيعة لا ينتهي عند الاحمر من ناحية ولا عند البنفسجي من ناحية اخرى . ف وراء الاحمر اشعة تعرف بالاشعة التي تحت الاحمر وهي اشعة حرارة لا تبلغ امواجها في سرعة تواليها المبلغ الذي تاتر به عين الانسان فتسبج عن رؤيتها ، ولكنتا نحس حرارتها . ويرجع الفخر في اكتشاف هذه الاشعة الى العلامة هرشل ، السر وليم هرشل مكتشف السيار اورانوس . فقد كان يحرب التجارب بالامواج التي تألف منها لطيف الشمس المرئي وما لها من تأثير في مقياس الحرارة ، فكان يحمل شعاع الضوء ، بالطريقة التي تقدم ذكرها ، ثم ينقل المقياس الحراري ، من البنفسجي الى الاحمر ، في فترات متساوية من الوقت ، ويدون تأثير اشعة الالوان المختلفة في رفع درجة الحرارة فيه ، فلاحظ ان اشعة الالوان الاحمر اشد رفعاً لدرجة الحرارة في المقياس وان اشعة الالوان البنفسجي اقلها . ثم خطا الخطوة التالية ، وهي خطوة يحتمل المنطق ، اذ وضع مقياس الحرارة في المنطقة التي تلي الالوان الاحمر ، وهي منطقة لا تتبين العين فيها لوناً ما ، فوجد ان درجة حرارته ، ترتفع وهو فيها ، اكثر من ارتفاعها اذ يكون للمقياس مضروباً بالامواج الحمر . ثبت له ان وراء الالوان الاحمر ، امواجاً خفية ، تحت حرارة في الجسم الذي يضر بها . ثم طبق هو وطائفة من الباحثين الذين تلوه ، ما كان مبروفاً عن خضوع امواج الالوان المختلفة ، لقوانين الانكسار والتكسر والاستقطاب والتداخل فثبت ان طبيعة هذه الامواج الخفية من طبيعة الامواج المرئية

ولم يكف هرشل باكتشاف المنطقة التي وراء الالوان الاحمر بمقياس الحرارة ، بل حاول كذلك استكشاف المنطقة التي وراء الالوان البنفسجي ، فوجد الفعل عكسياً ، اي كان كلما بعد بمقياسه عن امواج الالوان البنفسجي رى الحرارة فيه وقد هبطت . وكان ذلك مما توقعه وتوصل اليه بالاستنتاج

من مشاهدة التدرج في هبوط درجات الحرارة في المقياس ، بالاستقال به من وراء الاحمر او تحت الاحمر الى الاحمر الى ما يليه من الالوان

وكان الكيميائي السويدي شيل ، قد اكتشف ان أملاح الفضة تتغير لوناً اذا عرضت لضوء الشمس . فسأعل الباحثون ، هل للأشعة التي فوق اللون البنفسجي تأثير في املاح الفضة ؟ وفي سنة ١٨٠٢ جرب ولستن التجربة التي اسفرت عن الجواب . ثم اثبت بوقع ان الفعل الكيميائي الذي تصف به الاشعة التي فوق البنفسجي سببها امواج اثيرية ، لانها تمكس وتكسر وتستقطب كأمواف الضوء . ونحن نعلم الآن ، ان هذه الاشعة هي التي تؤثر في املاح الفضة التي تقطعي طبقة الافلام وألواح التصوير فتجعل التصوير الضوئي ممكناً . ونعلم كذلك ان ما تصف به هذه الامواج من الفعل الكيميائي يستعمل الآن لتوليد بعض انواع الفيتامين في مواد خالية منه . وليس هنا مجال التبسط في ذلك

ولم يلا أخرج كثيراً عن الموضوع ، اذا قلت ان الباحث الاميركي ميز Hoes اثبت من عهد قريب ان الاشعة التي تحت الاحمر ، وهي اشعة حرارة كما قدمت ، تؤثر تأثيراً كيميائياً في بعض المواد ، فصنع ألواح تصوير تشعها المادة التي تثار بالأشعة التي تحت الاحمر ، وأحى مكواة ووضعها في حجرة ممتدة ، فلم يرها بينيدي ولكنه استطاع تصويرها ، لان اشعة الحرارة المنطلقة منها أثرت في لوح التصوير فرسمت المكواة عليه

وكذلك امتد طيف الاشعاع من البن من اليسار ، أو من تحت ومن فوق ، فشم من ناحية اللون الاحمر ، اشعة الحرارة ، ومن ناحية اللون البنفسجي الاشعة الكيميائية ، فالأولى تعرف باسم الاشعة التي تحت الاحمر ، والثانية بالأشعة التي فوق البنفسجي . وكذلك ثبت ، أن بين الضوء والحرارة صلة وثيقة . فهل ثمة ظاهرة أخرى من ظواهر الطاقة تنصل بهما ؟ هذه مسألة تستهوي العقول التي يشغلها وبحيرها ما في الطبيعة من اسرار ، وبحجها الشوق الى التسأل والتجربة . وكان من الطبيعي ان يتجه فراداي الانكليزي وهو امير العلماء المحريين في عصره ، الى هذا السؤال . ففي سيرته ما يثبت انه كان في سنة ١٨٢٢ مشغلاً بالبحث عن الحلفات الخفية الناقصة ، في سلسلة الظواهر الطبيعية وكان يعتقد اعتقاداً راسخاً في ان الاشكال المختلفة التي تظهر فيها قوى المادة ترتد الى اصل واحد ، وكان بطبيعة مباحثه الأخرى ، بهم بالضوء والمغناطيسية والكهربائية . وكان الضوء المستقطب يحيره . وكان يحس ، وليس عنده دليل ، ان هناك صلة بين المغنطيسية والكهربائية . فاصراً شعاعاً من الضوء المستقطب بين قطبي مغنطيس كهربائي قوي ، فبين له ان شعاع الضوء يدور جدياً يحري بالتيار الكهربائي في المغنطيس . فاذا انقطع طادت الشعاع الى وضها الاصلي . ثم اخذ لفة من السلك بدلاً من

مغناطيس واجرئ فيها تياراً فكان تأثيرها في شعاع الضوء المستقطب كتأثير المغناطيس الكهربائي .
 نفصل فراداي من هذه التجارب الى النتيجة المحتومة بان للضوء خواص كهربائية ومغناطيسية .
 وفي سنة ١٨٤٦ تنبأ فراداي بأنه لا بد أن يحيج يوم ثبت فيه انبثاق صلة بين الضوء
 والاهتزازات الكهربائية المغناطيسية (الكهرطيسية) في الاثير . وكان فراداي مجرداً بعبرياً
 ولكنه كان غير راسخ العلم في الاساليب الرياضية ، وهذا التنبؤ الجريء ، لا بد له من سحر
 الرياضة ليحول له من خاطر وملاحظة الى حقيقة علمية

ومن محاسن الاتفاق ، او من اسرار الخلق ، أن العصر الذي انجب فراداي ليكشف هذا
 الكشف ويقذف بهذه التنبؤ الجريئة ، انجب كذلك اميراً من امراء البحث العلمي الرياضي
 في جميع الصور اعني جيمس كلاوك مكسول . كان مكسول مجرداً لا يستهان به ، ولكن قل
 من يجاريه في عبقرية الرياضية . فنظر مكسول في نتائج التجارب التي اجراها فراداي وقال
 في ذات نفسه لا بد من وجود تفسير لما يتصف به الضوء المستقطب من الخواص الكهربائية
 والمغناطيسية . فكف على التحليل الدقيق ، وخرج منه بمعادلات رياضية ، تدل على ان في النضاء
 اضطرابات كهربائية مغناطيسية تصف بصفات الضوء . فكان مكسول قال : ان الضوء مظهر
 اضطراب موجي في الاثير . وكذلك الاضطرابات الكهربائية الناشئة من شرارة كهربائية تبدو في
 مظهر امواج في الاثير ، لا زها ، ولكنها هناك كالمواج التي تحدث النور والحرارة والطاقة
 الكيماوية تسير جميعها بسرعة واحدة ، هي السرعة المروفة للضوء اي ١٨٦٣٠٠ ميل في الثانية
 وقضى مكسول ، في سنة ١٨٧٩ وهو في الثامنة والاربعين من عمره ، ومعادلاته الرياضية
 لا تزال ارقاماً ورموزاً على ورق ، ولكن لم تكده تقضي سبع سنوات على وقاته حتى حقق
 هينريش هرتز الالماني بالتجربة ، ما كان ظناً في ذهن فراداي ومعادلاته رياضية في بحوث
 مكسول . ففي يوم من ايام سنة ١٨٨٦ كان هرتز يجرب التجارب في معمله ، بملفين من الاسلاك
 المعزولة ، واذ هو يجرب لاحظ انه اذا افترغ جرة لين في احد الملفين احدث افراخها
 تأثيراً في الملف الآخر البعيد عنه . فدهش لذلك . ومضى في التجربة بنية الاستيثاق ، فثبت
 له ان التأثير في الملف الثاني لا يقع الا اذا كان في حلقة الملف الاول فراغ صغير بين طرفيه
 اي متى كان الملف كالحاتم وقد احدثت فيه فترة صغيرة . ثم ثبت له كذلك ان تربيته جرة
 لين في الملف الاول يحدث تأثيراً في الملف الثاني ولو ابعد عنه بعداً لا بأس به

ثم نوع التجربة ، فحدث فترة في الملف الثاني كالتفريغ التي في الملف الاول ، ثم
 افترغ جرة لين في الاول فقفزت شرارة بين الطرفين ، وقفزت شرارة مثلها بين طرفي
 السلك الثاني مع انه لم يكن ثمة اي اتصال بينهما . وتفسير ذلك ان قفز شرارة بين طرفي الحلقة الاولى

احدث اضطراباً او ذبذبة في الفضاء ، فانتقل هذا الاضطراب او الذبذبة الى الملف المقابل فاحدث فيه تياراً كهربائياً مؤثراً induced ففقر شراسة بين طرفي الحلقة حيث تقوم الشرارة فكان ذلك الجهاز اللاسلكي الاول في ايسر اشكاله

وكانت الخطوة التالية ، ان عُنِي حررَ بدراسة الاضطراب الذي يحدث في الفضاء ، اي الذبذبات او الامواج التي تنتقل من الملف الاول الى الملف الثاني . فاثبت ان هذه الامواج تكسر وتستقطب وقاس سرعتها فوجدتها كسرعة الضوء تماماً ، ثم بين انها تتداخل interference كماوج الضوء . ان هذه الامواج التي تنتقل في الفضاء على اثر تفرغ جرة ليدن تصف بجميع صفات الامواج الضوئية ، والفرق الوحيد بينها وبين الامواج الضوئية ، انها كانت اطول كثيراً من امواج الضوء

وكذلك تحققت نبوءة من اعظم النبؤات العلمية في العصر الحديث ، فافضى تحقيقها الى تقدم علمي عجيب في الحاطبات اللاسلكية

كان حررَ في السابعة والثلاثين من عمره ، عندما أصيب بقسم في دمه وقضى . ولكنه كان قد طبق جميع اساليب البحث على الاشعة الكهربائية المنطيسية — وهي المعروفة باللاسلكية الآن — ليعرف هل هي من نوع امواج الضوء فكسها وكسرها وفرقها وداخل بعضها في بعض . ومن المعروف الآن انها تمتد من حيث طول موجتها عشرات الاميال الى حيث طولها بضعة سنتيمترات . وهي من حيث المدى بين اطولها واقصرها اوسع مدى من طيف الضوء المرئي ، ألوف المرات ، حتى ولو اضيفت اليه الاشعة التي فوق البنفسجي والاشعة التي تحت الاحمر

واذن ، كان مدى الاشعاع ، عندما اثبت حررَ في منتصف العقد التاسع من القرن الماضي وجود الامواج الكهربائية ، يشتمل على الضوء المرئي ، وما يحيط بطرفيه من الاشعة الكهربائية وأشعة الحرارة — التي تحت الاحمر ، والاشعة الكيماوية — التي فوق البنفسجي . ولكن الفرق بين اقصر امواج الكهرباء واطول الامواج الحمر كان كبيراً في البدء ، الا ان الباحث الحديثة كشفت عن امواج كهربائية قصيرة جداً تساوي في طولها او تحاذي اطول الامواج الحمر وكذلك يمكن ان يقال ان طيف الاشعاع من اطول اشعة الراديو الى الاشعة التي فوق البنفسجي ، اصبح بالبحث الدقيق والتجربة البارة « مكشوفاً » « لعل ولا شرارة فيه . في الناحية الواحدة امواج يقاس طولها بالاميال ، وفي الناحية الاخرى امواج يقاس طولها باجزاء صغيرة من السنتيمتر أو المليمتر

ولكن ايظف طيف الطاقة عند هذا الحد من ناحية الاشعة التي فوق البنفسجي ؟ اليس وراعيها اشعة اخرى ، امواجها اقصر من هذه الامواج التي تؤثر في املاح الفضة ؟

هذا سؤال لم تُثر الطريق الى الجواب عنه إلا بعد انقضاء نحو عشر سنوات على اكتشاف الاشعة الكهرطيسية او اشعة الراديو او الاشعة اللاسلكية

ففي سنة ١٨٩٥ كان وليم رنتجن في فرتريج . وكان في أحد الايام يبحث في حجرة ممتدة ، وكان من ادوات بحثه انبوب استنبطة السر وليم كروكس الطبيعي الانكليزي فنسب اليه ، وكان رنتجن قد غطاه بورقة سوداء . فلاحظ في أحد الايام ظاهرة غريبة استرعت نظره واستوقفت فكره . ذلك ان تياراً كهربائياً كان منطلقاً في انبوب كروكس ، وهو مغلف بالورقة السوداء . وعلى بضع اقدام منه كانت لوحة مغطاة بطبقة من مركب (بلاتينو سيانور الباريوم) ، فالتفت اللوحة تألفاً غريباً . فظن اولاً ان اشعة المهبط احدثت هذا التألق . ولكنه بعد تفكير عرف ان هذه الاشعة لا يسببها اختراق زجاج الانبوب . فعدل عنها الى القول بان هناك اشعة اخرى تخترق الزجاج والورق الاسود وطبقة من الهواء كثنائها بضع اقدام — المسافة بين الانبوب واللوحه — وعندئذ جعل يجرب التجارب ليعرف قدرة هذه الاشعة الخفية على اختراق الاجسام والتفوذ من خلالها ، وذلك بوضع أجسام مختلفة الكثافة والصلابة بين الانبوب واللوح . ومن جملة ما وضع يدأ بشرية وراءها لوحة فوقرافية حساسة . ولشدة دهشته وجد صورة اليد وعظامها قاعمة في الصورة حالة ان الانساج المحيطة بها كانت رمادية الى البياض . فكانت هذه الاشعة اخترقت اللحم والدم ولم تخترق العظام

وفي ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٩٥ اعلن رنتجن اكتشافه لهذه الاشعة الخفية في رسالة تلقت على جمعية برلين الطبيعية . وسميها بحرف X الذي رمز به الى المجهول في علم الجبر . وبعدما دعت بالعربية اشعة اكس واشتهرت بها رأى بعضهم اطلاق اسم الاشعة السينية عليها لان الحرف «س» يمثل محل الحرف X في الجبر العربي ويسهل استعماله منسوبة اليه

عند ذلك اخذ العلماء يسألون ، هل امواج هذه الاشعة ، من نوع اشعة الضوء واشعة الحرارة والاشعة الكيماوية ، والاشعة اللاسلكية . وانقضت ست عشرة سنة قبل ان فاز العلم بالجواب الاول . ففي سنة ١٩١١ تمكن العلامة الالماني فون لاو Von Laue من تقريبها بواسطة لوحة محززة . ثم جراه وليم براج الانكليزي في هذا البحث فمكسها وقاس طول امواجها فوجدوا اقصر من امواج الاشعة التي فوق البنفسجي ، واقصر الواف المرآت من اشعة الضوء الذي يرى . وفي سنة ١٩٢٥ كسرت ، فاجتمعت الادلة الوافية ، على انها جزء من ذلك الطيف طيف الاشعاع الذي يجمع اشعة الراديو واشعة الحرارة واشعة الضوء والاشعة الكيماوية هل ينتهي الطيف عند هذا الحد ؟ هوذا السؤال نفسه يتردد ثانية وثالثة . اوليس وراء الاشعة السينية اشعة اخرى ، اقصر امواجاً واعظم قوذاً واختراقاً للاجسام ؟ في الرد

عن هذا السؤال تطوي جميع المباحث الخاصة بالمواد المشعة التي مهد لها بكريل الفرنسي الطريق وجبدها بيركوري وزوجها ماري باكتشافهما عنصر البولونيوم الراديوم وما تلا ذلك من مباحث عشرات من العلماء الاعلام الذين اثبتوا ان انواع المقذوفات المنطلقة من الراديوم ثلاثة هي دقائق الفا، ودقائق بيتا وهي الكهربيات، واشعة غاما. واشعة غاما هذه اقصر امواجاً من الاشعة السينية واشد نفوذاً من خلال الاجسام المادية. وما كاد الساريزاج عن اشعة غاما حتى بدأ البحث بقصد معرفة طبيعتها وهل هي تابعة للطيف الكهروضوئي. وكانت اقامة الدليل على ذلك من اعسر الامور. ولكن فيلارثيت انها تنكسر وتكسر وتسير بسرعة الضوء وفي سنة ١٩١٤ تمكن زدرنورد واندرايه من قياس طول امواجها فثبت انها اقصر امواجاً من الاشعة السينية واذاً فقد رتبها على اختراق الاجسام اعظم من قدرة تلك، فضمت الى الطرف القصير الامواج من طيف الاشعاع

وما كادت هذه الحقائق تعرف او يعرف بعضها، حتى خطت في افق علم الطبيعة الحديثة علامة استفهام قديمة مؤداها، هل ينتهي مدى طيف الاشعاع عند هذا الحد؟ وكان من المتعذر الاجابة قبل التجربة والامتحان، اذ كان يصير على الفهم البشري ان يصور اشعة اقصر امواجاً من اشعة غاما المنطلقة من الراديوم، وتستطيع لقصرها ان تخترق لوحاً من الرصاص مما كنه أكثر من بوسطن. ولكن هذا الذي كان يصعب تصوُّره ويتعذر توقُّعه اصبح حقيقة واقعة، باكتشاف الاشعة الكونية. وقد سبق لي أن تشرفت بالقاء محاضرة في موضوعها في هذا المجمع الموقر نشرت في كتابي السادس فلا اعيد ما جرت فيها وانما اكتفي بالقول بان اقصر الاشعة الكونية التي تبينها اجهزة العلماء الدقيقة تخترق ما سماه كنه ٢٨٠ قدماً من الماء أو ٢٥ قدماً من الرصاص مع ان الاشعة السينية لا تخترق الا ما سماه كنه ستمتران فقط ا بقي علينا، ان نقول كلمة في وحدة المقاييس التي يستعملها العلماء في قياس امواج قصيرة من هذا القبيل قبل الاثبات على هذا الجانب من المحاضرة. وهذه الوحدة التي اعتمدها العلماء في قياس طول الامواج القصيرة تعرف «بالميجتروم» وهي جزء من عشرة ملايين جزء من المتر على هذا الاساس من القياس تكون اطوال الامواج في الطيف الكهروضوئي، كما يلي

طوال الامواج	ضرب الامواج
من عدة كيلومترات الى عشر المليمتر (مليون ميجتروم)	الامواج اللاسلكية
من مليون الميجتروم اي عشر المليمتر الى ٨٠٠٠ ميجتروم	الاشعة التي تحت الاحمر
من ٨٠٠٠ ميجتروم الى ٤٠٠٠ ميجتروم	اشعة الطيف المرئي
من ٤٠٠٠ ميجتروم الى ١٠٠ ميجتروم	الاشعة التي فوق البنفسجي

ضرب الامواج	اطول الامواج
الاشعة السينية	المجستروم واحد
اشعة غما	من بضعة اعشار الانجستروم الى سبعة اجزاء من الف جزء من الانجستروم
الاشعة الكونية	اقصر من ذلك كثيراً

٢ — طبيعة السماع

لستيقظ في الصباح فاذا الضوء يضر الكائنات . فلا يخطر للذهن البشري ان هذا الضوء يصدر ويسير ويستغرق في صدوره وسيره ووصوله وقتاً . فكان لا بد من خيال متيقظ لينصّر ان الضوء يتحرك وانه يتحرك بسرعة ثابتة . وليس في تاريخ العلم ذكر من سبق الى فكرة انتقال الضوء ولكن اول من طبق هذه الفكرة تطبيقاً علمياً على ما نعلم هو الفلكي الدنماركي روبر . ففي سنة ١٦٧٦ كان روبر يراقب حركة الاقار الاربية التي تدور حول المشتري ، وفي دوراتها حول هذا السيار ، يحيط عليها فترات تقبب عن النظر وراءه . ثم تبرز للبيان . وكان كل قر يقبب فترة معينة من الزمن . فدوّن روبر مدى غياب كل منها في اوصاد مختلفة . فدهش عند ما رأى ان مدة غياب القمر الواحد ليست واحدة ، فحيره ذلك لانه لم ير كيف السبيل الى حساب سرعة دوران المشتري على محوره بسرعة متغيرة . ولا كان في وسعه كذلك ان يسم بأن هذه الاقار تغير سرعتها في دوراتها حول المشتري . ثم لاحظ ان هذا التغير في مدى غياب الاقار ، او في سرعتها الظاهرة على صلة بحركة الارض بالقياس الى حركة المشتري . فالمشتري تبعاً لحركته وحركة الارض حول الشمس ، يكون آناً مقرباً من الارض وآناً مبتعداً عن الارض . فاذا فرضنا ان المشتري ، آخذ في الابتعاد عن الارض . وانه لكذلك زصد احد اقار فترأ يقبب وراءه ثم يظهر . ولكن في الفترة بين غيابه وظهوره يكون المشتري قد ابتعد عن الارض . واذا فالضوء الواصل الينا من القمر بعد ظهوره ، يقطع مسافة أبعد من المسافة التي كان قد قطعها قبل غيابه ، لا ابتعاد المشتري في اثناء ذلك . واذا كان المشتري آخذاً في الاقتراب كانت المسافة التي يقطعها قمر المشتري بعد ظهوره اقصر من المسافة التي قطعها قبل غيابه ، لان المشتري يكون قد اقترب منا في اثناء ذلك . فاذا كان الضوء يستغرق زمناً معها يكن صغيراً في اختراقه الفضاء او اجتيازه المسافات ، فلا يمكن أن تكون الفترتان اثنان يستغرقهما القمر بين الغياب والظهور ، في حالتها اقتراب للمشتري وابتعاده واحدة . وكذلك حل روبر العقدة التي حيرته بقوله ان الضوء يستغرق زمناً في اجتياز المسافات . وحسب حساب سرعته فاذا هي ١٩٢٠٠٠ ميل في الثانية . وقد صحح هذا الرقم في خلال الزمن الذي انقضى على حساب

روبر ، وتمددت التجارب واساليب القياس ، والرقم المقبول الآن هو ١٨٦٣٠٠ ميل في الثانية . وعلى هذا القياس يستغرق ضوء الشمس في الوصول إلينا نحو ثمانى دقائق هذا القياس الذي قام به روبر في العقد الثامن من القرن السابع عشر ، اثار سؤالاً كبير الشأن ، لا يزال حتى يومنا هذا يحفز عقول العلماء الى الرد عليه . ماذا يحدث خلال سير الضوء في الفضاء اي ما طبيعته وكيف ينتقل ؟ والبصر الذي انجب روبر ففاس سرعة الضوء واثار قياسها هذا السؤال ، انجب كذلك نيوتن وهو جنس فذهب كل منهما مذهباً يخالف مذهب الآخر في طبيعة الضوء وسر انتقاله . اما نيوتن فذهب الى ان الضوء ذرات او دقائق تطلق من الجسم المنير ، بالسرعة التي قاسها روبر وفي خطوط مستقيمة . فكأنه تصور الاشعاع حركة من حركات المادة . وأما هوجنس فتصور الضوء والاشعاع حركة تموجية . اي حركة الطاقة لا حركة المادة . فكأنه قال ان امواج البحر تنتقل بتموج الماء . وامواج الضوء تنتقل بتموج الهواء . فلما قيل له ان الضوء يخرق الزجاج الشافى بين الاجرام حيث لاهواء بتموج وانهُ ينتقل كذلك في الفراغ ، فرض وجود الاثير ، على انه وسط شفاف لا وزن له ببلل رحاب الكون وغفواته

كانت الغلبة في البدء لمذهب نيوتن ، لما كان له من المقام العلمي العظيم ، ولان الظاهرات الضوئية المعروفة في عصره ، امكن تحليلها بمذنبه على اوفى وجه . ولكن ظهرت ظاهرات ضوئية اخرى ، لم يمكن تحليلها بمذنبه القدرى ، وامكن تفسيرها بالمذهب التوحيقي فقد لهذا اكليل النصر وظل متمد العلماء الى اواخر القرن التاسع عشر

ولكن ظهر في اواخر القرن الماضي حقائق تطلق بالطاقة ومنها الضوء ، اثبتتها التجارب ولكنها جاءت مناقضة لنظرية التوجية . فابتدعت نظرية جديدة ، اصبح لها الشان الاول في مباحث الطبيعة الجديدة ، ونعني نظرية المقدار (Quantum) وقد كان مولدها الرسمي يوم ١٤ ديسمبر سنة ١٩٠٠ وهو اليوم الذي قرأ فيه العلامة الالماني ماكس بلانك رسالة في الجمعية العلمية الالمانية ضمنها قواعد هذه النظرية

ويجدر بنا قبل ان نصف الصورة الجديدة التي رسمها العلم الحديث لطبيعة الاشعاع ان نوطىء للوصف بفذلكرة عن فكرة الاتصال في الطبيعة . فلنفرض اننا نملك منجماً للحقن . وان في هذا المنجم اربعمائة حامل . وانهُ ينتج في الاسبوع خمسمائة طن . ونفرض ان الاحوال الاقتصادية قصت بنقص عند النبال . فالتقص لا يمكن ان يتم في وحدات اقل من حامل واحد . اي اننا لا نستطيع ان تقص عدد النبال من ٤٠٠ حامل الى ثلاثمائة حامل ونصف

عامل . بل يجب ان يكون اما ثلثائة عامل واما ثلثائة عامل وعامل واحد . اما مقدار الانتاج فيمكن ان يزيد او ينقص بكسور من العن

وكذلك في الطبيعة . ففيها كميات ، تتغير تغيراً متصلاً واخرى لا تتغير الا تغيراً منفصلاً . فالوقت والمسافة من النوع الاول واب كانا يقاسان بمقاييس تتقل قترأ من اصغر وحداتها الى الوحدة التالية . ولكن عندما نسأل كم ذرة من الايدروجين في لتر من هذا الغاز ، لا يمكن ان يكون الجواب الا عدداً كاملاً من الفترات . لا كسور فيه . اذ لا يمكن ان يكون في اللتر كذا مليون من ذرات الايدروجين ونصف ذرة او ثلث ذرة منه . فالطبيعات الكلاسيكية كانت تتناول الكميات المتصلة كالوقت والمسافة والكتلة والقوة والطاقة

ولكن نشوء النظرية الذرية في القرن التاسع عشر ، احدث التغير الاول . اذ اثبتت ان المادة منفصلة لا متصلة . فالايديروجين المحفوظ في وعاء يحتوي على عدد كبير جداً من الفترات الكاملة . وهذه النظرية القائمة على مبدأ الاتصال مكنت العلماء من تعيين كتلة ذرة واحدة من الايدروجين . وكانت النتيجة الاولى ان انهارت فكرة الميكانيكا الكلاسيكية القائمة على اتصال الكتلة . اذ ليس في الامكان ان تضيف الى وطو يحتوي غاز الايدروجين مليون ذرة ونصف ذرة من هذا الغاز ولا ان تزيل منه مليون ذرة ونصف ذرة

ثم اتصل اثر ذلك بالكهربائية نفسها . ذلك انه لما ثبتت النظرية الكهربية (الالكترونية) القائلة بان القوة قوامها بروتونات والكترونات ، وان هذه الوحدات هي وحدات الكهربائية السالبة والموجبة ، ظهر ان الشحنات والتيارات الكهربائية ليست متصلة فلا يمكن ان تنقص ولا ان تزيد الا بوحدات كاملة

واذا كان ذلك كذلك فاي جديد انت به نظرية المقدار ؟ الجديد الجريء في نظرية المقدار ، ان العلامة بلانك ، قال بان جميع ضروب الطاقة منفصلة القوام . اي انها غير متصلة ، وانها مجموع وحدات اطلق على كل منها « كوانتوم » وقد ترجمناها بلفظ « مقدار » والجمع « مقادير » . فاصح عندنا المقادير الاساسية في المادة وهي الفترات ، وللمقادير الاساسية في الكهربائية وهي الكوربات والبروتونات والبوزيترونات ، ومقادير الطاقة

تطلق الاجسام المضيئة اشعاعاً ، وتمتص للمادة هذا الاشعاع او تمكسه او تفرقه . قال بلانك : كل ما تطلقه الاجسام للضيئة من الاشعاع وما تمتصه المادة منه لا يتم الا في « مقادير » . فالجسم يطلق عدداً معيناً من المقادير الكاملة والاخر يمتص حين يمتص عدداً معيناً من المقادير الكاملة هذه نظرية « المقدار » في ابسط اشكالها . ومن الطبيعي ان يكون اول سؤال يقبدر الى الذهن في هذا الصدد ، ما حجم المقدار . فلتعلم الى التثنية في التوثلة الرد على هذا السؤال الوحدة الاساسية في الميزانية المصرية هي المليم . فلا يمكن ان تزيد الميزانية او تنقص الا

ملاليم مما يكبر عددها . ونفرض ان الوحدة الاساسية في الميزانية الانكليزية هي « البنس » . فلا تزيد الميزانية البريطانية ولا تنقص الا « بنسات » . وان الوحدة الاساسية في الميزانية الفرنسية هي « السنتيم » فلا تزيد او تنقص الا « سنتيمات » . كل منها وحدة اساسية ولكن قيمة هذه الوحدات الاساسية الثلاث ليست متساوية

فاذا كانت هذه الوحدات هي « المقادير » الاساسية في الميزانيات الثلاث ، فالمقادير مختلفة القيمة أو الحجم . وهي كذلك في الطبيعة . ان « مقدار » الضوء الاحمر يختلف عن « مقدار » الضوء البنفسجي . والمقدار يزيد كبراً بالقياص إلى قصر الموجة في الطاقة التي يحملها . فطول الموجة في الضوء البنفسجي نصف طول الموجة في الضوء الاحمر . وإذن فمقدار الضوء البنفسجي ضعف مقدار الضوء الاحمر واذا نحن تحولنا : ما هو المقدار اي الكواثم الاساسي للطاقة الى سؤال آخر : ما هو المقدار الاساسي لضرب معين من الطاقة ذي طول موجة واحد . وفي الرد على هذا السؤال لابد من استهلاك كمية ثابتة استقبلها بلانك وتعرف في علم الطبيعة الحديث « ثابت بلانك » ويرمز اليها في الفئات الاعجمية بالحرف h الصغير فلنرمز اليها بالحرف (h) . وهذه الكمية ليست من ابتداء الخيلة وانما توصل اليها بلانك من تجارب ومباحث دقيقة كل الدقيقة . وعن طريق هذا الثابت (h) نستطيع ان نميز « مقدار » او كواتوم كل ضرب من ضروب الاشعاع اذا عرفنا طول موجته بحسب المعادلة التالية

$$\text{مقدار الطاقة} = h \times \frac{\text{سرعة الضوء}}{\text{طول الموجة}}$$

ومن هنا يتبين انه كلما قصرت الموجة زاد المقدار .

ويجب ان تكون جميع الكميات في هذه المعادلة بالستمر او بأجزاء منه

ولا ينبغي على حضراتكم انه اذا رفع ما وزنه كيلوغرام مسافة متر اتفق على هذا الرفع قدر من الطاقة . فاذا قسم هذا القدر من الطاقة مائة مليون جزء دعي كل جزء منها « ارج » فهذه الوحدة الصغيرة من وحدات الطاقة يمكن ان يقاس بها العمل الذي تسلمه النملة الصغيرة في بناء قريتها . فاذا سألنا ما عدد مقادير الضوء الاحمر في « الارج » افضى بنا الحساب الى انه ٤٠٠ مليون مقدار في الارج الواحد . وكان عدد مقادير الضوء البنفسجي في الارج الواحد ٢٠٠ مليون مقدار . وعدد المقادير ينقص في الاشعة التي امواجها اصغر ما تقدم كالاشعة السينية واشعة غاما وفي سنة ١٩٠٥ نشر عالم شاب في « اتان در فيزيك » بحثاً في تطبيق نظرية « المقدار » على الضوء . وكان ذلك العالم البرت اينشتين . فتقدم بالنظرية التي اخرجها بلانك خطوة الى الامام . اذ قال ان الضوء ليس بموجاً وانما هو « مقادير » دحاهها فوتونات (وقد ترجمها احد اعضاء مجلنا الاساذ اساميل مظهر بصويثات قياساً على جزيئات) تسير بسرعة الضوء . فكانه أحياء نظرية نيون الذرية في طبيعة الضوء ، بدلاً فيها الإلكترون الذي يقتضيه قدم العلوم الطبيعية في

هذا المصير . ولكن اذا التينا النظر التوجية في الضوء ، حذقنا من علمنا صورة « طول الموجة » فاذا يحل محلها ؟ يمتضى هذا التفسير يصبح علينا أن نقول « الطيف المرئي قوامه ضوئيات مختلفة الطاقة » بدلاً من « الطيف المرئي قوامه أمواج مختلفة الاطوال » . و « ان طاقة الضوئية في المنطقة الحمراء من الطيف نصف طاقة الضوئية في المنطقة البنفسجية في الطيف نفسه » بدلاً من « إن طول للموجات في الاشعة الحمراء ضعف طول الامواج في الاشعة البنفسجية » . وليس خروج العلماء على نظرية الضوء التوجية نتيجة زروة من النزوات ، ولكن لان النظرية الجديدة تفسر ظاهرات عجزت النظرية التوجية عن تفسيرها ، وتنبئ بمقتضى اثبت البحث صحتها

الان نظرية « المقدار » لم تحل جميع المصاعب التي تترض العلماء في بحث الطاقة . ففي دراسة الضوء ظاهرة تعرف باسم الفعل « الكهربائي الثوري » او « الكهروثوري » لا يمكن تفسيرها بنظرية الضوء التوجية . ويمكن تفسيرها أحسن تفسير بنظرية المقدار . ولكن هناك ظاهرة أخرى تعرف بظاهرة « التداخل » لا تجدي نظرية المقدار في تليلها ولكن النظرية التوجية تجدي . وهذا عما يجبر . فقد تعودنا ان نحسب الضوء نوعاً من التوج . ولكن بعض الظاهرات تقتضي ان يكون تياراً من المقادير دعيت الضوئيات . وتعودنا ان نحسب المادة مجموعة من الدقائق . ولكن بعض التجارب يثبت ان دقائق المادة تتصرف كأنها امواج . وقد منح جيمس الاميري وطمنس الانكليزي - نجل السير جوزف طمنس - جائزة نوبل الطبيعية سنة ١٩٣٧ لاثباتهما ذلك بالتجربة . ولذلك سمي العلماء في عشر السنوات الاخيرة ، الى الجمع بين الرأيين في صورة جديدة ، أطلق عليها اسم « الميكانيكيات الموجية » . فبمقتضى هذه الصورة الجديدة يكون الكهروب متصلاً حين ينطلق او مصحوباً بسلسلة من الامواج . ولكنها ليست امواجاً طبيعية ، فكأنها امواج غير مادية كالمواج النبضة أو الحزن او الحاسة التي تكتسح شياً من الصوب لا تزال هذه النظرية غير مفهومة تماماً الا نقرر يسير من العلماء . لانها لا تزال في دور البحث الرياضي العالي . ولان مقتضياتها ليست مما يسهل افراغه في صور قريبة من الذهن ، ولا سبب الذهن الذي تعود التفكير الطبيعي على أساس الطبيعة الكلاسيكية

ولعل عالمنا الطبيعي الكبير الدكتور مشرفة يبسط لنا في محاضرة خاصة الفكرة الحديثة في ثنائية المادة والطاقة ، فانه من الاعلام الذين أضافوا اليها إضافات سجلت له في الجمعية الملكية البريطانية وأشار اليها غير واحد من العلماء في مؤلفاتهم الحديثة . قال السير جيمز جينز في كتابه « الكون الخفي » ما يلي صفحة ٧٧ : وقد اقترح مشرفة وغيره أن السرعة قد تكون الفرق الوحيد بين الاشعاع والمادة ، فاللادة نوع من الاشعاع المتجمد سائراً بسرعة أقل ، من سرعة السوية



« ارنت لورنس مستنيط و اليكوترون »



الاستاذ كوري جولي و زوجة مكثفنا النشاط الاجتماعي الصناعي

٣ - النشاط الإشعاعي الصناعي

استعملنا لفظ الاشعاع في ما تقدم من القول مقابل لفظ Radiation الاصحي . ولكن هناك لفظاً آخر لابد من وضع مقابل خاص له لتمييز وهو لفظ Radio-activity وقد رأينا ان نختار له مقابلاً عربياً فاختارنا « النشاط الاشعاعي »

هذا الفصل من البحث ذو مشهدين . احدهما بدأ عند ما كشف مير كوري وزوجه ماري سكلودوفسكي البولندية الاصل ، عنصر الراديوم قبل نهاية القرن الماضي . وقد دام هذا الدور حتى مستهل العقد الرابع من القرن العشرين . اما المشهد الثاني فيبتدىء باسم كوري كذك ، ولكنه اسم ايرن كوري كريمة مكتشف الراديوم . وهي الآن زوج الاستاذ جان فرديريك جوليو ، وقد قبل زوجها ان يضاف اسم كوري الى اسمه ، تخليداً لذلك الاسم الكريم اللامع في تاريخ الطبيعة الحديثة ، لان الاستاذ مير لم يقب ذكراً ، فاصح الاستاذ جوليو وقرينته بمرقان باسم مركب هو « كوري ، جوليو »

ما اعجب اسرار الخلق ! قرأتنا بولندية من وطنها ابتداءً عن الاستبداد فتؤم باريس ، وفيها تلقي باحث وديع ، فيزوجان ، فيتاح لهما كشف عنصر الراديوم المشع فينالان جائزة نوبل الكيماوية ١٩٠٣ ثم يصاب الزوج بمحادة اودت بحياته فتحل قرينته محلة في السوربون ، وتوالي بمضا قصد استفراد ذلك العنصر السحيب ، فتال جائزة نوبل الطبيعية وحدها . ومدام كوري فذة في تاريخ جوائز نوبل في ان احداً غيرها من العلماء لم يزل جائزين منها . وهامي ذي ايتها تفتي خطواتها ، فكشف في هذا الميدان ما يجعلها جديرة بجائزة نوبل ايضاً فتناولها هي وزوجها من سنتين (١٩٣٥)

امتاز المشهد الاول في تاريخ النشاط الاشعاعي بدراسة ما يقذف من الراديوم . فاذا هو ثلاثة انواع ، دقائق الفا وهي نوى ذرات الهليوم ، ودقائق بيتا وهي الكبريات ، واشعة غاما وقد تقدم ذكرها . هذه المقذوفات تطلق من الراديوم انطلاقاً ذاتياً لا يؤثر فيها ضغط ولا حرارة عالية او واسطة ، فالانسان عاجز عن ان يزيد انطلاقها سرعة او بطاء ، فكأنها خارجة عن لطاق إمكانه

اما المشهد الثاني ، فيمتاز بانكشاف الطريق الى توليد الناصر المشعة من الناصر غير المشعة . ان عناصر ساكنة مستقرة كالفضة والنحاس والكربون ، وهي ابد ما يكون طبيعة عن عنصر دائم الانحلال كالراديوم ، يمكن ان تسببها تشعشع . فكأنك اخذت مقدماً مغلولاً وقضت فيه روحاً جديداً او حققت بمقدار قوي ، ففقر من سريره واصير على ان يشترك في الالاب الاولمية

الناصر المشعة نادرة في الطبيعة . ولذلك نجدها غالباً الثمن . حتى ان الترام الواحد من عصر الراديوم يزيد منه الآن على عشرة آلاف جنيه . وقد كان قبل عقدين من السنين يبلغ ثلاثين الفاً او نحو ذلك . ولذلك يصح القول بأن الكشف الحديث عن تحويل العناصر غير المشعة الى مواد مشعة ، تقدم عظيم الشأن في علم الطبيعة ، وقد يكون ، بل لا يبعد ان يكون ، نفعه جلية اخرى من قمحات العلم النظري لعلوم الطب العملية . اذ لا يخفى ما للعناصر المشعة من فائدة في بعض انواع العلاج

هذا الكشف الجديد ، الذي اثبت ان الانسان يستطيع ان يحوّل بعض العناصر غير المشعة الى عناصر مشعة ، بأساليب صناعية ، وبمقدورات لا يد للطبيعة في اطلاقها ، نتيجة النشاط المعجب ، الذي بدا في علم الطبيعة التجريبي ، ودار حول نواة الذرة ، عن طريق تهشيمها بنية الوصول الى معرفة قواها . فقد اذيت الانباء الاولى عن هذا الكشف في ١٥ يناير سنة ١٩٣٤ في رسالة للاستاذ كوري جوليو وزوجه ايرين كريمة مكتشفين الراديوم . وما ذاع النبا الذي الطوت عليه رسالتهما حتى اكدت عليه طائفة من البعثات في مختلف البلدان ، فتوسعت فيه ، وأيدت بتجارها الحقائق التي كشفها . وفي مقدمة الذين تناولوها وأضافوا اليها ، اللورد رذرفورد واعوانه — وقد كانت وفاة رذرفورد في السنة الماضية خسارة علمية فادحة — والاستاذ اولست لورنس الاميركي وغيرهم

فلما ان هذا الكشف الجديد ، اي ان هذه الرحلة الجديدة في دراسة النشاط الاشعاعي ، نفأت عن الناية بدراسة نواة الذرة ، والتوصل بهشيمها الى معرفة قواها ولا يخفى ان تهشيم الذرة ، او بالحري تهشيم نواتها ، يقضي أولاً — قذيفة تطلق على نواة الذرة فتخترق الطاقة الكهربائي الذي يحيط بها قهشها . وثانياً — وسيلة صالحة لاطلاق تلك القذيفة بزخم كافٍ لتهشيم . وثالثاً — هدفاً يحتوي على الذرات التي نبني تهشيم نواتها كلوح رقيق من البورون او الالومنيوم او المغنسيوم او الصوديوم — وليس بضروري ان يكون الهدف لوحاً — فيوضع الهدف في مسار القذيفة فتصطدم به . ورابعاً — اسلوباً يمكن الباحث من معرفة نتيجة التصادم

تطلق هذه القذائف العديدة على الهدف فلا بد ان يتفق لاحداها ان تصطدم بذرة من الذرات التي في الهدف قهش نواتها وقد تمجد يجرز منها قيثاً من هذا الاتحاد مادة جديدة او قد تلصق بالنواة بغير ان تهشيمها فينشأ من ذلك جسم اكبر وزناً من جسم الذرة الاصلية . ويكون هذا الجسم غير مستقر التركيب فلا يلبث حتى يشعل فتسقط منه دقائق ذرية وأشعة

نمّا . وهذه الحالة الاخيرة هي ما يعرف بالنشاط الاشعاعي الصناعي لان النشاط الاشعاعي الذاتي في الراديوم ليس في الواقع الا انطلاق دقائق وأشعة من ذلك النضر كانت القذائف التي استعملها اللورد رذرفورد أولاً في تحويل الناصر قذائف تستمد طاقتها وزخمها من الطبيعة ، اي الدقائق المنطلقة بسرعة عظيمة من الناصر والمواد المشعة كالراديوم والبولونيوم والثوريوم وغيرها . فلم يكن له يد في اطلاقها أو في زيادة طاقتها . الا ان العلماء مقتنون كاقطاب السكرين بالفائدة العظيمة التي ينحني من استعمال الاجهزة الميكانيكية . ولذلك عمدوا الى استنباط الوسائل والاجهزة التي تمكنهم من ان يتناولوا دقائق مادية متنوعة ، فيطلقوها بواسطة اجهزتهم ، بزخم عظيم

أما الوسائل المستعملة لهذا الغرض فمختلفة . وفضلها جهاز لورنس المعروف باسم السيكلوترون او الجهاز الرحوي . وجميع الاجهزة التي سبقت اتقان طريقة لورنس ، تصف بمنزلة مقادير كبيرة من الطاقة الكهربائية واطلاقها بين قطبين ضخمين . ولكن ظهر بعد التجربة انه إذا ارتفع الضغط الكهربائي في القطبين وبمدت المسافة بينهما ، تزداد وجود انبوب تصليح لمرور الشرارة العظيمة بين القطبين . وقد صنع فعلاً جهاز عظيم في معهد ماستقوسنس التكنولوجي قبل اربع سنوات ، بحيث تطلق الشرارة الكهربائية فيه عندما تطلق بقوة سبعة ملايين فولط ولكنه لم يستعمل لأنه تذر حتى الآن صنع انبوب صالح لذلك

ولكن ارلست لورنس الاميزكي ، احتال على محقق الغرض نفسه بأسلوب باوع . فقد كان في سنة ١٩٢٩ — وهو حينئذ في الثامنة والعشرين من عمره — بطالع رسالة لباحث الماني غير مشهور فوقع فيها على وصف لما يحدث للايونات عندما تكون في حقل مغناطيسي ، وكيف تمكن من ان يجعل طاقة الحركة في ايونات البوتاسيوم ، ضمني الطاقة الاصلية التي قدفت بها . فخطر لورنس ، ان يسمى الى صنع جهاز ، القصد منه أن يطلق فيه الدقائق بقدر معين من الطاقة واطيء الضغط بالقياس الى الطاقة العظيمة في الاجهزة التي تقدم وصفها . ولكنه يجعل الجهاز بحيث تؤثر هذه الطاقة مرة بعد اخرى في الدقائق ، فزيد سرعتها رويداً رويداً حتى تصبح طاقة اطلاقها . اضاعف الطاقة الاصلية التي اطلقت بها . وقد شبه الاستاذ كارل كطن مدير معهد ماستقوسنس التكنولوجي هذا الجهاز تعبيراً لطيفاً بقرب مضاء . قال انه اشبه ما يكون بنق واثق على طرقة ارجوحة ساكنة فيطرب الى إحداث رقعة ان يدبضه الى الامام ، فيقبل . ولكن التقي . يستطبع . ان يبلغ علواً عظيماً وزخماً كبيراً اذا . عرف كيف يرب حركة قيامه فوقه في الارجوحة . وقد استعمل لورنس فعلاً . ان يبدأ انطلاق القذائف في جهازه بقوة تبلغ ضعفها خمسين الف فولط فقط فيبلغ طاقة حركتها ستة ملايين من الفولطيات .

وأحدث الانباء من كاليفورنيا تشير الى انه من الآن يصنع جهاز يمكنه من ان يقذف به قذائف مينة بطاقة ١٢ مليوناً الى ٢٠ مليوناً من الفولطات ودقائق اخرى بطاقة ٢٤ مليوناً الى ٤٠ مليوناً من الفولطات

قلنا ان القذائف الاولى التي اجتمعتها لورد وزفرورد كانت تطلق انطلاقاً ذاتياً من العناصر المشعة . ثم استعملت البروتونات وهي نوى ذرات الايدروجين . ولكن في خلال المدة التي اقتضت والطاء يبحثون عن استحداث جهاز لاطلاق هذه القذائف بطاقة عظيمة ، اكتشف الباحثون دقائق مادية جديدة ، هي اصلح من البروتونات للاطلاق . في سنة ١٩٣٢ اكتشف شكلا الانكليزي ما يعرف باسم « التوترون » — ومناه المحيد — وهو دقيقة وزنها واحد اي كوزن البروتون ولكنها لا تحمل شحنة كهربائية واذن يسهل عليها اخراق التطاق الكهربائي حول التواة لعدم تأثرها بفعل الجذب والدفع الكهربائيين . وحوالي ذلك الوقت ايضاً اكتشف يوري الاميريكي الدوتيريوم او الدبلوجين ، وهو الاسم الذي يطلق على الايدروجين الثقيل ، اي الايدروجين الذي كتلة نواته ضعف كتلة التواة في الايدروجين البادي . ولما كان البروتون من القذائف المستعملة في هذا البحث ، فالدوتون او الديليون خير منه لان كتلته ضعفاً كتلة البروتون ، واذاً فزخمه عند اطلاقه يجب أن يكون اعظم

وكذلك توافرت لباحثين القذيفة . والجهاز اللازم لاطلاقها بزخم عظيم . فتشهد الطريق لاحداث النشاط الاشعاعي في عناصر غير مشعة . وفي احدث ما لدي من المصادر ان اربعين عنصراً غير مشع استحدثت فيها النشاط الاشعاعي باحدى الطرق المتقدمة

ومن اعجب ما تم في هذا الميدان صنع الصوديوم المشع باطلاق الدوتونات عليه . فعندما يصيب الدوتون ، وهو منطلق بطاقة ١٧٥٠٠ و ١٧٥٠٠٠ فولط نواة ذرة الصوديوم يندمج فيها ويطلق منها بروتوناً ، ولكن الدوتون ضعفاً كتلة البروتون ، اذن يزيد وزن نواة الصوديوم واحداً فتصبح بذلك ذرة صوديوم مشعة . وهذه الفترة تطلق اشعة غاما تماثل اشعة غاما المنطلقة انطلاقاً ذاتياً من عنصر الراديوم . الا ان نصف حياة الراديوم ١٦٠٠ الى ١٧٠٠ سنة . ولكن نصف حياة الصوديوم المشع خمس عشرة ساعة . ويمتاز الصوديوم المشع على الراديوم في انه لا يطلق الا اشعة غاما حالة ان الراديوم يطلق دقائق الفا ودقائق بيتا كذلك . واذن فاستعمال الصوديوم المشع في الطب قد يكون اسهل من استعمال الراديوم

هذا ايها السادة ما اتسع له المقام من القول في الاشعاع من ناحيته الطبيعية فقط دون الابواب المتعددة التي فتحتها بجنه على العلوم الاخرى ، وحسي ان تملقوه بحكمكم وتنضوا الطرف عما فيه من قصير



العوامل الفعالة

في

الادب العربي الحديث



عُني حضرة العلامة الأستاذ أنيس المقدسي استاذ
الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية باعداد بحث قفيس
عنوانه « العوامل الفعالة في الادب العربي الحديث » وهو
دراسة تحليلية للنزعات المتجلية في آداب النهضة العربية الحديثة
وبواعثها السياسية والاجتماعية والفكرية . وقد اتبع
للمقتطف ان يظفر بهذا البحث . فشرعنا في نشر الحلقة
الاولى التي طاج فيها المؤلف « العوامل السيلسية في المواطن
الرئيسية للنهضة اي مصر والعراق والاقطار السودية من
منتصف القرن الماضي الى الوقت الحاضر » . والاستاذ
المقدسي يعلم « ان هذه طريق وعرة لا يأمن سالكها
الشار أو الضلال . فانذا كنا نحاول سلوكها فان جلّ حمنا
ان نقفها شقا واضحا لمن يسلكها بعد فيسهدا ويمبدها
حتى يصل بها الى الغاية القصوى . وهانحن لعرض هذه
الدراسات التمهيدية في المقتطف — المعرض العربي العلمي
العام — راجين اولي الاطلاع النظر فيها والتكريم بكل
ملاحظة فيدكاتبها وتخدم الحقيقة العلمية المنشودة » .

النزعات الادبية

العاملة قبل دستور ١٩٠٨

للنيسى المقرسى

استاذ الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية

— ١ —

{ الرابطة الثمانية } ظلت تركيا الى عهد قريب سيدة الام العربية من الناحية السياسية، وظلت حاصمتها الاسنانة مقر سلطة مترامية الاطراف، وخلافة دينية واسعة النفوذ وبرغم ما بلغت في اواخر عهدها من فساد اداري واختلال اقتصادي، وبرغم الدعايات^(١) الواسعة التي كانت تقوم بها الدول الاوربية، واخصها روسيا القيصرية وبريطانيا وفرنسا والمانيا والنمسا، لا ترى في الشرق العربي منذ ايام ابراهيم باشا المصري حتى اواخر القرن التاسع عشر حركة جديدة للاتصال عن السلطة الثمانية والاستقلال بكيان سياسي منظم. ولم يكن لقطر عربي من الاسباب الممهدة لظهور ادب قومي عربي النزعة ما كان لمصري القرن التاسع عشر فهي اسبق البلدان العربية الى انقضاء وحدة ادارية ذاتية، بل هي اول مكان بشت فيه الروح العربية الاستقلالية، كما يستدل من سياسة ابراهيم باشا التي كانت ترمي الى فصل بعض الاقطار العربية عن جسم السلطة وتأسيس مملكة عربية كبيرة^(٢). كان ابراهيم باشا يحلم بالاستقلال حينما صرح لبارون بوالسكونت بقوله^(٣) « ما انا بتركي بل انا ابن مصر ان شمسها قد غبرت دمي فجعلني عربيا قحشا » وقد سارت مصر بعده بخطى ثابتة في ذلك السبيل ومع كل ذلك ظل الادب العربي فيها عبثا في الروح. والذي يراجع قنات الادباء المصريين في القرن الاخير كابي النصر علي، والشيخ علي الهني، وسامي باشا البارودي، وعبد الله نديم وسوام يتجلى له ما تنص اليه

(١) الدعايات لفظة غير قاموسية. ولكننا آثرنا استعمالها لشيوها بين الكتاب السياسيين ولانطباقها على قاصد ذكرها ابن جني في الخصائص تحت باب التدرج

(٢) Rustum, The Royal Archives p. 92-96

(٣) Douin, Mission du Baron Boissle Comte p. 249

وسبب ذلك ، على ما يظهر ، ما كان للخلافة ودعائها من تأثير في نفوس المسلمين . فكان سلطان تركيا المثل الأكبر لظلمة الشرق والاسلام . وإذا سمعنا الشيخ اليثي شاعر الحديو اسماعيل يقول في السلطان عبد العزيز (على الطريقة الشعرية في ذلك العهد)

دعْ ذكْر كسرى وقصرْ إن اردت تما عن قِصر الروم حيث النفع مفقودُ
واشرح ماثر من سارت بسيرته ركائب الجود تحدها الصناديدُ
ملك الملوك الذي من عين دولته ظلّ السدالة في الآفاق بمدودُ

فانما قوله نموذج لما كان يقال في العرش الثاني وخلافة الاسلام . وقد ظلت الروح الثمانية شديدة البروز في مصر حتى حدث ما حدث بعد الحرب الكبرى من سقوط الخلافة واقلاب السلطة الثمانية الى دولة تركية صرفة . وكان قادة الحركة الادبية على اتصال بمر الخلافة . فتمرم التعم السلطانية كمي ابي النصر المتوفي سنة ١٨٨٠ وعبد الله فكري ١٨٨٩ وعبد الله نديم ١٨٩٦ وابراهيم الموليحي ١٩٠٦ ومصطفى كامل ١٩٠٨ ثم المتأخرون عن هؤلاء بالوفاة كاحمد شوقي وحافظ ابراهيم واسماعيل صبري وسوام

وشوقي على ما يظهر هو اعظم من تنفى شريفا بمحامد الخلافة وتظيم رجالها . فان له في ذلك قصائد سائرة . ومن اشهرها ما نظمهُ في وقائع الحرب الثمانية اليونانية سنة ١٨٩٧ وكان في اتيان شبابه كقولهِ في بانيته الصفاء (صدى الحرب) مخاطب السلطان : —

سيفك يلو الحق والحق اغلبُ ويُنصر دين الله اَيَّان تُفربُ
وما السيف الا آية الملك في الوري ولا الامر الا لذي يتلبُ

ومنها في وصف معركة ملونا وبأش الارك الظافرين : —

فهل من « ملونا » موقفٌ ومسامعُ ومن جَبَلِها منبرٌ لي فاطلبُ
فاسأل حصنها المجيئين في الوري ومدخلها الاعصى الذي هو اعجبُ
واستشهدُ الاطوادَ شماء والذرى بواذخ تلوي بالنجوم ومجذبُ
هل البأسُ الا بأسهم وتباتهم ام العزمُ الا عزمهم والتلبُّ
أم الدين الا ما رأيت من جهادم أم الملك الا ما عزوا وهبوا

والحق يقال ان هذه القصيدة ملحمة حرية . بل هي فيض من المواطف الثمانية . وكذلك كان كثير من شعر شوقي في كل ادوار حياته . فقد نشأ على حب الثمانيين وظلّ من اكبر الدعاة لهم . ومن أراد ان يتحقق عمائة هذا الشاعر الكبير فليراجع من قصائده ما يلي : —
نحية الترك ومطلبها :

بمحمد الله رب العالمينا وحديك يا امير المؤمنين

ضيف امير المؤمنين ومطلها :

رضي المسلمون والاسلام فرع عثمان دم فداك النوام
نجاة امير المؤمنين ومطلها :

هنيئاً امير المؤمنين قائماً نجاتك للدين الخفيف نجات
الاسطول الثماني ومطلها :

هزّ اللواء بيزك الاسلام وعت لقائم سيفك الايام
في سبيل الحلال الاحمر ومطلها :

يا قوم عثمان والدنيا مداولة تعاونوا بينكم يا قوم عثمان
في سبيل الحلال الاحمر ومطلها :

جبريل هذل في السماء وكبر واكتب ثواب المحسنين وسطر
الاندلس الجديدة ومطلها :

يا اخت اندلس عليك سلام هوت الخلافة عنك والاسلام
نحية لترك ومطلها :

البحر يقظان والايام لم تم فارقادكم يا اشرف الام
رثاء الخلافة ومطلها :

عادت اناي العرس وجع نواح ولبيت بين معالم الافراح

فمن قراءة هذه القصائد وسواها يتبين لك ما كان للخلافة العثمانية من مقام في قوس المصريين
اما في الادب المتصور فاكثرت ما ترى ذلك في خطب السيد عبد الله نديم ومقالاته . ثم في
الحركة الوطنية التي قام بها مصطفى كمال وفي كتابات السيد توفيق البكري . ومن امثله قول
الاول في خطاب (١)

« هذي يدي في يد من اخضا ؟ ضحيا في بدو طنك واعقد خنصرك على عبة امير المؤمنين
الخليفة الاعظم والآن فقطعها خير من وضها في يد اجني يستملك اليه بوعود كاذبة وجيل
واية لتكون عونه الاكبر على ضياع حقوقك واذلال اخوانك وزرع سلطة اميرك وسلطانك »
وهذه الروح بارزة في كثير من اقوال هذا الخطيب

وكان مصطفى كمال (وهو زعيم الحركة الوطنية قبل الحرب الكبرى) يرى ان مصلحة مصر
مرتبطة بمصلحة الاسلام على العموم . فكان كما قال زيدان « شديد المدافعة عنه كثير السعي
في نصرته . وقد كان يخدم مصلحة الدولة العثمانية من طرق كثيرة قائم عليه السلطان بالرب

(١) راجع مقالاته المنشورة على نفقة المطبعة الجديدة (مصر) ولا سيما الثالثة والثامنة

والالغاب^(١) » ومن قرأ خطبه تحقق صدق عثمانه . ومن أمثلة ذلك قوله من خطاب القاء على المصريين في باريس سنة ١٨٩٥^(٢)

« حقاً ان سياسة التقرب من الدولة العلية لاحكم السياسات وأرشدنا . فضلاً عن الاسباب المنظمة الداعية لهذا التقرب فان العدو واحد . ولا يلبق بنا ان نكون في فحل وشقاق في وقت يعمل فيه اعداؤنا على تحيثة دولتنا . ولا غرو ان كنا نتألم لا لام الدولة العلية فما نحن الا ابناءؤها المستظلون بظلها الوريف المجتمعون حول رايها » ... الى ان يقول « وقصارى القول ان الارية السانية هي الارية الوحيدة التي يجب ان نتجمع حولها . ولا تتحقق وحدتنا بغير الاتحاد والاشتراك فلتتحد قلباً ولساناً وتكن يداً واحدة في خدمة الاوطان واسعادها . ولتقل اليوم جميعاً من صميم اقتدنا ليحي جلالة السلطان عبد الحميد وليحي الناس ولتحي السانية ومصر »

ولا نستطيع الآن البت في هل كان مصطفي كامل يستخدم الدعوة السانية مناوأة للاحتلال الانكليزي في مصر او كان يستخدم مناوأة الاحتلال اداة لخدمة الخلافة . على ان الذي لاشبهه فيه ان كنا السانية والمصرية بارزتان في حياته وادبه ، وانه كان من اكبر الدعاة في مصر بل في الشرق لتوطيد دعائم الجامعة السانية في ظل الخلافة الاسلامية . وقد لفتنا قبله اثمان كان لها طولى في هذه الدعوة واحياناً في الادب العربي . الاول احد قارس الشدياق ١٨٨٧ وهو لبناني الاصل لكنه اتم علومه في مصر وعمل فيها فتولى كتابة الوقائع المصرية . ثم جال في اوربا وأقام فيها بضع عشرة سنة . وبعد ذلك ام تونس حيث اعتنق الاسلام ثم طلب الى الاساتذة وهناك انشا الجوائب وكانت واسعة الانتشار في العالم الاسلامي وفيها يجد الباحث كثيراً من القوائد والمقالات التي تدور على عظمة الدولة ومدح سلاطينها ورجالها . كقوله من قصيدة في عبد العزيز^(٣)

للدولة العليا على وما أثر يغدو بها يوم انقضا الآثر

ساست ممالك ليس يعلم حدّها ولناها الا العلم القادر

سرحيت شقت من البلاد فلا ترى الا التيم وما اشتها الناظر

والثاني جمال الدين الافغاني ١٣١٤ هـ ويتصل نسبه بال البيت . كان زعيماً اسلامياً كبيراً .

وقد اضطرته الاحوال السياسية ان يهاجر بلاد افغان ويقصد الاساتذة فاستقبل هناك بمفاوة

(١) تراجم مشاهير الشرق ١ — ٢٩٧ و ٢٩٩ (مصر ١٩٢٢)

(٢) راجعه في كتاب مصطفي كامل لبنا (الطبعة الاولى مصر ١٩٠٨) ج ٣ — ١٩٧

(٣) منتخبات الجوائب (١٩٢٢) ٣ — ١٥٢

واقام بها مدة . ثم اتم مصر وكان فيها محبة العلماء والمفكرين . ولجمال الدين خطط وماليم سياسية ويؤخذ منها « ان النرض الذي كان يصوب نحوه اعماله والمجور الذي كانت تدور عليه آماله توحيد كلمة الاسلام وجمع شتات المسلمين في حوزة دولة اسلامية تحت ظل الخلافة العظمى » (١) ولا شك ان للاضافي ولشدياق اثر كبير في الادب السياسي بمصر

ونحن إذا قلنا ان الادب المصري كان متعصباً بروح التشيع للخلافة والجامعة النعمانية فحكما يتناول المصريين الاصليين ولا سيما المسلمين منهم . اما نزلاء مصر من السوريين والعراقيين فكانوا قسيتين متطرفتين ، فئة نخبويين المصريين في عثمانياتهم وفئة تكرر عليهم هذا الاندفاع نحو تركيا ومن الفئة الاولى سليم قنلا مؤسس جريدة الاهرام . واليك بعض ما كتبه سنة ١٨٩٩ في « الوطنية النعمانية » قال — (٢)

« ان في مالكم المحروسة عناصر عديدة بين تركية وعربية وارمنية ويونانية وغيرها . وكذلك مذاهب مختلفة . ولكنها تجمعها كلها جامعة واحدة وطنية هي الجامعة النعمانية وهي دون استثناء تخضع لجلالة سلطنتها وتصدع بامر وتصاح لاحكامه . وهذه الجامعة كانت وتكون الحصن الحصين لارعة دون اطامع الدول ، وما وراء البت بها الا الحشران والضيايع . واذا تمين هذا ، وهو الحق الصراح ، كان ابن مصر وابن الحجاز والبراق والشام اخوة لأم هي دولتهم ، وأب هو جلالة السلطان »

وتجلى هذه النزعة النعمانية في شعر خليل مطران . وفي ادب مطران وسيرته ما يدل على مجاراته الوطنيين المصريين في آمالهم وترطباتهم . فلا نستغرب ان نسميه يقول في قصيدته « فتاة الحيل السوداء » وكان قد نظمها قبيل استقلال ذلك الحيل (٣) —

طلعت امة الحيل السوداء على حكم قاطعها الايتير
ومنها — وما الترك الا فحول الحروب رضيعو لظاها من المولد
اذا لقحوها النملة فلا تاج سوى الفخر والسود
سواء على المجد ايما تكن عواقب مسامح محمد

وتظل هذه الحماسة النعمانية فيه الى زمن متأخر كما نرى في القصائد التي يذكر فيها حرب طرابلس الغرب وبعثات الهلال الاحمر (٤) ففي هذموها بما ظلمها يظهر ميله النعماني وتفضيحه لوطني مصر

(١) تراجم شاعري الشرق (زبدان) (مصر ١٩١٢) ج ٢ — ٦١

(٢) مجالي النثر ٧٣ (٣) ديوانه ص ١٥٤ (٤) راجعها في الشراء الثلاثة للسندوني (١٩٢٢)

ص ٣١٤ و ٣٣٤ والمورد الصافي ٣ — ١٨٣

ويمثل الفئة الثانية المتأثرة بالسياسة العثمانية سليم سركلين صاحب جريدة المشير فوشيدبا التهمج على هذه السياسة وعلى دعايتها . وما يبين لك ذلك مقالة له موضوعها «هل مصر عثمانية» قال فيها^(١) «لم أجد في حياتي ولا قرأت في مطالعاتي عن امة تريد الاستقلال من نور الاستقلال الى ظلمات العبودية الا هذا القسم من الامة المصرية الذين يريدون التمسك بأذيال العرش العثماني» ومن شعره قوله (٢) —

رَجُو صلاح الترك قد خابت امانينا الكواذب
هي دولة ظلمت وليس السعدلُ عن ظلم بذاهب
قالشدُ ممي قولاً تردُّ ده المشارق والمغرب
ليس السجية فقد هـا بل عيضا احدى الجانب

ومثل سركلين كثيرون ممن بلغ بهم اليأس هذا الحد من كره الادارة التركية على ان بين هاتين الفئتين فئة ثالثة توسطتهما وتصل بكتفيهما . وهي فئة المتدلين الذين لم يسمهم التترغص عن سيئات تركيا— ومنهم من هجرها طلباً لحرية الفكر — وكان مع ذلك كله يحرص على بقاء الجامعة العثمانية . نذكر منهم فرح انطون فقد اصدر في الاسكندرية سنة ١٨٩٧ مجلته (الجامعة العثمانية) ومن اسمها يتضح مذهبه السياسي وخلاسته^(٣) ان الامم الشرقية يجب ان تتحالف تحالفاً متيناً جداً حتى تستطيع ان تسير مع التيار الغربي فلا يدوسها ولا يستطيع ان يهتضمها فهو منذ بدء حياته الفلبية يدعو الى جامعة شرقية واسعة . ومن اقواله في العدد الاول من مجلته مشيراً الى المدارس الاجنبية — «فلتفشان» ايها العثمانيون بازاء تلك المدارس مدارس جديدة يكون اساس تعليمها حب الوطن والامة وتعليم ما هو الوطن وما هي الامة . لتؤسس مدارس جديدة تدخل اليها طرق التعليم الحديثة ووسائل التربية الحديثة . وتدخل اليها قبل ذلك عناصر الامة كلها فتربها على قواعدها ونلتها دروساً واحدة ومبادئ واحدة حتى تكون بعد خروجها من حياة المدرسة الى حياة الرجولية بقلوب واحدة وأفكار واحدة فان هذا هو السبيل الى تقوية جدار الوطنية العثمانية ووقايتها من التلطم والهدم»

وقد علق على ذلك الشيخ رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي بقوله^(٤) «فشكراً لك ايها الكاتب الفاضل ، ونصح الله تعالى الجامعة العثمانية بمبادئك الصحيحة» وما لا ريب فيه ان الشيخ المذكور كان من دعاة العثمانية وكذلك الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد وغيرها من رجال العلم والدين

(١) راجعاً في المشير عدد ٤٠٣ (٢) المشير ٢١ ابريل ١٨٩٩ (٣) «فرح انطون» ملحق مجلة السيدات والرجال ١٩٢٣ ص ١٤ (٤) المنار مج ٢ — ٤٧

ومن المتدلين الناظرين الى الامور بين الروية جرجي زيدان منثى « الحلال فهو من طلاب الاصلاح السامي ولكنه لم يكن مناوئاً للثانية . واقني يطالع اعداد مجلته ولا سيما في السنين الاولى زاه عطوفاً على الدولة ولعله كان يرى كما كان يرى اديب اسحق واصحاب المقلم وامثالهم ان الرابطة الثمانية لازمة للشرقين وان طلب الاصلاح لا يعني القضاء عليها او استبدال رابطة اخرى بها

واذا صح ان نلد ولي الدين يكن زبلاً في مصر لنشأته في الاسانة واعتباره ابها وطنه الاصلي فهو من ابرز المثمين الى هذه الفئة الوسطى . بل هو يجمع في نفسه لطرف الفئتين الاولين — شدة التقمة على سلطان تركيا ، وشدة الحسنة للوطن التركي . فلما كان في مصر ورأى بعض الجرائد الانكليزية والبرية تتحامل على الجنس التركي لمي تقمته على عبد الحميد وحكومته وقام بدافع عن الاتراك غير مبالي بمحاداة كثير من خلافه الاحرار^(١) . وهو القائل « لوطني مني حيلتي وكل ما كان دونها على ان اعيش عتائياً وأموت عتائياً »^(٢) ومن اقواله في وطنه الثاني ويخشد قلباً لي فيك حبي واخلاصي الذي في الناس شاماً

وفي مراته لادم باشا بطل الحرب اليونانية يقول

وبلاد الفتى تمز عليه وعظام الآباء فيها عظام

وعهود الصبا عهود غوالي وغرام الوفي ذاك الترام

وكيف التفت الى ولي الدين فجدته في اده ذلك الثاني المخلص الذي يكره الاستبداد ولكنه يحب الوطن ، يمدح الهورد كروم حمايته الاحرار في مصر^(٣) ولكنه يقض على مشايخي غلادستون المتحاملين على تركيا والاتراك^(٤) وحتى في ايام محنته وقبه الى سيواس لا يذكر بلاده الا بالخير فيقول^(٥)

ابها الركب سر قان امامي لباداً مرراً وعيشاً امراً

غربة هذه وقد كنت ادري أن سأرعى بها لذن كنت حرراً

قافلحي يا رواسي الارض ناراً وأقضي فداقدي الارض بحراً

واقضي يا ربح التملك مجموعاً واقضي يا سوائر الاقنى صحراً

انا ارضى بهذا حب بلادي : وارى في سيلها الموت نغراً

(١) المعلوم والمجهول (١٩٠٩) ١ — ١٠٧ (٢) المعلوم والمجهول (١٩٠٩) ١ — ١٣٩

(٣) المعلوم والمجهول ١ — ١١٠ (٤) المعلوم والمجهول ١ — ١٠٧ (٥) المعلوم والمجهول

واذا ذكر الخلافة العثمانية ومجدها الماضي وكيف أصبحت في أيام عبد الحميد قرن ذلك بدموع
الأمي على الوطن فقال ^(١) —

خلافة قد مضى عنها خلافتها من آل عثمان من سادوا ومن شادوا
أبقوا بها المجد للاخلاف بدمهم والمجد يقيه للاخلاف أبحادهم
حتى انتهت لامير في تسلطه يخشى مظالمه عاد وشداد
يا ويلنا انما نبكي لنا وطناً يكيه في التزب آباء واجداد

فولي الدين مما يكن موقته من الادارة الحميدة عثماني مخلص شديد التعلق بالجامعة العثمانية
ولعله يفوق سائر الاصلاحين في ذلك

وما يصدق على المهاجرين العثمانيين في مصر يصدق عليهم في سائر المهاجر الا أنه لما كان
اكثرهم هناك من السوريين واللبنانيين التازحين من بلادهم اما رهبة من الاستبداد ولما رغبة
في طلب العلم ، ولما كانوا بعيدين عن تأثير الدعايات العثمانية كما كانت حال اخوانهم في وادي
النيل ، فقلما ترى منهم من يسطف على الجامعة العثمانية او يهتم ببقائها . على انك قد تجد منهم
من تهزه الصبيحة الشرقية أحياناً فتظهر العثمانية في شعره او نثره ولكن ذلك قليل اذا قيس بسواه



ولما خرجنا من مصر الى سائر الاقطار العربية ولا سيما سوريا ولبنان والعراق فن
الطبيعي أن نجد معظم الادب السياسي فيها متلبساً بملابس الجمجمة او التزلف الى السلطان
ورجال دولته

ولا يتكرر ان من الشعراء في هذه الاقطار من كان صادق العقيدة العثمانية إما لتأثيرها
الديني في نفسه وإما لاسباب اخرى . على ان رهبة من الاستبداد او الرغبة في جبر المغام
كانا قبل العهد الدستوري من أهم الدواعي الى شيوع التزعة العثمانية في الادب العربي وليس
على طالب الحقيقة الا أن يراجع دواوين الشعراء في ذلك العهد كبطرس كرامه ، وعبد الباقي
العمرى ، وناصر اليازجي ، وعبد الغفار الاخرس ، وفارس الشدياق ، ويوسف الاسير ،
وابراهيم الاحدب . ثم محمد حسن الجموي ، وعجي الدين الحياط ، والباروني ، وعبد الحميد
الرافعي ، ومن طاصرهم . فإنه يجد في جميعها ما يماثل قول اليازجي الكبير في السلطان
عبد العزيز : —

خليفة الله ظلُّ في خليفته ظلت به ترقى الدنيا وتستزُرُّ
لا ترتضي غيره الدنيا لها ملكاً لو كان جبريل بأنثى أو الخضر
مقلد فوق اثواب مضاعفة من خشية الله سيقا صاعه القدر
إذا طلبنا من الباري لنا وطراً فليس إلا بقاء عندنا وطر
أو قول عبد الحميد الراضي في أبي الهدى الصيادي شيخ السلطان عبد الحميد
سألوا يا سددُ أين المبتى قلتُ حيث الشمسُ في برج الاسدُ
حيث لي من آل طه سادة ملأوا الدنيا بأنوار المددُ
ودنوا من ملجأ الملك لدى مقعد الصدق ومرقى المعتمدُ
فرد ذا الدهر حميد الخلفا دام في حفظٍ من الفرد الصمدُ

وباب مديح الظلاء في ادب ذلك العهد واسع ، بل هو أوسع الابواب الشعرية . وكثير منه شخصي لا علاقة له خاصة بالأحوال السياسية . على ان منه ما يتعلق بالسياسة الداخلية او الخارجية . فدراسته من هذا القبيل مقبلة للباحث . ومن أمثلة ذلك قصيدة رفضت سنة ١٩٠٢ الى مظفر باشا متصرف لبنان عند توليه الحكم يحاول فيها الشاعر^(١) ان يعبر عن آماني البنانيين المهاجرين فيصف حال الحبل في ذلك الحين وأحوال المهاجرين ثم يلتفت الى المتصرف الجديد فيحذره من تدخل القناصل في ادارته . ويطلب الى نواب الاقضية (اعضاء مجلس الادارة) ان ينقسطوا الى ما فيه خير البلاد وان يحموا سيئات الماضي في هذا العهد الجديد . ويختتمها راجياً من المتصرف ألا تكون وعوده كوعود أسلافه كلاماً فيقول —

أمظفر الحبل الذي ضمنت لنا أقواله بمنأى يمزُ مثاله
كم حاكم ابدى لأول حكمه وعداً فكان وقاه اخلاله
حاشاك لإخلاف الوعود فانت من شرف المبادئ والوقاه خلاله
تركوا لنا التاريخ مسوداً فكيف تمن نخلد بالجبل فضاله

ولو رجنا قليلاً الى الوراء وراجنا مثلاً مدائح ناصيف البازجي و خليل الحوري في فؤاد باشا لفرأنا في خلال سطورها كثيراً عن حوادث السنة الستين في سوريا ولبنان وقس على ذلك كثيراً من شعر المديح المتعلق بمحادثات سياسية اثار خواطر الناس في مختلف الاقطار العربية

« البحث صلة »

الانسان المجهول

لوسماعيل مظهر

٣ -

أر علوم الآلة والطبيعة

والكيمياء في تكيف يثنا

إن البيئة التي كوّنت أجسام آبائنا الاولين وكبت ارواحهم ، طوال الآلاف المؤلفة من السنين ، قد استبدلت الآن بغيرها . ولقد مرّ بنا هذا الانقلاب الصامت من غير ان نحسّه غالباً . وكذلك لم ندرك ماله من الشأن . ومع هذا فإنه احد المآسي الكبرى التي يرونها تاريخ الانسان . ذلك بأن تغيراً ما يصيب المحيط الذي يشمل الاحياء ، أما يترب عليه اضطرابات لها اعرق الأثر . لهذا ينبغي لنا ان نحقق مدى تلك التحولات التي فرضها العلم على اسلوب الحياة التي عاشها أسلافنا ، ومن ثمّ علينا بالذات

فند بُدَاة العصر الصناعي ، اضطر فريق كبير من الناس ان يعيشوا في مساحات من الارض ضيقة محدودة . فان العمال قد سيقوا الى التجمع : إما في ضواحي المدن الكبرى ، وإما في قرى اقيمت لهم . وهم يعملون في المصانع ساطت محدودة ، ويقومون بأعمال سهلة وعلى وتيرة واحدة ، وينقدون اجوراً حسنة . وكذلك ترى المدن وقد اكتظت بعمال المكاتب وخدام الحوانيت والمحازن وكتاب المصارف والادارات العامة والاطباء والحامين ومعلمي المدارس ، غير تلك الجموع الوفيرة التي تكسب قوتها ، بالذات او بالواسطة ، من التجارة او الصناعة . وما المعامل في الواقع الا مكاتب كبيرة ، حسنة الإضاءة تامة النظافة . ودرجة حرارتها واحدة لا تتغير تقريباً . واجهزة التدفئة والتهوية ، ترفع درجة حرارتها شتاءً ، وتخفضها صيفاً . في حين ان المطرّحات (ناطحات السحاب) التي تشاهدنا في المدن الكبرى قد جعلت من الشوارع والطرق ما يقب الاغوار السحيقة . وقد استبدل ضوء الشمس في داخل المآثر بأضواء كهربية خفية بالاشعة فوق البنفسجية . واستعاض عن هواء الشارع المشبع بأدخنة التزولين ، في المسكاتب

والمعامل ، بهواء تقي تجذبه إليها جهازات التهوية المركبة فوق الاسطح ، من طبقات الجو العليا . وقد عمل على حماية سكان المدن الكبرى من كل ما قد يخطر ان ينزل بهم تغير الطقس من المسكدرات . ومع هذا كله ، فهم عاجزون عن ان يعيشوا كما عاش اسلافهم ، بمقربة من معاملهم او مخازنهم او مكاتبهم . فالاغنياء يحتلون البنايات الضخمة القائمة على جوانب الشوارع الكبرى . وعلى قمم الابراج العليا يعيش «ملوك العمل» في صروح مبردة ، تحيط بها الاشجار والحشائش والازهار . يعيشون هناك ، محصنين عن أن يصل اليهم زلزال أو لقط أو زلزال ، أو أي من المسكدرات الاخرى ، كما لو كانوا يعيشون في قمم الجبال الشاهقة . يعيشون في عزلة عن العامة ابن منها اقتراد اسباب القطائع خلف اسوارهم وقلاعهم في قصورهم الحصينة . اما متوسطو الحال ، والبحري الثني هم أقل غنى عن اولاء ، فيعيشون في شقق فيها من الثعالب ما لم يحيط بمثل لويس الرابع عشر ، أو فردريك الاكبر . وكثيرهم الذين يعيشون بعيداً عن المدن ، فتحملهم قطارات سريعة مساء كل يوم زرافات غفيرة الى حيث يجدون الطرقات المتسعة تنشق رقماً من الارض اخضوضت بالحشائش ، وارتال من الاشجار تقوم صفوفاً ، وعلى جانبيها بيوت جمعت كل اسباب الراحة والهناء . أما الهال وصغار المستخدمين ، فحياتهم أرقى من حياة الاغنياء في قارط الزمن . فـجهازات التدفئة التي تنسق درجة الحرارة آلياً في المنازل ، والحمّات ، والمبردات ، والمحامي الكهربائية ، والادوات المنزلية التي أعدت للطبخ وتنظيف الحجلات ، تنضي على مسكن كل انسان ، لا في المدن والضواحي وحدها ، بل في الريف ذاته ، طاباً من الهناء ، وتزودها بموامل للسعادة ، ما كنت لتقع عليها في غير مساكن قلة من الافراد ذوي الامتياز

مع تغير المسكن ، تغير اسلوب الحياة . والسبب في هذا التغير راجع في أكثر الامر إلى الزيادة في سرعة المواصلات . وفي الحق إنه لظاهر أن القطارات الحديثة والبواخر والطيارات والسيارات والبرق والتلفون ، سلكياً ولاسلكياً ، قد كسفت العلاقات القائمة بين الافراد وبين الامم في انحاء الارض جميعاً . فان الفرد الآن في استطاعته ان ينجز من العمل أكثر مما كان في استطاع زميله الاول اضافاً . ويشترك في عدد أكثر من الاحداث ، وفي كل يوم يصل بخلائق جدد . والفترات التي يقضيها في هدوء او عطيل من العمل ، إنما هي فترات نادرة في مجرى حياته . والعشيرة الضيقة الحدود ، عشيرة الاسرة او عشيرة الأبرشية ، قد تبخرت وزالت . فالقبال على غشيان دور الحياة والمساح ، أو القيام بأعمال الرياضة البدنية ، والاندبة والجمجمات بأنواعها ، ناهيك بالجامعات العظيمة والمعامل والمخازن الكبيرة والقنادق ، مائة ذاق قد أدى الى توثيق مادة العيش في جماهير . فالتلفون والراديو والحاكي بما تسجل من حوادث ، تقل بغير انقطاع مائة الجمهور ونقائمه ، كما تقل ممراته وصوره النفسية الى كل بيت ، مهما كانت عزلة

واقطاعه عن العالم المتمدين . وعلى الجملة فقد أصبح كل فرد ذا اتصال ، سواء أ مباشرة ذلك كان ام بالواسطة ، بغيره من الخلائق البشرية ، واتفقاً على جميع الحوادث كبيرة كانت ام تافهة ، سواء أ في القرية التي يعيش فيها وقعت ام في المدينة المجاورة ، ام في طرف بعيد من اطراف الدنيا النسيجة . فني مستطاع من يقم في ركن منزل من اركان الريف الفرنسي ان يستمع الى الانغام التي تتجاوب بها جنبات وستمفسر ، كما ان فلاحاً في « فيرمونت » قد يصنى ان اراد ، الى خطيب يتكلم في برلين او لندن او باريس

حيثما وليت وجهك ، في المدينة ام في الريف ، في المساكن الخاصة ام المعامل ، وفي دور الصناعة والطرق والحقول والضياح ، ترى ان الآلات قد انحصرت مقدار الجهد الانساني . حتى لقد أصبح من غير الضروري في هذا العصر ان تمشي . واستفيض بالمرقاة عن السلم ، والسيارات العامة وال عربات والمتحركات بأنواعها أصبحت مباءة الجميع ومتسهم في الانتقال مهما قصرت المسافات . كذلك ترى ان ضروب الرياضة البدنية الطبيعية كالشي والجري على الارض الخفيفة وتسلق الحياض واثارة الارض بالعمل اليدوي وقطع الحرجات بالقوس والعمل مع الترخس لطر والشمس والريح والبرد والحرارة ، قد استبدلت بأنواع من اللعب منسقة بحيث نبعثنا عن الخطر ، وبصنوف من الآلات تمنع علينا القيام بأي جهد عضلي . ولقد ترى في كل مكان ملاعب للنس والجوف وحلقات التزحلق الصناعية وحمامات السوم الدافئة والملاعب التي يقوم فيها الرياضيون بمرانهم ومصارعاتهم ، وجميعها مدارى تمنع التعرض لتغيرات الطقس . وبهذا الاسلوب يستطيع اي من الناس ان يمني عضلاته من غير ان يمرض نفسه للتعب او الصعوبات التي استلزمها الحياة في العصر البدائي

اما الاطعمة التي تغذى بها اسلافنا ، وكانت عبارة عن دقيق الشعير الخشن والقمح والمشروبات الكحولية ، فقد استبدلت بأطعمة غيرها فيها من التنوع ، بقدر ما فيها من التوهم . فقد يد لحم البقر والقمح ، ليس في عصرنا ، كما كانت في سالف العصور ، الغذاء المعتاد . فان العناصر الاساسية في الغذاء الحديث هي الابن والتفعدة والزبد والبقول والخلل مبرأة من النشور وفواكه المنطقتين الاستوائية والمعتدلة ، والحضر النضجة او المحفوظة والمشهيات ومقادير كبيرة من السكر مصنوعة فطائر او حلوى . ولم يبق عتقاً بمقامه الاول غير الكحول . كذلك ترى ان غذاء الاطفال قد اصابه تغيير كبير ذو أثر يمين . فانه الآن في الاكثر صناعي وغزير . وغذاء البالغين لا يقل عن غذاء الاطفال كثرة وغزارة . وانتظام ساعات العمل في المكاتب والمعامل ، نظمت وقت الوجبات استتباعاً . ونظراً الى ازدياد الزوة ، وقد كان عاملاً

حتى عدد يسير من السنين ، وإلى الضمف الذي اصاب الروح الديني ، والاخلاق بمراعاة فرائض الصوم ، لم يمر بالانسان وقت انتظمت فيه التغذية فحددت أوقاتها وروعيت ، كوقتنا هذا وإلى ازدياد الثروة وتوزعها في المصر الذي تلا الحرب العظمى ، يرجع السبب في الاقبال على التعلم ، ذلك الاقبال العظيم . فقد اقيمت المدارس وشيدت الكليات والجامعات ، وأما من طلاب العلم جوع غفيرة . ذلك بأن شباب هذا المصر قد أدركوا ما لعلم من أثر في دنيانا الجديدة . وقد قال « باكون » — « المعرفة قوة » — لهذا قصدت جميع معاهد التعليم ونشر المعرفة إلى تفتئة الشبان والاولاد تفتئة عقلية ، وإلى جانب ذلك غيت بحالاتهم الجسمية والتكوينية . ولا يخفاء أن الفرض الذي تتطلع إليه معاهد التعليم إنما ينجم إلى تمية القوتين ، العقلية والبدنية . ونرى من جهة أخرى أن العلم قد اثبت قاعدته في حياة الناس بحيث شغل من برامج التعليم الميزة الاولى ، وأن عدداً كبير من الفتيان والفتيات قد تطوعوا له مختارين الخضوع لنظمه الشديدة . وآية الامر ان المعاهد العلمية والجامعات والاتحادات الصناعية قد غيت جميعها بتأسيس معامل للبحث يفتنى منها لكل باحث علمي الاستفادة من علمه الخاص

ان أسلوب الحياة الاسانية قد تأثر تأثراً عميقاً بالغ المدى بما استكشف من قواعد علم الصحة والطب والمبادئ التي استخلصها « باستور » ولا ريب في أن ذبوع « المبادئ الباستورية » كان بذاته حادثاً من اكبر الحوادث أثراً في حياة الاسانية

ويكفي هنا أن نعرف أن تطبيقها قد أدى دراكاً إلى حد تيار الامراض المعدية التي كانت تكتسح العالم المتمدن بين حين وآخر ، كما قضت على كثير من الامراض التي كانت مستوطنة في كل بلد بذاته . وبذلك ادرك الناس فائدة النظافة ، وقلّ مدك وفيات الاطفال ، وزادت متوسط العمر زيادة أدت إلى السج ، حتى بلغ في الولايات المتحدة ٥٩ سنة و٦٥ سنة في زيلندا الجديدة . وليس معنى هذا أن الناس قد طالعت اعمارهم عن ذي قبل ، إنما معناه ان عدد المعمرين منهم قد زادت نسبته . ومبادئ علم الصحة قد ضاعف عدد الناس . أضف إلى ذلك أن الطب ، وقد أدرك طبيعة الامراض ادراكاً أوفى ، واستطاع ان يطبق العمل الجراحي تطبيقاً أدق ، مدّ يده إلى إنقاذ كثير من الضعفاء وناقصي التكوين ، أولئك الذين قدرت الطبيعة ان يكونوا نهباً للعدوى الميكروبية ، كما ساعد أولئك الذين قضى عليهم ، قبل ان يجد اليهم الطب يده ، أن يسجروا عن مقاومة أسلوب من الحياة فيه خشونة بعض الشيء . وعلى الجملة نقول إن الطب قد استطاع ان يزيد رأس مال المدينة من حيث عدد التسميات زيادة تضاعفية عظيمة . وفي الوقت ذاته أمكنه أن يهب كل فرد وسائل يأمن بها الالم والمرض

أن يثاقما العلمية والادبية التي تعيش مغمورين في غمرها ، قد حوّلها العلم . وان العلم هو الفارق العظيم

بين الدنيا التي تنشئ عقل الانسان الجديد ، والدنيا التي غشت عقول أسلافنا الاقدمين . فقبل ان نعال تلك الاتصارات العقلية التي حبكتها الزورة والراحة والهناء ، حكت القيم الادبية عمل غيرها من القيم . ولقد كان ذلك طبيعياً وملاماً لفطرة الاشياء . أما اليوم فقد اكتسح العقل العقائد الدينية ، واصبحت المعرفة بالسفن الطبيعية والقوة التي استحوذنا عليها بمرفتنا هذه واستقوننا بها على العالم المادي وعلى الخلائق البشرية معاً ، وحدها الاشياء ذات القيمة الاولى في اعتبارنا . فالمصارف المالية والجامعات والمعامل ومعاهد البحث ومدارس الطب والمشافى ، قد حازت في نظرنا من الجمال والعظمة ، ما كان للسابد القديمة والكاتدرائيات القوطية وقصور البابوات ، في الزمن الحالي . وحتى بدء الازمة المالية الحديثة ، كانت رئاسة المصارف وشركات سكك الحديد ، مرمى نظر الشبان ، وقبة آمالهم ومطمح خيالهم

ولا يزال لرؤساء الجامعات من الاعتبار والتقدير في نظر الناس منزلة فذة . ذلك بأنهم يذيعون العلم وينشرون المعرفة . والعلم نبع الثروة والهناء والصحة . ومع هذا فلا نكران ان الجوع العلمي الذي يبيتش الانسان الحديث مغموراً به في حياته ، قد مضى يتغير بسرعة كبيرة . فان عواهل المال والاساذه والسماء وخبراء الاقتصاد بدعوا بفقدون ما كان لهم على الناس من سلطان . فان جواهر العصر الحديث قد نالوا من التسليم قدرأ يمكنهم من قراءة الجرائد والمجلات ، وهم فوق ذلك يستمعون إلى الخطب التي يذيعها السياسيون ورجال السبل والدعاة وأصحاب الرسالات المختلفة . وقد تشبعت نفوسهم بقدر عظيم من الدعايات التجارية والسياسية والاجتماعية . تلك الدعايات التي اصبح لها فن خاص معروف أخذ في التقدم نحو الكمال . وكذلك هم يقرعون في الكتب فصولاً يسط فيها العلم وذلت الفلسفة . ولك ان تعرف ان الكون الذي نعيش فيه قد نال من العظمة والجلال ، بفضل ما استكشفه علم الطبيعة وما ابان عنه علم الفلك ، فسطاً وقيراً . ومع هذا فان أي انسان ، يستطيع ان اراد ، ان يستمع الى شيء من نظريات أينشتاين ، او يقرأ كتب إدنجتون وجينز ، ومقالات شاپلي وملكن . فليجهر الحديث مشغوف بالاشعة الكونية شغف بجموم السينما ولاعي كرة القدم . والكل يعرفون ان السكان محدوب ، وإن الكون مؤلف من قوى عمياء مجهولة ، وإن ذواتنا ليست باكثر من ذرات صغيرة تدب على سطح دقيقة من التراب مغمورة في سمة الكون ، وإن ذلك الكون على سنه وتراحي نواحيه فاقد الحياة ، فاقد الشعور ، فاقد الوعي . هم يعرفون أن كوننا نظام آلي ولن يكون كوننا غير ذلك ، ما دام انه خلق أساسه مجهولات قررنا علم الطبيعة وعلم الفلك . على هذا يقوم محيط الانسان الحديث ، فانه ليس اكثر من كون عجب نمته علوم للمادة الجامدة

— ٤ —

التأنيج المترتبة على

مثل هذا الانقلاب

ان الانقلابات البالغة التي انتابت عادات الانسان بتطبيق مكتشفات العلوم ، حديثة العهد . والحق اننا ما زال في غمر الثورة الصناعية . لهذا يصعب علينا أن نعرف معرفة تحقيق ، كيف أثر في خلائق المدنية الحديثة ، تبدل وجودهم من طراز طبيعي الى طراز اصطناعي ، وانقلاب البيئة التي تسلمهم انقلاباً تاماً . أما ما نحن على يقين منه فهو ان انقلاباً كهذا قد وقع بالفعل . ولما كل كائن حي اعما يستمد في حياته على حالات محيطه ، وبقاؤه في الواقع مرهون بالتأثير الطبيعي لاحتمال كل ما يتناوب محيطه من الانقلاب ، انبنى لنا ان نحقق بأي أسلوب تأثرت حياتنا وعاداتنا وأطمعنا وتعلمنا ، بل ومتجهاتها العلمية والادبية ، التي فرضتها علينا المدنية الحديثة . أأصبنا فائدة من هذا الارتقاء ؟ إن الاجابة عن هذا السؤال الهام لا تأتي الا بان نبحث بحثاً مستفيضاً كاملاً حالة الامم التي كانت اول الامم استقلالاً واستفادة من المستكشفات العلمية

ليس يخفى ان الناس استبشروا بالمدنية الحديثة واستقبلوها فرحين مهللين ، فتركوا الرثيف وبنذوه إلى المدن والمعامل ، فاكنتهم بهم . وقد علموا جاهدتين نهين أن ينتحلوا الاساليب والطرائق التي اقتضاها العصر الحديث ، عملاً وتهكيراً . فتركوا عاداتهم القديمة بغير تردد ، لان تلك العادات كانت توجب عليهم جهداً اكبر . فما لاشك فيه مثلاً أن العمل في مصنع أقل تعباً للجهد من العمل في الحقل . غير ان الحقل ذاته قد ادركنه الوسائل السليمة تخففت من خضوة العياء ومحت كثيراً من متاعها فيه . والساكن الحديثة قد هيأت للناس حياة أقم وأرفه عن ذي قبل . فان ما فيها من الراحة والدفء والاطاة التامة ، قد أضفت على سكانها شعوراً بالراحة والرضا ، ومُعداتها الرئيسية قد انقصت كثيراً من الجهد الذي تطلبته من النساء مساكن الاولين . وإلى جانب ما أنس الناس من انقاص الجهد البدني وازدياد التمام ، قد اخذوا فرحين الى حياة الجماعة ، قائم قماً يتكون مُراد أي منزلين عن الناس ، وانفسوا في شهوات المدن وملاهيها ، والعيش في غمر الجماهير ، والبعد عن التفكير . كذلك ترامم يرمون بالفلك ، بما غرس فيهم من نتائج التربية العقلية ، من القيود الادبية التي فرضها المُسَحِّضون (Puritans) والمبادئ التي فرضها الدين . وفي الحق ان الحياة الحديثة قد ردت الناس أحراراً . فقد فتحت لهم سبيل الحصول على الثروة بكل سبيل مستطاعة وبكل وسيلة ممكنة ، طالما انها وسيلة لا تؤدي بهم إلى السجن . لأنها فتحت لهم ممالك الارض وفجاجها . إنها حررتهم من الاساطير وطهرتهم من الاوهام . انها مهدت لهم سبيل استئارة شهورهم الجنسية كيفما شاؤوا ، وسهلت لهم سبيل ارضائهم . انها ممت القيود وفكت اغلال النظم وقلقت من الجهد الجسمي ، بل ومن جميع الاشياء الثمينة او المكسدة . وعلى

الجملة فإن الناس ، والذين هم من الطبقة الدنيا خاصة ، أكثر سادة وهناة ، من الوجهة المادية ، مما كانوا في الأزمان الأولى . على أن فئة من الناس قد أخذوا يسكنون ، ولكن تدرجاً ، عن أن تسويهم مليات الحياة الحديثة أو يأخذوا بملذاتها الطليقة . وهؤلاء في الغالب هم الذين يحاولون صنف صحتهم دون الاستمرار في التورط فيها حيات لهم حياة المدينة من مناهم كالاكل والشراب والتخاطب الجنسي ، تلك التي مهد السبيل إليها نحو التنظيم الاديوية وكسر اصفاها . هذا إلى جانب أنهم يمشون مهددين بفقدان العمل الذي يعملون فيه او موارد معيشتهم او مدخراتهم او رؤوسهم . أنهم عاجزون عن أن يرضوا حاجة النفس الى الشعور بالأمان والطاينة ، تلك الحاجة التي نحس جميعاً أنها كامنة في اعماق قوسنا . وعلى الرغم مما يحف بالناس من ضروب التأمين الاجتماعي ، قائم يشفقون من مستقبلهم . اما الذين هم قادرين على التفكير ، قائم يقبلون معضنين قانون

من الحق مع هذا أن الحالات الصحية تتقدم وتتحسن . ولم يقف تحسن الصحة عند نقصان متوسط الوفيات ، بل إن كل فرد قد أصبح اجمل تكويناً واكبر حجماً واشد مرونة . فالاطفال في عصرنا الحاضر أكثر طولاً مما كان آباؤهم ، ووفرة الغذاء والمرانة الطبيعية قد أدت إلى زيادة حجم الجسم وقوته العضلية . واكثر الرياضيين المتنازين في الملاعب الدولية يقدون من الولايات المتحدة . وفي الفرق الرياضية التابعة للجامعات الاميركية ، تقع على افرادهم في الواقع نماذج عليا للتكوين البشري . والتعليم الحديث اكبر تأمل على نماء النظام والعضلات نماء كاملاً . ولقد استطاعت اميركا بطرقها الخاصة أن تستحدث من نماذج الجمال ما يضارع نماذج الجمال القديم في الصور الفارطة . ومع كل هذا نجد ان طول العمر ، مع ما ينزل من جهد رياضي وما يتمتع به من مزايا الحياة الجديدة ، لا يزيد عن طول عمر أسلافنا ، بل ربما كان أقصر منه فيهم . فإن قدرتهم على مقاومة التعب والكد قد نقصت . والظاهر اجمالاً أن الافراد الذين اعتادوا معالجة المرانة الجسمية الطبيعية ، واحتمال التعب والتمرض لتقلبات الجو ومكدراته كما كان أسلافهم من قبل ، هم أقدر على بذل الجهد وتحمل المتاعب من رجالنا الرياضيين . وإننا لنعلم أن محصلات التعليم الحديث تتطلب من الفرد أشياء اساسية منها كثرة النوم ووفرة الغذاء وانتظام المادات . بذلك أصبح المجموع الصحي هفماً ضيقاً ، حتى غدا الناس عاجزين عن تحمل اسلوب الحياة الجديد في المدن الضخمة ، والاحتباس في المكاتب ، ومشاكل العمل ، بل أصبحوا غير قادرين على مواجهة المصاعب وآلام الحياة العادية التي عليهم أن يواجهوها كل يوم . لذلك هم يتحفظون مراعاً . وربما كانت امتصاصات علم الصحة والطب والتعليم الحديث أقل قيمة للناس مما نتقد في العادة

وإن لنا أن نساأل أنفسنا : أليس هناك من قائص عملية متعلقة بنقصان متوسط الوفيات أثناء طوري الطفولة والفتوة ؟ الحقيقة أن للضعف في عصرنا من فرص الحياة ما للقوي . ذلك بأن الانتخاب الطبيعي قد منع عليه أن يؤدي رسالته . ولا يمكن لأحد أن يتكهن عما يكون مستقبل سلالة احتسنى أفرادها بالطب . غير أننا نترك هذا المشكل إلى مشا كل أخرى أعظم واروع تتطلب منا حلاً سريعاً شاملاً . فبينما نرى أن الطب قد استطاع أن يقضي على مرض الاسهال الأخضر في الأطفال ، وإن يقف فعل السل والتفتيريا والتيفود ، بل ويقضي عليها قضاءً ، نرى أن هذه الامراض قد استبدلت بامراض أخرى ذات طابع انحلالي . أضف إلى ذلك ازدياد عدد الاصابات بالامراض العصبية وأمراض العقل . ففي بعض الاقاليم نجد أن عدد المجانين في مشفى ما ، يزيد عن جميع عدد المصابين بأمراض أخرى في بقية المشافي جميعاً . وليس يقف الأمر عند الجنون ، بل أن الاضطرابات العصبية ومظاهر الضعف العقلي قد أصبحت أكثر ذبوعاً عن ذي قبل . وأنها لا كبر العوامل تأميراً في احداث التماسه في الافراد والانحلال في الاسر . ولا شك في ان الانحطاط العقلي أنكى خطراً على المدينة من الامراض المعدية ، تلك التي حصر علماء الصحة والاطباء مهم كله في بجنها ومقلومتها



بالرغم من المبالغ المالية الطائلة التي تنفق في الولايات المتحدة على تعليم الاطفال والناشئين فإن الطبقة المتقاة من ذوي العقل الممتاز لم يزد عددها . ولا شك في ان الطبقة الوسطى في الولايات المتحدة ، رجالاً ونساء ، تتلقى تعليمًا أرقى ، وتعيش عيشاً أرفه مما كان أولاً ، والرغبة في القراءة والاطلاع أصبحت أكبر وأعظم ، والجمهور يشترى من المجلات والصحف أكثر مما كان يشترى جمهور الحليين السابقين ، والمشتغلون بالعلم والآداب والفنون أكثر عدداً . غير أن أكثرهم مشغول بأحط صور الاجب ، ومن يعمل منهم في العلم والفن يكف على ما يشبه العلم والفن ، لا على ضروبها العليا . ويظهر من ذلك أن الحالات الصحية الممتازة التي يعيش الاولاد مشمولين بها ، والناية التي تبذلها المدارس والمعاهد في سبلهم ، لم تفض شيئاً إلى صفاتهم أو نماذجهم العقلية والادبية . وقد يمكن أن يكون هناك تناقص ما بين نمائهم الجسمي ، وقدرتهم العقلية^(١)

« البقية في باب الاخبار العلمية »

(١) يريد الكاتب ان يقول ان المدينة الحديثة تحقق بأساليبها قول القائل : اجسام البشاش وأحلام الصانغير

لماذا يغرد الطير

الطرب أم للمزاوجة أم للتخاطب ؟

في حياة الطير نواح متعددة تستوقف الناية^(١) ولكن التفريد اشهرها واعلمها . فقد يكون بين قرآء هذه الصفحات من لا يميز نوعاً من نوع من الطير ، ولكن يندر ان يكون بينهم من لا يطر به تفريد البلبل والكنار والحسون والقبرة . ودواوين الشعراء حافلة بوصفه وأثره في قوس الشعراء . وهذه الناية بالتفريد حملت علماء الطير على البحث في سببه . فاصبحوا في شغل عن الطرب بما هم فيه من البحث . ولكنهم على كل حال يتكرون بوجه عام ان الطير يغرد طرباً لان ذلك الرأي القديم في نظرهم ليس رأياً علمياً

ان العلماء الذين عوا بهذه الناحية من حياة الطير ، فرقان . فريق يقيم رأيه على اساس مادي ، والآخر يقيمه على اساس غير مادي . والرأي الطالب الآت هو الرأي الاحيائي (البيولوجي) وزعيمه ، المستر نيكولسون E. M. Nicholson . ان اصحاب هذا الرأي يقولون ان سلسلة الانعام التي يميزها علماء الطير سواء ا بسبب كانت ام مركبة ، يستملها الذكر في فصل المزاوجة اعراباً عن استقلاله وسيادته في المنطقة التي نزل فيها . وانه لا يغرد خارج تلك المنطقة . فاذا فعل لم يكن ذلك تفريداً حقيقياً بل شيئاً به sub-song ثم ان التفريد مسوغات بيولوجية علاوة على ما تقدم . فهو في مذهبهم وسيلة يسترعي بها الذكر الانثى الهامئة في الربيع وعندهم ان الذكور تصل اولاً الى المنطقة الجديدة ، فتزل فيها ، ثم تبعها الاناث غير المزوجة . ولما كان معظم الطيور التريدة صغير الحجم ، لا يمتاز برئس باهي الالوان متمدها ، فالتفريد وسيلته لاتمام المزاوجة بتوجيه غايه الاناث اليه . ثم ان التفريد رسالة تحذير يوجهها الذكر الى غيره من الذكور ان لا يتدوا على المنطقة الخاصة به . فاذا لم يغرد فقد يقص عن منطقة وقد لا يجد زوجاً . فالتفريد في رأيهم ليس اعراباً عن شعور ، وانما هو ضرورة بيولوجية هذا هو الرأي البيولوجي في تفسير تفريد الطير بجملاً . ولكن ضد التدقيق فيه ، يجد الباحث

(١) راجع « عقل الطير » مقتطف يونيو ١٩٢٣ صفحة ١

خطأين أولهما ان التفريد لا يقتصر على فصل المزاوجة ولا ينحصر فيه . وقول المستر البوت هوارد Eliot Howard ان التفريد محصور في فصل واحد من فصول السنة وهو فصل التوليد مردودٌ بلشاهدة . فليس في السنة فصل واحد لا يقبض به لى الطير بالنشيد . فان الحناء Robin (معجم الحيوان عن القزويني) والصمّوة Wren . (معجم الحيوان ويعرف في الشام باسم سكسوكة ونعمة ودعويقة) والسمنة تفرّد في غير فصل التوليد . وقد ردّ اصحاب المذهب المتقدم هذا الاعتراض بقولهم ان هذه الطيور التي تفرّد في غير فصل المزاوجة ، تحتل أرضاً خاصة بها على مدار السنة . ثم هناك خطأ آخر . فقولهم ان تفريد الذكر يجذب الانثى التائهة اليه يعني ان الانثى تتجه الى أطرب الطيور تفريداً وهذا مردود بقول البوت هوارد نفسه اذ أثبت فساده في ما يتعلق بضربين من الطير من نوع الدُرّة Bunting المعروف بمصر باسم « الصو » مع ان الصو كما تقدّم يقابل (Wren) (راجع معجم الحيوان مادة Bunting) وعلى الرغم من هذين الاعتراضين على الرأي المتقدم لا يزال هذا الرأي قائماً . ولكن كلما آمن الباحث تدقيقاً فيه تبين انه غير دقيق وغير شامل . فقولهم ان تفريد الذكر اعراب عن سيادته في منطقته وتحذير موجه الى منافسيه مردودٌ بما يفاده في اثناء الربيع من القتال الكثير بين الذكور . راقب الذكر وهو يفرّد . قد تحسّ انه يعرب في تفريده عن استقلاله وسيادته ، ولكنك فلما تقتنع ، وأنت تشاهده مستترفاً جسماً وعقلاً وروحاً في التفريد انه مهمٌ بغيره قصد تحذيره . وقد قال الاستاذ فيزي قز حيرالد في مجلة الكونتسبوردي — وعنه نلخص — انه كثيراً ما راقب الدُخلة او المازجة اثناء التفريد ، فسجّر عن اقتناع نفسه بأن فيه تحذيراً وانذاراً لسائر المهاوزج

ولو كانت الذكور لا تفرّد خارج المناطق الخاصة بها لكان الباحث مضطراً ان يسلّم بهذا الرأي . ولكنها تفرّد أينما تكون . ففي الربيع تفرّد المهاوزج القواطع في اماكن لا تنوي مطلقاً ان تبني فيها عشاها . وقد كان للاستاذ فيزي قز حيرالد حديقة ، في منطقة تجنّازها هذه القواطع ، فكان يسمع في الربيع تفريدها مع انها لم تكن مشقة فيها ولا في جوارها . بل ان الشجرة الواحدة كانت بمنزلة منبر يشدو من فوقه ستة أنواع او أكثر . ثم كان يبحث عنها في اليوم التالي فلا يقف لها على أثر ، ثم يسمها شادية ، عند عودتها قاطعة في الحريف . فليس ثمة صلة بين الشدو والمنطقة . لم ان هذه الطيور فلما تشدو كثيراً خارج منطقتها ، بعد ان توطنها . ومع ذلك فكثير من الباحثين غير مقتنع بأن هناك صلة بين الشدو والمنطقة في عقل الطير في حالة المتوطن منها . والامثلة على ما تقدم كثيرة . اما المستر نكلوسون فيزعم ان هذا الشدو خارج المنطقة ليس شدواً صحيحاً وانما هو شبيه به ويطلق عليه اسم (sub-song) اي انه

اصوات لم تنم إلى مستوى الشدو أو التبريد . فردد عليه فيزي قز جراد بأنه جهد نفسه في التفریق والتفريق بين التبريد في المنطقة المستوطنة والتبريد خارجها فلم يبين أقل فرق اما التوسل بالتبريد لجذب الاناث فقام على الرأي القديم بأن الطيور الزاهية الالوان فلما تميد التبريد . وان الطيور المتوسطة الحجم فلما تحسب في عداد الطيور المفردة . ويذهب تكولسون الى القول بان الطيور التي لا تعيش في جماعات ، تحتاج الى قدرة التبريد ، لتعاض بها من خفاها الناشئ عن صرحها او عدم ازدهانها . ففي فصل المزاوجة — على رأيه — يحتاج الذكر الى ما يمكنه من اعلان وجوده ورغبة منه في جذب الانثى اليه وكذلك في اقضاء المعتدين عن منطقته لكي يكفل ارضاً تحتوي ما يحتاج اليه صغاره من الغذاء . فاذا كان صنيح الحميم او قليل اهون كان لا بد له من الاعتماد على الصوت وإن لم يكن ذلك الصوت تبريداً دائماً وفي الرد على هذا يقول الاستاذ فيزي قز جراد أنه قد يكون التبريد في بعض انواع الطيور وسيلة لاجتذاب الاناث ، مع انه ينكر صدق ذلك على اي نوع . ويستشهد بقدرة طيور غير غريزة على الفوز باناثها . ولكنك تعلم جدلاً بان التبريد قد يكون له هذا الغرض في بعض الانواع ثم ينكر ان البحث عن الزوج هو القصد الاول او الوظيفة الرئيسية المقصودة بالتبريد . وقد اقام الدليل على ذلك بالاشارة الى طائر يعرف باسم خاطف الذباب fly-catcher (مجم الحيوان عن احمد قاسم وشورب وهي مامية في مصر عن حلمي السمّاع وبوابة مامية في لبنان) . فالأرقط منه يستوقف النظر بريشه وطبائمه ومع ذلك يتصف بتبريد شجي . والظالم او الصنّج chaffinch (مجم الحيوان الاولى مامية في الاسكندرية عن حلمي السمّاع والثانية مامية في لبنان عن پوست) حسن الصوت ويستوقف النظر بشكله في آن واحد . وكذلك الصفارية Golden Oriole (مجم الحيوان) يستوقف النظر بلونه الاصفر وصوته الحسن وهناك فريق ثانٍ يذهب مذهباً آخر في تفسير تبريد الطير . وزعمه المستر ريتشموند (W. K. Richmond) وهو يستمد أساس رأيه من المذهب البيولوجي ، فيقول : لما كان معظم الطيور مفرّدة في فصل المزاوجة فيصح القول بان التبريد كان اصلاً مرتبطاً بالمزاوجة . ويمكن التسليم كذلك من الناحية العلمية ، بان ازدياد التبريد في الربيع مرتبط بنمو الاعضاء الجنسية في الذكر وان خفوتها مرتبط بضمورها . ومن الصحيح ايضاً ان الطيور تفرّد عندما يكون نشاطها على اشدّه ، فاذا انجم النشاط الى اعمال أخرى كتنذية الصغار او تبديل الريش قلّ التبريد . ثم هناك عامل آخر وهو توافر الاحوال المؤاتية . فاذا حرم الطير الطعام او هبطت الحرارة فجاءه أثر ذلك في تبريدها فاذا استمرت الاحوال غير المؤاتية اقطع التبريد ، ولكن حماسة الطيور المفردة في الربيع تتلّص على احوال الحيو ، وكثيراً ما محمّ أباً قلسوسة (الحوري والشماس ذكره واتاه

في لبنان من معجم الحيوان) والموازيح وهي تفرّد بغير انقطاع عندما كان الثلج يغطي الأرض ثم ان رنشموند لا ينكر التفريد على الطيطوى Band piper (معجم الحيوان عن ترجمة كلية ودمنة لفوكنر) والزرزور Starling لأنه يعلم ان لتفريد الطيور نواحي متعددة. وقد ضرب المثل على ذلك بطائر الحجيرة Rodstart فقال في وصفه ما يلي: لقد شاهدت حجيرة وهو يشدو شدواً كله قوة وكبر... وكانت كل حركة من حركات الطائر وكل لفظة من نغمات شدوه تدل على طبع عفيف وغد. ولكنني رأيت نفس الطائر بعد الظهيرة وهو اهدأ بالآ مما كان في الصباح وكان يهزج هزجاً رقيقاً يدل على رضائه وقنائه في هزجه. ثم يقول ان الطيور تفرّد عندما تصاب بأذى او حتى عند ما تكون على وشك الموت. ومن هذا يخرج رنشموند الى ان التفريد في الطيور اعراب وانها تفرّد لا لأنها مدفوعة اليه بحاجة قاسمة يفرضها عليها الانتخاب الطبيعي، بل لان التفريد منفذ لنشاطها الفاض «فهي اما ان تنفي واما ان تنفجر». والتفريد في رأي رنشموند هو الاعراب الاتصالي عن حياة الطير.

قد يكون هذا الرأي في هذه الايام، ايام التفسيرات العلمية والفقهية بالعلمية، غير مقبول لأنه غير علمي. ولكن من الخطأ ان تجاهله لكونه غير مفرغ في قالب علمي. فالستر رنشموند باحث عتق دقيق للملاحظة. وهو اقرب في نظر فيزي فزجيرالد الى الحقيقة من اصحاب الرأي الجغرافي القائم على ان التفريد اعلان الطائر استقلاله في منطقته. وتحذره غيره من قصدي حدودها. ولا يمد ان يكون رأيه الحقيقة كلها.

وماذا نفي بتفريد الطير؟ السمنة تفرّد والغراب ينفق. ومع ذلك فلفراب لها مرتبة التركيب ومدى من الاصوات اذا شهنها بألفاظ الانسان قلنا ان ثروته اللفظية واسعة. والظاهر اننا نقصد بالتفريد تلك الاصوات التي تقع وفقاً مطرباً على آذاننا. بل ان اصحاب الرأي الجغرافي، ينكرون ان الطيور تفرّد خارج منطقته الخاصة بها. وما يصدر منها من الانغام خارج هذه المنطقة، يوصف بأنه شبيه بالتفريد. فاذا كانت اصواتها غير منغمة تجاهلها اطلاقاً. ولكن هذا التعريف الضيق لا يتسع لكثير من الاصوات التي وصفها هندي Hedy بأنها «كلام الطيور» اذا ما تفرّد الطيور؟ لا بد من القول بأن تفريد الطير ليس مسألة واحدة بل مسائل متعددة. ويمكن ان نقسمها لثلاثة اقسام تدور حول اصل التفريد، ونوعه ووظيفته. وكل منها مسألة قائمة بذاتها. ثم ان موريس Morris يمد في كتابه عن «التفريد» الى تقسيمه بحسب الفصول ويمد منها تفريد الربيع والخريف والشتاء. ولكن التمييز بين ألوان التفريد الخاصة بهذه الفصول شاق او متعذر. ومع ذلك يمكن ان يتأدى الباحث في تصنيف التفريد، فيميز بين التفريد قبل المزاجة والتفريد الذي يقصد منه اطراب الانثى وهي حاضنة البيض. وهذا يدلك على سعة الموضوع

لا ريب في ان للزعة الجنسية في الطير تأثيراً كبيراً في تغريده ولكن من الحطال الذهاب الى ان تغريد الطير ليس الاً اسلوباً من اساليب التحدث الجنسي . لان الحقائق تدل على ان التغريد اُبعد مدى من مجرد الاعراب الجنسي . وعلماء الطيور يعرفون طائفة كبيرة من الطيور تحيد التغريد بعد ان تقضي فيها الشهوة الجنسية

ان التغريد الذي نشأ اصلاً للاعراب عن الرغبة الجنسية قد تطور حتى اصبح لغة او وسيلة للتخاطب. ولا بد لنا اذا شئنا ان نفهم تغريد الطير من ان ندرك ان ما نطلق عليه وصف «التغريد» او «الشدو» هو في الواقع لغة الطير ، ولغة نواح متعددة ، بتعدد النواحي في حياة الطير . وأداة ليست معدة لتأثر بجميع ألوان الصوت الصادر من لدى الطيور . وقد قال الاستاذ جارستانج في وصف هذه اللغة « انها تعرب عن الشعور والاتصال لا عن الاشياء والافكار ، وهي في آخر الامر متصلة بالسلوك وتشمل على الدعوة والتحية والتحذير والتشجيع وقلمنا تشمل غيرها » وهذا الذي قاله جارستانج لا يفتك فيه احد من مراقبي الطيور . وكان الاتصال في التماس نصبة الحركة كذلك يصحب الرقص ورفرفة الاجنحة والتعليق الاعراب عن افعال الطير بالتصويت . ولا يخفى ان وردزورث الشاعر الانكليزي الذي كان يعرف طبائع الطير وصف طبع الشاعر كأنه يصف طائراً عند ما قال : « ثم يحفل قلبي بالنبطة فيرقص مع الدخلة »

إن ارتفاع القدرة على التخاطب بالتصويت في الطيور يختلف باختلاف أنواعها . ولكن هذه القدرة تمتد من نقيق الغراب الى الشدو للموسيقى الصافي في فصيلة السنة ، ولغة كل نوع لا يفهمها الاً ذلك النوع

اذن ، هل تغرد الطيور كما فهم التغريد؟ هل تغرد امراًياً عن غبطة الحياة ؟ انها ولا ريب تفعل ذلك. ولكن أصحاب المذهب الجبرافي يصفون تغريدها هذا بأنه شبيه بالتغريد sub-song الا أنه اتيح لي (فريز قزجيرالد) ان اراقب الشحورور يفرغ قلبه في صياحه وهو جاثم على غصن. ثم شاهدته بعد قليل وهو لا يزال على ذلك الغصن يشدو شداً رخيماً رشيماً . ومنذ ذلك اليوم لم يخامرني شك في حقيقة التغريد . اذكر ايها القارئ حيراء دشمووند . او تذكر الصنح Chaffinch جاثماً على سور الحديقة وهو يهزج . او الزرزور على قمة الدخنة . او التفاحي linnet (معجم الحيوان عن حلمي السباع وهو ضد عامة المصريين التفاحي والزقيفة وعند طلبة السوريين الزقاقية والتفيفية) او السنة . ليس ثمة ظلل من الشك في ذلك . والواقع انني لا انكر قدرة التغريد على اي طائر . اليس الصرد shrike من ارحم الطير شداً مع اعاقودنا ان مكر طبعه لتغريد ان اصوات الطير التي يصفها بعضهم بانها « شبيهة بالتغريد » فهي التغريد الحقيقي ، المجرد من قيود التخاطب والمنظفة والجويع والعلل ، مجرد من كل شيء الاً من الطرب

في تاريخ العرب

للدكتور زكي محمد حسن

على هامش كتاب History of the Arabs
للدكتور فيليب حتي الأستاذ بجامعة برلستون

كتب المستشرقون وكتب المسلمون أنفسهم المؤلفات الكثيرة عن تاريخ العرب والمسلمين عامة، وقضارت الآراء في قيمة هذه المؤلفات، ولكن الكتاب الذي ظهر حديثاً للاستاذ الدكتور فيليب حتي يختلف عن كل ما كتب في هذا الموضوع، ويميزه في المادة والاسلوب وطريقة البحث. ولنا قصد ان نعرض او ان نشير الى الابحاث والكتب التي ألقت في شتى موضوعات التاريخ الاسلامي وفروعه، فان مثل هذه الكتب، بطيئة حجمها وكون كل منها موقوفاً على دراسة ناحية او مشكلة من مشكلات التاريخ الاسلامي، تكون أوفى غرضاً وأوسع مادة وأدق منهجاً، ولكننا نريد الكتب التي عقدت فصولها للكلام عن التاريخ كله او جله في تركيز وإيجاز لا يمكن بدونها ان يلم المؤلف بتاريخ المسلمين او العرب في عجل واحد من القطع المتوسط ولم تكن هذه الكتب الاخيرة كثيرة في شتى اللغات فليس بالانجليزية الا كتاب مور^(١) والسيد امير علي^(٢). وبعض كتب أخرى مختصرة جداً. وليس في الفرنسية الا كتاب هوار^(٣). فضلاً عن بضعة مؤلفات موجزة لا تفي الموضوع حقاً. اما الالمانية فقد كانت أغنى من اللتين السابقتين بل كانت في التاريخ العلمي الصحيح أغنى من اللغة العربية نفسها. فمؤلفات

(١) W. Muir : The Caliphato وقد طبع سنة ١٨٨٣ وسنة ١٨٩١ وسنة ١٨٩٨ وظهرت منه طبعة جديدة منقحة على يد T. H. Weir بإذنه سنة ١٩٢٤

(٢) Syed Ameer Ali : A Short History of the Saracens (London 1921) وقد ظهرت بعض مؤلفات أخرى بالانجليزية في تاريخ العرب والمسلمين لتبر السيد امير علي من المؤرخين الهنود

(٣) U. Haart : Histoire des Arabes (Paris 1902)



الدكتور فيليب حتي
مؤلف كتاب History of the Arabs

فون كريمر^(١). وفيل^(٢) ويكر^(٣) لا تزال مراجع ثمينة في التاريخ الاسلامي عامة وليس في اللغة العربية كتاب واحد يضم بين دفتيه تاريخ العرب او المسلمين على نحو علمي صحيح^(٤) وهكذا يرى القراء أن كتاب الدكتور حتي سدّ ثغرة في عالم التأليف. على أن المؤلف يبدأ مقدمته بأن كتابه «عاقلة متواضعة لحكاية سيرة العرب والشعوب التي تكلمت العربية منذ المصور الاولى حتى الفتح العثمان في بداية القرن السادس عشر»، ولكن الحق أنه عمل جليل يشهد بعلم وافر وإطلاع واسع ومثارة مضنية، ولا غرو فالمؤلف يعترف في المقدمة بأن هذا الكتاب ثمرة عمل دام سنوات طويلة قضاه في الدرس والتدريس بجامعة كولومبيا والجامعة الأميركية في بيروت وجامعة برلستون باميركا

وينص الدكتور حتي في المقدمة على أن الكتاب أعد ليقى بحاجة الطالب وبحاجة القارئ المثقف من غير الاختصاصيين. والواقع أن هذا الكتاب رفيق طيب لا ساذجة التاريخ الاسلامي، وإن كنا لا نذهب إلى حسابانه مصدراً جاساً شاملاً يمكن الاعتماد عليه إلى حد كبير. وسنبين على ذلك في المآخذ القليلة التي سنعرض لها في آخر هذا المقال

ولعل خير وسيلة لتبين ما لكتاب الدكتور حتي من شأن خطير أن نستعرض اقسامه وفصوله قسم للمؤلف كتابه خمسة اقسام، عقد الاول للكلام عن العصر الجاهلي، والثاني عن قيام الاسلام وعصر الخلفاء الراشدين، والثالث عن الفصريتين الاموية والعباسية، والرابع عن العرب في اسبانيا وصقلية، والخامس عن آخر الدول الاسلامية في المصور الوسطى وعن الحروب الصليبية أما القسم الاول فقد بدأه المؤلف بالتحدث عما لتاريخ العرب من شأن خطير، على الرغم من ان المعروف عن بلاد العرب لا يتناسب وكون المسلمين يباغ عددهم الآن نحو سبع سكان العالم او سدسه، ولا يتفق مع عظمة المسلمين، الذين لم تكن لهم قيصريّة، متراصة الاطراف بحسب، بل ورثوا المدينيات التي قامت على ضفاف الدجلة والفرات والتيل، واقتبسوا من المالم الاغريقي الروماني القديم، وكانت لهم ثقافة عظيمة اثرت في اوروبا في المصور الوسطى فبعثت النهضة فيها. وكان التراث الذي خلفه العرب والتاطقون بالاضاد اكبر من راث أي شعب آخر

(١) A. von Kremer: Culturgeschichte des Orients unter den Chalifen! Wien 1875-77

(٢) G. Weil: Geschichte der islamitischen Völker von Mohamed bis zur Zeit des Sultan Selim, (Stuttgart 1866), G. Weil: Geschichte der Ohalifen (Bd. 1-3, Mannheim 1846-1851)

(٣) O. H. Becker: Islamstudien (Bd. 1-2, Leipzig 1924-1932)

(٤) يعرف القراء ان تاريخ الاسلام السيامي للاستاذ الدكتور حسن ابراهيم حسن لم يظهر منه الا الجزء الاول كما أن محاضرات الاستاذ عبد الحيد السبادي في كلية الآداب لم تطبع بعد. بينما كتاب المالم لاسلامي محمد رضا كحلّة موجز ومقتضب، وفيه مؤلفات اخرى لم تنبع في ناليتها طريفة اجتهاد المصنف

ثم تكلم الدكتور عن الاستكشافات الحديثة في بلاد العرب ، وعن الشعوب السامية عامة ومهدا في شبه الجزيرة . وعقد بعد ذلك فصلاً عن بلاد العرب : طبيعتها ومناخها ونباتها وحيوانها ، ثم وصف الحياة البدوية ، فتكلم عن الغزو والحاسة والمروءة والصنية والقبيلة وشيخها . على أن أبدأ فصول القسم الاول من كتاب الدكتور حتى انما هي الرابع والخامس والسادس ، فقد خص الدكتور في الفصل الرابع العلاقات الدولية بين العرب وجيرانهم في العصور القديمة : علاقتهم بالمصريين القدماء وبالسوريين والبابليين والاشوريين والفرس واليهود والعالم الاوربي القديم . وكان قوام هذه العلاقة تجارة البخور والبان والتوابل ومناجم الذهب والاحاس . اما الفصل الخامس فقد شرح فيه المؤلف احوال الدول القديمة التي قامت في بلاد العرب الجنوبية : المينية والسبائية والحيرية وتكلم في هذا الصدد عن تجارة بلاد العرب الجنوبية وعن النقوش السبائية والحيرية ومكتشفها Niebuhr وهالتي Halévy وجلالزر Glaeser ، وعن مأرب وعن العرب الذين هاجروا من حضرموت واليمن الى شرق افريقية ، حيث أسسوا دولة الحبش ، السامية الاصل والتي أتيح لها ان تمد سلطانها الى بلاد العرب الجنوبية في القرن السادس الميلادي ، حتى هب لطردهم منها سيف بن ذي يزن بطل السيرة الشعبية المشهورة ، وطاوت الفرس ولكنهم اتخذوا ذلك سلباً لحكم اليمن ، وظل قودم قائماً فيها حتى اعتنق الاسلام باذان خامس ولاتهم فيها ، فأصبحت اليمن جزءاً من الدول الاسلامية وأصبح شمال بلاد العرب أخطر شأناً من جنوبها

وعقد المؤلف الفصل السادس للكلام عن الولايات التي قامت في شمال شبه الجزيرة قبل الاسلام فكتب عن النبط الذين تزخوا في القرن السادس قبل الميلاد من شمالي اقليم شرقي الاردن الى جنوبيه واتخذوا مدينة البتراء Petra عاصمة لهم فنعت من أعظم المدن في الطريق التجاري بين سبأ وسواحل البحر الايض المتوسط . وكان النبط يتكلمون اللغة العربية ويستخدمون في كتابتها الحروف الآرامية كما كانت اللغة الآرامية لغة العلم جدم . ثم تطورت الكتابة النبطية في القرن الثالث الميلادي الى الحروف العربية النسخة التي عم استخدامها في العالم الاسلامي ، اللهم الا في العصور الاولى حين استخدم الخط الكوفي في كتابة المصاحف وفي كتابة بعض المستندات الرسمية الخطيرة وفي العملة وعلى المآثر والمساجد

وقد شرح المؤلف في هذا الفصل كيف تطورت الرموز المبروغرافية على يد سكان شبه جزيرة سينا حتى وصلت الى الحروف الابجدية الخالصة ، التي كان الفينيقيون اول من عرفها . ثم تحدث عن مدينة البتراء عاصمة النبط المحفورة في الصخر والتي بلغت اوج عظمتها تحت رعاية الرومان في القرن الاول من الميلاد ، وعن مدينة تدمر التي كانت من أغنى مدن الشرق الادنى في القرن الثاني والثالث بعد الميلاد والتي بهر العرب بأثارها حتى زعموا انها من بناء الجن

لسيدنا سليمان ، وعن بني غسان الذين كانوا يقطنون جنوب شرقي دمشق عند آخر الطريق التجاري بين مأرب والشام والذين اعتنقوا المسيحية وتعلموا الآرامية لغة السوريين بدون ان تقطع صلتهم باللغة العربية ثم أسسوا إمارة حليفة لبيزنطة تشملهم برعايتها نظير قيامهم بحماية حدود ممتلكاتها في الشام وصد القبائل العربية عنها ، كما أسس النخعيون في الحيرة إمارة اتخذها الفرس حليفة لهم لحماية حدود العراق من غارات البدو

وختم الدكتور حتي القسم الاول من كتابه بفصل يمتنع عن بلاد الحجاز قبل الاسلام ، شرح فيه أيام العرب وحروبهم ولغتهم وأدبهم وشعرهم من سجع وقصائد ومعلقات واحوالهم الاجتماعية وديانتهم وما يتصل بها من اعتقاداتهم في الجن ومن حجهم الى الكعبة كما تحدث عن أشهر مدنها في ذلك العصر : مكة ويثرب والطائف ، وعما كان لبلاد العرب الجنوبية والحيرة وإيران من تأثير في بعض نواحي الحياة في الحجاز فضلاً عن أثر اليهود والنصارى في تهيئة النفوس للدين الجديد

وفي اعتقادنا ان القسم الاول من كتاب الدكتور حتي أقص ما في كتابه . ولعل السر في ذلك ان سائر الكتب التي عرضت لتاريخ العرب والمسلمين لم تفصل الى تلخيص امم ما اتجهت الابحاث والحفائر والدراسات العلمية من بيانات عن حال العرب قبل الاسلام ، وأما عتبت بأخبار العرب في العصر الاسلامي ، ومصادرها كما نعرف كثيرة الى حد كبير. وان صح ان جورج زيدان جمع في كتابه عن بلاد العرب قبل الاسلام شتات ما تأثر من الاخبار في هذا الموضوع ولخص كثيراً مما جاء في الكتب التي الفت بالفتن الآورية عن العرب في البجاهلية فان تاريخ تأليف هذا الكتاب (١٩٠٨) سابق على كثير من الابحاث والمكتشفات التي أمالت اللام عن بعض مميزات هذه الحقبة من تاريخ العرب

اما القسم الثاني من كتاب الدكتور حتي ، فقد تحدث فيه عن قيام الاسلام : عن سيرة محمد رسول الله وعن طبيعة الدين الاسلامي وعن عصر الخلفاء الراشدين وعن الفتوحات العربية وإدارة الاقاليم المفتوحة وعن النزاع بين علي ومعاوية ، كل ذلك في دقة علمية تستحق الثناء والاعجاب وأسلوب جذاب يمتنع ويعد عن التعصب الذي يفتوب كتابات كثيرين من المؤرخين المستشرقين والمسلمين القدماء وقد أسدى المؤلف بذلك خدمة جليلة الى الذين يودون الوقوف على الآراء العلمية الصحيحة في هذا الميدان بدون قراءة الكتب المطولة في شتى نواحيه

وقد عقد المؤلف القسم الثالث من كتابه للحديث عن الدولة الاموية : عن قيامها ، وعن علاقاتها المدائية بالبيزنطيين ، وعن اتساع ملكها ، وعن الحياة السياسية والادارية والاجتماعية والعقلية والفنية في عصرها ، ثم عن الدولة العباسية ، والتهنئة العقلية التي حملت لواءها ، وعن نظم

الحكومة وطبقات المجتمع والتقدم العلمي في عصرها ، حتى أنه عقد فصلاً للحديث عن مراحل التعليم وعن المكتبات والورق والوراقين ، كما عقد فصلاً آخر للكلام عن الفنون فتحدث عن العمارة وأشار الى تفصيل سائر ما كان فيها من زخارف جصية وقوش ونوّه بمنتجات الفنون الفرعية المختلفة كالمنسوجات والحزف والزجاج والمخطوطات المصورة . وهذا تعجيد في تأليف الكتب التاريخية بهذا الحال لوعني به المؤلفون حق العناية

ومن ابداع فصول هذا القسم فصل الفرق الدينية في الاسلام وقد خص المؤلف فيه تلخيصاً طيباً مبادئ كل فرقة وما أتمّ بانباها من الاحداث السياسية . وكان طيباً ان يتمم المؤلف حديثه عن الدولة العباسية بما جلبه تراجم اطرافها وضمف خلفائها ونحو سلطان الحمد الترك فيها من اضمحلها ، واستقلال اجزائها الثانية عنها ، وقيام دويلات صغيرة على انقاضها كبنى ادريس في المغرب الأقصى ، وبنى الاغلب في افريقية (تونس) ، والطولونيين والافشينيين في مصر والحمدانيين في الجزيرة ، والطاهريين والصفاريين والسامانيين والفرجانيين وبنى بويه والسلاجقة في ايران وغربي اسيا

وشرح المؤلف في نهاية هذا القسم كيف سقط بنيان الدولة العباسية وتهدمت طامتها سنة ١٢٥٨ على يد جموع المغول بقيادة هولاكو حفيد جنكيز خان

واوجز الدكتور حتى في القسم الرابع من كتابه الكلام عن تاريخ العرب في اسبانيا وفي جزيرة صقلية فبدأ بفتح الاندلس وطرق الى عبور العرب جبال البرانس وتوغلهم في جنوب فرنسا تحت لواء عبد الرحمن بن عبد الله الطافقي ، حتى هزمهم الفرنج بقيادة شارل مارتل في واقعة بلاط الشهداء سنة ٧٣٢ بين تور Poitier وپواتيه

ثم كان سقوط الدولة الاموية في الشرق ، وفرار عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الى المغرب في الاندلس ، حيث افلح في الاستيلاء على السلطان وتأسيس امارة اموية غربية فيها ، وازدهرت هذه الامارة في عصر عبد الرحمن الناصر ، الذي اتخذ لنفسه لقب الخلافة سنة ٩٢٩ . وكان حكمه العصر الذهبي في تاريخ المسلمين بالاندلس ، فاسترد ما كان المسلمون قد خسروه من املاكهم في شبه الجزيرة ، ووطد دعائم حكمه فيها وشيّد مدينة الزهراء ، ووقف حجر عثرة في سبيل تقدم حركة ال Reconquista او استعادة المسيحيين سلطانهم في شبه جزيرة ايبيرية

وعقد المؤلف فصلاً خاصاً للكلام عن النظم السياسية والاقتصادية وعن المؤسسات العلمية الاسلامية التي ازدهرت في الاندلس وجعلت قرطبة اكثر مدن اوربا علماً وثقافة ، وأحد المراكز الثلاثة للعلم والعرفان في ذلك العصر ، ولا غرو قلنا كانت لا تقل بهاء عن زميلتها : القسطنطينية وبغداد ، وكانت تفخر بأبيال من الطرقات المرسوفة والمضاعة ، « بينا

لم يكن في طرقات لندن مصباح واحد بعد هذا التاريخ بسبع مائة سنة « ، وكانت الهجمات أمراً مألوفاً في قرطبة إذ ذاك « بينما كانت جامعة أكسفورد تنظر الى الاحتجاج ككعادة وثنية » ، وشرح المؤلف النظم الحكومية واساليب الزراعة والتجارة في الدولة الاموية بالاندلس، ووصف ابنة الخليفة والازدهار العلمي في عهده ثم تكلم عن دكتاتورية المنصور بن ابي طاهر في عصر الخليفة هشام الثاني (٩٧٦ — ١٠٠٩) ، قبل أن ينتقل الى سقوط الدولة الاموية ، وقيام ملوك الطوائف ، وتاريخ الولايات التي بقيت في يد العرب بعد ذلك ، والعائل التي شيدت فيها حتى تقفل سلطان المسلمين ، وسقطت غرناطة سنة ١٤٩٢ .

ومن ابداع فصول هذا القسم ما تحدث فيه المؤلف عن تراث المسلمين في اسبانيا وما خلفوه بالقرب ، فتكلم عن لغتهم وادبهم وشعرهم وما استحدثوه من اوزان ومعارف ، ثم عن اساليب التعليم عندهم ومجموعات الكتب التي كانت يزدحم بها حوانيت وراقهم ، وعن نبغ بينهم من المؤرخين وكتاب التراجم . كاهن القوطية وابن حيان وابن القرضي وابن بفكوال وسعيد ابن احمد الطليطلي ولسان الدين بن الخطيب وعبد الرحمن بن خلدون ، ثم الجغرافيين والرحالين كالبكري والادريسي وابن جبير وابي حامد محمد المازني الذي زار روسيا سنة ١١٣٦ . وكتب المؤلف عن الفلك والرياضيات والطب وعلم النبات والفلسفة في الاندلس وعما كان للمسلمين من تأثير في تقدم هذه العلوم على يد الاوربيين بعد هذا التاريخ ، واستقر المؤلف سنة حميدة فقد فصلاً خاصاً للكلام عن الفن والعمارة الاسلامية في الاندلس وما كان لها من تأثير في اوروبا^(١) وختم الدكتور حتى هذا القسم من كتابه بفصل عن جزيرة صقلية : فتح العرب اياها على يد بني الاغلب في منتصف القرن التاسع الميلادي ، ثم اتخذها مركزاً لنفارات كان المسلمون يقنونها بين حين واخرى على الشواطىء الايطالية ، حتى سقطت الدولة الاغلبية واصبحت صقلية جزءاً من قيصرية الفاطميين ، وظلت كذلك حتى استولى عليها النورمنديون ، ولكنهم سادوا فيها على سياسة التسامح الديني واعزاز المسلمين ورعاية ثقافتهم^(٢) . وكانت صقلية ميداناً خصيباً لتبادل الثقافة بين الشرق والغرب ولا غرو فقد كان سكانها خليطاً من الاغريق الذي يتكلمون البيوتانية ، والمسلمين الذين يتكلمون العربية ، واللماء الذين يستخدمون اللاتينية

في الجزء الخامس والآخر من هذا السفر الضخم وقد عقده المؤلف للكلام عن آخر الدول الاسلامية في المصور الوسطى فكتب عن دولة الفاطميين الشيعية في مصر : تاريخها السياسي وحياة المجتمع في عصرها وما ازدهر فيها من علوم وفنون ، ثم عن الدولة الايوبية

(١) راجع كتاب تراث الاسلام The Legacy of Islam الذي نقلته الى العربية لجنة الجامعيين لنشر العلم (٢) راجع كتابنا « كنوز الفاطميين » ص ٧ و ٨ و ١٠٣ و ١٢٠ و ١٤١ و ١٤٣

والنزاع بين الشرق والغرب في الحروب الصليبية وختم الكتاب بالتحدث عن دولتي المالك وحضارة مصر في عصرها

ذلك عرض سريع لما جاء في هذا الكتاب النفيس من موضوعات وبحوث . وأما لحرص الحرص كله على أن توه بالكشاف الطويل الذي الحق به ، وبأسلوب الكتاب الرائع ، ودقته العلمية ، وربطه بين الفنون والآثار وبين سائر نواحي التاريخ الاسلامي ، بله أن الصور الكثيرة التي ترين الكتاب تساعد على فهم الحضارة الاسلامية العظيمة ، وتقرب الى الفهم كثيراً مما يستعصي تصويره من الكتابة والوصف . وأما ما فيه من رسوم وخرائط فيشهد بطول الباع في الدقة والتحقيق

وان كان ثمة ما تأخذ على الاستاذ المؤلف فهو قوله أن تحذف المراجع في نهاية كل فصل او قسم ، فان الابهام في شرح بعض النظريات والمسائل يجعل الاشارة الى المصادر التي توفىها حقاً من الدرس امراً لازماً ليستطيع القارئ أن يفي حاجته من التحصيل وان يكون دقيقاً على المؤلف ، يقره أو يتخذ له رأياً آخر ، ولعل يمكن فضلاً عن ذلك ان يجد الكتاب مصدراً علمياً صحيحاً يتخذ حجة ويقار إليه في المؤلفات المطولة .

وثمة شيء آخر لا نجد مفرّاً من الاشارة اليه متمسكين للمؤلف الجليل عذراً في وقوعه : ذلك اننا لاحظنا ان بعض الموضوعات الخطيرة لم توف حقها من العناية فقلنا من صفحات الكتاب أقل مما نال غيرها من المسائل التي لا تساويها خطراً ، ولكن هذا راجع بطبيعة الحال الى حجم الكتاب وطول الحقة التي عرض لها . كما اننا لاحظنا في بعض ابواب الكتاب ان الاستاذ المؤلف لم يستخدم المؤلفات الحديثة في بعض نواحي التاريخ الاسلامي . وربما كان السبب في ذلك ان ابواب الكتاب المذكورة اعدت قبل صدور المؤلفات المنشارة اليها وقد سمحت مثل هذا التقصير من بعض أفاضل المستشرقين ، كل في التاجية التي وقف نفسه على دراستها



على ان الاستاذ الدكتور حتي قد وفق الى ابدع حدود التوفيق في قص تاريخ العرب في زهاء سبعائة صحيفة بطريقة طريقة مع الدقة وعظيمة مع السهولة . ولا نبالي في شيء اذا قلنا ان كتابه النفيس أزم عدة لكل من يريد ان يدرس تاريخ المسلمين بدون ارهاق وعلى نحو علمي صحيح . ولا غرو فقد قام الدكتور حتي بالتدريس في الفقام وفي اميركا وأعد اعداداً طلياً لاخراج هذا المؤلف الجليل واتممت له قرص للدرس والتحصيل لم ينم بها غيره عن كتبوا في التاريخ الاسلامي . وحسبه غمراً أن ينسب اليه هذا السفر الضخم الذي يدل على علمه الغزير وفضله الواسع

التوائم

وأثر البيئة والوراثة فيهم

للدكتور شريف عسبراه

كنت قد نشرث في المقتطف الاغر بحثاً عن التوائم والمحيط^(١) وعُوت الآن في المجلد ١٥٧ العدد الثاني الصادر في اغسطس ١٩٣٧ من مجلة السيستك اميركان على هذا المقال التقيس بقلم سيسل ريف احد اساتذة جامعة اوهايو قرأيت ان اقله اتماماً للفائدة لانه يُنوج نفس المنهج الذي نهجته في مقالتي . وللوراثة والمحيط شأنهما الكبير اليوم في عالم العلم . واليك المقال كنت في احد الايام سائراً في الشارع اذ لمحت على مسافة قصيرة مني شاباً منظره البف الي فلحقت به ولما ادركته اخذت احدته كمن يعرفه حق المعرفة ولكن كان موقفه مني موقف المستغرب فالتفت الي وقال لاشك انك تظن انني اخي التم وكان قوله صحيحاً لاني ظننته اخاه . وقد دلت التجارب ان التوائم غير المتولدة من بيضة واحدة لا تتشابه صفاتها الا كواحد في ربع مليون . وبشير آخر دلت هذه الحادثة على ان هذين التئين من النوع المتماثل وقد اتخذنا التجارب المذكورة قاعدة تشخيصية للتوائم استنبطناها في مختبرات علم الوراثة بجامعة ولاية اوهايو وهي تشمل فرق الدم وبصم الاصابع ولون العين والقامة وبعض تفاعلات حاسة الذوق وحاصل الذكاء . فبحسب كل صفة من صفات التوائم بالمقابلة بينهم وبالقياص الى آبائهم واخوتهم واخواتهم : ثم استخرجنا احياناً التشابه بين توائم كهذه منشقة من بيضات ملقحة مختلفة . ان الشاين المذكورين آتفاً يمتان الى فرقة دم واحدة ولا فرق يذكر بين شرهما ولون اعينها . والفرق بين قائمتها لا يتجاوز ربع البوصة (الانثى) وبين وزنها «الباونده» الواحد ويصيات اصابعها متشابهة حتى لا يفرق بينهما الخبير البارع وهما مصابان بدرجة واحدة من عى اللون الاحمر والاخضر ويفنيان احياناً ممأ احدهما بصوته منخفض والآخر بصوت طال ويتبادلان الصوت دون ان يلاحظ السامعون . ودرجة ذكائهما واحدة بحسب امتحان Stanford Binet وفي المشرين

من عمرها أصيب كلاهما بآلم في نفس السن وذهبا الى طبييين مختلفين طالبا من كل منهما العلاج نفسه يكاد كل انسان يصادف توائم مئاثمة تطيق عليها وجوه الغيبة التي ذكرناها كل الانطلاق . ومع أنه من المحتمل ان يتولد ثمان مئاثلان اشده التماثل ذكران او اثنيان من يعضتين مختلفتين (ملتصحين) فالارجحية الوف المرات للسرة الواحدة ان تثمين من هذا القبيل يتولدان عادة من بيضة واحدة . ومن المعقول جدا ان يكون الثمان اللذان يصعب التمييز بينهما على الاقارب والاصدقاء من بيضة واحدة . ترى على صفحات هذه المجلة (بقصد السيستفك اميركان) بثنين تثمين اجرمت لها عملية الزائدة الدودية في السنة الخامسة من عمرها خلال يومين بين الاولى والثانية وقد بلغت الزائدة طولاً واحداً تقريباً وكانت حالتها بعد العملية واحدة ايضاً

ان مقدار ٢٠-٢٥ بللثة من التوائم البشرية مئاثمة تماماً . اما التوائم الاخوية فلا تشابه اكثر مما يشابه الاخوة والاخوات في صفاتهم الوراثية . وقد تكون التوائم ثلاثية او رابعة او خامسة وهي اما مئاثمة واما خليط من مئاثمة واخوية والتوائم المتصلة Siamese هي المئاثمة التي لم يفصل احدها عن الآخر . ان نوع التوائم يهيء لنا مادة للبحث في مكانة الوراثة والمحيط في تكوين الصفات فالفرق بين التوائم المئاثمة لابد ان يكون غير متولد من الوراثة لانها من بيضة فاذا تزوج اخوان ثمان مئاثلان احيان تثمين مثلها تشابه صفات اولاد الاعمام مشابهة صفات الاخوة والاخوات العاديين ولا يعني هذا أنه من الضروري ان تكون الفروق بين التثمين وراثية فمخالفة الايدي تحصل غالباً في بعض التوائم المئاثمة ولكنها لا تحصل في أغلبها (اي ان يكون احد التثمين ايمن والاخر ايسر) ومع ذلك لدينا أدلة تثبت ان تكوين الايدي أساساً وراثياً وتماثل هذه الظاهرة ان يحيط التوائم المئاثمة بمختلف حقيقة عن محيط الفرد غير التوأم وقد يؤثر وضع الجنين في الرحم في الغالبية الوراثة . ولتستخذ التوائم الاخوية ضابطاً في بحثنا عن التوائم المئاثمة^(١) يمكننا ان نقول مؤكداً ان التوائم التي تنشأ معاً يكون لها نفس المحيط فالمشابهات التي تكون اكثر بين التوائم المئاثمة من عكسها يجب ان يكون لها أساس وراثي على شرط ان يكون محيط التوأمين متماثلاً . ولا يجب ان يغرب عن بالنا أنه رغماً عن أنه ليس للتوائم الاخوية قابليات وراثية مئاثمة فهي تشابه بعضها بعضاً مشابهة الاخوة والاخوات . فقابلنا نوعي التوائم في المحيط المتماثل لا تحل المشكلة اذاً لانها تظهر شرطاً فقط من تأثير العوامل الوراثة

وقد استرشد عدة علماء بهذه الطريقة في تتبعاتهم عن تأثير الوراثة والمحيط ونذكر على سبيل المثال ديل Diehl وفون فيرشور von Verschuer الالمانيين اللذين أحجرا منذ عهد قريب درس ٢٠٥ أزواج

(١) دعماً للاتياس نقول ان التوائم المئاثمة تتولد من بيضة واحدة وفيها نفس الصفات الوراثة والاخوية من يعضتين مختلفتين وصفاتها الوراثة مختلفة (المررب)

توائم في كلا التئين او في احدهما قابلية للسل واستغرق درسها عدة سنوات . ومن هذه التوائم ثمانون متماثلة و ١٢٥ أخوية فتبين ان قابلية السل كانت ثمانين بالمائة في التوائم المتماثلة و ٢٥ بالمائة فقط في التوائم الاخوية . وتدلنا هذه النتائج دلالة أكيدة على ما للعقليات الوراثية من أثر مع العلم ان المدى ضرورية لاحداث المرض

وقد حذا حذوها في استقصاء عدة امراض طماء مختلفون مسترشدون بنفس الطريقة فبعض انواع الفتوق والجحوظ والصرع والجنون تكون شديدة الشبه في التوائم المتماثلة وضيافته في الاخوية مما يدل على ان الوراثة عامل قوي في حدوثها وعكس ذلك الحصبة والسعال الديكي فانهما يصيبان التوأمين على السواء مما يدل على ان تأثير الوراثة في قابلية المرء للعدوى ضيف فيها

وهناك ملاحظات وتقارير عن عدة مشاهبات تستوقف النظر بين التوائم المتماثلة لامراض أقل شيوعاً من الامراض المذكورة آنفاً . وقد اكتشفنا حديثاً رجلين تميمين عمر كل منهما ٥٢ سنة طائفا مدة ٢٥ سنة بيبدين أحدهما عن الآخر مسافة ١٠٠ ميل أحدهما عامل في السكة الحديدية والآخر عامل في إحدى الموانئ البحرية فرض الاول في أبريل سنة ١٩٣٣ وأجريت له عملية حصى المرارة الساعة السادسة مساء وفي منتصف الليلة نفسها مرض أخوه وأجريت له العملية ذاتها . ومنذ أقل من سنة أوردت بعض المجلات المعروفة سادئة عن سرطان المعدة تشبه هذه الحادثة . مرض ثم عمره ٧٠ سنة وأدخل أحد المستشفيات وظهر أنه مصاب بسرطان في المعدة وفي خلال اسبوع مرض أخوه الذي كان يسكن ببدأ عنه ولم يعلم شيئاً عن مرض أخيه فأدخل المستشفى وتبين أنه مصاب بسرطان المعدة أيضاً . ومن الواضح ان مشاهبات كهذه بين التوائم المتقدمة سنّاً والتي تعيش بعيدة بعضها عن بعض هي اعظم شأناً من مشاهبات التوائم التي تعيش معاً . والحادثة التالية التي نشرها Champlin في مجلة المجمع الطبي الاميركي سنة ١٩٣٠ تزيد البحث وضوحاً : اصيب فرد ثم بلطة من قدة خشب في خصيته اليمنى فظهر ساركوما (١) في موضع اللطمة ومات وكان عمره ٢٤ سنة بمدة ستين من اترها . وظهر في خصية اخيه التّم عند ما بلغ الحادية والثلاثين قس الورم مع أنه لم يصب بأي لطمة فمن الواضح ان اللطمة لم تسبب الساركوما وانما عجلت ظهوره إن لمعالجة النقص العقلي بين التوائم المتماثلة وغير المتماثلة لقدة خاصة ففسبها بين الاولى ٩٦ بالمائة والثانية ٢٥ بالمائة . ومن عدة سنوات درس Lange ١٣ توائم متماثلة في ألمانيا من ناحية ميلهم للاجرام فكشفت اجراماً في سيرة كل منهم ما عدا ثلاثة حالة ان هذه النسبة كانت في ١٨ توأماً أخوية ثلاثة فقط فدفست هذه النتيجة غيره من الباحثين ان يحذوا حذوه فدرسوا ٦٦ زوج تّم متماثلة و ٨٤ أخوية فكانت نسبة المجرمين في المتماثلة ٦٨ بالمائة وفي الاخوية ٣٨

وهناك عدة صفات انسانية Anthropological كفرق الدم ولون الشعر واللين والجلد وعدة شذوذ وراثية كالعنش^(١) (Polydactylism) والهاق^(٢) (Albinism) والمُلمة^(٣) (Harelip) والصلع وعى الاون لا تتبر البتة في التوائم المتماثلة حالة ان بصمات الاصابع والكف وشكل الاسنان والقصبات والمشية والصوت والمظاهر الخارجية تختلف اختلافاً عظيماً ولكننا قد نختلف أو لا نختلف في التوائم الاخوية . وفي بعض التوائم المتماثلة وليس في جميعها نجد الشبه بين اليد اليمنى واصابعها في التئين اشد منه بين اليمنى واليسرى في التم الواحد واعظم ما يثير اهتمامنا في درس مقابلة التوائم هي الصفات العقلية . ان تأخير الوراثة والمحيط وايها أفضل في حياة الفرد كان ولا يزال شغل العالم المتبدن الفاضل وموضوع مجادلات ضيقة . فهل يلقى درس التوائم نوراً على هذا الموضوع الذي تبعه مختلف الباحثون وبذلوا الجهود الكثيرة في سبيله ؟ ويجابه المرء بعض الصعوبات في البحث عن الصفات العقلية لا يجابهها في دراسة الصفات الجسدية . ولا يستطيع ان يستوثق من امتحان الذكاء وهل يقى فقط قابلية المرء الطبيعية لتعلم أو ان حل بعض الاسئلة نتيجة التهذيب والتدريب . ويجب ان نقدر ان المُسنَّح يستطيع او لا يستطيع ان يحجب به باقى مقدرة

وقد درس علماء النفس بعض مقاييس الذكاء كقياس Simon Binet وتقييماته درساً وافياً زمناً مديداً ووجدوا نتائج هذه المقاييس مرضية في التوصل الى قياس قابلية درجة التعلم بصورة عامة . فاذا تمهد هذه الامتحانات (المقاييس) اناس مدربون استحققت ان تكون دليلاً في معرفة درجة الذكاء وبمباراة أخرى ان مختلف المتحنيين يتوصلون الى حاصل ذكائهم متساو تقريباً في الشخص الواحد او اذا امتحن الشخص الواحد في فترات مختلفة بين سنة او اكثر بقي حاصل الذكاء متساوياً في مختلف الفترات

وقد تناول مختلف الباحثين درس درجات ذكاء التوائم المتماثلة فكان الفرق خمس نقاط بين بعضها في حاصل الذكاء وهو فرق لا يؤبه له وعكس ذلك الفرق بين التوائم الاخوين اذ يبلغ ١٠-١٢ نقطة وهو فرق محسوس . والنتيجة الحاصلة من هذه المقابلات ان الذكاء وراثي الى حد ما . وقد حاول نيومن ان يبرر مدى تأثير المحيط في تكييف الشخص فدرس عشرين زوج تم متماثلة رباهم منفصلين بعضهم عن بعض في اماكن مختلفة فوجد حاصل ذكائهم تقريباً كحاصل توائم اخوية تربوا معاً اي في محيط واحد . فهذه التجربة تدلنا على ان المحيط والوراثة اراً يئنا في حاصل ذكاء الفرد . وهناك بعض الصعوبات في قبول صحة هذه النتائج لان المحيط المتشابه

(١) ان تنمو ست اصابع أو اكثر في السكف الواحدة والاعتش لفة من له ست اصابع

(٢) اللقي والهاق — الابيض الشديد البياض (ابن سيده)

(٣) الملم والملمة والملمة — وهو شق في وسط اللثة العليا مثل شفة البعير (ابن سيده)

وغير المتشابه ليسا إلا لغيرين لسببين اذ لا يمكن ان يكون لفردين محيط متماثل او مختلف بالمعنى الحرفي . ويقول التفاد انا حتى لو رينا نوعي التوائم معاً فمحيط المتماثلة يكون اكثر تشابهاً من الاخوية لان الانساب والافريين فقط يستطيعون تمييز فردي التوائم المتماثلين فيقف الناس منهم موقفهم من شخصية واحدة . وأما التوائم الاخوية فتختلف اختلاف الاخ والاخت ولهذا يختلف تأثرهم بالناس . والطريقة المقولة لتحقيق هذه القضية ان نأخذ نوعاً رابحاً اي توائم اخوية تربي بيدة بعضها عن بعض . فاذا كانت مقاييس الفروق بين التوائم المتماثلة والاخوية التي تربي معاً اكثر من التي تربي بمتعدة بعضها عن بعض فيمكننا حينئذ ان نوقن بأن هذا الاختلاف ناشئ عن ان محيط التوائم المتماثلة التي تربي معاً اكثر تشابهاً من التوائم الاخوية التي تربي معاً لان الفروق الوراثية متشابهة في كلتا الحالتين . واذا كان الفرق بين نوعي التوائم التي تربي كل على حدة مثل التي تربي معاً او اكثر كان في وسعنا ان نقول حينئذ بأن الفروق المحيطة بين نوعي التوائم التي تربي معاً لا يؤهبه لها من وجهة الذكاء

ومن الممكن ان يتمتع فردان نفس امتحان الذكاء باحدى الطرق المتبعة ويحاطب كل منهما عن اسئلة من الامتحان اجوبة تختلف عن التي يحاطب بها الآخر . ويحاطب اجوبة صحيحة تختلف عن اجوبة الفرد الثاني . وكل من له خبرة كبيرة في فحص التوائم الاخوية يعلم ان الفرد الواحد يحاطب اجوبة صحيحة تختلف عن اجوبة الآخر حتى اذا جابوا اجوبة صحيحة فان طرق اجوبتهما تختلف . حالة ان اجوبة التوائم المتماثلة تتشابه تشابهاً كلياً في صحة الاجوبة ونوعها . وقد دلت الاحصاءات ان درجة الاختلاف كبيرة في نوعي التوائم وبمارة اوضح أن التوائم المتماثلة التي تربي معاً تتشابه نوعياً في اجوبتها اكثر من تشابه الاخوية التي تربي نفس التزية . ولا نعلم هل منشأ هذه الزيادة زيادة مشابهة المحيط او ان هناك سبباً وراثياً لنوع الذكاء المقاس بامتحانات كهذه ، ووصفته . ويجب ان توصل الى حل لهذه القضية اذا قابلنا توائم أخوية تربي منفصلة مع توائم متماثلة تربي مثلها فاذا ثبت وجود فروق نوعية كهذه متساوية بين نوعي التوائم فلا يخامرنا شك حينئذ في ان جانباً على الاقل من نوع ذكاء الفرد ودرجته يتوقف على الوراثة واذا كانت هذه الفروق مددومة بين نوعي التوائم التي تربي منفصلة أمكننا ان نسب الفروق النوعية بين التوائم التي تربي معاً الى زيادة مشابهة المحيط في التوائم المتماثلة لقد أوجزنا في مقالنا هذا بعض الطرق الوراثية في البحث عن التماسل . ولا يخفى انا لانزال في اول الطريق للاستفادة من الممكثات المبسورة لنا وكل من يعرف شيئاً عن توائم مختلفة او متماثلة ريت مبتدة بعضها عن بعض يسدي مساعدة حقة الى علم التماسل اذا اتصل بالباحثين الشغوفين بهذا الموضوع

الدكتور محمد اقبال

اكبر شعراء الهند المسلمين في العصر الحاضر
رسالة شعره



المسير ابو النصر احمد الحسيني الزهري

— ١ —

ان للشعر في حياة الامة رسائل ووظائف تتنوع على حسب ادوارها المختلفة . لذلك قالوا ان الشاعر دائماً مثل لاحوال زمنه وصورة لحوادث عصره . وان الزمن هو الذي يخلق الشاعر على حسب احتياجه وضروراته . ففي دور القروسية حين لا تعرف افراد الامة دعة ولا تستوطيء راحة ، بل كل واحد منهم يريد ان يخوض هائل الغمرات ويجوب وطيس الوقعات ، لا يألو اقداماً ، ولا يتكس احكاماً ، لا ينشر الشاعر بشعره لآتي الحديث تستعبد الاسماع وتذ الانفس فتلهيهم ، ويحبيلهم عن قصدهم ، وتصدفهم عن مبتغاهم ، بل ان شعره في هذا الدور شرار من النار تلهب نار الشجاعة في قلوبهم ، وتنفخ روح الحماسة في نفوسهم . تذرهم للحرب ، وتهيبهم للطعان والضرب . وتشعلهم للقرع وتوججهم للمصاع . وفي دور العروج حين تغلب الامة وتحكم فتوجه الى تديرشئون البلاد وتظم ادارة الحكومة . فتكف افرادها عن القتال وتصد عن النضال . فتضمد قوى الحياة ويتغير الطلب بالقناعة ويحل السكون محل الحركة والاستلذاذ محل الجهاد لان امور الامة تنظم فيه فتصلح حالها ، وتضاعف يسارها ، وتمرع جنباتها ، فيقع اعيانها في الطغش والرفش^(١) فينتج الشاعر بطبيعة الحال في هذا الدور على الاكثر ، القصائد في المديح والغزل والنسيب . وفيه يتبدى الشعران بتضع رتبة وينحط حقيقة ويسقط منزلة . وفي دور الانحطاط حين تخلد الامة الى الكسل وتطمئن الى التحول فتصبح ميتة الحس لا تحفزها الحاجة ولا تستشعها الفاقة ، فتميل دعائم عزها ، وتهاوى كواكب سعداها ، فتتقوض سرادق مجدها يستعبد بها الاجنبي ويستذلها الغير ، يفتح على افرادها ابواب الظلم والخذلان ، ويطلق

(١) قال ابن خالويه : وقع فلان في الطغش والرفش اي في الاكل واللاه

عليهم عقاب الجور والهوان . فيرضون بها ، ويركنون اليها ، ويمدون هذا الجور عدلاً ، والهوان كرامة ، والضعف قوة ، والانحطاط عروجاً . في هذه الساعة تتحرك القدرة الالهية لاجساد التوازن في النظام الطبيعي فتخرج الحياة من الموت ، وتبعث اليهم رسل الشعر ، معجزتي البيان ، محكمي المنطق ، سلسي الأسلة ، يحيون بشعرهم مواناً ، ويهدون برأيهم ضالاً ، ويمدلون بصبرهم زيفاً ، ويصلحون بمنظرم قاسداً فتدب الحياة في عواطفهم وتستيقظ غيرتهم وتجتمع كلمتهم وتبعث روح الحماسة في قلوبهم فيقومون قومة واحدة لاعادة مجددم واستعادة كرامتهم ومن هؤلاء الرسل شاعرنا الدكتور اقبال . فرسالة شعره في الحقيقة قصيدة صور تبعث الحياة في العالم الاسلامي خاصة والشرق عامة من جديد وتسعى لاجراهم من الظلمة الى النور ، ومن الضعة الى الرضة ومن الهوان الى الكرامة ومن الانتقاء الى الزم ومن الضعف الى القوة . وإذا فدعوته تختلف عن دعوة الشعراء الآخرين لان دعوتهم وان باشرت بعض نواحي الحياة ، قد لا تباشر الحياة نفسها ومن أساسها . فشعره في الحقيقة دواء ناجح لمرضى النزعة ، وحياة جديدة لموتى البأس ، ودليل ناطق لحارري الضعف ، وبشارة عظيمة لـ كلال الهمة وقد اشار الدكتور الى رسالته هذه في ديوانه « بانك درا » فقال :

« ان رسالة غيري شيء ، ورسالتي شيء آخر

ان أسلوب الكلام لمن طأى المشق (حقيقة) شيء آخر

انكم قد سمعتم نياحة الطير المحبوس

ولكن امسموا ان نياحة الطير الذي على القمة شيء آخر »

وما تلك الرسالة الا « سر الحياة » أو طريق الكمال الذي بذل الدكتور في معرفته حياته فلم

يدركه الا بعد ان عقله التيب ، وشكله التصب ، ومسه القلوب ، وناله الرزوح ، ولحقه الطلوح .

فلما عرفه لم يجد من يفهمه ولا من يسمعه كما قال في بيت :

« انني وان كنت قادراً على التمييز فانه ليس هناك من يفهمه »

واحسرتاه ا على من في صدره سر وليس له رفيق ! »

وقال في بيت آخر :

« انني جئت بمحدث جديد ولا يصنى اليه أحد

ان النور كاد ان يخبى ولا يعد نحوه أحد بصره »

يضيئ بنا المجال عن ان نقدم الى القراء جميع المعالم في رسالة شعر اقبال لان صاحب تلك

الرسالة قد بسطها في سبعة دواوين ظهرت الى الان اي في ألني صفحة تقريباً . وما تقدر عليه

هنا هو ان تقدم اليهم بعضها بالابحاز فقول :

أولاً : ان أهم ما يحتوي عليه رسالة شعره هو الدعوة الى الجهد والجهد . فقد أبان في دواوينه مرة بعد مرة بطرق مختلفة ، وأفكار دقيقة ، وأمثلة كثيرة ، وأسلوب مؤثر ، ان المصائب والآلام في حياة الانسان ان هي الا أشياء اعتبارية ، وان تحملها من اكبر البواعث على بلوغ الانسان الكمال المنفوس الذي يبال الدوام والخلود . وان عيشة النعم التي تشل قوى الانسان العملية في الحقيقة تدمير لحياة وموت له . وإذا كان كل من أراد بلوغ الكمال ونيل الخلود يجب ان يجتهد ويحذو ويخوض غمار الآلام والمصائب ويواجه المراقيل في سبيل ذلك بالمسالة والشجاعة . وقد بسط الدكتور هذه الدعوة في جميع الدواوين فقتطف منها بعض الايات هنا قال :

« ان الحياة هي ان تخلق الأولو في صدقك

وان تفتد في الهيب ولا تذوب . »

وقال في ييتين آخرين : —

« يامن جلست على الساحل جلسة القناعة والمهدوء

قم ا لانه لا يزال لك شغل مع الدر دور والتساح

ان اعراضك عن القدوم ليس من شأن القائل

لان كثيراً من المجهورات لا تزال في قلب الحجر . »

وقال ايضاً : « لا تزين عفتك على الساحل لان هناك صوت الحياة منخفض

غنص في البحر ا وجاهد امواجه

لان خلود الحياة في الجهاد »

وقال ايضاً : « سألت صاحب النظر ما هي الحياة ؟

فقال : هي الحر التي امرها احسنها »

وقال ايضاً : « قال الساحل الساكن : أنا عشت طويلاً

ولكن واحسرتاه ؟ انا لم أعرف من أنا ؟

فلم يتمالك الموج وجرى بالسرعة اليه وقال :

ان وجودي من الجريان فان لم أحر فلا وجود لي

وقال ايضاً : « الى متى تكون تحت اجنحة الآخرين

تعلم الطيران الحر في هواء الحقيقة

اخرج من عزلة البرعوم مثل الشذى

وامتزج مع نسيم السحر وتعلم المبوب »

ثانياً : ومن معالم رسالة شعر اقبال الدعوة الى استمرار الجهاد القلب بين اعطاف السكون، والتفؤ في ظلال الراحة ، والاختلاذ الى الدعة ، عنده مرادف للموت . لذلك قد وضع في دواوينه بطرق مختلفة مؤثرة ان لا ينبغي للانسان ان يكتفي بحالة واحدة وبرضى بما هو فيه ، ويقتنع بالكفاف ، ويجترىء بالميسور ما دامت ابواب الرقي عليه مفتوحة ، وطرق التوقل في أعلى منها ممكنة . لان الحياة عنده هي الحركة الدائمة والجهاد المستمر . وقد عبر عن ذلك بايات كثيرة نختار منها ما يلي قال :

« ان الحياة تنقش في كل لحظة نقشاً جديداً

ولا قرار لها في صورة واحدة

لو كان يومك هذا نفس صورة الباحة

فليس في تراكب شرار الحياة »

وقال ايضاً : « اتسألني من اين انا ومن انا ؟

اني اموج حول نفسي فأعيش

اني مضطرب في هذا البحر مثل للموج

قان لم اضطرب حول نفسي فلا وجود لي »

وقال ايضاً : « لو تبحث عن رمز الحياة لا تجده الا في الاضطراب

ان في الاستراحة في البحر طراً على ماء الهر »

وقال ايضاً : « ان حياة القطرة تعلم امرار الحياة

فانها احباً أصبحت لؤلؤاً ، وتارة ندى ، وطوراً دمة »

يشترط الدكتور اقبال اصطحاب هذا الجهد المستمر بالمعلم . لان العلم مفتاح الحاسن وصباح

الحامد اذ لا شرف الا وهو السبيل اليه ، ولا خير الا وهو الدليل عليه . فقد بث الدكتور منزلته وفوائده في الدواوين بايات كثيرة وحث على التحدي به تسكتفي منها بما يلي قال :

« ان الحياة جهد وليس الادعاء

ولا سبيل لتلك الا بملم الاقن والآفاق

ان العلم يعطي الجناح للحرف والصوت وهاء اللؤلؤ لما ليس بلؤلؤ »

وقال ايضاً : « ان دواء امراض الامة في هذا الصرعلم

لانه كالتفصد للدم الفاسد في جسمها

ان الله قد قال في الحكمة انها خير كبير

نخذ هذا الخير ايها المجده »

ولكن ينكر أقبال العلم الذي يوهن الزمعة فيفيد نشاط الاضطلاع بإعاج المهبات ، ويتر
الهمة فيتلف شهامة الركوب على ظهور النواثق ، ويصف الحماسة فيغي صولة الثبات في ارتطام
المهاك ، فقد قال فيه ما يلي ترجمته :

« أنا لا آخذ بقطة من الحشيش ذلك العلم والفراصة
الذين يحصلان الرجل الغازي عن سيفه ودرعه غريباً »

وفي هذا البيت أيضاً إشارة الى ان الثقافة او الترية التي لا تلائم بيئة الانسان وطبعه
وعاداته وتقاليده بل تقطع صلته بها ليست ذات قيمة تستحق الاعتناء

وينكر أقبال أيضاً العلم المجرد عن الروحانية ، ويرى انه خطر داهم على الانسانية . فالثقافة
الترية التي تسلط يوماً فيوماً على نفس الانسان وعقله عنده غير مفيدة للعالم لانها تشل الروحانية
وتقتلها . وذلك لان اساسها العلم المجرد . فيكون عقلاء الترب بقطة ولكن قلوبهم ميتة وأرواحهم
راقدة . وهم يشاهدون في تقدم العلوم والفنون الحاضر انحطاط الروحانية وزوالها ولا يقدررون
على اتقاذ الموقف . وتقدم العلوم الطبيعية الذي تثار في اطرائه الآن ضجة وان كانت أفاد
الانسان من بعض الوجوه فان ويلاته عليه اشد من ذلك لانه الوسيلة الوحيدة لصنع الآلات
المهلكة له وللاتيان بالدمار عليه . ألم تركب ان اصوات الحرية المرتفعة في الترب المتقدم في
العلوم والفنون ان هي الا اصوات السلاسل لاسترقاق النير من ابناء البشر . لتلك يدعو
اقبال اهل الشرق عامة والمسلمين خاصة الى اتقاذ انفسهم من الوقوع في مثل هذه الزرطة اي
اهمال الروحانية . وهو يرى ان اساس العلم العقل واساس الروحانية عشق . فركز عقل الانسان
دماغه ومركز عشقه قلبه . والترب قد اعمل القلب . وقد وضع ذلك في قصيدة طويلة كتبها ردًا
على الشاعر الفيلسوف الالماني جويته ونشرها في ديوانه «رسالة الشرق» . والقصيدة آية في
البراعة والاتقان يملك القلوب وتسترق الانعام وتستعيد الاصماع . كما انه ابان ذلك في دواوينه
الاخرى ونحن نترجم بعض الايات المختارة منها هنا قال :

« لو قرأ العلم بنير حرة القلب فهو شر

ونوره ظلمة البر والبحر

ان العالم من فازه اعمى وازرق

وملكه يسقط اوراق الفناء والبقاء

فابحر والصحراء والحيل والحديقة والمرج

متأثرة بقنايل طيارته

« ان النار في صدر الافرنج منه
 ولقنة المهجوم عديم منه
 هو يعطي الايام السير الموعج
 ويسلب رأس مال الاقوام
 ان قوته صاحبة ابليس
 والتور يصيح النار بصحبة النار
 ان قتل ابليس أمر صعب
 لانه متوارف في اعماق القلب
 فالاحسن ان تحمله مسلماً
 وتقتله بسيف القرآن .
 الامان ! من الجلال المجرد عن الجلال
 الامان ! من الفراق المجرد عن الوصال
 ان العلم يغير المشق من الطاغوت
 ان العلم مع المشق من اللاهوت
 وقال ايضاً : « ان اساس العلم على الخوف والرجاء
 وأما المشاق فلا رجاء لم ولم ولا خوف
 ان العلم يخاف جلال الكائنات
 والعشق ينوص في جمال الكائنات
 نظر العلم الى الماضي والحاضر
 ولكن المشق يقول : انظر الى ما يأتي
 لأن العلم قد طاهد قوانين الخير
 فليس لديه علاج الا الخير والصبر
 ولكن المشق حر وغيور وغير صبور
 هو قد جاء في مرض الوجود جسوراً
 ان عشقتنا لا يعرف الشكاوى
 وإن كان سكران بالبكاء
 وقال في القصيدة التي كتبها رداً على جويته

« ابتها الریح ا بلغي عني فیلسوف الافریج
ان العقل كلما یكون مدققاً یكون اكثر اسراً
انه یحرق هذه الکبد ویأسر الاخری
ولکن المشق اکثر محافظة علی الکبد من العقل الفئان
إن العین لا ترى إلا لون الورد وشقائق الثمان
والا الذي تحت قناع اللون اکثر ظهوراً
لیس العجب من أن عندك اعجاز المسیح
ولکن العجب ان مریضك اکثر سقماً (بسببك)
انك قد جمعت الحسنة ونذت القلب من الکف
واحسرتاه ا علی النقد الثین الذي نبذته
وقال فیها ایضاً مشیراً الى ما انتجت الحضارة النریة المؤسسة علی العلم المجرد :
« ان الشق اصبح طمعاً فتجددت العری
والانسان صار من فتنه فی الشص مثل السمک
انه قد اختار الحرب علی السلم وحشد الحیش
ولم یزل سیفه الا علی رؤوس الاصدقاء وصدورهم
والاصوصیة التي أسسها سماها « تعمیر العالم »
وظلم سیادته قد كسر ظهر العامل
انه یرقص علی صوت الدف والثانی بغير الحیاء
وفي یده كأس من دم اقاربه المساکین »
(یتبع)



مكتشفات العلم

في غور اليم
عولم جديدة في قمر البحر

لمرضى هنرى

سيشرح عما قريب في علمه من اخطر الاعمال البحرية ، وذلك على بدائي عشر ميلاً
بحرياً من التخم الجنوبي لجزيرة ارلندة الفيه ينانة الاصبع في غور المحيط الاطلنطي ، تحت
أمواجه السنجانية . وسيطلع به رجال شجوان حيث يارسونه على عمق يُربي على ثلاثمائة
قدم في جوف البحر ، متدخين الى بنيتهم ، بأجهزة علمية بديمة الصنع للنوص . ونعي بذلك
العمل الطريف الشاق ، انشغال الذهب الذي غرق مع البخرة لوزيتانيا . ثم يكفون على تصوير
اللقايا التي يلقونها ، صوراً سينمائية لتعرض في مدارس الصور المتحركة الناطقة ، فتذاع انبأؤها
بالراديو في الوقت نفسه ، ليقف للملا على ما يبلغ المكشفون من أمانهم المنفودة في قمر المحيط ،
رويداً رويداً ، حيث يحققون فضلاً ما جاءه بالاساطير وعما

ولذلك القصد جعل غواصان اميركان مشهوران ، يتأهبان لتنفيذ هذا المشروع الدال على
الاندام على مكلفة الفجج في بحيرة مقشيان الساكنة ، ثم في حياض الضغط التابعة للبحرية
الاميركية في واشنطن ، حيث جرباً جهازين من اجهزة الفياصة الحديثة ، اخترعا لتلك الغاية .
ويبلغ ثقل كلٍّ منها ٢٨٨ رطلاً . ويمتاز ذلك الجهاز بتجرده من خرطوم الهواء إذ يستشقي
النواص الذي يجزّيه ، الاوكسجين الذي يلزمه ، من مستودعات توفق بسور جلدية تُشدُّ
الى كاهله محتوية على اوكسجين مضغوط ضغطاً شديداً . وفي ذلك الجهاز ايضاً لوحة مثبتة فيها
آلات دقيقة ، تدل على مبلغ عمق الماء ودرجة حرارته وضغطه ، وتبين مقدار الباقي في المستودعات
من الاوكسجين المضغوط

ويزم على النواص في أتماء نزوله في البحر ، ميكروغوف مودع في باطن جهازه يضخم
حركاته وسكناته ويبلغ الباخرة ، (التي ينزل منها) ألبها . ويضيء له سلكه في الفجج ، مصباح
كهربائي مثبت بالباخرة مشتبك بمقبض جهاز النوص . يبلغ قوته ٤٠٠٠ شمعة من المصاميح القوية

(قام باختراعها مهندسو شركة الكهرباء العامة الاميركية ، خاصة لذلك المشروع العظيم)
وتفشيها طبقة كثيفة من الصنع الرن «كاوتشوك» وقاية لها من الماء فتحتل ضغطها حتى ٥٠٠
رطل على المقعدة الواحدة للربة وهذا يزيد على ثلاثة اصناف ضغط المياه في عمق الـ ٣١٢ قدماً
الرطمة فيه الباخرة لوزيتانيا التي غرقت في ٧ مايو سنة ١٩١٥ على اثر اطلاق الطوريد عليها
من احدى غواصات الالمان ابان الحرب العالمية

ويمتد أجل هاتيك المصاييح الكهربائية ، وهي مضادة في باطن الحزم حيث تبردها مياهها ،
نحو ٢٥ ساعة . على حين انها لو أضيت في الهواء لاطلق لا حترقت من شدة حرارتها في بضع دقائق
وسيتوسل اولئك المكتشفون إلى إضاءة غور البحر ، عند التصوير بالمصورات الضوئية
بائي عشر مصباحاً تبلغ قوة نور كل منها ٢٠٠٠ شمعة . وهي من المصاييح المملوءة زجاجاتها
بغازي النروحين والارضون . وستقام على منصات خاصة في قمر اليم للاضاءة عند التقاط صور
الخلوقات البحرية

وتشارك في انقاذ وسق لوزيتانيا ، شركة انكليزية ، وسيذرع غواصوها الى النياصة بأجهزة
من طراز تريونيا Tritonia الذي يبلغ ثقل الجهاز منها ٩٠٠ رطل ، . ولهُ غطاء ذو مفاصل من
خليط معدني متين جداً يقي الجهاز في قعر المحيط من الضغط الهائل للياه عليه ويهون عليهم
النياصة عشر ساعات كاملة بلا انقطاع ، ويتيح لهم أيضاً تناول طعامهم من رفوف صغيرة مرتفعة
تجاه صدورهم في الجهاز عنه . وقد ثبت من امتحان تلك الاجهزة في المختبرات العلمية انها تصلح
للغوص الى عمق ٢٤٠٠ قدم تحت سطح البحر لان الضغط لا يتبر على ذلك الجهاز . فيتسنى
انتقال النواص مباشرة الى سطح الماء . واذا بلغ النواص الباخرة النريق لوزيتانيا ، أمكن
استخراجه رأساً في ثلاث دقائق بينما يستغرق رفعه ساعتين ، متى كان مرتدياً جهازاً عادياً . وفي
أثناء تينك الساعتين لابد من وقف السبل في فترات ممدودة لكي يتعود جسم النواص ، قلب الضغط
وفي خريف سنة ١٩٣٥ تمكن جيم جرات Jim Jarratt النواص البريطاني من بلوع جسم
لوزيتانيا لابساً جهازاً من طراز تريونيا فاستطاع تحديد موقعها بالضبط بالقياس الى رأس Kinsale
كينسيل الكير في ايرلندة ببري الخيرون ان أولئك المستكشفين الجريئين سيفنمون ، بأحدث
الوسائل ، العلمية التي لديهم ، ما يحويه وسق لوزيتانيا من السباتك الفحفية والفضية التي تساوي ١٥
مليوناً من الريالات عدا التقود العين والجواهر النفيسة التي كانت تحملها تلك الباخرة المنكودة الحظ
ولا جرم ان هذا المشروع المقصود به احراز غنيمة عظيمة من البحر عاجلاً ، بوجه النظر
مرة اخرى الى اقصى حدود الارتياد ، في غور المحيط

ولقد جاءتا الانباء حديثاً بأن الطلائع قد حانت في نحو القطب الشمالي ، وان البلونات

قد بلغت في طيرانها منطقة الطبقة الطخورية ، وان السيارات تقطع طرق أشد مجهول افريقية غوصاً . ومع ذلك فان غور المحيط ومساحته تكاد تبلغ ١/٣ العالم قاطبة ما زال حصناً حصيناً لا قبل لأمريه باقتحامه وكشف ما يستوعبه من التراب

ولا غرو فسطح البحر الازرق اللون ، بمنزلة سور منيع يحجز وراءه دهورات ساجدة من الخلائق المائية التي لا تعلم عنها غير القليل ، ينما تؤلف مرضاً طليماً واسع الارحام . وفي غور المحيط كنوز من الذهب وبراكين ومنايع للنفط وغيرها من مصادر الثروة الخفية المذراء

وربما تقبض حروب المستقبل في تلك الاعوار الخالصة ، بل ذلك العالم المدهش الواقع على بعد نصف ميل تحت سطح البحر الذي لم يصل اليه إلا الدكتور ويليم بوبي Dr. Wilian Boobe ورفيقه اوتيس بارتون Otis Barton ومساعدوها . وذلك في كرة فولاذية جوفاء يبلغ قطرها ست أقدام ويزيد ثقلها على طنين اطلق عليها اسم الغرفة الفولاذية او «كرة الاعماق» Bathysphere وما لبثوا أن شقوا عباب البحر بتلك الغرفة الساجدة ، حتى اخذوا يشاهدون من نوافذها التي صنعت من البلور الصخري ، خلائقها العجيبة — ومنها البراغيت البحرية المضيفة — وهي المعروفة عندنا بلسم الجبري « وما تطلقه من غيوم أو دخان مضيء يسمي عيون اعدائها ويرقل سيرها حيناً تدنو منها محاولة اغتيالها ^(١) وقواقع طائرة ذات اجنحة جلدية تسهل لها الوم وسمك ذو اجنحة واذناب منيرة نوراً ضئيلاً مجرداً من الحرارة ، وجارات — أم الحبر — تشع ضوءاً برتقالي اللون وسمك التجوم وسمك آخر مزدان يقع ذهية منيرة تحديقها فوانيس أرومانية ، وغيرها من الخلائق البحرية المجهولة التي ينبثق منها شرار يبلغ حجم القروش ، تفرغ وتأفل في هنية

وقصارى القول ان ذلك العالم الخالصة ، المشرب بالزرق ، المكتظ بالخلائق المضيئة ، يستهوي المكتشفين والعلماء بسجائب مخلوقاته

ولقد اقترح الدكتور بوبي انشاء خطة بارعة للهجوم على أسرارها الخفية الجمة . وهي إقامة سلسلة مرصد بحرية في غور البحر . كما تقام المراصد الفلكية فوق قن الخيال فقشيد من الفولاذ والزجاج والخرسانة ويهبط اليها المرء بسلام ومساعد وذلك من منصة تقام عند سطح الماء حيث يمارس العلماء مباحثهم على مدى السنة فيتاح للزائر استجلاء غوامض ذلك العالم المدهش الذي ما يرح مجهولاً

ولإذا شئت ان نصف لك تلك الحجرة الفولاذية — فتخيل نفسك نازلاً في إحدى هاتيك المراقب البحرية المنبهة ، اذ تنزل فيها طليلاً في مصعدة تقلدك الى عالم آخر تكاد عجائبه

تبلغ عجائب كوكب المريخ (إذا استطعت بلوغه) . وفي الحجرة معامل كيميائية لمباحث العلماء ومتاحف لجمع التحف البحرية . يدان أهم ما فيها — نوافذها المصنوعة من البلور الصخري وهي التي ترصد منها عن كتب عجائب الخلوقات في قصر البحر تبصر من نافذة فأخرى ، في معرض عام لانهائية له ، الخلائق المائية ترحب في ادغال المرجان بين الاعشاب البحرية التي تكاد تشبه المنسوجات المطرزة التي ترين بها الحيطان في البيوت . وتلمح السمك الملهمي المسمى قديلا البحر^(١) يندو وبروح زرافات ووحداً . وترى القرش^(٢) يسبح على بعد اثني عشر قدماً من النافذة البلورية . وتلمح من فوقك السمك الكبير يعوم كأنه الكواكب السيارة في كبد السماء . وترى عن كتب كثير أن من الخلوقات المائية العجيبة تمد أنوفها تجاه النافذة الزجاجية وتحدق فيها . وفي الليل ترسل المصايح الكثافة أنوارها الباهرة على شكل قطع غرطمي قتلاً لا أمانك وخلفك فتتكشف لك هاتيك الحيوانات التي تجول ليلاً مغطاة عن فرائسها

ويقول الدكتور بيبي إنه متى نصبت تلك المراصد في بقع مستورة على امتداد شاطئ فلوريدا الجنوبية ، استطاع العلماء إقامة معاهد لدراسة عشرة آلاف نوع من الاحياء المائية التي لا علم عنها إلا اليسير بالقياس الى غيرها

وما اتفق الاستاذ ريجنالد ترويت Prof-Roginald Truitt ومساعدوه في المختبرات البيولوجية في خليج نهرزايك يقومون بالاكتشافات البحرية في ذلك الخليج ، بنية التبحر في علم طريقة مبيغة السمك في الاعماق ، متوسلين لتلك أسطوانة فولاذية مسددة القوائم ، ذات نوافذ من الزجاج الثقيل مثبتة في جوانبها ورأسها . ويسمونها بنتاريوم Bentharium وهو لفظ اغريقي معناه « حجرة في قصر البحر » وتزل الاسطوانة الى الغور ، من بئر مثبتة في رمت حاتم ، وتوسع راصدين ، وبها تمكن العلماء عشرات المرات من الجوس خلال حياض الاصداف والبقاع الملائم بالحشائش المكتظة بالحيوانات البحرية المائفة في ذلك الخليج . وقد هبطوا كثيراً في أثناء الليل وأطراف النهار ، قريباً من الشاطئ ، وبسبباً عنه وفي غضون العواصف أيضاً . ثم انهم من عهد قريب غاصوا في الفجج قبل الفجر ليتحققوا كيفية مظهر شروق الشمس عند السمك ان المعرض الحافل بالالوان الذي خبره لولئك العلماء ، لدليل على ما سوف تلاقيه في

(١) سمكة كصورة للثعلب ، شفاة كشتوف الزجاج ، شبيهة بالخونة ولها اربعة اجرام بني وسطها ، ترى في الليل مضيئة كالنمر اذا حجب السحاب الرقيق ولها ضوء يشرق على ماسوها في البحر ولونها ازرق سماوي
(٢) سمكة في البحر لها خرطوم كالقنار تلتزم وربما التقطت ابن آدم وقصته نصفين ويقال لها الضم والكوسج ايضاً وتغاثها دواب البحر كلها . عن معجم الحيوان للفرق الدكتور امين نهد المؤلف بشار

اعماق البحر حينما يصبح الارتمال اليها امراً ميسوراً مألوفاً ، حيث أبصر الرقباء من حجرتهم الفولاذية الغائصة في المياه الحالكة ، قبل بزوغ النجر ، من نوافذها الزجاجية ، الماء ينقلب من حالك الى ازرق فقرقلي ، فأحر برتقالي ، فقه اخضر شفاف ثم يظل على ذلك طول النهار وقد اطلوا مرة من النافذة العليا فشاهدوا اعظم المشاهد البحرية اذ بدت لهم اشعة الشمس تنزل عليهم من علو كأنها كرات كبرى نارية محر ، مخترة المياه البرتقالية اللون . وجيشة كانت الشمس قد انارت الافق فجملت سطوح الامواج البلورية اللون الجارية فوقهم ، تمكس صور الاشباح الى اسفل . ومن الموضوعات المفيدة في الاستكشاف البحري ، دراسة النور نفسه . ففي الطبقات الصخرية لتلك السهول والادوية وسلاسل الجبال المنصورة دائماً بالمياه ، مفاتيح ما أطلق على العلماء من الانااز الحيولوجية منذ اقدم العصور . ولا غرو فالعلماء في هذا الزمن قربان ولكل منهما رأي مختلف للآخر في مسألة تكوين القارات . فأصحاب المذهب الاول يقولون ان القارات كانت ذات يوم متصلة بعضها ببعض بمحار أرضية ثم غرقتها المياه من زمن بعيد . ويذهب الفريق الآخر ان القارات بمثابة طبقات من الجمد مائمة على سطح الماء ، رحل من مكان الى آخر ترحالاً وثيراً ، محمولة على مادة من المعادن المصهورة التي في باطن الارض

والوجه ان المرجح في معرفة أصوب ذبك المذهين ، سيكون في المواد التي تنتقل من سلاسل الجبال النائرة في المحيط . فان كانت تلك السلاسل قد كونت في زمن ما ، مابر ارضية لربط القارات ، كانت النماذج الصخرية التي تؤخذ منها محتوية على الحيوانات والنباتات المتحجرة التي يمتاز بها مناطق المياه الجارية فوقها الآن

وقد أعلن حديثاً الدكتور تشارلس ييجوت Dr. Charles Piggott أحد علماء مهندكار نيجي في واشنطن ، وسيلة جديدة تساعد على كشف اسرار الحيولوجيا في غور البحر ، وقوامها منقب ضخم محجوف ، يطلق مباشرة بالواد المفرقة الى قعر البحر ، ثم ينقل الى سطحه محتويات على اسطوانة من الصخر من غور البحر . وبهذه الوسيلة تسمى للعالم المشار اليه الظفر بنموذج طوله ثمانى اقدام من قلوب الصخر الكامن في عمق ٧٢٠٠ قدم تحت سطح البحر

هذا وقد واقتا بعض ابناة اخرى خطيرة باللاسلكي عن اكتشاف عالم غور المحيط في القطب الشمالي ، حيث قام من عهد قريب اعضاء البعث الرومي بسبر غور المياه هناك فإذا هي تبلغ من العمق ١٤٤٠٠ قدم وتبينوا ان ارض البحر في ذلك المكان مؤلفة من غرين اسمر مشرب باللون السنجابي

وأولع ليف من هواة الفنون الجميلة والصيد بالاكتشافات البحرية في مياه البحر الايض المتوسط الدفينة . ويرأس تلك الجماعة المسيو جان بلييه Jean Painlevé محفل رئيس وزراء فرنسا

السابق وقد شرعت في انشاء أندية لها اطلقت عليها اسم « أندية تحت سطح البحر » واعمالها ناجحة . وينضوي تحت لوائها بضع مئات من الاعضاء يرتدون وجوهاً مستتارة خاصة ويلبسون باكتافهم اخواصاً صغيرة للهواء المضغوط مربوطة بسيور جلدية تكفيهم لرحلة ربع ساعة تحت الامواج ، متسلحين برماح مثقلة الشهاب وبنادق هوائية لصيد السمك في الالغام المائية على عمق ١٢ قدماً او اكثر تحت سطح الماء

واحدث ضروب التحصين في تلك الرياضة البدنية ، البحث عن المدن للفرقة على ساحل البحر . فقد عزّ احد الاعضاء الكثير من تلك الجمعية ، من زمن قريب على غفاري وروماني نادري من قرية كانت واقعة على الشاطئ الجنوبي لفرسا ، وقد طفت عليها مياه البحر من زمن بعيد . ومن الميسور لأولئك الهواة المغامرين النزول تحت سطح الماء الى عمق يتراوح بين ١٥ قدماً و ٢٠ قدماً ، حاملين عنادهم للمؤلف من الوجوه المستتارة ومستودعات الهواء المضغوط على رؤوسهم خوذ ثقيلة . اما العالم يبي فقد وصل الى عمق ٦٠ قدماً ، وهذا اقصى ما يستطيع المرء بلوغه دون التذرع بجهاز النوص الكامل

ولما تعمق الدكتور يبي اول مرة في غرقته النواصه الاصلية ، اكتشف اكتشافاً عجيباً فأذاعه ، وخطواه ان الاحياء في أغوار المحيط لها مناطق مكتظة بسكانها مثل طبقات القطيرة ، يملأ بعضها بعضاً . ثم أعلن من عهد قريب اكتشافاً آخر احدث من ذلك ، وهو تأثير الاشعة التي فوق البنفسجية في سمك المياه الملحة . وذلك انه توسل بمصباح كشاف من مصابيح الاشعة التي فوق البنفسجية فأطلق منه تلك الاشعة الخفية في عباب البحر من طرف أفريز احد المرافى . فاصطادت شيا كهمكاً أكثر مما كانت تصيد في الاحوال العادية ، اذ احتشد السمك في تلك البقعة احتشاداً كبيراً كأنه يشفق بتلك الاشعة الفرية فيسأيرها حيث تنبثق ، وقد تبين له في عدة حوادث ان الخلائق البحرية تتألق تألقاً باهرأ على ألوان مختلفة مثل بعض الماعذن حيناً تُعرض لضوء الاشعة التي فوق البنفسجية

وبينى هذا العالم ، في هذه الآونة ، بتجارب جديدة في مفرّه بمجزيرة برمودة متوخيها التحقق من علّة هيام السمك بالاشعة لئشار اليها . وما زال هذا سرّاً من اسرار شتى يطوي عليها عالم البحر

وما ذهب لوزيانيا وغيره من كنوز البواخر النازقة المنتشرة شذو مندر في قرار المحيط الا حافز وحيد على الاكتشافات البحرية . اما المشاهد السجية والاكتشافات العلمية الطريفة فتسكون من نصيب طلاب المراتدين . ويتخذ الدكتور يبي ان ين قرار المحيط وسطحه ، تمتد آخر ميادين للمغامرات العلمية

(عن مجلة العلم العام)

أيتها الأرض

أيتها الجياد الرحمة التي حملتني حتى اليوم وأنا ابن الرجل الذي طرده الله من جنسه
أيتها الصدر الرحب الذي أودسه وفي دمي غذاؤه . . .

أيتها الكريمة الحليمة التي أمزقتها بمعرائي فترتق زرادها وملتها ما فتت في الزمان
أيتها الثدي الكبير الذي تدفق منه النايح . .

أيتها الفاتحة ذراعها لموتاي ، الحازنة في أعماقها ذهبي ، الشاربة سموم الافاعي
لتعيني شرها ، الصامنة صمت الجيابة لتكسر حدة الحوس في ياني ، الحاملة جبالها
لا تلقى أشولة الصبر ، الباسطة صغارها ليتسع لطاق أحلامي ، وحدائقها
ومروجها لا ضفر على رأس الحبيب الكليل الزاهي ، المتبرعة بشجارها لأجي ثماري ،
المرتدية ثوبها الزاني لا خلع عني حبل الحرير والدمقس وأرضي بطماري ، الفاتحة
بابها على مصاريع الجبار والصلوك والفني والفقر والمجنون والمائل والفكي والابله
لا سحق كبريائي وآخذ عنها درس المساواة ، الطاوية كبدها على النار لتضيئي أنني
خلقت للآلم ، الباسطة ككفها للموت وقيوده لأقطع جل شروري وآثامي ،
المتبلجة في الصباح لتتقذي من برائن الأيس ، للفاتحة صدرها لتضجني وجرائي
وعجدي ، المستبجة دملها لمارك لتكثر الأشلاء فلتستغف مظلومي ، الحاملة تمايلي لأرى
المنظرة في أفرائي وهياكلي لأصافح الرحان وخرائي لأتحيل الماضي ، الناطرة
إبراحها إلى الامهات نظرة الزميل إلى زميله ، المتصدة لبريدتي لأظن عملاً بالخليقة
أكرم كؤوسها ، المتوجة بالافق لكي لا يجارها فوق عرشها سلطان ، السائرة
في مواكب الاحياء ، المستظلة برأية الزمان ، الرافدة في احضان القبلي ، المقرشة
النضاء ، المتحفة بجلال الخالق ، السابحة في محور التور ، المغصنة بالآثير ، الرافدة
بجل التاريخ ، الحائرة بين اليهود واليهود ، المنكئة على وسادة الله الباسطة بقاراتها
يدها ذلت الاصليح الحسن ، الزافحة في طريقها إلى حيث لا تدري ، الحاملة اعياء
الانسانية على ظهرها الحديد الذي لا تقوسه الايام ، الدائرة على قسما كائنها
تحويل أن تفت من حقلوة الانسان ، المارضة قرها لماشقين ويحبوبها للماسمين
وبحوبها للباسين وغلبتها لقواطيس الموهوبين وجراسها للمظلومين الفارين
وساحتها للمصارعين وبلاياها للغيرورين المتجربين واجلدها للسلطهين وشلا لآلها

لن أصيب بالعم وتجبّر قلبه وظلّت كيدته، واجواءها للحلقين وزواياها للقائين
وتوافيسها للقاسكين ، القائمة على قمة حرما الابدى الذي يؤلف جوانبه الثلاثة
اسما ويومها وغدا ، الحائقة على الاسكندر وهانيبال ويوليوس قيصر ونايلون
الذين حاولوا أن يملكوها ، المعترفة بجيمل كولبس الذي احدث الى شطرها المفقود
أيتها الارض ! يا مسرح الوجود ويا وليدة الرحمن ، أيتها الثابتة في صحراء
الله السابحة في محور حلما الاكبر الذي غابت عنا أسرارته . . .

أيتها الارض ! أنا من ضيوفك الذين القتهم في احضانك يد الحب الفاهرة
اتيتك باكباً وما حطت دمعتي بمد . . .
اتيتك حائراً وما تزال في حيرتي . . .

ورأيت الناس يموتون وأنت تفتحين يدك أبواب لحدوم قذب الرعب في
قسي وجنتك مستجيراً استعطفك بمجزائك أن لا يكون نصبي نصيب رفقاني
فيطول بقائي الى أبد الآبدين . . وأنا انا احب الحياة في ظلالك والخلود في
حماك لكي لا يقال انني ضيفك الذي اغتاله ترايك وانك تهتكين باللاجئين اليك
المستدرين كرمك ورضاك . . . ولكي أجاريك في سيرك الى يومك الاخير . . .
أحب ان أرافقك أيتها الارض الى نهاية الطريق الذي رسمته لك السماء وان
أكون ثابتاً على مسرحك ثبات شمسك التي لا تطفئ وقرصك الذي لا يموت ونجمتك
التي لا تمل ولا تموت وينايمك التي لا تحف وسنايك التي لا تنق . . .

أحب أن لا أزول وفي رأسي فكرة واحدة وفي صدري طمعة واحدة . .
أحب ان أبقى لا تظل من البنائين فلا يهدم الفناء بناي . . وأن اظل حياً
لاستكشف اسرارك وامراري . . .

لقد رضيت بآلامك وشربت دموعك وهلل قلبي لجراحاتك فانا نافر منك
ولا أنا حاقق عليك . . .

ليطل جبل شبابي وليأمني الهرم في الساعة الاخيرة قبل يومك الاخير . . .
احليني على اجنحتك الى حيث تريدن ولكن ربك لا تبلي علي ترايك البليد ففي
ذلك اتقام بليد انت اكبر من أن تسلمحي به أيتها الارض الحيازة الشريفة الكريمة
إن بساطك فسيح جداً فلا تخافي أن لا اجد فيك مكاناً على توالي القرون . .
انا لك أيتها الارض . . انا لك على علائتك فلا تطرديني من بيتك . . إن
حق الضيافة مقدس ولا يطرد ضيوفه الا الوقح الزنيم . .

عمرو بن العاص^(١)

لمس من على

— ١ —

يقول المؤرخون ان عمرو بن العاص داهية من دواهي العرب ، والداية : هو الرجل ذو الدهاء والفكر الناضج والعقل الممتاز ، فإذا قلنا ان عمرو بن العاص داهية من دواهي العرب ، فمضى ذلك ان عمرأ من أشد العرب دهاء ، وأوسمهم حيلة وأوفرهم ذكاء ، وأحدم ذهنًا ونحن لن نعرض لتاريخ عمرو بن العاص من مبدأ حياته الى منتهى اجله ، فان ذلك امر بطول شرحه علينا وعليكم ، وانما نريد ان نعرف كيف كان عمرو بن العاص داهية من دهاء العرب ؟ وما هي الحقائق والوقائع والحوادث العملية والنظرية التي جعلت عمرأ من دهاء العرب الممتازين ولقد عمرو بن العاص في مكة ، وكانت تسكن مكة قبيلة ضخمة تعرف بقریش ، ولم تكن قریش في مكة ذات حكومة منظمة وقوانين موضوعة كمثل الحكومات المعروفة في عصرنا هذا ، وانما كانت قریش منقسمة الى عشائر وبطون وأقسام يتولى كل قسم منها فرعاً من فروع الحكم ، فكان منها جماعة يعرفون ببني الدار ، وكانوا يتولون حل الزاية في وقت الحرب ، وكان منها جماعة يعرفون ببني هاشم ، وكانوا يتولون سدانة الكعبة ، وسقاية الحبيص ، وهؤلاء هم دهاء التي صلى الله عليه وسلم ، وكان منها جماعة يعرفون ببني سهم ، وكانوا يتولون القضاء والحكم فيما يقع بين الناس من الخصومات ، وهؤلاء هم عقيرة عمرو بن العاص ، ولا بد ان يبني سهم هؤلاء كانوا على شيء كبير من الدهاء والذكاء ، لان القاضي محتاج بحكم ونظيفة الى عقل ذكي حاد حتى يعرف به موضع الحق من موضع الباطل ، ولا بد ان يكون ذا لباقة وحصافة ومقدرة على التصرف في الامور حتى يداري المحكوم عليه اذا كان ذا سطوة وشوكة وقوة ، ولا سيما في هذا الزمان الناب الذي لا يدين الا بالقوة

وعلى هذا فبنوهم أجداد عمرو بن الماص وآبؤه وأخوه وعشيرته كانوا ذوي ذكاء ودهاء بحكم مركزهم القضائي في قريش ، فلا عجب ان يأتي منهم عمرو بن الماص الذكي الداهية ، ومن يشابه آباءه وأجداده فما ظلم

وما زاد هذا الذكاء حدة وهذا العقل نضوجاً واتساعاً ، ان عمرو بن الماص اشتغل منذ حداثة بالثجارة ، فكان يذهب في رحلة الشتاء الى بلاد اليمن وبلاد الحبشة فيشتري من هذه الاقطار الطيب والجلود والعلطور ، ثم يذهب بها في رحلة الصيف الى مصر وبلاد الشام ، فيبيعها هناك ، ويشتري من هذه الجهات الحنطة والمنسوجات والمصنوعات والزبيب ، وبلاد الشام حتى هذه الساعة مشهورة بالزبيب

ويقال ان اول رحلة قام بها عمرو بن الماص الى مصر ذات سبب عجيب ، وذلك انه خرج مرة مع جماعة من اصحابه الى تجارة في بيت المقدس ، فكانوا يحملون بضائعهم بالضرورة على الجمال ، وكانوا يسافرون من بلادهم الى بيت المقدس على الجمال ، فاتفقوا أن يخرجوا وهم في بيت المقدس الى الاسواق للبيع والشراء ويتخلف في كل يوم واحد بالتناوب ليرعى هذه الجمال في المراعي بين الحلال ، وبينما عمرو بن الماص يرعى الجمال وسط الحلال ابصر شمساً مصرياً ، والشمس رجل له وتغليف دينية صغيرة بالكنيسة . ابصر هذا الشمس وقد اجهده التعب ، وأضناه الحر وأهلكه الظأ ، فلما رآه عمرو يكاد يموت من العطش اسقاه بقدر من الماء ، فأجابه بذلك موافقته ، ولما انس به الشمس نام بالقرب منه ، إلا ان الشر والنحس كان يلاحقه ، فقد خرجت حبة كبيرة من جحرها وأعجمت نحو هذا الشمس النائم لتفتك به ، ولكن عمرو بن الماص شكها بسهم صائب قتلها ، ولما استيقظ الشمس وعلم بذلك قام الى عمرو ف شكره وقبل رأسه ، وقال له لقد احباني الله بك مرتين : مرة من العطش ، ومرة من هذه الحبة ، فلك اليوم عندي دينار والدية الف دينار . ثم قال الشمس لعمرو ولكني الآن رجل غريب فقد سافرت من الاسكندرية الى هنا لاني قد نذرت لله ان اصلي في بيت المقدس وان اطوف في جبالها شهراً ، وقد وفيت نذري وانا الآن صفر الكف ويدي خالية من الثغود ، فان اتيت معي الى مصر فلك عهد الله وميثاقه ان اعطيك التي دينار جزاء لك على ما فعلت ، فلما احس عمرو من كلام الشمس الصدق ووثق من كلامه ، استأذن من اصحابه وسافر معه الى الاسكندرية ، فأكرمه الشمس غاية الاكرام ، وألبسه ثوباً من الحرير ، وقدم له المبلغ ، واتفق في ذلك الوقت ان اهل الاسكندرية كانوا يقومون باحتفال عظيم سنوي ، اذ يجتمع الحكام والظلاء والقواد في ميدان كبير ، ويتقاذفون بكرة مرساة من الذهب ، ويلتقون بها كلهم ، فاذا استقرت الكرة في كم واحد منهم فلا بد ان يأتي عليه يوم يكون فيه حاكماً على مصر ، وبينما كان عمرو مع الشمس يشهد هذا

الاحتفال اذ بالكرة تهبط وتستقر في كم عمرو بن الماص ، فدهن الناس وتجبوا وقالوا اذا كانت هذه الكرة قد صدقتا في أيامنا الماضية ، فقد اخطأت هذه المرة خطأ ظاهراً . لانهم استبعدوا ان يكون هذا القى البدوي الصغير اميراً عليهم في مستقبل الايام ولم يعرفوا انه عمرو بن الماص الفاع العظيم الذي سينزو بلادهم مرتين مرة قبل الاسلام ومرة في ايام علي

وعلى كل حال فان هذه الرحلات التجارية التي قام بها عمرو بن الماص في الجاهلية قد زادت ذكاهه حدة ، وعقله نضوجاً ، وامتدته بكثير من التجارب والمعلومات ، لان اختلاطه بالاجناس الاجنبية ، واطلاعه على بلادهم واخلاتهم وطاداتهم امدته بكثير من الافكار والتجارب التي لم يكن ليتيسر له ان يعرفها في بلاده

ولما اراد ان يتجر في بلاد الحبشة ركب البحر في سفن تجارية مع شريك يقال له عمارة وقد ركبا السفن ليعبرا البحر الاحمر ، ويصلوا الى الحبشة لدى الشاطئ الافريقي ولسكن عمارة شريك عمرو كان رجلاً سفيهاً قاسد الاخلاق ، وكان مغرمًا بالتحدث مع النساء ، فأراد مرة ان يتحدث مع زوجة عمرو ولكن المرأة احتقرته ولم تغيثه اما عمرو بن الماص فقد اعتبر هذا من عمارة اهانته عظيمة لا بد ان ينتقم بسببها منه انتقاماً رادعاً ، ولكنه ماذا يفعل بمارة وهما بين الماء والنساء . اغدق في البحر ؟ ايقطعه بالسيف ؟ إنه لو فعل ذلك لتقدمت اليه عشيرة عمارة بسيفونها لتقتله حتى تأخذ بثأر عمارة ، فكأنه قد قتل نفسه حين قتل عمارة ، إذ افيض عمرو سائراً غيظه والا يام وحدها هي التي تهبي له الفرص المناسبة للانتقام من شريكه السفه ذهاباً الى التجاشي في بلاد الحبشة فقدم الى احسن التجارة فاشترى منها ثم انجها الى الرعية فباع واشترى وكثر ربحها وزاد مالها ، ولكن عمارة شريك عمرو كانت اخلاقه السيئة تلازمه ايما حل ، فرأى زوجة التجاشي فغداها فغداها ، وصار في كل يوم يذهب اليها ليحدثها ثم يأتي الى عمرو بن الماص فيخبره بذلك فيقول له عمرو ان هذا امر لا اصدقك واظن انك مبالغ في خبرك ، وان زوجة الملك لا تحدث امثالنا فيؤكد له عمارة القول ، ويقسم له اغلظ الايمان انه يحدث زوجة التجاشي ، وهنا يضبط عمرو على اسنانه ونواجذه لانه وجد الفرصة السانحة للانتقام من عدوه ثم يقول له إذا اردت ان اصدقك فيما تدعي فاحضر لي شيئاً من بيت الملك مما لا يستعمله الا الملك ، فان فعلت عرفت انك حقيقة تدخل في بيت الملك ، فقال له عمارة: ما اسهل هذا الامر علي ، وما اهوئه ، ثم انطلق الى زوجة الملك وحادثها كما دته ، ثم قال لها طيبيني من الدهن الذي يطعمه الله الملك ، فطيقته ثم قال لها اعطني قارورة من هذا العطر حتى ادخن منها اذا كنت في الخارج ، فأعطته قارورة من العطر ، فذهب عمارة وهو نافع اوداجه

يته عجباً واختيالاً بما فعل ، ثم تقدم الى عمرو بن الماص وقال له هذه ثيابي قم بها ، وهذه قارورة من الطر الذي لا يدهن به الا التجاشي خذها هدية بني اليك ، فقال له عمرو حقاً انك تحدث زوجة الملك وقد اقررت لك بالمقدرة وحسن الحيلة

ولما انصرف عمرو من مجلسه ، ذهب الى التجاشي وقال له ايها الملك العظيم انني أخشى ان يصلني سوء منك بسبب شريكك العربي فقال له التجاشي وما سبب ذلك ، فقال عمرو إن عمارة شريكك رجل فيه شرر ، وكثيراً ما اخبرني انه يذهب الى زوجة الملك ويتحدث معها ، ولكني في بادئ الامر لم اصدق دعواه ، فلما احضر لي من الملكة قارورة الطر الذي لا يدهن منه الا الملك أيقنت من الخبر ، وجئت اليك متبركاً من عملي ، وهذه هي قارورة الطر ، فلما رآها التجاشي غضب غضباً شديداً ، واتى بمبارة فشم في اثوابه رائحة الطر فأراد ان ينتقم منه انتقاماً مرّاً ألياً فاذا يفعل به . انه افسد له بعض اعضائه وهو حي ، وانقب له هذه الاعضاء إتلافاً تاماً ، وكان جزاؤه من جنس العمل

وهكذا انتقم عمرو بن الماص من خصمه انتقاماً مرّاً ألياً من غير ان يلقه في البحر او يقتله بالسيف او يمرض نفسه للقتل ، وهكذا أتى على عمارة درساً قاسياً في الاخلاق لم يفسه طول حياته ، وهكذا استطاع عمرو ان يصرع خصمه بمحبلته ومقدرته وذكائه

ولما هزم الله الاحزاب في غزوة الخندق ، وسلط عليهم ريحاً طاففة قوضت خيامهم ، وكفأت قودومهم ، وتفرقوا الى بلادهم ، فكر عمرو بن الماص في هذا الامر فأدرك ان النبي صلى الله عليه وسلم ، لا بد ان ينتقم من قريش ، ولا بد ان يجازيها حرباً بحرب ، وتكهن بفتح مكة قبل ان يدخلها النبي بأزمة طويلة ، فقال في نفسه اذا وقعت هذه الحرب ، واتصر محمد على قريش فلا بد ان يرد عزيزها ذليلاً ، فلا ذهبن الى التجاشي في الحبشة فان اتصر محمد فانا بمنجاة من الشر ، وإن اتصرت قريش فليس لي عند قومي الا الخير

ثم اخذ هدية الى التجاشي وقدمها اليه ، فقبلها قبولاً حسناً ، ولكن عمرو وجد عند التجاشي رجلاً من اصحاب النبي فحدثه في شأنه فقال له التجاشي ان هذا الرجل آت من النبي الذي تنزل عليه الملائكة ويأتيه الوحي وإن دينه لحق ، وهنا تغير رأي عمرو تغييراً تاماً لانه تمكن بمقله المنافذ ان يخترق الحجب ويسابق التاريخ ويستشف المستقبل من وراء حجاب فقال في نفسه إذا كان هذا الدين على حداثة عهد قد آمنت به الملوك فضلاً عن الرعية ، وإذا كان قد وصل الى البلاد الخارجية فضلاً عن جزيرة العرب ، فلا بد ان يعم هذا الدين البلاد العربية ولا بد ان يدين اهل مكة طوعاً او كرهاً فبدلاً من ان ادخل هذا الدين كارهاً فلا بد من ان ادخل طائفاً ، وعلي ان امرع في ذلك حتى اكون من السابقين ، ثم انقلب عمرو راجعاً الى

بلاد الحجاز لم يرجع عمرو الى مكة مقر عشيرته ، وإنما رجع الى النبي فأسلم على يديه وحسن إسلامه

وهكذا لم يسلم عمرو كما أسلم غيره من العرب بل أسلم بعد موازنات شتى ، وبحوث مستفيضة ، ومقارنات ذهنية كشفت له ما يكنه مستقبل الاسلام الباهر . ولما أرسله ابو بكر رضي الله عنه على رأس جيش من الحيوش الاربعة لفتح بلاد الشام اشتغل في هذه الحروب بهمة ونشاط ، ولما توفي ابو بكر رضي الله عنه رأى عمر بن الخطاب ان على فلسطين قائداً من الروم لم يسمح للثامن بمثله في الدهاء والمكر وسعة الحيلة ، وكان يقال له اربطون ، وكان اربطون في الروم بمنزلة عمرو بن العاص في العرب فامر عمر بن الخطاب عمرو بن العاص ان يتجه الى فلسطين ليحارب اربطون ، وقال : رمينا اربطون الروم بأربطون العرب ، فلتنظر عمّ تفرج . ومعنى ذلك انما أرسلنا الرجل الماكر من العرب ليحارب الرجل الماكر من الروم وستنظر ايغلب ماكر الروم ام ماكر العرب



اما عمرو بن العاص فقد وجد ان اربطون قد وضع لفلسطين خطة حرية محكمة ومن الصعب ان يتغلب عليها اي قائد حربي ، وذلك انه عسكر بجيش كثيف في مدينة اجنادين مركز فلسطين وجعل في كل مدينة حامية قوية تدافع عنها اذا هاجمها العدو ، وانما بين هذه البلاد مراسلات سريعة ، بحيث اذا اغار العدو على اية مدينة في الحال يتنقل الخبر بهذه المراسلات السريعة ، ويتوالى ورود المدد على المدينة المحصورة ، فيصبح الجيش المهاجم بين قوة المدينة الاصلية ، وبين الامدادات المتوالية ، فتصل به الحساسة ، وبهذه الخطة الحرية المحكمة تمكن الاربطون من الوقوف امام المسلمين وصدم مدة طويلة

ولكن عمرو بن العاص لا بدّ ان يفسد على الاربطون خطته فاذا فشل ، انه اتى بفصائل خفيفة قليلة العدد هي اشبه بالصايات ، وسلط على كل مدينة فصيحة من هؤلاء الجند لينبروا عليها حتى يشغلوا امرها عن غيرها ، لانها تعرف انها لو ذهبت جنودها لتجدها غيرها ، فان الاعداء الذين يهاجمونها لا بدّ ان يحتلوها في الحال ، وبذلك تمكن عمرو بهذه الفصائل من ان يشغل كل مدينة بنفسها ، ثم تخرج هو لمقارعة اربطون في اجنادين ، ولكنه تقدّم اليه حذراً متوجساً محترساً ، لانه لا يحارب قائداً طامحاً ، وانما يحارب داهية الروم

فأرسل اليه رسولا يظهر بأنه يريد ان يفاوضه في شروط الصلح والحرب ، وامره عمرو ان يتفقد القلاع ، ويمرف شكل الحصون ، ووسائل الدفاع ، ونظام الجيش ، ولكن

ارطوبون داهية الروم اخفى عن الرسول كل امر وفطن الى مهمته الحقيقية ، فأرسل عمرو رسولاً ثانياً وثالثاً فلم يهتد احدهم الى شيء ، فغزم عمرو ان ينهب بنفسه ليفتقد جيش عدوه وحصونه فتكرر في زي رسول من الرسل ، فاراد ارطوبون ان يخفي على عمرو كل شيء كما فعل مع الرسل السابقين

ولكن عمرو بن العاص ما زال يحاوره ويداوره ، ويقوده الى موقع الحصون حتى يطبق شروط الصلح على طبيعة المدينة ، وما زال يحمره من موضع الى موضع وهو يحوس خلال الجنود ، ويطلع على اسرار الجيش حتى اهتدى الى معرفة كل شيء . ولكن هل يفتنون ان الارطوبون رجل أبه انه تفرس في هذا الذكاء ، وهذه السياسة ، وهذه القدرة فجزم بان الذي يحدته اما ان يكون عمرو بن العاص ذاته ، واما ان يكون المشير الذي يغير على عمرو في الامور ، فيأخذ عمرو برأيه

وقد وجد ان الفرصة سانحة للتخاص من عدو خطر عظيم المكر والدهاء ، فاشار الى احد أتباعه ان يكن مع جماعة لهذا الرجل في الطريق اثناء رجوعه ، فإذا مر عليهم قلوبه ، اما عمرو ابن العاص فقد عرف كل شيء وادرك انه وقع في الشرك ، وانه لا محالة مقتول



ابن حبلتك وابن فطنتك يا عمرو ان ينك وبين القتل ان تسير في الطريق الى جيشك ، ولكن عمراً في اقل من لمح البصر ياتي بالخدعة المدهشة ، يخاطب الارطوبون في هدوء وثبات ويقول ايها الارطوبون لاني اصارحك القول واعطيك انني مع تسعة من العرب اصحاب الرأي والمنهورة في هذا الجيش العربي الذي امامك ، وان عمراً لا يعمل شيئاً إلا اذا وافقتا عليه ، وقد سمعت حديثك ، وعرفت شروطك ، وفهمت رأيك ، وسأذهب الى اصحابي فآتي بهم جميعاً ، ويسمعون حديثك بآذانهم ، ورون شروطك بانفسهم ، فان وافقوا عليها فقد وافق عمرو بن العاص ، لانه لا يعمل إلا برأينا ، فطمع الارطوبون ان يقتل عشرة من اصحاب الرأي ، وفضل ذلك على ان يقتل هذا الرجل الذكي في الوقت والساعة ، وفي الحال ارسل الى الكمين الذي رصده في الطريق ان يخلى سبيل الرجل إذا مر به

ولما مضت الايام ولم يبد الرسل ، وعرف الارطوبون خدعة عمرو قال خدعني عمرو هذا ادهى العالم اجمع ، ولما بلغ ذلك عمر بن الخطاب قال غلبه عمرو والله عمرو . أما عمرو بن العاص فانه درس حصون الروم واسرار الجيش ، ثم قاجأ الارطوبون واتاه من اللورات وتمكن من التغلب عليه ومن فتح اجنادين وبقية بلاد فلسطين

« بهجت تمة »

مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

لمحمد مصطفى الرميحاني

— ٢٠ —

الاجاص العادي^(١)

ويقال له في بلاد الجزائر (العين) وفي مصر وبلاد المغرب (البَرْقُوق) وفي الشام (الخَوْخ) ترتفع شجرته الى ٢٠ قدماً او اكثر وهي من النوع المتساقط الورق غير شائك الفروع ورقها بيضه الشكل أو إهليلجية لمساء من وجهها العلوي وعلى وجهها السفلي شعيرات دقاق مسنة الحافة خشتها أزهارها بيض تخرج عقب الاوراق أو معها . ثمرتها كرية الشكل جلدها مختلفة اللون لحما اصفر ونواتها اما لاصقة به او منفصلة

اسمها العلمي (Prunus domestica, L.) (برونس دوميستقا) من الفصيلة الوردية وبالانجليزية (damson-tree, prune-tree, common plum-tree)

وبالفرنسية (prunier cultivée, prunier domestique) اصل موطنها بين البحر الاسود الى غرب الصين ولا سيما جبال القوقاز وآسيا الصغرى ويشتربها علماء النبات اصلاً لا غرس منذ ٢٠٠٠ سنة في بلدان حوض البحر المتوسط وتنتج عنه الاصناف الحالية الكثيرة التي بلغت زهاء ١٠٠ صنف في فرنسا وانجلترا و ٩٥٠ صنفاً في الولايات المتحدة من اميركا وأشهرها جيماً :

(١) الاجاص الابيض ويقال له (الشاهلوج) بالفارسية وبالانجليزية (green-gage plum) وبالفرنسية (prune reine elande) معروف في اوروبا واميركا للاكل فاكهة ويمتاز عن اي صنف آخر بطعمه الذي يذمرته متوسطة الحجم كرية الشكل خضراء او ذهبية

(١) يذهب كثير من علماء النبات الى ان انواع شجر الاجاص الآتية انما هي نوع واحد وهي شجر الاجاص العادي المذكور وشجر اجاص ابن آوى واسمه العلمي (prunus spinosa) وبالانجليزية (sloe tree, black thorn) وبالفرنسية (épine noire, prunellier, prunier épineux) وشجر الاجاص البري واسمه العلمي (Prunus inaititia) وبالانجليزية (bullace-tree) وبالفرنسية (prunier sauvage)

(٢) الاجاص الاسود ويقال له (عُيُون البَقَر) ^(١) واسمه بالانجليزية (damson) وبالفرنسية (prune de Damas) ثمرته كبيرة الحجم بيضة الشكل مفلطحة على نوع ما جلدتها زرقاء أو ارجوانية ولحمها متمسك اخضر أو اصفر أو ذهبي وهو صنف متى كان فيه مقدار كبير من السكر صار صالحاً لتجفيف فتصنع منه (الفراسيا) ^(٢) المعروفة المستعملة مطبوخة وقديماً كانت ترد الفراسيا الجيدة من دمشق أما الآن فن فرنسا وخشب شجر الاجاص مرغوب فيه لصنع الآلات الموسيقية وله استعمال في الحراطة الممتازة والقف من سوقه يدخل في الصبغة باللون الاحمر
الاخضر يرض أو المصفر

ويقال له (الزعفران الكاذب) و (قِرْطِم الصَّبَاغِيْن) عنب يرتفع الى ثلاث اقدام جميل المتظر يزرع سنوياً ساقه لمساء وورقه بيضة الشكل ذات حافة شائكة ونورته برقالية اللون وثمرته عريانة في اصطلاح النباتيين اسمه العلمي (carthamus tinctorius L.) (قارثاموس تينكتوريوس) ^(٣) وفصيلته المركبة وبالانجليزية (official carthamus, safflower) وبالفرنسية (carthame, safran bitarad) موطنه الاصلي مصر تمتد الى الهند والآن يزرع في كثير من الجهات في أوروبا والشرق وتصدر من ازهاره مقدار عظيمة الى انجلترا للصبغة والتلون اذ يحصل منها على صبغ يتفاوت لونه من اصفر الى وردي الى غير ذلك حسبما يمزج به من مواد ، والنصران الفحلان في هذا الصبغ هما القارثامين (carthamin) والقارثاموس الاصفر (carthamus-yellow) والصينيون يستعملون زهرات الاحريض لصبغ الحرير باللون الوردى الجليل والقرمزي والارجواني والبنفسجي وذلك بوضها في منقوع بعض القلويات وتركها حتى تلين ثم يستخرجون الاصباغ منها باضافة عصير الليمون او اي حامض نباتي آخر بنسب متنوعة . ويزرع الاحريض في اسبانيا في الحدائق كما يزرع التوفوحان ^(٤) في انجلترا وتستعمل ازهاره في تلوين الحساء (الشوربة) والزيتون وبعض المواد الغذائية الاخرى واليهود في بولندا رغبة في هذه الازهار فيصيفون

(١) وتيل ان عيون البقر ضرب من عنب الشام . قال ابو حنيفة : هو عنب اسود ليس بالملاك عظام الحب مدمرج زيب وليس بصائق الحلاوة
(٢) وفي بلاد الجزائر يقال فكركيز عتدا (فراسيا) و (جراسيا) و (حب الملوك) وهو غير هذا الصنف من الاجاص واسمه بالانجليزية (Cherry) وبالفرنسية (Oerise)
(٣) قيل ان (قارثاموس) اشتق من قرطم اسم النبات بالعرية وان معناه يصنع لما تنتجه الازهار من صبغ جميل
(٤) واسمه العلمي (Calendula officinalis, L.) قالدولا اوفيسيناليس وبالانجليزية (marigold)

وبالفرنسية (Souci ou calend)

بعضاً منها الى خبزهم ومعظم لحوم غذائهم . وفي الهند يزرع الاحريض من اجل تلك الازهار ومن اجل زيتة فيحصل عليه بإقتصار الحبّ المعروف بالقرطم هذا ويقال ان الفراع الرومية والاوز ترغب في اكله كثيراً فتسمن به جداً

آرميليس

ضرب من الشجر يقال له في بلاد الجزائر (الصفا) وفي الشام (التبق المترادف) او (الزقرين) ذكره ابن البيطار^(١) في مفرداته وقال انه اسم بربري في بلاد المغرب الاقصى ترتفع الشجرة منه الى ٢٠ قدماً او اكثر اوراقها اهلبيجة الشكل منشارية الحافة حادة القمة متفرجة القاعدة وازهارها خضر متساقطة

اسمها العلمي (*Rhamnus Alaternus, L.*) (رامنوس الاترنوس) وفصيلها الشّانية او الشّيقية (*Rhamnaceae*) (رامناسية) وبالانجليزية (*broad-leaved alaternus*) وبالفرنسية (*alaterno*) موطنها بلدان حوض البحر المتوسط وهي دائمة الاخضرار مرمية النمو ولذلك تفرس سياجاً للزينة ولكون زهراتها رحيقة كثيراً ما ترد اليها النحل للتغذي به

الانثراو او الزرشك العادي

اسمان فارسيان يطلقان على شجيرة تعرف (بامير باريس) و (بربريس) كما جاء في مفردات ابن البيطار وغيره

ترتفع الى ثمان اقدام اوراقها من النوع المتساقط خضر تضرب الى الصفرة او الزرقعة يضيء الشكل مسننة الحافة ازهارها صفر مجمعة في نورات عنقودية بسيطة متدلية رائحتها غير مقبولة عن قرب ولكنها مقبولة عن بعد تألفها اصناف مختلفة من الحشرات وثمارها غنية شديدة الحموضة لا تمسها الطيور الا نادراً جراء او ارجوانية او صفراء قاتحة

اسمها العلمي (*Berberis vulgaris L.*) (بربريس ولفاريس) وفصيلها البربريسية او الزرشكية (*Berberidaceae*) (بربريداسية)

وبالانجليزية (*common barberry or barberry-bush, pepperidge-bush*)

وبالفرنسية (*épine-aigrette, épine-vinette, épine vulgaire,*) شائعة في اوروبا تفرس

(١) هو ابو محمد ضياء الدين عبد الله بن احمد الثاني الاندلسي الطبيب عرف بابن البيطار وبالباني صاحب كتاب الادوية المفردة لم يصنف منه ويصرف مفردات ابن البيطار قتل الى الفرنسية وطبيري باريس سنة ١٨٧٧ و ١٨٨١ و ١٨٨٣ ميلادية في ثلاثة مجلدات محفوظة بدوا الكتب المصرية . والله اعلم بمعرفة النبات وتحقيقه واسمائه وأما كنه سافر الى اقصى بلاد الروم وأخذ من النبات عن جماعة وكان ذكياً فطناً وله ايضاً كتاب المعنى في الطب وغير ذلك توفي بدمشق سنة ٦٤٦ هـ

سباحاً لزينة لجمال منظرها مزهرة في الربيع وشجرة في الخريف وهذه الثمار اما تحفظ في الحل لتؤكل كاخضر وإما تفل مع السكر لصنع شراب او فالودج لذيق الطعم وإما تصنع منها حلوى مسكرة بمفردها او مع الاجاص او فاصكة اخرى او يتداوى بها قابضة لطيفة ملائمة للسدة او لتأثيرها القسأل في الاضطرابات الصفراوية الى غير ذلك

وتدخل الجذور اذا غليت في محلول قروي من الصودة او البوتاسة في الصباغة باللون الاصفر وفي بولندا يدخل القلق من الجذور في صباغة الجلد باللون الاصفر الجليل كما يدخل القلق الداخلي من السوق مع القصب المعروف في صباغة الانسجة الكتانية باللون الاصفر الجليل. ويقال ان البقر والنم والماعز ترغب في الاكل من هذه الشجيرة على خلاف الجبل والحاظير هذا ولا يفوتني هنا ان اذكر علاقة الاثرار العادي بالمرض المعروف عند النباتين بالصدأ الاسود الذي يوجد على الفصح والنباتات النجيلية الاخرى ذلك لان الفطر المسمى (*Puccinia graminis*) (بكسينيا غرامينيس) او (*Aecidium berberidis*) (ايسيديوم بربريديس) يقطع طورين متبادلين تم بهما حياته طوراً على نبات القمح او غيره من النجيليات وآخر على الاثرار العادي بحيث اذا لم توجد شجيرات اثرار عادية في منطقة ما كان ذلك في الغالب عاملاً مهماً في عدم اصابة القمح وغيره من النجيليات بالصدأ الاسود

الكنار

اسم بري ثبات (جوز الارض) أو (جوز أرقم) وهو الذي يقال له في برقة وبلاد القيروان (تلفوطة) كما جاء في مفردات ابن اليطار نبات درني الجذر مستر بنبت برياً الى ارتفاع قديم أوراثة منتظمة وأزهاره يعض

اسمها العلمي (*Carum Bulboeastanum, Koch.*) (قاروم بولبوفاستانوم) أو (*Bunium Bulboeastanum, W.*) (بونيوم بولبوفاستانوم) ^(١) وخصائصه الصوانية والحيمية وبالانجليزية (*grat earth-nut*) وبالفرنسية (*bunium bulleux, noix de terre, terre-noix*) موطنه وسط اوربا وجنوباً وشمال أفريقيا ووسط آسيا الى بلاد كشمير كثير الوجود في تربة الارض الحيرية المزروعة حتى ما ارتفع منها الى ٩٠٠٠ قدم فوق سطح البحر يتبع بمجنوره الدرنية (جوزاته) يحفر عليها الفقراء ويأكلونها نيئة او مطبوخة لاحتوائها على نوع من الدقيق وما فيها من حلاوة الطعم ولذا يقال انها مغذية جداً وقد تطهى اوراق هذا النبات للاكل ايضاً وثماره تستعمل من ضمن الابازير

(١) اشتق اسم (بونيوم) من كلمة (فنيوس) اليونانية ومنها ما لى ذلك لان هذا النبات ثلاثه المواعج الجافة المرتفعة

بَحْدِيقَةِ الْمُقْتَطِفِ

أبولون ودفني

من أساطير الأدب اليوناني

رباعيات الغزالي

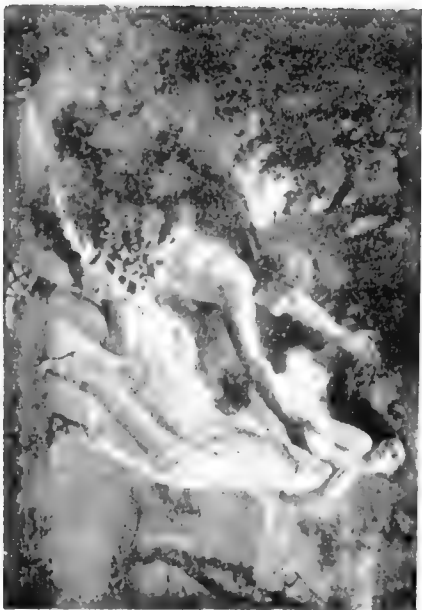
للشاعر الفرنسي جان لافور

الحب الصوفي — عاطفة الاستسلام

تأليف خليل متداوي



ایرلو و دنی



أبولون ودفي

كانت «دفي» أول من أحب «أبولون». على أن هذا الحب لم يأت عنو الحادث ، وإنما كان نكابة من «كوييدوس» وكيداً ، استطاع به آله الحب الصغير ، أن ينتقم لنفسه من ابن «زفس» ، بل من آله من أكبر الآلهة الذين عرفهم المقام الأولي

فقد رأى «أبولون» الصبي «كوييدوس» يلعب بقوسه وسهامه . وكان «أبولون» قد انتصر في ذلك الوقت على «فوتون» وما زالت لشوة الانتصار متأجج في صدره ، وتضطرم سورتها في قلبه ، فراح تياهاً نفوراً . فلما رأى الصبي في لهوه ، أكبر منه أسراً للعب بالقوس والسهم وقال له :

«مالك ولاآلات الحرب ، وما أنت صانع بها ؟ إنما يجب عليك أن تتركها للأيدي التي تحسن حملها ، وللأبطال الذين يعرفون كيف يحملونها ! أيها الصبي الناشئ . أترك هذه الآلات للذين هم مستادون أن يقتحموا بها المارك ويشقون بها طريقهم إلى النصر . انظر إلى الصراقي توجت به جيني ، وإلى الفتح العظيم الذي نلته باتصاري على الحية «فوتون» ، وكانت قد لشرت جسمها السام على ما شئت من فضاء الأرض : ألا فاقع أيها الصبي بمشطك فأوقده وأرسل لظاه ووجه أرسته إلى حيث شئت ، ولكن حذار أن تتخذ من أسلحتي الهوة تلعي بها »

فلما سمع ابن «فينوس» هذا الكلام التفت إلى الآله الكبير وقال له :

« أن سهامك قد تصيب حيث شئت أن تصيب بها ، ولكن سهامي سوف تصيبك في الصميم »

وما أن فاه بهذه الكلمات ، حتى اعلت صخرة من صخور « قَرَناسوس » ، واستل من جيبته سهمين ، كلاً منهما مختلفاً عن الآخر ، فأحدهما يشير الحب ، والثاني يقسه . وكان الاول مصنوعاً من الذهب حديد السنان ماضي الطن ، أما الثاني فكان كليل الحد مطلوّاً ببطقة من الرصاص ، وبه طمن الحورية « دَفني » ابنة « بنوس » آله التهر ، وبالسهم الذهبي رشق « أبولون » فشك فؤاده

وكانما ذلك السهم الذهبي كان لهياً أضرم في قلب « أبولون » لظى الحب ، فراح يوم « بدفني » هياماً ويثرم بها غراماً . كان في قلب « دَفني » من البض له والاشفاق منه ما يبادلُه ويزيد . وانما كان لهذه الحورية الجميلة غراماً بالحراج والغابات الملتفة ، وبالالعب التي تجد في سكوت تلك الغابات متنساً لها وعجلاً يكفيها . وقد تبها كثير من الحيين ، وتقبها عديد من المغرمين بها ، فأقصتهم عنها وفرت منهم نفوراً ، ومضت تجول في الغابات مثقلة في قضائها وتحت خائنها ، كأنها شماع الشمس المضيئة في غيب من الليل البهيم . ولم تحكفي « كويدوس » ولا في سهامه التي يصيب بها القلوب ويضرم بها الاحشاء

أما أبوها فكثيراً ما نهاها عما كانت فيه ، فلم تنه ، ولصحبها فلم ترعو . وذات يوم أقبل اليها بمحدثها بلين ورفق قائلاً « يا بنتي : ان لي في عنقك حفيداً ، بل حفدة » . ولكنها كانت ترى ان الزواج جريمة كبرى ، بل مصيبة عظيمة ، فاحمر وجهها الجميل خجلاً ، وألقت بذراعيها حول عنق أبيها قائلة . « يا أبي العزيز : هبني الهبة التي أطلبها ، هبني الحرية في أن اظل عذراء ، وان أبقى بغير زوج ، كما بقيت « ديانا » ! لم يسهه إلاّ الرضوخ لمشيئها ، وانصرف عنها وهو يتمتم : « ان وجهك يا بني ان تظلي كما تريدن »

كان « أبولون » قد أحبها ، ورغب في ان تكون له . غير ان « أبولون » ، ذاك الذي كان يقسم الحظوظ على الدنيا بأمرها ، قد أنس العجز في ان يصرف حظ نفسه ، وان يسهل بأمنية قلبه . ولقد رأى ذات يوم شعرها اللتان مرسلان من فوق كتفيها الجميلتين فأحاب بها . « اذا كان هذا مقدار ما في جمال شرك مُرسلاً ،

فكبح به اذا تهدته اليد الصناع ، فأضى عليه الفن جالاً فوق جبال ؟ . ورأى في عينها ريق النجم المؤتلق ، ورأى شفتيها الفاتنتين ، ولم يقو على ان يبتلع بمرآها . ولقد جن يديها المسواتين ، وذراعها اللتين انحذها الفن مثلاً ينسج عليه ، وكشها الماريتين البضتين ، ولقد خيل اليه ان ما احتجب عن ناظريه من جسمها كان أوفى جالاً ، وأعظم فتنة عما ظهر فيه

وتعقبا « أبولون » . وهربت « دفتي » ، فكانت أسرع من الريح ، وأعجل من السهم الضال ، ولم تنزل عن التنقل فزعة خائفة لتستمع الى شيء من توسلاته — « فتى يا ابنة « نيبوس » ، فلست عدواً ولا مستمراً حياراً . لا تخزي مني فرار الشاة من الذئب ، او فرار الحمامة من الباشق . انما ابتعدك مسوقاً للحب . ان يمدك بتعسي ، وفراذك يؤمني ، حذار ان زل قدمك فيصيبك من هذه الصخور أذى . أتوسل اليك ان تكوني في فراذك اكثر تريثاً وأقل سرعة ، وأنا اعدك ان اكون في طرادي كما تكونين في فراذك . ان أبي « المشتري » ، وأنا سيد دلفوس وتقدوس . اني علم بكل الاشياء ، شهادة وغياً . اني آله الاغنية والابواق . ان ساهمي لن تحطى . الفرض . وأسفاه ! فان سهماً أشد من ساهمي قنكاً وأخذ فضلاً ، اخزق قلبي . انا آله الطب الذي يعرف خصائص جميع العقاقير الشافية . ولكني أشكو مرضاً تسجز جميع البلاسم عن ان تبرئه »



غير ان الحورية كانت تتابع الفرار ، تاركة توسلاته الى الريح ، تتولاها بالشتات والتبديد . على ان فرارها كان مبعث إعجاب في قلب « أبولون » . فقد كان الهواء يبعث بفضل ثيابه ، وينشر شررها الجميل مرسلاتاً من ورائها . غير ان الآله ذهب صبره وقلت حيلته في اغرائها بالتوسل وشفاعته الحب ، فأسرع الخطى ، مسوقاً بسهام « كوييدوس » ، ليلحق بها ويقطع عليها شوط الفرار الدائم . فتبعها كما يتبع السلوقي فريسته ، فأحس ذراعيه ، قلماً ناعماً مبدياً نواجذه ، والفريسة الضعيفة جادة في الحرب ، مطلقه للريح ساقها ، تطلب التجارة . وعلى هذه الصورة كان الآله يتبع

الحورية الربانية—هو يطير ورائها، على أجنحة الحب، وهي تمر منه على أجنحة الخوف والاشفاق

ولاحث بداية المنتهى، لمّا ان ادركها «أبولون»، ولحق بها فكانت أقاسم في ظهرها، ثم مدّ يده فكانت في قبضته. وتراخت مفاصلها، وانحلت قواها، فترنحت وكادت تسقط على الأرض إعياء ورجاً، ولكنها وجدت بقية من قوة اليأس فصاحت بأبها — «أدركني يا بنىوس! افتح الأرض لتتشقق فتبتلني، ثم تسوى عليّ! أو فنيّر حياتي التي كانت سيباً في أن أقع فريسة هذا المدوان»

ولم تكذب ثم صبحت حتى يمسك مفاصلها، وانقلب صدرها الى جذع شجرة كبيرة يكسوه لحاء خشن كثيف، وتطوّر شعرها فأصبح أوراقاً، وذراوعها فصارنا أعضائاً، وناعت رجليها في الأرض فأصبحت جذوراً وشعيرات، وتحول وجهها الى قبة شجرة، فلم يصبح فيه من شيء مما كان، اللهم إلا مسحة من الجمال تذكر من يشهد بها بجبال من كانت قبل أن تقلب ذلك الانقلاب السحري، فتصير شجرة.

ووجم «أبولون»، ينظر بتعجب فيما يرى. وليس الجذع يده. وأراد أن يتحقق الأمر، فمس الأوراق بغضه، فكانت نباتاً لا أثر للحياة فيه، بل تذوق فيها طعم نبات لم يعبده. وقرص الفجرة ساعة ثم مضى بهمس بكلمات خافتة :

«أما وقد قاتني ان تكوني لي زوجة، فلن يغوثني ان تكوني شجرتي. سأخذ منك إكليلاً ألبسه فوق رأسي. سأجل بك قيثارتي وجبة ساهمي. فإذا جاء الوقت الذي سوف يقود فيه أبطال الرومان جحافلهم قافلين الى الوطن آثر انتصارناهم التي سوف يشهدونها، فهناك يمدد من اغصانك اكاليل توج رؤوسهم. وكما اني قد خصصت بهمة الشباب الايدي، فكذلك ستكون اوراقك دائماً الاخضرار، فلا تجف ولا تكون هيباً. انت يا شجرة النار»



الحب الصوفي

٤ — عاطفة المستسلم

ابها القلب المريض الذي اقتنع بحال المرأة

ابحث هناك — في مكان أبعد

وضع امانيك وممراتك في مثل اسمي

وناشد الطيبة الكاملة ان تمنح نفسك

حبا اوسع آفاقا ، يلبق برغباتك

لتبدأ حياة حيوية جديدة في نفسك

مكتوة فيك الفرح والشفاء .

وانظر الى الانسانية كأنها كونك الواسع

واجعل لنفسك آماله وسكره ودموعه !

في هدوء الحواس وصفاتها

يرف العاقل ان يزدري التأثير القبيح الذي يحمله لنا الجمال المروع

بواسطة الاتحاد الصافي للالوان والخطوط .

حارب بدون أمل ولا سأم من نفسك،

واقض كل كياناتك على بلوغ المثل الاعلى .

واذا ما غلبت على أمرك فصن دائما لون الكبرياء في عينيك

لأنك تسمل عملا مقدسا ، وتعمل عمل الآلهة .

اربعون مثل سليمان حكوا طورا بعد طور

— قبل ان يولد آدم — على جماعات لا عدد لها تجهل كل حب .

كانت تلك الصور يضربها ظل من الابد الكثيف البعيد .

ثم ظهرت ذرية آدم نافضة عنها كثيرا من الوحشية الاولى

ولكن التريزة الحيوانية لا تزال تجري في عروقها .
طبيعتها حالت زراباً ، ثم أصبحت سامية ، فخلقت آلهتها .

على أنها تفوقت بقوتها وعظمتها على الاجداد
برغم جيلتها المخلوقة من طين ، وعدمها للمائل لما .
فلتكن يوماً اهلاً لتكون خليفة في الكائنات ،
وتتبدع نفسها على صورة آلهتها الطاهرين

العائل يصيران قاييل مع هائل ،
والفضيلة مع الرذيلة يخرجان من نمة واحدة .
والعائل — على عييه بهذا السر المبهم —
— وعلى رغم دلس الوجود — يظل قلبه نقياً .

ألا ابن الراحه ؟ وكل شمس من هذه الشمس السابحة في الفضاء
يسوقها ترخ أزلّي ،

وهذه الاصابير من حب وقوة وضقاء
تتدحرج غارسة الحياة حيث تحط زواجرها .

الهواء والماء ، الصخر الصلب والكائن النافس بالحياة
النبات والحيوان إنما هي ابجرة متجسدة .

ولكن من أين قاضت النفس فينا ؟

ومن أين اقبلت افكارنا إلينا ؟

أكانت ابجرة الشمس تتكر من قبل ؟

ان رابطة الشفقة تربطك بكل الاشياء

اتها رابطة الهية سرية العطب لا ينبغي ان تقطعها

فاعذر الخطيئة وقهم اسبابها

وتحمل نفسك قبل السطف الى المحزونين

ان من يضحي بحياته الضيقة الحدود ،

ويعرف الموت في سبيل ملكوت الوجود
هو السلطان الذي أعطه

ومن يتقبل الألم ليحصل به أكثر عقاباً وقوة ،
ويتنصر على سر الحياة وهو محب سيد .

ذهولك في الموت أعطك عليه دائماً ،
أيها المؤمنون المراعون للحب حتى المذاب
وأي من تعرفون تذوق العذاب المرة
لتكونوا شهداء حبكم .

امزج نفسك المتأثرة بالكون
وتابع الحياة في كل مكان ، في أعماق الموات السحيقة
أو الحياة المضيئة الصافية المأثرة على رؤوس القمم
ثم اسقط حادثاً نشيطاً في « السبل » !

اعز الفقير — ملك الفقراء !

الذي يستمخ قوته
ولكن نفسه المحبة مشعلة من نار !
هناك توايون شهبون بالأسود
وتوايون يغيه غضب الكون وتمرده
وتوايون ترتجف أمامهم الملوك

ماذا تستطيع ان تمنى أيها القلب الأكبر من الوجود
شيئاً غير الحب ، وغير الجنون فيه ، وغير مؤازرتك بدون نهاية للشقاء الذي
يدوي ، شقاء من في نفوسهم ظمأ
وفي أجسادهم جوع

إذا كان الملكوت الحقيقي هو في المعرفة ،
وإذا كان الماقل متدرعاً بمثل هذه القوة ،

سيداً على نفسه وسيداً على الاشياء ،
فان الكنز الحقيقي الرائع هو في افئدة عاشقين ،

ينبغي له ان يعطي عييه ، ويحود بنفسه ،
ويودع شفتيه ويسمح بدمه وهواه وناره ،
ويعطي نفسه كلها كما فعل الشمس
قبل ان يترق في التماس الاثري

الصوفي يعلم الرغبة المتأججة في صدور الناس ليكونوا سمداً ،
ويلهم ان في سيئاتهم سيئات الاجداد
ولكنه رفيق بحب مشفق عليهم
يوزع هبات قلبه وجهه على جميع الكائنات .

وراء ملذاتك لا تزال لك ملذة اخرى :
ان تذهب فقيراً حقيراً مأخوذاً بمجنون الحب نحو المتألمين
تلتهم بكل نفسك وقلبك ،
اولئك المتألمين الاموات المرتشين في اقبل البارد الذي يُرخي سدوله عليهم .

اجعل حملك أليفاً مع الابدية
وعود عينيك النظر في هوة الفضاء .
وفي كل هذا النمر المجهول الذي تضاعف عنده جرأة الانسان المحدودة

وهكذا تخرج الماده كثر كبير .
وكل شيء يتبدل . ولا شيء يموت .
في الهاوية العميقة تدور الاسباب ، وتحول الاعمال
والاشياء تتألف وتفكك بلا انتهاء !

ان المتأمل في الحياة الخالدة الداهل في مادتها كأنه متلاشي فيها ،
يري الند لا شيء عنده ، ولا الامل ولا اليوم .
ويمجد ان الحياة والموت كلمة لا معنى لها

(انتهى)

سِكرُ الزَّمانِ

الرئيس ماساريك

رأيه في الديمقراطية والفاسية

للي آدم

الشؤون الدولية

في سنة ١٩٣٧

جذب ودفع — امتحان القوة — الحربان في
اسبانيا والصين — سقوط هيئة القانون — الفرصة
ومؤتمر نيون — روسيا تزداد الى القومية — من
محور الى مثلث ضد الشيوعية — تزاور الاقطاب.
المانيا والمستعمرات — ايطاليا والمصبة

الرئيس ماساريك

سأيرُ في الديمقراطية والفاسية

لطي آدم

في ١٤ سبتمبر من العام الفارط مات توماس ماساريك رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا السابق فطويت بموته حياة سريعة وحتمت سيرة طاهرة وغاب عن ميدان السياسة الاوربية سياسي من اطلي الابطال صانعي التاريخ وبناء الدول . ولعل اكبر عزاء لامته عن فقده انه مات بعد ان نضجت سنه وأدى واجبه وأبلغ رسالته على اتم ما يكون اداء الواجب وتبلغ الرسالة وارتقى ذروة المجد الخالد وظفر بالتقدير الثمين بمثله والجدير بما تم على يديه

وقد استطاع ماساريك خلال تلك السنوات المليئة بالحوادث العاصفة التي تلت الحرب الكبرى وبين الانقلابات الهادمة والتغيرات الطارئة ان يحتفظ بتشيكوسلوفاكيا واحة مزدهرة ظلية في وسط صحراوات جرد من الديكتاتوريات وحكومات النشم والظيان ولقد كان في سببه الى تأسيس الجمهورية وتولي رآستها مثلاً من امثلة الازم الصارم والشجاعة المخارقة وقد اثبت في السنوات التي تولى فيها الرآسة وأشرف على مقاليد السلطة انه سياسي بعيد النظر رحب الأفق نبيل المقصد وقد ولد ماساريك عام ١٨٥٢ في قرية صغيرة وبدأ حياته معلقاً منقطع التعبير وحيداً من الحلال وزاول في صده حياته بعض المهن الشاقة والحرف الكاسدة ثم طالع التدريس بفضل صبره وقوة احماله وبعد جهد شاق استطاع ان يحرز اجازة في الفلسفة وقد مكنته سعة المامه بمذاهب الفكر وتضلعه من الفلسفة من ان يصل وهو في سن الثانية والثلاثين الى منصب استاذ الفلسفة في جامعة براغ وهناك تجلبت مواهبه ونه شأنه وصمت مكاتنه

وأتاح له ذلك فرصة التوفر على البحث والتحرر للكتابة فآخذ يضع غرر التصانيف وينشر روائع البحوث في الادب والتقد والفلسفة والسياسة ويلقي شائق المحاضرات ويضنها سديد الآراء وناضج الأفكار وامتاز بمحصلتين بارزتين مبله الشديدا الى العدالة الاجتماعية وشدة تأثيره في نفوس تلامذته ومريديه حتى صاروا يتخذونه قدوة لهم ويتأثرون خطواته في طلب المثل العليا ولشدان الكمال . وسعد له ذلك السيل الى دخول مجلس النواب، وحدثت محاكمة هلسر اليهودي لاتهامه بقتل فتاة بوهيمية واقتنع ماساريك بعد بحث تلك القضية وتغلغل الى دقاتها براءة هلسر قانبرى للدفاع عنه وصمد لذلك في وجه النهم والاقاويل التي كانت نهال عليه جزافاً وقد اثبت موقفه

التيل في هذه المحاكمة أنه كان يجمع في نفسه بين العاطفة القوية والبصيرة النافذة، وعارض السياسة المساوية التي كانت ترمي إلى اضماف شخصية أمته وإدماجها في العنصر الألماني وفي سنة ١٨٩٠ حمل لواء الحركة الوطنية التشيكوسلافية ولمس روح قومه واخذ يعمل على اثبات مكانتها وتحقيق وجودها، واثارت الحرب الكبرى فثبت به بلاده وجاب الاقطار حتى انتهى به المطاف الى لندن حيث اختارته كلية الملك ليكون ضمن اساتذتها وهناك تهيأت له الفرصة لتدوير أمر استقلال بلاده وتنظيم حركته وكان يؤيده في ذلك ويشد ازره صديقه ينش، وترادفت عليه المناعب واعترضت طريقه الصعاب فلم يتداركه وهن وتغلب بثاقب عزمه على العقبات للمعرضة وقد كان انتصاره انتصار رجل محلق الاحلام بيد الآمال ولكنه أوتي قوة الزعامة على تحقيق احلامه وتصديق آماله

وكان من الطبيعي ان لا تقي له أمته بعد ذلك سابق خدماته وسالف تضحياته وكده في نيل حريتها وتأمين مكانتها فاصطفته لرئاسة الجمهورية ولم يكن ذلك من حين الامور فقد كان عليه أن يبدد لقومه الطريق الوعرويقم لهم الحدود ويرسم لهم الخطط ويتنكر مستحدث التقاليد وكانت هناك اقلبات عليه أن يحسن السياسة معها ويلزم القصد ليزيل قورها ووحشتها ويؤلف بين قلوبها وكان عليه أن يبت حساسته في الاعمال الادارية وان يفيض من ضوء عبقريته على التفاضل اليومية الدارجة ويرغم ما يؤخذ عليه بعض نقاد سياسته من الاخطاء ووجوه التقصير فان الذي بقي نظرة شاملة على سياسته لا يتحمله شك في أن مساربك قد اجاد وضع الاساس وأحسن تشييد البناء حتى اصبحت تشيكوسلوفاكيا بفضل سياسته ومبادئه السامية قوة اديمة يلوذ بها طلاب الحرية

وقد نهض بالتعليم نهضة صادقة ورفع مستواه حتى صارت مساير التشيكوسلافيين الفكرية عملاً بالتقدير وسما بالتشريع حتى اصبحت قوانين بلاده تضارع قوانين أرقى الأمم وأعرقا حضارة وتمدينا وقد لقن قومه حب الحرية السياسية وعلمهم اذا اقتضى الامر ان يجودوا بارواحهم في الذود عن حياضها

والعمل الذي قام به مساربك باهر راجح من اية ناحية تواجهه وبأي ميزان تحاول وزنه، وإذا عزونا نجاحه وتوفيقه الى قوة الظروف والملايسات والى ان امبراطورية النمسا العتيقة المهتمة قد طوعت له الفرصة السانحة وافسحت له مجال العمل ثم جاءت الحرب الكبرى فكنته من أن يتحين الظروف المؤاتية والى أنه قد وجد في صديقه ينش خير عضد له ، فانه لا تراع بعد ذلك في أن الرجل قد راض قومه على اساليب الحكم الصالح وضرب لهم خير الامثلة وعوّد ديم الديمقراطية الصحيحة الحقة ، فالاقتابات في تشيكوسلوفاكيا حرة والتعلم هناك

يفسح المجال للاستباق في مضمار التبوغ وحرية الاجتماع مكفولة وحرية ابداء الرأي بالتقدم مصنوعة وليس بين من تخرجوا في مدرسة ماساريك من يفكر في الانقلاب على الديمقراطية والتسكّر لمبادئها ، ومن أقوى الأدلة على اقتداره أنه استطاع توطيد مبادئ الديمقراطية وتميز مكانتها في الظروف الالامية التي يمانها هذا العصر المضطرب وفي تلك الليالي الحالمى بكل عجيبة

وقد ظلّ هذا الاستاذ الاديب والسياسي الفيلسوف يأتيه التشريف ويوافيه الاعجاب من مختلف اطراف الارض وهو مع ذلك مؤثر للبساطة في طدانه واخلاقه لا يزى ولا يتكبر ولا تأخذه نشوة الشهرة ولا تفضله سطوة الحكم وظل كدأبه ولوعاً بالدرس ما كفاً على مطالعة الروايات والعلمى من قنون الادب وفي سويحات فراغه واستجمامه يراض في الحلوات مشياً على القدم او متمطياً صهوة جواده ولا ينفذ عنه الناس ولا يقصيه عنهم الحجاب ولم ينس الله نعماً من سواد الشعب وان قوته قائمة على تصديقهم بمنته الاعلى ومشاركتهم له في الايمان به فهو في العصر الحديث خير نموذج للعالم الفيلسوف الذي تصوره افلاطون

وبرى الاستاذ لاسكى ان السر في نجاح ماساريك يرجع الى شخصيته الجذابة الحية واخلاقه المثينة الرضية وجمه بين العقل المفكر الرزين والماطفة الحارة القوادة وتزواج الرأي بالشجاعة ، ولم يكن ماساريك قطاً غليظ القلب فيتنفس من حوله الانصار بل كان اخلاصه التام وقنانيه في خدمة مبادئه وافكاره يدني منه قلوب طواقمه ويمكنه من قيادهم مختارين متعطلين لانهم يستغلون بدوخته ويستمتعون بانافيس آرائه ومنثور حكيمه ، ولقد كسب الحرية لوطانيه ومزجها بقوسهم واجراها في طبائهم ولم يفس شيئاً الا احاءه بذكائه المشرق وقاه من الاوشاب بصفاء نفسه وزهاده اغراضه

ماساريك والفاسية

وأقل هنا رأيه في الحكومة الفاشية ودقاعه عن الديمقراطية لأعرض على القارىء مثلاً من تفكيره وسديد نظرائه مستنداً في ذلك على احاديثه مع الكاتب المناصر اميل لودفيج أحد نوابه كتاب التراجم في العصر الحديث وهي احاديث امينة الرواية صحيحة الاستناد — قال عن الفاشية « ليست الفاشية كتاباً لسياسات العملية والادارة الحكومية وانما هي مذهب من مذاهب الحياة واسلوب من اساليب تفويضها فهي فلسفة اقرب ما تكون الى الفلسفة الاخلاقية . لقد عثت بنظرة الفاشية الى الحياة فأوسعها بحثاً من الوجهة النظرية واقصت آثار سياستها ولقد شرح موسوليني للمذهب الفاشي في دائرة المعارف الايطالية شرحاً شاملاً وأنا اقره على بعض ما ورد فيه واخالفه في بعضه وانما اريد الموازنة بين المبادئ

الديمقراطية والمبادئ الفاشية ، لقد أعلن موسوليني عدائه للعادية والوضعية واكد روحه نظريته الى الدنيا والحياة دون ان يصف في شيء من التفصيل افكار فلسفته الاساسية ، وقد دارت اكثر احاديثه وكتاباتهِ حول مسألة الدولة والوطن . والفاشية مثل كل نظام سياسي يبنيا ويشغلا تحديد العلاقة بين الفرد والنظام الاجتماعي ، وموسوليني عدو للفردية وهو لا يعرف الفرد الا باعتبارهِ جزءاً متناً للدولة والدولة في نظره تطور تاريخي وهي الضمير العام والارادة الشاملة ، وأنا من الوجهة النفسية ومن الناحية التاريخية ومن الجانب الاخلاقي كذلك لا استطيع التسليم بان الضمير الفردي مستغرق في ضمير طام ملفوف في تضاعفه ولا اصدق بوجود ما يسمونه الضمير العام او الارادة العامة فليس هناك سوى ضمائر فردية ومن الوجهة السياسية فاننا لا نرى اماننا سوى مجاميع من الافراد وهؤلاء الافراد يمكن ان تكون منهم وحدة ويجمعهم نظام مختلف الاشكال والفاشية اسلوب من اساليبه

ولا اعتقادي بالفردية لا استطيع ان اقبل فكرة ان الحكومة او الوطن او الشعب يتجسم في افراد قلائل او يجتمع في فرد واحد ، واعرف ان بين علماء الاجتماع واصحاب النظريات السياسية من يؤمنون بوجود ضمير طام ويتكرون الضمير الفردي ولكن هذا التصور لا يقوم على اساس علمي وهو مشتق من بعة الفكرة الاستقرائية في السياسة

والدولة عند الفاشية هي جماع كل شيء فهي اعرق من الوطن والشعب وهي تكون الوطن والوطن لا يكونها فهي صميم الوجود وروح الروح ومعنى هذا ان ضمير الدولة وهو الوحي الذي يستلمه جميع الافراد من خاملين وبارزين ويعمل بمقتضاء القانون والمفكرون والسياسيون ، فليس عمل الحكومة الفاشية مقصوراً على سن القوانين ووضع الشرائع وادارة دفعة السياسة وانما يشمل تنظيم الحياة الروحية ورسم القواعد الاخلاقية والدولة هي السلطة الوحيدة المتفردة للمهادية ولا حدود لقواها لانها غير محدودة وانه لما يروق ويوجب ان يسترسل الانسان في بسط تماريف الفاشية ويان اغراضها ومنازعها واكتفي ان ألاخطأها من ثمرات الخيال اكثر مما هي من نتائج الفعل

والدولة الفاشية لا تروم تشكيل صور لوجود الانسان على انماط جديدة فحسب وانما ترمي الى تقطيع محتويات ذلك الوجود بما فيه من رجال واخلاق ومستعدات ولهذا الغاية تحاول ان يكون لها سلطة تامة تهيمن بها على العقول وتسيطر على الاخلاق بلا معارضة ولا تعقيب ، وفي رأي الفاشية ان عصر الديمقراطية قد انتهى بالحرب الكبرى

ويدولي ان الدين والكنيسة قد كان لها شأن كبير في تكوين عقلية موسوليني وصباغة افكاره وأثرافه اكثر مما اثرت النظريات السياسية والآراء التي يلقاها الانسان في ابان نشأته من

المدرسين الذي يحجبهم ومن والديه لها تأثير كبير ، فالروح الدينية الصارمة والقول بتزيه الكنيسة عن الخطيئة وتسويغ سلوكها في مختلف الشؤون لنداسها وارتفاعها عن النقد تصيح تنزيها للحكومة والامة ومحيطها بقداية تحرم النقد وتعرض الطاعة والولاء فرضاً ، وقد اقتبست الفاشية من الكاثوليكية مظاهرها ورموزها ونظامها ، وتظاهر الفاشية بمناصرة الدين المسيحي ولكنها ترمي من وراء ذلك الى غاية سياسية لان المبدئين للمسيحيين الهامين وهما مبدأ حب الناس بعضهم لبعض ومبدأ الاخاء العام لتتويع الانساني مما يحجر الفاشية وبربكها وهما في نظرها اوهام وخيالات ساذجة والفاشية تنبذ المثل الاعلى للسلام لان الحياة عندها معركة ابدية ومن ثم تدريبها للشبان وتلقينهم الروح الحربية

ومحاولة الفاشية احياء الروح الرومانية جذير بالتساؤل اذ يشك في قيامه على اساس تاريخي متين لان كبار فلاسفة الرومان واليونان كانوا يشرون بالمثل الاعلى للانسانية وأوضح العقول في روما وأنبأ الشخصيات كانت تقاوم النزعة الحربية والروح الاستعمارية ولم تستطع الفاشية السائدة ولا النزعة الالمانية المتطرفة ان يزعزعا ايماني بالديمقراطية ، وتحليل الفاشية يلزم بطبيعة الحال أن تنظر الى منشأها وتطورها وان تكشف عن عواملها المختلفة وقد ذكرت تأثير الكنيسة وفكرة احياء الامبراطورية الرومانية ورغم معارضة موسوليني للمركسية او بسبب ذلك فإن في تفاسيه قدراً كبيراً من المركسية من امثال ذلك محاولة نقل الجملحات الى الدولة وفكرة إقامة الديكتاتورية

الديمقراطية والركناتورية

ولقد سألتني^(١) عن الفاشية لتوازن بينها وبين الديمقراطية من ناحية مسألة السلطة والحرية وأنا اقول بان الديمقراطية تمتزج بالسلطة ولكنها تحصر على ان يجمع بينها وبين الحرية ولقد كانت الحكومة الدينية سابقة للديمقراطية وكان هذا النظام العتيق نظام السلطة التيوقراطية يترف باستمداد السلطة من الله أو من الآلهة ويقول بان القساوسة والحكام ورجال الدين على اختلاف طبقاتهم يستمدون سلطتهم من ذلك المصدر المقدس وكانت الانظمة التي قامت على هذه العقيدة انظمة دينية اوستقراطية مطلقة ، ولكن الحكومة الديمقراطية ليست من نوع الحكومات المطلقة فهي تسمح بالنقد وترحب به ومن مزايها الاعتدال وهي تركّز على

(١) الحديث موجه هنا الى اميل لودفيج

الاخلاق لاعلى الدين وتقوم من الوجهة الفكرية على العلم والفلسفة لاعلى اللاهوت والفقهاء الديني ولقد كانت الحكومات في سالف الزمن تستعين بنظرية السلطة المطلقة لتخرس التقدير وتمك الافواه ولكن الحكومة التي ياشر اعمالها في العصر الحديث اعضاء يستمدون سلطتهم من الامة لا يمكن ان تدعي الصصة لاعمالها ، والحكم القائم على الارادة المطلقة ونظرية الحق المقدس ادى الى قيام الثورات وبسبب آثاره السيئة لا تزال روح الثورة تختلج في النفوس ، وكل من يستطيع ان يفكر تفكيراً سياسياً منظماً يترى بنظرية السلطة ويصير على ضرورة الولاء للدولة ولكنه يقف في نفس الوقت الى جانب حقوق الحرية والحرية منها حق التجديد والابتكار في كل فرع من فروع الحياة وكل ناحية من نواحيها وبخاصة في العالم السياسي . وهي تستلزم قبل كل شيء عرض الافكار والنظم والسلوك السياسي على محك التقدير ومن ثم فان اول ما تمل الديمقراطية على ايجاده هي فضيلة التسامح والاعتدال وبذلك تستطيع ان تتغلب على روح الثورة المتسكنة من نفوس القوم في العصر الحديث وتمحو الاسباب التي تدعو الى الصراع والكفاح بين الديمقراطية والنظم الارستقراطية التي اخلفت جديها وذبلت لقضائها ، بل اني اقول الصبر بدلاً من الاعتدال واقصد به الصبر السياسي والصبر لازمة من الاوازم لنجاح الديمقراطية وتوفيقيها » ويملل ماساريك الاخفاق الذي منيت به الديمقراطية الحديثة بقوله « ان الديمقراطية الحديثة لا تزال في دور الحداثة والنظام القديم قد استغرق آلاف السنين ليستم نموه ويكتمل لفضجه وقد تأصلت جذوره واستطالت فروعه في حين ان الديمقراطية نشأت مع الثورة الفرنسية فهي في دور النشوء والنمو والمستقبل لها . واذا نظرنا الى خريطة اوروبا وجدنا ان اكثر دولها جمهوريات او ملكيات دستورية فلا يزال اغلبها مستمسكاً بالديمقراطية ، وليس مما يزي بالديمقراطية ان اصرح بانها لا تزال بعيدة عن الكمال ولا تزال يتورها النقص وهل كانت حكومات المانيا والنمسا والروسيا الملكية كاملة من الوجهة الديمقراطية ؟ وما الذي احدث الحرب الكبرى ؟ ومن الذي فقد الحرب ؟ هل هي الديمقراطية ؟ وما الذي ادى الى الازمة الاقتصادية ؟ هل هي الديمقراطية ؟

اما عن الديكتاتوريات فانظر وسلم خاتمها ، وأوروبا رغم ذلك كله آخذة في نبذ النظام القديم فليس هناك امة تحاول قبول النظام القديم مهما كان رأياها في الديمقراطية ، واني احرص على ضرورة التفريق بين الديمقراطية والنوضى وان اميز الديمقراطية السليمة من الديمقراطية الابطاحية ، وقد كانت بعض الامم تستجيب لاسمي مبادئ الديمقراطية في مقاومتها للنظام المتق ولذا عند ما اسقطت ذلك النظام وحاولت تطبيق الديمقراطية اي القوة السياسية والحكم بإرادة الشعب لا بإرادة الله شاب تفكيرها وعلقت بأساليبها طرائق التفكير القديم وجرائم المهد

البائد وليست الديمقراطية مجرد نظام سيامي واسلوب من اساليب الحكم وإنما هي فلسفة حياة يحترم بمقتضاها كل مواطن زميله وصنوه ومعنى الديمقراطية هو تساوي الحقوق ومن شأن النظرات السياسية المتطرفة ان لا تصيب الهدف عند أول محاولة وقد كان هذا هو حال الثورة الفرنسية وردود الفعل المختلفة والانتكاسات التي تقب التورثات ليست بالشيء الحديث . وهي لا تقدح في البرنامج ولا تميم النظام وإنما هي تنال من سياسة ابطاله والموكلون اليهم امر تطبيقه ، ولقد كانت أوروبا مملأً لتجارب السياسة وستظل كذلك ردحاً من الزمن وهذا واضح الوضوح كله لكل من له ادنى اللام بالسياسة ، ونحن لميش في عصر انتقال كبير والنظام القديم يتحول من جميع نواحيه الى نظام جديد ، وعند ما ينادي موسوليني وجبان بان انظمتها هي اصنى انواع الديمقراطية ارى في ذلك اعترافاً بفضل الديمقراطية التي اتحدث عنها واجل ما في الديمقراطية ان اعمالها لا تحاط بالامرار ولا تنجز في الظلام وإنما تبحث في وضخ النهار وعلى مسمع من العدو والصديق ، وفي النظام الديمقراطي لكل مواطن الحق في اعطاء صوته أو يلزمه ذلك ان يكون على يقنة ودراية بسير الاحوال ومن ثم ضرورة الصحافة الحرة الراقية النزهة والمجالس النيابية والديمقراطية بطبيعة الحال كسائر انواع الحكم في حاجة الى ادارة قديرة وحكومة مستتيرة ورجال تقدم وعرفان لهم قدرة على التوجيه وحسن استعداد للبناء ولهم تجربة صحيحة وخبرة مستفيضة بتصرف الامور ومعالجة الشؤون المختلفة ولظرة سياسية متسعة المدى. واني اقول لمن يشكون الحرية السياسية وينكرون على الصحافة حريتها ان العلاج الوحيد لذلك هو الاكثار من الحرية وليس معنى الحرية تمهيد السبيل للفوضى والجهل والسجور

علي أدم

طريق الحق

لا شاهد المسافر الطريق الى الحق
اخذه السجبان لأنه رأى الاعشاب تغطي
فقال : أرى ان احداً لم يسر عليه منذ زمن
طويل . ثم تين ان كل عتبة سكن حادة :
فقال لا بد ان يكون هناك طرق أخرى
عن : ستيفن كراين

الشؤون الدولية

في سنة ١٩٣٧

إذا خلا الباحث الى نفسه ، وارتدَّ بذهنه الى حوادث العام الماضي في حلبة السياسة الدولية ، تين اتجاهين عامين ، ينتظان معظم هذه الحوادث . اما الاتجاه الاول فجذب ودفع بين فريقين من الدول احدهما فريق يريد تبديل الحالة القائمة ، وحكومات دوله قائمه على مبدأ الزعامة فهو في شئون السياسة الخارجية ، مقدم يمدد الى امتحان قوة الدول الاخرى بالتهديد أنا والمطالبة بتوقيع بعض الاتفاقات والمفاوضات أنا آخر . ومن هذا القليل نبرز محور روما برلين ونحوه الى مثلث بانضمام إيطاليا الى الاتفاق الألماني الياباني ضد الشيوعية ، وامداد قوات الجنرال فرانكو في اسبانيا ، وتأييد موقف اليابان في الشرق الأقصى داخل مؤتمر بروكسل وخارجه ، وخروج إيطاليا من العصبة واعترافها بنشوكو

اما الاتجاه الآخر فهو سقوط حية القانون الدولي والرف التبع في العلاقات الدولية ، وقد اشار الرئيس روزفلت الى ذلك في خطبته المشهورة التي ألقاها في شيكاغو في ١٥ أكتوبر الماضي اذ وصفه بوباء يجب كفاحه بغرض — الحجر الصحي — عليه . وهو ممثل في غزو اليابان للصين خارجة في ذلك على معاهدة الدول التسع وميثاق محرم الحرب المشهور بميثاق كيلوج برين ، وفرضها الحصر البحري على سواحل الصين مع ان حرباً لم تكن . ومن هذا القليل حادثة اصابة السفير البريطاني في الصين ، وانغراق المدفعية الاميركية باناي في نهر البينجسي ، وقشفي القرصنة في البحر المتوسط ، الى ان وضعت قرارات مؤتمر نيون حداً لها

الحرب الأهلية الإسبانية

يلخص ماتم في اسبانيا من ناحيتها الداخلية ، في فوز قوات الجنرال فرانكو في شمال اسبانيا وسقوط بلباو وسنتندر وجيجون في الشمال ، ومالقة في الجنوب في يديها ، فصار الحكم الفعلي في نحو ثلاثة أخماس اسبانيا للجنرال فرانكو وصحبه . وكان الظن انه بعد هذا الفوز في الشمال تطلق قواته الشمالية او معظمها قتنضم الى سائر قواته في هجوم حربي تام في منطقة مدريد ومنطقة اراجون وترويل ، ولكن فصل الشتاء اقبل برده وزمهريره وهذا الهجوم لم يقع

ولذلك قدر الكتاب الحريون أن ساعة الحسم في الحرب الأهلية الإسبانية لا بد أن تأخر إلى الريم القادم عند ما يصبح الجو الإسباني في التجدين القتالي والاراجوني صالحاً موافياً للأعمال الحرة الواسعة النطاق

أما في ناحية الحكومة، فقد سقطت حكومة كالبليرو وألفت وزارة مخبرن يؤيده فيها السنيور أنداليسوريو قاجمجت الوزارة الجديدة إلى هدفين، الأول تعزيز مكانتها الداخلية بضم العناصر المتدلة إليها، وفرض النظام والقانون على العناصر المتطرفة إلى اليسار وإشراك قطلونية في أعمال الدفاع، ولهذا الغرض انتقلت الوزارة الإسبانية من بلنسية إلى برشلونة. هذا هو الهدف الأول، والكتاب القين زاروا إسبانيا في العهد الأخير، مجمعون على أن وزارة السنيور مخبرن قد حققت كل ما ينبغي في هذا الصدد أو معظمه على الأقل

أما الهدف الآخر فهو تنظيم جيش قومي مدرب يعتمد على نفسه، وكذلك تنظيم مصانع الأسلحة حتى تستطيع أن تمد ذلك الجيش بأكثر ما يحتاج إليه. والهجوم العنيف الذي قامت به قوات الحكومة على ترويل في الأيام العشرة الأخيرة من السنة الماضية دليل على مبلغ ما أدركته الحكومة الإسبانية في هذا المضمار

ولكن هذا لا يفي أن جيش الحكومة في حاجة إلى استيراد للدفاع الضخمة والدبابات والمدافع المقاومة للدبابات والطائرات، علاوة على حاجتها إلى مواد الطعام لأن ما تنتجه البلاد التي لا تزال في قبضتها من الطعام لا يكفيها مقداراً ونوعاً. ولا سيما إذا تمكنت قوات الجزائر فرانكو من فرض الحصر البحري على سواحل إسبانيا الحكومية. وهذا في نطاق قدرتها من الناحية البحرية لأن معظم الأسطول الإسباني موال لها، ولها في جزيرة مبورقة من جزائر البليار قاعدة لا تفوقها قاعدة للقيام بهذا العمل. ولكن يلوح أن انكفرا لن رضى بالتخلي عن حقوقها في هذا الصدد زاعمة أن القانون الدولي لا يجيز للجزائر فرانكو فرض هذا الحصر وهو لم يمنح بعد حقوق المحاردين وليس في وسع أن يجمله حصراً مطلقاً. وقد أرسلت وزارة البحرية البريطانية التلميحات إلى أسطولها في البحر المتوسط بأن لا تدعن سفنه لما يصدر من سفن الجزائر فرانكو الحرة إلى السفن البريطانية التجارية



خطة هزم الترمل وموسسها

كانت سياسة عدم التدخل التي اقترحتها فرنسا وايدتها انكلترا وتلكات إيطاليا وللمانيا في قبولها، بدعة في السياسة الدولية لأنه من المفروض عقلاً وقانوناً دولياً الامتناع عن

التدخل في شؤون دولة اجنبية إذا وقع فيها خلاف داخلي . بل من المفروض ان تؤيد الحكومة الشرعية القائمة حتى تتمكن من خضد شوكة المتقضين على سلطتها . ولكن اسبانيا واقعة عند مدخل البحر المتوسط وتملك جزائر البليار ، فوقها الجغرافي والحربي ، ومافي شبه الجزيرة من مصادر للعواد الحام — كل ذلك ذو شأن عظيم في نظر الدول الأوروبية المتناضلة ، ولذلك أصبحت ميداناً لتزاع ايدولوجي بين الفاشستين والشيوعيين . حالة ان انكلترا وفرنسا ترغبان في ابقاء الحال فيها على ما هي فاقترحت خطة عدم التدخل ، لكي تكون واقياً لاوروبا من خطر التدخل الرسمي ، وحتى لا يتهدى النزاع الدولي في اسبانيا حدودها فيصبح نزاعاً اورياً

فاذا أخذنا خطة عدم التدخل على انها رمت فعلاً الى منع التدخل في شؤون الحرب الاهلية الاسبانية ، فالحكم انها اخفقت كل الاخفاق ، وحسبنا ان نشير الى ما تعترف به المصادر الرسمية من وجود عشرات الالوف من المتطوعين الاجانب الذين اشتركوا مع الفريقين المتنازعين علاوة على الاسلحة والذخائر الاجنبية . اما اذا نظرنا اليها على انها ستار يخفي وراءه التدخل ، فلا يوسم بالسمه الرسمية ، لمنع خطره الدولي ، فالحطه قد حققت ما قصد اليه بها

ونحن اذا نظرنا الى أعمال اللجنة الدولية لدم التدخل بلندن ، خلال السنة الماضية ، وما دار فيها من التضال والاختذ والرد ، والتراشق بالتهم ، ثبت لنا انها كانت بمنزلة صهام للتفيس عن الضغائن الدولية ، ولاسيا ما كان منها ايدولوجياً

وقد عثت اللجنة خلال السنة الماضية بمشروعين كبيرين ، أحدهما الرقابة البحرية على سواحل اسبانيا ، لمنع وصول للدد الى الفريقين المتقاتلين من الدول التي تظاهرها . وفعلأ اشتركت اساطيل انكلترا وفرنسا وإيطاليا والمانيا في هذه المراقبة ، وظلت قائمة فعلاً الى ان حدثت حادثتا الطرادين الالمانيين — الدويتشلند (مايو) — واليسيتش (يونيو) — فقد أقيمت على الطراد الاول قنابل من الجو ، أصابت دكنته وقتلت بض بحارته ، فتأرت المانيا لنفسها بضرب المربة وتهديم بعض مبانيها . وخرجت من اللجنة ثم عادت اليها بعد مفاوضات دقيقة ، وماكاد الامل يتجدد بإمكان التعاون ، حتى حدثت حادثة اليسيتش ، ولمخلصها ان غواصة اطلقت عليها قنبلة تحت الماء اصابتها ولم تحدث فيها عطلاً ، فطلبت المانيا اجراء مظاهرات بحرية مشتركة امام بلنسية بحسب الاتفاق الذي عادت الى اللجنة على اسامه ، فأبت انكلترا وفرنسا وروسيا ذلك قبل تحقيق الحادث وتعيين التبعة . فخرجت المانيا من نظام المراقبة . وجارها إيطاليا . وظلت اللجنة تنجس ، والتقاش يدور فيها حامياً ، الى أن بدأت حوادث الاعتداء على السفن التجارية في البحر المتوسط ثم استفحلت وهاج الرأي العام الدولي من جرائها ، مستميداً ذكرى القرصنة في الصور الوسطى

عند ذلك رأت فرنسا وانكلترا وجوب القيام بعمل حاسم لحماية الطرق التجارية البحرية من اعتداء القرصان ، فدعنا الى عقد مؤتمر نيون ، في الاسبوع الاول من سبتمبر ، فابت ايطاليا الاشتراك فيه ، بعد مذكرة من روسيا اتهمتها فيه بأن الفواصات الايطالية هي الممتدية ، ولكن المؤتمر اجتمع ووضع قراراته بسرعة وحزم وهي قرارات قنية لادخل للنصر السياسي فيها وزك المجال فيها مفتوحاً لانضمام ايطاليا ، فابت أولاً ، ولكن بعد مفاوضة طويلة ، قبلت ان ترسل خبرائها الى مؤتمر ثلاثي باريس يشمل خبراء انكلترا وفرنسا وايطاليا البحريين ، فتم الاتفاق هناك على نصيب ايطاليا في مشروع الرقابة وحماية للمواصلات في البحر المتوسط . وكانت انكلترا قد اعلنت بيد مؤتمر نيون انها ستكف عن اعمال المراقبة على سواحل اسبانيا لكي تبيء سفنها لحماية المواصلات البحرية بحسب مؤتمر نيون ، فكان في ذلك ختام المشروع الاول الذي حاولت به لجنة عدم التدخل الدولية تنفيذ خطة عدم التدخل في اسبانيا



اما المشروع الثاني الذي حاولته لجنة عدم التدخل ، فهو سحب المتطوعين الاجانب من اسبانيا ، وكان الرأي اولاً ان نجاح المؤتمر الثلاثي في باريس من شأنه ان يقوي الامل بنجاح مؤتمر ثلاثي آخر يحضره مندوبو انكلترا وفرنسا وايطاليا لبحث مسألة المتطوعين ، ولكن ايطاليا ابت ان تشارك في مؤتمر لا تدعى اليه المانيا ولا تشارك فيه ، وذهبت الى ان لجنة عدم التدخل هي الهيئة التي يقع على عاتقها معالجة هذا المشروع . فاقضى هذا الرد الى هياج الرأي العام الفرنسي ، وجعلت الصحف تطالب بفتح الحدود الفرنسية الاسبانية ، ولكن السياسة البريطانية خفت من اندفاع الرأي العام الفرنسي والسياق الوزاري الفرنسية في تبارده ، فمادت المسألة برمتها الى لجنة عدم التدخل وبعد بحث طويل ، ومقترحات تقابلها مقترحات ، اتفقت لجنة عدم التدخل على الرضى ، بمبدأ السحب ، وأنه ضد ما يلغ سحب للمتطوعين مرتبة كافية — تقررها اللجنة — يمتد للجندال فرنكو بمقوق المحاربين . وقد ابلت قصوص هذه القرارات الى حكومتى الفريقين الاسبانيين ، فقبلتا المبدأ واعترضتا على بعض اساليب التطبيق ، وحتى آخر السنة لم يشرع في تنفيذ القرار

اليابان والصين

ان بواعث النزاع النيف بين اليابان والصين — ولا ندعوه حرباً لان حرباً لم تملن بحسب قواعد القانون الدولي — ليست بوليدة العهد الاخير ، وانما هي ترتد الى اواخر القرن الماضي ، عند ما اصبحت اليابان دولة صناعية ، لا يقوم لقمها اود الا بالصناعة والتجارة

الخارجية ، فهي لذلك تحتاج الى المواد الخام من ناحية والى الاسواق تباع فيها منتجاتها من ناحية اخرى

وقد اقتطعت اليابان من الصين الكبرى كوديا اولاً ، ثم رسخت مصالحها المالية في منشوريا فلما نشبت الحرب الكبرى وانصرفت دول الترب عن العناية بالصين ، غنيت بها اليابان ، وقد حاولت ان تفرض عليها سيطرتها في مطالبتها المشهورة فأبت عليها الدول ذلك فاستردتها . ولما عقد مؤتمر واشنطن البحري سنة ١٩٢٢ اتفقت انكلترا واميركا واليابان على تحديد قوة البوارج في الاساطيل الثلاثة وفقاً للنسبة ٥ : ٣ : ٥ وصحب وضع المعاهدة البحرية المذكورة وضع معاهدة الدول التسع ، وفيها قطعت الدول عهداً باحترام وحدة الصين الجغرافية والسياسية ، والتزام سياسة الباب المفتوح في علاقاتها المالية والاقتصادية بها ، وظلت هاتان المعاهدتان قاعدة النظام السائد في الشرق الاقصى ، الى سنة ١٩٣١ عند ما شرعت اليابان في اقتطاع قطعة اخرى من الصين فاحتلت منشوريا وجهول سنتي ١٩٣٢ و ١٩٣٣ وأنشأت منها دولة منشوكو وأقامت امبراطوراً عليها هو آخر اباطرة الصين . فأفضت هذه الحوادث الى تحقيق لجنة ليتون المتدوبة من قبل عصبة الامم ، فلم يرق هذا التقرير حكومة اليابان ، فتذرعت بما انطوى عليه من الحكم ضدها الى الخروج من عصبة الامم

الا ان منشوكو لم تحقق لليابانيين من الناحية الاقتصادية ، كل الآمال المتوقعة عليها ، فبذلت المساعي ، الى تنشيط حركة الاستقلال الذاتي ، في الولايات الصينية الشمالية ، بما يلي منشوكو ، وهي غنية بالمناجم فيها الفحم والحديد والبترو ، علاوة على كونها سوقاً واسعة يقطعها نحو مائتين مليوناً من الصينيين . فخبطت هذه المساعي على الغالب ، وصحب ذلك تعزيز الحكومة الصينية المركزية بزمامة المارشال شانتش كاي شك فاشتتمت اليابان فرصة انشغال الدول الاوربية التي لها مصالح كبيرة في الشرق الاقصى بشئون أوروبا في السنة الماضية ، فتقدمت الى تحقيق فكرتها الرقيقة وهي انشاء شركة اقتصادية كبيرة في الشرق الاقصى ، تكون هي فيها الشريك الاكبر ، وكانت قد عززت مكانتها ازاء روسيا بمقدارها الاتحاق الالمانى الياباني لمقاومة الشيوعية في شهر نوفمبر من سنة ١٩٣٦

لذلك لما حدثت حادثة جسر ماركو بولو على مقربة من بكين في ٧ يوليومن السنة الماضية ، تذرعت تسويتها ، لان اليابان أبت ان تسويتها مع حكومة الصين المركزية ، واصرت على تسويتها مع السلطات المحلية ، وأبت حكومة تكين ذلك لانه بعد تنازلاً عن سيادتها على شمال الصين ، فبدأ القتال والقراء قد تنجوه في الصحف اليومية ، فاحتلت الجيوش اليابانية الولايات الخمس الشمالية وهي شاهاار وهوبي وشانسي وسويان وشانتش أو معظمها ، وسارت جيوشها من شنغاي

حيث لقيت مقاومة عنيفة ، الى تنكين وهافتشو ، ويقال ان في التية الآن الزحف جنوباً الى كاتون ولكن حكومة شانغ كاي شك امتقلت الى داخلية البلاد ويقال ان عزماً على المقاومة لا يزال قوياً

وكان من الطبيعي ان يفضي تغفل اليابانيين في الصين ، الى الاصطدام بالمصالح الاجنبية فيها ، فنشأ عن ذلك حوادث متفرقة أثارت الرأي العام الاوربي والاميركي ومن أشهرها حادثة الاعتداء على السفير البريطاني السر ناقشيول هيو جسن واصابته بجراح خطيرة ، واغراق المدفعية الاميركية باناي في نهر البنجستي امام تنكين

وقد توسلت الصين بمضويتها في عصبة الامم ، وباللؤلؤة لمعاهدة الدول التسع ، فدمت الى تنفيذ ميثاق العصبة في مساعدتها . ولكن العصبة رأت وهي لم تزل تعاني آثار الاختفاق في فرض العقوبات على ايطاليا ، ان تكرر التجربة في فرضها على اليابان يرضها حتماً الى اخفاق آخر . فأصدرت قراراً بلوم اليابان وتذرعت بموقف الولايات المتحدة الاميركية واهتمامها بمشؤون الشرق الاقصى الى عقد مؤتمر بروكسل ، حتى تبعد المسألة عن محيط جنيف وكان جيوته متوقفاً من قبل اجتماعه ، ولكنه دعي الى الاجتماع ، فثقت فيه ايطاليا وأبت اليابان حضوره ، وحجبتها ان معظم اعضائه دول اشترك ممثلوها بجنييف في لومها قبل الدعوة اليه . واصررت على وجوب حل المشكلة بينها وبين الصين بغير تدخل اجني . وحاول المؤتمر في غير قرار واحد ان يحل اليابان على حضور المؤتمر او قبول التوسط فأبت ، وانقض على ذلك

وقد دعت الى المانيا كذلك ، ولكنها اعتذرت بحجة انها ليست من الدول التي وقعت معاهدة الدول التسع

وما ينصل بمشكلة الشرق الاقصى المضمم ايطاليا الى الاتحاق الالمانى الياباني لمقاومة الشيوعية في اوائل شهر نوفمبر وقد اسفر هذا الانضمام عن اعتراف ايطاليا بدولة منشوكو ووقوفها موقف المؤيد لليابان في الملابس الدولية الناشئة عن حربها في الصين

الاستهتار بالقانون الدولي

ليس القانون الدولي بقانون في ادق معانيه . اي انه ليس اعراباً عن مشيئة سلطة ذات سيادة مملك تنفيذ ومعاينة الخارج عليه . واما هو عرف ، مستخرج من القواعد والمبادئ المقررة في المعاهدات المختلفة ، ليس له سلطة القانون من الناحية الشرعية ولكن له سلطة القانون من الناحية الادبية . وقد جرت الدول على احترامه وحساب الف حساب لما ينشئه الخروج عليه او الاستهتار به من اثر سيء في الرأي العام الدولي

وقد كانت الآداب والقوانين الدولية في السنة الماضية سقوطاً في هيبتها ، واستهتاراً في نقضها ، حتى وصف الرئيس روزفلت هذه الحالة في خطبة شيكاغو المشهورة «ببواب الاستهتار بالقانون» — والامثلة على ذلك كثيرة

خذ مثلاً على ذلك الحالة في الشرق الأقصى . ليس في التاريخ الحديث — حالة — عقد لضائها من الموائيق والمعاهدات ما عقد لضمان الحالة في الصين . فسياسة الباب المفتوح ومعاهدة الدول التسع وميثاق تحريم الحرب كل اولئك عهود دولية قطعت ودونت في وثائق رسمية وهدفتها الاحتفاظ باستقلال الصين ووحدتها والحيلولة دون تميز دولة على أخرى فيها . والنتيجة ان اليابان نجحت فيها جميعاً فاقطعت منشوريا وجيهول سنتي ١٩٣١ و١٩٣٣ وها هي الآن في غمار حرب غرضها الاول انتزاع شمال الصين ولا يعلم احد الى اين ينتهي

ومع ذلك كله لم تملن حرب حتى يعرف للقتال قواعد يجري بمقتضاها وذلك لان «الصين لم تفهم مقاصد اليابان فيجب ان تفهم» — او — ان تؤدب حتى تنجو على ركبها «على قول البرلس كوني او خذ الاعتداء على سفير انكفرتا في الصين ، ليس ثمة من يقول بان اليابان قصدت الى الاعتداء عليه ولكن الاقوال اليابانية الاولى في هذا الصدد كان مؤداها ان الطيارين اليابانيين ظنوا ان المارشال شان كاي شك في السيادة وان العلم البريطاني كان صغيراً لم ير وان القيادة اليابانية لم تقبأ بقتال السفير البريطاني على تلك الطريق . ومن هذا القليل ضرب المدن المكشوفة بقتال الطيارات واغراق المدفعية الاميركية باناي

او انتقل من الشرق الأقصى الى البحر المتوسط وقت قليلاً عند حوادث الاعتداء على السفن التجارية والحرية . فهي اثباتك لحرمة الملاحة والقانون الدولي والمعاهدات القائمة . فبعد سمي دام سنة عشر طاماً قبلت الدول البحرية المادة ٢٢ من معاهدة لندن البحرية وغرضها مستمد مما طأته الدول اثناء الحرب الكبرى من احوال النواصات وهو انه لا يجوز لنواصة ما في اثناء الحرب ان تفرق سفينة تجارية او تطلها عن السير الا بعد اذارها وتأمين سلامة ركبها وملاحها ومستداتها . واذا كان ذلك متفقاً على مراعاته في الحرب فأحرى به ان يراعى اiban السلام ولا سيما مع سفن دول محايدة تقوم باعمال التجارة المشروعة

هذا الاستهتار بالقوانين الدولية والآداب الدولية ، ظاهرة خطيرة يتصف بها هذا العصر كما اتصفت به بعض عصور الانحطاط الماضية ، وهو منبع طائفة من المشكلات التي تعانيها الامم ومن البت ان تالج بعض هذه المشكلات على حدة اذا لم يصد مد هذا التيار . فكيف الدولة الواحدة لاقوام له الا بمية القانون واحترامه احتراماً ناشئاً عن الاقتناع بانه لازم لمصلحة الفرد والجماعة اكثر من لشوئيه عن خوف العقاب

تزاویر القطاب

وقد امتازت السنة الماضية في حلبة السياسة الدولية ، باتصال اقطاب الدول زيارة ومكانة ، وفي مقدمتها تبادل الرسائل بين الستر تشمبرلين والسنيور موسوليني ، واساسها الرغبة في تصفية المسائل المعلقة بين الدولتين ، بحيث يحل « اتفاق الكرام » الذي عقد في مسهل السنة ، اتحافاً ذا شأن عملي ، وزيرة موسوليني لالمانيا حيث استقبل بحفاوة عظيمة فاسفرت زيارته عن تعزيز محور برلين روما والاتاكد بانهُ غير موجه ضد دولة بينها وانه ليس بمحالفه ولكنه تنسيق لموقف الدولتين ازاء مشكلات اوربا العامة وفي طليعتها المشكلة الاسبانية ومكافحة الشيوعية وتظيم قلب اوربا على اساس من التعاون الاقتصادي . ثم هناك رحلة لورد هاليفاكس الى المانيا واجتماعه بالمر هنر لاستكشاف نية المانيا في ما يتعلق بالمستعمرات وشرق اوربا وميثاق اوربا الفرية وغيرها . ويزعّم بعض الباحثين ان زيارة موسوليني لالمانيا افضت الى تحويل محور برلين روما الى مثلث برلين روما طوكيو . وان زيارة لورد هاليفاكس لالمانيا عجّلت في خروج ايطاليا من عصبة الامم . وقد عقب زيارة لورد هاليفاكس لالمانيا رحلة شولطان رئيس الوزارة الفرنسية والمسيو دلبوس وزير خارجيتها الى لندن حيث اجتمعا بأقطاب الوزارة البريطانية وتباحسا ملياً في المشكلات الدولية القائمة على ضوء الحقائق التي تبينها لورد هاليفاكس في رحلته الالمانية ثم تلا ذلك رحلة المسيو دلبوس الى عواصم يولتدة ورومانيا ويوجوسلافيا وتشكوسلوفاكيا لتعزيز اواصر الصداقة بين فرنسا وهذه البلدان التي كانت في ما مضى والى عهد قريب من اخلص احدها فرنسا واوقفها ارتباطاً بها . ومن هذا القليل زيارات اخرى قام بها اقطاب السياسة كالجنرال جورنج والهر فون رينتروب لايطاليا ، وستويادينو فنتش الى باريس ولندن وروما . وليس امامنا متسع لتفصيل هذه الرحلات وانما الفرض الاشارة اليها لبيان الناية الكبيرة التي تملقها الحكومات الآن على اتصال اقطابها باقطاب الحكومات الاخرى

موايد واطمحات متفرقة

في خلال السنة الماضية احتفل بتويج الملك جورج السادس ملكاً على المملكة المتحدة وامبراطوراً على الهند والممتلكات البريطانية وراء البحار وتوالت المساعي الى تصحيح الحالة الدولية الاقتصادية ، بتخفيف بعض القيود التي تقيد بها التجارة الدولية . وعهد الى المسيو فان زيلند رئيس وزارة بلجيكا في دراسة الحالة ووضع تقرير يضمه مقترحاته في هذا الموضوع وقد اعجز هذا التقرير وكان قد دعيه الى حكومتي انكلترا وفرنسا منتظراً قيل نهاية العام — ومضى ستالين في اضطراد خصومه واعدامهم ، كما انه وضع الدستور السوفيتي الجديد موضع التنفيذ فخرت

انتخابات عامة في ١٢ ديسمبر ويقال في تفسير هذا وذاك ان ستالين مرغم بمنطق الحوادث الدولية ان يرتد عن ارث لين في الشيوعية الدولية ، الى تمزيز النزعة القومية في روسيا لتسكن من التاهب لمواجهة اعدائها في الشرق والغرب — واشتدت مطالبة المانيا بمستمراها السابقة حتى اصبح هذا الموضوع من الموضوعات التي تعنى الحكومات به ولا سيما الحكومة البريطانية. وبريطانيا ازاءه فريقان، فريق متصلب يرى الامتناع بناتاً عن ارجاع مستعمرات المانيا السابقة اليها وآخر يوافق على ارجاعها على ان يكون ذلك جزءاً من تسوية عامة — واسقطت وزارة بوم في فرنسا على اثر اختلاف وقع بينها وبين مجلس الشيوخ على مسائل مالية ، قالفت وزارة جديدة برئاسة شولمان وانتظم فيه الاشتراكيون برئاسة زعيمهم بوم رئيس الوزارة السابقة وخفض القرنك تحفضاً كبيراً

وعظم شأن الاضطرابات في المغرب الاقصى ، فقصتها الحكومة بالشدة وصنعت للسيو سارو وزير الدولة في الوزارة القائمة للاشراف على دراسة الحالة ووضع النظام اللازم لمعالجتها — ووقع انقلاب حكومي في البرازيل اذ اقام السنور فارغاس قسمة دكتاتوراً بنوي ان يجعل البرازيل دولة ثنائية بغير ان ينضم الى فريق ايدبولوجي دون آخر في السياسة الدولية — وثشرت اللجنة للملكية التي صنت لبحث مشكلة فلسطين تقريرها الذي اقترحت فيه تقسيم البلاد الى منطقتين رئيسيتين احدهما لليهود واخرى للعرب . قاشرت الاعتراض على هذا الاقتراح من العرب جميعاً ومن بعض الانكليز — وتمت الانتخابات في الهند وفقاً للدستور الجديد ، وبعد ما امتنع حزب المؤتمر عن تولي الحكم في الولايات التي فاز فيها بالاكثرية تم التناغم بينه وبين الحكومة البريطانية على تفسير بعض نصوص الدستور فتولى الحكم في مظها — واعلنت انكلترا وفرنسا (٢٤ ابريل) والمانيا (١٣ اكتوبر) ضمانها لسلامة البلجيك — واعلن تنفيذ دستور اولئدة الجديد ابتداء من منتصف ليل ٢٩ ديسمبر الماضي

وفيات

وقد توفي في خلال السنة الماضية خمسة من اكبر اقطاب السياسة العالمية هم المر اوستن شميرلين السياسي البريطاني المشهور باشتراكه في عقد معاهدة لوكارنو ، والمسيو دومرج رئيس الجمهورية الفرنسية سابقاً ، والمسيو ماساريك منشيء جمهورية تشكوسلوفاكيا ورئيسها الاول والمستر رمزي مكدونلد زعيم المال في بريطانيا ورئيس وزارتهم في سنتي ١٩٢٤ و ١٩٢٩ والمستر كيلوج وزير خارجية اميركا سابقاً وصاحب ميثاق تحريم الحرب المشهور باسم ميثاق — كلوج بريان

القاهرة : ٣١ ديسمبر ١٩٣٧

رأبئة
الدولة (الجمعية)



يوم الطفولة

الدوره الثانيه

يناير ١٩٣٨

قائمة

بسم الله ومحمد ، وفي ظل ملكنا المحبوب ، مناط آمال الامة ، وسعد رجائها في
التهوض والاصلاح ، حضرة صاحب الجلالة « فاروق الاول » . تقدم « رابطة
الاصلاح الاجتماعي » رسالتها عن الطقولة للعذبة الى جمهور المثقفين المشتغلين بالخدمة
الاجتماعية ، والمعينين بالحركة الاصلاحية ، ولقد قدمت بالامس مجموعة محاضراتها التي
انفتت في (مؤتمر الطفل) قائلت من تقدير رجال التربية والتليم . ما جعل وزارة المعارف
تتوه بهذا المؤتمر وغيره من مؤتمرات الرابطة في تقارير رسمية ارسلت لدول الاجنبية
عن مدى التهوض الاجتماعي في مصر ، وتقدم المل في ميدان الطقولة . فكان ذلك
مشجعاً للرابطة على المضي في طريقها الذي رسمته لنفسها ، فدمت الى عقد مؤتمر تبحث
فيه شؤون الطقولة العذبة في أم نواحيها . وقد تم ذلك على الوجه المرضي إذ اقيم
« يوم الطقولة » وحضره جمهور عظيم من العلماء والفضلاء والادباء ورجال التربية
واساتذة الجامعة وفضليات السيدات والاولاد وكثير من طلبة معهد التربية ، وخطب
صفوة من المتفرجين على دراسة مسائل الطفل خطباً قيصة مزز أكتوها بمرض الافلام
السينائية مما كان له أكبر الأثر في قوس المحاضرين . ورغبة في تميم الانتفاع بهذه
المحاضرات والدراسات علمت الرابطة على نشرها في المقتطف الأغر وأخرجها في رسالة
على حدة راجية أن يكون لها من حسن الاستفادة مثل ما كان لسابق الرسائل التي
أخرجتها الرابطة في ضروب الاصلاح الاجتماعي
والله الهادي الى سواء السبيل

سبر مصطفى

السكرتير العام

يوم الطفولة

للككتور محمد عبد الحميد رياض بك

في مثل هذا اليوم من العام الماضي دعت رابطة الإصلاح الاجتماعي الى عقد مؤتمر للطفل بحث فيه امم المسائل المرتبطة به وقد لاقى هذا المؤتمر نجاحاً كبيراً اذ وجه النظر الى ما لهذا الخلق الضيف من اثر كبير في تكوين الامة فاذا قيل ان الطفل هو ابو الرجل او ان الطفل هو عماد المجتمع حتى انه يلقب «بصاحب الجلالة الطفل» فلتصدق هذا القول ولتؤيده بالعمل على حماية الطفولة من جميع الاخطار التي تهددها حتى نفذي المجتمع بأبتر ماملة قوية وأدفة صحيحة متزنة . هذا هو امم ما تمنى به بلاد العالم المتمددين في الوقت الحاضر الذي اصبح من امم ميزاته دراسة الاطفال والعمل على اسعادهم حتى يخرج منهم جيل صالح سليم العقل والجسم ولهذا سمي هذا العصر بعصر الطفل The Century of the Child ولقد تميزت في السنوات الاخيرة النواعد الخاصة بتربية الاطفال ورعاية صحتهم عما كانت عليه من قبل فبينما كان الاطفال يعاملون أولاً معاملة الكبار وتطبق في تربيتهم وتهذيبهم وعلاج أدوائهم نفس الوسائل التي تطبق على من تعدوا سن الطفولة أصبح للعنار الآن كيان خاص ومقام يختلف كل الاختلاف عن مقام الكبار فللاطفال مشكلات خاصة تحل بوسائل تصلح لهم ولتربيتهم أساليب خاصة ولعلاجهم مما يتأهب من أمراض طرق علاج خاصة ، نجدون هذا ظاهر آفي نواحد متدة في الطب اصبح علاج الاطفال اختصاصاً قائماً على حدة له من القواعد والاساليب الحديثة ما لم يكن معروفاً من قبل وفي التربية والتعليم وضمت طرائق بينها للاطفال بل وضمت طرائق لكل طبقة منهم تباير الطرق القديمة قاتى عهد التخويل والتأديب الجسماني ولم يعد العلم يطبق ما كان بقوله الآباء من قيل في سبل التوصية على أولادهم « اضرب وأنا أدوي » بل اصبح هم المعلم ان يفرس في قوس الاطفال قنهم بأفسهم وعجتهم للعلم والمدرسة — كذلك تميزت معاملة الاطفال اذا ارتكبوا جرماً يستدعي عا كتمهم او عقابهم قانردت لهم عا ك خاصة لا علية فيها بل اشبه ما يكون بمجالس قاتلية يبين فيها القاضي حالة الطفل وظروفه ويشته والاسباب التي دفسته الى الاجرام ويبحث عن طريق لا قناذه واحادته الى الطريق السوي ولا يقف في سبل القاضي للوصول الى هذا الفرض ارباط الطفل بأسرته بل أصبح هذا الارتباط قانونياً ازاء الغاية التي تنشد من اناذا الطفل فيستطيع القاضي في البلاد الغربية ان يترزع الطفل من السلطة الأبوية غير الرشيدة ويقضي بسقوطها وهذا نظام لم يقتبس بعد في مصر مع شدة حاجتنا اليه اذ كثيراً ما نرى ان السبب في فساد كثير من الاولاد او ضلالهم يرجع الى القدوة السيئة التي يجدونها من اب

بجرم او غير صالح للابوة . واذا ظهرت حاجة الطفل الى الاصلاح او التهذيب فانه يوضع في دور خاصة لتلك هي دور الاصلاحيات ولا يرسل الى سجون طادية كما كان الامر قبالا . وكذلك اصبحت للاطفال نظم تنفق وحاجتهم . على ان هذه النظم ذاتها اصبحت تختلف باختلاف طبقات الاطفال اذ اصبحت لكل نوع من الاطفال اسلوب خاص يتلاءم مع احوالهم فهذا طفل شاذ لضف في عقله او قوة تفكيره او لضف في بصره او سمعه او لمي في نطقه وبذلك لا يمكن ان يكون في مستوى واحد مع غيره من الاطفال الاقوياء بل يجب ان يدرس سبب شذوذه ويعالج من اساسه . سنسمون الآن ابحاثا في شؤون بعض انواع الطفولة المذبذبة وستبينون منها أن لكل حالة علاجاً خاصاً — وما المشكلات التي ستعرض علينا البيلة الا قليل من كثير والمرض من عرضها اثاره اهتمام الجمهور بمسائل الطفولة . فقد آن الوقت أن نتظم دراساتها في مصر تقظاً صحيحاً وياجداً لو افشئت ادارة خاصة تضم كل ما يتعلق بشؤون الاطفال من صحة وهديب وقضاء واصلاح ويتولى العمل فيها اخصائيون يستطيعون بحث مسائل الاطفال بطرق علمية صحيحة — وليس هذا بأمر جديد بل قد قامت بعض الدول مثل ايطاليا بالانشاء مثل هذه الادارة لتجمل جميع شؤون الاطفال في يد من يحسنون فهمها وعلاجها حتى ان الدفاع عن الاطفال في القضايا قصر على طبقة خاصة من المحامين لهم من الخبرة والدراسة والاستعداد ما يمكنهم من فهم الاطفال وعرض مسائلهم عرضاً صحيحاً على القضاء . وقد افشئت في اوربا في هذا العام هيئة دولية تسمى بالحزب الاجتماعي للطفل Social Party of the Child بمقتضى قرار أصدره مؤتمر دولي عقد في صيف هذا العام في كونيهاجين ويقصد بهذه الهيئة ابراز مقام الطفل وما له من شأن عظيم والعمل على ايجاد اخصائين يتولون شؤون الاطفال ويدافعون عنها في الحكومات وفي الهيئات التشريعية المختلفة كجالس النواب حتى يأتي اليوم الذي تنشأ فيه في كل دولة وزارة للطفل هذا هو مبلغ اهتمام القوم في اوربا وقد آن الوقت لمصر ان تشترك بنصيب في هذه الحركة حركة العناية بالطفل واني لارجو ان يتاح لنا في القريب العاجل عقد مؤتمر بل جملة مؤتمرات تمثل فيها جميع الهيئات المشتغلة بمسائل الاطفال من حكومية وغير حكومية وتقوم بمباحث منظمة في أهم المسائل المتعلقة بالطفولة في مصر ثم تقدم اقتراحات عملية لمعالجة ما يحتاج الامر الى علاجه وتنظيم النواحي التي لا تزال في حاجة الى التنظيم وهي كثيرة فاطفال القرى واطفال الشوارع في المدن والاطفال الشواذ وغيرهم — كل هذه مسائل تحتاج الى درس بل الى درس عميق طويل حتى تكشف اسبابها ويوضع لكل منها علاج يبحث الثمر من اصوله . فاذا وقعت رابطة الاصلاح الاجتماعي الى تمة روح الناية بالطفولة في مصر فاتها تكون قد اسدت الى البلاد خدمة جليلة في ناحية من اهم نواحيها الاجتماعية . سدد الله خطى العاملين لرفعة الوطن وهدام سواء السبيل

الطفل الشريد

للمل كيمرني

سيداتي سادتي : أأذنون لي — متفضلات ومتفضلين — في أن أسأركم ، فأص عليكم من امري حديثاً عجيباً ؟ لقد شمرت بحيرة عجيبة حين مضيت افكر في هذا الموضوع ، ونشبت امامي اطرافه ، وكادت تلتوي طرائق البيان له ، وأساليب التفكير فيه ، على الرغم من وضوحه ، وأكاد أقول على الرغم من بدهائه

ولقد قلت في نفسي : اي طفل شريد ينون ؟ واي طفل طريد يريدوني على التحدث في أمره ؟ ان كل من في الحياة — اذا آمننا في الفكر ، وأطلقنا التأمل — ليس الاً طفلاً شريداً ، قاذواً ابني أحد واستكبر ، ولم يرض ان يكون طفلاً ، فهو رجل طريد شريد فأي هؤلاء الاطفال والرجال ينون ، والى اي نوع من التشريد يقصدون ؟ فان شروب التشريد — في بلادنا الناعسة — أقانين اعتدنا مشردون في الثقافة ، ومشردون في الاخلاق ، ومشردون في العقائد ، ومشردون في كثير من ألوان البش وأسباب الحياة

كلأن لن يقتصر التشريد على الصالحين والفلكيين ، كما يتوهم المفكر أول وهلة ، بل ان تشرد هؤلاء هو أيسر مراتب التشرد ، أما علينا مراتب التاعسين المشردين الغرباء في هذا العالم ، فهي وقف على انقاذ الفكر ، واساطين المعرفة من عبادة الجنس الانساني الجامح الكنود وقديماً قال شاعر في وصف عبقرى من اولئك الافذاذ : غرته اخلافه الزهر فيهم

وقال أبو العلاء : أولو الفضل في اوطانهم غرباء تشذ وتأتى عنهم الغرباء ثم قال وأبدع : متى ما يأتي اجلي بأرضي فحي على الجنادة للغريب ولعلكم تذكرون ان ابن الرومي قد جمع في حياته بين تشريد النفس والجسم ، وقضى حياة التريب وهو في أهله ، وطاش عيشة البائس وهو في وطنه وعشيرته . حتى بلغت صيحانه آذان العالم العربي في عصره وما تلاه من الصور الى اليوم ، وان لم تجد مميماً من أقرب خلصائه وأصحابه الاً دين في ايام حياته . أليس هو القائل :

حرمتم في سني وفي ميقي	قراي من دنيا نصيفتها
لحني على الدنيا ، وهل لطفة	تصف منها ان نلقتها
بل اوهو القائل : ألا أين عن الصامتون لصحتي	فهاهي قد اضحت أذل من النمل
بل اوهو القائل : لانسجين لمزوقي أخي هوج	حظاً تخطى اصل الرأي طرافا
فخالق الناس اعراء بلا وبر	كاسي البهائم أوباراً واصوا

ثم هو القائل المبدع : ان لاحظ كيمياء اذا ما مس كلباً أحالة انساناً
 ماذا ؟ أتاني حاضركم في ابن الرومي الشاعر الشريد في هذه الليلة ؟ لا ، فلتجتزئ بهذا
 القدر ، وليشرد بنا القول وجهة أخرى ، علنا نصل الى الطفل الشريد الذي خصصت له الرابطة
 بضع دقائق للحديث عنه ، فأضمت أكوها في غير ما أرادت الرابطة
 سيداتي سادتي - إن الطفل الشريد الذي نحدثكم الليلة في أمره ، هو الطفل البائس الذي
 حرم نصيبه من مائدة الحياة ، وأغلغل حقه في طياتها ولذائدها ، وإن ظفر من صنوف الشقاوة
 فيها بأوفر قسط ، وأوفى حظ . ولعل أسعد هؤلاء المشردين حظاً من ينظر بركن مظلم في
 في معارج الطريق ينام فيها آمناً لا يناله من الشرطة السنت والتفريخ
 وعندي أن كل وصف لهذا الشريد الذي ترونه حائراً بدرجة الطريق ، لن يفيه حقه مهما
 تفنن الواصف وأبدع ، واستمد ما شاء من الثموت والواصف
 وعندي كذلك أن كل نداء يتوجه به دعاة الإصلاح الى استندار عطف القادرين ، هو نداء
 قليل غاؤه ، ضيف أثره ، فقلما يجدي الوعظ المجرد من إشارات السامع بالفائدة العملية التي يجنيها
 من اتباعه لما يراود عليه ، أو الحسارة المادية التي تلحقه اذا خالف الواعظ الى ما نهى عنه
 فواجب الداعين الى الإصلاح - فيما أرى - أن يتركوا الوعظ قليلاً ، وأن يوجهوا
 جهودهم إلى شرح القوائد التي تعود على المجتمع من إعانة الطفل الشريد ، والمضار الهائلة التي
 تهدد الوطن من جراء إهماله وإغفال شأنه . واليك أقصوة صغيرة تمثل لكم ما أعنيه :
 كان عند أحد الملوك وزرة من خالص الذهب ، عيناها لؤلؤتان ، من أقص اللآلئ . وعن
 له ان ينفكه متفتناً في حبة الإوزة لمن يقص عليه قصة مكذوبة على أن يرغمه على ان يصارحه
 بأنه كاذب فيها قص . فجاءه رجل يخبره أنه ركب جلاً ذات يوم ولم يكن معه إلا ثمرة واحدة ،
 فأكلها ، وألقى بالنواة ، فوقست على رأس الرجل ، فاذأ هي لساعتها نحلة باسقة ، واذا ثمرها
 حني ، فصعد اليها ، وظل يأكل ما شاء ، ويلقي بالثوى في الصحراء يمتة ويسرة ، فلما عاد من
 رحلته وجد الصحراء حاشدة بالخيول النثر ، فأقسم الملك ، وقال : جلت قدرة الله ! . فرجع
 الرجل يائساً ، فجاء ثان يخبر الملك بأنه خرج لاصيد ذات يوم ، فأبصر ظبية شاردة ، فصوب
 اليها سهماً ، فأقفلت يمتة ، فغاد اليها السهم ، فأعدلت يسرة ، فأبصرها السهم ، فقفزت فاقبها السهم
 قافزاً ، ثم هبطت فهوى اليها فأصباها ، فقال له الملك : ما أبرك صياداً وجاء
 ثالث ورابع وخامس وآخرون رجوا من قصصهم بحظي صاحب الجمل والصيد ، وبعد حين جاء
 الملك رجل أفاق خير باقتناص الفرس ، ومعه جرة كبيرة . فأخبر الملك بأن أباه كان صديقاً
 جليلاً لوالد جلالته ، فلما نشبت الحرب بين هذه الدولة والدولة المجاورة ، وأعوز الملك الراحل

المال ، اقترض من أميه مله هذه الحجرة ذهباً ، على أن يردها اليه ، فان لم يفعل كانت ديناً في ذمة ولده . فلما انتهى من قصته لم يستطع الملك ان يقره على ما قص ، كما اقر الكذبة السابقين ، فواجهه بقوله : أنت كاذب ا فقال له الرجل من فورهم : عليّ بالايوزة ا فقال الملك : دونك نفذها . وهكذا عرف هذا الرجل من ابن يؤخذ الايوزا

ومغزى هذه الاسطورة الطريفة ان المرء — كما قلت لكم — لا ييالي الا امر ، مهما يجل خطره ، إلا اذا اتصل الامر بذات نفسه وذات ماله من قريب !

وأي جدوى تعود على السامع حين انشد قول المرعي :

لقد جاءنا هذا الشتاء ونحتة فقير مرعى او أمير مدوّج

وقد يرزق المجدود أقوات امه ومجرم قوتاً واحداً وهو أوج

أو قول القائل : كان يحبي ميتاً من عطش فضل ما أوقب ميتاً من غرق

إنه ليتأثر زمناً طال أو قصر ، ثم يذهب تأثره بعد حين الى غير عود !

ولا شك ان الأحجب ان يسلك الدعاة الى الإصلاح طريقاً أخرى ، هي — عندي —

اهدى واقوم ، ولا أضرب للحضرائكم مثلاً يوضح ما اعني :

يقول بعضهم : لقد أنشأت الحكومة جمعية للرفق بالحيو ان ، فهلا فكرت في انشاء جمعية

لرفق بالانسان ؟ حتى تؤوي أولئك المشردين التاعسين . ولو شئنا ان نجاري الوفاة والدعاة في

هذا الاسلوب لارينا ، وقلنا : ولقد أنشأت الحكومات جماعات للرفق بالنبات وحفظه من الآفات ،

وإنقاذها من غوائل الجراد والحشرات . فما بالها تهسو على هؤلاء الاطفال المشردين ولا تبنى بأمرهم

هذا اسلوب — كارتون — خيالي فياض بالشاعرية ، ولكننا نسأل انفسنا ، اذا توخينا

الجد : هل نحمي الحكومات النبات رحمة به ؟ ام نحميه لأنه عماد الغذاء ، ومصدر الثروة ،

فإذا استولت عليه الآفات وقتكت به ، كانت المجاعة الخيفة ، وكان القتلك التريع بالا هلين ؟

الجواب من الواضح بحيث لا يحتاج الى بيان ، فواجب المصلحين ان يتجهوا بمجهود الخصبين من

القادرين الى العناية بالطفل الشرير ، بحجة ما يهدد المجتمع الانساني من الاخطار الماثلة التي محل به

اذا لم يمن اشد العناية بحماية الامة من شر التشرذ . فلا بد من تأمين الحقل الآدمي من اخطار

المشردين ، كما أمنت الحقول الثابتة من اخطار الجراد والودود . واذا جاز للمرعي ان يقول :

شر اشجار علقت بها شجرات أمثرت فاسا

جاز لنا ان نستدير بغيره الطريف ، فنقول ان اول واجب على الحكومات ، هو ان تؤمن هذه

الشجرات التي أمثرت الناس ، وأن تحوطها برمايتها من خطر الشجرات السامة والآفات الاربعة الاخرى

وأي سم أفتك من سم تلك الجرائم الانسانية التي اذا اهلكت امرها ، وضن عليها القادرون

منافسات المائدة ، ونبدوم من المجتمع ، وشرودوم في الطريق ، ولم ينوا بأمرهم صناراً ، أحفظوم كباراً على البيئة الاسانية ، وترعوا من صدورهم حب الحيد ، وعرفان الجبل ، فامتلات قبوسهم حقدأ على العالم كله . ومن ثم نشأ الحوادث التي نقرأها كل يوم في صحفنا ، وهي متشابهة ، تكاد تدور حول محور واحد وهو مقابلة الاحسان بالاساءة ، فمن ضيف يقتل من آواه ، ومن خادم يقتل بمولاه ، ومن أفاق وشريد يحترقان السطو والتهب والاعتداءات المتكررة ، وما الى ذلك من أفاين الاجرام والتكيل . واني لامتثل في كل طفل شريد قصة الحيني التي احصها لكم فيما يلي :

كان من عادة صياد طاعن في السن ان يرمي شبكته كل يوم في الماء ، ويرجع فرحان بما يجيء به ، ففي صبيحة يوم طرح شبكته على عادته ، فلما جنبها وجدها ثقيلة ، فبذل أشد الجهد في إخراجها حيث تمكن من ذلك بعد عاء لا مزيد عليه ، فاذا بالشبكة قعم من نحاس اصفر مرصص ، فقال في نفسه : لعل في القعم كنزاً ، ثم طالع الرصاص حتى زرعه فارتفع غطاء القعم من دخان كثيف لم يلبث ان تجعب واكمل مارداً يروع الناظر ، فقال للصياد : اختر لك ميتة ! فقال له : اهذا جزاء احساني اليك باخراجك من القعم واطلاقك من الحبس ؟ فقال له : لقد حبسني وزير التي سليمان لصياني اياه منذ اعوام ماث ، فقلت في أثناء المائة الاولى : من اطلقني تكفلت له بكنوز الارض اضها بين يديه ، فلم يقفني احد ، فقلت في اثناء المائة الثانية : من اطلقني اغنيته وكفينه وما تركت له حاجة الا قضيتها معها تكلفني ، فاعيا بي احد ، فقلت في اثناء الثالثة وقد جبل صبري ، وامتلات غيظاً من الناس : من اتقذني قتله انتقاماً من بني آدم اجمعين !

هذه هي قصة الحيني ايهما السادة وابنا السيدات ، وما أشبهها بقصة الشريد ، يقول لنا في طفولته : اتقذوني اكن لكم خادماً حياتي كلها ، اقبلوا عزة والدي ، فلعلي اكون في مستقبلتي مقبلاً عزرات الامة في اخطر المزالق . . . ثم لا يزال الطفل الشريد يصبح لسان حاله بهذا ، حتى اذا لم يجد متقذاً له ، ولا مقبلاً اياه ، امتلاً قلبه بالحقد على الانسان ، وغلت في دمه معاني الانتقام لطفولته الممذبة ، فيكون رجلاً كل خواطره حرب على المجتمع ، واغتياً لما قتاله يداه منه .

واول واجب علينا وعلى كل من يتصدى للاصلاح ، هو ان نعي بأمر هؤلاء المردة الشردين وهم في اول مراحل الحياة ، قبل ان يستحل الشر في صدورهم ، ويكر الاثم بين جنوبهم ، ويكفروا بكل معاني الرحمة والعدالة ، فيقسموا : ليقتلن كل من استطاعوا له قتلاً ، وليلعنن اسواق الناس اعتداء وسلباً ونهباً . فلعلنا ان نعمل على ان يكونوا قوى طاملة على خير الامة واسماها ، بدلاً من ان يكونوا ادوات شريرة فتاك

أمامك فانظر : أي نهجك تهج طريقتان شقي : مستقيم واعوج ...

الطفل اللقيط

للكنتور على قزوين

مدير قسم رعاية الطفل بوزارة الصحة

سادني — سمعت القصة الشريفة فهزت مشاعرك واستدوت دموعك، والآن احذركم عن طفل آخر فاق زميله الاول في الشقاء لا يعرف اباً ولا امّاً ينسب الى احدهما بل كل آمله ان ينسب الى الانسانية الظالمة المخطئة . يستصرخك هذا الطفل من ساعة ولادته ويستنزل بالامه وعنته النضب والمقت واللمة على من كافا السبب في شقوته ولماسته

سادني — اللقيط احق من يمثل بيت ابي العلاء حيث يقول : —

هذا حياء ابي علي وما جئت على احد

ألم ينبذ بذ النواة من ام قسا قلبها فتركته في الطرقات عديم الحول والقوة ؟

ألم يحرم من حنان الاب وعطف الامرة ؟

ألم يفقد جوار الاخوة والاحوات، والاصدقاء والصدقات ؟

ألم يفقد صلته بالمجموع واتسايه للشرف ؟

ألم يسبغ عليه لقب مرذول فدعي ابن السفاح ؟

هذا هو اللقيط الذي عرفته حكومتنا بأنه كل من وُجد على قارعة الطريق، وابن سفاح ووليد خطيئة ومهده الاول ارضفة الشوارع والطرق وصناديق القمامة . كل حقه على الحكومة ان يسلمه من يجده لبلوليس في المدن او للعمدة في الارراف كي يجرر بشأنه المحضر اللازم فان اخذت الرافعة من وجده اعطي اليه والا فانه يسلم الى احد المحسنين ممن حسنت سمعتهم وكان قادراً على رعايته والا ارسل الى احد الملاجيء للاهتمام به الى حين .

سادني — لكل لقيط مره الخاص . ولكن قصة الجميع تنحصر عن اصل ثابت ورواية تكبر وتضمر بحسب ما وضعها مؤلفها بطلاها رجل وامرأة دفنهما عواطف القباب والشهوة الجائعة الى تيار ينتهي الى هوة العار والتاساة والشقاء والذلة والمسكنة لهذا الطفل الذي من يوم ولادته تسلمته المراضع وتحكم في اطعامة تديها بدون رحمة ولاحسان . هي مكره هذا لولا الحاجة ما كشفت عنها لغيرائها . ولا تنظفه الا مضطرة حتى الماء الذي يلائم لا يباله الا بعد ان تأخذ الرحمة احد المارين به . يبيت الليل ميكي فلا يجد من يواسيه . حتى اذا كبر وترعرع ترعاه القوة الرحمانية

خاف أقرانه منه فابتعدوا عنه لما يسمونه من تسميته بـ"الحرام". وكذلك في المدارس سادتي — لا تصوروا أنني أبلغ في ما قلته بل لم أحدثكم أن بعضهم يتصورون أنه إذا أصبح الصباح عليه ونظر في وجه أحدهم كان يومه يوم شؤم عليه . بل يستند البعض أنه إذا وجد في منزل جلب إليه الحراب

طفل هذا حاله كان فيما سبق ينحتم عليه أن يخرج إلى الشوارع لا يلوي على من يؤويه فيكون من المتشردين البؤساء . لا من المتشردين فقط

أسائلكم . من التسبب في شقاء هذا الطفل الذي لا يفصله عن أشرف الأبناء إلا نقطة واحدة هامة هي الزواج ليكون زينة الحياة الدنيا ومحط آمال أسرة واعزاز أخوة ومفخرة أصدقاء أسائلكم عن الجاني . هل هو الرجل أم المرأة؟ سيقول البعض هو الرجل إذ بدونه لا تد المرأة . وسيقول فريق هي المرأة إذ بدونها لا يكون حمل . وفريق ثالث يشرك الرجل والمرأة في الجرم دون أن يبين أيهما أكبر وزراً وأعظم جريرة ولكني لا أتردد فيما اصارحكم به من رأي فأقول : —

حقيقة أن الرجل شريك في الجرم فالمرأة باستسلامها وضمف ارادتها وخلقتها وطيشها وعدم تبصرها واستهواها مكنت احد الذئاب البشرية من جريمة يذهب ضحيتها طفل بريء . فهذه الأم وهذا الاب مجرمان في حق الانسانية والامومة والطفولة . ولكل عقابه في الدنيا وعقاب الام يبدأ من يوم شعور المرأة بالجنين فهي لا تقفأ لعمل جاهدة للخلاص منه . تجتهد في اشهر حملها الاولى في ائزاله بقى الوسائل فمن دواء مر الى اشربة ضارة ومن دق على البطن وقفز ووثب واجهاد في حل ائقال الى تعرض للبرد والحر مما يمرضها لكثير من الاخطار . فاذا نشبت الطفل بمكانه وأبى أن ينادره راحت كل هذه الجهود عبثاً

ماذا تعمل هذه المرأة الآن وشيح البار واقف بالمرصاد . انها تقاسي من الآلام النفسانية فوق ما تحمله اعصابها وقواها فتجد الامراض والافكار السوداء سيلاً اليها . ويتبرج تماً لتلك نظرها الى الحياة فكثيراً ما تقدم على الانتحار لتضع حداً لكل ذلك . ولكن الطبيعة تقسو عليها فتمنحها بزوال آلامها وغناها عند الوضع اذا عرفت كيف تخفي عن العيون سرها . لذلك نراها ترجع عن فكرة الانتحار وتبدأ في خلق الاسباب للابتعاد عن الناس وتمحاضى مقابلتهم فتزوي بين الجدران . تشد بطها بالاربطة وتتفنن في الحيلة وتبالغ في كتمان امرها الى اقصى حد تستطيع معه اخفاء حملها عن المحيطين بها كما سألته لكم بالحوادث — الواقعة الحقيقية . هذه الآلام المبرحة تستمر شهوراً طويلة ليمقها ما هو شر منها حين يأتي المخاض . في هذه الساعة الرهبة تستجمع كل قواها الباقية وتذرع بالماذير لئلا في مكان بعيد لا يم على فعلتها .

تكتبت آلامها فلا تتأوه ولا تنش خوفاً من سماع صوتها وانكشاف أمرها . فإذا انتهت هذه الآلام المبرحة وهذا المذاب التفساني أخذت تهسكر في اخفاء طارها فألقت به في سواد الليل وغفلة الميون على قارعة الطريق وولت هاربة تظن في كل طريقة على الباب يد البوليس المؤذنة بالقبض عليها . اما المحرم الثاني فله من عذاب الضمير اكبر عذاب طول حياته . ومن لعنات ابته عليه حتى بعد مماته ما فيه الكفاية .

سادني : — هذا ملخص بسيط لحياة حمل مستكن قدر له أن يدعى لعيباً . والآن انتقل لمسألة أخرى على جانب كبير من خطر الشأن وهي : —

ماذا اعددنا لهذا الطفل البريء وكيف نموضه ما سلبته يد الشر والنسجور هذا الطفل برىء لا ذنب له وهو ان كان غريباً عن المجتمع لما يحوطه من سرفهو على كل حال ابن الانسانية له حقوق اهمها : —

اولاً — ان لعل على بث روح النضية في نفوس الشباب وزرع بذور الدين لتثمر ثمرة فلا تقع امثال هذه الجرائم الشنيعة مستقبلاً .

ثانياً — هذا الطفل له استعداد جميع الاطفال الآخرين فهو مساو لهم في القوة والفكر والذكاء فيجب ان تفسح له طريقاً بين الآخرين .

ثالثاً — هذا الطفل البريء يجب ان يموض فيسام الاغنياء وأهل البر في رعايته الى جانب ما تقدمه له الحكومة من ملجأ يأوي اليه فيعلم ويميش عيشة قاضية .

رابعاً — يجب ان يكون هذا الطفل محل عطف بعد ان فقد كل شيء يجب ان تمنحه عطفنا ورعايتنا .

ويسرنى جداً ان اقول لكم ان كثيراً من هؤلاء الاطفال في الملجأ الذي اشرف على اطفاله يجد من عطف اولي الامر ما يحسده عليه الاخرون وكثيراً ما يتبنى بعض اهل اليسار لقيطاً وينزل له بمحض ارادته عن املاكه الواسعة بعد ان يذل العناية في تربيته .

ان في بعض هؤلاء القطاء ذكاء يجب ان يستمر وقوساً غضة يجب ان تنشأ على الخير والنضية فالواجب بحتم علينا ان نتم بهم لنكفر بعملنا الخيري عن جريرة الآخرين .

والآن اقدم لكم فلياً سينتج عن اطفال الملجأ بين حضراتكم مبلغ ما تقوم به نفوسهم اسأل الله ان يوفقنا جميعاً للخير والسلام

الطفل اليتيم

للمسيرة نيرة على

سيداتي . آساني . سادتي : قد فضل من سيقوني بحاضرتكم البيلة فذكروا الكثير عن الشريد والفقير من التواحي النفسية واللحية والصحية وأفاضوا في بيان ذلك التشرّد وقد وقوا الموضوع حقّه . لذلك رأيت ان أحصر بحالة تستحق التطويل لولا ضيق وقتكم الثمين . تلك الحالة عن اليتيم . الذي هو أقوى اسباب التشرّد والاجرام . فالقبط تأويّه ملاجئ حكومية ترعى مهد طفولته وتهيئه له عيشة صالحة . أما اليتيم الفقير فلا ناصر له ولا معين غير الله تعالى الذي جعل في قلوبكم الرحمة وأزل فيها الحنان . لتشملوه بمجهود علمي ملموس يقيه التشرّد والاجرام . ويخفف من ألم نفسه فيصرفها عن الطلح ويغنيها بحب النير والعمل الحريم .

قال تعالى (يسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير) صدق الله العظيم
حقاً ان بيان القرآن لسحر حلال — لإيجاز كلّه حثّ وأمر لاصلاح اليتيم غنياً كان أو فقيراً لأن الآية الشريفة لم تحدّد نوع اليتيم . فاليتيم الفني يحتاج الى اصلاح حاله وربيته وقد حمّاه الشرع مثلاً في المجالس الحسية . اما اليتيم الفقير البائس فلا حول له ولا قوة ولا معين سوى محسن كريم وعطوف رحيم . ورُبّ ذي بُنم لأمّ او اب اذا وصّي عليه امين يخاف الله لم يذق في بنيه لوعة الاسى كاذافها حرّى بيم الفقر

ودّ اليتيم لو رجع امه او امه بما يستطيع قائلة للموت حتى يقرى في ظلمها ويعيش بمجهودها وحتى لا يكون كلاً على المجتمع يستجدي الا كفّ لان ذلك كبير على نفسه . رأيت طفلاً مرة يبكي بحزن وحرقة في وحدة فأزعجت عليه خلوته وسألته « ما الذي يبكيك ايها الصغير ولا ينقصك شيء ؟ » في الحياة ؟ فقال « يبكيني تعب امي ونضالها في الحياة لاستكمال مطالبي واستدراار عظم من يده الامر لانني بيم اا ويؤمني جداً اب اسمع اني بيم » فشاركته بدمعة اخفيها عنه وطبعت خاطره قائلة « اعتمد على اجتهادك وستصبح رجلاً في المستقبل فتريحها من هذا التعب وتموض عليها ما فقدته من راحة وسعادة عيشة راضية هادئة مطمئنة تلك التي يبيشها الطفل المتمتع برعاية الابوين الصالحين المتقين . فينشأ ثابت الحنان مطمئن النفس كامل العقل . نشيط الجسم متوقد الذكاء يعيش في جو كلّه مرح وسعادة فنيشاً لهذا الطفل الذي حباه ربه بتلك النعم . وما أشقى وانسى حياة اليتيم . اليتيم عضو الامة المسكين الذي قست عليه الحياة قسوة ثانية فصدمته بموت امه او امه او كليهما فانزعجت منه مصدر الرحمة وينبوع الحنان والرعاية . وبذلك سعادته يؤسأ ولديه شقاء قاصح يضطرب ويقسو وتتهب في نفسه جذوة الانتقام وتبث في صدره بذور الحقد والشك لا سيما إذا دخل عليه دخيل

بعد فقد أحد الابوين فتشور نفسه . فاما ان يصير خوعاً ذليلاً كسبر القلب ضعيف الارادة . واما ان يصبح متبرداً وقد يجبره الفرد الى التشرد والاحرام . وقد يرجع أحد الابوين الذي لم يمت كثيراً من الطائفة الى قس اليتيم بما يدي من عصف وزادة في الساية به والسهر على مصلحته قهراً نفسه ويخف بعض ألمه ولوعته . واليتيم النفي في ذلك حفظاً أوفر من اليتيم الفقير ولو بحثنا في اسباب إحرام من آوتهم الاصلاحات . لوجدنا اكثر الحالات هناك ناشتاً عن فقدان أحد الابوين والاثان بدخيل على الطفل يسلبه حنان الوالد الباقي له . فينقم على المجتمع ويحاول الانتقام منه عن طريق الاحرام

وما من طائر سليل قط او سائر في طريق من طرق المصاة . إلا وافسد عليه جمال الطريق . إما جمع من ابناء الشارع وإما شردمة من بناته . وليت القبح مظهرهم نجس . إنما اولئك جوع قههم الرذيلة وانحطت مداركهم بعد إذ تدهورت اخلاقهم فحاسوا سبل الضلال . وسبروا غور كل قبيح وبذا اصح هذا التبت العائن وذاك الفراش المريب خطراً دائماً على مظهر الامة ومدنية البلاد — هم اولاء البنائى الذين لا طائل لهم . اومن حكمتا ظروف الفقر الفاهرة بالترقة بينهم وبين ايوهم . فهل تكون لهم او عليهم ؟ وهل تركهم هائمين على وجوههم يتضورون جوعاً وعرياً . او نسل على ايوانهم ومبرتهم ؟

انتم وازواجكم واولادكم في ظلال ميوتكم . على الارائك تمكثون . لكم فيها دفة ولهم مقيم . لكم في حداقها فاكهة ولكم ما تشتهون — إذا كان هذا حظكم السعيد من الحياة الدنيا فادخروا فضل الخير للآخرة عملاً بقوله تعالى « ولا الآخرة خير لك من الاولى » وسوف يعطيك ربك فترضى . ألم يجدهك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى . ووجدك طائلاً فافنى . فاما اليتيم فلا قهر واما السائل فلا تهر واما بضعة ربك فحدث . ما كان اليتيم ليرضى لنفسه اليتيم والحرمان لو كان خيراً ولكن ذلك تقدر العزى العليم . (ليلوكم ايكم احسن عملاً) فتسابقوا إلى البر . واجمعوا شتات البنائى واسقوهم كأس السطف مترعاً . وكونوا لهم آباء وضوا دُعب اعينكم فعل الخير كما فعل الرسول اذ مر النبي صلى الله عليه وسلم في يوم عيد بصبي يلبون ويرحون — ووجد بينهم صبياً ينحى عنهم ناحية ولمح على وجهه الكأبة فسأله « لم لم تفاركم فرحهم باليد ؟ » فقال « لاني يتيم » . فضمه النبي صلى الله عليه وسلم الى صدره وقال له « ابرضك ان اكون اباك ومائفة امك وقاطمة احلك ؟ » واخذه وآواه ورباه وارحمته اليتيم ان لم يمد يذوق للرحمة مذاقاً . ولا يستسبح للعطف طبعاً ان يحمل بين جنبه من المذاب الوائى ومن الشفاء انواعاً . وما ذلك الا لموت طائله . لقد قطعت به الاسباب واعوزته الوسائل وسدت في وجهه السبل ولم يبق منها الا سيل احسانكم . يعرف جل

وقته في بكاء وحزن وامل ورجاء . يبكي عائلته الذي كان بالامس واليوم يطويه الرمس . تراه يلاعب قربه ويضاحكه وما قبله شمع للرح لقد ابى عليه فقرُ الزمان الابتسام له فاخطف عائلته وعماده في الحياة . لقد غابت شمس سعادته في أفق من دم بعد ان كانت في أفق من نور متلاشي وضاح . فبا ايها الاباء امسحوا دموع اليتامى البؤساء وارحوا من في الارض برحمتكم من في السماء . ولو زاحم الناس ما كان بينهم جائع ولا عريان . ولا مظلوم ولا مغبون ، ولا فقير الجنوب من المدامع والطامات الجنوب في المضاجيع ولحت الرحمة الشقاء من المجتمع كما يبعو الصبح مداد الظلام . ولقد أعجبتني قول الشاعر المرحوم الشيخ عبد المطلب في وصف اليتيم

يقول يا رب عيل صبري فهل درى ما لقيتُ جاري
يا جارا لو أمكت احدى اذنيك من ظاهر الستار
سمعت خلف الستار صوتاً يفيك عن صبية صفار
تفككو اليك بالتهار امضها الجوع بالتهار
ولو سألت الظلام عنها نحيك الانهم السواري
فهل درى جارنا عيالا غرقى إلى كسرقر قفاري

بعد هذه الايات لا يسعني الا ان اقول لكم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ضم يتيماً بين ينامي المسلمين الى طعامه وشرابه حتى يفتيه الله تعالى اوجب الله له الجنة البتة الا ان يعمل عملاً لا ينفره الله له »



وقد جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وشكا اليه قسوة القلب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « إن سرتك أن بلين قلبك فامسح برأس يتيماً واطعمه » الكلام في وصف اليتيم كثير وجزاء الله للمحسن فلتكاف وتعاون على إقالة اليتيم من ألم يئسه ونسرع باخراجه من وحدة شقائه وخير البر حاحله وافضل ما يعمل لهؤلاء اليتامى ايجاد منازل لا يوائهم وإطعامهم وسد حاجتهم . اما امر تعليمهم فيؤكد الى وزارة المعارف . وافضل ما يكون من امر تعليمهم ان يتعلموا مع أبناء الشعب حتى لا يشعروا بألم اليتيم وباختلاف حالهم عن غيرهم والطفل شديد الاحساس سريع التأثر . يتعلمون نهراً في المدارس العامة ويلجأون ليلاً الى منازل معدة لراحتهم . يجدون فيها من الحنان ما يروض عليهم ما فقدوه بفقد الوالدين . هذه المنازل لا يمكن ان توجد قسماً ولا ان تدبر المال اللازم للاتفاق عليها وإنما جودكم واحسانكم وعطفكم على الانسانية هو السيل الوحيد لانشاء تلك المنازل فجدودوا بزدكم الله من خيره (وهو ولي التوفيق)

الطفل الاعمى

للدكتور - محمود عزمى الظفانه بك

سيداتي وآساني وسادتي : لا ادرى افصح في التعبير عما يمكن عمله لترفه عن الطفل الاعمى وتدرجه في مراحل التعليم من ان اعرض على حضراتكم شريطاً سينمائياً لمعهد الميمان الرئيسي بأميركا المعروف بمعهد Parkins Institute بالقرب من مدينة بوسطن بالولايات المتحدة الاميركية وسترون فيه طرق التعليم من رياض الاطفال الى درجة الكلية ونظم المبيتة والالعب الرياضية والتعليم الصناعي مما يدعو للاعجاب حيث ربى الطفل الاعمى وتدرج في التعليم حتى يحصل على قسط وافر من الثقافة يجعله في مستقبل حياته عضواً نافعا للمجتمع . وكما كان شعوري بما عليه بلادنا من التقصير نحو الميمان المصريين عند ما اطلعت على ما فعله تلك البلاد للقيام بالواجب نحو عيائها . وما يجعل المقابلة اشد ألماً إن نسبة الميمان في مجموع تعداد القطر المصري اكثر بمرحل من اي نسبة اخرى ولم يكن بمصر حتى القريب اي عمل جدي نحو رعاية الميمان الى ان اُنشئت الجمعية المصرية لرعاية الميمان في عام ١٩٣٢ برئاسة المغفور له الدكتور محمد شاهين باشا فأسست معهد الفلمن الضريبن بالزيتون ولا يخالك إلا قد شاهدتم شريطاً سينمائياً عن هذا المعهد في دور السينما حديثاً اخرخته شركة بنك مصر . وسعت الجمعية لدى وزارة المعارف العمومية فكرت الوزارة بأن تقوم بفترات المعهد المذكور وهو الآن تابع لما كنواة لمانتوية من تعليم الميمان بمصر على الطرق المستحدثة . وقد أخذت الجمعية على طاقها ان تجد العمل لخريجي معاهد الميمان فبدأت بإنشاء المصنع الحالي التابع لها بمحطة الزيتون أيضاً حيث يقوم اول فوج من خريجي معهد هذا القديم بصنع القرش من كافة الاصناف بنجاح عظيم ينشر بالخبر هذه الفئة السكينة . وقد اضافت الحكومة الى سخائها السابق ان اعطت للجمعية أرضاً في جهة الدقي بالجزيرة مساحتها ٦٠٠٠ متر مربع لكي تبني عليها ملجأ ومصنفاً للميمان يتسع لأكبر عدد ممكن من الصناع المتخرجين من معاهد الوزارة الحالية والمستقبلية . والجمعية لها كبير الامل في ان يعضدها الجمهور بالاشتراكات والتبرعات لكي يمكنها القيام بهذا المشروع الكبير

وبما لا شك فيه ان مكافأة الصمى خير بكثير من ان ندرس الوسائل التي تكفل بها هؤلاء المساكين بمد وقوع الصاب . ومن الممكن بواسطة التعاون الاجتماعي ان نمنع الصمى عن الكثيرين من مواطنينا الفقراء وهذا ضمن حدود الواجبات التي تأسست من اجلها الجمعية المصرية للخدمة الاجتماعية التي كانت البلاد في اشد الحاجة الى مثلها من زمن بعيد . واذا اردنا لبلادنا حياة عزيزة وجب لكل فرد منا ان ينى نفسه لخدمة المجموع والواجب على كل فرد منا ان يكون جندياً يدافع عن الاسانية للمدبة في هذه الديار وعليه ان يقدم نفسه الى القيادة العامة التي تمثلها هذه الجمعيات المباركة فلا ييخل عليها بماله او علمه أو جهوده قالى العمل منذ الآن

بَابُ الْمَرْاسِلَةِ وَالْمِنْجَاظَةِ

الدهن والسّم

والقول الفصل فيها

Oil and fat

للقريبي امين المعلوم

في مقتطف ينار الاخير مقالة ممتعة للاب الستام موضوعها الدهن جاء فيها ما يأتي : الدهن في كتب اللغة مصدر لدهن الشيء اذا بلسه . فكل ما يبل شيئاً يسمى دهناً . هذا من باب التعميم واما من باب التخصيص وعلى ما يتحصل من كتب الادب والعلم بل من اسفار اللغة نفسها فان الدهن كل مادة دسمة

ولما كان السّم يوجد في الحيوان والنبات والجماد كان تعريف الدهن كل جوهر دسم من حيوان ونبات وجماد ونحن نؤيد هذا القول بالنقل عن الأئمة

وجاء في هذه المقالة الدهن النباتي ما يستخرج من عصر بعض الانبنة التي فيها زيت كالبلان والزيتون والزئبق والحردل والسسم والجوز واللوز والجوز والمشاووز وهي كثيرة جهة العدد واحسن دليل على وجود الدهن في النبات ما جاء في سورة المؤمنين « وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصنع للاكلين » فليس شيء اوضح من هذا الكلام على وجود الدهن في الزيتون ولا جدل في هذه المسألة — انتهى كلام الاب المحترم ثم زاد على ذلك وصف الدهن والزيت وقال ما محصله ان الدهن غير الزيت وأنه مادة دسمة تدخل في بعض الزيوت . قلت وقد ذكرت هذه الآية في مقتطف ابريل من سنة ١٩٣٦

الى ان قال: وجود الدهن في الحيوان امر لا ينكر . قال ابن البيطار في ترجمة (الفاوند) : أبو الباس الحافظ : هو دهن معروف لونه مثل لون السمن ، وقوامه في الجمود كذلك . وهو

مروف بالحجاز يؤتى به من اليمن ومن بلاد الحبشة . ويأتهم من الهند « الى آخر ما قاله وهو لا يريد زيت الزيتون ولا غيره . أما الديميري فيقول : « القاوند طائر يتخذ وكرة على ماحل البحر » . وهذا الطائر المتخذ منه « شحم » القاوند المعروف وهو قيم المقد . . . الى آخر ما قال . فإسماء أبو الباس الحافظ « دهنًا » سماء الديميري شحمًا لانهما شيء واحد . قلت ليس هما شيئاً واحداً فإذا دقتنا كان الصواب في جانب الديميري لان الدهن على التدقيق لا يكون في الحيوان بل مادة في الثبات وهذا حيوان . الى ان قال الاب انتاس وهذا أين دليل على ان الشحم والدهن من جنس واحد فهو شحم اذا كان جامداً وهو دهن اذا ماع او لم يجم . قلت فقولهُ من جنس واحد كقولنا الضأن والمز من جنس واحد فالضأن من ذوات الصوف والمز من ذوات الشعر وكلاهما غنم ولكنهما مختلفان فالدهن مختلف تمام الاختلاف عن الشحم في الفصيح من الكلام كما سيجيء

الى ان قال : وأهل بغداد يسمون السمن دهنًا ومنهم من يقول دهنًا حرًا لتمييزه عن سواء من شحم وزيت الى غيرها ويقولون « هذا اللحم دهين » اذا كان كثير الودك والشحم فيقول الاطباء والكتبة المواد الدهنية اصح من قولهم المواد الشحمية لشبهة اللفظة عند جميع الناطقين بها من مصريين وسوريين وعراقيين الى غيرهم . قلت فليسمح لي الاب انتاس ان اقول ان هذا الكلام فيه شيء من مخالفة الواقع فالعراقيون لا يقولون دهنًا بهذا المعنى بل يقولون دهنًا كما مرّ والدهين غير الدهن الى ان قال الاب انتاس لان صحة الدهن لا غبار عليها اذ تني الشحم والزيت وكل مادة دسمة اذ في الالية دهن وشحم وفي الانسان دهن وشحم وفي الامعاء دهن وشحم ، قلت هنا فيه شيء من مخالفة الواقع ايضاً وخطأ فيسيولوجي والصواب ان يقال الشحم فقط في جميع هذه المواضع اي يقال ان في الالية شحم وفي الانسان شحم وفي الامعاء شحم فلماذا دهن وشحم فان كاتب الدهن هو ما يريدُه الاب انتاس فليحذف منه الشحم وإن كان الشحم فليحذف الدهن اي يحذف واحدة منها ولكن الاب انتاس لا يزال يعتقد ان الدهن بلفظ مصر والشام صواب ويصعب زحزحته عن هذا الاعتقاد فليأتني بشاهد واحد من كتب اللغة ان الدهن معناه الشحم ولكنه لا يقدر . ألا ترى ان أحمد قارس وقد رأى

اميرة لبنانية في صومعة راهب « في مار الياس » شويًا قال قد ملأت الطنفسة شعجًا ولحماً ولو تكلم بلغة لبنان وهو لبناني لقال لقد ملأت الطنفسة دهناً ولحماً ولكنه أتر اللغة الفصحى فقال شعجاً ولحماً . الى ان قال الاب انتاس هذا فضلاً عن أن الشحم كلمة مبتذلة صارت اليوم من لغة القصاصين والحقامين والشحامين فما قول الاب المحترم في آية وردت في سورة الانعام والآية هي « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها الا ما حملت ظهورها او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزئناهم بينهم ولما لصادقون » الآية . ولا اظن الاب المحترم يقول الآن انها مبتذلة ومن لغة القوم الذين ذكروهم ولا أنهم كيف ينفل عن ذلك وهو لا ينفل عن شيء ثم إنه لم يأت بشاهد واحد يثبت ان الشحم هي الكلمة الفصحى ولكنه وجه كل عناية لفظ الدهن ومن الصب زحزحته عنه قالشحم هي الكلمة الفصحى لهذا المعنى والدهن طمية بلغة مصر والشام ولهم عنز في الشام لانهم يستعملون الدهن في لبنان وبعض قرى الشام بمعنى الشحم المذاب اي الاحالة وهو سبب خطأ اهل الشام فيما اظن

هذا وقد ورد ذكر الشحم مراراً عديدة في التوراة وهو بمعنى الشحم في القرآن الكريم وانكليزيته Fat or grease وفرنسيته Corps gras ou graisse وقد ذكرت هذه الالفاظ خدمةً للسعد الطبي في دمشق حتى يأخذوا بها

اما الدهن والزيت فورد مراراً في التوراة وما بمساها في القرآن الكريم على ان الدهن معناه في التوراة وفي بعض الاماكن منها المطيب من الزيت والزيت في اماكن اخرى فكله زيت . اما الدهن فانكليزيته وفرنسيته Oil or huile ومن قال غير ذلك فليقتني بكتب اللغة لا يغيرها ان كلمة دهن هي الشائمة في جميع انحاء الشام للشحم واريد بالشحم ما هو وارد في القرآن الكريم اي ان الشحم هو الودك جميعه لا كما يظن العامة هو شحم الامعاء فقط ولكنهم يقولون في لبنان وجميع قرى الشام دهن للشحم المحفوظ ويسمونه قاورمة وهو اللحم بد قطمه قطعاً صغيرة واضافة شحم الالية وغيره من الشحم وطبخه وم يسمى قاورمة ايضاً قاورمة واظنها تركية وهو السبب على ما اظن في تسمية الشحم بالدهن والله اعلم

هندسة الكون

بحسب ناموس النسبية

رد على قد

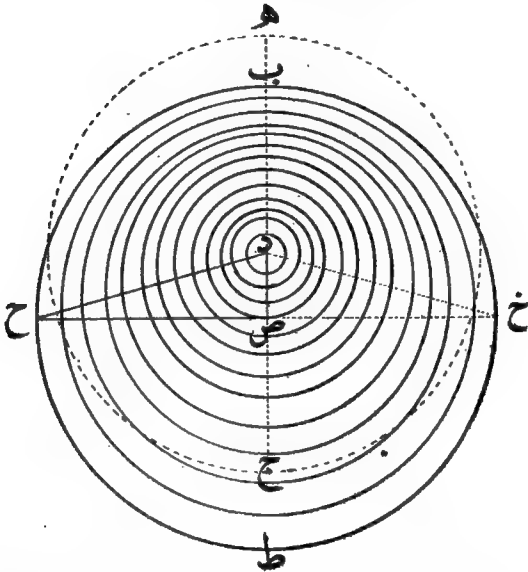
نقد المهراد

اشكر لحضرة البعثة الدكتور اسميل احمد ادم عنايته بقدر كتابي « هندسة الكون بحسب ناموس النسبية » في مقتطف يناير الاخير (صفحة ١١٤ — ١١٧) وارحب بملاحظاته القيمة رحاب المفكر والمتبحر في كل فكرة دقيقة عميقة . واشكر له ايضاً ثناءه وتقديره قيمة تبحر المشتقة في بحث موضوع النسبية الذي يحدّ أعرض الموضوعات العلمية في هذا العصر وأهم ما في تقديم ملاحظته بشأن تفسير ظاهرة تقلص الاجسام في اتجاه سرعتها . وقد فهم من تفسيري لما اني اعتبر هذا التقلص حقيقةً فوريقيةً اي حقيقةً طبيعية واقعة . ثم يوزع بوجود التفريق بين الواقع والظاهر بقوله بحروفه : — « يجب ان نفرق بين ما هو داخل في نطاق الفوزيقا الثانية مما هو راجع لاعتبار انساني ، وبين ما هو ضمن الفوزيقا الاولى مما يرضي لعالم الطبيعة من حيث هي . لان موضوع الفوزيقا الثانية يتصل بعالم المظاهر ، بينما موضوع الفوزيقا الاولى يتصل بما هو واقع . اذن فلنا ان لسأل هل ظاهرة التقلص في الاجسام في اتجاه حركتها حقيقة واقعة ام هي حقيقة تتصل بعالم المظاهر ، فان كانت حقيقة تتصل بعالم المظاهر فهل يصح تفسيرها تفسيراً واقعياً ؟ »

يوجد حضرتي جوابي عن هذا السؤال : أولاً في اسفل صفحة ٢ وأعلى صفحة ٣ ثانياً في الفصل السادس ولا سيما في اواسط صفحة ٥٩ حيث حتمت الفقرة بهذه العبارة : نقرر ان هذه المسافة تعتبر متقلصة : اي انها في نظر عمر أقل مما هي في يقين زيد . اي ان هذا التقلص حقيقة ظاهرة في نظر عمر . ولكنه غير حادث بتأك في يقين عمر . وهذا هو المراد بالنسبية وفي فصل التوافق (السابع) يوضح جيداً هذا الفرق بين الواقع في يقين احد مراقبين والظاهر في نظر المراقب الآخر

والظاهر لي ان حضرتي يشير بالخلط بين الواقع والظاهر الى تفسيري لتقلص في الفصل الثاني (صفحات ٣٥ — ٤١) ، او انه بحسب ذلك التفسير تفسيراً لتقلص الظاهر كأنه تقلص واقع حقيقة

على ان ادينتون نفسه الذي بئيت تفسيرى ذلك على قوله الموجز في تحليل التقلص يسأل
 نفس السؤال الذي بدأه حضرة الدكتور اسميل . ثم يقول ادينتون : ان هذا التقلص حقيقي
 واقعي Real وحقيقي يقيني True وليان الفرق بين الحقيقتين تنظر نظرة الى الرسم الذي
 فسرت به التقلص تفسيراً وصفيّاً ورياضياً



لتفرض ان زيدا يقم في النقطة (ص) وهي تنقل به الى النقطة (د) قالوا فعنده Really
 ان المسافة التي ينتقلها من (ص) الى (د) لا تقلص . واما عمر المراقب وراء (ج) خارج الرسم
 مثلاً فالحقيقة Truly في يقينه ان تلك المسافة متقلصة . — لان الامواج الكهربائية التي تبلفه
 خبر انتقال زيد لا تصل اليه إلا بعد ان يكون زيد قد تجاوز النقطة التي كان فيها حين صدرت
 للوجة منها ورحلت الى عمر

اذن التقلص الذي علته هو حقيقي true في يقين عمر وان كان غير واقعي not Real عند زيد . وعلى هذا الاعتبار قامت النسبية

ولو انتقل عمر الى جنب زيد بنته لانتفت هذه الحقيقة عنده . والدكتور اسماعيل نفسه يترف (في وسط صفحة ١١٥) بأن « الراصد اذا نظر الى جسم مسرع بسرعة النور لا يهود يراه الا كصفحة رقيقة » . وازيد على قوله ان الجسم اذا تجاوزت سرعته سرعة النور لا يهود الراصد يراه بتأناً ، لان النور لا يدرك الجسم المسرع لكي ينكس عنه الى الراصد . واذ كان الجسم للسرع قسمة منيراً فلا يصل نوره الى الراصد الا احمر او ما تحت الاحمر infra-red . وان زادت سرعته ايضاً فلا يهود الراصد يشعر بنوره بتأناً لان امواجه تصبح من طبقة Octave غير الطبقة الثورية التي يحس بها البصر الانساني

فهل يا ترى تقلص الجسم المسرع (كسرعة النور) الذي اصبح كلوحة رقيقة ، ثم اختفاؤه ، ثم اختفاء شعاعه ، بتأناً عن عين الراصد — هل هذه الحالات الثلاث اوهاى في خيال الراصد مخالفة للواقع ؟ ام هي حقائق يقينية له ؟

لا ريب انها حقائق (true) يقينية له . اذا الجسم المسرع متقلص تقلصاً حقيقياً في يقين الراصد ، وغير متقلص في يقين من هو راحل معه (اي مع ذلك الجسم) . وعلى هذا الاعتبار قامت نظرية النسبية

وحاصل القول انه ليس في مباحث الكتاب ما يثبت اني لا افوق بين النظرين — نظر المراقب البعيد للجسم المتحرك ونظر من هو مرافق للجسم المتحرك ، خلاف ما توهم حضرة الناقد بقيت ملاحظة حضرته في قضية « التوافق » واعترف بكل تواضع اني لم افهم ماذا يعني بها . وقد راجعت ما كتبت في صفحتي ٦٨ و ٦٩ فلم اجد التباساً ولا غموضاً فيه يوم ما يخالف نظرية اينشتاين . بل بالعكس فيه صراحة ووضوح يوافقان النظرية

وقد اشار حضرته اشارتين الى قضية انحراف شعاع النور عند مرورها على مقربة من الشمس ، وقضية تمدد الاهتاد الارمية . ولم يفصح فيها عن ملاحظتي « وضرب حضرته مضجعا عن الاخطاء الاصطلاحية وهي كثيرة في الكتاب » في رأيه . فخذوا لو ارشدنا اليها ودلّنا على تصحيحها في متون لنتنا المرية او في اعمال المجمع العلمي الفرنسي الموقر . فزيد شكرًا على شكر

واخيراً أرجو من حضرته ومن كل من يطلعون على الكتاب ان يثقوا اني لا ادعي العصية — معاذ الله — ولا اتبرأ من الخطأ في بحث النسبية المويس ، الا اذا قدر لي ان اكون اينشتاين قسماً او احد انداده . وهو الامر المستحيل

مكتبة المقتطف

العشرة المقدمة في تاريخ الفكر العربي

قرار لجنة التحكيم

اجتمعت اللجنة في تمام الساعة الخامسة من مساء الجمعة ١٤ يناير سنة ١٩٣٨ وحضر جلستها كل من الاستاذ ا. ا. ر. ح. جب استاذ اللغة العربية بجامعة اكسفورد وعضو مجمع اللغة العربية الملكي والاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق استاذ الفلسفة الاسلامية بالجامعة المصرية والاستاذ احمد امين استاذ الادب العربي بالجامعة المصرية وامامويل مظهر سكرتير المجمع المصري للثقافة العلمية وفؤاد صروف محرر المقتطف ، وقرئت الرسائل وعددها خمس ، وقد رأت اللجنة ان رسالة منها غير مستوفية لشروط المسابقة وهي الرسالة التي رمز صاحبها لاسمها بحرفي « ك . ن » أما الرسائل الاربع الاخرى التي استوفت شروط المسابقة فقد رأت اللجنة ان كاتبها لم يلحظوا تماماً الاسلوب الذي احتير لكتابة الرسائل ، ورأت فوق ذلك ان اصحابها اعتمدوا على الترجمة في الاكثر دون الرجوع الى المطائف الاصلية ، فوقت اخطائاً في بعض الاسماء المشهورة واطلاء اخرى في اسماء كتب عربية معروفة ، وانهم جروا على طريقة العرض لا على طريقة التحليل الفلسفي او الادبي الذي يظهر من البقرية والعظمة في شخصيات من اختاروهم من المظاء

وبعد البحث والمقابلة قررت اللجنة ان لا تمنح الجوائز التي نشر عنها لأحد من الكائنين واحتفظت بالانظر المحتوية على اسماء حضراتهم غير مفضوذة ، وقررت كذلك ان توجه الشكر الخاص الى حضرة صاحب السادة اسعد باسيلي باشا وان ترغب اليه ان يتي هذا المبلغ من المال ومن عمل ادبي آخر رأت اللجنة ان يكون على غير اساس المباداة بان يهدى الى كتاب مختصين في كتابة فصول في موضوعات مختلفة وأن يوزع عليهم هذا المبلغ مكافأة لهم ، ثم تقوم لإدارة المقتطف بطبع هذه الفصول في كتاب يهديه لمشتريها باسم سعادة الواهب لذكرى الدكتور يعقوب صروف ويلي ذلك : التوقيعات

في منزل الوحي

تأليف الدكتور محمد حسين هيكل بك

كثيراً ما تميّزت لو ان المشتغلين بالتصنيف الفني الميق من كُتّاب الرية الذين زاروا الحجاز وعرفوه، يُعنون بهذه التاحية كناية علامة الهند السيد سلمان الدوي في كتابه (أرض القرآن)، وكناية شيخ مسقشري هولندا هرغونجه في كتابه الكبير عن مكة والحجاز. ولما أفت في مكة والحجاز شطراً من سنوات الحرب العظمى أخذت أُستد هذه المهمة، وجمعت لها مواد أغبط بها^(١)، لكنني تبيتُ اخراجها في كتاب ارتضي، لان الموضوع أعظم من ان يلّم به بحب الكمال ما لم ينقطع له. والى الآن لا تزال للمكتبة الرية مفتقرة الى الكتب الحيدة عن بلادنا للقدسة، وعن سائر بلاد العرب وأقطار المسلمين، وكان من حق قراء الرية على كُتّابها ان يملأوا هذا الفراغ ويفتقروا فيه، لولا ان المشتغلين بالتصنيف اتخذوه في الحقبة الاخيرة وسيلة للاستئلال والكسب وقل من ينقطع منهم لخدمة العلم لاجل العلم وحده

أما كتاب (في منزل الوحي) الذي اخرجهُ للناس في هذه الايام معالي الدكتور محمد حسين هيكل بك، فان اثر الصاية والبحث والتفكير بادية للقارئ في كل فصل من فصوله. وقد قال في مقدمته يصف ما توخاه فيه: «لقد وجهت اكبر عناية الى آثار الرسول الكريم في البلاد المقدسة، وجعلت جلّ همي ان اسير حيث سار، ألتمس ما في حياته من اسوة وعبرة، وأرجو ان ألق على شيء من السر الذي هبأ هذه البلاد لتكون منزل الوحي الى النبي العربي خاتم الانبياء والمرسلين. ولم أتقيد في تفكيري وتأملي أمام شيء مما رأيت بشير منطقي وعقيدتي الذاتية اللذين كوّنتهما الطريقة العلمية الحديثة. فأنا لا اسلم بالعقيدة الموروثة اذا لم يكن لها اساس غير ما وجدنا عليه آباءنا، ما لم امتحنها وأعصها، وما لم اصل من امرها الى الايمان بانها هي الحقيقة كما يسبها عقلي ويطمئنّ اليها ضميري. ولقد جعلت السير في اثر الرسول غرضي من يوم أمنت مناسك الحج. والحق اني لم اجد مشقة في تعرف الآثار التي هدمها الوهايون قبائها، لكنني انما وجدت المشقة في الاعتداء الى آثارها في تاريخ المسلمين الاولين أثر بالغ. من ذلك اختلاف الاقوال على موقع حنين حيث كانت الفزاة التي تركت في تاريخ الاسلام اثر أقل كنهه اثر. ومنه اختلافهم على موقع عكاظ سوق العرب جميعاً في الجاهلية وفي صدر الاسلام. وانما سوّغ

(١) نشرت منها في السنة الخامسة من مجلة (الزهراء) فصلا عن عهد جرهم في الحجاز، ونشرت في السنة الثانية من المجلة السلفية فصلا من الكتابات الباقية على بعض جبال الطائف وفي طريق الطائف الى مكة

الجهل الذي خيم على بلاد العرب من عصر الياسين هذه الجناية التكرار ، كما جوع امرأ لا يقل عنها نكرأ ، فقد اقيمت آثار لحوادث وقعت وليس في التاريخ ما يدل على انها وقعت حيث تقوم هذه الآثار ، واقيمت آثار لحوادث لا يعرف التاريخ الحق من امرها شيئاً . وتحقق ذلك كله وبيان قيمته العلمية امر جدير بكل من يريد الحقيقة . وقد حاولت من ذلك ما استطعت . لكن هذا التحقيق يحتاج الى اضافة الزمن الذي قضيه بالحجاز . وكان حديث الآثار الصحيحة التي وقفنا عندها كله البلاغة في التعبير عما تدل عليه وتوجيه الى النفس من أي الجلال والمظنة . فيل حراء والفار في قننه ، ومسجد عداس بالطائف ، ومسجد العقبة وجرتها ، وجبل ثور وعثبا رسول الله وابي بكر بالفار فيه ، والطريق الذي سلكه النبي الى المدينة في هجرته من مكة ، ومسجد قباء ، والمسجد النبوي والآثار الكثيرة بالمدينة ، وميدان بدر حيث وقعت الفزوة الاولى بين قريش والمسلمين ، هذه المواقع وما اليها كانت تثير امام ذهني ذكريات مليئة بالحياة كما حدث بالامس ، وكانت توحى اليّ معاني الاكبار والاعظام وتزيدي اجلالاً لهذه الاماكن في صمها السبق لم ينشر منه توالي القرون »

الى ان قال : « ليس هذا الكتاب مرجعاً من مراجع التاريخ الاسلامي ، ولا شيء فيه من تقوم بلاد العرب . انما هي وقفات وقفها في بلاد الوحي ومنزله استوحى فيها مواقف محمد عبد الله ونبه ورسوله . وهناك في هذه المواقف تجردت نفسي وصمت روحي وكررت بالصور والقرون اطوبها وروح اتمثل هذا الهادي الكريم ، وأتمثل المسلمين من حوله أتمس في ذلك الاسوة والعبرة آملاً ان اشرك فيهما اخواني . لم اتقيد في هذه المواقف بما جاء في كتاب غير كتاب الله ولم أخضع تفكيري لحكم غيري . لقد تركت نفسي على سجيها ، توجه بوحى روحي وتسلمهم الحق من حولي ، وتعرض ما تستلهم على حكم عقلي وتقدير ضميري ، ثم سطرت ما اجتمع من ذلك لاجبي الا رضاء الله وحسن نوايه »

ثم قال « كيف استطع ان تنقل ثقافة الغرب الروحية لشخص بهذا الشرق ، وبيننا وبين الغرب في التاريخ وفي الثقافة الروحية هذا التفاوت العظيم . لقد خفي هذا الكلام عني سنوات كما لا يزال خفياً عن كثيرين . وقد حاولت ان انقل لانياء لنقي ثقافة الغرب المعنوية وحياته الروحية لتتخذها جميعاً هدى ونبراساً ، لكنني ادركت بعد لأي انني اضع البذر في غير منبته فاذا الارض تهضمه ثم لا تخرج عنه ولا تبث الحياة فيه . واتقبلت النفس في تاريخنا البعيد في عهد الفراعين مؤثلاً لوحى هذا العصر ينشئ فيه نشأة جديدة ، فاذا الزمن واذا الركود العقلي قد قطعا ما بيننا وبين ذلك الهدى من سبب قد يصلح بذراً لهضة جديدة . وروأت قرأت ان تاريخنا الاسلامي هو وحده البذر الذي يثبت ويشمر ، ففيه حياة تحرك النفوس وتجعلها تهتز

وتربو . ولابناء هذا الجيل في الشرق قوس قوة خصبة تنمو فيها الفكرة الصالحة لتؤتي ثمرها بعد حين »



هذه مقاطع من كلام المؤلف عن موقفه من موضوعه ، ووصفه العمل الذي اقدم عليه ، وهو يعتبره تمهيداً لبحوث جامعية يؤمل في اهل البحث من رجالنا ان يقوموا بها ، لان تركة السلف لا تزال بكراً وفي حاجة الى الايدي الرقيقة من اصحابها لتنظيمها وبث الحياة فيها واستمداد الحياة منها

وهذا السفر القفيس الذي تقدم به هيكل بك الى قراء العربية في هذه الايام يتألف من ستة كتب اولها في فرض الحج والرحلة اليه حتى وقفة عرفة واما التشريق . والثاني عن البلد الحرام وصف فيه مكة الحديثة وابن السموذ بمكة والجمعة في الحرم وجوف الكعبة وآثار مكة وغار حراء وغار ثور وظاهر مكة . والثالث عن الطائف وآثارها وباديتها وما كان للعرب فيها من اسواق . والرابع عن طريق المدينة ووحى المدينة . والخامس في المدينة ومسجدها وآثارها وبقيعها وظاهرها . والكتاب الاخير عن بدر وشهدتها وأوبة الرضا . ثم تساءل في خاتمة كتابه : ما بال قوم في عصور وبلاد مختلفة جحدوا الحياة الروحية وكفروا بفضل الايمان ؟ وبطل الدكتور ذلك بان تعاليم عصور الانحلال انصرف الحظ الاوفر منها الى الجانب المادي من الحياة والى تمطيه بكتب الفقه وقواعد الشرع ، فنفذاً عن ذلك تفرط في جانب الحياة الروحية التي تصورها صورة مادية لا يزيد مداها عما يقع عليه الحس ويضمصر في حدود ادراكه ، تخضعت الائم الاسلامية لغيرها بسبب ذلك التفرط واذعن لسلطان من آتام العلم مغايج السلطان . ولا مفر لبث الحياة في الامة من تضافر مقررات العلم ومقررات الالهام لتنظيم الحياة ، ولا مفر من الاحاطة عن طريق العلم والالهام جميعاً بحياة الكون الى غاية ما ندركه من مدى الزمان والمكان ، نعرف موضع الانسانية منها وما تطيقه من نشاط فيها ، لتؤدّي رسالتها في الكون على خير وجه ، بان تبتذل في الاتاج العقلي والروحي اخصب مجهود واحكم واعظمه ، ولتؤدّي هذه الرسالة عن ايمان بها هو الحافز الصحيح لعمل المثمر



ان كتاب (في منزل الوحي) لا يقتصر على انه وصف للانطباعات التي شعر بها الدكتور هيكل بك وهو في منزل الوحي ، بل هو فوق ذلك حلقة من تاريخ التطور الفكري عند المؤلف قد يكون لها شأنها فيما سيصدر عنه بعد اليوم من اعمال قبيصة اخرى . وهو كتاب خليق بان يقرأه الشباب المتقشف من قراء العربية في جميع اوطانها .
حسب الدين الخطيب

كتب شرقية باللغة الفرنسية

— ٩ —

E. Dinot et El Hadj Sliman Ben Ibrahim—La vie de Mohammed,
Prophète d'Aallah — Paris, G.— P. Maisonneuve, 1937.

أ. دينيه والحاج سليمان بن ابراهيم

سيرة محمد، نبي الله

قد كثرت التأليف عن سيرة النبي العربي في السنين الاخيرة سواء في الغرب او في الشرق وهذا الكتاب يمتاز عن غيره بأن أحد صاحبيه فرنسي أصله وحسن اسلامه فراح يكتب في شؤون الاسلام كتابة المهتر قلبه الملتصرح صدره

فضم هذه السيرة اهم اخبار النبي وهي مسرودة كأنها صور متلاحقة ، ويرجع ذلك الى ان المؤلف الفرنسي رسام . ومصادر هذه السيرة لا تخرج عن المعروف من طبقات ابن سعد وسيرة ابن هشام والسيرة الحلبية . وقد التزم المؤلفان المنقول في تلك المصادر ولم يذعبا في السياقة مذهب الناقد ولا المنقّب لانهما يعدان مثل هذا المذهب مدرجة للخطأ والتعامل

وربما يهيم الفارئ العربي ان يعرف رأي (ا. دينيه) في سيروية الاسلام . فقد ذكر الرجل في خاتمة الكتاب ان اسباب انحلال الفوكة الاسلامية ترجع في رأيه الى ثلاثة امور . اما الاول فابتعاد جمهور المسلمين منذ القرن الاول عن السنة المحمدية . واما الثاني فهجوم خرافات الامم الداخلة في الاسلام على الدين الحنيف وانتشار منالاتها . واما الثالث فاقلاع المسلمين في العهد الحديث عن نظام قائمة المال ذهاباً منهم انها تدخل في الربا . فبهذه هذه الامور تزول اسباب انحلال شوكة الاسلام . واما ما يُنتهم به الاسلام من انه مبني على التصب وتعدد الزوجات والاستسلام للقدر فكلام لا محصل له في الواقع لان في الاسلام الصحيح ما يفيق التشيع لبن على دين ولان تعدد الزوجات من طريق الشرع خير من الزنا ولان الاستسلام للقدر اسلام لمشيئة الله وليس بتوانٍ وتعود عن العمل ودليل هذا الجهاد ثم يحتم المؤلفان كتابهما وسط الآمال الجسيمة المطلقة على الاسلام بعد ان يتقن المسلمون سباتهم الموقت عن اعينهم

— ٢ —

Out el Kauloub, Harem, Librairie Gollimard, Paris 1937

هذه مجموعة قصص قصيرة ألفها السيدة الجليلة قوت القلوب بالهنة الفرنسية ولشهرتها المجلة الفرنسية الحديثة فيها تنشره من المؤلفات المستقلة الخاصة بالاقصوة الحديثة . وقد عمل الكاتب الفرنسي الشهير بول موران مقدمة لهذه المجموعة اشار الى خصائص فيها . ولا شك ان هذه القصص القصيرة تروق قراء الغرب لما فيها من الوصف الدقيق والبيان الواضح والتحليل النفساني الصادق لعادات الامة المصرية المنتشرة قبل تحرر المرأة في المدن . وكان يحسن باحدى النساء القطعات ان تدون ما يتعلق بكل هذه العادات قبل ان يبدد قنوق على تحول السير مرجحاً اميناً لمن يجب ان ينظر الى ما كان

فلهذه المجموعة اذن ميزتان . واسلوب الكتابة فيها سهل بسيط مطرد ، لا اغراب فيه ولا تمسف . الا أنه ربما اندس في نواحيه تمايز عربية منقولة الى الفرنسية من غير تبديل فتدخل في الاسلوب الفرنسي شماعاً شرقياً لا يخلو من اللطف واغترف قصص هذه المجموعة حفلة الحينة ومدير القرية والذكر في جامع سيدي الغربي ويوم شم النسيم

— ٣ —

الوحدة السورية والصيرورة العربية

بقلم ادمون رباط من نواب سوريا

Edmond Rabbath, Unité Syrienne et Devenir arabe, Paris 1937.

هذا مؤلف قديم يبحث في النظام السياسي القائم في سوريا نظراً الى وضعية التخوم وهيئة الدولة وشكل المعاهدات وفي الامة العربية من حيث انها مجموعة افراد يحسون احساساً واحداً بالقومية القائمة على وحدة الارومة والحضارة والاقتصاد من جهة، والارض والدم من جهة اخرى . ثم يبحث في لغأة الاستقلال اللبناني وشكله وتضخمه وانحرافه مع ما يكتنفه من التزامات الاقلية كنزوات الدروز والعلويين واهل اسكندرون ثم يمرض لفكرة الولايات العربية المتحدة فيفحص عن النظام التي تقوم عليه من ملزمات حيوية ومعاهدات تجارة ووحدة « جارك » ثم يختم البحث باسترسال في الكشف عن سياسات الدول الاوربية ازاء الشرق العربي مع الوقوف عند السياسة الفرنسية . وهنا ذهب الاستاذ ادمون رباط مذهباً فيه صراحة وقوة اذ لم يخف ان الحركة العربية سائرة في طريقها لا محالة بفضل الناصر المستمرة وبفضل تكون الفكرة القومية فالحكمة ان تسلم فرنسا بالواقع فتدعى هذه الحركة بدلاً من ان تعمل لحقتها بشر قاروس

المعجم القضائي - الجزء الاول

تأليف خليل شيبوب - صفحات ٣٧٣ بقطع المقتطف - مطبعة البعير بالاسكندرية

عرف قراء المقتطف خاصة ، وادباء الغد عامة ، شاعر الفجر الاول ، خليل شيبوب ، فلسوا في شعره صدق الماطفة ، ولحوا دقة الخيال والتصوير ، كما عرفوا فيه الديباجة المشرفة ، وما هو يطلع على قرائه من ناحية جديدة كنا ما زال في حاجة قصوى الى أثر فيها ، فوضع للدوائر القضائية معجماً أصدر منه الجزء الاول الذي بدأه من عرف A الى منتصف الحرف D والذين يعرفون سعة اطلاعه على آثار لفته يدركون الدقة التي راعاها المؤلف في نقل مصطلحات هذا المعجم . والى القارئ جانباً من توطئته التي اجمل فيها اغراضه وطريقته :

هذا الكتاب أمنية حققناها لانها في قسي صدى شعور عميق بالحاجة الى مرجع يصيب منه المشتغلون بالامور القضائية قولاً شارحاً . يكون جامعاً مانعاً . يقفون به من معاني اللفظ عند حدوده . ومن دلالاته عند المنصور على مقصوده . ولا يفي بمثل هذا الغرض الا المعجم وجيزاً تبسط فيه الالفاظ القضائية كافة . وتشرح شرحاً دقيقاً يستوعب معناها . ولا يمتدأ الى سواها ولا تزال اللغة العربية قتيبةً بصيغها القانونية الحديثة إذ لا يرجع عيها بها الى ابد من خمسين سنة . وهي فترة المهمل هذا العلم اذا عرفنا ان غيرنا من الامم تالج موضوعاته وصيغته منذ عشرات القرون .

يبد ان اللغة العربية خلعت بهرج من فروعه لا يمتدئ للوضوحات الفقهية المعروفة فزخرت كتبها بالتبصيرات الاصلية . والقوالب الثالثة الطريقة . حتى ان المطالع المترسّث لا يبرح مقتون اللب من مرونها على تصرف أدق الماني . والساعها للاعراب عن امير خطقات الخالقات والموافقات . ولكن الاكباب على اكثر هذه الكتب . والايقال في استنباط دقائقها أمر شاق مرهق . لما فيه من تطويل في المتن . وشرح في الحواشي . وتعليق على التشرح . وشرح على التعليق . مما يذهب بالعصر . ويضيّق به الصدر

أما المؤلفات الحديثة فقد خلعت بهرج القانون كافة ولم تغفل منها قتيلاً ومنها ما يمدد بحق آية من آيات هذه الصناعة . ونبراساً يهتدى به في حلك الابهام . والتغيب عن مستغل اللفظ . ولكنها قلة الى جانب الكثرة . والمؤلفون الاعلام ما يرحوا يلتسون طريق اللغة الى الماني لأن الصجمة طاغية عليهم . ودقائق تلك الماني متنافرة مع عقلية الفصحى اذا صح هذا التعبير

فلما عقدتُ العزيمة على وضع هذا المعجم صُنِّت لي طرائق ثلاث لم أَر مندوحةً عن تخيير أحداها :

أما الأولى فكانت توجب عليّ الرجوع إلى كتب اللغة والفقه . واستنباطها كافة لاستخراج اللفظة العربية الصبيمة التي لا يمكن تبديلها ولا تحويلها . ولكنني رأيت الصر اضيق من أن يتسع لمثل هذا العمل حتى ولو توفر له كل الوقت وجاز الافتراض بأن قلماً منفرداً يقوى على التهوض بمثل هذا الصب السكير

أما الثانية فهي الرجوع إلى كتب القانون الحديث واستخلاص هذه الالفاظ من مظاهرها . وإقرارها على ما هي عليه في مكانها من الترتيب المجاني . إلا أن هذه الطريقة أدنى خصائصها العجز والكسل . بل هي أدنى خطّة واحط منهاجاً . ولا أكذب الله أني لا أقر كثيراً من الصيغ والالفاظ التي درج عليها الشرّاح الحديثون . فإلى هذا ذهبت . ولا في هذا رغبت فلم تبق أذن إلا طريقة وسط يساق القلم فيها قدماً بين هاتين . وهي التي ذهبت إليها . ورغبت فيها . فقد راجعت كل ما توفر لي من كتب الشريعة الفراء واطتقت منها اللفظ الذي رأيته ملائماً للمعاني الحديثة . ثم راجعت عدداً كبيراً من كتب القانون الحديث . واستنت على كثير من الالفاظ بكتب الادب وبما استقام لي من معرفة باللغة أصبها من اشتغالي بها سنوات طويلة نظماً ونثراً

ولقد علمت على مجازاة العرف في كثير من اللفظ حتى يألمس القارىء بما ألفه على أن يكون صحيحاً . أما إذا عرضت لفظاً أصبح معنى ومعنى فقد رأيته ملزماً بذكر اللفظة المشهورة إلى جانب التي أراها أقوم في التعبير . واتصد في أداء القصد

وأما الترتيب القانوني فقد اعتمدت فيه على اصدق المراجع الفرنسية وأخصها القاموس الذي وضعه حديثاً نخبة من جلة العلماء برئاسة الاستاذ هنري كاييتان . فقد نهجت نهجه واعتزفت منه . ولكنني لم اتقيد به ولم أقصر هي عليه . بل كنت أطوف باللفظة على معاجم كثيرة . وكتب وقيرة . ثم أسهب في شرحها حيث الفائدة في الاسهاب . وأوجز حيث الحاجة إلى الإيجاز . وربما استغثت عن اللفاظ جمة لا حاجة بنا إليها في معاشنا وانظمتنا . ثم انني تحريت كل التحري تبسيط التعريفات حتى ينتفع بها كل من له صلة قريبة أو بعيدة بالحياة القانونية



وغني عن البيان أن هذا المعجم من المراجع التي لا يستغني عنها دوائر القضاء والمحاماة ولا سواها ونحن مقبلون بمد عقد اتفاق موقر على عهد يتحول فيه القضاء وطنياً بحتاً

عشائر العراق

المجلد الاول

تأليف الطامي الاستاذ عباس الزاوي

اعتاد الاستاذ الحامي ، عباس الزاوي ، في بغداد ، ان يهدي الى قراء العربية ، كتاباً مبتكر الموضوع . وقد ألف في هذه السنة : (عشائر العراق) ، و أصدر منه المجلد الاول . وهو يحتوي على العشائر التي احتلت العراق ، منذ اقدم العهد الى يومنا هذا ، وما يتعلق بمرقها ، وأنسائها ، وسائر اصولها ، فوقع في ٥٢٤ صفحة بقطع الثمن الكبير ، وزينه بست وعشرين صورة لشاهير المشايخ الذين في عهدنا .

ووضع له سبعة فهارس ، وحسبنا ذكر عناوينها ، لتحكم على محتويات الكتاب ، وهي : ١ - فهرس المواضيع — ٢ - فهرس الكتب (وقد راجع منها ١١٥ تصنيفاً من مطبوع ومخطوط ، ومن قديم وحديث ، ومن عربي وفارسي وتركى) — ٣ - الامكنة والبقاع — ٤ - الشعوب والقبائل — ٥ - الاشخاص — ٦ - الالفاظ النربية (من عربية وعجمية وردت في تصانيف الكلام) — ٧ - التصاوير

وقد اتقد حضرة الكتاب ، المراجع التاريخية التي وقعت يده ، واستمد منها ، ويس ما فيها من المفاهيم والمحسن ، ومن الاطاييب والفوائب ، فأظهر من سعة علمه في الموضوع الذي جال في ميادينه ، ما يدل على انه قارسها المغوار وعلى رسوخ قدمه في ركابيه ، وحسن نظره وتدبره لسكلام من سبقه ، فأفاد علماء التاريخ فوائد جمة لا يستغني عن الوقوف عليها ، كل من يحاول بعده معالجة هذا البحث

زد على ذلك انه نظف بمخطوطات فذة ، بل بتعليقات لا وجود لها في خزانة شرقية او غربية ، بذل فيها الدرم والدينار وعن يدر سخية ، وجال في ديار تركيا والتمسا وسورية للبحث عنها ، فخلص كل ما اصابه فيها ، ونقى القشور عن كتابه ، ولم يودعه الا "الباب والحواشي" وقد نقل من هذا الصنف من التأليف ١٧ في المقدمة التي صدر بها سفره الجليل . فجاء الكتاب خزانة ثينة حوت كل ماله وطاب في هذا المعنى الذي طالع به براعة سهلة متممة .



ومن يتف على هذا الكثر الدفين ، يتحقق ان المؤلف من اصل عربي بدوي قد نحضر ، ولهذا تراه اطاق اتمام عن امور لا يقبها لما الا من كان من صميم الاسرة البدوية ، ولا يمكن

لحضري ان يتوصل اليها ما لم تكن صفته تلك المذكورة . وبالحقيقة ان « المزوي » الجليل ينتمي الى العزة من قبيلة ذوبع

وترى في هذا الديوان ايات شعر كثيرة مع شرحها في اغلب الاحيان ، مما يدل على ان المؤلف — حفظه الله — جوت بحويلا في عشائر العراق من الشمال الى الجنوب ، ومن الشرق الى الغرب . ولم يخل بتفقات التنقل ليكون ما وضعه حجة ثباتا يد الباحث ، يقف فيه على اصدق الروايات وادق التواريخ



ومما يحسن بنا ذكره هنا ان الانكليز وضوا عدة تأليف عند احتلالهم العراق وهي تحوي اسماء القبائل وشيوخها وما تملك ايديهم من المال ، والكراع ، والسلاح مع ذكر الاراضي التي هم فيها ، والامكنة التي يرادونها ، والمراعي التي يتجصونها

وقد وضع هذه التأليف سيدة انكليزية اسمها جرترود لوثيان بل Miss Gertrude Lothian Bell وكانت تقطن العرية وجاست خلال ديار العرب وبواديها ودونت امورا كثيرة لم يسبقها احد اليها . لكن لا يطلع على هذه الكتب احد ، اللهم الا قر قليل من الموظفين ، لانه كتب على ظهر كل مجلد باللغة الانكليزية « لا يسمه الا للموظفون الانكليز » وعلى مجلدات آخر : « من كتب اسرار الدولة المحتلة ولا يمار لنير الموظفين البريطانيين »

والظاهر ان الاستاذ المزوي رأى شيئا من مؤلفات الامة (بل) ، لكنه لم يتمكن من الوقوف عليها وقوفاً تاماً ، اذ يقول :

« وهذه الرسالة (التي وضعها السيد جرجيس حمدي في سنة ١٨٩٥ م) كالكتب الاخرى للس بل وغيرها من كتاب النريين ، قانها كلها تقريباً مضت على هذا السنن في تأليفها ، وان كانت اشارت احياناً الى بعض الاحوال التاريخية عرضاً ، او لم تمكن منه تماماً ، وانما اكتفت بالتبذة اليسيرة عن الماضي القريب ومضت . وخير هذه المؤلفات ما اوردت اسم القبيلة بالحروف العربية كما فعلت المس بل »

وقد جعل المؤلف ثمن الكتاب زهيداً بالقياس الى حجمه وجدة مباحثه اي ٢٥٠ ملهاً او فلساً لينسكن كل انسان من ان يشتره . ونحن في انتظار الجزءين الباقيين وهما الثاني ويبحث في ادب البادية والثالث وهو في القبائل الريفية . وهناك جزء قائم بنفسه هو عشائر العراق غير العرية اي قبائل التركان والكرد . حقق الله الاعمال واقام لنا في العراق انساناً يضارعون الاسناد المزوي في قمع الوطن والهمة والامة

الاب استاس ماري الكرمل

الكاتب واللغة العربية

رسالة بالفرنسية — للدكتور بشر فارس — ٢٤ صفحة من القطع الكبير

نشرت مجلة «الدراسات الإسلامية» التي تصدر في باريس باللغة الفرنسية مقالاً مسهباً لصديقنا الدكتور بشر فارس في موضوع «المصاعب اللغوية والثقافية والاجتماعية التي يصابها الكاتب العربي الحديث ولا سيما في مصر». وقد جاءت نسخة مستقلة من هذه الرسالة قاذما في أربع وعشرين صفحة كبيرة، حسة التيوب دقيقة التلخيص كاملة الاسانيد. والواقع ان الكاتب راد بفكره الثاقب النهضة العربية الحديثة في ميدان الكتابة والتأليف، وخرج من ريادة به صورة واضحة لما يمايه الكاتب من المشاق، سواء أفي اختيار الالفاظ والاساليب كان ذلك ام في التحرر من اساليب الكتاب القدماء واحوال السياسة والاجتماع السائدة في هذا العصر. وقد ضرب على كل ذلك الامثلة المتبعة من الكتب والمجلات والصحف. ولكنه لم يكف بذكر المصاعب، بل عمد في القسم الثاني من رسالته الى بيان الذين جابهوا هذه العقبات، وكيف تحطّوها او سعوا الى تحطّيتها وما لهم في ذلك من الأثر. ففي وسعك بعد قراءة هذه الرسالة النفيسة، ان تمثل مواكب الكتاب والشعراء والعلماء، تليها مواكب الكتب والصحف اليومية والاسبوعية والشهرية، مارة امامك، فتعرف ما لكل منهم ومسا من أثر في هذه النهضة المباركة ولو كانت لاتزال في مهدها، وفي امنا ان بني المؤتلف بنقل هذه الرسالة الى العربية لتفاستها

الشرق في الآداب الفرنسية بعد الحرب

١٩١٩ — ١٩٣٣

تأليف يوسف داغر — صفحات ٣٠٤ من القطع الكبير — طبع بيروت — ثمنه ٥٠ فرنكا

كتاب قيمس وضعه باللغة الفرنسية الاستاذ يوسف داغر، ابن دار الكتب المساعد ببيروت بذل حضرته في اعداده واخراجة وتبويه بهذه الصورة جهداً عظيماً وصبراً طويلاً، فيجده فيه الباحث كل ما كتب من بحث طويل او رسالة موجزة او مقالة مقتضبة عن الشرق باللغة الفرنسية من سنة ١٩١٩ الى سنة ١٩٣٣ مع ذكر مقامها من حيث الموضوع الذي يالجأ وما ظهر عليها في كبرى المجلات الفرنسية من نقد وتعليق. فبدأ بمرض الالتهابات تبعاً لاماء مؤلفها على الطريقة الابجدية ثم انتقل الى جدول مرتب وفقاً للعواد المدرسية ذاكراً المعلومات العامة من مصادر الابحاث والمسكاتب والخطوطات ومن علوم مساعدة للتاريخ كالآثار والتقود والوثائق والرقم ومن دياناات وقون وتواريخ عامة لاحقاب الشرق فخرج السفر موسوعة كبيرة لا يستغنى عنه باحث في شؤون الشرق

المريد

تأليف بول بورجييه - ترجمة سليم سعد

فرحت فيما مضى بكتب مترجمة قرأتها بلهفة وشوق أذكر منها ، الحرية ، سر تقدم الانجليز ، روح الاجتماع ، محاورات رينان ، الابطال ، فلسفة الملايس ، فلسفة النشوء والارتقاء ، مباحث في الاخلاق ، الامير ، سر تطور الامم ، الامرار الزوجية ، روح الترية ، الاخلاق ، وأحسب ان هذه أحسن الكتب للمترجمة لأكملها ، وها انا افرح اليوم وأهلل لكتاب « المريد » الذي نقله الى العربية حديثاً الأستاذ سليم سعد

افرح به لسبين اثنين ، الاول لانه الكتاب الادبي الثاني الصادر في فترة الركود ، والثاني لان مؤلفه « بول بورجييه » قد نحافيه نحواً فريداً في إقحام العلوم والمبادئ في فن الرواية ، وفي بسط تأثير التعاليم الفلسفية في القول ، وفي استصراخ انباء جنسه صرخات صادقات لا تصدر عن غير قلب مغمم بلهجة الصادقة والاخلاص الطاهر حين يخاطب القاص الفرنسي قائلاً « وليس الامر الآن ان تكون خفيف الروح ، طائشاً او ملحداً ، مهذاراً متشككاً او لموباً ، فكف عن ذلك ردحاً من الزمن ، فان الله والطبيعة ، والعمل ، والزواج ، والحب والنسل ، كل اولئك من الحقائق المجلوة ، وهي تنصب امامك ، فيجب ان تجعل كلها ونحيا او تموت أنت »

ولقد استطاع بورجييه بذهنه المتوقد ، وومضات عبقريته الخلاقة ، وجلده الحيار ان يلفت العالم الى صرخته وبجمله يصفى الى كلامه ، فقد لقي فيه المؤمن والملاحد موثلاً ، والعصري والرجعي نصيراً ، والثوري المتوهم والقانع المستكين ملاذاً ، والفرنسي وغير الفرنسي ميمماً ، ولا غرو في ذلك لانه قد رعى على ايقاظ كوامن الحياة وعناصرها في كل افسان وهزها بنم ، ثم واجهها بصروف العقل ، ونوازل العاطفة ، وجيروت النريزة ، وأقنان المدنية ، وتأثير التهذيب ، وترك الاعنة للخصال والمزايا تطاحن في ميدان التجارب ، يد انه لم يتباعد عن القارئ ليصفق للتصريح ويضحك من المفكر اعتباطاً بل وقف الى جانبه يدله على مواطن الضعف التي إوجبت الانكسار ، ويواعت القوة التي توجت باكليل النظر

هوذا لمحات من مواضع رواية « المريد » التي ليست رواية ولا كتاباً بل خلاصة جامعة لدائرة معارف الحياة الانسانية ، جمعها وصنفها بول بورجييه العالم الاديب ونقلها الى العربية سليم سعد قلاً أميناً

بقي لي ان اقول كلمة في ترجمة الرواية . ولما كانت ترجمتها لا تختلف الا قليلاً عن الروايات التي سبق للاستاذ سنده ترجمتها فاني اعيد ذات الرأي الذي ابديته فيه بعد تعديل يسير . قلت انه « فغم جيداً مراعي المؤلف واغراضه قياشها في الترجمة كلمة فكلمة وحرفاً غرقاً ، لا يقدم في بناء الجملة ولا يؤخر ، وفي وسعك ان تبيد الكلمات والجلل إلى أصولها الفرنسية بدون غناء ولا جهد » وأزيد على ذلك أن المترجم الذي يضبط الكلمات والحروف ، ويقيده نفسه بروابط الجملة وفق القواعد النحوية والاصطلاحات الفرنسية إنما هو أمين لا غبار على أمانته فلو توافرت لهذا المترجم المقتدر اسباب الفنى بمفردات اللغة والاسلوب السلس تهض بالجملة العربية فتكسوها حلة خفية كالتي ألبسها إياها « بول بورجي » العالم الاديب القدير لكان بلغ مبلغ المترجمين الموهوبين

توجب الترجمة العلمية المترجم على التقيد بالمصطلحات أما الترجمة الادبية فأول موجباتها الروح الادبي ، والثنى اللفظي ، والسلاسة في الاسلوب ، والنون في اختيار الكلمة التي لا سيل لمرادفات ان تقوم مقامها
حبيب الزحلاوي
القاهرة



ترجم الاديب سليم سنده قصة التلميذ للكاتب الفرنسي الكبير « بول بورجي » ورأى ألا يسميه التلميذ والكلمة صحيحة وجيدة ودقيقة الترجمة فسماه « المريد » وهي كلمة لا تمت إلى التلميذ بصلة ولا تفهم معنى لما في هذا المقام فهي لذلك ليست صحيحة ولا دقيقة الترجمة . وفي المعجمات « المريد اسم فاعل من اراد وعند الصوفية المتجرب من ارادته او الذي اعرض قلبه عن كل ما سوى الله او من يحفظ مراد الله »

وهي مصدرية بمقدمة من قلم الاستاذ ابراهيم المصري ومهداة الى الاستاذ خليل مطران لأنه أول من عرف المصريين إلى شخصية بول بورجي

وكان الاستاذ عيد المجيد قانع قد ترجمها ملخصة وقلت كلتي فيها على صفحات المقطم . وما قلته حينذاك اقله الآن فيها سوى أن الترجمة الملخصة أقل اخطاءً من هذه الطويلة . وإن في الاولى غناء لبيب عن الثانية وإن في افصح الثانية ما لا نجده للشبان والشابات الذين والواني يقع في ايديهم وأيديهن . وما كان اعتراضاً على النسخة التافهة الا لأنها المكشوف

نجيب شاهين

الانسان المجهول

تابع المنشور على الصفحة ١٥٨

وعلى الجملة نقول اتان لا نعرف : أمدل زيادة الحجم الجسمي والطول على حالة ارتقائية ، كما يُعتقد اليوم ، ام على حالة انحلالية ؟ وليس بنا من شك في ان الاولاد اسعد حالا في المدارس التي اُخت فيها طرق الازام ، حيث ابيح لهم ان يدرسوا من صفوف المعرفة ما هو اكثر ملائمة لمبولهم ، وحيث قضي على الجهد العقلي والانتباه الارادي . ولكن ما هي النتائج المترتبة على مثل هذا الضرب من التعلم ؟ ان من مميزات الفرد في المدينة الحديثة كونه ذا نشاط عظيم يوجه بكليته الى الجانب السلمي من الحياة ، ولكن مع جهل شامل ومع قدر غير قليل من المكر والتحايل ، مزودين بضعف عقلي يتركه نيكاً لمؤثرات اي محيط يتفق ان يقع ذلك الفرد تحت سلطانه . وما يلوح لي ان الذكاء نفسه ، يضمحل ويذول ، اذا ضف الخلق . ولقد نرى ان المثال العقلي في الولايات المتحدة ، ما يزال دينياً بالرغم من ازدياد عدد المدارس والجامعات



يلوح لي ان المدينة الحديثة طازقة من إنباب افراد زودوا بمقدرة التصور والذكاء والشجاعة . وانا لنشهد في كل مملكة قصصاً ظاهراً في « المعيار » العقلي والادبي لاولئك الذين يحملون مسؤولية الحكم وتصريف الامور العامة . كذلك نلقى ان المجموعات المالية والصناعية والتجارية قد بلغت سمة عظمى ، ولقد متأثر هذه المجموعات ، فلا يقف تأثرها على حالات البلاد التي تنشأ فيها ، وانما بانها التأثير ايضاً من حالات البلاد المجاورة لها في انحاء الارض . والحالات الاقتصادية والاجتماعية في جميع امم الارض ، تتأثر تغيرات سريعة . ونظام الحكومة في كل بقعة من بقاع الارض لا يلبث ان يستقر ، حتى تبدأ المناقشة فيه والتساؤل عن مقدار صلاحيته . والديمقراطيات العظمى في انحاء العالم انما تقف الآن لتواجه معضلات عظيمة — معضلات تتناول وجودها وكيانها ، ولذا فهي تتطلب حلاً سريعاً فاصلاً . من جماع هذا قد نحققنا ، بالرغم من الآمال العظام التي عقدها الانسان على المدينة الحديثة ، ان هذه المدينة قد عجزت عن تكوين رجال فيهم من الذكاء وصلابة الخلق وقوة الشكينة ما يكفي لقيادتها في ذلك الطريق الشائك الخطر الذي تتعرض فيه . وفي ذلك دليل على أن الخلائق البشرية لم تُم نسبة السرعة التي تمت بها التنظيمات التي خلفتها عقولهم . والحق ان انقائس العقلية والخلقية التي يتصف بها زعماء السياسيين وجنودهم ، هي أنكى ما تعرض له الامم من الاخطار

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثاني والتسعين

١٢٥	الاشعاع قديماً وحديثاً
١	— مدى طيف الاشعاع
٢	— طبيعة الاشعاع
٣	— النشاط الاشعاعي الصناعي
١٤١	العوامل الفعالة في الادب العربي الحديث : للاستاذ انيس المقدسي
١٥١	الانسان المجهول : لاسماعيل مظهر
١٥٩	لماذا يفرط الطير ؟
١٦٤	في تاريخ العرب : للدكتور زكي محمد حسن
١٧١	التوائم وأثر البيئة والوراثة فيهم : للدكتور شريف عيران
١٧٦	الدكتور محمد اقبال . رسالة شعره : للسيد ابو النصر احمد الحسيني الهندي
١٨٣	مكتشفات العلم في غود اليم : لموض جندي
١٨٩	ايتها الارض (قصيدة) : لراجي الراعي
١٩١	عمرو بن العاص : لحسن حسن علي
١٩٧	مفردات النبات بين اللغة والاستعمال : لمحمود مصطفى الديباضي
٢٠١	حديقة المتقطف * ابولون ودفني : رباعيات الغزالي — الحب الصوفي — طاطفة
	الاستسلام : قلها خليل هنداي
٢٠٩	سير الزمان * الرئيس ماساريك رأيه في الديمقراطية والفاشية : لملي آدم . طريق الحق . الشؤون الدولية في سنة ١٩٣٧
٢٢٥	باب التزية * رابطة الاصلاح الاجتماعي الدورة الثانية . مقدمة : لسيد مصطفى . يوم الطقولة : للدكتور محمد عبد المنعم رياض بك . الطفل الشرير : لكامل كيلاني . الطفل القبط : للدكتور علي فؤاد بك . الطفل اليتيم : للسيدة نبيهة علي . الطفل الاعمى : للدكتور محمود عزمي القطان بك
٢٣٨	باب للرسالة وللتأطيرة * الدهن والشحم والقول الفصل فيهما : للفريق امين الملوف . هندسة الكون بحسب ناموس النسبية رد على نقد : لتقولا الحداد
٢٤٤	مكتبة المتقطف * العشرة للمقدمون في تاريخ الفكر العربي . في منزل الوحي . سيرة محمد نبي الله . مجموعة قصص . الوحدة السورية والصيرورة العربية . المعجم القضائي الجزء الاول . عشائر الرق : المجلد الاول . الكتاب واللغة العربية . الفرق في الاداب الفرنسية بعد الحرب ١٩١٩ — ١٩٣٣ . الرد

فطاط الملوك

الاستاذ نجيب هرواني

يتولى فحص الاوراق المطعون فيها بالتزوير بمصر وغيرها من البلاد ويطلب منه كتابه «التزوير المخطي» لمعرفة المخطوط والاخطام المزورة والصحيحة عربية وافرنجية ثمنه ٥٠ قرشا صاغا . وتطلب منه كراريسه «السلاسل الذهبية» التي تعلم المخطوط الجميلة بوقت قصير واسلوب مبتكر ومقررة في جميع المدارس ، و كتابه «المجلة» وهو مجلة الاحكام المدنية الصحيحة الوحيدة المصدق على صحتها من باب المشيخة الاسلامية مشروحة ومشكلة بقلمه وهو يتولى عمل كليشيات وأخطام وغيرها . ويكفي كتابة كلمة «مصر» عند مخاطبته ، أو مخاطبته بتليفون ٥٠٣٣٠

المجلة الجديدة

يمحررها سلامة موسى : للتثقيف قبل التسلية

يصدر منها عدد شهري في ١١٢ صفحة كبيرة . نزعتهما التجديد
في الادب والاجتماع والاقتصاد

ويصدر منها عدد اسبوعي في ٢٤ صفحة كبيرة يحتوي على مواد سهلة
للتثقيف قبل التسلية

الاشتراك سنة في العدد الشهري ٤٠ قرشا في مصر والسودان
و ٥٥ قرشا في الخارج

الاشتراك سنة في العدد الاسبوعي ٢٥ قرشا في مصر والسودان
و ٥٠ قرشا في الخارج

١٢ شارع نوبار — مصر

الجريدة السورية اللبنانية

الجريدة الرسمية للنزلة العربية في الأرجنتين

تصدر صباح كل يوم من ١٦ صفحة باللغتين العربية والاسبانية

أنشأها الاستاذ موسى يوسف عززه في ١٢ ك ٢ سنة ١٩٢٩

مديرها الحالي : أمين قسطنطين

رئيس التحرير المسؤول في القسم العربي : الياس قنصل

بمحررها نخبة من حملة الاقلام الحرة عنوانها :

EL DIARIO SIRIOLIBANES

Reconquista 339

Buenos Aires—Argentina.

مجلة الشرق

ادبية سياسية مصورة

انشئت للدعاية عن الشؤون البرازيلية وما في النزلاء الشرقيين في البرازيل تصدر
باللغة العربية مرتين في الشهر — صاحبها ومحررها الاستاذ موسى كريم ويشترك في
تحريرها طائفة من اكبر ادباء العربية في البرازيل وبدل اشتراكها ٢٤٠ قرشاً صاغاً
وعنوانها :

Journal Oriente

Caixa Postal 1402, Sao Paulo, Brasil



« الناب » في حديقة الاورمان

| تصوير جمال عزام |

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثاني والتسعين

٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٥٦

١ مارس سنة ١٩٣٨

أشمن من اليواقيت

او الزجاج والحضارة الحديثة

قد يبلغ ثمن حجر واحد من الالماس اذا كان وزنه رطلاً نحو مائتي الف جنيه ولكن الزجاج لا يزيد عن الرطل منه على اربعة قروش . ومع ذلك فان الفرق بين الالماس والزجاج من حيث فائدهما للحضارة كبير لان الزجاج من اعظم المواد قائدة للناس وأثرأ في العمران . فهو في ذلك يفوق اي حجر من الحجارة الكريمة . ولا ريب في ان قيمة الزجاج ستلو شأنأ عندما ينتهي العلماء والمستنطون الى صنع اصناف جديدة منه .

كان الزجاج قبل ان تعالج ايدي العلماء مادة شفافة فسمه تصلح لتوافذ لانها تحجب الهواء والمطر وتأذن للضوء في اختراقها . اما الآن فقد اصبحت اصناف الزجاج متعددة ، وخواصها كثيرة ومتباينة . فسمه مثلاً زجاج يؤخر سير الحرارة فيه فتصنع منه لبنات للبناء ومقايض لابرير الشاي والقهوة ، وزجاج مقاوم للتيار الكهربائي فيستعمل في صنع الموازل الخاصة بأعمدة التلغون وكذلك الانابيب المفرغة . ومن اصنافه ما يصلح لصنع اجهزة لقلو البيض او لنسج نسيج غير قابل للاحتراق او لصنع الواح تستعمل في احواض السباحة لتفتر في الماء . بل هناك نوع متين من الزجاج اذا صنعت منه مكبأ ضلمة بوضان ، استطاع ان يتحمل ضغط قطار بضائع كبير من غير ان يتكسر . مع ان ضغطاً من هذا القليل قد يكفي لكسر مكب

مثله من اية مادة اخرى . وثمة صنف آخر من الزجاج يصلح لصنع الواح منه لا تختلفها رصاصات مدفع رشاش اذا كانت سماكتها بوصة واحدة . وآخر تصنع منه الواح رقيقة اذا وقفت عليها لم تترك وعشة كهربائية ولو كان ضغط التيار المتصل بك عشرة آلاف فولط . اما اللبانات التي تصنع من الزجاج انحصار يناء الدور فلا تفقد منها الحرارة ولو كان الجو في الخارج قارس البرد ، الا بمقدار خمسين في المائة من اختراق الحرارة لجدران البناء العادي

فلا بدع وهذه خواص الزجاج الحديث ، في كثرة توعها وعظيم فائدها ، ان يبلغ المصنوع من اصنافه المستعملة في اميركا في سنة ١٩٣٠ ما يزيد على ثلاثة ملايين من الاطنان

قد يقال ان الالماس منصف بمحظ صفات الزجاج ، وانه علاوة على ذلك اقصى منه ، فهو لذلك اعظم قسماً . ولكن الزجاج منصف بصفة لا قبل للالماس بها ، وهي انصهاره وسيله كالسبل آناً ثم تجرده في قوالب يفرغه فيها الصانع كما يشاء . والزجاج من الناحية الطبيعية ليس جامداً كالصلب او الحطب ، ولكنه يفضل عندما تكون حرارته غير مرتفعة ، كانه مائع بارد فلم يجبر . احده يرفع الحرارة بضع مئات من الدرجات يصبح قابلاً للافراغ في أي قالب تريد . ثم ارفع الحرارة قليلاً يسيل كالشراب (Syrop) ثم برده قليلاً يصبح لزجاً . وبالبعض يمكن الوصول الى درجة متوسطة من الحرارة يكون الزجاج عندها قابلاً للتفخ والضغط والافراغ والمد والنسج

ان الواح الزجاج المستعمل في النوافذ يمكن ان تصنع بتفخ الزجاج . وقد ارتقى هذا الاسلوب ارتقاء عظيماً حتى صار في امكان التافخ ، بعد المرانة الكثيرة ، ان يأخذ بأبواب من الزجاج المصهور ، كتلة نكفي لتفخ فقاعة كبيرة فطرها ثلاث اقدام . وعند ما تبرد هذه الفقاعة تكسر عنقها ثم تحز من جنبها بالاماسة ، ثم نحى قليلاً قتلين فتنبسط على سطح مستوي . ولكن الزجاج المنبسط على السطح قد لا يكون متناقص السباكة في كل جزء منه ، وهذا يظهر في زجاج النوافذ الرخيص اذ يبدو سطحه متموجاً قليلاً لا مستوياً تماماً . وأما الطريقة الحديثة فهي بسط سطح طويل مستوي من الزجاج المصهور بغير تفخه اولاً ثم يدحى حتى تصبح سماكته واحدة في جميع اجزائه ، وكذلك تصنع ألواح تبلغ مساحتها ملايين من اقدام المربعة كل سنة في اميركا والزجاج يمكن ان يصنع من مئات من المواد تختلف من الرمل على شاطئ البحر الى السكر في حانوت البدال ، إذ كل مادة يمكن ان تصهر ثم أن تجمد من غير ان تقبلو تصليح لصنع الزجاج . ولكن الزجاج المألوف يصنع عادة من بلورات الكوارتز في الرمل بعد خلطها بالجير والصودا ثم تصهر جميعاً وعندما تبرد تبدو شفافة قاسية مقاومة للحرارة والكهربائية ، وهي خواص ثبتت قائدها للحضارة ولولاها لما بلغت الحضارة الشأ الذي بلغت في هذا العصر إن قراء المقتطف يعلمون ، ان الاشعة السينية تستعمل الآن لمعرفة ترتيب البلورات في

الحجم المتبلور. فإذا درسنا الاجسام المتبلورة كالحديد والالاس بهذه الطريقة ظهر لنا ان البلورات فيها مرتبة في صفوف مستعرضة وقائمة وقاطعة للزوايا، فكأنها فرقة سائرة من الجنود تراها صفوفاً مستعرضة وقائمة ومتقاطعة وفقاً للزاوية التي تنظر منها اليها. ولكن البلورات في الزجاج ليس لها تسبيق معين معروف، وبمعظم الخواص الممتازة التي يصف بها الزجاج ناشئة عن كون جزيئاته لا تتخذ صورة معينة عند مجدهم.

وخير اصناف الزجاج ما صنع من مادة «السليكا» النقية المصهورة الا أنه يكلف نفقة كبيرة ذلك ان صهره صب وتاوله وهو مصهور أصعب. ولكن عندما نحتاج الى زجاج خاص لصنع مرايا المراقب، فلا بد حينئذ من الاعتماد على هذا النوع من الزجاج لانه خير ما تصنع منه هذه المرايا. اما اذا شئنا ان نصنع مناً طبياً للاكل فقد يبلغ عن الطبق مائة جنيه! وفي ظن العلماء انه قد يتاح لهم في المستقبل صنع هذا الزجاج الامثل بحيث لا يكون ثمنه مرهقاً، واذن يجب علينا ان نكتفي الآن بأنواع اخرى من الزجاج الى ان يحل ذلك اليوم المنفود.

إن صناعة الزجاج الحديثة، قد استبدلت اسلوب قنح الزجاج بأجهزة ميكانيكية تهرغ الزجاج في أي قالب تريد او تبصه من غير ان ينقح فيه نافع. وقد ترى شريطاً فحشاً من الزجاج المصهور في قوالب الصل، خارجاً من الاتون، فيقطع قطعاً من حجم معين، تبدو كأنها شهب نارية، ثم يحملها تقاليد خاصة فتوزعها على الآلات المختلفة فتفرغ في القوالب المطلوبة او تطبع بالمطابع، فإذا تم ذلك نقلت الى آتاتين خاصة لسقيها وهو عمل لا غنى عنه، لانه يمنع حدوث التشقق في الزجاج بعد ما يبرد. فإذا أخذت كتلة من الزجاج المصهور وتركها حتى تبرد من تلقاء نفسها، برد خارجها أولاً فيتجمد ويضبط على داخلها الذي لا يزال حامياً غير متجمد. فينشأ من جراءه هذا الضغط، صدوع خفية قد لا يبدو أثرها مدى سنوات، ولكنها تكون أشبه ما يكون بالزئبك المضغوط، اذا أرخى الضغط الواقع عليه قليلاً ففر قفراً. وكذلك هذه الصدوع قلها قد تبقى خفية ثم إذا حدث ما خدش الزجاج خدشاً يسيراً في مكان معين رأيتُهُ وقد تشقق ثم تهوى شظايا ان لم يتطاري في وجهك. فعملية «الستي» زيل الضغط الخارجي على الكتلة الداخلية فتسحق حدوث الصدوع وذلك ببقاء كتلة الزجاج كلها على درجة مرتفعة من الحرارة مدة ثم تبردها وريداً رويداً وهذه العملية بسيطة وتقضي نفقة غير يسيرة ولا سيما اذا كانت كتل الزجاج كبيرة. فمرايا المراقب الكبيرة قد تستغرق عشرة أشهر حتى يتم تبريدها. وحرارتها يجب أن تبقى نحو ٤٠٠ درجة مئوية خلال مدة طويلة، فالتنفق على الوقود اللازم لتوليد هذه الحرارة لا يمكن ان تكون نفقة يسيرة. وكان الاعتماد في «ستي» الزجاج الى عهد قريب، على الاختبار. ولكن العلماء استنبطوا ما يمكنهم من رؤية الصدوع وتصويرها وبذلك يعرفون أين تبدأ هذه

الصدوع في الظهور فيمنعونها، ومتى يصبح الزجاج صالحاً للاستعمال يخلو منها
 ان السعي الى صنع زجاج جديد، كثيراً ما تكون عليه سمّة من عمل الطامي. بل اذا
 نظرت الى الاوراق التي دونت فيها التعليمات اللازمة لمزج المواد بعضها ببعض، لم تختلف في
 نظرك عن وصف لصنف خاص من الطعام: خذ قدر كذا من كوارتز الرمل وثلاث برميل من
 الصودا وحرهما معاً في دلو من الحير. اما الكوارتز فيمنع الزجاج قواماً ومتانة. واما الصودا
 فتساعده على الانصهار. واما الحير فله من الذوبان في الماء. هذه هي المواد الاصلية. ثم يبد
 ذلك يصبح للخيال شأن وأي شأن. فأماننا طائفة كبيرة من العناصر. ان اضافة قليل من هذا
 النضر او من ذلك يمنح الزجاج القيد خواص معينة. أقنع فيه قليلاً من البورق لتحول دون
 تصدّع الزجاج عند احمائه؟ ام نضيف قليلاً من الرصاص لمنع الاشعة السينية من اختراقه؟ ام
 حفنة من الباريوم لكي يتألق؟ وبعد ذلك يأتي المزج الدقيق، ثم يوضع المزيج في انون لينة
 كاملة وفي الصباح يُصب في قوالب من البين ويترك حتى يبرد تدريجاً ثم يمتحن

هنا يدخل عالم الطبيعة الحديثة ميدان صناعة الزجاج. يدخله وفي ذهنه اسئلة كثيرة يريد
 ان يعرف الجواب عنها ليعرف قيمة الزجاج. ما قرب هذا الزجاج من ذلك الزجاج الامثل
 الذي لا يتصدّد ضد ما يحمي ولا يتقلّص — واذن فهو لا يتصدع — عندما يبرد؟ هل يبقى
 صافياً متألّفاً اذا ظلّ مرصّخاً لموالم الجوّ ستة اشهر؟ واية درجة من الحرارة يجب ان يبلغ
 قبل ان يصبح قوامه كقوام السسل الكثيف، عندما يسهل العمل فيه اقراصاً وتقفاً وحفرأ؟
 وهل يصبح مائي القوام بسرعة؟ هذه بعض المسائل التي يجب ان يجاب عنها، قبل ان يلم
 صاحب الوصفة السابقة، هل هي جذرة بالحفظ ام تبتذّ بذا النواة

ان الفرض الاساسي من الزجاج ان يكون شفافاً ينفذ النور من خلاله. والعين كما لا يخفى
 جهاز دقيق، ولكنه كثيراً ما يصيبها شيء من الخلل. فاذا وضعت امام العين قطعة زجاج
 موافقة اصلحت ذلك الخلل فيها. ولا يخفى ان احد العيون نظراً لا تستطيع ان تلتين الاشباح
 البعيدة. وسواء أعدست نظارات كانت هذه القطع الزجاجية التي تضعها امام العين، ام عدسات
 مراقب ام مجاهر، فأنتما تصلح لما تستعمل له لأن الزجاج يبطئ سيرة الضوء عند ما تخترقه اشمته
 تسير شاعة الضوء في الفضاء الحلاء بسرعة ١٨٦٣٠٠ ميل في الثانية. ولكنها عند ما تخترق
 كتلة من الزجاج تهبط سرعتها الى نحو ١٢٠ ألف ميل في الثانية. وهنا يخطر لنا سؤال يجبرنا
 وهو: لماذا تمكّنت هذه الخاصية، خاصة ابطاء سرعة الضوء في الزجاج، من استعمال الزجاج لاصلاح
 خلل البصر. ولماذا يستطيع رجل مصاب بالحسر (قرب البصر) طاجز عن ان يرى الاجسام
 واضحة اذا كانت على أبعد من ثلاث اقدام منه، ان يراها واضحة جلية اذا وضع امام

بنيه قطع زجاجية من تحديد معين ؟ ولماذا تمكنتا عدسات المراقب من رؤية كواكب لا تبتينا بالعين المجردة ، وعدسات المجاهر من رؤية اجسام دقيقة كثيرة في قطرة من الماء لا تريد على رأس الدبوس ؟

اننا نرى الاجسام بما تمكسها فقط مختلفة على سطوحها من أمواج الضوء الى العين . وشعاع الضوء تسير — في حدود هذا البحث — في خط مستقيم ، ولكنها تنحرف عندما تدخل جسماً كالزجاج يعطى سيرها . ثم تنحرف أيضاً عند خروجها منه في الجانب الآخر . فاذا كان سطح الجسم الزجاجي مائلين أحدها على الآخر ، كان انحراف شعاع الضوء بعد خروجه ، في اتجاه مخالف لانحياض انحرافها داخل الجسم الزجاجي . ولكن العين لا تقي هذا الفرق . بل ترى الجسم الذي صدرت الشعاع منه ، واقعاً في الاتجاه الذي يبدو لما أن الشعاع قادمة منه . وكذلك يمكن أن نعرف العدسة بأنها جهاز يحدد العين ، فيحصلها على التأثير بالضوء تأثيراً يجعلها تظن ان الاشعة صادرة من جسم أقرب اليها وأكبر حجماً مما هو حقيقة

وتقريب الاجسام ليس خاصة العدسات الفريدة ، ولا هو أهم خواصها . ذلك أن العين لا تبصر إلا بالضوء الذي يدخل بؤبؤها ، فاذا كانت العدسة كبيرة ، استطاعت أن تجمع قدرأ كبيراً من الضوء ، وكذلك يدخل البؤبؤ قدر من الضوء صادر من ذلك الجسم ، أكبر مما يدخله عادة ، فتراه العين أوضح مما تراه عادة . وأكبر عدسة صنعت حتى الآن هي العدسة التي صنعت لمراقب مرصد بركنيس باميركا ويبلغ قطرها اربعين بوصة ، وبها يرى القمر كأنه على مائة ميل منا فقط . مع أنه على نحو ٢٠٠ ألف ميل منا ، وليس مرقب مرصد بركنيس بأكبر مرقب صنع . بل هناك مراقب أكبر منه . ولكنها تستند على مرايا مائكة لا على عدسات كاسرة ، منها مرقب مرصد جبل ولسن الذي قطر مرآته مائة بوصة ، والمرقب الذي يصنع الآن وقطر مرآته مائتا بوصة . وصنع عدسة كعدسة مرقب بركنيس ، يقتضي كتلة كبيرة من الزجاج الصافي الذي لا شائبة فيه . فالزجاج الذي يصنع للآلات البصرية ، يجب أن يكون خالياً من الفون والغفائيق الملوثة ، مما يكن اللون خفيفاً والغفائيق صغيرة ، لان ذلك يجعله غير صالح لما يصنع له ، فاذا اتفق وجود قليل من الحديد في كتلة من الزجاج البصري ، كان ذلك كافياً لتبذه

وبعد ما تصنع كتلة من هذا الزجاج في حجم قريب من حجم العدسة المطلوبة ، يسقل سطحها أولاً بفركها بسطح معدني من شكل معين بعد أن تم تنظيفه جيدياً من مادة « الكاربورندوم » فاذا أصبحت في الشكل المطلوب . يوالى صقلها بمججمات متدرجة صغراً وأخيراً يسقل بمجيمات المادة الخشنة التي تدعى بها النساء شفاهن

وقد أنبأنا الدكتور جويت العالم الايركي ، إن الصقل النهائي لهذه المادة الخشنة لمرة

المرقب الكبير وهي المرأة التي قطرها مائتا بوصة ، قد يستغرق نحو سنتين ومن غرائب ما يروى في صدد العدسات المستعملة في النظارات أنه في الامكان الاستفاه بدمسة توضع على الفلّة فلا يراها أحد ولا يحس صاحبها بها . وتكون في الوقت نفسه صالحة لتصحيح البصر بغير الحاجة الى استعمال النظارات ، وهي طبعا أغلى من النظارات العادية ، ولكنها أقلّ تعرضاً للكسر ، وتدلّ الاحصاءات الاميركية على أن ألوفاً من الاميركيين يستعملونها من نواحي التقدم الجديدة في صناعة الزجاج ، ناحية نشأت عن شكوى فريق من عمال سكك الحديد . ذلك أنهم يحملون فوانيس لها كوى يشع منها اللون الاحمر أو الاخضر ، او الضوء العادي . فاذا سقطت قطرات المطر على فوانيسهم واصابت زجاج هذه الكوى ، تكسر الزجاج لتقلصه المفاجيء الناشئ عن البرد الذي تحدثه قطرات الماء . ففني علماء إحدى الشركات الاميركية المعروفة باسم « شركة كورتس » بالسمي الى صنع زجاج لا يتقلص أكثر من عشرة في المائة من مبلغ التقلص الحادث في الزجاج للستمل في هذه الفوانيس ، عند ما تنبهر حرارته فينبهر فجائياً . وكانوا يعلمون ان زجاج الكوارتز التي يصلح لذلك ولكنه غالٍ جداً لا يصلح للاستعمال التجاري . فأخذوا يبحثون عن مواد يمكنهم من صنع زجاج قليل التمدد والتقلص فوجدوا أنهم اذا أضافوا البورق الى مواد الزجاج العادية تحققت أمنيتهم . ولكن الزجاج الاول الذي صنعوه على هذا الاساس ، كان يذوب في الماء كالسكر . وبعد بمسح دام سبع سنوات ، تمكنوا من صنع أصناف جديدة من الزجاج ، متصفة بقلة تمددها وتقلصها ، وبشدّة مقاومتها لموامل الجو والحرارة والكهربائية . وهذا الصنف من الزجاج مشهور الآن في أسواق العالم باسم زجاج « بايركس » Pyrex . ولا يخفى ان اطباق الزجاج العادية وكذلك الاكواب ، تطاير شظايا اذا أحميت احماء فجائياً ، ومن أول ما نعلمناه ان نضع ملعقة من الممدن في كوب من الزجاج اذا شئت أن نسكب فيه ماء مغلي . ذلك أن الملعقة الممدنية تنصص جانباً من حرارة الماء فتحول دون ترقع الزجاج . اما اطباق الزجاج الجديد « Pyrex » فلا تنكسر حتى ولو وضعها في الفرن ، وفي وسع ربّة البيت ان تطهي بها ما تريد من طعام او كحك وكان أمّ عمل قامت به هذه الشركة في صناعة الزجاج صبّ قرص من الزجاج سماكته قدما وقطره ست عشرة قدماً لتصنع منها امرأة المرقب الكبير بكاليفورنيا . وزجاج المرأة في المرقب يختلف عن زجاج الدسة في ان الاول لا يجب ان يكون شفافاً كزجاج الدسة . ذلك ان زجاج المرأة يستعمل اساساً بعد صفه لطلاية بطبقة معدنية ما كسّر . ولذلك يجب ان يكون قابلاً للصقل الدقيق ، وغير قابل للتمدّد والتقلص . وقد بلغ من كبر هذا القرص الزجاجي الضخم — البالغ عشرين طناً وزناً — ان اضطرّ صانوه ان ينقلوه بطريق غير

مباشراً إلى كاليفورنيا لكي يجتنبوا الاثاق والجسور التي يجتازها القطار حرصاً على القرص من ان يصاب بأذى . اما العدسة الكبيرة فمن اشق الامور الحصول على قطعة من الزجاج يبلغ قطرها أكثر من اربع اقدام وهي خالية من فقائح الهواء مهما تكن دقيقة ، ومن آثار الضغط الخارجى على داخلها عند تبريدها وهذا كما تقدم يحدث فيها قابلية كامنة للانشقاق والتكسر فلما عدل عن العدسات في المراقب العسكرية الى المرائي في المراقب الماكسة اطرد التقدم في صنع هذه حتى بات في الامكان صنع مرآة قطرها ٢٠٠ بوصة ، وبها يستطيع الراص ان يتبين شجرة واحدة ولو كانت على اربعين ألف ميل

هذا في ما يتعلق بالمراقب . اما في ما يتعلق بمدسات المجاهر ، فقد بلغ العلماء فيها اقصى حدود الاتقان ، اذ اصبحوا يستطيعون ان يكبروا قطر جسم صغير دقيق اربعة آلاف مرة . فاذا شاقا تكبيراً اعظم من هذا وجب عليهم ان يستمدوا على امواج من الطاقة غير امواج الضوء المرئي وأقصر منها ، اي على امواج الاشعة التي فوق البنفسجي . ولكن الزجاج العادي غير شفاف لهذه الاشعة ، اي أنها لا تحتفظ كما تحتفظ امواج الضوء المرئي ، ولذلك اتجهت النظائر الباحثين الى صنع زجاج بأذن للاشعة التي فوق البنفسجي في اختراقه . وقد تم لهم بعض ما يريدون فأصبح في الامكان رؤية اجسام اصغر جداً من الاجسام التي زارها بأقوى المجاهر العادية . واستمال كلمة « الرؤية » هنا ليس بالاستمال الدقيق . ذلك أن عين الانسان لا تتأثر بالاشعة التي فوق البنفسجي واذاً فالجسم الذي يكسها لا يمكن ان تثبته العين البشرية . فتمتد حيثثر على الواح خاصة من الواح المصوّرات الضوئية (Cameras) . الا أن هناك صوبة اخرى . وهي ان الهواء يمتص جانباً كبيراً من الاشعة التي فوق البنفسجي القصيرة . وبين الجسم الصغير المتلى على شريحة المجهر والعدسة ، طبقة من الهواء لا بد أن يمتص جانباً من هذه الاشعة المنكوسة عن الجسم الى عدسة المجهر . ولذلك ذهب علماء الطبيعة الى وجوب وضع المجهر كله في صندوق مفرغ . فاذا تمكن العلماء من كل ذلك وضوا في أيدي علماء الطبيعة والكيمياء الطبيعية والحوية أداة للبحث لا تقوم بمال

ولا يعني ان الزجاج يبدو شفافاً لان الاشعة التي ترى بها الاجسام عند ما تمكس عن سطوحها ، هي الاشعة التي تحتفظ . ولو كانت عيوننا ترى بالاشعة التي فوق البنفسجي ، لا بأشعة الضوء المرئي ، لما كان الزجاج شفافاً . بل لنذهب الى أبعد من ذلك فنقول انه لو كان في امكاننا ان نرى بالاشعة التي تحت الاحمر لكان الورق الاسود والمطاط شفافاً في نظرنا ولما كان الزجاج شفافاً لان الاشعة التي تحت الاحمر تحتفظ بهما ولا تحتفظ

وبتغير المواد التي تدخل في تركيب الزجاج يمكن ان يجعل اقصى من الصلب او اكثر

لبناً من الطلاء الذي يطلى به الخشب . فبعض اصناف الزجاج التي تصنع منها مرايا المراقب وأطباق الطهي تقاوي الاستعمال وما يلازمه من الفرك اكثر مما يقاويه الصلب . فاذا استطاع العلماء ان يصنعوا خيطاً زجاجياً مرناً يصلح للنسج ، اخرجوا للعالم مادة اقوى وامتن من خيوط الحرير

وقد استنبطت وسيلة حديثة في صناعة الواح الزجاج لتقسية الزجاج فجعله اقصى وأمتن من الزجاج العادي خمسة اضعاف وذلك بصنع الواح تعرض لحياة للهواء فتبرد سطوحها قبل ان يبرد داخلها فيضط خارجها على داخلها ولكن بدون ان يتشقق داخلها . الا أن الطبقة الداخلية تكون شديدة التأثر بما يصيبها من خدش او حذر . واما الطبقة الخارجية فأقل تأثراً منها بذلك . وهذه الحقيقة تمكنهم من صنع الواح مثينة من الزجاج تستعمل في واجهات السيارات ولكن كل لوح منها يجب ان يصنع على حدة . اذ لا يمكن حزر لوح كبير لصنع الواح صغيرة منه ، لانه عند حزره تتأثر طبقة الداخلية فتتأثر كائناً حييات من الرمل الدقيق كانت مناسبة فتفككت . ولهذا الصفة فائدة كبيرة في استعمال هذا الزجاج في واجهات السيارات ، فاذا حدث اصطدام وأصاب زجاج الواجهة ما كسره أو حزره ، واتصل اثر ذلك بالطبقة الداخلية ، فان اللوح لا يتشظى ولا تتطاير شظاياه ، بل ينهار ألوقاً وألوقاً من الكسر الصغيرة

وفي الاستطاعة الآن مد الزجاج خيوطاً دقيقة ولكنها لا تصلح للنسج بل هي تشبه عند خروجها من المصنع ذلك النوع من الحلوى المعروف « بنزل البنات » . وفي أحد مصانع الزجاج الأميركية ثلاثمائة ثقب يخرج منها كل ثانية ما طوله سبعون ميلاً من هذا النوع من الخيط الزجاجي فيتراكم بعضه فوق بعضه فيبدو كأنه كتلة هشة من الصوف المتدوف ، تستعمل قطع منها في الزل من الكهربائية والحرارة في المباني والآلات وغيرها . ولا يزيد وزن قدم مكعبة من هذا الزجاج المعروف « بالصوف الزجاجي » على أربع وعشرين أوقية ، ومن خواصه ان الرطوبة لا تؤثر فيه ويمنع انتشار الحرائق واذا وضع في جدار البيت وقاه من البرد القارس في الخارج كما لو كان جدار البيت من الاسمنت المسلح ومما كنهه عشر اقدام

وقد استعمل الخيط الزجاجي في صنع الملابس منه ولكنها لا تزال حتى الآن غير وافية بالمرام . ذلك ان الخيط الزجاجي لا يزال تموزه المرونة اللازمة لكل خيط صالح للنسج . ولذلك لا بد من ان تنتظر صابرين اليوم الذي يحقق فيه صنع خيوط زجاجية دقيقة مرنة تصلح لصنع الملابس ، ان كان ذلك مستطاعاً على الاطلاق

ان المقام لا يتسع لتمديد التواحي التي تشهد فيها الحضارة على الزجاج وما يجتمع فيه من خواص فذة ، وقد اقتصرنا في ماتقدم على بعضها وما تم فيها من التقدم في العصر الحديث

الطفل المتأخر

للدكتور - امير بطر

ليس هذا المقال تقريباً للمجلد الكبير الذي قدمه للقراء ، وليس هو تلخيصاً للعادة الفزيرة التي جمعها المؤلف من ناحية ، وتوصل الى نتائجها من ناحية أخرى . وإنما عرض عام لمسائل علمية عظيمة الشأن قلها الدكتور سيرل برت^(١) ، استاذ علم النفس بجامعة لندن ، بحثاً واختباراً ، وسبقه اليها غيره من علماء التربية والنفس . وقد رأينا ، إقادة لقراء المقتطف عامة ، والوالدين والزمين والمهنيين على شؤون الاطفال خاصة ، أن نضع بين السطور ما ينبغي أن يعرف مما لم يتعرض له المؤلف ، إذ أن لغة الكتاب ، ومفرداته العلمية البحتة ، وأسلوبه الفني ، لم يراع فيه التبسيط ، لانهما وجهه الى الخاصة لا الى العامة ، وإلى المشتغلين بعلم النفس والتربية لا الى غيرهم وقد يتساءل البعض ويحجب ، إذا علم أن مؤلفنا هذا ضم بين دفتيه نحو سبعمائة صفحة منها الكثير بالخط الدقيق والمضي للعين المجردة ، وأنه تمة لمجلد آخر لا يقل عنه ضخامة موضوعه «الطفل المذنب» ، ويذهب السجب إذا أدركنا ان العلماء لا تقل عنايتهم بالطفل الشاذ ، وجميع الموضوعات التي تدور حوله ، منهم بالطفل الساذي ، وما ذلك إلا لأن العقل البشري لا يستطيع ان يفهم الجمال بغير الفصح ، ولا السعادة بغير الشقاء ، ولا الذكاء بغير الغباوة ، ويضدها تميز الاشياء . وخير الجهود التي بذلها علماء التربية ، وأبرز النتائج التي توصل اليها علماء النفس ، نفأت في معاهد الشواذ وضفاف العقول ، وترعرعت في معامل الحيوان بين الفردة والكلاب والقطط والجرذات ، وأكثر مدارس العالم شهرة فتحت ابوابها أولاً لقبول التلاميذ الشواذ ، مثال ذلك مدارس دكرولي التي تنسب اليها طريقة دكرولي والمعروفة اليوم باسم مدارس «لر ميتاج» في مدينة بروكسل (L'Ermitage)

وقد نزل العالم زمناً لا يميز الشواذ التفافاً ، كأنهم من سقط المتاع ، وكان الناس فوق ذلك يسيئون معاملتهم كأنهم لا عواطف لهم ولا حساسية ، كما كانوا يقيدون المصابين بالامراض العصبية ، ويسومونهم المذاب ضرباً بالسياط ، وكباً بالثار ، وتكبيلاً بالسلاسل الفولاذية الثقيلة .

The Backward Child, by Cyril Burt (1)

(٣٥)

جزء ٣

ولم يتبَّه أولو الامر لهذه القسوة الوحشية إلا مؤخراً ، حيناً برهن علماء النفس على ان الذكاء كلمة نسبية كالحرارة والضغط الجوي والجمال والصلاح . وإبناء البشر (والحيوان) يتفاوتون في الذكاء بين المتوء ، والسفيه (وتعرفه كما في الشريعة الاسلامية من يقبض في المعاملات) والابله ، والمتوسط ، والفاثق ، والمتاز ، وفوق الممتاز ، وأخيراً البقري . والطفل يولد بقدر محدود من الذكاء يبقى فيه غير قابل للزيادة والتقصان تقريباً طول حياته (إلا إذا كان سبب نقصه مرضاً قابلاً للعشفاء كاختلال في الغدد الصم) . وطالما كان هذا القدر موروثاً ، فليس ثمة من ذنب على الطفل إذا لم يستطع الانتقال من مرحلة الدراسة الابتدائية مثلاً بلغت جهوده وجهود معلميه ما بلغت ، كما أنه ليس ثمة من ذنب على رجل لا يستطيع ان يحمل قطاراً من الحديد . وعلى هذا للبدء لنشأت نظرية الفروق الفردية التي يمتصها تنوع الدراسات تويماً بين كل طفل على تغير المواد التي توافق حالته ، كمية وصعوبة

بقي علينا أن نعرف ان المجنون لا يقاس بمقاييس الذكاء التي يستطاع بواسطتها تحديد مكانه من المعتوه أو الابله ، أو غيرها من ضفاه العقول ، لان المجنون مريض ، كالحموم والمجنون ، وليس من العدل أن يقاس ذكاء المرء وهو في حالة مرض . فإذا ما شفي المجنون ، فهو كثيره من المرضى وذوي العلل ، يمكن أن يكون عبقرياً او ممتازاً ، كما يجوز أن يكون أبله او متوهاً . وكما أن المحوم لا يذب ولا يجهد إذا ما استرسل في الهذيان ، كذلك ليس من الانسانية في شيء ان يذب المجنون أو القاهب العقل إذا ما استرسل في الهذيان او التمدي على التبرقولا أو عملاً ولم نبدأ أنجلترا بالاطفال الشواذ إلا حديثاً ، وقد سبقها في هذا المضمار اميركا والملائيا وبلجيكا وفرنسا . يد أنها اخذت أخيراً تخطو خطوات واسعة في هذا السبيل . وما هذا المؤلف الذي نحن في صده الا دليلاً على قفزات أنجلترا السريعة . وقد خيل إليّ وأنا اتصفح الكتاب أن مؤلفه اميركي ، لأن الاميركيين أكثرنا من التجارب ، ودونوا من نتائجها ، وألغوا وصنفوا ما لم يصنفه غيرهم من الامم . كما ان الطريقة التي اتبها تكاد تكون اميركية بحته لأن الاميركيين كما لا يخفى ، اذا كتبوا تبسطوا وأسهبوا ، في حين ان الأنجلترا اذا كتبوا أوجزوا وتركوا القارئ لذاته يقرأ بين السطور

لعود الآن الى الكتاب الذي نحن في صده فنقول ان المؤلف قسم الاطفال المتأخرين الى (١) ضفاف العقول و (٢) المذنين او المشاعين و (٣) الكثيري الضباب عن المدرسة (٤) والمتقدمين في جميع المواد الدراسية ما عدا بعضها كالحساب او الهجاء او المطالعة . والفرض من هذه التفرقة علاج كل طائفة علاجاً يناسب مقتضى الحال لانه ليس من شرعة الانصاف ان يتلقى جميع الاطفال ولا المتأخرون منهم مواد الدراسة الواحدة كمية ونوعاً بغير تفرق او كما

يقول المؤلف ليس من شرعة الانصاف ان تقدم طعاماً واحداً لجميع الحيوانات في الحديقة على السواء

وعند صاحب الكتاب الى تقسيم آخر ففرق (١) بين التأخر ذهنياً وخلفاً و(٢) التأخر الموروث والمكتسب و(٣) التأخر العام والخاص و(٤) أخيراً التأخر المؤقت والدائم. ويحتاج التقسيم الأخير الى شيء من الايضاح :

فن الطاقة الأولى من المتأخرين ، يقال ان الطفل متأخر من الناحية العقلية اذا كان أقل ادراكاً من أمثاله الذين يستوون معه عمراً . وقد استنبط علماء النفس كما قلنا مقاييس او اختبارات للذكاء ، وهي أسئلة تتعلق ببيئة الطفل ولا دخل لها بمواد الدراسة ، يطلب من الطفل الاجابة عنها . وهذه الاسئلة تتنوع بقنوع الأعمار ، وقد وجد بعد تجربتها بمئات الألوف من الناس ان طائفة من هذه الاسئلة تخصص لمن عمره تسع سنوات مثلاً وأخرى لمن عمره اثنتا عشرة سنة وأخرى لمن عمره خمس سنوات وهكذا ، فإذا استطاع طفل في السادسة من عمره أن يجيب عن طائفة الاسئلة المخصصة لمن عمره ست سنوات ، قيل انه متوسط الذكاء اي ان سنه العقلية تساوي سنه الزمنية . واذا لم يستطع ذلك ولكنه أجاب عن الاسئلة المخصصة لمن عمره خمس سنوات فهو دون المتوسط لان سنه العقلية خمس سنوات ، في حين ان سنه الزمنية ست سنوات . واذا استطاع الاجابة عن الاسئلة المخصصة لمن عمره سبع سنوات فهو فوق المتوسط في الذكاء لان سنه العقلية سبع سنوات في حين ان سنه الزمنية ست سنوات وهكذا . ويمكن استخراج رقم الذكاء لاي طفل بعد اختباره بواسطة الاسئلة التي تلائم سنه الزمنية ويسته بعملية حسابية بسيطة ، وهي :

$$\frac{\text{السن العقلية}}{\text{السن الزمنية}} \times 100$$

مثال (١) الطفل يوسف سنه الزمنية ١٠ سنوات وسنهُ العقلية ١٢ سنة فيكون رقم ذكائه ١٢٠

مثال (٢) ميمر سنهُ الزمنية ١٠ سنوات وسنهُ العقلية ٨ سنوات ، فيكون رقم ذكائه ٨٠

مثال (٣) حميدة سنهُ الزمنية ٨ سنوات والعقلية ١٢ سنة فيكون رقم ذكائها ١٥٠

هذا عن الناحية العقلية ، أما عن الناحية الاخلاقية او المزاجية كما يسميها المؤلف أحياناً فنسألها فيما بعد

وعن الطاقة الثانية من المتأخرين يكاد يكون العلاج عديم الجدوى اذا كان التأخر موروثاً . وهل استطاع اخراج بذلة منتقة بديهة الهندام من فئاض مادته الخاطم من النوع الرديء ؟ اما اذا كان مكتسباً فالسؤال من السهولة يمكن ان يكون مثل الطفل كالمومي التي لا غبار عليها سوى

انها في حاجة الى السنن ، أو كالأولاد المحوطة بسياج من الصدف والاعشاب والافذار ، لا غبار عليها سوى انها في حاجة الى الصانع الفنان الماهر

وعن الطائفة الثالثة يقال ان في ٩٠٪ من الحالات، اذا كان للطفل (وسائر الناس من الكبار) كفاية في شيء فانه يكون عادة كفواً مقتدرأ في جميع الاشياء وهذه القدرة العامة وراثية لا مكتسبة ومهما حلتها الى وحدات وعناصر فانه يمكن جمعها في كلمة واحدة وهي كلمة « الذكاء » . اما العشرة في المئة الباقية فيكون الطفل مقتدرأ في مواد ومتأخرأ في مادة او اكثر منها ويقال حينئذ ان عنده كفاية خاصة في مواد وضفأ في غيرها . وهذه النظرية انصار على رأسهم سييرمان من اكبر علماء النفس في انجلترا ومن خصوصها ثورنديك اكبر علماء النفس في اميركا ووليم براون في انجلترا . وليس هنا المجال للدخول في تفاصيل هذه النظرية . والذكاء بحسب تعريف المؤلف هو « كفاية (مقدرة) عامة عقلية موروثية »

والطائفة الرابعة لا تحتاج الى كثرة ابضاح فالتأخر المؤقت يرجع الى اسباب لا تلبث ان تزول او يسهل ازالتها ، اما التأخر الدائم فيرجع الى علل خطيرة لا سبل الى شفاؤها

والطفل المتأخر كالمريض يحتاج اولاً الى تشخيص الداء وثانياً الى وصف الدواء . ويتم الاول بمقاييس الذكاء التي سبقت الاشارة اليها والاختبارات المدرسية المعروفة . اما الثاني فيحتاج الى ادارة منظمة وعناية عظيمة وخبراء او معلمين مدربين . ويتضي العلاج الكشف الطبي الدقيق وقياس الجسم الانساني (اتروبومتر) وحفظ سجلات وافية بتاريخ الطفل وتاريخ أسرته وحياته المنزلية والمدارس التي سبق انتظامه فيها وتقارير معلميه الخ . ويدعى هذا السجل الشامل . والمدرسة الراقية يلزم ان يكون فيها محلل قسائي (وفيها في اميركا علاوة على ذلك طبيب اطفال وطبيب امراض عقلية) والا فيلزم ان يكون المعلم ذاتية ممتازة

ويبلغ الاطفال المتأخرون في المتوسط ١٠٪ من مجموع التلاميذ وقد وجد المؤلف ان هذه النسبة تبلغ ٢٠٪ في الريف ، وهذا على ضد الرأي الشائع خطأ من ان اطفال الريف يتأخرون عن اخوانهم في المدن . وتفق هذه النتيجة مع النتائج التي لعرفها في اميركا ، فقد انضج من تجارب العلماء هناك ان اطفال المدن اشد ذكاء من اطفال القرى والاريف . وقد احصى المؤلف المتأخرين ووازن بينهم وبين ضفاف العقول فوجد ان عدد النوع الاول سبعة امثال الثاني وان عدد ضفاف العقول في انجلترا وويلز مئة الف تلميذ

اسباب التأخر

رسم المؤلف خريطة لمقاطعة لندن مقسمة الى ستين وحدة جغرافية ودرس الارقام الاحصائية التي جمعها من كافة مدارس هذه المقاطعة درساً دقيقاً للوقوف على توزيع المتأخرين

من أطفالها في هذه الوحدات الجغرافية . واستدلّ من إحصائه على أن التأخر والفقر يسيران جنباً إلى جنب ، وبلي الفقر ازدحام السكان . ومن الغريب أنه وجد أن التأخر يتفق واحصاء المواليد والوفيات . وتقدم هذه الاحصاءات الوفيات ، أي أنه كلما علت نسبة الوفيات في حيّ من الاحياء علت نسبة الاطفال المتأخرين تبعاً لذلك . وتلى الوفيات المواليد ثم عدد افراد الأسرة . ووجد أن الاحياء التي تكون أعلى نسبة من غيرها في اطفالها المتأخرين تكون أسرعها في ازدياد عدد السكان ، وإن نسبة وفيات الاطفال قبل بلوغهم سنة واحدة في حيّ من الاحياء تمشي مع نسبة الاطفال المتأخرين في ذلك الحيّ الى حدّ كبير . ولا عجب في ذلك فإن العوامل التي تؤدي الى وفاة الاطفال مبكّرين هي بينها التي تؤدي الى نقص العقلي والبدني

وقد فحص المؤلف بطريقة دقيقة ١٩٣ صبيّاً و ١٩٣ صبية بواسطة (١) الكشف الطبي و(٢) اختبار الذكاء . و(٣) الاختبارات المدرسية الخ فوجد أن ٢٠ ٪ من المتأخرين من هؤلاء من الامر الفقيرة المعذمة ، و ٨ ٪ منهم من البيوت الحالية من الوسائل الصحية ، و ١٦ ٪ من البيئة الثقافية المنحطة و ١١ ٪ يرجع تأخرهم الى اسباب مصدرها البيئة والاخلاق والشعور . ولا يفوت أن نذكر أن في عدد ليس بقليل من الحالات تكون المدرسة (ومعلوها) الملوثة لانها لم تستطع التوفيق بين طرق التدريس ومناهج الدراسة وبين حاجات العقل المتأخر . ويحتم المؤلف البحث في هذه الناحية بقوله ان " أهم اسباب التأخر التي تمزى للنزول هي الأم التي ينقصها الذكاء ، وتموزها قوة الشخصية وحسن الخلق وازتران الطباع ، والأم التي لا تكثرت بشؤون المنزل ولا تلباً بمطالب بنينا وبناتها والتي تقتلها المهوم ، أو يكون لإرثها العقلي ضعيفاً

القائمة والمؤلف

تناسب القائمة والوزن تناسباً طردياً مع نسبة النجاح في الاعمال المدرسية ، لان الطفل غير الناضج أي الذي أعقب نموه او وزنه لسبب من الاسباب يكون متأخراً تبعاً لذلك . وبعد أن بين المؤلف هذه الحقيقة بسرد الارقام الكثيرة المعززة لها ، قرّض لمسألة اخرى جديرة بالذكر ، وهي أن كثيرين من الناس يزعمون أن الطول دليل النباوة وهو قول مكسوس ، لان الطالب الذي تزيد قامته على قامه غيره في الفرقة الواحدة يكون غالباً اكبرهم سناً ، واذ يكون متأخراً طادة فإن الناس يظنون ان تأخره يتناسب وطول قامته . ولا يصحّب القارئ لعناية هذا العالم صاحب الكتاب بهذه النقطة اذا علم ان معاهد التعليم في العالم الغربي يحرص على سجلات التلاميذ التي تبين القائمة والوزن وغيرها حرص وزارة المعارف المصرية على سجلات الدرجات والامتحانات العامة . وقد ورد اليّ من وزارة معارف اليابان اخيراً تقرير يدعي اصدرته باللغة

الانجليزية عن حالة التلميم هناك ، وما يسترعي الانظار فيه جداول متقنة بخطوطهم يائية ملونة بديمة لنحو خمسة عشر مليون طالب وطالبة . وتبين هذه الخطوط بعبارة جلية الزيادة المستمرة المطردة في طول القامة والوزن ومحيط دائرة الصدر من سنة ١٩١٤ — سنة ١٩٣٥

عيرب الحواس

تتصرف عيوب الحواس بين الاطفال عادة في النظر والسمع والحركة (في اليد واللسان) . وليست هذه امراضاً في غالب الاحايين ، ولذا يخصص للناية بها العالم النفساني او المعلم الحاذق لا الطبيب . وانه من المعلوم اننا اذا دققنا البحث علمنا أن اليب في الحس والحركة نفسي لا جسماني . وفي الحالات النادرة التي يكون فيها اليب جسمانياً يحال الطفل الى الطبيب المختص . وكثيراً ما تكون هذه العيوب سبباً في إخفاق التلميذ لان المعلم لا يحفل بطريقة التدريس ملائمة لهذه العيوب ولا يراعي القروق الفردية بين أفراد الفقرة الواحدة فإ يملق بالنظر والسمع وحركة اليد واللسان واخراج الحروف التي يستصعب تمييزها من مخارجها . ولا يخفى أن الجهاز الذي يدير الادراك (المقل) هو حسي حركي (Sensori-motor) أي إن المعلومات تصل الى المخ بواسطة الاعصاب الحسية ، ومتى كيفها المخ أرسلها بواسطة الاعصاب الحركية الى عضو من أعضاء الجسم للقيام بما تتطلبه هذه الرسالة . وكتب الترية وعلم النفس غنية بالطرق التي يستطيع المعلم اتباعها لفحص هذه العيوب الحسية

الطفل اليسر

من أقوى فصول الكتاب وأمتها ، بحث مسهب تمتع عن الطفل اليسر أي الذي يستعمل يده اليسرى في المواضيع التي يستعمل فيها غيره اليمنى ، أو أكثرها . ومن السهل فحص الوليد بين سن سنة شهور وخمسة عشر شهراً لمعرفة ذلك ، بوضع عصا من الحلوى ملفوفة في ورقة ملونة أمام عينيه ، ومراقبة اليد التي تحاول القبض عليها . ومن الصعب تحديد اليسر لان بعض الناس يستعملون باليمنى في مواطن وباليسرى في أخرى . فلابعو « الكركت » من الذكور اليسر مثلاً يستعملون اليد اليمنى بكس الاناث اليسر فانهن يلعبن باليد اليسرى . ويتضح معنى هذه الظاهرة من الاسئلة الاتية التي وجهها المؤلف الى متتمة من التلاميذ اليسر ، وهي : — ما اليد التي تستعملها في (١) الكتابة (٢) الرسم (٣) التصوير (٤) الضرب بالحصى (٥) القبض على سكة (٦) قص رقعة من الثياب (٧) حمل كوب او قنجان للشرب (٨) تنظيف الاسنان (٩) ملء الساعة او الفونوغراف (١٠) تناول كتاب او طبق موضوع فوق ركبتيه يصعب الوصول اليه .

وقد قسم المؤلف الاعمال التي يستعين فيها الناس باليد قسماً أحدها يتطلب دقة ومهارة والثاني لا يحتاج الى ذلك. فأولئك الذين يستعملون اليد اليمنى في الاعمال التي تتطلب مهارة ودقة يقال للواحد منهم أيمن وإلا فهو أيسر اذا أدى هذه الاعمال بيده اليسرى ، وإن أدى غيرها باليمنى . ويقال بالأجمال ان ٢٥ ٪ من تلاميذ المدارس (وغيرهم) يسر . وقد استعان المؤلف بعدد كبير من معلمي المدارس لفحص خمسة آلاف تمهيد في لندن فوجد ان توزيع اليسر بين الاطفال العاديين والمتأخرين وناقصي القول كالآتي :

بيان النسبة المئوية لليسر

بين التلاميذ العاديين والمتأخرين وناقصي القول			
عاديون	متأخرون	ناقصو القول	
٥٨	٩٦	١٣٥	ذكور
٣٧	٦٠	١٠٣	إناث
٤٨	٧٨	١١٩	متوسط الاثنين

ويتبين من هذه الأرقام ان اليسر أكثر انتشاراً بين البنين منهم بين البنات ، وبين ناقصي القول منهم بين المتأخرين ، وبين المتأخرين منهم بين العاديين . ويبدو جداً ان يكون الواحد أيمن وأيسر في وقت واحد . غايبة ما في الامر ان تتساوى اليدان قوة ولكنهما قلما تتساويان مهارة في تأدية الاعمال

وقد وجد علماء الاميركيين انه يصعب جداً معرفة هل الطفل أيمن او يسر قبل بلوغه الشهر السادس من عمره . اما بعد هذه السن فتأخذ حالته في الظهور تدريجياً حتى الشهر التاسع إذ دلت الابحاث ان في هذه السن ٦٠ ٪ من الاطفال يؤثرون استعمال اليد الواحدة على الاخرى . ويحدث أحياناً في حالات نادرة جداً كما قلنا ، ان مهنة المرء تدعو الى استعمال اليدين في اعمال تستدعي الحذق والدقة ، فاذا كان لديه الاستعداد الطبيعي الكافي أصبحت اليدان متكافئتين ، كما هو الحال في بعض كبار الجراحين . ويذكر لنا التاريخ من هذا القبيل ميشيل أنجلو وليوناردو دي فينشي ، وسبستيان دي يوميو . وقد دل الاحصاء على ان هناك تناسباً كبيراً بين اليسر والسباحة وعدم الاتزان وسرعة التأثر وحدة المزاج . ويظهر من ابحاث المؤلف القدي نحن بسدده وغيره من المؤلفات التي نعرفها ان علماء النفس مجمعون على ان اكبر اسباب التلعثم ، والقائفة ، والتأناة ، واللا لآة ترجع الى اليسر . وما ذلك الا لجهل الوالدين والمعلمين بطرق التربية في هذا الشأن ، لان تأنيب الطفل او زجره او تعذيبه او السخرية به لاستعماله اليد اليسرى ، يكسبه

شعوراً بالضة وعدم الثقة بالنفس ، وسرمان ما يتقلب الشعور الى عقدة نفسية تفرق حركة اللسان وقد وجد المؤلف ان ٦١٪ من اليسر يتلصمون او ينفقون الخ في حين ان هذه النسبة لا تتجاوز ١٧٪ بين اليمسن . وهذه النسبة ضئيلة اذا قيست بالنتائج التي توصل اليها غيره من العلماء الذين لفهم . ولا بد ان يكون هناك شيء من الاضطراب العصبي في اليسر والذين يستعملون اليمنى في اشياء واليسرى في غيرها . ونكرر القول ان معظم النتائج السيئة مصدرها الوالدين والمعلمين الذين يحاولون تدريب الطفل الايسر على استعمال يده اليمنى بأساليب معينة غريبة ، وهم لا يعلمون ان هذه الاساليب تؤدي الى عيوب كلامية وقد تكون سبب حول في إحدى العينين أو كليهما

وهنا يتساءل القارئ : هل اليسر ورثي او مكتسب ؟ هنا يختلف العلماء . يقول جون ب. وطسن زعيم مذهب السلوكية كعادته أنه مكتسب ، ويقول جزل (Gesell) انه ورثي . ويقول غيرها أن الطفل في السنة الاولى من عمره يستوى ذراعه طويلاً ، غير أنه بعد قليل تكون عظام الذراع اليمنى أطول منها في اليسرى ، ومن هذا يستدلون على أن الطول نتيجة استعمال اليد اليمنى بالعادة . وذكر اليوت سمث ان أقدم سكان لندن تدل بقاياهم على أنهم كانوا يميناً ، وكذلك الانسان الفردي (ape-man) . يد أن غير هؤلاء من العلماء يقولون أن الجردان تؤثر اليد اليمنى على اليسرى ، ومنه يستدلون على ان استعمال اليد اليمنى يرجع عهده الى ما قبل التاريخ او قبل الصور للبشرية (pre-human times) على أن الامرة التي يظهر فيها اليسر تستمر فيها هذه الظاهرة جيلاً بعد جيل . وقد أحصى العالم الانجليزي تشمبرلين ١٢ ألف من السكان فوجد أن ١٧٪ من ذرية الوالدين اليسر (أو أحدهما) يمين . ولا عيب في ما توصل اليه من النتائج في إحصائه الا أنه يبنى أبحاثه على الكتابة في حين ان الكتابة وحدها لا تتخذ دليلاً كاملاً على اليسر او اليمين . ويكاد يتفق تشمبرلين مع المؤلف فقد نين من أبحاث الاخير أن ١٤٪ من الاطفال اليسر من والدين يمين و ٣١٪ منهم لهم أقارب (بيدون) يمين . وفي هذا دليل على أن اليسر ورثي ولكن ليس من النوع المنحط او المرتد الذي أشار اليه مندل كما زعم بعض العلماء

ومن أغرب ما قيل في هذا الشأن ان العالم الفرنسي Aimé Peré (ايميه پير) وجد في امرأة واحدة ٢٥ يسر . وليس من الغرابة في شيء ان نجد التوائم المتماثلة (١) متفق في إشارات إحدى اليدين على الاخرى وان التوائم غير المتماثلة او الاخوية (٢) تكون أقل اتفاقاً في هذا الإشارات

(١) وهي التي تولد من بيضة واحدة identical or unicellular

(٢) وهي التي تولد من يصبوتين fraternal or bi-cellular

واصحاب مذهب السلوكية (وعلى رأسهم وطسون التي سبقت الإشارة إليه) يتفقون ان تشابه الابن واهيه في استعمال اليد اليسرى لا ينهض دليلاً على فصل الوراثة ، لان الابن يقلد آباءه عادة في كل شيء ومن شابه آباءه فما ظلم . وهذا تعزيز لمبدأ البيثة لا لمبدأ الوراثة وهناك نقطة هامة جدية بالناية لم يفت للمؤلف الإشارة إليها لانها تتفق مع اقوال علماء النفس والاعصاب ، وهي اما اذا سلطنا ان بعض البشر منشأه العادة أو الصدفة ، فان الكثير منه يرجع الى اختلاف في وظائف الجسم التشريحية . فن المعروف في علمي النفس والتشريح ان الناحية اليمنى من الدماغ تدير دفة الناحية اليسرى من الجسم والعكس بالعكس . ولذا يقال ان الرجل الايمن يداً أيسر دماغاً . ومن هذا يتضح ان الحالات التي يكون فيها الرجل أيسر شبيهة بالحالات التي يكون فيها القلب في الجهة اليمنى والكبد في اليسرى . وفي معظم حالات اليسر تكون الاعضاء في الناحية اليسرى من الجسم اقوى منها في اليمنى . فقد لاحظ المؤلف من إحصاء قام به بين التلاميذ الذين فحصهم ان ٨٢ ٪ من الذين يؤثرون اليد اليسرى ، يؤثرون كذلك القدم اليسرى ، و ٩٤ ٪ من الذين يؤثرون اليد اليمنى يؤثرون كذلك القدم اليمنى ، وأن ٦١ ٪ (٥٧ ٪ من الذكور و ٦٥ ٪ من الاناث) من الذين يؤثرون اليد اليسرى ، يؤثرون كذلك العين اليسرى على اليمنى ، و ٧٣ ٪ من الذين يؤثرون اليد اليمنى (٧٠ ٪ من الذكور و ٧٧ ٪ من الاناث) يؤثرون كذلك العين اليمنى

ولكن لسري لم يؤثر الناس الايمن على الايسر ؟ لان الايسر شاذ . ولما يقول البعض ان نصف المخ الايمن يزيد وزنه عن الايسر بمقدار ثمن اوقية . غير ان ما للسخ من شأن انما هو في القشرة او المادة السنجابية . وهي اكبر مساحة في النصف اليسار منها في اليمين . ولما كان النصف الأيسر من المخ هو الذي يدير اليد اليمنى كما قلنا ، فاستعمال اليد اليمنى يؤثر على اليسرى . غير ان هذا دليل ضعيف مشكوك فيه ولا يصح اتخاذه حجة يقول عليها

(العلاج) — لا شك ان المقل الايسر عرضة لان يكون متأخراً ليس في الخط والرسم والاعمال اليدوية وحسب ، بل في القراءة والمجاء والحساب ، لان ميل الحروف وكتابة الاعداد وإجراء عمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة الخ كلها تختلط عليه فيكون عرضة لخطأ بطيء الحركة . وقد وجد المؤلف ان الايسر يكاد يكون اربعة اخصاص الايمن مرة في العمل اي أنه عند تساوي جميع العوامل الاخرى يسبق الايمن الايسر بمقدار ٢٠ ٪ في عمل ما ولكن ليست هذه الا أعراض الداء المتظورة . اما الطامة الكبرى في العمل النفسية الدقيقة الكائنة التي تنفد عن استعمال اليد اليسرى . هي ذلك الشعور بالفضة والاختلاف عن سائر الأطفال في كل شيء ، في الكتابة والعب والقبض على الاشياء ، في غرفة المائدة ، وساحة

اللب ، في المكتبة وحجرة الدراسة ، وغرفة النوم . وفوق ذلك كله فإنه على الدوام هدف لسهام اللام وتوارس الكلام من مله ورقاقه واقاربه ، الذين لا يفتأون بنبهونه ويقرعونه ويشهرونه ويصلحون « خطأ » فيجرحون احساسه ، ويطمنونه في عزته وكرامته طعنة بخلاء . فهل لنجب اذا كره بعد ذلك مله واحله وزملاءه ودروسه والمدرسة وكل ما يتعلق بها ؟ وهل فعجب اذا شب مفاتناً شاذاً ، خجولاً ، غريب الاطوار ، عصبي المزاج ، انانياً ، عجباً للوحدة ، متقلباً ، فائراً على غيره وكل شيء حوله ؟

والمؤلف يختلف مع كثير من العلماء في العلاج . فعظم علماء النفس الذين اطلعنا على مؤلفاتهم يؤثرون ان يترك الايسر يستعمل يده اليسرى ولا يجهدون في هذا غضاضة ويستقدون ان كل محاولة للإصلاح تؤدي الى نتائج وخيمة . يد أن المؤلف يفرق بين حالة وحالة ، ويقول ان الطفل وهو في المهد صبي ناعم الاظفار يفتي ان يدرب على استعمال اليد اليمنى وذلك بوضع جميع الاشياء التي يريد القبض عليها في الناحية اليمنى . ويذكر حكاية طليبة لصديق له تمزق حبله الايمن مرة فنقل نقوده الى الحبيب الايسر . وظل الحبيب تمزقاً زمناً طويلاً ولم يخطر لزوجه ان تصلحه . ومن ذلك الحين أصبح صديقه ايسر في هذه الناحية وحدها ، أي ظل يناول نقوده يده اليسرى من الحبيب الايسر ، حتى بعد اصلاح الحبيب وتغيير السرة تغييراً كلياً . ويزيد للمؤلف على هذا ان المعلم عليه مراعاة سن الطفل ومزاجه ومقدار عقله عادة استعمال اليد اليسرى منه والعمل الذي يطلب ان يتخذ العقل منه له ، وعنصر الوراثة فيما يتعلق بهذا الامر فيه . فالطفل بعد سن السادسة يكون قد تأصل فيه الماء ويكون من البت ان يحاول انتزاعه منه . وكذلك الطفل الذي تدل الدلائل على أنه ولد كذلك . والمؤلف حريص جداً على ان يحاول جميع من يهمهم أمر الطفل منذ فومة أظفاره ان يدبروه بكل حكمة وحذر على استعمال اليد اليمنى ، ويقول ان الطفل متى شب رجلاً بقي طول عمره مديناً لكل من ساهم في علاجه . والدليل القوي الذي يتخذ المؤلف سلاحاً لهذا ان أجهزة المدينة كلها — آلاتها ووسائلها — صنعت بحيث يقف أمامها الايسر مكتوف اليدين . قلقاتنج وسلام العربات والسيارات وآلات الحياطة والحلأكي وكل شيء آخر وضعت على هذا الاساس

ويقول العالم الاميركي تزمان Terman ان الايسر يجب ان يترك كذلك ، خصوصاً فيما يتعلق بالكتابة ، لان التدخل في أمره يؤدي الى صوب في النطق (كاللغافاة) وهذه أشد وطأة من تلك . غير ان المؤلف لا يعتبر هذا الرأي لان اللغافاة بين اليسر ليست من الخطورة بهذا القدر ، فان النسبة المثوبة بين هؤلاء في اليمن واليسر هي ٤٠٪ و ٦٠٪ على التوالي

ويقول العالم ترافيس Travis بما قال به تزمان وذلك بناءً على هذه النظرية ، وهو ان الايسر

يكون نصف دماغه الايمن هو السائد بمكس الايمن فان نصف دماغه الايسر هو السائد . والطفل عند ما يتكلم يستعمل التصفين معاً لانه يسمع بأذنيه ويحرك الجزء الايمن والجزء الايسر من الوجه والفم معاً ، في حين انه عند الكتابة يستعمل أحد الجزئين فقط ، فاذا كتب بيده اليمنى فانه يستعمل النصف السائد من الدماغ ولا يتدخل في أمره أحد ، واذا استعمل اليسرى فانه يستعمل النصف السائد او القوي فيتدخل في أمره الناس ويضطر الى استعمال الجزء الضيف . وهذا يؤدي به الى احتلال التوازن في طباعه وعواطفه ويدفع في نهاية الامر الى الفأفة ، ويسترف المؤلف بوجاهة هذا الرأي ولكنه يؤثر ان يرجع حكمه الى ان تقرر هذه النظرية بأدلة علمية أخرى

الصعوب الكلامية

كما ان النظر والسمع هما الحاستان الرئيسيتان في الانسان ، كذلك حركتا اليد واللسان هما الآلتان الرئيسيتان فيه . الاولى تقودها العين والثانية الاذن . وبين الاثنين اللسان اهم من اليد . وقد وجد بالاحصاء ان الصعوب الكلامية عالية نسبتها المئوية بين الاطفال ضفاف القول . وهناك عيان رئيسيان في الكلام هما (١) التلعثم و (٢) استبدال حرف بحرف آخر . اما التأناة فتطلق على من ينطق التاء بدلاً من السين . واللاؤة فتطلق على من ينطق اللام بدلاً من الراء . اما الوقوف فهو تكرار الكلام او الحروف ، والتلعثم هو عدم استطاعة الاستمرار

نحو ٢٥ ٪ من ناقصي القول في المدارس التي فحصت في لندن عديم عيوب كلامية . وتبلغ نسبة البنين البنات في هذه الصعوب النصف . ووجد المؤلف من فحص عام ان نحو ٥ ٪ من جميع التلاميذ مصابون بصعوب كلامية ، وان معظم الثغاة وجدوا ان التلعثم والوقوف ، بين الصبيان ١٣ مثاله بين الاناث . والتأناة واللاؤة ضغفه فقط والسبب الاول ان المرأة بطبيعتها فياضة في الحديث ورشيقة في جمع حركاتها ، والكلام هو حركة اللسان . والسبب الثاني ان الناس ياملونها منذ الطفولة بالذين يكسب الذكر

وتكثر الصعوب الكلامية في سن الرابعة والخامسة ولكنها متضائل بعد نهاية الدراسة الابتدائية . ولوحظ ان بين سن ٧ — ٨ تقفز النسبة المئوية لاسباب (١) لكثرة أمراض الاطفال في هذه السن كالسعال الديكي والحصبة والزكام الشديد لانها تضيق الجهاز التنفسي والسمع (٢) لانها سن التسنين dentition

وقد أفاض المؤلف في العلاج ولعل اهم ما ذكره ان صاحب الصعوب الكلامية لن يستقيم حاله ما لم يتجنب أهله كل سخرية وهزه ، وما لم يراعوا إحساسه ويشجعوه على الكلام ولا يلومونه ،

مع عدم اراحته بالدروس او العمل، ومع إيكال اسمه الى معلم حكيم صبور يستطيع ان يمرنه على الكلام بأساليب يداوجية قسبة

هذه نظرة مربة اعملا فيها فصلاً كاملاً عن الذكاء مكتفين بما سبقت الاشارة اليه مما بهم القارئ معرفته عنه. وقد ذيلنا البحث بالفردات التي استعملناها وما يطابقها بالانجليزية (عاماً) لفائدة . وحذا لو اطلع على هذا المؤلف الجليل كل من يمت الى شؤون التربية بصلة

delinquent	مذنب	psychoanalyst	المحلل النفسي
backward	متأخر	psychiatrist	طبيب الامراض العقلية
abnormal	شاذ	neurologists	علماء الاعصاب
defective (mentally)	ناقص العقل	pediatrist	طبيب الاطفال
genius	عبقري	left-handedness } sinistro-dextrality }	اليسر او السر
moron ⁽¹⁾	أبله	right-handedness } dextro-dextrality }	اليمين
feeble-minded	ضعيف العقل	left-handed } sinistro-dextral }	ايسر
imbecile (وهو من ينين في الماملات)	سفيه	right-handed } dextro-dextral }	ايمن
idiot	مجنون	ambidexterous	الاضبط
normal	عادي	recessive	مرتد . منقطع
subnormal	دون العادي	behaviourism	السلوكية (في علم النفس)
chronological age	السن الزمنية	substantia grisea } gray matter }	المادة السنجابية (في المخ)
mental age	السن العقلية	stammering	تلعثم
cumulative record	السجل الشامل	stuttering	لُكْنَة (تكرار الحروف)
psychologist	عالم نفسي	lisping	التأناة (نطق التاء بدل من السين)

(1) يعتبر moron عند علماء النفس الانحطاط

الذين يكون ذكائهم اقل درجة من feeble-minded

وأعلى درجة من imbecile (سفيه)

اللائاة (لطق اللام بدل من الراء)

identical twins }
unicellular twins }
fraternal twins }
biocellular twins }

توائم متماثلة

توائم متشابهة او أخوية

التعليم

بين المؤثرات التاريخية والاختلافات البوجوازية

لعميد المرحوم بكري
المفتي بوزارة المعارف

يزداد عدد الشباب الماطلين يوماً بعد يوم على الرغم مما حازوه من الشهادات. وكان الناس يتقنون ان التعليم ثمينة تقي صاحبها شر البطالة لان ابواب الرزق كانت تتفتح امام المتعلمين القليلين فلما زاد عددهم ضاقت بهم ابواب الرزق فظن بعض المفكرين ان سبب ذلك قلة نصيب المتعلمين من الثقافة وان نصيبهم اقرب الى ان يدعى قسوراً وانهم اذا زاد حظهم من الثقافة التي هي دواء لكل داء مثل اكسير الحياة، لم يصعب حتى داء البطال من العمل على ان هذا الشباب المتعلم الماطل من العمل غير مقصود على مصر بل هو ايضا في الدول الغربية. وبعض هؤلاء الماطلين نصيبهم من الثقافة الفكرية نصيب عظيم. وقد يسحب المفكر من وجود البطال من العمل في الدول الغربية. فانه يقول هذه بلاد توارث الناس فيها الملكات العملية وميولها جيلاً بعد جيل ثم تمتلأ بيوتهم منزلية وغير منزلية تساعد على تمكين الطبائع العملية في النفوس ثم وجدوا فرصاً كثيرة تزيد هذا التمكن من الفرص والمؤهلات والمؤسسات والاسواق الاقتصادية والمستعمرات فلم تحل جميع هذه العوامل دون انتشار عطل المتعلمين بينهم. ولا مرأه في ان سرعان سنة العرض والطلب الاقتصادية كان لها اثر في هذا الانتشار وكانت هناك اسباب ليس هذا المجال مجال بحثها. ولكن مما لا ريب فيه ان سياسة التعليم وخطته العامة كان لها اثر أيضاً لان الطبقة الوسطى على اختلاف درجاتها عندما ظفرت بالحكم والسلطة في دول غرب اوربا في القرن التاسع عشر جعلت خطة التعليم العامة مؤسسة على الثقافة النظرية، وتقديس (البوجواء) لهذه الثقافة وسعيهم في طلبها يشبه سعي أهل القرون الوسطى في طلب اكسير الحياة او حجر الفيلسوف. وقتهم ان طبقتهم ليست في الحقيقة طبقة واحدة متجانسة وليس جميع أفرادها ولا كل من يتعلم بحسب خطتهم الثقافية (ان صح) أنهم كانت لهم خطة لا محض

اتجاه فكري) ممن يستطيعون ان يعيشوا بالثقافة الفكرية دون سواها . وقد بدأوا الآن يندبون حظ العاطلين عن يسمون بدوي «الباقات» اليض . ومن اغلاطهم انهم لم يدركوا قاعدة الانتفاع من زيادة ممكن الطابع العملية من النفوس بالوسائل التعليمية المصطنعة في المدارس إلا في العهد الاخير وربما كان السبب في ذلك اغترافهم زمناً بعمل عوامل الوراثة والبيئة والفرص الاقتصادية في بلادهم على ممكن هذه الطابع . وقامهم ان مثل الوسائل العملية المصطنعة التي تتخذ لزيادة ممكن الطابع والميول العملية في النفوس وتنمية ما ينشأ عنها من الصفات في العقول والجسوم كمثل الوسائل الطبية الحديثة في الزراعة فان خصب التربة لا يفي عنها وكذلك النفوس الفنية بالميول العملية الخاصة بها لا تستني عن الوسائل التعليمية المصطنعة المنظمة التي تتخذ للاستيثاق من ممكن هذه الطابع والميول العملية

ولما كنا نجاري دول غرب أوروبا في خطتها التعليمية فقد وقفنا فيما وقفت فيه من أخطاء وكانت هذه الاخطاء أشد ضرراً بنا لان المؤثرات التاريخية والاجتماعية في نفوسنا غيرها في نفوسهم ولا نعمل كثيراً على توافر هذه الطابع والميول العملية في قوسنا ولان البيئة عندنا منزلية كانت او غير منزلية لا نعمل ايضاً على توافر هذه الطابع ولان الفرص والمؤسسات الاقتصادية التي من شأنها إغناء هذه الطابع ليست متوافرة عندنا كما هي متوافرة في هذه الدول التي نجاريها



والذي ينتج خطة التعليم في مصر في الحيل الماضي يجد ان محورها كان زيادة المناهج او انقاصها وزيادة مرحلة الثقافة العامة او انقاصها؛ وما عدا ذلك من اوجه الاصلاح كان عرضاً لا جوهرأ ولا محوراً لحطة التربية والتعليم وما كان منه صالحاً لم يستفد منه قاعدة تذكر لان واضعي خطط التعليم كانوا يدينون بعقيدة الاكثار من الثقافة العامة من غير تمييز بين المتعلمين وحاجاتهم وطبقاتهم وكان لفظ الثقافة محور التفكير والحديث والكتابة والفخر وكانوا يقولون ان المرء اذا تثق ثقافة عامة كان صالحاً للحياة وكانت الحياة صالحة له وانما كانوا يختلفون في سبل تحقيق هذه الثقافة فبعضهم كان يرى توافرها في المطالعة مرحلتها في التعليم او في إرّاع مناهجها واشباعها وبعضهم كان يرى توافرها في تخفيف المناهج مع تشديد الجودة . وكان انجاء كل فريق مثل الانجاء الفكري عند الحكام من «البورجوا» في دول غرب أوروبا وأمن المتعلمين منهم بطبقة الاشراف الاغنياء ، وتقدّيس «البورجوا» للثقافة تقدّيساً بصرف النظر حتى عن مهيئاتها هو أمر نبيل وهو ضرورة لهم لحفظ السلطة في يدهم ولكن لم تكن جميع اسبابه عالية نتيحة فقد كان من اسبابه حسد الاغنياء من «البورجوا» للمتسلمين المستعيرين من اغنياء الاشراف الذين كانت في يدهم مقاليد الحكم قبل فوز

«البودجواء» في القرن التاسع عشر ولكن الثقافة كانت عند أكثر الاشراف لغة عقلية لا عقيدة وديناً كاجلها «البودجواء» كي يخفوا بعض الاسباب الحقيقية التي جعلتهم يأخذون بها



وكثرة التحدث بالثقافة ومزايا الثقافة قد صرفت المفكرين عندنا عن سبيل تحقيق الثقافة فان خوفهم من ان يجبور التخصص على الثقافة فينتج نشأ ناقصاً قد جعلهم لا يميزون بين وسائل تمكين الطبايع العملية من النفوس وبين التخصص. فكلاً جدي اقتراح من شأنه تمكين الطبايع العملية اثناء مرحلة تعليم الثقافة قيل هذا تخصص في عمل من الاعمال لا يصح ان يدرب عليه اثناء مرحلة الثقافة. وبهذا التفكير جنوا على الثقافة التي يشدونها لان الحواس هي ابواب النفس واذا لم تربى ولم تربى الطبايع العملية كانت النفس منغلقة او شبه منغلقة لا تقبل كل ما يرد اليها من المفولات . وهذه الحواس والطبايع العملية والصفات التي تنشأ عنها، ومنها حضور الذهن واليقظة الفكرية وسرعة الحاطر ودقة الحكم على الحقائق وإقدام الواثق المؤهل ، امور لا تسمى الا بمنهج فيه كثير مما يرفضه القائلون بالثقافة قبل كل شيء ويقولون برفض كل ما يظن انه تخصص في اثناء مرحلة الثقافة . ومن أجل ذلك لم يشر ما يدعى بالنشاط المدرسي كل ثمرته لانه لم يكن الجواهر بل كان الرض في المدارس فكان مقصوداً على عدد قليل من الطلبة وعلى انواع محددة من النشاط ولم تمد له كل ما يحتاج اليه من حجرات او مال او اخصائين او ادوات او فراغ ولم ينظم بطريقة المنهج الواسع النطاق المدرج الذي يراد به ما يراد من بث الصفات والطبايع العملية ولم يتضمن نتائج البحوث المشتغلين بالتربية ولا منهجاً لتربية الحواس والممتلكات كما تربى على طريقة منتسوري مثلاً ولا نظاماً لتدرب على اعمال الحياة المختلفة ، كما في المدارس التجريبية الاميركية ولا على غير ذلك من نتائج خبرة المشتغلين بالتربية الحديثة وبمخبرهم — وقد يعترض معترض فيقول ان طرق تربية الحواس والممتلكات من امثال طريقة منتسوري انما تراد لتأقصي القول والممتلكات وهذا وهم فان ثمرتها تكون اتم وأعظم في غيرهم . وقد يعترض معترض فيقول ان المدارس التجريبية في اميركا وغيرها ما هي الا تجربة تخسب وهذا وهم فان هذا الاتجاه الفكري قد أثر في المدارس طامة وكان من اثره ما يسمى بالنشاط المدرسي

واذا نظرنا الى تاريخ الامم وجدنا لكل منها حضارتين او ثقافتين فلها ثقافة في ابان نهضتها من البداوة او ما شابه البداوة من انواع الميعة وهي الحضارة التي تكون للامم عند اخذها بأسباب الثقافة ، قبل ان تفقد الطبايع والميول العملية التي هي أكثر في ميئسرتها الاولى قبل ان تموتها رخاوة الحضارة وطراوتها . ولها ايضاً ثقافة اخرى او قل هي شكل يدخل

على الحضارة والثقافة الاولى بعد ان تال منها رخاوة الحضارة وعوامل الضعف الاجماعي المختلفة سواء أمن فساد القوانين والنظم الاجماعية نشأت ام من ركود التجارة والصناعة والاعمال العامة لاسباب اخرى . وهذه الثقافة الاخيرة قد تكون في بعض اليبثات راقية من الناحية الفكرية النظرية ولكنها قما تكون مشمرة لافتقار الميول العملية والصفات الناشئة من طبائعها والتي كانت لها في حضارتها الاولى

وفي مثل هذه الحال لابد ان نحاول الامة احياء تلك الطبايع العملية واعادة تمكئها من النفوس بالوسائل التهذيبية التعليمية المصطنعة وهذه المحاولة هي ما ينبغي ان يكون محور خطة التعليم وأساسها وما يستدعي تهكيرنا وسبقنا قبل كل شيء حتى قبل التفكير في الثقافة قائما اذا قلنا ذلك كان امر الثقافة بعد ذلك هيئا وكانت اتم وأحسن وأكثر ثمرة



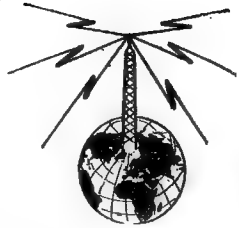
وكا ان لنا في حياة الامة وتاريخها وحضارتها التي ذكرناها عظة وحجة وعبرة فان لنا في حياة الانسان الفرد اعظم حجة وأكبر عظة . فالطفل لابد ان تفتح حواسه وترى في طفولته، وهي عادة تربى في المنزل والبيئة عفواً بطرق غير منظمة ولكنها تربية على اي حال، قبل ان ينمو ويستمد لقبول الثقافة النظرية الفكرية . وتربية الحواس المنظمة تصصح وتساعد تربيتها غير المقصودة والخطر كل الخطر في الامة المتحضرة بالحضارة الاخيرة من حضارتها اي الحضارة التي فقدت فيها الطبايع العملية اذا كانت الثقافة هي محور التعليم ان تريد هذه الثقافة النظرية الفكرية ابناء هذه الامة عجزاً على عجز وتغريهم باحلام اليقظة ونشقت ذهبنهم وتهل مساعيم فتكون تلك الثقافة اشبه الاشياء بالحدرات لا اقل ولا اكثر



وقد يمترض ممترض فيقول اذا كانت الاعمال تمكن الطبايع والميول العملية من النفوس وتوهل للنجاح فيها فلم لم تفعل ذلك في مدارس الصناعة والزراعة وهذه مغالطة . قلنا قبل ذلك وانما يكون أثرها اعظم لو ان طلاب هذه المدارس قد نشأوا من صغرهم على خطة من التعليم عموها تربية الحواس والمسلكت بالطرق البيداغوجية المنظمة الحديثة وتمكين الميول العملية من النفوس وانما صفاتها التي توهل للنجاح في الحياة والتي تجعل الانسان اكثر استعداداً للاقتناع بالثقافة العقلية . والحقيقة ان بعض طلاب الثقافة ينحسرون الثقافة ويضلون طريقها كما يضل طريق السعادة او الصحة بعض من ينمون اتسهم ويشقونها بالتفكير فيها في كل لحظة

امسايب المخاطبات

الكهربائية واستغادها في العصر الحديث



من تلفراف مودس الى تلفاز ورد

واليوم أبداً ما تكون رسالة
حمل ألوكتك القضاء يؤدّها
فالجو بالقطبين طرس دائر
والبرق أصرع ما ترى من مرقم
ان لطت طاجلها برش القسم
شرراً الى اقصى مدى منيّم

بهذه الايات البليغة وصف خليل مطران المخاطبات اللاسلكية الحديثة . وليس يخاف من وسائل المخاطبات بين البشر ظلّت بطيئة لارتباطها بناقل يستمد على سرعته في السير كرسول او قطار او حمام زاجل . فلما تمكن العلماء من استئصال التيار الكهر بائي الساري في سلك من المعدن ، ثم لما تمكنوا من تحميل الامواج الكهربائية الحثية رسائهم المتنوعة ، ارتقت امسايب التخاطب ارتقاء عجيّباً وانتشرت انتشاراً واسعاً ، فربطت البلدان باسلاك من حديد واسباب من نحاس اولاً ، ثم بامواج خفية قصيرة وطويلة ، فصارت في الامكان ان تبث رسالة برقية بالسلك التلفرافي ، أو الموائج اللاسلكي في ثوان ودقائق ، بل غدا في مكنة الانسان ان يتحدث عملة أو صديقه في أنأى الاقطار عنه فينتقل الحديث « شرراً الى اقصى مدى منيّم »

وقد حدث في خلال الشهر الماضي في مصر حادثان استوقفا النظر ووجها النهاية ، الى ما فتحنا به العلم من اسباب التخاطب السلكي واللاسلكي ، أولها اجتماع المؤتمر الدولي للمواصلات السلكية واللاسلكية في القاهرة ، وقد حضرته وفود من نحو ستين دولة ، والثاني اذاعة لاسلكية في الولايات المتحدة الاميركية ، كان مصدرها من حجرة الملك في هرم خوفو الكبير بالجيزة .^(١) فلذلك رأينا من حق القراء علينا ان نوجز لهم في مقال واحد ، ارتقاء المواصلات الكهربية الحديثة من تلفراف مودس الى تلفون بل الى التلفراف والتلفون اللاسلكيين وما يتصل بهما من فنون النقل اللاسلكي كتنقل الصور والتنقل النموذجي والتلفرة

(١) راجع وصف ذلك في باب الاخبار العلمية من هذا الجزء

التلغراف السلكي

في أواسط القرن الثامن عشر خطر لبعض المشتغلين بالكهربائية أنه في الامكان نقل الاشارات الكهربائية من مكان الى آخر . ثم اكتشف ستيفن غراي وغرافيل هوبلر أنه يستطيع نقل الكهرباء من زجاجة ليدن مسافة طويلة على سلك مزول . ثم اقترح أحدكم سنة ١٧٥٣ في المجلة الاسكتسية نقل الاشارات الكهربائية على سلك مزول قوامه ستة وعشرون سلكاً مزولاً كل سلك منها يقابل حرفاً من حروف الهجاء الانكليزية

على ان المصاعب العملية التي قامت في سبيل تحقيق هذا الفكر او ما عائله كانت حجة لم يستطيع تذليلها قبل سنة ١٨٣٧ . ذلك أنه كان لا بد من لزعماء الباحثين في الكهرباء كغلفاني وفولطا وأورستد وفراي من كشف أسرارها ومعرفة قوانينها قبل ان يصير التحكم بأفعالها مستطاعاً . ثم توالت المستنبطات وكل منها خطوة في طريق الكمال . ثم قام مورس في اميركا وستانيل في باقاريا وهويتسون وكوك في انكلترا فصنع كل منهم تلغرافاً خاصاً مخالفاً لتلغراف الآخر وحسب أنه نال قصب السبق في هذا المضمار ولكن فُضِّل تلغراف مورس لبساطته وسهولة العمل به صنع مورس تلغرافه الأول سنة ١٨٣٢ ولكنه كان مدمماً لا يستطيع ان ينفق على اذاعته فبقى يشغل باقتنائه الى ان تبنى له عرضة لقاس سنة ١٨٣٧ في جامعة نيويورك فأرسل حيثنر الاشارات الكهربائية مسافة ١٧٠٠ قدم على سلك نحاسي . ثم منحه الكونغرس (مجلس الامة الاميريكي) ٣٠ الف ريال فألفاً أول خط تلغرافي تجاري سنة ١٨٤٤ بين واشنطن وبلطيمور . وهو الذي وضع لظام الاشارات التلغرافية المستعمل الآن والمعروف باسمه (Morse Code) ونوفي سنة ١٨٧٢ قيل انشاء المختص

شاع تلغراف مورس في انكلترا وأميركا وافقن اتفاقاً عظيماً في بضع سنوات ومدت اسلاكه حتى صار في الامكان ارسال الرسائل التلغرافية مسافة مئات من الاميال سنة ١٨٥٠ . ثم جعل العلماء يبحثون عن امكان مد الاسلاك التلغرافية تحت البحر فمد السلك التلغرافي البحري الأول بين كاليه بفرنسا ودوفر بانكلترا سنة ١٨٥١ وتلاه مد الاسلاك التلغرافية بين اسكتلندا وارتلندا وبين انكلترا وارتلندا . وكان المهندسون الكهربائيون حيثنر يطمحون الى وصل اميركا واوروبا بالتلغراف فتألفت شركة في بلاد الانكلز سنة ١٨٥٦ لمد سلك تلغرافي في المحيط الاطلنطي . فتم مدّه سنة ١٨٥٨ الا أن الاشارات التي ارسلت به لم تكن واضحة كل الوضوح فاهمل استعماله فتألفت شركة أخرى لمد سلك آخر وكان مستشارها السير وليم طلمسن (لورد كلشن بيدنر) فأتمت عملها سنة ١٨٦٦ بمد تجارب كثيرة أبدى فيها السير وليم طلمسن من البراعة في العلوم

النظرية وتطبيق مبادئها ما حصل اسمه مرتباً كل الارتباط بمدى السلك التلغرافي بين أوروبا وأمريكا وحاول بعضهم بعد ذلك أن يرسل رسالتين تلغرافيتين على سلك واحد في وقت واحد ففجع المستر سترنر أحد سكان بوسطن في ذلك . ثم سعى رجل يدعى ستارك إلى إرسال أربع رسائل تلغرافية على سلك واحد فلم تسفر تجاربه عن النجاح وتلاه أدوين المستنط الأمريكي المشهور فأفلق في ذلك ولا يزال أسلوبه متباً إلى الآن

ومن ثم أخذت الشركات والحكومات المختلفة تمدد الاسلاك التلغرافية بين مختلف البلدان والقارات فوق الأرض وتحت الأرض ونحت البحر فتمكنت شركة الإيسزن التلغرافية في سنة ١٩٢٤ من إرسال رسالة تلغرافية من لندن حين افتتاح معرض ومبلي فدارت حول الأرض ورجعت إلى لندن في دقيقة وثلاث دقيقتين

ولمّا عن مد الاسلاك التلغرافية في مختلف البلدان علاقات دولية اقتضى لها مؤتمرات لتنظيمها ووضع قانون لها تجري عليه فالتأمت مؤتمرات في باريس سنة ١٨٦٥ وفيينا سنة ١٨٦٨ ورومية سنة ١٨٧١ وبطرسبرج سنة ١٨٧٥ ولندن سنة ١٨٩٧ وبرلين سنة ١٨٨٥ وباريس سنة ١٨٩٠ وبودابست سنة ١٨٩٦ ولندن سنة ١٩٠٣ وغيرها . وألشيك مكتب دولي لإدارة التلغرافات في برن عاصمة سويسرا سنة ١٨٦٨ . هذا وقد بلغ طول الخطوط التلغرافية المستعملة في سنة ١٩٢٠ ستة ملايين ومائة وسبعين ألف ميل منها ٣٠٠ ألف ميل بحري من الاسلاك التلغرافية البحرية

التلغراف السلكي

لا يخفى أن الصوت شعور يشعر به الأذن من أمواج في الهواء تصل إليه من الجسم الصائم فينقلها إلى الأذن . وهذه الأمواج تختلف في عددها وسعتها واتصال أمواج أخرى بها وقت حدوثها فيكون من ذلك علو الصوت وشدته وكيفيته . فإذا أريد نقل الصوت البشري بآلة من مكان إلى آخر وجب أن تقل الأمواج بحسب عددها في الثانية من الزمان وبحسب سعتها واتصال غيرها بها لكي يكون منها صوت مسموع مثل الصوت الذي نُقل تماماً . وهذا ليس بالأمر السهل كما يظن لأول وهلة ولذلك نعدّ على العلماء زماناً طويلاً . وأول من تقلب على جانب منه الأستاذ ريس من فرنكفورت فأنه صنع غشاء من الكلوديون سنة ١٨٦٠ وأوصل به مفتاحاً معدنياً متصلاً بسلك كهربائي فكان الصوت يهز هذا الغشاء فيتحرك المفتاح بهتزازة فينتقل الجرى الكهربائي على السلك وينقطع عنه بحسب اهتزاز المفتاح . وفي الطرف الآخر من السلك مفتاح آخر مثل هذا يتصل به غشاء مثل الأول فهتز بحسب سرية الكهربية وانقطاعها ويهز الغشاء فيتولد صوت من اهتزازة مثل الصوت الأول في عدد أمواجه ولكنه ليس مثله في سعتها وكيفيتها فلا يشغل به الكلام ولو قل به بعض الأصوات الموسيقية

ثم استنبه للستر غراي من شيكاغو ان يقل الصوت بحد اهتزازته واتساعها اي بملو وشده وذلك انه ابدل النشاء الذي يهزه الصوت بقلم معدني ينفس في الحامض الكبريتيك الخفف فزيد المقاومة لتيار الكهربائي بحسب انقياسه في الحامض ولذلك يقوى التيار الكهربائي او يصف وفقاً لتوُّج النشاء او وفقاً لارتفاع الصوت وانخفاضه . ووصف غراي تليفونه هذا في كتاب قدمه الى «ديوان الامتياز بالخرطاط» في الولايات المتحدة في ١٤ فبراير سنة ١٨٧٦ وفي ذلك اليوم عينه قدم اسكندر بل Bell الانكليزي الاصل والاميركي النشاء رسم تليفون الى ديوان الامتياز مؤلف من غشاء رقيق متصل به قطعة من الحديد اللين موضوعة امام قطعة من المغنطيس الكهربائي لكي تهتز امامه مع النشاء بتوُّج الصوت ، فتقوى الكهرباء او تضعف وينقل هذا الفعل على سلك معدني الى مغنطيس كهربائي آخر امامه غشاء كالاول فيهتز بالمجرى الكهربائي كما اهتز النشاء الاول ويصدر الصوت من اهتزازو . ولم يحد هذا التلفون بالفرض ، فجعل الاساذ بل يزيد قطعة الحديد اتساعاً حتى جعل النشاء كله صفحة رقيقة من الحديد اللين وأبدل المغنطيس الكهربائي بمغنطيس دائم فمُ التليفون على ما رآه في الجهاز الذي يسمع الصوت به الآن

ومن ثم أخذ المستبطنون يشتغلون باتقان الجزء المرسل والساعة حتى يكون الصوت جليلاً والكلام واضحاً وأشهر المشتغلين بذلك اديسن والبشا غراي وهيو مستبطن المكروفون وغيرهم ولقي بل صعوبة كبيرة في اول عهده باستنباط التليفون في اقعاء الجمهور فباندته . فرض تليفونه في المرض المثلوي الاميركي فرَّ به القضاة قرب التروب وقد أنهمك التنب مرَّ الكرام ، وسأله اخدم متهمك « وماذا يهنا لو نقل الصوت على سلك او لم ينقل » . واذا بجادته من الحوادث التي يسوقها القدر لتغيير مجرى التاريخ فانقلبت الحال بين غضة عين وانتباهتها الى حال اخرى . ذلك انه حينما تم القضاة بالانصراف اقترب من مائدة بل رجل في جماعة كبيرة من الاتباع . كان ذلك الرجل دوم بدرو امبراطور البرازيل وكان قد حضر الى الولايات المتحدة قبلاً وتمرّف الى بل لما كان مبرساً فعرفه الآن وتقدم اليه وصاحبه فشرع بل ييسط له استبطائه والقضاة يصنون اليه . وبعد ما انتهى من بسطه اخذ الامبراطور الساعة واصنى الى ما يقوله بل في الطرف الثاني فصاح « يا الهي انها تتكلم »

كانت هذه الحادثة خاتمة المصائب التي لقيها بل في سبيل نشر اختراعه . فذا تم الامبراطور نجريته حتى اقترب القضاة واحداً واحداً يريدون ان يجربوها وكان بينهم السروليم طمسن (لوود كلشن) وجوزف هنري العالم الكهربائي . فقال طمسن بعد ما جربها « ان هذا الجهاز اعجب ما رأيت في اميركا » فذاع اسم بل بين لية وضحاها وفي صباح اليوم التالي نقل تليفونه من

المكان الزري الذي كان فيه الى أظهر الاماكن في المرض ومن ثم أخذ التلفون في الشبوع حتى بلغ عدد التلفونات المستعملة سنة ١٩٢٨ نحو ٣١ مليون تلفون في كل العالم منها نحو ١٨ مليوناً في الولايات المتحدة الاميركية وهو آخر احصاء عرنا عليه في دائرة المعارف . ويظهر من مقابلة التلفونات التي كانت مستعملة سنة ١٩٢٠ بما كان مستعملاً منها سنة ١٩١٠ ان عددها تضاعف في عشر سنوات ثم انه زاد اكثر من خمسين في المئة بين سنتي ١٩٢٠ و ١٩٢٨ . وقد تمت في الحقبة الاخيرة اصلاحات جمة في التلفون اهمها آلة استنبطها الاستاذ بيون من اساتذة جامعة كولومبيا جعلت المحادثات التلفونية سهلة على مسافات شاسعة . فدت الاسلاك التلفونية من شرق الولايات المتحدة الى غربها واستعمل الحط التلفوني التجاري بين نيويورك وسان فرانسكو في ٢٥ يناير سنة ١٩١٥ ثم مدت اسلاك تليفونية تحت البحر الى كوبا سنة ١٩٢١ ويمكن المهندسون المتقطعون للتلفون من مد خط تلفوني بين بلطيمور وبسبرغ سنة ١٩١٨ تجري عليه اربع محادثات في وقت واحد ومن الاجهزة التلفونية التي لغت حديثاً ما يعرف بالتلفون الذاتي وبه يستغني مشترك التلفون عن الوسيط في « الستراي » فيحرك القرص حركة خاصة تفتح امامه الحط الذي يطلبه من غير ان يوسط احد في ذلك

التلغراف اللاسلكي

بين هرتس العالم الالماني الشهير سنة ١٨٨٧ ان الكهرباء التي تنطلق من مكثف كهربائي تسبب شرارة قوية بموج الامير الذي حولها كانها جبر ربي في راكد الماء فيحدث فيه دوائر متشعرة الى كل جهاته وقد سميت هذه التموجات بموجات هرتس لسبب اليه لانه اكتشفها وقاسها وأثبت انها سرية جداً وقد كان عمله هذا نتيجة لبحث مكسويل الرياضي على ما يتسنا في سيرتي مكسويل وهرتس في « اساطين العلم الحديث » . فاذا استنبطت آلة متأثر بهذه التموجات وهي منتشرة في الفضاء اصبح التحكم بها مستطاعاً فتقل الاشارات الكهربائية في الفضاء من غير سلك وتنتقل بالآلة المستقبلية . فاستعمل هرز أولاً حلقة من السلك لالتقاط هذه التموجات ولكن لم يلبث ان اهملها لان آلة هيوز كانت اقن منها وادق قائراً . ثم استنبط الاستاذ كلزكي اوستي الايطالي آلة حقوق آتني هيوز وهرز وحسبها برانلي الفرنسي ولُدج الانكليزي وغيرها ودعاها لُدج الجامع او الرابط Coherer

واهم مركوبي بالاساليب المستعملة لكشف التموجات الكهربائية في الفضاء من سنة ١٨٩٤ الى سنة ١٨٩٦ فصنع جامعاً مؤلفاً من انبوب صغير من الزجاج مفرغ من الهواء طوله

نحو أربعة ستمترات وقطره نحو ٤ ملترات وفيه قطعتان من الفضة بينهما فسحة مملوءة بمرادة النكل والفضة ٩٥ في المائة منها نكل و ٥ فضة والقطعتان متصلتان من طرفيهما بسلكتين من البلاطين في بطرية عملية . وبرادة النكل والفضة تفصل التيار الكهربائي الجاري من هذه البطرية . ولكن اذا فلتت فيها موجات هرتس المذكورة آنفاً اجتمعت دقائق البرادة بعضها مع بعض وصارت موصلاً للكهربائية فتم دائرة البطرية المحلية وبقى البرادة مجتمعة كذلك الى ان نهز فتفصل وتعود الى مقاومتها الاولى لتيار الكهربائي كما كانت وينقطع التيار

ثم كشف مركوبي حقيقة كبيرة الشأن في تحقيق التلغراف اللاسلكي اذ وجد انه اذا وصل احد السلكتين اللذين في طرفي جامع بلوح من المعدن ودفعه في الارض ورفع الآخر على عمود يمكن جامعه من التأثير بموجات هرتس ولو كانت ضيقة لقدمها من مكان بعيد . ثم صنع جهازاً مرسلاً لاطلاق الموجات الكهربائية المتتابعة في الهواء واستقبلها بجهازه المستقبل او اللاقط ومن أجزائه الجامع وآلة تدون علامات مورس التلغرافية فكان ذلك اساس التلغراف اللاسلكي التجاري المستعمل الآن

ولا تتولى هنا بسط التحسين الذي طرأ على أجهزة التلغراف اللاسلكي بل نكتفي بالإشارة الى أهم التواريخ في شيوخه كوسيلة للتخاطب

نصح مركوبي في يوم عيد الفصح سنة ١٨٩٩ في ارسال رسالة تلغرافية لاسلكية بين فرنسا وانكلترا فوق بحر المانش ثم فعل مثل ذلك بين سفن في عرض البحر ومحطات لاسلكية قائمة على الشواطئ . فاستوقف هذا العمل نظر العامة والخاصة الى هذا النوع الجديد من وسائل التخاطب فأقبل عليه جمهور من العلماء والباحثين زادوه اتفاقاً بمباحثهم النظرية والعملية واستعمل أسلوب ماركوني اللاسلكي في المناورات التي اجراها الاسطول الانكليزي في يوليو واغسطس سنة ١٨٩٩ ثبت ان سيكون له شأن كبير في الحروب البحرية فوجهت الاميرالية الانكليزية وقيادة الاساطيل الاخرى اهتمامها الى ارتقائه

وكان مركوبي يطمح الى ارسال الرسائل اللاسلكية فوق المحيط الاطلنطي وشجعه على ذلك نجاحه في ارسال الرسائل اللاسلكية بين جزيرة وبت وجزيرة لزاردي في يناير سنة ١٩٠١ والمسافة بينهما مائتا ميل . فاختار مكاناً لمحطته اللاسلكية المرسلة في بولهو بمجنوب بلاد الانكلز وأقام فيها آلات كهربائية قوية لكي تكون موجات هرتس التي تحدثها في الاثير قوية واتم بناء هذه المحطة وتجهيزها بالمدات اللازمة في ديسمبر سنة ١٩٠١ ثم اجتاز المحيط الاطلنطي الى جزيرة نيوفندلند وجبل يستد لاستقبال الاشارات اللاسلكية التي اتفق عليها مع معاونيه وفي ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠١ التقطت آله المستقبلية اشارة « S » وهي ثلاث نقط متتابعة

بحسب نظام مودس التلغرافي وكان قد اتفق عليها مع معاونه ليرسلوها في وقت معين دفناً لكل ربيب^(١). فدهش العالم لما ذاعت الأنباء بنجاح تجربة مركوبي وثبت للمارفين ان التلغراف اللاسلكي يمكن استعماله على مسافات شاسعة جداً ثم أعاد مركوبي تجربته في فبراير سنة ١٩٠٢ وهو على الباخرة فلادلفيا وكانت على ١٥٥٧ ميلاً من المحطة المرسله فدوّن المستقبل رسالة طويلة بحسب نظام مودس الدولي ثم دوّن حرف 8 والباخرة على ٢٠٩٩ ميلاً من المحطة المرسله. وثبت له من تجربته هذه ان الاستقبال في الليل اوضح منه في النهار. وفي ١٩٠٤ أنشئت شركة لنقل الاخبار الصحافية باللاسلكي بين أميركا وأوروبا وكانت جريدة التيمس بلندن تتلقى أنباء الحرب الروسية اليابانية كذلك وما وافت سنة ١٩٠٥ حتى كان كثير من البواخر ومعظم الاساطيل قد جهزت بالآلات التلغراف اللاسلكي

التلفون اللاسلكي أو الراديو

ان اذاعة الاخبار والخطب والالحان الموسيقية والاغاني بالتلفون اللاسلكي الى ابعاد شاسعة واستقبالها صار الآن امرأ مألوفاً وهو قائم على مبدأ علمي بسيط مداره ان أمواج الصوت تؤثر في التوجات الكهربائية التي يولدها جهاز الارسل فتختلف في قوتها وضعفها باختلاف امواج الصوت ثم تنتقل في الفضاء بسرعة التورالى أن تلاقى اسلاك جهاز مستقبل أو لاقط فتثير فيها تياراً كهربائياً متساوياً تتلوه الانابيب المفرغة ونحوه الى تيار مستمر وتقويه ثم يتصل بسماعة التلفون فيعاد صوتاً مسموعاً

ومتحقق هذا المبدأ العلمي لم يكن مستطاعاً لولا استنباط الانبوب المفرغ — ويعرف علمياً thermionic valve — الذي يتأثر بالتوجات اللاسلكية مما تكن ضعيفة فيقويه ويحوّلها الى تيار كهربائي مستمر. وقد كشف مبدأه العلمي المستر توماس ادبسن سنة ١٨٨٣ اتفاقاً ثم اشتمل به فلتع الانكليزي وتلاه ده فرست الاميركي فأتته

وآلة التلفون اللاسلكي قوامها جهازان — جهاز الارسل وجهاز الاستقبال

اما الاول فيتألف من آلة كهربائية تولد تياراً كهربائياً سريع التناوب يحدث في الهواء التوجات اللاسلكية المطلوبة، وآلة تلفون حادية يتصل فيها الصوت بالتيار المتناوب فيقويه او يضعفه وفقاً لقوة امواج الصوت او ضعفها، واسلاك مرتفعة تعرف بالهوائي ترسل التوجات اللاسلكية في الاثير وأما جهاز الاستقبال فقيه أولاً — السلك الهوائي الذي يلتقط التوجات اللاسلكية من الاثير. ولا يلزم ان يكون خارج البيت بل قد يكون في داخله. وثانياً — آلة متأثر بهذه التوجات التي يلتقطها الهوائي فتحوّل التيار المتناوب الى تيار مستمر وهي الانبوب المفرغ

ومن خصائصها تقوية التيار أيضاً . وثالثاً — وسيلة للضغط حتى لا يلتقط الجهاز من الفضاء الا امواجاً من طول معين . ورابعاً — ساعة تلفون عادي يتحول فيها التيار الكهربائي صوتاً مسموعاً . وخامساً — الارض لتكلم الدورية الكهربائية

هذه مبادئ التلفون اللاسلكي وقد طبقت في اميركا واوروبا والشرق العربي تطبيقاً واسع النطاق فتألفت شركات او هيئات كثيرة المئات محطات قوية لاذاعة الاباء والخطب والاغاني والقصص والابناء التجارية والحجوبة وكل ما يهم الناس معرفته في ساطع مدينة من النهار والليل وليس التلفون اللاسلكي من مزاجي التلفون السلكي بل كل منهما مكمل للآخر . مثال ذلك : أن باخرة كانت تبحر المحيط الاطلنطي على مئات الاميال من شاطئ اميركا الشرقي فتكلم احد رجالها مع رجل في جزيرة كاتالينا في المحيط الهادي والمسافة بينهما نحو أربعة آلاف ميل وكان الكلام واضحاً كل الوضوح . ذلك انه تكلم مع محطة لاسلكية على الشاطئ الشرقي من الولايات المتحدة وهذه اتصلت بمركز التلفون السلكي فانتقلت الرسالة به من شرق اميركا الى غربها ثم انتقلت بالتلفون اللاسلكي الى الجزيرة المذكورة . وقد تم الآن الاتصال بالتلفون اللاسلكي بين معظم بلدان العالم وقد علمنا ونحن نكتب هذه السطور أن أحد اعضاء الوفد الاميركي بجمهورية المواصلات الدولي اتصل بزوجه في اميركا فحدثها مدة ثلاث دقائق من حبرته في فندق هيلبوليس بالاس

ومن الامور التي انجبت اليها البحوث حديثاً توجيه الاشعة اللاسلكية في ناحية خاصة حتى يكتم ما فيها بعض الكتمان فلا تلتقط الا المحطات التي في تلك الناحية . وكان مركوبي يجرب قبل وقته استخدام امواج لاسلكية قصيرة في التلفون اللاسلكي . اذ لا يخفى ان طول الموجة اللاسلكية من امواج المحطات التلفونية بين أوروبا وأميركا يزيد على الف متر وقد يبلغ بضعة آلاف متر وتولد هذه الامواج بحج بناء آلات ضخمة قوية تقتضي ثقات طائلة فالنجاح في استعمال الامواج القصيرة يوفر كثيراً من الاموال والطاقة التي تنفق في المحطات اللاسلكية الكبيرة وانجبت الاشارة في العهد الاخير الى ارسال الصور باللاسلكي فوصفنا ذلك في غير مكان من المقتطف ونشرنا بعض الصور التي نقلت كذلك . ومن انباء اميركا ان احد الاطباء استطاع أن يبالغ كسرأ في يد امرأة بعد ما نقلت اليه صورة الكسر باسمة اكس لاسلكياً . ثم هناك النقل البودنجي وهو قلم على مبدل نقل الصور ويشتمل خاصة لنقل صور المقود والحاويل كما هي بدلاً من نقل كلامها فقط . ومن نواحي الارتقاء في النقل اللاسلكي التلفزة وهي تختلف عن نقل الصور في أنها تنقل للمشاهد الواقعة لاصورها الفوتوغرافية . ومن شاء التوسع في ذلك فليطلبه في كتابي « فتوحات العلم الحديث » و« أساطين العلم الحديث » ومجلدات المقتطف

النزعات الادبية

العاملة قبل دستور ١٩٠٨

للنيسى القرسي

استاذ الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية



—٢—

﴿ البوادر الثورية الاصلاحية ﴾ رأينا فيما سبق ان « الثمانية » كانت قبل الدستور بارزة في الفكر المصري عموماً . وفي كثير من الفكر العراقي والسوري والبناني . على ان الفكر العربي لم يكن كله كذلك . فقد كان في الشرق العربي كما اسلفنا احرار يهاجون الفساد ومحملون على السياسة الناقصة التي كانت تدفع بالبلاد الى هوة الانحطاط . وبرز ما زى ذلك في عهد مدحت باشا ابي الاحرار الثمانيين . فانه لما تولى ولاية سورية ظهر في بيروت ودمشق حركة ادبية ترمي الى احياء الشعور القومي والتظم من ضغط الاستانة . ولا ندري تماماً متى تلك الحركة اكان مبهماً كما يقول البعض مدحت باشا نفسه طمناً بجعل سوريا كصر والجلوس على اريكة الحكم فيها ^(١) ام لان وجود ذلك الحاكم النزوع الى الاصلاح انشأ في سوريا (كما انشأ من قبل في العراق) جواً ادبياً حراً استطاع به ابناء الضم ومرهفوا الاحساس ان يبشوا بعض خواجهم ويفرّجوا عن كربهم . ذلك ما تركه لتحقيق التاريخي

وسواء أهدأ صح أم ذاك قالوا وقع ان الادب العربي في ذلك العهد اخذ ينادي بالاصلاح وحملت الحماسة بعضهم على نشر قصائد نارية الصقوها (غفلاً من التوقيع) على ابواب المساجد والكنائس ومنها السنية المشهورة — دع مجلس الفيد الاولس ، والحامية — يادولة الترك اتركك عنك السناد وباشري الاصلاحا — وسنود اليها في غير هذا المقام

وقداهمت حكومة الاستانة بهذه البوادر الثورية واخذت تسمى لمرقة اصحابها فلم تفر بطائل واقتضت السياسة قتل مدحت سنة ١٨٨٠ الى ازمير ثم عا كنه بهمة قتل السلطان عبدالعز

(١) كتاب سر مملكة سليم مركيس ص ٦٣

قتخلص عبد الحميد منه وبوقت قصير استطاع ان يطش رجال الحرية والدستور وان يرجع بالبلاد الى عهد الاستبداد المطلق فهو بعد ان بدأ حكمه بعلان الدستور وبمجاراة والده عبد المجيد في طلب الاصلاح نكس على اعقابهِ وماد كما يقول روحي الخالدي الى سياسة جدّه السلطان محمود خان في استئصال الجير والاستبداد معتقداً ان الشعوب التي وضعا الله تحت يدي جلالته لا يمكن تسييرها الا بالقوة» (١) فحدثت في أيامه الروح الاصلاحية داخل البلاد لكن بعض الاحرار من الترك والعرب حملوها الى الخارج وهناك نمت وترعرعت فكانت من العوامل الفعالة في انقلاب الحكومة الحميدية . وفي هؤلاء الاحرار المهاجرين يقول المشير (٢) « هم اخواننا في الانسانية ، ورفاقنا في الحرية . علوا ان المجد لا ينال الا على جسر من الثعب . فهم يصبون في السعي وراء خدمة بلادهم وارجاع مجد مملكتهم الذي انحط الى دركات التحول باعمال الامام الذي جار في احكامه والاعوان الذين صاروا بلية على الامة ... الى ان يقول . . « وقد انضم اليهم بعض أدباء سوريا ومصر وهرب البعض منهم من عالم الجور والظلم الى فضاء الحرية والامن فانثشروا في بارزوسوريا وانكثروا وأميركا وأنشأوا الجرائد » الخ فظهر من هؤلاء المهاجرين طبقة من حاملي شعلة الادب وأكثرهم الآن في عالم الارواح منهم فتح الله مرائش — رزق الله حسون — عبد الرحمن الكواكبي — خليل فاهم — محمد قدرى — لويس صابوغي — امين مجيد ارسلان — حبيب سلموني — خليل سعادة — سليم سركيس — نجيب الحداد — ولي الدين يكن . ولا يزال حياً من هذه الطبقة فارس عمر (الدكتور عمر باشا) ومن أراد الاطلاع على ثبات افكارهم فليرجع الى مؤلفاتهم (وأكثها معروف) او الى صحفهم كالمشير والمقطم ولسان العرب ومرآة الاحوال والمجلة وتركيا الفتاة والتحفة والشورى وضياء الخافقين ورجع الصدى وكشف النقاب وسواها (٣) وكلهم كما يصرح الدكتور يعقوب صرّوف قد اتحدوا على التنديد بالادارة السيئة الضاربة أطنابها في بلادهم (٤)

على انهم في ذلك متفانون . فثمة المشدد ومنهم المعتدل . ومنهم من بلغ به فرط التشاؤم حدّ اليأس بالاصلاح فصار لا يرى اصلاحاً الا بهدم كيان الدولة او وقوعها تحت مراقبة الاجانب . وأقدم ما رأينا من هذا القليل قصيدة لرزق الله حسون نظمها في الحرب الروسية النمانية واسقيلاء الروس على القرص ومنها : (٥)

كم حروبٍ للروس دارت على الترك رحاها فتأدّرتها طحينا

(١) الهلال ١٧ — ١٤٥ (٢) عدد ١١٣ (٣) في المعلوم والمجهول لولي الدين ص ٦٢ — ٧٤

وصف لبعض هذه الصحف وأصحابها علىراجح . (٤) المقطف ٣٣ — ٨١٣

(٥) راجع القصيدة في المشير عدد ٣١ (وفي بعض أياتها اضطراب في الوزن)

عَلَّمَ الروس يخفق اليوم فوق القمرس ولَّى الأتراك في الغابرينا
هكذا هكذا تدور على الباسغي الدوائر^(١) وبهلك المجرمون
ما عليهم لو عاملونا بحسنى ونسايو أو انهم أنصفونا
قال الدكتور فارس نمر باشا من خطبة له في النهضة الدستورية مشيراً الى فتح الله سراش
ورزق الله حسن^(٢) — « فهذان الحران الخليان اللذان قاتا الاقتران بحب الحرية كما قاتا
الاقتران بمجانيتها السحرية ومجانيتها المسجدة قضيا ربحاً من الزمن يرسلان شعاع الحرية الى
ابناء سوريا من قلب أعظم طامستين اشتهرتا في أوروبا بالحرية والنظامات الدستورية (اي لندن
وباريس) ولكنهما مزجا بلاغتهما بعلم التفريق بين الترك والعرب فأصابا بإيقاظ النفوس لطلب
الحرية وأخطأ بمنزق الجامعة اللبنانية »

ويستدل من شعر حسن انه لجأ الى روسيا حيناً . ومدح قصرها بقصيدة جعل القسم
الاول منها وصفاً لفساد الاحوال في تركيا فقال : —

جُلت الشام وغساناً وعُجعت على فينيقيا وكيليكيّا كسرت
وأذرطام وبلغاء وتدمر في صحراء خالية كالبحر من شجر
اذ لم أجد غير امصار مقلبة ورسم ابنه بكي على الزمر
وقفت انمي خراب الملك من مدن في الحصر والوصف بي المرء بالحصر
وهو يوزو ذلك الخراب الى سوء ادارة السلطان ورجال دولته ثم يقول بعد ايات
لهني ولحف بني الاحرار كلهم على التساوي بانصاف مدى القُمر
ومنها : حتى دخلت بلاد الروس ملتجئاً بالمستجار عجب الله والبشر
ومن هنا يتقدم الى وصف ما وجده في روسيا من عدل وامن ويقابله بسوء الحال في تركيا
فتؤله المقابلة ويصبح من قلبه متحسراً^(٣)

وإن تذكرت اوطاني بكيت دماً من مهجة طفت جرباً بمنهم
ومثل حسن في النقة على الإدارة التركية وحب التخلص منها عدد من الادباء (وجلهم
من مسيحي سوريا ولبنان) وقد سبقت الاشارة الى احدم سليم سركيس . وهو من الذين
برزوا في هذا المضمار وله في ذلك كثير من المقائد والمقالات . منها قصيدة موضوعها « ثلاث
حبّات » وضما على لسان ارمني يموت جوعاً^(٤) وقصيدة تثير سوريا التي مطلعها^(٥)
يا اهل سوريا القساور من كل مفخور وقاخر

(١) هكذا رواية المشيرولو استبدلنا الفواثر بالوادي — لاستقام الوزن . (٢) المختطف ٣٦ — ٢٥٨

(٣) راجع القصيدة في ديوانه الفتات ص ٧٤ (٤) راجعها في المشير • أبريل ١٩٩٦ (٥) المشير

افترضون ضارة لم يرضاها في الناس صاغراً
وله قصيدة اخرى مر ذكرها في كلامنا على موقف السوريين من الدعاية النمائية في
مصر وهي شديدة الوطأة وكذلك اكثر شمرة ونفثه. ويكفي ان نقول انه صاحب جريدة المشير
التي اشتهرت بدائها للدولة النمائية ولاسيما لسياسة عبد الحميد
والذي راجع الجرائد الحرة التي كانت في ذلك العهد تصدر خارج تركيا او في جو بعيد
عن السيطرة التركية بعيداً لا يستطيع حصره هنا من قنات الكتاب والفرعاه الذين كانوا
يحملون على عبد الحميد ويناثون سياسته. وقد كان لتلك القنات تأثير ملموس في النفسية العربية
بل هو الحيرة التي خربتها وهبأتها النهضة القومية التي تلت ذلك العهد
واذا كان السوريين والبنانيون قد اضطروا قبل الدستور الى هجر تركيا، ولم يستطيعوا
الظهر برغائبهم الا خارجها. فمن الانصاف ان نذكر هنا ان الشعر الاصلاحى في العراق كان
مالى الصوت حتى في عقر البلاد. وأبرز دعاته هناك اثنان - جميل الزهاوي ومعروف الرصافي.
فلكليهما ما يستوقف النظر من الحملات العنيفة على سوء الادارة. ولقد يستغرب الانسان
هذا العنف وصبر أولي الامر عليه دون عقاب عمت. ولكنه الواقع كما يتبين لمن يطالع قصائدهما
القديمة وهما في عنفران الشباب والقوة. فمن ذلك قصيدة للزهاوي قالها في الاساتنة (حوالي سنة
١٨٩٧) وهي كما سترى من أشد ما هوجمت به ادارة ذلك العهد وقد كان عقابه التي من
الاساتنة الى وطنه بغداد. ومطلعها

أما علمتك الحال ما كنت تجهلُ	ألا فاقبه للأمر حثام تفلُ
عليها عوامر للدمار تعجلُ	أغيت بدأمتها نفقات فقد عدتُ
تؤمل اصلاحاً ولا تأملُ	ومنا - وما رايتني الا غرارة فتية
ألا باطلُ ما ترجمي وتؤملُ	تؤمل اصلاحاً وترجوا سعادة
تسوس بما يقضي هواها وتعملُ	وما هي الا دولةٌ مهيبة
وتخضع بالاذلال من كان يعقلُ	فترفع بالاعزاز من كان جاهلاً
يحمّله من جوهر ما يحتملُ	ومنا - لقد عبثت بالشعب الطامع ظالم
الى ملكك عن فضله ليس يسألُ	فيا وج قوم فوضوا أمر قسم

وهي طويلة وأكثرها على هذا النسق^(١) ومنملا قصيدته «الصارخة» وهي نغمة يصف فيها
حكومة عبد الحميد ولشهرها يومئذ في المقتطف^(٢) ومن قناته قوله من قصيدة يخاطب السلطان^(٣)

(١) راجع ديوانه (مصر ١٩٢٤) ٢٨٠ (٢) راجع ديوانه (مصر ١٩٢٤) ١٩٦ (٣) الباب
(٤) بغداد ٩٢٨ ص ١٤

ان الرمية أفتامٌ يحدُّ لهم ولأنك المستبدون السكاكين
يا عدلُ ان الثقاتُ منك يسمدون يا عدلُ ان اقساماُ منك يكفيننا
ما جئنا الشرَّ الا من نهاوتنا وعزنا الظلم الا من تفاضينا
لا بد من فك ما قد شد من عقد كف الانار بأيدنا بأيدنا
إن الذين استحبوا قتل انفسهم فرأ من الضيم ما كانوا يجانبنا
وقوله يصف حال وطنه

ألا رعى الله أوطانا لنا اشبهت محبوبة السهل والوديان والكثيب
قد أضرم الجورُ نارا في جوانبها واحلها بين شايخ وعظمي
وعلى هذا التوال ينسج في كثير من شعره السامي القديم. وكبر أنه جرأة زميله الرصافي
ولاسيا قبل ان يؤم الاستانة ويشغل منصبا عليا فيها . ومن قصائده الحريةة تحمّس طويل
موضوعة « ايقاظ الرقود » جاء فيه : —

حكومة شعبنا جارت وصارت علينا تستبد بما اشارت
فلا أحدا دقة ولا استشارت وكل حكومة ظلمت وجارت
فبشرها بتزيق الجلود

اقول وليس بض القول جدا لسلطان تهيّر واستبدأ
تهدى في الامور وما استعدأ ألا يا أيها الملك المهدى
ومن لولاه لم تك في الوجود

أثم عن أن تسوس الملك طرفا أقم ما قضيت زمرأ وعزفا
أطل نكر الرمية خل عُرفا ثم البلدان معا شئت خسفا
وأرسل من تشاء الى الحدود

وتجلى لنا هذه الحريةة ايضا في قصيدته « رقية الصريح » التي مطلعها
يا عدلُ طال الانتظار فنبجل يا عدلُ شاق الصبر حثك فاقبل
كيف الفرار على امور حكومة حدث بين عن الطريق الامتلد
ومن هنا يأخذ بوصف فساد الادارة واستبداد الخليفة تناديا بسقوط الحكومة القرية
وجوب استبدالها بنظام جمهوري او دستوري . ثم يقول غير هياب

حتم نقي لمة لحكومة دامت تجرنا قبح الخنظل
تحو بنا طرق البوار تحييفا وتسونا سوء العذاب الاحول
ما بلنا منها يخاف القتل إن قتنا أما سموت ان لم يقتل ؟

وفي ديوانه الاول المطبوع سنة ١٩١٠ كثير من هذه الحملات العنيفة لظلم بعضها في العهد الاستبدادي وبعضها في عهد الدستور . وقد صدق محي الدين الخياط اذ قال فيه ^(١) « من هؤلاء الافذاذ الذين فطروا على عدم الاستخفاء للضميم والتجافي عن مضاجع الذل وعدم الاستئمان للحوادث . وقد كان يفرغ قومه في اشد الام الاستبداد بمثل قوله : —
عجبت لقوم يخضعون للدولة يسوسهم في الموبقات عميدها
واعجب من ذا انهم يرهبونها واموالها منهم ومنهم جنودها
وهذان اليتان من قصيدة موضوعها « تبييه التيام » وهي خمسة وثلاثون بيتاً وكلها تتقد بمثل هذه التيران النفسية.



وقد كان في البلاد العربية العثمانية غير من ذكرنا من اصحاب الوجدان الحر والزعمة الثورية ولكنهم فلما كانوا يجرون على الجهر بما تكنه صدورهم لحرص قلم المراقبة ان لا يفتش في الصحف او الكتب الا ما يوافق مصلحة الحكومة ويشهد بذكر رجالها ، فاجروا اقلامهم في غير الاصلاح السيامي وبلغوا في ذلك كما سفي بعد شأواً يذكر



على انه لا بد لنا هنا من العودة الى ولي الدين يكن فقد اسلفنا انه كان من دعاة الجامعة العثمانية ومن أبناء الوطنية التركية . لكنه كان أيضاً من دعاة الاصلاح التافين على الدولة استبدالها وسوء ادارتها . وقد شرع بمهاجمة فسادها منذ كان في الاستانة . وفي ديوانه باب خاص بالسياسيات يمد فيه عدة شواهد على نزعة الحرية . وأولى وطنياته قصيدة « نشأتنا حرية فيؤنسنا » ^(٢) ومنها

يا وطناً قد جرى الفساد به متى برينا اصلاحك الزمن
دُفنت حياً وما دنا أجل ما ضر لو داقوك قد دُفنا
دماء أبنائك الكرام جرت بجرأ فأشلائهم لها سفن
وكذلك قصيدته « الوطن يشكو أهله » ^(٣) جاء فيها :

في ذمة الله رجال قضا طال بهم تحت القبور الثواء
لا التاج ذاك التاج من بدم ولا بهاء الملك ذاك البهاء
يا أرض ميدي انها دولة مادت وأنت اضطري يا سماء

(١) مقدمة الديوان الاول ص ١١ (٢) راجع الشبر ٨ يناير ١٩٩٨ (٣) في جريدة القانون

ومنها — أقول والظلم بآقائه يحث للعك مطايا الفناء

لا يئأس المكروب من فرجة ولا عليل أبداً من شفاء

وبما يذكر له هنا قصيدته « زفرة من زفراتي » قالها عند ما نفي الى سيواس سنة ١٩٠٢

ومنها : ارى سيواس تُضمدني كأني صارمٌ ذكرٌ

صدأت بها واحسيني ساعداً ما جرى العمرُ

فوالهني على سرب تولّى رعيه التسرُّ

غدا في ارض مسبة جفاها التبت والشجرُ

ومنها : عداة الحق قد رحلوا واهل الحق قد خسروا

ونحن امانا وطن نراه اليوم يُحضّرُ

فيا افق التهب حزناً وجُدْ بالدمع يا مطرُ

(الثرة الشرقية في الادب الحديث) ظهر لنا في العواطف الشعرية العربية السابقة لهذا الدستور مجريان رئيسيان — المجري الثاني (او الدعوة للعرش الثاني ورجاله) والمجري الاصلاحى (او الحل على ذلك العرش ودعائه) . وظهر لنا ايضا آت للآخرين فرعين فرع المتطرفين الداعين الى هدم الكيان الثاني . وفرع المعتدلين القائلين بوجوب الانقلاب مع المحافظة على الجامعة الثانية . والذي يلوح لنا ان هؤلاء هم الاكثوية بين الاصلاحيين وقد كان هدفهم تجديد السلطة ورفع مستواها لتكون وطناً حراً خليفاً بأن يحب وبفاخر به . فالشرقي والغرب عديم لا يجتمعان ولا ينجي الشرقيين من برائن الاستعمار أو يحفظ كيانهم الشرقي إلا العرش الثاني اذا قام على اسس الحضارة الجديدة ومن الطبعي ان يكون المسلمون عموماً أعطف على الدولة الثانية وفيها خلائقهم ومجدهم . يدلك على ذلك ما اظهروه في الحروب التي خاضها قبل الدستور وبمده كحرب روسيا سنة ١٨٧٨ والحرب اليونانية ١٨٩٧ وحرب طرابلس ١٩١١ وحرب البلقان ١٩١٣ . بل وفي الحروب التي لم نخضها ولم يكن لها فيها مصلحة مباشرة كحرب روسيا واليابان (١٩٠٤ — ١٩٠٥)

ففي هذه الحرب كان العالم الاسلامي العربي بجانب اليابان لا لسبب الا لان اليابان دولة شرعية تم هي تحارب روسيا عدوة تركيا التاريخية . وقد اثارت هذه الحرب من العواطف الشعرية في ادبنا ما لا يجوز لباحث الاعضاء عنه . فمن ذلك قصيدة مشهورة لحافظ ابراهيم مطلعها :
« لا تلم كفى اذا السيف نبا » وفيها يقول مادحاً اميراطور اليابان (الميكادو) ووطنية شبيهة

هكذا الميكادُ قد علَّمنا ان نرى الاوطان اما واما
ملكٌ يكفيك منه انه أنهى الشرق فهزَّ المغرب
وكذلك قوله من قصيدة موضوعها « الانقسام آفة الشعب »
فاتخذوا التوم وجدوا لللى قاللى وقف على من لم يتم
وانظروا اليابان في الشرق وقد ركزت أعلامها فوق الآلَم
حاربوا الجهل وكانوا قبلنا في دجى عبيائه حتى انتهزم
فأسألوها عنها الزبى لا الزى انها تحتل ابراج المم
وقوله من قصيدة « أساحة الموت أم عمر » يشير الى ما نال الشرق من انتصار اليابان
نسوءنا الحرب وان أصبحت تدعو رجال الشرق أن يفخروا
أتى على الشرقي حين اذا ما ذكر الاحياء لا يذكر
حتى أباد الشفر أيامه فاتصف الاسود والاسمر
ولعل قاتلاً يقول ان شعر حافظ في الحرب الروسية اليابانية بل شعر مصر عموماً انما هو
لما في قوسهم من العطى على الثمانية لانمرة شرقية تستفزهم الى شحدي الفريين . فنقول
ان اليابان كانت يومئذ حليفة بريطانيا . وفي الاشارة بمحامدها نوع من الدعاية لبريطانيا . ومع
كل ذلك لم يمتنع حافظ وزملاؤه^(١) وهم من محاربي النفوذ البريطاني في مصر عن ان يستسلوا
لمواطفهم الشرقية ويظهروا عطفهم على دولة شرقية برغم ما يربطها من الصداقة بمحتلي مصر
واذا ألقينا نظرة على غير مصر وجدنا ان الشعراء حتى الاحرار الناقين على تركيا يضرعون
على هذا الوزر الشرقي كما فعل الرصافي في قصيدته « معركة تسوشيا »^(٢) اذ قال
سروها في البحر حرباً ضروساً نأكل المال نارها والنفوسا
يوم طوغو.^(٣) دها بأسطوله السروس قتالاً وكان يوماً عبوسا
غداها بوارجاً تملأ البحر وقاراً طوراً وطوراً بوسا
فكسوم من الهوان لبوساً وسقوم من التون ككوسا
هكذا شيدوا بناء المعالي هكذا أحسنوا لها التأسيسا

(١) كصطفى الرافعي واحد نسيم

(٢) وهي معركة بحرية بين الاسطولين الروسي والياباني كانت نصرأ باهرأ لليابان

(٣) اميرال الاسطول الياباني

والشاعر اللبناني أمين ناصر الدين في الحرب الروسية اليابانية قصيدة ^(١) موضوعها « الياباني وممشوقه » جل سداها ولحمها شجاعة اليابان وحبيهم الوطنية وظفرهم الباهر ومن ذلك ما وضعه على لسان المجاهد الياباني : —

هجمنا على ميناء « آرثور » هجة ردّ ابن طمر وهو بالخوف أشيب
بيض يلوح النصر أبيض جردت وسمر لها بين القلوب تقلب
وكنا اذا انهل الرصاص كاتا من الفيد بالفتح زى قنطرب
وعدنا وهاتيك القلاع بأمرها مهدمة قد حل منها المركب
وقائنا في البحر كانت عجيبه ولكنها في لجة البحر أعجب
وهنا بصف معركة تسوشيا واتصار طوغو ثم يقول : —

ورجعت الاقطار صوت ابتصارنا في الشرق هزّاج وفي الغرب ندب
وقد أصاب الشاعر فان الشرق الادنى العربي او قل الشامي عرته حزة وطنية طامة على أثر
اتصار اليابان وقد ردها الادب العربي عدة سنين بمد تلك الحرب . وكان كلما أراد أنهاض
الامم الشرقية ذكرها باليابان ونهضها كقول كاتب هذه السطور سنة ١٩١١ من قصيدة موضوعها
الحياة الجديدة في المشرقين ^(٢)

معاذ الله ان نبقى نياما يحيط بنا الظلام ولا ظلاما
أرى الثيران تضطرم اضطراما وآسيا تهب من المهجود

ونعيم المجد في اليابان يسطع نخر لهم كواكبهم ^(٣) وتضضع
اضاء على للملا الشرقي أجمع وأفهم جمعهم معنى الوجود



ولو اردنا تعداد القصائد والمقالات التي اثارها هذه الحرب او ذكرتها لضافت بنا
الصفحات الكثيرة . وليس غرضنا من الاشارة اليها وضرب الامثلة عليها الا اثبات حقيقة
قد تضيق في مطاوي الايام ، او تنهب بذهاب الذين عرفوها بالاحتبار وهي ان النهضة اليابانية
التي بلغت أوجها في حرب ١٩٠٤ — ١٩٠٥ قد حركت عواطف الوطنيين في مصر والشام
والعراق فظهر ذلك في ادبهم المتظوم والمتثور ، وكان من الاسباب الممهدة لتلك الانتقاد الوطني

(١) راجع في صدى المخاطر (١٩١٣) ص ٣٤ (٢) راجع في المورد الصافي ج ٣ ص ١٧٣
(٣) الغدير في كواكبهم يرجع الى التريين

الذي عقب اعلان الدستور الثماني فبرز الروح الشرقية في جميع الاقطار العربية
(عوامل اقليمية) بقي علينا في هذا المقام ان نوجه النظر الى حوادث سياسة ركزت في
الادب صبغها الخاصة . وهي كثيرة ومتفاوتة الاثر على ان اهمها اثنان هما :

١ — حركة السنة الستين (١٨٦٠) في البلاد السورية وما عقبا من استقلال لبنان
الداخلي . ولهذا الحركة في الادب العربي ظاهرتان كبيرتان — الاولى تأصيل الحزازات
الدينية بين ابناء سوريا — تلك الحزازات التي كانت ولا تزال من ام يواثي الشقاق في الشرق .
والثانية اقصاء لبنان عن السلطنة العثمانية بكيان سياسي خاص مضمون من الدول العظمى
فصار اللبناني يشعر بكرامته الذاتية ويتذوق حلاوة الاستقلال

وفي تلك الظاهرتين تكون في نفسه ذلك الشعور الاقليمي الذي وقف في سبيل الوحدة
العربية كما سيجي .

ومن راجع دواوين الادباء اللبنانيين في هذه الخمسين سنة الاخيرة يرى شيوخ ذلك
الشعور رغم جميع الوسائل التي كانت تستخدم لاضافته . ولا ينكر ان بعض اللبنانيين قد اخذ بيد
الحرب الكبرى ينزع زعرة وطنية عامة ، لما تحت اسم القومية السورية ولما تحت اسم الوحدة
العربية ، ولكن الشعور القديم الموروث عن آباءهم والمستمد من استقلال لبنان بعد السنة الستين
لا يزال قوياً ، وسيظل الادب اللبناني مصطبغاً به مدة طويلة من الزمن

٢ — الاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢ . وهو من الحوادث الاقليمية الكبرى
التي نكاد لخطورتها ان توضع في مصاف الموامل العامة . ولا تعرض هنا للبحث في اسباب
الاحتلال او النظر في مساوئه وحسناته فذلك من خصائص التاريخ . ولكننا نقرر ان هذا
الاحتلال كان مبعثاً لادب مصري ضيق ، وكان له صدى لا يزال يتردد في انحاء البلدان العربية
ورغم تضارب الآراء فيه فاقا نرى ان اكثر الشعراء والخطباء في مصر كانوا ينظرون
الى الاحتلال نظر العداء وينادون بالاستقلال والدستور . وقد ادى ذلك الى احياء الشعور
الوطني فيها ثم الى تدرجها في مراتب الاستقلال حتى بلغت ما بلغت في هذا العهد

ولما كان هذا الادب المصري الوطني شديد الارتباط بما نشأ منه بعد الدستور فنستذكر
الآن على ان نوداه مفضلاً في مقام آخر



ومن هذه الموامل الاقليمية — حوادث ارمينية ، وحواران ، واليمن وكثير من حوادث
الوراق المحلية . ولما كانت غايها وصف الانقياضات العاطفية العامة فاقنا نفق عند هذا الحد
من الكلام على الشعر قبل الدستور تاركين الموامل المحلية لمن يجب التخصص فيها

الفلسفة العربية

ما أخذت وما أعطت

عليه السلام

— ١ —

ليس هناك في ما أعتقد شيء من جميع ما ترك أسلافنا العرب من تراث خالد ما هو أدمى للاعجاب والنفخار من أن نرى تلك الفئة اليسيرة من أقطاب الفلسفة العربية تحتل مكاناً بارزاً في مصاف فلاسفة العالم وإن نقش أسماءهم على لوحة الخلود إلى جانب أشهر نوابغ العالم ورجالهم المفكرين . فأسماء ابن سينا والفارابي والفارابي وابن رشد وابن جبرول وابن الطيقل ستظل مقرونة أبداً إلى اسم فيثاغورس وأفلاطون وأرسطو والقديس توما والبرث الكبير وغيرهم من أساطين الفلسفة الخالدين . بل وسوف يسمو ذكر أولئك بتوالي القرون إذ تدرك الشعوب أنه لولا جهود العرب ورغبتهم التاددة في نشر الفلسفة والعلوم واحتفاظهم في ظلمات تلك الاجيال بكنوز علوم المتقدمين لتأخرت النهضة العلمية في بلاد الغرب قروناً عدة لا محالة .

وأي عربي لا تأخذه هزة الطرب والارتياح الشديد عند ما يذكر كيف كانت تقاطر قوافل طلاب العلم والفلسفة من متفرق الانحاء إلى قرطبة بالاندلس مدينة العلم الزاهرة وكمية الفلسفة في ذلك العصر ليتلقوا عن أبي الوليد ابن رشد أسرار الحكمة المشرقية وآيات الفلسفة العربية وكيف كانت للملايين من ذوي المعرفة والاطلاع في أرقى الممالك يتزقبون معرفة آرائه وأفكاره ليسترشدوا بهديه ويستقيروا بهراسه .

نشأت الفلسفة العربية في زمن نشأ به أحواله وعوامه الأحوال والموامل التي دعت لقيام الفلسفة اللاهوتية Scholasticism وقد كانت كتابهما تمتعي من مصدر واحد هو الفلسفة اليونانية القديمة والافلاطونية الجديدة Neo-Platonism وتربان إلى غرض واحد هو تطبيق

التعاليم الدينية على أحكام العقل أو التوفيق بين مذاهب الفلسفة وعقائد الدين . وقد تقدم منا في مقال سابق تحت عنوان « أدوار الفلسفة الثلاثة » ان الفلسفة اللاهوتية لم تطلع بمذهب جديد في طام الفلسفة وهكذا كان شأن الفلسفة العربية . ذلك لان زعماء الفلسفتين العربية واللاهوتية لم يكونوا طلاب حقيقة لان الحقيقة الواحدة العظمى أنزلت لهم وحياً في الكتب السماوية فلم يكن ثم من حاجة الى مزيد . ولولا ان اعداء الدين من فلاسفة الوثنية قاموا بمحاولون نقض الاديان الالهية الجديدة وحققها في المهد ربما لم تكن هنالك فلسفة لاهوتية ولا عربية . ولما كان سلاح خصوم الدين الجديد مبادئ الفلسفة القديمة التي كانوا يفسرونها ويؤولونها حسبما يوافق أغراضهم كان لا بد لفلاسفة اللاهوت من اتقان الفلسفة اليونانية وجمعها لمحاربة اولئك القوم بمثل اسلحتهم وردمهم على أعقابهم خائبين . وقد بلغ فلاسفة العرب في اتقان فلسفتهم الدينية حداً جعل السلامة الفيلسوف الفرنسي ليبري يقول ان الفلاسفة العرب قد قاوا في فلسفتهم الدينية نظراءهم من فلاسفة التصراية . وهو اعتراف له قيمته الكبيرة عند اهل العلم والمعرفة يدا انه وان يكن الفلاسفة العرب لم ينفثوا مذهباً خاصاً جديداً في الفلسفة فانهم تمكنوا من ان يجعلوا لفلسفتهم شأنًا يذكر في سائر الاقطار . وذلك طائد الى ذكاء العربي الفريب الذي استطاع ان يمثل الفلسفة اليونانية تمثيلاً يقرّبها كثيراً من الازدهان ويجعل تناولها سهلاً سائماً لجميع طلاب الفلسفة والعلم . وان من يمن النظر في رسالة « حي بن يقظان » لفيلسوف الاندلسي الكبير ابن طفيل يدرك الحد البعيد الذي بلته فلاسفة العرب في اجتلاء غوامض الفلسفة اليونانية وفك طلاسمها وكشف خفاياها



قلت ان القصد من الفلسفة العربية كان تطبيق مبادئ الفلسفة على تعاليم الدين والتوفيق بينهما وقد جرى القوم على ذلك في كافة شرائعهم وستهم بايمان خالص وتسليم تام . يد ان فريقاً منهم ممن اطلقوا لاقصهم حرية التفكير الفلسفي رأوا في بعض عقائد الدين ما لا يطبق تماماً على أحكام العقل او مقتضيات مذاهب الفلسفة خالفوا الجماعة في تلك العقائد وأنشأوا لاقصهم مذهباً خاصاً وكان منهم فرقة المعتزلة

يد ان أول الآثار الفلسفية التي تذكر واحداً في تاريخ الفلسفة العربية هي « رسائل اخوان الصفا » وهي احدى وخمسون رسالة وضعها اصحابها وكلهم من أهل التقوى والاطلاع الواسع افرغت في شكل دائرة معارف لتكون مجموعة الفلسفة والعلوم منذ العصور القديمة الى ذلك العصر . وقد كان لهذه الرسائل شأن خطير وتأثير قوي في جميع انحاء العالم الاسلامي لا سيما وان واضعها

عن انصرفوا الانصراف التام الى الامور الدينية والتفكير الفلسفي . أما الغاية الرئيسية التي ترمي اليها هذه الرسائل فهي ترقية النفس البشرية بلواهب الروحية الى أن تبلغ حد الكمال الانساني بما ياتل الكمال في الذات الالهية وذلك بواسطة التأمل والتفكير الفلسفي . وانها لعمري فكرة جديدة بكل اعتبار . ولا نقول ان الفلاسفة اليونان لم يدركوا هذه الحقيقة او لم يقولوا بها لكنهم لم يبروها الاهتمام اللازم ولم يحملوها المنزلة التي احلها فيها فلاسفة العرب حتى في بدء عهدهم بمباحث الفلسفة ومذاهبها وطرقها . ثم إن المحور الذي تدور حوله ابحاث الرسائل هو نظرية القبض الالهي التي اخذها العرب عن المذهب الافلاطوني الجديد وآثار هذا المذهب ظاهرة في كل موضع في الرسائل تقريباً وخلاصته أن كل شيء في الوجود صادر بطريق القبض او الانبثاق من الذات الالهية العظمى والى وحدة تلك الذات الالهية مرجعه وماده وان على الانسان ان يحرر نفسه من عبودية المادة ويظهرها من ادراكها لتعود النفس طاهرة خالصة الى بارئها والمصدر الذي كان علة وجودها . وقد كان لهذه الرسائل شهرة واسعة وتأثير كبير في كافة الاوساط على الرغم مما يتخللها من اقوال ومباحث كثيرة في المرافة والسحر والتنجيم وغيرها من الابحاث المقيمة

ثم ان جماعة الاخوان اصحاب الرسائل يؤلفون بانفسهم مدرسة خاصة مستقلة وفلسفتهم صيغة دنيئة بحتة ولا غرو فهم قوم انصرفوا بالاكث الى الامور الدينية طلبة حياتهم فلم يكن بد من ذلك الانجاء الديني الصرف



على ان هنالك فريقاً من اهل الفلسفة يرجعون في مبادئهم الفلسفية الى قواعد المنطق واحكام العقل وينشون آراءهم على حوادث الطبيعة ونوايسها واحكامها وهم يؤلفون بانفسهم مدرسة خاصة تعرف بمدرسة الطبيعيين او العقليين لاعتماد احكام العقل وقواعد المنطق في بناء آرائهم ونظرياتهم : ويمكن قسمة هذه المدرسة الى قسمين : المدرسة الشرقية التي زهت في طاعة الخلافة العباسية في اوائل العهد العباسي اي في القرن العاشر والحادي عشر . والثانية التي قامت في عهد الخلافة الاموية بالاندلس . وقد كان ام اركان المدرسة الشرقية ابو اسحق الكندي (توفي سنة ٨٧٠م ٢٥٧هـ) وابو نصر الفارابي (٩٥٠م ٣٣٩هـ) والشيخ الرئيس ابن سينا (١٠٣٧م ٤٢٩هـ) وجسيمهم من القائلين بان الفلسفة يجب ان تبنى على العلوم الطبيعية وذلك يدرس الطبيعة نفسها ومراقبة أظلماتها ونوايسها . وهم يستمدون قواعد المنطق في وضع آرائهم واحكامهم وهذا ما يبرر عنة ابناء العصر الحديث بالطريقة العلمية الحديثة وهي الرجوع في كافة

المذاهب والآراء العلمية والفلسفية الى نواحي الطبيعة واحكامها . الا أن النظر العلمي عند زعماء هذه المدرسة يختلف كثيراً عن رأي أهل هذا المذهب فهم يدخلون ضمن دائرة العلم الطبيعي ويخطون به أبواباً وقضايا خرية ليست من العلم في شيء كفنّ السحر والتنجيم وتفسير الاحلام وغير ذلك . وكانوا يعتبرون هذه جميعها أبواباً او فروعاً حقيقية من فروع العلم ولها من الشأن ما لغيرها من العلوم والفنون الطبيعية . وكانوا يستقنون بوجود أرواح تطوف أنحاء الفضاء وتعلن التجوّم ويزعمون ان من هذه الارواح الملائك الوارد ذكرها في القرآن والتوراة



أما في ما يتعلق بخلق العالم ومادة الكون الاصلية فان الفارابي وابن سينا يمدلان مراعاة لتعاليم الدينية رأي ارسطو القائل بأزلية المادة ويتخلصان من الوقوع في نظرية الخلق من العدم بقسمة الوجود الى قسمين واجب وممكن . فالواجب هو الكائن او الموجود الاول وهو ما يوافق الفارابي وابن سينا فيه رأي ارسطو بأنه العقل الاول او الفاعل أول وأهم المصادر رأساً عن الذات الالهية العظمى . وهو أزلي أبدي وكل ما عداه فهو مسبب عنه متولد منه . أما كيفية نشوء العالم من مصدر وجوده فهي بطريقة الفيض او الانبعاث emanation theory ويذهب الفارابي الى ان المادة هي احد الاشياء المنبثقة او الصادرة عن الذات الالهية . أما ابن سينا فيقول بأزلية المادة والعالم . ولكن كليهما يعتقدان الخلق معناه بروز الصورة في المادة او خروجها من حيز القوة الى حيز الفعل فكان الباري جلّ وعلا يضع في المادة قوة كامنة لها الاستعداد الكافي للظهور بالصور المختلفة عند حصول الظروف او الاسباب الملائمة لظهورها ويذهب الفارابي وابن سينا — وهو مذهب ارسطو بعينه — الى ان العقل الاول او العالم هو الذي يتحد بالعقل الانساني في الافراد فيتولد منه المعرفة والعلم . ويزعم الفارابي ان العقل المتولد في الفرد من هذا الاتحاد هو خالق أبدي وهذا يوازي القول بخلود النفس . أما ابن سينا فيذهب مع ارسطو الى أن الخلق إنما هو العقل العام او عقل الانسانية فقط دون الافراد وفي أواخر القرن الحادي عشر ظهر كتاب « تنهايت الفلاسفة » للامام الاكبر الفيلسوف ابي حامد الغزالي فأقل بظهوره نجم الفلسفة في بلاد المشرق . ذلك ان الامام أبا حامد يحاول في كتابه « تنهايت » نقض مذاهب الفلاسفة العرب كابن سينا والفارابي وغيرها وذلك انتصاراً للدين ومراجعة لحزمة التعاليم الدينية فجاء كتابه صدمة للفلسفة في ذلك العصر وكان من أثر ظهوره أن تبطلت همم الفلاسفة العرب عن مباحث الفلسفة وقضى ارباب السلطة باحراق كتبهم

الفلسفة ولكن لم يتعرض النزالي في إيجائه لمسألة الخلق وخلود النفس وهو تخلص غير جدير
 بإهل الفلسفة ورجال العلم
 يبد أنه لم تكذب تقرب شمس الفلسفة العربية في طاصمة الباسيين حتى طلعت في سماء القرب
 في تلك البقعة العربية الصغيرة في الاندلس، ولكن بلعان أبهى وضياء أسطع اذ قام بحجة من أهل
 النبوغ الشرقي والذكاء العربي النادر فأقاموا معالم الفلسفة وبلغوا بها مبلغاً رفيعاً وذاعت شهرتها
 في الآفاق حتى غدا طلاب العلم يتوافدون بالآلاف من مسلمين ونصارى ويهود الى قرطبة
 كعبة الفلسفة والعلم في ذلك الوقت لاستماع اقوال أبي الوليد ابن رشد وتلقي مبادئ الفلسفة
 ومذاهبها عنه . وقد كانت طريقة ابن رشد في التدريس من نوع الفناء الخطب والمحاضرات في
 شتى الموضوعات الفلسفية والعلمية والادبية . ويستند الافرنج ان الذكاء العربي بلغ في ابن رشد
 اقصى مداه



كان ابو بكر محمد بن باجة يعتقد بخلود العقل المأم دون الحواس وهو عقل الانسانية التي
 تبدو ماهيته وآثاره في الافراد. وكان ينكر الصوفية (mysticism) والاعتقاد بالفناء او الاندماج
 في الذات الالهية بواسطة التعشق والصلاة او الهيام والاستراق (ecstacy) بل يقول ان هذا
 الاتحاد يمكن بواسطة رقية قوانا العقلية ومواجهتنا الروحية الى المراتب السامية التي يمكن ان يتم
 بها ذلك الاستراق والاتحاد . وقد وافقه على ذلك ابو بصر ابن الطيفيل في روايته الفلسفية
 المشهورة «حي بن يقظان» التي تمثل فيها كيفية نشوء القوى العقلية والروحية في فرد نشأ في
 جزيرة بعيدة منقطعة عن العمران وكيف توصل اخيراً بالارتقاء العقلي الطبيعي والرياضة الروحية
 الى الاندماج في الذات الالهية وهو غاية مسناه . وان من يطالع هذه النصرة الفلسفية السامية
 يدرك ان الفلاسفة العرب لم يتركوا باباً من ابواب الفلسفة الطبيعية والعقلية لم يحاولوه ولم ينادروا
 موضوعاً لم يوفوه حقاً من البحث والتفكير

أما الفيلسوف الكبير ابن رشد وهو الذي يمزقه الافرنج باسم Averroes فقد كان معجباً كل
 الاعجاب بالفيلسوف اليوناني ارسطاطاليس وكان يعتقد ان الذكاء البشري بلغ في هذا
 الفيلسوف اسمى مراتبه

كان قسارى هم ابن رشد شرح فلسفة ارسطو وتمثيلها تمثيلاً صحيحاً شافياً بما يقرب كل
 القرب من الاصل اليوناني فيتجرد وحده بذلك الشرح والتفسير . ولكن من المحقق انه لم

يستطع أنجاز مهمته هذه وذلك لسببين : الاول لان ابن رشد لم يدرس فلسفة ارسطو في كتبه الخاصة وبالاصل اليوناني لانه كان يجهل اللغة اليونانية بل في الكتب العربية التي ترجمها علماء التسلطرة والسريان في الشرق والغرب وهؤلاء اخذوها نقلاً عن زعماء المذهب الاغلاطوني الجديد ومن شروحه لفلسفة ارسطو التي اصطبغت بين ايديهم بشيء كثير من نظرياتهم وآرائهم الخاصة . لهذا نرى في شرح ابن رشد وتعليقاته على فلسفة ارسطو مذاهب وآراء ليست منها كسألة الفيض الالهي ومسألة عقل الانسانية العام وغيرها . والثاني لان ابن رشد كسائر فلاسفة القرون الوسطى كان لا بد له في وضع آرائه الفلسفية من مراعاة جانب الدين خشية الرأي العام وسخط الرؤساء والحكام



ذهب ابن رشد في قضية الصورة والمادة الى ان الصور كائنة بالقوة في المادة نفسها غير مضافة اليها كما زعم الفارابي وابن سينا ويحصل ذلك بواسطة قوى او صور اسمى منها والتي اسمها العقل الالهي . لذلك فسألة الخلق حسبا يستقدها الجمهور لا تعقل ، ويقول ان هناك عقلاً واحداً عاماً هو عقل الانسانية وهذا العقل العام يصل في العقول الخاصة في الافراد فيرشدها الى المعرفة . وهذا يطله ابن رشد بهذه الكيفية : ان في قوس الافراد استمداداً فطرياً اوقابلية فتأثر بهذه المؤثرات فاقترن العقل العام بنفس قابلية التأثير فيجسم عنه قس فردية مستقلة . كما ان التور لا يصير شيئاً محسوساً الا اذ صادف جسماً مادياً تعكس عنه أشعته كذلك شأن النفس التي فيها استمداد لتأثر بمؤثرات العقل العام ثم انه بتوالي تأثير العقل العام في الخاص او عقل الفرد فان المعرفة الكامنة في الاخير تصبح ظاهرة بارزة وتأخذ بالاتقاء تدريجياً الى ان تبلغ اسمى مراتب الشعور القلبي او معرفة الذات وتصور اذ ذلك واحدة مع الروح الكلي وبعبارة اخرى تدمج او تقدم فيه وتصور جزءاً من العقل الكلي للمشاركة بين ابناء الانسانية . بهذا المعنى فقط يمكننا ان نقول ان الارواح خالدة لا ان النفس البشرية خالدة بذاتها كما يستعد عموم البشر انما الخالد هو الروح الكلي فقط



واتهم ابن رشد في سببه الاخيرة بفكر مبادئه وتعاليمه تضاد عقائد الدين فأمر الخليفة المنصور بقتله من ديوانه الا انه عاد فضا عنه لما عرف من سوء حاله في منقاه ولكن لم يمش ابن رشد بعد العفو عنه الا سنة واحدة ثم توفي في عام ٥٩٥ هـ بجرة وله من العمر ٧٥ سنة

الذرة وبنائها

الكهربائي

The Electrical Structure of the Atom

للكرنر اسماعيل احمد ادهم

— ١ —

يكاد يكون أنجاه علم الطييمات الحديثة في مبحث الذرة ان البنات الاساسية التي تبنى منها الذرة موجية ، وذلك من بعد ما منح العالم الفرنسي « لويس دي بروي » Louis de Broglie والاساذ « هيزنبرج » Heisenberg في وضع مبادئ ليكانيكا الموجية . فمن علم ان نظرية « نيلز بوهر » Niels Bohr مع نظرية للمقدار القديمة The Old Quantum Theory — كانت تستعمل في الاذهان حينما تقدم للبلا « لويس دي بروي » عام ١٩٢٣ م مقررأ ان الالكترونات وهي دقائق كهربائية مادية ذات شحنة سالبة تحمل ما يتبين فيه نبضاً موجياً ، وأن أشعة « اكس » تظهر في شكل من الطاقة خاص بالذرة . غير ان ملاحظة « لويس دي بروي » لم تحظ بتأييد أحد غير العلامة « شرودنجر » Erwin Schrodinger — ولكن حدث ان منحج الاساذ « دافسن » Davisson — وزميله « جيرمر » Germer — في اثبات ان الكيوب « الالكترون » وهو دقيقة مادية ، يخضع لقوانين التفرق الموجي . فمن علم ان مرور موجة ضوئية في قنب دقيق يسفر عما يعرف باشتبك الامواج وتفرقها — إذ بدلاً من ان تسير الموجات الضوئية في خطوط مستقيمة قلن اجزائها تشبك — ومثل هذا يحدث اذا مررت في معدن متبلور او صفائح فلزية حيث تقوم دقائق المعدن او الفلز مقام الحائل دون الضوء المرئي . وقد نصح هذان العالمان في إمرار الالكترونات من خلال صفائح فلزية من الذهب ومعادن متبلورة فكانت النتيجة التي انتبا اليها ان الالكترون يتصرف تصرف الامواج ، اذ تشبك اجزاؤه وتتداخل . ومن ذلك الحين احتلت الميكانيكا الموجية مكانها اللائق في عالم الفكر العلمي الحديث

وقد استند « لويس دي بروي » الى ظاهرة تصرف الالكترون كوج وقرر انه عبارة عن موجة كهربائية تهجمت في حين صير ، ورغم ان فرضه كان يوافق النتائج التجريبية التي انتهى

إليها الاساندة «دافسن» و«جرى» و«لمسن الصغير» G. P. Thomson قال مبدأ «عدم التثبت» — uncertainty — الذي كشف عنه «هيزنبرج» كان يقف عقبة دون قبول هذا الرأي فمن علم من نظرية المقدار القديمة ان اطلاق المادة لفوتونات الطاقة تكون كاملة وكذلك امتصاصها ، وان عملية امتصاص الفوتونات واطلاقها تسير متقطعة غير متصلة ، وذلك يرجع لكون نظرية «ماكس بلانك» Max Planck قامت تستمد كل قوتها من التحولات الدورية periodio في الاهتزازات التي تعين خط شمع الموجة ، متبرة هذه التحولات ليست مستمرة بل وبنات متناهية متساوية المسافة الفاصلة بينها ، كما ان الزمن الفاصل متساو ، فتكون بناء على ذلك هذه البحولات الدورية راجعة الى وحدات ثابتة لا تقسم اصطلح على تسميتها بـ ثابت بلانك او h في الرمز الرياضي. فاذا اخذنا موضع النظر الحقيقة التي قررها جيمس كلارك ماكسويل James Clark Maxwell — في ان الامواج أياً كانت تنسج في دوائر باستمرار في جميع الجهات ، فكان موجة ضوئية تصدر من احد السدم تصل الارض بعد سنين من صدورها ورويتها يحمل في «علم المقدار» على ان مقداراً Quantum اصاب العين ، مع ان المقدار المنطلق من احدى ذرات السدم يجب ان توزع طاقته على صدقوس موجته ، حتى ان السنتيمتر من سطح الارض الواقع في دائرة شعول الموجة لا يصيبه الا جزءاً صغير جداً من المقدار وهذا يستلزم اقسامها وهي لا تقسم وهذا خلف او تناقض — contradiction —

ولقد فرض «هيزنبرج» لحل هذا الاشكال ان الامواج لا تحمل اقداراً من الطاقة متساوية في صدرها ، انما تحمل احتمالات متساوية بوجود الطاقة متمركزة في إحدى النقط الواقعة على صدر الموجة . والمذكورة التي قدمها «هيزنبرج» في هذا الشأن خريف عام ١٩٢٥م تطوي على هذا المبدأ الذي تستر وراءه حقيقة من أهم حقائق الكون الخفية

وقد نهج العلماء من بعد «هيزنبرج» في اثبات هذه الحقيقة ، وقد كنت أنا من أوائل هذا النفر، فقد يئست تجاربنا بمعامل البحث الطبيعي في موسكو اقالوا اسقطنا حزمة من أمواج الحرارة على طبقة معدنية من المغنسيوم، فبطيئة الامر سيتطاير عدد من الكهارب، وعن طريق قياس السرعة لسقوط أمواج الحرارة وعدد الكهارب المتطايرة وعرض الموجة ، يمكننا من حساب مسلة تركيز الطاقة في قطعمينة من صدر الموجة او توزيعها ، وكانت نتيجة هذه التجارب ان الطاقة في أمواج الحرارة منتجة في أجزاء على صدر الموجة وهذا يؤثر في الكهارب التي تصدها وإذاً يمكننا أن نتفق رأي «لويس دي بروي» وان فرض مع الاستاذ «اروين شرودنجر» ان الكهرباتية في الكرة ليست مركزة في قط ممينة من الكرة هي الكهربات انما موزعة على السواء في محيط كرة الكرة . وتفسير هذا التوزيع بشكل أهم مسئلة في الطييمات الحديثة

— ٢ —

لقد كان أثر نظرية اللقدار في تفكيرنا العلمي عن بناء الذرة كبيراً ، إذ لم نعد نعتبر سير الكهربي في فلكه حول النواة مستمراً بل متوابعاً ، ويكون بذلك شكل الذرة الخارجي متعدد الاضلاع نظراً لأن الكهربي يرسم حدود الذرة وتباً في سيره من حول النواة ، وكذلك تقرب من التصوير الذي وضعه للذرة « جلبرت نيوتون لوس » G. N. Lewis عام ١٩١٦ وهو الذي اعتبر أساساً لبناء الذرة المستقر

وهذا التفكير وضع حداً للذرة « بوهر » خصوصاً وأنه كان يرى المساعدة في الذرة ، مساعدة الكهربي ترجع الى قوانين النشاط الكهربائي Electrodynamic الكلاسيكية ، بينما اشاعات الذرة للفوتونات ترجع الى قاعدة « ثابت بلانك » في « علم اللقدار »

ومن المعلوم لنا عن طريق التجربة ان المساعدة أي التسجيل من جهة وإطلاق الذرة للفوتونات من جهة أخرى يمكن ان يخضعا لقوانين النشاط الكهربائي الكلاسيكية ولكن ذلك إذا بلغت عدد المقادير — ثوابت بلانك — اللانهاية أو قاربها

هذا الى أنه من المتصور على الباحث في العقائق الذرية Sub-Atomic ان يبين مكان دقيقة ذرية وموقعها في آن واحد ، فإذا عرف للمكان تميز على الباحث تميز السرعة وإذا عرف السرعة تميز عليه تميز المكان ، وقد كانت تأثير هذا المبدأ ، مبدأ عدم الثابت ، كبيراً لأنه هدم ثقة العلماء بالجزئية determinism في علم الطبيعة

غير أن من المهم ان نلاحظ ان هذه الاستحالة أو عدم الثابت كان يشكس في المقادير الكبيرة الى نوع من الثابت والحمية ، وهذه الحقيقة بجانب أوليات حسابات الاحتمال مهدت السبيل للعلامة « ارون شرودنجر » ان يضع نظرية جديدة في « علم اللقدار » تضافر معه على تحقيقها « ماكس بورن » Max Born و « جوردان » Jordan و « ديراك » Dirac وفي هذه النظرية الجديدة لم يعتبر « شرودنجر » الكهربي دقيقة مادية ركزت فيها الشحنة الكهربائية . أما اعتبرها شحنة كهربائية موزعة على فلك الالكترتون على السواء ، والتوزيع هنا متناه احتمالي محض . وقد اختلفت وجهات النظر في تفسير الاحتمال ، فهو عند « شرودنجر » ليس في ساحة فراغية إنما في ساحة رياضية صرفة ، بينما هو عند « جوردان » و « ماكس بورن » قياس لا لكم واحد او عدد من الكميات وإنما مظهر من قياس عدد لا متناهي من الكميات الممكنة المنتظمة . أما « ديراك » فيرى التوزيع رمزاً symbol ولكن بدون أي امكان لتفسير عددي حيث يأخذ بالوجهة التي تربط سرعة الكهربي بمقدار طاقة حركته

إن فكرة الاحتمال التي دخلت ساحة الطبيعيات الحديثة نبقت من الحقيقة التجريبية في أنه

إذا بلغت عدد المقادير أعني ثوابت بلانك اللانهائية أو قاربها فإن مسارعة الكيوب واطلاق الفترة للفوتونات بمضمضان لقوانين النشاط الكهربائي الكلاسيكية. ومن المعلوم من حسابات الاحتمال ان لتوسع الدائرة التي تخضع للاحتيال يؤدي الى تكييفات حتمية او في شبه الحتمية، وذلك راجع الى أنه في حالة اتساع الدائرة تتساوى نسبة مجيء الحادئات واطرادها في تابها . وبيان هذا: لو افترضنا ان معنا قطعة من النقد . فهذه القطعة لها وجهان بطيئتها ، واحتمال مجيء أحد هذين الوجهين معادل لاحتمال مجيء الوجه الآخر، فالحالات الممكنة اعني الخمسة هنا هي :

١٠٢

:

٢٠١

ويكون احتمال هاتين الحالتين بنسبة احداها الى الاخرى :

$$١٠٢ - ١ = ١٠١$$

باعتبار ان الوضع ٢٠١ = ح، والوضع ١٠٢ = ح، فاذا تكررت هذه الاوضاع ن من المرات ، فالحالات الممكنة ثابتة في التعاقب ويكون وجه احتمال مجيء الوضع ح، راجعاً للمعادلة : $[ح - ١] ح$ التي تحدد من امكان الوضع الاول وهنا التفاضل بين ح - ح اصغر من الواحد، فاذا كان مقدار ن بالغا الحد الاعظم فان امكان الوضعين يقترب من التعادل حتى يساويه في اللانهائية

واستناداً الى هذه الفكرة الرياضية المحضة امكن تفسير مضمض الطلاق الفوتونات وتغير الفترة لموازنتها الكهربائية . فنعن نفر في ان كيوياً ينطلق من الفترة اذا بلغ عدد المقادير اللانهائية وذلك في صورة متجاسمة مع المبادئ الكلاسيكية ، والاطلاق كيوياً او تغييره لفلسفة يحدث احتلالاً في موازنة الفترة ، ويحدث في بناء الفترة رد فعل ينجم عنه موازنة جديدة لا تأتي الاً باطلاق مقادير من الطاقات تعرف بالفوتونات . والاطلاق الفترة لهذه الفوتونات يرجع لحلمها حالة طقس جديدة تقوم على عدد لانها في من المقادير . وهذه اللانهائية في عدد المقادير هي التي تعطي الاطراد في انطلاق الفوتونات بالنسبة لتغير الشحنات الكهربائية لموازنتها في الفترة ، لانه في الوضع اللانهائي تتساوى جميع الحالات الممكنة واطراد انطلاق الفوتونات في تابها ونفس النظر الاحتمالي فسر مفهوم مبدأ عدم الثبوت ، لان هذا المبدأ في ايسر صورته لم يخرج عن استحالة تعيين دقيقة ذرية في مكانها ومرعيتها في آن واحد، فاذا امكن تعيين السرعة استحالة تعيين المكان واذا امكن تعيين المكان استحالة تعيين السرعة ، ولكن هذه الاحتمالية وعدم الثبوت سرعان ما ينكسران كما قلنا في المقادير الكبيرة ، وبيان هذا نقول : ان قطعة النقد المؤلفة من وجهين ، وجه مرسوم عليه رسوم الملك ووجه آخر عليه المبلغ ولترمز الى الوجه الاول بالرمز ح، والوجه الثاني بالرمز ح، فان امكان تعيين أحد الوجهين

متبادل واحتمال محييه متساوي بحكم الطبيعة . فإذا رمينا قطعة النقد عدداً من المرات فمن المحتمل في هذه المرات أن يأتي كل وجه في دورة واحدة كما أنه لا يستبعد أن يأتي أحد الوجهين عدداً من المرات ولا يظهر الوجه الآخر إلا مرة واحدة ، ولكن هذا التخالف مرطبان ما يقتضيه مقداره ويأخذ في الاقتراب من الصفر إذا رمينا قطعة النقد ٥٠٠ ألف مرة . لأنه في مثل هذه المرات الكثيرة ، يسطي اتساع المدى تساوياً لتتابع الاوجه الممكنة واطرادها وهي وجهان هنا فيأتي منها الوجه الذي يحمل روم الملك ٢٥٠ ألف مرة وكذلك الوجه الآخر. ونفس هذا يحدث معنا في ساحة « علم الذرة » وعلم « المقدار » . ولشرح هذا نقول :

إن المشاهد في عالم الذرة أن النتيجة التي يخلص بها الباحث من تعيين أوضاع لبناتها غير حتمي لأنه النتيجة التي يخلص بها الراسد والباحث في زمن ووضع معين يخرج بغيره باحث آخر في غير «ذا الوقت والوضع» ولو جرت التجربة في عين الشرائط التي جرت وفقاً لها التجربة الاولى . ولو أجريت التجارب عدداً من المرات فطلى عدد هذه المرات تكون النتائج معنا ، غير أن هذا العدد إذا بلغ حداً كبيراً ، فسنجد ان النتائج الجزئية تغطي وجهاً عاماً في احتمال لا نهائي ، وهذا الاحتمال يمكن الباحث من حساب النتيجة التي تأتي معه في وضع رياضي ولكن يحمل عنصر الزوم والحتم في طياته . وهذا نفس ما يحدث معنا إذا رمينا قطعة النقد مراراً فإن النتائج تتباين في كل رمية ولكن هنالك في اتساع المدى تساوياً في نتائج هذه النتائج واطرادها هذه الاوليات تفسر لنا أوجه تفسير «التوزيع» عند كل من «شرودنجر» و« جوردان » و« ماكس بورن » و« ديراك » من وجهتيه الطبيعية والرياضية

— ٣ —

لقد انتهى « ديراك » بمباحث النظرية في تفسير التوزيع ، الى ان هذا التوزيع رمز ولكن بدون أي امكان لتفسير عددي أخذاً بالوجهة السلبية من المعادلة الاساسية لنظرية « المقدار » الجديدة . أعني بالوجهة التي تربط سرعة الكهرباء بمقدار طاقة حركته ، وكان نتيجة ذلك أن انتهى الى أن هنالك ضررين من الكهربيات موجبة وسالبة الشحنة الكهربائية ، والكهربيات ذات الشحنة السالبة من الكهربائية هي الالكترونات ، أما الموجبة فهي وراء تناول تجاربنا ، فكانها والخلاء سيان

وامتحان نظرية « ديراك » من الوجهتين الرياضية والفيزيقية عن طريق دراسة تدفق الاشعاع المادي واستناداً الى معادلاتي « كلاين » Klein و« نيهينا » Niehina تنهي بالباحث ، كما انتهت بنا ، الى حقيقة فوزيقية مهمة : ان الطاقة السالبة والطاقة الموجبة التي ترتبط بدقيقة الكهرباء متساوية وان الاختلاف في دلالة الاشارة الحيزية على نوع الشحنة ، وهذا يؤدي حتماً

الى فرض كهرب موجب الشحنة الكهربائية يقابل الكهرب السالب الشحنة الكهربائية . وهذا التنبؤ في نظرية « ديراك » يتجلى لنا التجاح حيث اخفق غيرنا ، مثل اوبنهايمر Oppenheimer ومن المهم ان نقول ان « لويس ده بروي » يوافقنا على هذا التعديل وقد كشفت المباحث الفيزيكية الاخيرة عن وجود دقيقة مادة ذات شحنة موجبة وتقابل الكهرب اصطلاح على تمريرها بالبوزيترون . وكان زميلنا العالم الروسي « سكوبلزن » Skobalzen اول من اقبله الى هذه الحقيقة أثناء تصويره مسارات الاشعة الكونية « Cosmic Rays » عن طريق ما تركه من الاثر في المسار الذي تسلكه وذلك في خريف عام ١٩٢٩

وكانت تجارب الاساذنة « أندرسون » Anderson و« بلاكيت » Blackett « وأوشالييني » Oeschialini في الفترة المتسبجة تحت تأثير الاشعة الكونية قد اتمت الى حقيقة تجريبية في ان كتلة هذه القدرات المتسبجة تحت تأثير الاشعة الكونية تعادل كتلتها في حالتها الاولى . وقد تبين خلال هذه التجارب ان هنالك خطوطاً مزدوجة احدها منحرف لليسار والآخر لليمين ، اعني ان احدهما موجب والثاني سالب ، وتبين من مباحثهم ان الخط الموجب هو صنو الكهرب نظراً لان الخط السالب هو الالكترتون نفسه . وان كتلة الدقيقة الموجبة معادلة لكتلة الدقيقة السالبة ، فكان « البوزيترون » صنو الالكترتون وليس البروتون هو الذي يصنوه

ونحن نعلم من نظرية « نيلز بوهر » العالم الدانمركي ان التواء في الذرة تعادل كتلتها كتلة الذرة وانها مكونة من بروتونات ، غير ان الميكانيكا الموجية وتجارب « دمبستر » A. J. Dempster — ينبت ان البروتون لم يخرج عن كونه موجة كهربائية ولكنها ليست مركزة في قلب الذرة كما ارأى « دي بروي » وانما موزعة توزيعاً رياضياً في كرة الذرة الداخلي

هذه الحقيقة التي تنسجم مع المبادئ النظرية في الفيزيكا الحديثة لها ما يسندها في عالم التجربة ، وقد كان لي عام ١٩٣٣ فكرة في ان كرة الذرة الداخلية متوزعة فيها الشحن الموجبة توزيعاً رياضياً ، وان هذه الشحن تتركز في بعض النقاط ، وهذه النقاط هي الالكترونات الموجية او « البوزيترونات » بحسب الاصطلاح الحديث

والآن ونحن في مسهل عام ١٩٣٨ يحمل انباء التجارب العلمية الحديثة ان البروفسور « سكوبلزن » قد نجح في ان يخلص بروتونات من تيار من البوزيترونات تحت ضغط طال ، — فلذا صح هذا — فسيكون معنا في الذرة لبنتان اساسيتان — الالكترتون والبوزيترون . وهكذا يتحقق معنا الفرض القديم الذي قلت به منذ خمس سنوات في مذكرتي الى معهد الطبعيات الروسي وهي ان الذرة مكونة من موجتين — ذات شحنة موجبة وذات شحنة سالبة ، وأن هاتين الموجتين في توزيعهما الرياضي في عالم الذرة يختلفان لما ذكرنا في الشيء الذي نصرف اليه اصطلاح « الذرة »

العلل الوراثية

الجسمية والعقلية

للمركتور سـ ريف عـ مـ ر

لتحسين النسل طريقتان رئيسيتان سلبية وإيجابية . ومعنى السلبية سلب الصفات الفاسدة او نزعها لتبقى الصفات الصالحة،والايجابية لتجميع الصفات الوراثية الحيدة وافساح المجال لتكاثرها واتقارها بمخلق جيد جيد الصفات سالم من العلل التي تحيط من جودة النسل . وتشمل الاولى تزعم الجنون والبله والصرع وغيرها من العلل التي ستمر بنا فيها بعد وتحسين المحيط واختيار الصالحين من ابناء الامة لتكثير نسلهم وتجهيد النسل الفاسد وتحسين طرق الزواج والتعقيم والتطبيب وغير ذلك مما سير بنا بالتفصيل . وقد لحص جنز الطرق السلبية بما يلي (١) طرق العلاج كالحلج البله الناشء عن علة في الغدد الصم والمصابين بالكساح باعطائهم الثيتامين وما اشبه (٢) اصلاح المائلة باقصاء المصابين بامراض وراثية من ابنائهم عن الزواج او احتلال تلك المائلة باخرى اصلح منها وراثية ومنع تراوج افرادها بعضهم من بض وغير ذلك (٣) اصلاح السلالة بزعم العوامل الوراثية الردية (١) منها . وسنتناول الطرق السلبية بالبحث اولاً لانها عملية اكثر من الايجابية ولان مشكلاتها اوسع نطاقاً . واكثر مشكلاتها الاجتماعية متعلقة بالناحية السلبية . واذا كان موضوع اصلاح النسل لا يزال يد نظرياً من الناحية العملية فبالاخرى ان يطبق هذا الوصف على الناحية الايجابية من طرق تحسين النسل لانها نظرية حرفة

(اصلاح النسل والوراثة) من الحقائق الاساسية ان من لا يعرف بسائط الوراثة لا يستطيع فهم اصلاح النسل فمما صحيحاً لانه النتيجة العملية للوراثة . وقد بحثنا في اعداد المتكطف السابقة بحثاً مستفيضاً في امـ موضوعات الوراثة (٢) . وسنلخص هنا في عبارات موجزة امـ حقائق الوراثة ليستعين بها القارئ الكريم على فهم اصلاح النسل : تقتل الصفات الوراثية بطريقتين رئيسيتين الاولى طريقة مندل بنسبة ٣ غالب الى واحد كامن والصفة المتغلبة هي الاحسن

بالاجال ولكن قد تمكن الحقيقة. ينال الولد نصف وراثته من الاب ونصفاً من الام فاذا اتحدت عوامل الاب الصالحة بصنوها من عوامل الام جاء النسل صالحاً والعكس بالعكس. فأتحد نوع من العوامل باخرى مثلها يخرج افلاطون او المري او نيون او اينشتين واتحاد غيرهما يوجد المجانين والحقى والبله وضاعف العقول. اما أي نوع يتحد بالآخر فيتوقف على المصادقات. فاذا اتحد القاسد بالحيد فالآخر يعطي السب ولكنه يبقى كامناً في النسل فقد يخرج من الصالح طالح ومن الطالح صالح ولكن الأرجح ان نسل الصالح اكثر انتاجاً للصالحين والعكس بالعكس. والطريقة الثانية للوراثه هي الاتصال الشقي او الجنسي فتنتقل صفات الاب الى الافات وصفات الام الى الذكور بواسطة العامل الوراثي الشقي كنزف الدم الوراثي (هيموفيليا) وعمل اللون وغير ذلك. وقد ينشأ علاقة الوراثة بالمحيط فيعضها لا تظهر الا في محيط خاص فالمحيط والوراثة مقترنان وتأثير الوراثة يرجع فعل المحيط. اما الصفات المكتسبة فلا اثر لها في تكوين الفرد

يهول المرء ان يعرف مبلغ انتشار الامراض الوراثية في جميع الامم تحيط من جودنها وتفسد نسلها. والامم التي تهتم باصلاح نسلها تضع الاحصاءات المضبوطة التي ترشدنا الى الحقائق وتساعدها في مكافحة مشاكلها الاجتماعية على ضوء العلم الصحيح. ولا نستطيع ان نستوعب جميع الملل الوراثية في مقالنا هذا لان الاطاحة بهذا الموضوع تحتاج الى كتاب خاص. وسنذكر نماذج اهمها لتكون مرشداً لنا في بحثنا ونجملنا تقدر الملل الوراثية المنتشرة في الامم وخطرها العظيم

﴿ العين ﴾ ان في عضو صغير كالعين مئات من البوب الوراثية كالمعى الناشئ عن ضبور عصب العين والماء الازرق Cataract والسوداء glaucoma^(١) والعشو (عدم النظر ليلاً) وعمل اللون. وقد احصى الدكتور لوسين هو Lucien Howe احد الاخصائيين الاميركيين بامراض العيون ما يربى على الثمانمائة عيب من البوب الوراثية^(٢). وتبع كارل بيرسون Karl Pearson وغيره ارومة سبائة اسرة افترض له منها ان فقدان لون العين وراثي واكثر البوب البصرية كقصر النظر وطوله وراثية. ومع ان اكثر الكتب الطبية يمزو حسر النظر Myopia الى كثرة القراءة والتحديق الكثير واجهاد النظر وغير ذلك فقد ثبت مؤخراً ان سبب استمداد ورثي لانه يصيب الاشخاص الذين لا يتعرضون للعوامل المذكورة ولا يصيب غيرهم عن يترضون لها. وهو ورثي بصورة كامنة اي بنسبة ١ : ٣ ويظهر ايضاً كصفة متنقة^(٣) دع عنك كثيراً من البوب البصرية التي لا يتسع المجال لذكرها

(١) المقصوف : في معجم شرف استعمل « الماء الازرق (مصر) لـ glaucoma

(٢) The Eugenic Predicament p. 14

(٣) Human Heredity, Bauer, Fisher, and Lenz 931, p. 230-31 الوراثة البشرية

﴿عيوب السمع﴾ ان عيوب السمع الوراثية كثيرة العدد وقد نشر بل مخترع التلفون رسالة في سنة ١٨٨٤ ين فيها ان الصمم وراثية في بعض الامم الاميركية واثبت غيره ان الصمم يمكن ان يحدروا من اسر مصابة بهذا المرض ويقدر عدد الصم في المانيا بمئتين ألفاً منشأ العلة في اكثر من ريعهم الوراثية^(١)

﴿الامراض الجلدية﴾ وثمة كثير من العلل الجلدية الوراثية كالبق والنفث والتقرن Karatoui والصلع وغيرها

﴿العيوب الحلقية﴾ كثيرة منها السنش Polydactylism^(٢) والاصابع المحبوك كالبط Sydaetylism: فيصل اصابع (او اكثر) ويبقان غير منفصلين والكزم brachydactylism^(٣) والصدف Knook Knae والفصح^(٤) Bowleg والقصد^(٥) Flat foot والطفالة Infantilisim والحذب Kypfosis وكثير غيرها

﴿الاستعداد للأمراض﴾ اما الامراض التي يرث فيها المرء استعداداً فكثيرة منها التهاب الغدد والكساح وتلف الدم الوراثي (هيموفيليا) وتصلب الشرايين والبول للسكري وداء التقرص والتأثر بلولاد الغذائية والادوية والروائح المختلفة فبعض الناس يتأثر بأكل البيض او الحين وغيرهم يتأثر بالكينا او غيرها ويصاب آخرون بنوبات ربو حينما يشمون رائحة زيل او غيرها . والبرقان المزمن وبض أمراض القلب ورائحة الاك الكريهة المعروفة (بالاوزما) والاستعداد للسل الرئوي والعظمي والسرطان ومثات غيرها تدخل تحت هذا الموضوع

﴿الامراض العصبية﴾ ان الامراض العصبية هي يت القصيد في بحثنا ولهذا سنستوع قليلاً في البحث فيها لانها تؤثر في عقول المصابين ونتاج الامة الثقافي . ولاستطيع ان تصور عدد المجانين والبله وضفاف العقول والصراع القين هم طالة على الامة يحيطون من جودتها ويكفونها الثقافات الباطنة ويقللون انتاجها المادي والثقافي ويقللون كاهل دافع الضريبة فيها . والامراض العصبية ضروب كثيرة وهي درجات من احتلال بسيط الى أعلى مراتب الجنون . ولما ترى امراً خالياً من الاضطرابات العقلية . فالنضب الشديد والافعال التي يحمل المرء ان يأتي بأعمال بأبها العقل السليم كالقتل والتخريب والتسفل بالافعال والاقوال وأمثالها ، جميعها ضروب من

(١) Human Heredity p. 262 (٢) الاعشى من له ست أصابع . القطط : الزم : في مجسم شرف . والازم : في محيط المحيط في زائد الاصابع (٣) نقص الاصابع (٤) يقال لمدى الركبتين على الاخرى (٥) تمدني صدور تدمي وتباعد تبعا فهو أفتح (٦) الاقصد من يمشي على صدور تدمي ولا تبلغ عقبه الارض

الاضطرابات العقلية الوراثية . وشتان بين من يتلقى الحوادث برابطة جأش وعقل رزين ، ومن يتأثر بأفقه الامور فيفقد توازنه ويضيع صوابه

يقدر عدد المصابين بالامراض العقلية الذين يدخلون مستشفيات الولايات المتحدة سنوياً بثلاثين ألفاً . وقد ظهر من الاحصاءات ان عدد الذين أصيبوا في الماضي والمصابين حالياً والذين يصابون في المستقبل من هذا النوع اي الذين يدخلون المستشفيات المخصصة لهذه الامراض يبلغ مقدار خمسة بالمائة من مجموع السكان . فاذا أضفنا اليهم عدد الذين لم يدخلوا المستشفيات الخاصة بهذه الامراض يبلغ معدل المصابين ما يقرب من عشرة بالمائة من مجموع السكان^(١)

وقد أدت احصاءات كثيرين من الباحثين ان الجنون وراثي في الاسر ينتقل انتقال التامة ولون الشعر واللين وغيرها من الصفات الجسدية . ومن رأي يرسم انما اذا تبعتنا اصابات الجنون تبعاً كاملاً لم تكن منالين اذا قلنا ان اربعين بالمائة منها تأتي من آباء كانوا مصابين بهذه الملة^(٢) وتقدر الفقات التي تصكدها مستشفيات الولايات المتحدة سنوياً في معالجة المصابين بهذه الامراض بثلاثة ارباع مليون دولار . فرض واحد منها وهو الحرف قبل الاوان Dementia Praecox يكلف مليون دولار يومياً^(٣)

ومن رأي بعض الفقاء الذين يموّل على آرائهم ان خرف الشيخوخة ووهن القوى العقلية اللذين لمدما من المظاهر الطبيعية وراثيان لانهما بصبيان بعض الناس ويفان عن آخرين ويظهران باكرآ في ثثة وتأخران في غيرها ويكونان شديدين في البعض وخفيفين في آخرين^(٤) ولا يجب ان يقادر الى الفهن ان الوراثة هي السبب الوحيد في الامراض المصيبة . بل هناك عوامل اخرى كالخلق (الزهرى) والكحول وغيرها مما لا مجال لتعداده ولكن الوراثة من العوامل المهمة وقد حضرنا بحثنا فيما يتعلق بموضوعنا فقط

«الصرع» ان للصرع اسباباً كثيرة منها اذى يصيب الدماغ من جرّاء لطمة او ضغط او كسر وداء الزهري وغير ذلك . ويؤكد الاختصاصيون ان بعض هذا الداء ناشئ عن استعداد وراثي . وأغلب الصرع مرضون لانواع الاختلال العقلي ، ونحو عشرة بالمائة من الصرع متولدون من آباء كانوا مصابين بهذا المرض وعشرة بالمائة من اولادهم مصابون به^(٥) ويصرف النظر عن الوراثة فليصابون بهذا الداء غير صالحين ان يكونوا آباء وامهات لاولاد اسوياء الخلق

The Eugenic Predicament (٢)

Applied Eugenics p. 123. (١)

Human Heredity 441 (٥) Human Heredity p. 438 (٤) Applied Eugenics p. 124 (٣)

﴿ النقص العقلي ﴾ (Mental deficiency) أن هذا الداء من أكثر الادواء انتشاراً ومدى انتشاره أكثر من مدى انتشار كل مرض عقلي . وسهولتنا كثرة انتشاره وهو يهيم الآباء والمرين والنفسيين (Psychologists) وأساتذة المدارس والسلطات الصحية لأنه من المشكلات المهمة في حياة الأمم . ولهذا سندخل في تفصيلاته بعض التفصيل

يجب أن يميز بين النقص العقلي والتأخر العقلي . فالثاني عارض يتولد من حادث جسدي أو عقلي أو محيطي كطلعة على الرأس أو كسر أو ضغط حين الولادة . ويتولد أيضاً من مرض الزهري الحاسي وفقر الدم وعدوى الطفيليات وأمراض القلب والسكلى والتهاب اللوزتين واللمحيات وأجهاد العين والسلس والكساح وغيرها . ومضى زال السبب عاد العقل الى حالته الطبيعية . أما النقص العقلي الصحيح فلا يزول وهو درجات مرتبة بحسب شدته وضعفه . واليك درجاته :—

الاحق : (Idiot) وهو شخص ضعيف العقل لا يستطيع وقاية نفسه من الاخطار ولا القيام بحاجاته الجسدية وذكائه لا يتجاوز ذكاء ولد عمره ثلاث سنوات وحاصل ذكائه أقل من ٢٥
الآخرق : (Imbecile) هو غالباً من يمكن تدريبه على قضاء حاجاته الجسدية وإعمال بدوية في معنى البساطة ولا يمكن أن يفهمه يستدل على نفسه وعمره العقلي بين ٣—٧ سنوات وحاصل ذكائه يتبين من ٢٥—٤٩

الابه : (Moron) : هو من يمكن بالتدريب والصيانة ان يعتمد على نفسه بعض الاعياد ولكنّه لن يستطيع ان يجاري رفقاءه الماديين وعمره العقلي لا يتجاوز عشر سنوات وحاصل ذكائه ٧٤^(١)

وقد توصل العلماء الى ترتيب هذه الدرجات اي درجات نقص العقل بواسطة امتحان الذكاء الذي يجدر بنا أن نذكر شيئاً عن اهميته وصلاحه

﴿ امتحان الذكاء ﴾ Intelligence Test هو واسطة لتمييز ذكاء الانسان والحيوان ويطبق به بعض العلماء شأناً كبيراً في الحياة الاجتماعية فمن الضروري ان نعرف مثلاً هل تأخر الولد ناشئاً من عدم قابليته الطبيعية او من فساد طريقة التعليم او ضعف رغبته او غير ذلك^(٢)

(١) Oslar, Modern Medicine vol. VI p. 918 وجاء في تاج المروس : احق قليل العقل وحقيقة الحق وضع الشيء في غير موضعه مم العلم بقبجه والمرعي يقول

إذا كان لا يحيط برزقك عالم ورزقك بمنجناً وترزق احقنا (الى آخر الايات) مما يدل على ان الحق يأتي بعد الجنون . وجاء في الانصاح في فقه الفقه . الاخرق فوق الابه والابه الذي به ادنى حق (الانصاح ٨٨) . فالتعاريف العلمية واللغوية تتفق مع ما ذكرناه من عريية هذه الالفاظ

(٢) قياس الذكاء by Lewis Terman y. 5 The Measurement of Intelligence

ولا ينكر باحث مبلغ تأثير النفس المعنوية في أحداث الرذيلة والجناية والانحطاط^(١). وقوام امتحان الذكاء أسئلة للإجابة عنها أو إجابات للعمل بموجبها. والمقياس الممول عليه هو مقياس بينيه سيمون (Binet and Simon) وهما طالان فرنسيان من علماء النفس لها الفضل الأول في هذا الموضوع وخير من شرحه وتفهّمه الاختصاصي الأميركي الشهير الأستاذ لويس تيرمان (Lewis Terman) استاذ علم النفس في جامعة ليلاند ستانفورد بكاليفورنيا وقد خصّصه ليكون مقياس «بينيه» من مجموعة امتحانات مفرغة في أسئلة تتطلب الإجابة عنها أعمال موهبة الذكاء هي أربع وخمسون امتحاناً متدرجة في صوبتها وبسكن ولد سوي^(٢) (normal) في الثالثة من العمر من الإجابة عن أسئلتها. ويتطلب أصعبها أجهاد ذكاء معدل الشخص البالغ. والتصد الأول من الأسئلة امتحان الذكاء الطبيعي لا العلم المدرسي ولا التبرن البيئي والتسكن من معرفة درجة ذكاء الولد لأن ما يتعلمه يتوّرن في معرفة قابليته لزيادة التعلم. وقد ادرك «بينيه» تمام الإدراك أن الذكاء غير موحد الجهة بل له نواح متعدّدة ولا يمكن أن يحلّي حقيقته نوع واحد من الامتحانات. وعليه وضع أسئلة مختلفة الأنواع ففيها ما يميز فروق قوة الذكاء والمعل (reason) والمقابلة والفهم وتقدير الوقت والسهولة في تقدير قيم الأعداد والتسكن من استنباط معنى كامل لمختلف الأفكار وضوح قوة التقدير وغنى الأفكار ومعرفة الأشياء العادية وغير ذلك (كيفية استنباط المقياس) رتبّت الامتحانات بحسب درجة صوبتها بعد أن جربت على ٢٠٠ ولد أسوياء (جمع سوي أي الولد الطبيعي لا المتفوق ولا المنحط) من مختلف الأعمار بين سن ٣ — ٥ فوجد «بينيه» مثلاً أنه لم يميز امتحانين من الامتحانات سوى عدد يسير من صفات الأولاد ولتقلّ عن ٣ في الخامسة من العمر. ثم أخذ يزداد عدد الذين جازوا هذا الامتحان بتتابع السنين إلى أن نجح جميع الأولاد تقريباً بين سن ٧ — ٨. فلو نجح $\frac{2}{3}$ الأولاد الأسوياء الذين بلغتوا السابعة من العمر في الامتحان الذي ذكرنا لحسب «بينيه» هذا الامتحان امتحان ذكاء ولد عمره سبع سنوات. والامتحان الذي يجوزه ٦٥ — ٧٥ من ٣ في التاسعة من العمر امتحان ذكاء ولد عمره تسع سنوات وهلم جرا. وبعد أن جرب عدة امتحانات بهذه الطريقة استخلص خمسة أسئلة لكل امتحان تمثل كل دور من أدوار العمر من سن ٣ — ١٠ (ما عدا السنة الرابعة التي جعل لها أربعة أسئلة فقط) ووضع خمسة أسئلة لسن ١٢ وخمسة لسن ١٥ ومثلها للباقيين حتى بلغت الأسئلة أربعة وخمسين وذكّر بعض هذه الأسئلة على سبيل التمثيل :

(١) Terman p 9.

(٢) السوي : غلام سوي لا يجب فيه ولا داء ج أسوياء

(السن الثالثة) (١) يدل الولد على اقته او عينه اوفه (٢) يردد عدد (٣) يمد الاشياء التي يراها في الصورة (٤) يذكر اسم امرئ (٥) يردد جملة ذات سبع مقاطع
(السن الخامسة عشر) يرد سبعة اعداد (٢) يذكر ثلاث سمجات (rhymes) لكلمة
من الكلمات (٣) يردد جملة ذات ٢٦ مقطعاً (٤) يفسر صورة من الصور (٥) يشرح بعض
الحقائق المعطاة له

ويمكن العلماء بواسطة هذه الامتحانات من تقريق درجات الذكاء من اعلاها الى ادناها.
ويسبرون عن العمر الذي يجتاز فيه الفرد هذا الامتحان بالعمر العقلي (ع.ع) فمتدا نفر
عمر الشخص العقلي تتمكن من تعيين درجة ذكائه . وحاصل الذكاء هو العمر العقلي مقسوماً على
العمر الزمني (ع.ز) مضروباً في مائة :

$$(ع.ع \div ع.ز) \times 100 = \text{حاصل الذكاء}$$

فلنفرض ان عمرايك ١٠ سنوات وعمره العقلي ٧ سنوات فقط فيكون حاصل ذكائه
(١٠ ÷ ٧) × ١٠٠ = ٧٠ اي بدرجة اخرق (moron) . ولنفرض ان عمر شخص
آخر العقلي ١٧ والزمني ١٠ فيكون حاصل ذكائه : (١٧ ÷ ١٠) × ١٠٠ = ١٧٠ اي
عبقري واذا كان حاصل الذكاء دون العشرين كان الشخص احمق ودون الستين ابله الخ .^(١)
ومعدل درجة الذكاء مائة فافوقها يكون فوق المعدل وما دونها دونه ولا يقيسون الذكاء بمد
سن ١٥-١٦ اذ يعتقد اكثر العلماء ان المواهب العقلية لا تقو بمد هذا السن وانما تموقرة
الحكم (Judgement) لا موهبة الذكاء ولا المعرفة الحسية^(٢)

وقد اتفق بعض العلماء هذه الامتحانات بأنها لا تميز الذكاء الفطري من المصطنع المتولد من
التعليم والتدريب وان اللغة والمحيط طاملان في تباعد الشقة بين المُتَحَنِّين وان المُتَحَنِّين
يتودها ، وأكثرها يتطلب مجرد معلومات ولا تدل على ذكاء المرء الفطري . ثم توقف الامتحان
على اختبارات الشخص وللامه بالمواد المتحن بها وغير ذلك^(٣)

ورغم ما يوجه الى هذه الامتحانات من الانتقاد والاعتراض قلنا أفضل طريقة معروفة
حتى الآن للوصول الى نتائج قربية في تقريق درجات الذكاء . وقد تقح تيرمان هذه التجارب
ووسها واستنبط مقاييس لسن اللين تماماً فإذا كان الولد في الخامسة من عمره قلنا هذا السن
فقط . وهكذا اذا كان في السادسة والسابعة . وجل الاسئلة ستة عوضاً عن خمسة لكل امتحان

Scientific American, Jan. 1937, p. 18 "Ourselves and the Feeble-minded," (١)
Science of Life p. 1332 (٢) Scientific American, Jan. 1937, p. 18 (٣) by Etabbrook

لكل شهرين سؤال فيلغ مجموعها ٩٠ وبقيس الذكاء من السنتين الاولين لا من السنوات الثلاث الاول كما كان سابقاً

وقد قنع تيرمان ومريل (Merril) هذه الاسئلة في الطبعة الجديدة لسنة ١٩٣٧ فجلا الامتحانات ١٢٩. وقد تطورت هذه الامتحانات تطوراً عظيماً في العهد الاخير فصارت تشمل شهور الحياة الاولى الى سن البلوغ وتجاوزت ما يحد هذا السن ولم تعد الامتحانات تقتصر على قياس الذكاء وتقريب الخلق. وضاف العقول بل تناولت شخصية المرء هل هي سوية أو غير سوية فيدرس العلماء قوة إرادة المرء وثباته وضميره وغيرها من المميزات. وبالاختصار يحاول معرفة نوع شخصيته

نقتصر على هذا القدر من الموضوع لانه ليس من اختصاصنا ومن شاء أن يعرف على المذاهب الجديدة فليراجع كتاب بهار: امتحان نشوء الاولاد منذ ولادتهم حتى السن المدرسي^(١)

(الاحصاءات) نستطيع الآن الاحصاءات عن عدد ناقصي العقول عند مختلف الامم. يستدل من تقرير طبيب مدارس لندن لسنة (١٩١٤-٣٠) ان ناقصي العقل فيها موزعون كما يلي: حتى ١٨١٧ بالمائة. بـ ١٣٧٨ وضاف العقل ٨٥١٥ وتقرب هذه النسبة مما توصلت اليه لجنة استقصاء النفس العقل في مدن انكلترا وهي حتى ٣٦ بالمائة خُرق ١٦٦ بالمائة وضاف العقول ٨٠٣ بالمائة^(٢). ويظهر من تقرير لجنة البحث عن النقص العقلي في ادارة المعارف البريطانية ان ناقصي العقل زادوا في انكلترا خلال سنة ١٩٠٦-١٩٢٧ مائة بالمائة بينما لم يزد عدد السكان سوى ١٤ بالمائة. وفي سكان انكلترا الحاليين عشرة آلاف لكل مليون مصابون بالنقص العقلي^(٣)

بلغ عدد ناقصي العقل والصرع في مؤسسات الولايات المتحدة في أول يناير سنة ١٩٢٩ فقط ٦٤٢٥٣ من مجموع ١٢٠ مليوناً. وهذا الاحصاء لا يبين الحقيقة لانه لا يشمل الا الذين هم تحت رعاية المؤسسات الخاصة بهذه الامراض فاذا اضفنا اليهم الخارجين عن هذا النطاق ارتفعت النسبة كثيراً^(٤). وقد قدر مؤتمر البيت الايض لسنة ١٩٣٠ أن نسبة ناقصي العقل في الولايات المتحدة ١٥ بالمائة من مجموع السكان (أي ما يقرب من العشرين مليوناً) وتبين من امتحان ذكاء ما يزيد على المليونين من جنود أميركا أثناء الحرب العامة أن حاصل ذكاء ٦٢٢ منهم دون السنين

(١) Testing Children Development from Birth to School Age, by Charlotta Buehler translated to English by Henry Beaumont.

(٢) The Eugenic Predicament p. 37

(٣) The Eugenic Predicament p. 1468

(٤) The Eugenic Predicament p. 151

ومع أنه لم يثبت أن الجرائم وراثية فالأرجح أن مثل هؤلاء ذوو امزجة عصبية ضعيفة تسطر على إرادتهم وتدفع بهم إلى ظلمات السجون وتجلبهم طالة على الامة . وبمكتنا أن نعد المتسولين من هذه الطبقة غير المرغوب فيها

روى تيرمان عدة شواهد عن بعض الأمر الاميركية المشهورة بالنقص العقلي وتأثير ذلك في النسل ومن أبرزها امسة « كالليكاك » . وهذه قصتها : كان مارتن كالليكاك (Martin Kallikak) شاباً جديداً في الثورة الاميركية فاتفق أن التقي في الجانة التي كان يرتادها الجنود فتاة ضعيفة العقل فتزوجها فولدت منه صبياً ضعيف العقل وبلغ صلب هذا القرن الموقت سنة ١٩١٢ (٤٨٠) منهم ٣٦ غير شرعيين ٣٣ فاسقاً و٢٤ مدمناً للخمر وثمانية نجار اعراض ١٤٣ ضاف العقول والباقي مشكوك في صحة عقولهم . وعقب رجوعه من ميدان الحرب بسنوات قليلة تزوج فتاة من عائلة عريقة النسب فأثمر هذا القرن ٦٩٦ فرداً ليس فيهم لقضاء ولا موسسات ولا مجرمون ولا متاجرون بالاعراض ووجد بينهم قاسق واحد ومدمنان ولم يظهر فيهم أي نقص في العقل بل نشأ منهم اطباء ومحامون وقضاة ومربون ونجار وملاك^(١)

قال جنتنز ان نصف العقل منتشر في ثلث من واحد في المائة من الامة . فالامة التي عددها مائة مليون يبلغ ضفاف العقل فيها ٣٣٠٠٠٠٠ . وهذا العدد يشمل الذين يكون هذا النقص بارزاً فيهم . واذا تذكرنا ان الصفة الوراثية لا تظهر الا اذا كانت في زوجي الاب والام فاذا كانت في زوج واحد وكان الآخر سليماً فالسليم ينطلي للميب فيكون النقص المستتر هائلاً فتجد في الامة نحو ٩٠٠٠٠٠٠ يحملون هذا الميب ولا بد من ظهوره يوماً من الايام^(٢)

ولا تقتصر الامراض الوراثية على التي ذكرناها بل هناك امراض كثيرة يرث المرء فيها استعداداً لقبولها كالسرطان وقصخ الفدة الدرقية وغيرها . ومن رأي دافنبورت D. Davenport مدير معهد كارنيجي التناسلي ان المناعة ضد الامراض والاستعداد لقبولها وراثيان فحين ما ينتشر وباء من الاوبئة كالتبقيود مثلاً يصاب به البعض وينجو آخرون بسبب مناعهم فالذين يتعرضون للعدوى ولا يصابون تكون فيهم مناعة موروثة^(٣)

نقتصر على هذا القدر من الملل الوراثية وسنذكر غيرها حيناً نتطرق الى بحث التعميم

(١) The Measurement of Intelligence, Lewis M. Terman p. 10

(٢) The Biological Basis of Human Nature, Jennings p. 241

(٣) Scientific American Oct. 1933 p. 162 The Inheritance of Diseases

معركة الكلام

أو التنافس الدولي

في الاذاعة اللاسلكية

— ١ —

لما مرض الملك جورج الخامس من بضع سنوات ، وهو المرض الذي سبق مرض وقاته ، كانت الاذاعة التي يذيعها الجباؤه كل ليلة عن حالته الصحية ، تعرق اسماع عشرات الملايين من الناس في مختلف انحاء المعمورة . فتنبش روح المصنف على الملك الكريم وهو يغالب الموت . ويستند المستر ستيفن دجان مدير المعهد الدولي للترفيه ، ان اعراب اقصاب الحياة العامة في امريكا ، سواء اقصاب الحكومة كانوا ام اقصاب الصحافة والمعااهد العامة ، عن عطفهم على الملك واسرته وشعبه ، خففت من حدة الشعور السياسي ، الناشئ عن اختلاف الحكومتين الاميركية والانكليزية في بعض المشكلات السياسية والاقتصادية . وفي هذا دليل على ما تستطيعه الاذاعة اللاسلكية ، من بث شعور التعاطف والفهم وتأثيرها في العلاقات الدولية

يقابل هذا ان الجانب الاول من سنة ١٩٣٤ كان حافلاً ، في أوروبا الوسطى ، باذاعات لاسلكية ، صادرة من محطة في جنوب المانيا وموجهة الى الشعب النمساوي ، منطوية على التحريض على الحكومة النمساوية . وكان من نتائج هذا الضرب من الاذاعة ان حدثت حوادث النمسا المشهورة في يوليو سنة ١٩٣٤ التي اغتيل فيها المستشار دولفوس ووقفت أوروبا الوسطى أياماً بعيد اغتيالها وهي على شفا جرف هار — شفا الحرب الاوربية . وفي هذه الحادثة دليل على ما قد يكون للاذاعة اللاسلكية من أثر في احداث الجفاء والقطيعة في صلات الدول بعضها ببعض

كان الاصل في الاذاعة اللاسلكية ، ان تكون وسيلة من وسائل التسلية ، باذاعة الموسيقى على اختلاف ضرورها ومراتبها ، والاحاديث الفكاهية والروايات القصيرة ثم ضم اليها استعمالها للتثقيف العام ، باذاعة احاديث الكتاب والعلماء ، فيصني كل من شاء الى أحدث مبتدعات العلماء وآراء المفكرين

ولكن الاذاعة اللاسلكية كالصحافة ، هذه للعين وتلك للاذن ، في وسعها ان تميّز روح المودة والتفاهم بين الأمم وفي وسعها أيضاً ان توسع شقة الخلق وتبذر بذور الشقاق . والتبعية الواضحة على محطات الاذاعة اللاسلكية أعظم من تلك الواضحة على الصحافة . ذلك ان جميع الانباء الصحفية وتجميعها وجمعها وطبعها وتوزيعها ، يستغرق وقتاً ، والوقت يسحق المجال لسكون المواطن التائرة بعض السكون ، وتحكم العقل بعض التحكيم . ولكن ليس بين المذيع ومسمّاعه حاجز ماء فاسفافة بين المذيع والسامع ، كما أنّ بُعدهما ما كان ، تجتازها الامواج اللاسلكية بسرعة الضوء اي في جزء من الثانية . فغشور الحقد والبغض الذي يثيره المذيع بما يقول ، قد يفضي الى نتائج خطيرة لساعته بل لديمقراطيته . ثم إنّ البلدان الديمقراطية فيها ، صحف متباينة الرأي ، مختلفة النظر ، وتباينها هذا يحمل على المقابلة والتزيت والتآني ، ويصمم من التسجل والاندفاع . أما الاذاعات اللاسلكية ، فمحصورة في محطات خاضعة في كل بلد لسلطة واحدة على الغالب ، ما عدا البلاد الاميركية وهولندية ، فالجبال لاختلاف الرأي والمقابلة بين وجوه النظر ضيق محصور . حتى في الولايات المتحدة الاميركية ، لا نجد الا نظامين كبيرين لها مقام في طول البلاد وعرضها

— ٢ —

من نحو سنة أعلن السرجون سيمون ، وكان وزيراً للداخلية ، أن الحكومة البريطانية طلبت الى شركة الاذاعة البريطانية ، ان تتخذ الوسائل اللازمة لانشاء برنامج إذاعة بعيد المدى وان يمتد أجراء ممثلو الحكومة البريطانية اسفر عن ضرورة استعمال اللغات الاسبانية والبرتغالية والعربية في هذه الاذاعات

وليس ثمة ريب في أن الاذاعة الى البلدان الاجنبية بلغاتها ، مشكلة حلت رجال الاذاعة اللاسلكية واقطاب الحكومات على كثير من التفكير في الستين الماضيتين . ولا ريب كذلك في انها تطوي على كثير مما له صلة بمستقبل العلاقات الدولية ، ابان السلم والحرب . وما عزم شركة الاذاعة البريطانية ، على الاذاعة باللغة العربية — وهي الاذاعة التي بدأت من نحو شهرين — الاّ من قيل الردّ على النشاط السياسي ، الذي عمدت اليه بعض الحكومات الفاشستية بوساطة الراديو . فالراديو اصبح في عرف الدول الديمقراطية والفاشستية على السواء ، سلاحاً لا يمكن اهماله في الدفاع عن المصالح القومية

ان السيطرة على محطات الاذاعة اللاسلكية مركزة في يد الحكومة او يد مجلس خاص في معظم بلدان أوروبا ، وذلك على الضد من الطريقة المتبعة في الولايات المتحدة الاميركية . وتركيز السيطرة ، يختلف اغراضه باختلاف البلاد . ففي بعضها — وهي البلدان الديمقراطية بوجه عام — يقصد به الى تنظيم الاذاعة بدلاً من تركها ولا خاضعاً لها اولاً ومنع الاذاعات

التي قد تسمي الى الرأي العام داخل البلاد او في البلدان المجاورة . اما في البلدان القائمة حكوماتها على مبدأ الزمامة فالنرض به البطابة في الداخل لافراغ الرأي العام في قالب واحد، وفي الخارج لبسط رأي الحكومة وزعمها السياسية . ففي الدمارك والترويج نجد محطات الاذاعة اللاسلكية تابعة للحكومة وأما في هولندة فالحال فسيح لنشاط الشركات الخاصة . وأما في المانيا وروسيا فتدار محطات الاذاعة كأنها مصالح حكومية . وأما في ايطاليا ، فقد أنشئ للاذاعة شركة كبيرة بموّل من رؤوس الاموال الخاصة وتخضع لسيطرة الحكومة

ولكن انكثرا تجري على نظام خاص وسط فأنشأت لذلك شركة الاذاعة البريطانية B.B.C. وهي هيئة صدر بأنشائها مرسوم ملكي ، تدير محطات الاذاعة لفائدة الامة ، لا بقصد الربح . فلا تختلف في قاعدتها وطريقتها عن كثير من الهيئات العامة في انكثرا كالهئية التي تدير مرفأ لندن او الهيئة التي تدير اعمال سيارات النقل الكبيرة (الاوتوبوس) وليست هذه الهيئة وفقاً على حزب سياسي دون آخر ، بل هي تمثل التزامات السياسية السائدة في البلاد بوجه عام . ولا تمارس الحكومة عليها ضغطاً ما ، وإنما عملها يقتضي الحذر في قد الحكومة التي اصدت قانونها . ولكن بما لا ريب فيه انه اذا مالت محطة الاذاعة البريطانية اكثر مما يجب ان تبيل ، الى ناحية الحكومة ، ارتقت اصوات الاحتجاج في البرلمان والصحف ، فيصسى الى ما نقول ، لانت المعارضة اليوم قد تكون حكومة جلالة الملك في الهند . فالانتران في مصلحة الجميع على السواء

وتسير فرنسا على خطة تجمع بين محطات تملكها الحكومة ومحطات تملكها الشركات الخاصة . اما المحطات الحكومية فتابعة لوزارة البريد ، وادارتها في يد مجلس للحكومة فيه ممثلون للحكومة ولاصحاب مصانع الادوات اللاسلكية وللسماع كذلك . والمحطات الخاصة تدار على نمط المحطات الاميركية ونحني المال اللازم من الاعلانات اللاسلكية . أما المحطات التابعة للحكومة في فرنسا وانكثرا فتجني نفقاتها من مال يستوفى من اصحاب الاجهزة الملتقطة

وتختلف هولندة عما تقدّم في ان فيها خمس جماعات للاذاعة اللاسلكية وهذه الجماعات لا تدار للربح بل لنفع اعضائها . فثلاث من هذه الجماعات زعة دينية خاصة (كاثوليكية وبروتستانية والثالثة مسيحية فقط) ومحطة لها زعة سياسية اشتراكية والخامسة عامة محايدة علمانية . ولكل جماعة دائرتها الخاصة ومذيوعها ومذيعاتها ، وهي تقسم بالاتفاق بينها الوقت المتاح للاذاعة من محطتين من محطات الامواج الطويلة وتضع الاجر عن استعمال هاتين المحطتين للشركة التي تديرها . وهذه الشركة مستقلة ولكن أسهمها موزعة على الحكومة والجماعات الخمس . وقد أثبت الاختبار ان هذا النظام سار على خير ما يرام بغير جفاو او اختلاف ما . والعجيب في أمره تبرع الصانع للجماعات بلا قسّر او قانون . فليس في هولندة قانون ما يقضي بإنهاء من يملك

جهازاً ملتقطاً إلى إحدى هذه الجماعات ولا أن يستصدر رخصة لاستعمال جهاز مروفي الاضواء إلى ما يذاع. ومع ذلك فلكل من هذه الجماعات المختلفة طاقة من الاعضاء يتبرعون بما يكفي للقيام بنفقاتها. أما الاعلان ، وأما الربح فنموطان . وكل ما هناك ان الموظفين والمذيعين والمذيعات يتقاضى كلٌ منهم جعلاً معقولاً . وليس في أي بلد من بلدان العالم نظام أرقى وآتم من هذا النظام الهولندي

— ٣ —

للإذاعة اللاسلكية في مزارها السياسي ناحيتان — الناحية الداخلية والناحية الخارجية في أوروبا خمس عشرة دولة لا تسمح بإذاعة الأقوال والآراء السياسية من محطات الإذاعة إلا باسم الحكومة وموافقتها وهذه البلدان هي — ألمانيا وإيطاليا وروسيا السوفيتية والنمسا وبلفاريا وأستونيا وفنلندا وهنغاريا ومدينة داننبرج الحرة وبولندا واليونان ودولة أيرلندا ومدينة القاتيكان. أما في تشكوسلوفاكيا ويوجوسلافيا والحكومة فيهما تراقب كل ما يذاع في الموضوعات السياسية. وأما في سائر البلدان الأوروبية ، ومعظمها ديمقراطي الحكم فتتم مراقبة على ما يذاع في السياسة ، بإمراس المشرفين على محطات الإذاعة قسمها ممتدين في الحذف على ما يحرمه القانون والادب العام ولكن انكثرا تلمحي كل مراقبة في أثناء المارك الانتخابية . وكانت اسبانيا تسمح بإذاعة الخطب السياسية بعد مراجعة مدير البرنامج لها . أما الآن فمحطات الإذاعة اللاسلكية في اسبانيا في قبضة السلطات العسكرية في الفريقين المتنازعين . واذاً يمكن أن يقال أن إطلاق حرية الإذاعة في الموضوعات السياسية في أوروبا ، يكاد يكون محصوراً بوجه عام في البلدان الديمقراطية الغربية. وقد يضاف إليها دولتا لتفيا ولتوانيا على سواحل بحر البلطيق

وللدعاية الانتخابية اللاسلكية في انكثرا نظام خاص. فقبل ميعاد الانتخاب العمومي، ينحوي اسبوعين أو ثلاثة اسابيع، يسمح لأقطاب الأحزاب السياسية الممثلة في مجلس النواب أن يذهبوا خطباً سياسية من محطة الإذاعة، على أساس التساوي في الوقت . أي إذا سمح لأقطاب المحافظين في هذه الاسابيع الثلاثة، بإذاعات مجموع وقتها عشر ساعات، سمح لأقطاب العمال كذلك بإذاعات مجموع وقتها عشر ساعات . وكذلك لسائر الأحزاب . وقد سار هذا النظام على ما يرام إلى أن كانت سنة ١٩٣١ عندما طلبت الحكومة القومية أن يستمر كل حزب يمثل فيها ، حزباً مستقلاً وان يناح له المساواة المشار إليها آنفاً. فكان مجموع الوقت الممنوح للإذاعة للأحزاب المؤيدة للحكومة أكبر كثيراً من مجموع الوقت الممنوح للمعارضة . ويزيد غير قليل من اكتساح الحكومة القومية للبلاد في الانتخابات التي تمت في نوفمبر سنة ١٩٣١ لهذا التفوق في ما أتيح لأقطابها من الوقت للخطبة الانتخابية اللاسلكية . ومن المشكلات التي تواجهها شركة الإذاعة البريطانية في هذا الصدد كون الحزب الشيوعي مثلاً بضو واحد في البرلمان . فهل يناح له من الوقت للإذاعة

اللاسلكية السياسية في الانتخاب القادم ما يتاح لحزب المحافظين وهم أكثرية وعلاوة على ما تقدم يسمح مجلس شركة الاذاعة البريطانية ، بالمناظرات السياسية بين اقطاب الساسة والكتاب السياسيين ، ولكنه يشترط ان تقدم اليه نسخ الخطب لراجعتها ، ومعرفة هل نصوص الخطبة محصورة في الموضوع ، وهل هي متسقة مع الوقت المتاح للاذاعة ثم لحذف ما قد يكون فيها خارجاً على العرف الادبي . وكل ذلك لحفظ التوازن في المناظرة ، فاذاعة رأي معين تلوها اذاعة رأي مقابل له . وهكذا . ومن هذا القليل مناظرة في « الفاشستية » اهتزك فيها السر اوزوالد موزلي زعيم الفاشستيين البريطانيين والمس ميجان لويد جورج كريمة المستر لويد جورج وأحد أعضاء مجلس النواب . أما الكتاب المشهورون كبرنارد شو فيمنحون الحرية المطلقة في اذاعة ما يشاؤون ما زال الكلام في نطاق الادب العام — في رأي المذيع

وتقتصر سائر دول أوروبا الديمقراطية في الاذاعات السياسية على موضوعات وأقوال غير حزبية الا في النرويج والدنمارك والبلجيك ، فانها تتبع خطة أقرب الى الخطبة البريطانية . وأما في هولندا فتتم جماعتان من الجماعات الخمس تسمح بالخطب السياسية ، وهما الجماعة الكاثوليكية ، والجماعة الاشتراكية . ولكن الجماعات الثلاث الباقية تحظرها . ولا تأذن حكومتا السويد وسويسرا الا في اذاعة الخطب السياسية التي لا تحيز حزبي فيها . ولكن تشكولوفاكيا تحظر الخطب التي فيها نقد للحكومة ، مع انها من خير الامثلة على الحكم الديمقراطي في أوروبا . ولذلك لا بد من وضع تشكولوفاكيا — في ما يتعلق بالاذاعة — في صف الدول الدكتاتورية ، لولا انها تقيم وزناً في اذاعتها للاقليات التي ضمن حدودها وما لها من ثقافة قومية خاصة بها . وهي تستدبر بما تفرضه من الرقابة على الاذاعة السياسية ، بموقفها الجبر في السياسي . لان خطبة واحدة قد تنشئ لها مشكلات دولية معقدة . فاذا اتجهنا بنظرنا الى الحكومات الدكتاتورية ، وجدناها تستعمل الاذاعة اللاسلكية لتعزز مقامها داخل حدودها الجغرافية والعنصرية ، واذاعة آرائها السياسية ، أنى سمحت اذاعتها . فالاذاعة اللاسلكية أضحت في أيدي رجالها أفضى سلاح عرفه العالم . فاذا أضيف الى ذلك براعة اقطاب الدعاية في استعمال هذا السلاح بحيث يؤثر في النفوس ويتهوسها ، عرفنا مبلغ الخطر الذي ينجم عن استعماله لتحقيق بعض المآرب القومية .

وهذه الدعاية تتخذ أشكالاً متعددة ، بحيث أصبحت الخطب السياسية الا خطب الزعماء غير لازمة . ذلك ان كل ما يذاع يطوى بطريقة خفية على مغزى سياسي سواء أفي التاريخ تحدثت المحدثات ام في العلم أم في الفن أم في الاعمال العامة . ويضاف الى هذا اذاعة أبناء الحوادث وقد لونت باللون السياسي الخاص ووصف الاحتفالات الشعبية العامة ، ولا سيما الاحتفالات السياسية ، وصفاً يؤثر في النفس بفخامته . وليس من نتائج المصادفات ان لا المهر هتلر ولا السنيور موسوليني ،

بذبح خطأ سياسياً من حجرته الخاصة ، بل من منبر هام أو من شرفة قصر رممي أو من دكة مدفع ضخم ، وذلك لأن اذاعة الخطبة يسبقها وصف الجماهير المحتشدة والمناطات الصاعدة في اجواز الفضاء والاعلام والبنود المرفوعة . وهذا كله من نواحي التقدم في فهم نفسية الجماهير وتطبيقها في الدعاية اللاسلكية

وعندما يتكلم هتلر في ألمانيا ، تذاع خطبته فيجب ان يصني اليها كل الماني . فننفخ الصفارات في العامل فيسود السكون ثم ينطلق صوت الزعيم من الابواق المضخمة . وتصب مثل هذه الابواق في الميادين العامة ، فتحتشد الجماهير للاصغاء ومن يتخلف عن الاصغاء كان ذلك طعناً في وطنيته وولائه . اما في الانتخابات العامة فتحول البلاد إلى احتفال انتخابي هام يدوم بضعة ايام وتسوده الحماسة الشديدة ، مع ان نتيجة الانتخاب قلما تكون في معرض الشك

— ٤ —

ولا يخفى ان تخطيط اوربا الجغرافي السياسي ، يجعل من المتذمر ان تقيم محطات الاذاعة اعتباراً للجغرافية السياسية . ذلك ان حصر الاذاعة في نطاق الحدود الخاصة بدولة من الدول عملٌ مستحيل . فمن المتذمر مثلاً على محطة في جنوب ألمانيا الى الشرق ان تذيع ما تذيع من دون ان يستمع ما تذيعه في تفكوسلوفاكيا . ثم هناك حدود اللغة وهي مختلفة ايضاً . فمحطة الاذاعة في ستراسبورج بالانزاس تذيع باللغة الألمانية لأن لغة السواد من سكان الانزاس هي اللغة الألمانية فيستمع ما تذيعه في جانب كبير من غرب ألمانيا . وروسيا تسوغ ما تذيعه باللغة الألمانية بوجود جمهورية الفولجا الألمانية في الاتحاد السوفيتي . وما يصدق على ستراسبورج يصدق على بلدان اورية كثيرة . هذه المحطات تذيع انباء الحوادث من ضمن ما تذيع . فالمحطة الروسية تميز غائباً خاصة باذاعة انباء المهرتزر والريخ الثالث وايطاليا والتعلق عليها وقرعها في قالب تحسبه ألمانيا دعاية ضدها . وهي على حق في ذلك . ومحطة موسكو لا تكتفي باذاعة الانباء والتعلق عليها ، بل تمتد الى نقد ما يذاع من المحطات الألمانية ، و « تصححه » على قولها . وتستخدم لذلك مذيعين يتحدثون اللغة الألمانية كتابةً ولهجةً ، وليس بالتأثر ان تعدى التعليق والتقد الى ضروب من الكلام الجارح

اما محطة ستراسبورج فلا تجري على نمط محطة موسكو في اذاعة الانباء بل تتوخى عدم التحيز . ولكن ذلك لا يرخي السلطات الألمانية لأن ما تذيعه يختلف عما يذاع في ألمانيا نفسها في الصحف والانباء اللاسلكية . ومن أعسر الامور على الحكومة الألمانية ابطال نقل هذه المحطة . نعم انها أصدرت قوانين بمنع الاصغاء الى محطة ستراسبورج ، ولكن مراقبة جميع الذين يملكون أجهزة ممتطة ، مهما تكن دقيقة ، لا يمكن ان تكون شاملة

هذا قليل من كثير وهو كافٍ للدلالة على ما هو حادث . وقد اشتدت هذه المنافسة منذ شرعت الدول في انشاء محطات مركزية قوية . ففي سنة ١٩٣٠ لم يكن ثمة محطة للاذاعة قوتها تبلغ مائة كيلو واط . ولا يزال الحد الأعلى في الولايات المتحدة الاميركية لقوة محطات الاذاعة خمسين كيلو واط . ولكن ما أهدئت سنة ١٩٣٢ حتى انشئت خمس محطات قوة كل منها مائة كيلو واط . وقد انشئت هذه المحطات على ما قيل ردًا على محطة موسكو القوية التي غمرت أوروبا بالسماعة الشعبية مع ان الروس يزعمون انهم اضطروا الى انشاء هذه المحطات القوية لكي تصل اذاعتها بجميع انحاء روسيا وسيبيريا الشاسعة . ثم زادت قوة بعض المحطات الى ١٢٠ كيلو واط — كمحطتي وارسو وبراج — ثم الى ١٥٠ كيلو واط فالى ٢٠٠ كيلو واط . ويقال الآن ان الانجاء الى انشاء محطات قوتها ٥٠٠ كيلو واط . والاذاعة من هذه المحطات لا تشمل البلدان المجاورة فقط بل والبلدان النائية ايضاً . ومن هذا القبيل محطة باري الايطالية ، فحاولت انكلترا مقاومتها أولاً باذاعات من محطة فلسطين ثم بالاذاعة بالامواج القصيرة من لندن . واستعمال الامواج القصيرة اصبح طاملاً جديداً ذا شأن كبير في الاذاعة البعيدة المدى . فازداد الطلب عليها لاستعمالها في الاذاعة العامة ، مع شدة الحاجة اليها للاستعمال في « الخدمات المتنقلة » اي لخدمة الطيارات والسفن وغيرها . وتوزيع هذه الامواج من المشكلات الرئيسية التي يحلها . وتؤثر المواصلات السلكية واللاسلكية المتنامية في القاهرة الآن .

فاستعمال الامواج القصيرة ، مقترناً بأسلوب « الشعاع الموجّه » beam يمكن محطات الاذاعة من الاتصال بأنأى الانظار من دون ان تلتقط الرسائل التي تحملها هذه الامواج في معظم البلدان الواقعة بين محطتي الاذاعة والانتقاط . وتفسير ذلك ان الموجة الارضية من هذه الامواج ، تنصف بحد انطلاقتها ، ولكن الموجة الجوية تسير منه كسنة من طبقة هيفسيد فتدور حول الارض . فاذا « وجهت » بالهوائي العاكس أمكن سماعتها في منطقة دون أخرى من مناطق الارض . وهذا النظام تمتد عليه الحكومة البريطانية في الاتصال ببلدان الامبراطورية . وتعتمد عليه الحكومة الالمانية في الاتصال بالحايات الالمانية في شتى انحاء الارض فتوظفهم الحين الى الوطن وتبث بينهم فلسفة النازي الوطنية والسياسية وتسمى ان تفتح الاسواق للمصنوعات الالمانية بالشاء صلات الود والتعاطف مع بعض البلدان ، وتحاول ان تفتح العالم اجمع بمظلة المانيا وسداد مطالبها وأمانها . وهذا النوع من الاذاعة يتم على وجه مستمر بست لغات ، وبأكثر من ست اذاعات اقصى الامر ذلك . وتحذو ايطاليا هذا الحد فتذيع محطة الامواج القصيرة في براتومير الدا بالايطالية والانكليزية والاسبانية والبرتوغالية والعربية والصينية واليابانية والهندستانية . وعلى هذا جرت البلدان الاخرى التي لها مستعمرات كفرنسا وهولندا وبلجيكا .

— ٥ —

إن المتفائل فقط ، المتهادي في التفاؤل ، يستطيع أن يتجاهل أو أن ينكر أن هذا التنافس في إنشاء محطات الاذاعة اللاسلكية إنما هو جزء من الاستعداد للحرب ، لأنها وسيلة الدول المختلفة للتأثير في صفوف العدو المحارب واطرافها وتكبيكها من الناحية المعنوية . وليس ما زراه حادثاً في اسبانيا الا صورة مصغرة لما يمكن أن يحدث في حرب عامة . فذلك قرأنا ان السلطات العسكرية استولت على محطات الاذاعة في مقدمة ما استولت عليه . واختص أحد قواد الثوار باذاعة الانباء التي من شأنها ان تضيق المقاومة وتكسرهما في أرض الحكومة . صرف الجنرال كيوده لانو بوصف « الجنرال المذيع » . ثم إن الحكومة من ناحيتها شوّشت جميع الرسائل المذاعة الى حامية « القصر » لكي لا يلفتها بؤ المدد العسكري الوافد عليها . كما انها سعت الى بذور القلق في صفوف المتطوعين الايطاليين بوصفها ما أصيب به اخواتهم في ميدان القتال وفي الامر . وكلا الفريقين يحاول ان يشوّش اذاعة الفريق الآخر

وليس ما تقدم الا ناحية يسيرة من نواحي استعمال الاذاعة اللاسلكية في الحرب . ففي مستهل الحرب الكبرى كانت المواصلات اللاسلكية لا تزال في مهدها . وكان اعتماد الدول على المواصلات التلفزيونية السلكية ، وكان معظم الاسلاك البرقية البحرية خاضعاً لسيطرة انكلترا وامريكا ، فلما قطع الاسطول البريطاني الاسلاك الالمانية في بدء الحرب غدت المانيا معزولة عن العالم . ويذهب احد الكتاب الى ان جانباً كبيراً من هزيمة المانيا في الحرب الكبرى يمكن ان يربى الى ايجاد ابواب الانباء والدعاية في وجهها ، علاوة على التقاط رسائلها المرسلة بالاسلاك الدولية وحلّها . اما الآن فان أهم طرق المحادثات الدولية ، تفقد الامترولا تعتمد على الاسلاك . ومع انه من المستطاع تشويش الاذاعة اللاسلكية ، لا يمكن ان يقال الآن ان قطعها مستطاع . ذلك ان التشويش يقتضي احدث امواج كهربائية قوتها كقوة الامواج التي يراد تشويشها ، ويقضي كذلك معرفة تواليها . فلا بد من سهر دائم ومعرفة سابقة بالقاعدة التي يقوم عليها توالي الامواج . واذن فمن المتعذر في المستقبل ، وفي حالة نشوب حرب ، ان تلتقط جميع الرسائل المذاعة وان تحل ، دع عنك تمذّر تشويشها تماماً . اما توجيه الرسائل الى الوكلاء والجواسيس في البلدان الاجنبية فليس صعباً ، بل الصعب منه ، لان الاجهزة المتقطعة قد بلغت مرتبة من الاتقان ، بحيث يستطيع الجهاز ان يلتقط رسائل موجة الى منطقة ما ، بالاشعة القصيرة ولو كان مصدرها بعيد ألوفاً من الاميال . ويكفي في هذه الحال ان يلتقط الجهاز جزءاً من نغم موسيقي او عبارة مقتبسة من كتاب ادبي مشهور ، لكي يؤدي ذلك معنى خاصاً للجاسوس . ان هذا الميدان واسع جداً ومن المتعذر التكهّن بما يمكن ان يتم فيه من الغرائب

الدكتور محمد اقبال

اكبر شعراء الهند المسلمين في العصر الحاضر
رسالة شعره^(١)

لتفسير ابو النصر احمد الحسيني الرهنوي

— ٢ —

ثالثاً : ومن معالم رسالة شعر اقبال التعميم . فدعوة رسالته لا تخص طبقة دون طبقة بل تشمل نوع الانسان بأجمعه . وتسمى لتحويل العالم الانساني الى كتلة واحدة . وذلك لانه من ابناء الدين الذي من تعاليمه « الخلق عيال الله ، فأحب الخلق الى الله من احسن الى عياله »^(٢) وبناء عليه فمن اهم مبادئه الحب العام وكرامة الفروق الجنسية والدموية وتمييز الالوان والاطنان قال :

« ان التمييز الجنسي والقانوني قد اباد الشعوب

فهل يعرف اهل وطني ذلك ويفكرون فيه

فلا يكون لساني مقيداً بلون خاص

فليكن نوع الانسان شبي والماء وطني »

وقال ايضاً : « لسنا من الافغان ولا الترك ولا التار

اتما ولدنا في الحقيقة ومن غصن واحد

ان تمييز اللون والرائحة علينا حرام

لاقا تريننا في ربيع واحد »

ولا يختص حب اقبال بنوع الانسان فقط بل هو يحنو على غير ذوي الارواح كذلك . قال :

« اذا صدم الهواء ورقة الورد

فلا تر يقطر دمعاً من عيوني »

رى اقبال ان وجود الفرد وجود اختياري . فاذا اجتمع الافراد وأنشأوا لاقسمهم اجتماعاً خاصاً بزيادة قوة ، ويشعرون بهيمة ، ويتضاعفون ثقة ، ويثابرون به قسماً وافرأ من

(١) راجع مقتطف فبراير صفحة ١٧٦ لقد كتبت هذه المقالة على ذكر احتفال بتكريم الشاعر عند بلوغه سن الستين في ٩ يناير سنة ١٩٣٨ م في عمره (٢) من الاحاديث النبوية

التقدم لا يقدر الفرد ان يبلغه في حالة الاقتراد . ولا اجتماع عنده اشد اركاناً ، واقوى اسباباً ، وأثبت قواعد ، وأرسى دعائم من الذي ثبتت وطائده وتأكدت اواخيه بوحدة الدين ، ووحدة الفكر ، ووحدة الناية . ويرى ان الاجتماع الاسلامي من هذا الصنف . وان اعظم خطر يهدد هذا الاجتماع في العصر الحاضر هو نبذ الروح الديني الذي كان اساس التكوين لوحده ، وخوض افرادة غمار المنصب الوطني والجنسي الذي تعلوا أساليبه من الترب لذلك يخاطبهم :

« ان شبعكم بالدين فاذا ذهب الدين ذهبتم

لانه اذا لم يكن هناك التجاذب لم يكن محفل الانعيم »

وقال ايضاً : « ان الدين اذا ملص ذيله من اليد فلا رابط هناك

واذا ذهب الرابط ذهبت الامة . »

وقال ايضاً : « لا تقس أمتك على أمة الترب

لان نظام أمة الرسول الهاشمي خاص

ان اجتماعهم ينحصر في الملك والنسب

ولكن اجتماعك يستحكم بقوة الدين »

وقال ايضاً : « كل من يختار فرق اللون والدم يغني

سواء أتركها كان أم راحلاً أم هروباً شريعاً

ان نسب المسلم اذا قدم على الدين

طيرت انت من هذا العالم مثل خبار الطريق . »

وقال ايضاً : ان الافتخار بالنسب جهل

لان حكمه على الجسم والجسم قان . »

يرى إقبال ان ليس في العالم نظام اجتماعي يضمن حرية الفرد التامة كما يضمنها نظام الاجتماع

الاسلامي . فالفرد ينال حريته الكاملة بغير بذل اي جهد حالاً عند دخوله فيه . لان من أمة مبادئه

الاساسية « ان الحكم الا لله » و « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » . لذلك يخاطب المسلم :

« لا تبهن فطرتك الحرة بالعبودية (أيها المسلم)

انك لو اخترت برهمين^(١) لك سيداً فأنت أكفر منه

ان للمسلم ليس يجب لأحد سوى الله

فؤاسه لا يخضع لفرعون ما . »

وهو يستقد ان المسلم لو يصبح مسلماً حقيقياً لا يمكن ان تشدخه غيرة اي قوة مهما يكن

(١) لقب الرئيس الديني في الهيئة الوتنية الهندية

جميعها وتدوسه شدة أي سطوة مها يكبر شأنها . فان التاريخ شاهد على ان عدداً قليلاً من أهل
البادية بنير ان يكون لهم عدوة كافية وأهبة شاملة أو سلطة منظمة دوخوا العالم بقوتهم الروحية
وأتحامهم الديني . فلك يقول :

ما الذي أباد استبداد قيصر وكسرى ؟

انه قوة جدر وفقر أبي ذر وصدق سلمان

هل يمكن لاحد أن يقدر قوة المؤمن

ان القدر يتغير بنظر الرجل للمؤمن «

وقال أيضاً : « إن رُحله المسلم وراء السماء الزرقاء

انت الغافلة التي ذرات طريقها النجوم «

وقال أيضاً : « انت يد الله (العليا) ولسانه (الصادق)

اجل (في قسك) اليقين أيها الغافل لانك مغلوب الظن .

وأياً : ومن معالم رسالة شر اقبال الدعوة الى الاعتماد على النفس . فان أكبر داء الشرق

طامة وللمسلمين خاصة فقدان عزة النفس وضياح علو الهمة وعدم القصد لجسام الامور فأصبح

الرضا بالذلّة شعارهم والصبر على الهوان دثارهم . فلك يخاطبهم :

« اعرف حقيقتك أيها الزارع

لانك أنت الحب ، وأنت للزراعة ، وأنت الماء ، وأنت المحصول

هل يرتمى قلبك من خوف الطوفان ؟

مع أنك انت الرُّبّان ، وأنت البحر ، وأنت السفينة ، وأنت الساحل

وأأسفاه على جهلك لانك أصبحت محتاجاً الى الساقى

مع انك أنت الحمر، وأنت الدِّن ، وأنت الساقى ، وأنت المحفل . «

وقال أيضاً : « كن لهيباً واحرق القش ، ما سوى الله

لم تخاف من الباطل ؟ انك أنت الميبدله . «

وقال أيضاً : « اعرف أصلك أيها الغافل ا

لانك وان كنت قطرة ولكنك غير محدود مثل البحر

إن العدة التي يمكن أن يفتح بها العالم بنير السيف والمدمع

لوفهم قتلك العدة ^(١) في حوزتك

لم أنت اصير ظلمم اللاشيء ؟

(١) يريد به القرآن وقوة الايمان به

أنظر (الى نفسك) لان عظمة الطوفان فيك مخفية »
 وقال ايضاً : « انت مسلم ! فمسرّ صدرك بالاماني
 واجمل مطمح نظرك في كل زمان « لا يخالف المبدأ »
 وقال ايضاً : انظر الى نفسك ، لم تشككي من العالم ؟
 انك لو غيرت نظرك للعالم بتغير لك .
 وقال ايضاً : « انت غمضت عيونك وقلت ان هذا العالم حلم
 افتح عيونك فان هذا الحلم حلم اليقظة . »
 وقال ايضاً : « ليس ذلك الماشق الذي يحرك شفتيه لتأوه (من ألم الحب)
 ان الماشق هو الذي يحمل العالمين على كفه
 ان الماشق هو الذي يخلق العالم لنفسه بنفسه
 ولا يرضى بالعالم المحدود . »

خامساً : ومن معالم رسالة شعر اقبال الدعوة الى محاربة الجود والجحود . اما الجود فان
 لكل زمن مقتضياته وضروراته . والزمن يتغير . فمقتضياته وضروراته ايضاً تتغير . ولذلك
 فالجود او الاستمرار على حالة واحدة واهمال الدواعي الحال ومطالب الزمن عنده من اكبر
 الموائق في سبيل التقدم الانساني . وهو يعتقد ان القرآن ما دام ينوع الهداية للانسان فهو
 بقدر ان يخلق له طائفاً جديداً على حسب الاحوال والدواعي في كل مكان وزمان ويهدي الحياة
 الانسانية في جميع الاحوال لتلك يقول :

اهدم القديم واقدم على بناء الجديد
 فان كل من بقي في وروطة « لا » لم يصل الى « الا »^(١)
 وقال ايضاً : « بكل نفس نخرج غير الماسم
 وارض في هذا الرباط القديم كالزمن »
 وقال ايضاً : « ايها الشاهين ! أخشى انك اخترت السكن في الحديقة
 لان هواءها يجعل جناحك طاجزين عن الطيران . »
 وقال ايضاً : « اعبّر نهر المجرة^(٢) واجتز زرقه السماء (ولا تُغمِمْ)
 فان القلب يموت بالاقامة وان كانت في القمر »
 وقال ايضاً : « لو كان في قلبك عالم جديد فأنت به
 فان الافرج قد وقصوا ضحية جروحهم الخفية »
 (يتبع)

(١) اشارة الى كلمة التوحيد « لا اله الا الله » (٢) مجموعة النجوم في السماء

عمرو بن العاص

لحسن حسن علي

—٢—

لما ذهب عمرو بن العاص لفتح مصر ، واستولى على الفرما وبليس وأم دين وأراد ان يفتح قصر الشمع أو حصن بابلون ، وجد ان الحصن منيع ، وأسواره قوية طالية ، وجنوده كثيرون ، وهم مزودون بالسلاح والعتاد الوافر ، فعرف انه اذا هاجمهم في هذا الحصن على عددهم الجم تعرض بمجيشه لضرباتهم ، وسهام قسيهم ، وحجارة منجنيقاتهم ، وهم وراء الحصون تحميم الاسوار ، فراجع أمامهم فظن تيودوروس قائد الحصن انه يستطيع أن يزرحه عن أم دين فخرج اليه في جيش كبير . أما عمرو فانه أتى بقية من جيشه وعلى رأسها خارجة بن حذافة ، وجعلها تكن عند الحيل الأحمر (في الباسية الآن) ، وأتى بقية أخرى ، وجعلها تكن عند أم دين بالقرب من النيل ، ثم قابل تيودوروس بقية الجيش ، فابتدأت المعركة ، والتعم الجيشان واستمرت الموقعة حتى كل الفريقان ، ولما أدركهما الفتور والخور كر خارجة بن حذافة من الحيل الأحمر وانقض بمجيشه على تيودوروس كالصاعقة ، ورجاله أقوىاء أشداء لانهم لم يشتركوا في المعركة . فراجع أمامهم جيش تيودوروس واحتل نظامه ، ففوق ذلك من عزيمة جيش عمرو واشتدت حماسه ، فزاد ذلك في ضعف جيش تيودوروس ، وفي اختلال صفوفه ، ثم اقتض الجيش الم رابط عند النيل في أم دين على جيش تيودوروس من الناحية الاخرى فأصبح جيش الروم محصوراً بين ثلاثة جيوش في غاية الحماة ، فتمكن عمرو من ان يقبضه عن آخره ولم ينج من هذا الجيش الا شرذمة قليلة . وهذه الحطة الحربية وان كانت تربنا دقة عمرو في وضع الخطط الحربية المتقنة الفريدة قلنا عن عقلية عمرو وميله الى التردد والمباغة ، وتربنا كيف كان يجب ان ينفذ خصمه ، وييدي له شيئاً يشغله به ، ويخفي عنه شيئاً آخر ، وبعد ذلك بحاجة بأمر غريب لم يكن في حسابه فيوقه في الحيرة والذهول ، وفي أثناء هذا الذهول يتمكن عمرو من القضاء على خصمه بأمر السيل

ولما تم فتح مصر لعمرو بن العاص ، نصبه عمرو بن الخطاب والياً عليها ، فلما تولى عثمان ابن عفان صرفه عنها وولى مكانه عبد الله بن أبي السرح ، فنضب لذلك عمرو بن العاص ، وبقى على عثمان ، وحق عليه غاية الحق ، ولكنه نظر في المدينة يمناً وبساراً فوجد ان الخطر قريب وان الثوار يتراسلون ، وان الثورة توشك ان تفجر ، فأدرك ان الخليفة لا محالة مقتول ، وانه اذا بقي في المدينة اتهمه الناس بأمر عثمان ، لما شاع بين الناس من نعمته وحقه عليه ، فخرج الى فلسطين وأقام بها ، ولما قتل عثمان وجد عمرو المسلمين قد انقسموا اربعة اقسام

١ — القسم الاول وهو قسم للتورعين المتدينين ، وهؤلاء نقضوا ايديهم من الفتنة ، وتركوا الثوار والثورة والقتال والفتنة ، واتزوا في بيوتهم يبدون فيها ربهم ولا يرضى عمرو مطلقاً أن ينضم الى هذا الفريق ، لان ذكاه وفطنته ونشاطه الوفير تمنعه من أن يكون كساً مهملًا ، وتبشّر على ان ينصر في هذا الامر حتى يستفيد من هذه الحال الجديدة

٢ — القسم الثاني وهو قسم طلحة والزبير ، وكان يرى هذا الفريق ان الثوار هم الذين أجبروا الناس في المدينة على مبايعة علي ، وهم يرون ان يمة علي باطلة ، لانها تمت وسيوف الثوار مشهورة على رقاب الناس ، فيجب ان تقضى يمة علي ، وان يترك الناس وهم احرار يختارون من شاءوا ، وقد رأى عمرو ان هذا الفريق ضيف ، وأتباعه قليلون ، وحيثه لاعالة مهزوم ، وهو لا ينضم الى الفريق سيؤول امره الى الهزيمة المحققة

٣ — القسم الثالث وهو قسم علي بن ابي طالب ، فكّر عمرو في هذا القسم طويلاً ، فرأى ان هذا الفريق كثير الاضطراب ، وانه يحوي جماعة من العذاذ ذوي الرؤوس الصلبة وهم في كثير من الاحيان لا ينفادون الى رئيسهم ولكنهم يحبرونه على الاخذ برأيهم ورأى أن علي بن ابي طالب في جميع اعماله واموره آخذ بأحكام الشريعة والدين ، تارك لآمر الرأي والسياسة ، ورأى ان ما عند علي من العلم بالدين اكثراً مما عند عمرو ، فإذا انضم عمرو اليه ، فلن يتخذ زبراً ولا مغيراً ولا صاحب رأي ، لان الكلمة العليا عنده للدين وحده ، فإذا لمقره من ان ينضم الى الفريق الرابع وهو فريق معاوية بن ابي سفيان ذلك الرجل الحول القلب الذي توافق طباعه طباع عمرو

أرسل معاوية الى عمرو يطلب الانضمام اليه ، ويستشير في امره ، فأشار عمرو على معاوية بأن يطلب منه أن يقتل من قتلوا عثمان ، فإذا فعل ذلك فقد أوهن نفسه ، وقتل أنصاره ، وأضعف جنوده لان اكثر الثائرين على عثمان كانوا قد انضموا الى جيوش علي . وإذا قتلهم علي فإنه يوقع الفتنة في جيشه ، والاختلاف في صفوفه . فإذا أبى ان يقتلهم حاربة بجنود الشام ، وهكذا أصبح عمرو بن العاص من أشد الناس مناصرة لعثمان بعد قتله بعد ان كان من اعظم

الحاقدين عليه وقت حياته . كيف ذلك يا عمرو ؟ ألم تكن حاقداً على عثمان كل الحقد ؟ يجب عمرو
عن ذلك دعني أدور مع الزمان كما يدور ، ودعني ألبس لكل حال لبوسها ، فإن السياسي
لا يستقر على حال واحدة

أخذ معاوية برأيه ، وأتى بالقبض الذي قتل فيه عثمان وهو مضرّج بدمه ، وشدّ به أصابع
زوجته نائلة التي قطعها الثوار حين دافعت عن زوجها ، ثم نشر هذا التوب على المنبر ، وجعل
يخص الناس على الاخذ بتأر هذا الخليفة الفديح المظلوم ، وما زال بهم حتى بكوا ، وعاهدوا الله
على الحرب والانتقام لهذا الخليفة ما بقيت فيهم قطرة من الدماء

ولكن ماذا تجدي الحطّ وماذا يفعل التهديد ، وهناك علي بن أبي طالب وهو قائد حربي
عظيم حنك ، وشجاعته وقوته الشخصية مضرب الامثال . أسرع علي يبعثه الى البصرة وقابل
جيش طلحة والزبير فقتل علي ، ثم سار في بلاد الرافق نحو الشمال بجيش كبير يبلغ نحو
تسعين ألفاً ، فوجد ان معاوية قد عسكر عند صفين بجيش يبلغ عدده نحو خمسة وعشرين ألفاً .
ابتدأ القتال مناوشةً ، ولما طالت المدة زحف علي بمحيوشه على جيش معاوية ، وأمن
قائده الفذ الاشتر النخعي في جيش معاوية فتكاً وقتلاً وتكبيلاً حتى تراجع جيش معاوية
ورجعت كفة علي ، واوشكت جيوش معاوية على الهزيمة ، فركب معاوية فرسه ، والتجأ الى
عمرو وقال لقد هلكنا يا عمرو إن لم تجدنا برأيك ، وهنا تحيل عمرو مصرع طلحة والزبير ،
وأدرك ان الامر ينتظره ، والقتل يترصده ، وأحسن حرج الموقف فأدار رأسه ، وقلب أفكاره ،
وفي الحال أتى بالخدمة الصماء والداهية الدهياء والفكرة الخالصة السوداء أتى بالخدمة التي
ارتجفت لها الدنيا ، والفت لها الدهر ، وتغير بها مجرى التاريخ ، وانقلبت بها الحوادث . نادى
بأعلى صوته في جيش معاوية من كان معه مصحف فليعلقه على سنان رمحه ، ثم نادى في جيش
علي والحيش في شدة حماسه وقوته : هذا كتاب الله هو الحكم الفصل بيننا وبينكم ، فان كنتم
على حق اتبعناكم ، وإن كنا على حق فيجب عليكم أن تقيمونا ، إنكم اخواتنا في الدين ، والاخوة
لا تهدر بينهم الدماء ، وبمثل هذه الكلمات تأثرت جيوش علي وكفت عن القتال وقالوا إخواتنا
في الدين طلبوا صلحاً ، وأرادوا حقن الدماء ، أقتلهم وقد رجسوا الى كتاب الله ، وبذلك أجبروا
عليّاً وأكرهوه على أن يترك هذه الموقعة بعد أن رجحت فيه كفته ، وأصبح قاب قوسين
من النصر ، وألجأوه الى اختيار أبي موسى ليرف حكم الله في هذه الفتنة مع عمرو بن العاص

ولا يجوز لنا أن نستبين بمخدعة رفع المصاحف فقد كان لها آثار تاريخية عظيمة لانها
أولاً : منعت علي بن أبي طالب من أن يجني ثمرة انتصاره فهو لم يفتح الشام ، ولم يأسر
معاوية ، ولم يقض على الفتنة . ثانياً : أن معاوية تمكن بعدها من تعزيز جيشه وضم صفوفه ،

وتظيم وسائل الدفاع . ثالثاً : أن علي بن أبي طالب بعد أن كان يقود جيشاً متوحد السكينة متحسناً للقتال خرج عليه جماعة يرفنون بالخواج ، وكاتوا يقولون إتنا على بصيرة من أمرنا ، وعلى يقين من ديننا وإن الله قد أمرنا أن نحارب العصاة حتى يفتوا الى أمر الله هذا حكم الله الواضح البين فكيف نترك حكم الله وننتظر حكم عمرو وابي موسى هؤلاء الجماعة أصبحوا حرباً على علي وعلى الدول الإسلامية التي ظهرت بعده ، وإن عشرات الآلاف الذين قتلوا منهم وفي سبيلهم كانوا ضحايا هذه الخدعة السوداء الجهنمية التي اخترعها عمرو في لحظة . رابعاً : أن بقية جيوش علي لم تنقل على ما كانت عليه من الحراسة وحرب الحرب فقد قزت حماسهم بهذه الخدعة ، وأصبحوا يرون أنفسهم يحاربون إخواناً لهم من المسلمين ، فهم لن يبالوا ثواباً على هذا القتال التي زهق فيه ارواحهم ، وأصبحوا يتسلطون من مسكر علي ، وهكذا تمكن عمرو بحيلته وذكااته من تفقيت جيش علي ، وفضي عليه القضاء للمبرم ، وبحو له الى جماعات متفككة لا أثر لها ولا غناء فيها فبعد أن كان جيش علي في أوج نصره ، وفي نشوة ظفره ، وفي منتهى حماسه ، وبعد ان عجزت عن رده همم الرجال ، وعزائم الابطال ، وشفرات السيوف ، وأسنة الرماح استولت عليه حيلة عمرو المدهشة فزقه شذر مذر ، وقطعته إرباً إرباً وجعلته هباء منثوراً

اجتمع الحكماء أبو موسى الاشعري وعمرو بن العاص فقال عمرو لابي موسى إن أهل الشام يكرهون علياً ، ولا يمكن أن ينصبوه خليفة عليهم أبداً . وإن أهل العراق يكرهون معاوية فليتنا أن نقذف الناس من الفتنة التي توشك أن تقضي على المسلمين جميعاً ، وعلينا أن نبد معاوية عن هذا الامر ، ونخلع علياً من الخلافة ، ونترك الناس احراراً يختارون من شاءوا خليفة عليهم ، فوافق ابو موسى على ذلك ، ثم قدم عمرو بن العاص أبا موسى ليتكلم اولاً تكريماً له واعتزازاً بفضلته فخلع ابو موسى علياً وأقره بعد ذلك عمرو ولكنه ثبت صاحبه ، وبذلك ضرب علياً الضربة الاخيرة القاضية ، وباع أهل الشام معاوية بالخلافة ، ومك علي مدة حاول فيها ان يجمع شتات جيشه ليعيد الكرة على معاوية ، فلم يفلح الله في اجله

ثم تابعت الحوادث قتل علي بعد ان ذهب عمرو الى فتح مصر ولما فتحها جعلها له معاوية طسعة فأقام بها حتى مات فيها . فحين اذا تصفحنا تاريخ عمرو بن العاص ، نجد انفسنا نتقل من فكرة ناضجة الى فكرة أفصح منها ، ومن حيلة غامضة الى حيلة أغص منها ، ومن خدعة ملتوية الى خدعة أكثر منها اتواء ، وهكذا نجد عمر بن العاص عاش طول حياته ذا ذهن حار ، وعقل ناضج ، وحيلة منقطعة النظير

المراجع — (١) حسن الماضرة لسيوطي (٢) الاقاني لابن الفرج (٣) ابن الاثير (٤) كتاب التكملة حسن ابراهيم

بَابُ الْإِجْتِمَاعِ الْعِلْمِيِّ

المؤتمر الدولي للمواصلات

الاسلكية والبرسلكية

مجهزة بأجهزة لاسلكية للإذاعة والالتقاط فهي تلتقي من المحطات الأرضية المختلفة في للطارات وغيرها انباء الجو وتقبله في كل ساعة من ساعات الطيران وتبعث برسائل من قبلها تستعمل بها عما تريد من الشؤون الفنية وهي في الحالين لا تستغني عن الإذاعة والالتقاط حرصاً على سلامة الركاب . وقد اتسع نطاق الطيران التجاري في السنوات الأخيرة اتساعاً عظيماً وينتظر ان يطرد هذا الاتساع بل ان السنانور هوايت رئيس الوفد الأميركي مقتنع الاقتناع كله بان انتظام السفر الجوي فوق المحيط الاطلنطي قريب التحقيق . ولا بد لطائرات الخط الاطلنطي حينئذ من الاعتماد على الراديو في تأمين سلامة الركاب

واذن فالمنطقة الحارة بالطيران من الامواج اللاسلكية القصيرة قابلة للاتساع لا الضيق وذلك لاستعمالها في المحافظة على حياة الناس وهو أهم من الإذاعة للتسليّة او الدعاية او حتى للتعليم وما يقال عن الامواج اللازمة للطيران

النّام في القاهرة في اواخر يناير المؤتمر الدولي للمواصلات السلكية واللاسلكية ، وقد اتبع لنا مقابلة بعض اعضاءه من رؤساء الوفود وخبرائها الفنيين نخلصنا من الحديث مهم الى الحقائق التالية

المؤتمر في الواقع مؤتمران احدهما للتعارف والآخر لراديو . لاولها لجانان ولثاني ثلاث لجان تتناول في بعضها أجور الرسائل وقواعدها وتوزيع الامواج اللاسلكية على الاغراض المختلفة التي تحتاج اليها

مشكلة مؤتمر الراديو

والمشكلة الكبرى التي يواجهها قسم الراديو من المؤتمر هي توزيع الامواج . فباتساع نطاق الإذاعة اللاسلكية لاغراض التسليّة والتثقيف والدعاية زاد الطلب على الامواج القصيرة — وهي اصلح الامواج للإذاعة — لاستعمالها في هذا الباب . ولكن هناك اغراضاً أخرى لا بد لها من هذه الامواج . قسمة الطيران التجاري ومظم الطائرات ان لم نقل جميعها

الخدمة التي تسديها للامم اذ تربطها بعضها ببعض بطرائق المخابرات السريعة المكنونة المضبوطة. يقابل هذا ان هناك هيئات عامة أخرى كثيرة مراسلي الصحف وهيئة ارباب الاعمال وغيرها يهملها ان تكون أجور هذه المخابرات أقل ما يمكن ان تكون حتى لا يرهق عملها بتقانات كبيرة. فهمة اللجنة الاولى من مؤتمر التلغراف هي التوفيق بين مطالب هؤلاء ومطالب هؤلاء وقد فضل السناتور هويت فيسط لكتاب هذه السطور لماذا احببت اميركا حتى الآن عن توقيع اتفاق التلغراف الدولي . ذلك لان جميع اعمال التلغراف في اميركا في ايدي شركات ترك لها الحكومة كامل الحرية في تصريف الرسائل التلغرافية وتعيين الاجور وكل ما يتعلق باعمالها الادارية وانما للحكومة سيطرة رقابة عليها فقط فلا تتدخل في اعمالها الا اذا رأت منها ميلاً الى التحكم والاستغلال الذين يجعلانها في مرتبة الشركات المحتكرة. فتوقها عند حدها وازدها الى الصراط السوي. أما اتفاق التلغراف الدولي فيتدخل في تفاصيل الاعمال الادارية التي تأبى الحكومة الاميركية وفقاً لمبدأها ان تفرضها على الشركات الخاصة. ولو استغنى الاتفاق الدولي بتقرير المبادئ العامة لما رأت الحكومة الاميركية مائلاً يحول دون توقيمه هذا من الوجهة النظرية . أما من الوجهة العملية فجميع شركات التلغراف الاميركية تعمل وفقاً لقواعد الاتفاق الدولي عندما تكون اعمالها خارج الولايات المتحدة الاميركية

يقال بوجه عام كذلك عن الامواج اللازمة للسفن التي تجوز البحار . فان سلامتها وسلامة ركبها تقتضى ان يخصص لها منطقة معينة من الامواج اللاسلكية القصيرة تستطيع الاعتماد عليها وتكون دائماً في خدمتها

ولكن منطقة الامواج اللاسلكية القصيرة محدودة . وهنا لب المشكلة الفنية التي يواجهها المؤتمر فالتطلب لمحطات الاذاعة العامة من هذه الامواج لا يمكن ان يتاح لها الا من احد طرفين . إما ان يؤخذ من الامواج المخصصة لخدمة الطيران والملاحة وما شاكلهما وهي تعرف باسم « الخدمات المثقلة » وأما ان يتوصل العلم الى توسيع منطقة الامواج القصيرة . ولا يمكن ان يقال ان العلم عاجز اطلاقاً عن ذلك . ولكن الحالة كما هي الآن تجعل التوفيق بين طلبات محطات الاذاعة العامة ومقتضيات الاذاعة الخاصة بالخدمات المثقلة والموازنة بينها عملاً دقيقاً ، وهو لب المهمة الملقاة على اللجنة الثالثة من لجان مؤتمر الراديو

مسئلة مؤتمر التلغراف

أما في مؤتمر التلغراف فالمشكلة البارزة تختلف عما تقدم لانها مشكلة مالية اقتصادية في المقام الاول اي أنها مشكلة فنية فقط بالمعنى الاقتصادي . ذلك ان القائمين باعمال التلغراف سواء أكانت الهيئات القائمة بها هيئات حكومية ام هيئات خاصة يهملها ما يمكن ان تربحه من

العلماء يبيرون ويررو

من منع الحياة الصحافية ان توالي الكتابة عن أقطاب عالمين فتزوي لقرائك ما تيسر من أعمالهم ومباحثهم وتطالع في الكتب والمجلات آثارهم وآراءهم ثم تناح لك فرصة الالتقاء بهم فترقع الكلفة اذ يلتي النظر بالنظر لانك في الواقع كنت تعرفهم حقاً ذلك ان معرفة الرأي والخلق أعرق وأهم من معرفة الوجه والقباهات

لذلك كانت الاسمية التي قضيناها في حديث مع المسوييلان المخترع الفرنسي المشهور والمسوييرو العلامة المتيورولوجي الكبير من فرص الحياة النادرة فالاول مخترع الطريقة الاولى لنقل الصور الفوتوغرافية بالتلغراف وهو اختراع يرتد الى ثلاثين سنة وقد وصفناه في مجلتنا المقتطف فاقامت العين على العين حتى ارتفع حاجز الكلفة يئنا وجلسنا نتحدث في ذلك الاختراع الطريف ونواحي استعماله في الصحافة المصرية

والثاني من اولئك الافذاذ الفرنسيين الذين يدرسون في الوقت الحاضر قوام الجو الكهربائي بواسطة الامواج اللاسلكية يطلقها في الجو فترقع في الفضاء ثم تمسك مرتدة الى الارض فتلتقط في مواقع مختلفة فاذا خصائصها قد تغيرت ، ومن وجوه التغير التي تصيبها يستنتج بعض خواص الجو في طبقاته العليا ولا يكتفي بذلك بل يمداهجة مختلفة لتدوين الحرارة والارتفاع وغير ذلك

من خواص الهواء ويضعها في بلونات تطلق في الجو فترقع وترقع حتى تفجر البلونات فتسقط الاجهزة الى الارض معلقة بمظلة فيها خطر التحطم ضد السقوط وحاملة المعلومات التي دونت فيها في اثناء الصعود ، وبطاقات عليها العنوان الذي يجب ان يرسل اليه. وقد بلغ ارتفاع اعلى هذه البلونات تحليفاً ٢٥ الف قدم او اكثر بل أغرب من ذلك انه وضع في بعض هذه البلونات جهازاً لاسلكياً للارسال ووصله بالاجهزة المتيورولوجية فأصبح البلون يرسل الى الارض المعلومات التي تدونها الاجهزة من تلقاء نفسها ويبدأ ويبدأ فتدون على الارض وتدرس

نقل الصور التلغرافي

وقد انبأنا المسوييلان بالتساع نطاق الاستعمال لجهازه المعروف باسمه (ميلانوغرام) في الصحافة في فرنسا وانكلترا وغيرها . ومن محاسن الصدف اتاعدنا الى اليت بعد الاجتماع به فاطلنا في جريدة النيويورك تيمس الصادرة يوم ٢٣ يناير على صورة حضرة صاحبي الجلالة الملك فاروق والملكة فريدة بعد الزفاف منقولة بالتلغراف من احدى مدن اوروبا الى نيويورك وزجج ان الاصل نقل من القاهرة الى لندن او الى غيرها من مدن اوروبا بالطيارة

ومما روي لنا ان صورة مصرع الملك اسكندر اليوجوسلافي والمسويبارتو الفرنسي في مرشيليا سنة ١٩٣٤ نشرت في صحف باريس بعد الحادثة بخميس وثلاثين دقيقة

بالطيران التي مقرها باريس ومهمة هذه اللجنة ان تعد خارطة للجو الدائم التقبّل عدة مرات كل يوم ثم تذيّلها في فترات قصيرة بالراديو فتصل معلوماتها بالمطارات والطائرات الخفيفة فتعرف حالة الجو في مسارات الطيران الخفيفة . ولا بد لهذا العمل من تبادل المعلومات بالراديو بين محطات متباينة المواقع لجمعها واعداد الخارطة الجوية ثم اذاعتها

ان القيام بهذا العمل الجوي للطيران يقتضي أن تخصص له منطقة من الامواج للاذاعة تكون خاصة به دون غيره من الاعمال حتى لا تختلط الاذاعة ولا تفسد . وقد بلغ التقدم فيه في المهد الاخير مبلغاً عظيماً بتذاع خريطة جوية كاملة مرة كل ثلاث ساعات ويبلغ عدد السكّلات او مجموعات الحروف التي تتبادلها محطات الطواير الجوية كل يوم نحو خمسين ألف كلمة فهو هنا ليدافع عن استقلال العمل الذي يشرف عليه بأموال خاصة به وتوسيع نطاق هذه الامواج قليلا اذا أمكن

ميراث الركنور هويت

من حسنات المؤتمر الدولي للمواصلات السلكية واللاسلكية انه كان للباحث على قدم طائفة كبيرة من العلماء والمشتغلين بالبحث العلمي تنقيها وإدارة الى مصر . وقد سبق ان اشرنا في ما تقدم الى السالين الفرنسيين ييلان ويرو وموضوع هذا الحديث رجل يرجع اليه جاذب كبير من الفضل في البلوغ بوسائل المخابرات الكهربائية ولاسيما التلفزيونية

وسألنا المسيو ييلان عن سبب تأخر التلفزة في فرنسا عنها في انكلترا واميركا فقال ان كل اختراع جديد ناحية من التقدم يخص بها البلد الذي يتم فيه الاختراع ولا يتاح للبلدان الاخرى مجاراته فيه الا بعد زمن

وعلى كل حال فان اساليب التلفزة المستعملة الآن على ما فيها من البراعة والافتان قد لا تكون السيل الاوفى الى تحقيق التلفزة على أتم وجه واذا تم استعمالها . ومن هذا القبيل المقبات الفنية التي لا تزال تحول دون ذلك كوجوب تقيل الجهاز المرسل الى مكان الحوادث الكبيرة التي ينتظر الجمهور مشاهدتها واخرى اقتصادية كغلاء اسعار الاجهزة وهذا الرأي يطابق في مجمله ما سمعناه من خبراء الراديو في الوفد الاميركي في المؤتمر الحالي

وقد قال لنا المسيو ييلان انه كان مرة في برلين قائم بصديق له بليزج بالتلفون التلفزي فرأى صاحبه وصاحبه وآه فأنحنى كل منهما للآخر وهو يكلمه ويصاحبه وأراد المسيو ييلان ان يقدم زوجته الى صديقه ودعاها فأبت قائلة « إن ذلك يخيفني »

والغالب ان ضاية المسيو ييلان بالمؤتمر ناشئة عن ضايته بما ينتظر ان يصيب اجور النقل التلفزي الخاص بالصور من تغيير وتبديل هارط للجو المتقلب

أما ضاية المسيو يرو به فأعرق وأوثق ذلك انه على كونه باحثاً علمياً في قوام الجو الكهربائي يرأس اللجنة الدولية للطواير الجوية الخاصة

الحياه ، المبسط لادق الباحث الكهربائي
باقوال وتشبهات تقرها من الذهن من المتع
التادرة التي قلنا نفسها

الرسائل المتعددة على سلك وامر
سألت الدكتور جويت في مقدمة الحديث
عما بلغه ارسال الرسائل التلفونية المتعددة على
سلك واحد ذهاباً واياباً من الارتقاء قائلاً انني
كنت قرأت عن خط انشئ من سنوات بين
مدينتين من مدن اميركا ينقل اربع غاطبات
تليفونية على سلك واحد في وقت واحد .
فانقسم وقال : اتنا قد نمطينا هذه المرتبة الآن
وصار من المؤلف عندنا نقل عادات يتباين
عددها بين اثني عشرة محادثة وست عشرة محادثة
في وقت واحد بل ليس ما يمنع ان تنقل خمسمائة
محادثة في وقت واحد لولا ان الثقة باهظة
الآن تحول دون شيوع الطريقة الخاصة بها
فقلنا في رسم المحدث الكرسي المبسط لنا
بكلام قريب من الفهم السر العلمي الذي يتيح لكم
مثل هذا العمل العجيب

فعمد الى التشبيه . قال افرض ان امامك
طريقاً وان عند طرفي الطريق سلسلة من
الأبواب . فمن باب واحد يدخل غنم لون
صوفه باللون الأحمر ومن باب ثان يدخل
غنم لون صوفه باللون الأزرق ومن الثالث غنم
لون بالاخضر ورابع بالاسود وهكذا . فكل
باب من هذه الابواب لا يسمح إلا بدخول
صنف من الغنم ملون بلون خاص . ولكن عندما
يجوز الغنم الابواب ويسير في الطريق حيث
لا حوائل ولا حواجز يختلط الاحمر بالازرق
بالاخضر بالاسود . ثم قبل الغنم على آخر الطريق
فلا يستطيع ان يخرج كله من باب واحد

منها في الولايات المتحدة الاميركية اعل مراتب
الارتقاء — اعني الدكتور جويت وكيل شركة
التلغراف والتلفون الاميركية

واذا علمت ان هذه الشركة تملك بواسطة
الشركة المركزية في نيويورك وفروعها
السبعة عشرة أو الثمانية عشرة في سائر انحاء
البلاد الاميركية نحو ثلاثة ارباع اجهزة التلفون
المستعملة في اميركا وهي تزيد على عشرين
مليوناً ، وان الدكتور جويت هو الذي
انشأ قسم الباحث العلمية فيها ونظمه ورقاه
حتى صار يضم خمسة آلاف من الباحثين
وتابعهم نصفهم من الباحثين المتخرجين في
كليات العلوم من شتى جامعات اميركا —
اذا علمت ذلك ادر كنت ان لهذا الرجل مقاماً
فذاً في هذه الناحية من نواحي الحضارة الحديثة
وان ما يتحكم به من الحقائق عن تقدم التلفون
ونقل الصور التلغرافي والتلفزة في اميركا
جدير بأن يسطر ويقرأ

وهو علاوة على ذلك صديق لطاقة من
أكبر علماء اميركا ورئيس لبعضهم ولكن
المشهور في مباحث الذرة والاشعة الكونية خذنه
واعز صديق له ، وكذلك كان ميكلمن الذي
قام سرعة الضوء في العصر الحديث ادق
قياس وقام بتلك التجربة المشهورة التي بنيت
عليها نظرية اينشتاين ، ويون الذي جعل التلفون
يبعد المدى مكاناً ، وادبصن النقي عن التعريف .
ثمان دافيسون الذي ذل جائزة نوبل الطيفية
في السنة الماضية من اقطاب رجال البحث في
قسم للباحث الذي انشأ جويت ونظمه
لذلك كانت الساعة التي قضيناها في الاصفاء
الى هذا العالم المتواضع في حديثه الى حد

وبلكنه لا بد للاحرمة ان يخرج من الباب الخاص به وكذلك الاخضر والازرق والاسود. فانت اذا نظرت الى الطريق فسه ورايت الغم فيه رايته مخططاً بضمه يمض ولكنك اذا وقتت أمام الابواب التي في منتهى الطريق رأيت كل صنف خاص خارجاً من الباب الخاص به

وكذلك في الحادثات التلفونية المتعددة السائرة على سلك واحد. فكل رسالة منها منقولة بيار ذي موجه ذات تذبذب خاص تدخل السلك من باب اي من جهاز معين فاذا أصبحت جميعها سائرة في السلك اختلط بعضها ببعض بحيث اذا وصات بماعة تلفونية بمصنف السلك لم تسمع الا "لفظاً مشوشاً لا معنى له ولا قائدة فيه. ولكن اذا انتهت الرسائل جميعها الى آخر رحلتها اصبحت أجهزة منزلة الابواب كل جهاز منها لا يسمح الا "لنوع واحد من الذبذبات الكهربائية بالمرور وكذلك تفصل الرسالة الواحدة عن الرسائل الاخرى وتسير "تو" الى الجهاز التلفوني الذي وجهت اليه.

وليس هذا النوع من الارسال "خاصاً بالحادثات التلفونية ومقتصر علىها بل هو صالح للرسائل التلفرافية كذلك ولنقل الصور التلفرافية بل ليصلح السلك الواحد لنقل محادثات تلفونية ورسائل تلفرافية وصور بالتلفراف في وقت واحد مادامت جميع هذه العمليات تحول الى ضرب واحد من الطاقة هو الامواج الكهربائية المختلفة الذبذبات

وجه خاص ان اعلم ما بلغه نقل الصور التلفرافي في اميركا من الارتقاء. وفي هذا الموضوع كان حديث الدكتور جويت حديثاً عجيباً. ذلك ان هذا الضرب من الواصلات الكهربائية بلغ في الولايات المتحدة أعلى مراتب الارتقاء. فشركة (الاسوشيتد برس) مثلاً تملك سلكاً خاصاً ممدتها شركة التلفراف والتلفون الاميركية وهو يمتد الى الولايات المتحدة كلها على من فيها من شاسع المسافات فتستقبل للصور المرسلة اليها وترسلها الى فروعها وعلامتها من الصحف في كل ساعة بل في كل دقيقة من ساعات النهار والليل ودقائقهما.

وهي لا تختلف عند التقاطها عن الصور الفوتوغرافية بدقة ووضوحاً. وتقبلها طبعاً أغلى من ارسالها بالبريد والطيارة ولكن الاجر ليس قاحشاً. ولما كانت شركة التلفراف والتلفون تتقاضى من الاسوشيتد برس جعلاً معيناً في السنة على استعمال السلك فلم يكن في استطاع الدكتور جويت ان يذكر لي ما يكلمه نقل البوصة المربعة من الصور للعادية ثم هناك نظام آخر لنقل الصور يعرف بالنظام التلفرافي تنقل به الصور على اسلاك التلفون والتلفراف العادية وميزة هذا النظام في أن اجرة النقل أقل ولكن الصور لا تبلغ مبلغ الصور المنقولة بالسلك الخاص من الواضح ولكنها واضحة ووضوحاً كافياً لاغراض الصحف

والخطوة التي تجري عليها شركات الصور الصغافية ان ترسل صورها بالبريد الى أقرب علامتها والطيارة الى من كان أبعد من هؤلاء ثم بالتلفراف الى ابدعهم عن مقرها

نقل الصور الفوتوغرافية

ولا كنت مشتغلاً بالصغافية فقد همني

مصاييح متعددة بلوح متألق لما تقع على بقعة منه شماعة الضوء او شماعة من الكهريات حتى يتألق مكانها فاذا اجتمعت الوف من هذه البقع المتألفة بسرعة عظيمة نشأت على اللوح صورة هي طبق الاصل للاصل المتلفز

الحرمة العامة انصريه

والدلالة على مبلغ ما ادر كته شركة التلفزاف والتلفون العامة بأمير كامن الشا والبعد في تحقيق غرضها وهو الخدمة العامة للمشتركين وجمهور المتكلمين بدون ان يحدث اي تأخير في محادثاتهم ولو كانت بعيدة المدى انه استطاع ان يطلب رقم ولديه التلفوني — وهما في كاليفورنيا — قبل سفره من نيويورك فتم الاتصال التلفوني بينهما في ثلاثين ثانية مع ان المسافة تزيد على ثلاثة آلاف ميل. وروى لي قصة اخرى عن جاره له ذهبت زوجته في مهمة الى بلدة صغيرة في إحدى الولايات المتوسطة الشمالية ولم يأتها نيا وصولها. والبلدة لا يتجاوز عدد سكانها المائتين. فسال الدكتور جويت ما يمكن ان يفعل فقال نحاول الاتصال بها بالتلفون ولم تنقض دقيقة حتى كان الزوج يحدث زوجته مع انها كانت مقيمة عند احد أهلها في بيت منزل يبعد عشرة اميال عن تلك البلدة الصغيرة

هذا التقدم العلمي الراجع الى البحث العلمي الدقيق وهذا التنظيم الكامل وهذه الخدمة العامة السريعة جعلت المواصلات التلفونية في اميركا اكبر شأن في حياتها الخاصة والعامة وقد كان للدكتور جويت ولاعوانه ولقسم الباحث الذي نظمه اكبر الاثر في كل ذلك. فاساعة التي قضيتها صغفي اليه كانت من ساعات العمر

هوائى تحرم التلفزة

وسأله عن التلفزة او الرؤية عن بعد فقال ان العائق دون انتشارها الآن عائق اقتصادي على الغالب. فان مجرد رؤية المتني او المحدث يقتضي انفاقاً اضافياً على البرنامج لاعداد المشاهد والملابس وهو ما لا يقتضيه الاذاعة اللاسلكية. وهذا يجعل شقة تحضير البرامج كبيرة. اما المشاهد العامة كحفلة ملاكمة او مصارعة او سباق او تنصيب الرئيس او ما كان من قبيلها فتستعمل في قهلقا طريقتان: الاولى. نقل التلفاز المرسل الى مكان الحادث واذاعة مشاهدته وهي حادثة فيراها اصحاب التلفاز اللاقطة عند حدوثها تماماً. وإما ان يؤخذ لها فلم سينالني ثم بعد اقتضاء الحادث يقلل يذاع هذا الفلم من التلفاز المرسل فيراه اصحاب التلفاز اللاقطة وهذا ليس بالتلفزة الصحيحة لانه لا يذيع المشاهد عند حدوثها تماماً ولذلك يمكن وصفه بالتلفزة الثانوية ومن النواحي العلمية الخاصة بالتلفزة ان اللوح المستقبل كان في عهد التلفزة الاولى يشتمل على مصاييح متعددة ككل مصباح يقابل كل بقعة صغيرة من النور تقع على الجسم المتلفز (بفتح الميم) فعندما تقع شماعة النور على جزء صغير من الحد مثلاً يثار في لوح الجهاز اللاقط مصباح يقابلها وهكذا الى ان تم الصورة بسرعة يجب ان تكون عظيمة وقد قال لي الدكتور جويت اهم جربوا في عهد التلفزة الاولى نقل المشاهد المتلفزة بين واشنطن ونيويورك من نحو ١٢٠٠ سنة فكان في لوح الجهاز اللاقط ستة آلاف واربعاء مصباح ولكنهم الآن استبدلوا باللوح المؤلف من

مكتبة المقتطف

تاريخ اليهود لبوسف بن كرون

Geschichte der Juden des Josef Ben Gorion

أخرجه ووقف على ضبطه وشرحه وطبعه ، من مخطوطات برلين ولندن واكسفورد وباريس
واستراسبورج الدكتور مراد كامل مبعوث الجامعة المصرية في ألمانيا
(المقدمة بالألمانية في ٤٨ صفحة ، والمثلث والقهارس في ٣٣٤ صفحة باللغة الحبشية ، ومن قطع
المقتطف ، وعدد اللوحات المصورة ١٢ . الناشر J. J. Augustin في بيزبورك)

عمل جليل لم يكن يقدم على مثله حتى السنين الاخيرة الا شيوخ المستشرقين ، ولكنه
اليوم ثمرة جهود زميل مصري تابه هو الدكتور مراد كامل ، الذي أوفدته الجامعة الى أوروبا
متدزها ست سنوات ليستخصص في دراسة اللغات السامية على أسانذتها في ألمانيا ، ويعرف
القراء انهم أعلى المستشرقين كعباً وأعزرم علماً في هذا الميدان
درس الدكتور مراد في جامعة توبنجن Tübingen على الاستاذ الدكتور ليتمان Littmann
مدير القسم الشرقي فيها وعضو مجمع اللغة العربية الملكي كما درس في جامعة برلين على الاستاذ
Mittwoch ، وفي غيرها من جامعات ألمانيا ، واتصل بكل الاسانذة المشتغلين باللغات السامية ، ثم
اختار موضوعاً لرسالته في الدكتوراه نشر الترجمة الحبشية لكتاب يوسفوس في تاريخ اليهود
ويعرف كثير من القراء ان يوسفوس هذا — او يوسف بن كرون — مؤرخ يهودي
مشهور ، وُلد في بيت المقدس سنة ٣٧ او ٣٨ ميلادية . وكانت أسرته من كبار الكهنة
فعتبت بطليمه ، وكان ذكياً مبرجاً في الدرس والتحصيل حتى قيل انه كان حجة في علوم
الدين اليهودي منذ كان في الرابعة عشرة من عمره وقد اتبع يوسفوس في التاسعة عشرة من
عمره مذهب الفريسيين (وهم شعبة يهودية نشأت في القرن الثاني قبل الميلاد وامتاز اتباعها
بشدّة تمسكهم بقواعد الدين وبالآفايد القديمة وللظاهر الخارجية للعبادة والتقوى) يوسفوس
الى روما حين كان في السادسة والعشرين من عمره ليسعى في الافراج عن بعض القسوس
الذين قبض عليهم والى الشام وأرسلهم الى روما لهاكتهم في هم ليست خطيرة الشأن ،
ولقي يوسفوس حظوة لدى صديقه للامير اطور نيرون فشفت له عند العاهل الجبار حتى
أطلق صراح الكهنة ، وأغدقت الهدايا على يوسفوس ، ثم عاد الى الشام فوجد ان اليهود
قد عقدوا العزم على التخلص من حكم روما ، ولم يقبل في البداية ان يشجع هذه الحركة لعلمه
بسلطان روما وصعوبة التغلب عليها ، ولكن لم يلبث ان جرفه التيار فانضم الى التوار . وولاه

جمع اليهود في نيت المقدس على مقاطعة الجليل ، وحارب الروم لمخاصروه في مدينة يوثاباط ، ولما سقطت المدينة في أيديهم ووقف يوسفوس أسيراً بين يدي فسبانيوس قائد الروم ، قال انه رسول أوقمته العناية الربانية أسيراً ليتبنا للقائد بأنه سبرتي عرش روما بعد ثرون ، وأبقاء القائد حتى تحققت نبوءته فأكرمه واستصحبه الى روما حيث عاش وعكف على التأليف حتى توفي في أول القرن الثاني الميلادي

وكتاب تاريخ اليهود الذي نحن بصددہ الآن ، مكتوب بالعبرية وله ترجمة عربية (تاريخ يوسفوس اليهود) - المكتبة العمومية لسليم ابراهيم صادر ببيروت) كما ان له ترجمة حبشية . على ان النسختين العبرية والعربية ليستا متفقتين تمام الاتفاق ، وأكبر الظن ان النسخة الحبشية مترجمة عن النسخة العربية لانها تكاد ان تكون ترجمة حرفية لما

وكانت حاجة الدوائر العلمية المشغلة بالغات السامية ماسة الى نشر النص الحبشي ، فقد كان المطبوع من لا يتجاوز صفحات معدودة ، على الرغم من ان له شأناً تاريخياً خطيراً . أما الدكتور مراد فقد نشر اليوم هذا الكتاب نشرأ علمياً صحيحاً ، فراجع نسخته المختلفة ، وقارن بعضها ببعض ، وأثبت نتائج مراجعته في هامش الكتاب بعد ان رمز لكل نسخة بحرف من حروف الابدية ، وله انه كتب له مقدمة ثمينة بالالمانية ، أثبت فيها النتائج التي وصل اليها من مقارنة النسخة الحبشية من كتاب يوسفوس بالنسختين العبرية والعربية . وقد نال صديقنا الدكتور في مقدمته هذه ان مخطوطات هذا الكتاب في الحبشية ترجع الى القرن السادس عشر للميلادي وأكبر الظن انها نقلت عن العربية في نهاية القرن الثالث عشر او بداية القرن الرابع عشر الميلادي ، قلعر وف ان العصر الذهبي لترجمة المؤلفات العربية الى الحبشية كان بين سنتي ١٢٧٠ و ١٤٣٠ هجرياً

والحق الدكتور مراد بالكتاب فهارس للأعلام وفهارس للأماكن وبياناً برؤوس الموضوعات . وقصارى القول ان نشر هذا الكتاب على النحو العلمي الصحيح دليل قوي على ان كلية الآداب تؤدي رسالتها العلمية على أطيوب وجه . ففي آخر السنة الماضية أصدرت لجنة التأليف والترجمة والنشر كتاب أخبار أبي تمام الذي شره وحققه وعلق عليه ازميلان خليل عساكر ومحمد عبده عزام من خريجي كلية الآداب ومعهما الاستاذ الهندي نظير الاسلام وقد كتب الاستاذ الجليل أحد أمين « ان هذا الكتاب خير الامثلة لما ينبغي ان يكون عليه النشر » واليوم يظهر في عالم المستشرقين كتاب تاريخ اليهود بالحبشية على يد زميلنا مراد كامل ، وقد سمعت عن عمله في نشر هذا الكتاب ثناءً ليس بعده ثناء ولا سيما من أستاذنا ليمان وان كان ثمة ما نأخذ على صديقنا الدكتور مراد فهو انه لم يعن في مقدمته حق العناية بتعريف المؤلف وبيان ما لكتاب من خطير الشأن

اعتقادات فرق المسلمين والمشرىكين

للامام غفر الدين الرازى — بمرآة وتحرير على سامى النشار — ومم بحث فى الصوفية والفرق
الاسلامية فضيلة الاستاذ الشيخ مصطفى بك عبد الرزاق — ١٠١ ص . ١٦٠٢٤

إن ميزة رسالة الرازى أن صاحبها — على قول فضيلة الاستاذ مصطفى بك عبد الرزاق —
عنى بتمييز مذهب الصوفية باعتباره مذهب فرقة مستقلة وبتبيين فرقه الفرعية بعد ذلك فقد
تقصاً وتدارك ما فات من ألف قبله فى الفرق الاسلاميه . قد ورد هذا القول فى سياق البحث الذى
عمله الاستاذ مصطفى بك عبد الرزاق (ص ٦ — ١٦) وهو بحث دقيق يشف عن دراية واسعة
بما يتصل بالصوفية وعن اطلاع شامل على ما قيل فيها من حيث انها فرقة من فرق الاسلام .
وكان فضيلة الشيخ عبد الرزاق قد اتى هذا البحث عاخرة فى مؤتم تاريخ الاديان المنعقد
بليدن سنة ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) ، فجاء دلالة حافلة على براعة أستاذ من اساتذة الجامعة
المصرية فى معالجة المسائل الاسلامية اللاحقة بالشؤون الدينية

والاستاذ مصطفى عبد الرزاق ممن يعمل لعلم الخالص فى جد وأمانة . ومن حسنات هذا
العالم أنه أول من نظر فى رسالة الرازى مخطوطة فوصف مضمونها واستخلص ما فيها ، ثم جاء
تلميذ من تلاميذه من بدم ينشرها انما كالفائدة وتميهاً لها . وقد اعتمد الناشر وهو الاستاذ
على سامى النشار على مخطوطتين احدهما مخزونة فى الخزنة التيمورية فى القاهرة والاخرى فى
خزانة مدينة ليدين فى هولندا . وهو يصغها لنا فى مقدمة موجزة (ص ١ — ٥) ثم يسط لنا
النسج الذى اتصاه فى التدقيق فالنشر . ثم رأى بعد هذا أن يدون ترجمة غفر الدين الرازى
ويثبت تصانيفه (ص ٢٦ — ٣٤) مستنداً الى اوثق المصادر المعروفة

أما الرسالة نفسها فخليلة على قلة صفحاتها وإيجاز عباراتها وقد نشرها الناشر على أحسن
وجه ، لولا سقطات أستاذة فى التنبيه على بعضها :

ص ٦٠ ، ص ٩ : ودعى الخلق الى نفسه — والوجه : ودعا (عارض ص ٦٣ ، ص ٦)

ص ٦٢ ، ص ١٣ : فلما علم الختار إنه — والوجه : أنه

ص ٦٧ ، ص ٦ : وهو فرق كثيرة — والوجه : وم (عارض ص ٧٢ ، ص ٦)

ص ٧٤ ، ص ٥ : وهو الأثر من الطوايف — والوجه : وهؤلاء شر الطوايف (انظر

روايات الحاشية)

ص ٧٧ ، ص ١٠ : وأول تملك منهم بمصر — والوجه : وأول من .. (انظر رواية الحاشية)

ص ٨٣ ، ص ١١ : وما عداهم من اليهود يؤمنون بالتوراة وغيرها من كتب الله —

والوجه : بالتوراة (انظر رواية الحاشية)

ص ٩٢، ص ١١ : ولم تزل تلامذتي ولا تلامذة والدي — والوجه : تلامذتي وتلامذة (انظر رواية الحاشية)

ص ٩٣، ص ٦ : لما كان كليم الله . . أن مع حججه الباهرة يقول . . — والوجه : حذف « ان » (كما في رواية الحاشية)

ثم ان الناشر عمل للاعلام فهرساً (ص ٩٥ — ١٠١) ، فأخرج بكل ما بذل كتاباً يدخل في جانب المؤلفات العلمية

ب. ف.

المجموعة السنوية لمراجع علم الآثار والفن الاسلامي

Annual Bibliography of Islamic Art and Archeology

الجزء الاول ٦٤ صفحة لعام ١٩٣٥ . بيت المقدس

نشرها الاستاذ ل . ا . ماير وقام على تحريرها الاساتذة جعفر عبد القادر ومحمد أفا وأفلو والدكتور زكي محمد حسن وغيره كراتكوفسكيلا والدكتور كارل لام وعبد الرزاق لطفي وفان دي بوت وفوجل وواكر وغيرهم

اهم ما يحتاج اليه الباحث والمؤلف ومحب الاطلاع ان يجد بسهولة وبدون عناء المصادر الفنية التي يستقي منها مادة كتابته . ولا سيما بعد ان تنوعت مواد المعرفة ونمت الدراسات العلماء والفنية والادبية نمواً كبيراً كما فضحت وسائل البحث والاطلاع . وأية ذاكرة مهما تكن قوية لا تتسع لاستيعاب كل ما كتب في موضوع خاص ؟

لذلك انجبه فريق من الباحثين الذين وهبوا فضيلة الصبر وسعة الاطلاع الى جمع المراجع وتنظيمها بحسب اقسامها للاعتماد عليها والرجوع اليها

ولقد اخذ الاستاذ المستشرق ماير (L. A. Mayer) على طاقه اخراج مجموعة سنوية لمصادر علم الآثار والفن الاسلامي ظهر منها الجزء الاول لتسجيل كل ما يكتبه العلماء والهواة والباحثون من كتب ومقالات ومحاضرات . . الخ في الهارة الاسلامية وتخطيط البلدان والمجموعات الفنية والمخطوطات والمعملة والملابس والاسلحة والرنوك والتأثيرات الاسلامية والاتوجراف والمحفريات . . الخ مما ينشر في المطبوعات العالمية التي تبحث في تلك الموضوعات وقد ماونه في اخراج هذا السفر الفريد نخبه من علماء الآثار والفنون الاسلامية اشرفنا اليهم في صدر هذا الكلام من مصر ويران والعراق وفلسطين وسوريا وأسبانيا وتركيا وهولنده والسويد وألمانيا وانجلترا . . الخ

والآن فانك ترى قيمة هذا المجهود العلمي التادر الذي بذله الاستاذ ماير والزملاء الافاضل . . قاتهم بهذا العمل المجيد قد طاونوا كل مؤلف واثري ومحب لفنون على تسهيل مهمته عند الكتابة والبحث . فنفكر للاستاذ ماير وزملائه هذه التحفة النفيسة ونأمل ان نرى المجموعة السنوية الثانية لعام ١٩٣٦ قريباً جداً

عبد الرحمن زكي

ساره

تأليف عباس محمود العقاد — صفحاته ١٩٢ — طبع وسط — ثمنه ١٠ قروش

للاستاذ عباس محمود العقاد مكانة ممتازة في أدب اللغة العربية في العصر الحديث بلها بما اجتمع له من طبع متوقد ونفس مرهفة وعقل يعمل الى التقدير والتحليل فيتخذها مطية الى الحكمة وهي ضالة الاديب . وهذا كله من السجيا الفكرية والنفسية التي قلما نجتمع في انسان ، فاذا اجتمعت وأسفها قلم بليغ ، كان لصاحبها المكانة العالية المرموقة

ففي شعر الاستاذ العقاد ومضات من شعور نفسه المرهفة ، وقلبه الخفيا ، وتأمله الحكيم ، وفي « فصوله » و « ساهاته » و « مطالعاته » آثار ذلك العقل الذي وعى من طرائف الآداب الشرقية والغربية ، وطبائع الشعوب ، واتجاهات النفوس ، ونتائج المباحث العالية في العلم والتاريخ والاجتماع ، ما يوحى اليك وأنت تطالعها ان مواكب الفكر العالمي سائرة أمامك وهي مرفوعة الاعلام زاهية البود . ثم انقلب الى « ابن الرومي » و « سعد زغلول » فجد المترجم المحقق لشخصية اديب شاعر ، وشخصية زعيم مصلح ، فاذا توغلت في مطالعة فصولها ، رأيت قلم العقاد فيها قلما مفقداً لعقل متين ، كل خطوة يخطوها في التحليل والتيسير ، خطوة راسخة ، صاحبها على ثقة من الطريق الذي يسير فيه ، والحجة التي يقصد اليها

الا ان الاستاذ العقاد في كتابه « عالم السدود والقيود » ثم في « ساره » — وبخاصة في ساره — هو الكاتب الذي اجتمعت له قنون الشعر والادب والعلم في لطاق كتاب واحد ، ثم أضفى عليها غلالة من « اختبار الحياة » فتجلت في « ساره » تلك الموهبة الموحدة موهبة الاديب الممتاز التي تنطوي فيها وتدمج ، جميع مواهب الشعور والفكر والتأمل التي تقدمت الاشارة اليها قد يختلف بعض الذين قرأوا « ساره » في هل هي قصة بللعي المتواضع عليه ، من حيث حوادثها واشخاصها ، والمؤلف لم يقل انها قصة او رواية ولو قال لما ضار ذلك . فاذا كانت حوادثها قليلة فان فيها من الحوادث ما يكفي وسيلة لا يريد من الوصف والتحليل والتفليل في النفوس والفرائز . واشخاصها الاربعة ولاسيما ساره وهام وامين ، أشخاص احياها ولو كانوا من بحث الخيال ، رسم الاستاذ العقاد صورهم رسماً دقيقاً لانه تفنن في نفسياتهم فانكشفت له حقيقتها ولكن الذين قد يختلفون على ما تقدم لا يسمون ان يختلفوا في ثلاث مزايا تمتاز بها « ساره » .

اولاً — توفد الشعور فيها من اولى صفحاتها الى آخرها . وهذا الشعور المتوقد هو الرابط القوي بين اجزائها جميعاً سواء اعد الكاتب الى وصف المواجهة بين ساره وهام ام عمد الى وصف الفراغ الذي يحسه هام في حياته عندما لا يقابلها . وثانياً — التحليل النفسي الدقيق البليغ لحالة الحبيب والحبيبة في ساعة الرضى وساعة الغضب ، او في فترة الهزل وفترة الجد ، او عندما يعسر قلبه

اليقينُ بجها له، وعند ما تساوره الربيب في انحرافها . وثالثاً ذلك التعليق الفلسفي الحكيم على جميع هذه الحالات ، وهو تعليق مردّه الى العقل ولكنّه مصحّح ومقبّد بنتيجة الاختبار . ومن المتعذّر ان نسوق للقارئ فقرات مختارة لتخلّ بها على ما تقدّم ، فصفحات الكتاب مترابطة وليس بالسهل ان يفكّ رابطها وقصم وحدتها ، ولكننا نقول انّا قرأنا الكتاب مرتين فلم تكن القراءة الاولى بمنية عن الثانية متنة وقائدة . وأملنا من اقلّ هذه الكلمات ان يقرأه

الرد على مستشرق

قد كان المستشرق الفرنسي لويس جوفليه ألف كتاباً في سير الحوادث الجارية منذ ١٩٣٠ الى ١٩٣٣ في البلاد العربية . وعنوان الكتاب

Louis Jovelet. L'Evolution Politique et Sociale des Pays Arabes
Edition Gauthner, Paris

وقد نشرت المجلة الالمانية Die Welt des Islams (العالم الاسلامي) في عددها الاخير نقداً باللغة الفرنسية لهذا الكتاب بقلم الدكتور بشر قارس . والذي حل الدكتور قارس على نقد كتاب ذلك المستشرق انه اصاب فيه ما لا يجاري الحقيقة . ومن ما أخذه عليه قول المؤلف ان مطالبة مصر بالناء الامتيازات الاجنبية مظهر من مظاهر بنس الاجانب Xenophobia ، فردّ الناقد ان هذه المطالبة انما هي ترجع الى حقوق المساواة والكرامة القومية . ومن ما أخذه ايضاً قول المؤلف ان التفكير العربي الحديث حقير القان وهنا انبرى الدكتور بشر قارس يبسط فضائل ادبنا الحديث ، فذكر اسماء الكتاب والشعراء البرزين امثال خليل مطران والزهاوي وامثال طه حسين والريحاني وجبران وميخائيل نعيمة والاب المستاس الكرمللي والمقاد وهيكال والملازني مشيراً الى خصائص كل واحد منهم . وقد ذهب الناقد الى ابد من ذلك اذ نبه على السقطات التاريخية القنوية التي يحول في كتاب المستشرق . والذي يقرأ هذا النقد يأخذه اسلوبه الالاشائي المتدفق المدمم بالطريقة العلمية

محاضرات دينية

الارشمندريت بولس الحوري — صفحتها ٣٢ من قطع المتطف — مطبعة كوى بمصر
اصدر سيادة الارشمندريت بولس الحوري رئيس كنيسة رؤساء الملائكة للروم الارثوذكس بمصر كراسة تتضمن ست محاضرات دينية كان قد القاها في الكنيسة على الشعب في موضوعات مختلفة من دينية واجتماعية وأدبية تخرج فيها منهجاً حديثاً في فهم حقائق الديانة من الوجهة العلمية وبث روح الفضيلة والاخلاق العالية في الجمهور

المسألة الجنسية

تأليف الدكتور اوجست فوريل — دكتور في الطب والفلسفة والقانون — استاذ الامراض العقلية ومدير مستشفى الجنازير بزيورخ «سويسرا» سابقاً — قله الى العربية عن الترجمة الانكليزية للطبعة الاثانية الدكتور صيري جرجس — وهو في مجلدين ٢٧٩ ص. و ٢٥٠ على التوالي

تعد المسألة الجنسية من أعقد المشاكل التي تواجه الحضارة الحالية وأكثرها تشعباً وأعصرها حلاً لأنها تصل بالحياة الانسانية في صميمها . وقد حاول المؤلف ان يعرض لها من جميع نواحيها ووفق في ذلك توفيقاً بديعاً وكان في أسلوبه واضحاً وصريحاً وجريئاً . وتلك ميزات أكسبت كتابه تلك الاهمية التي يحظى بها في جميع أنحاء العالم للمتدربين ولست أريد ان أدلل هنا على أهمية المسألة الجنسية في الحياة الانسانية ولا على ضرورة بحثها بحثاً جديراً على ضوء العلم الحديث فتلك أمور أصبحت من اليديهيات التي لا تحتاج الى الذكر والتشويه . ولكي أقصد بنقل هذا الكتاب الى العربية أن أعرض امام القارئ ثمرة تجارب رجل يمد من الثقافت في علم التناسليات . ولست أطلب من القارئ ان يوافق على كل النظريات والآراء التي يعرضها المؤلف في كتابه ولا ان يأخذها كفضية مسلم بصحتها ولكنني أريده ان يجعلها موضوعاً لتفكيره وتقدمه

ولعل الميزة الظاهرة لهذا الكتاب هي أنه يعالج الموضوع من مختلف نواحيه ولا يقتصر على بحثه من ناحية واحدة . وهو لهذا السبب يفيد القارئ الذي يريد أن يلم بالمسألة الجنسية من جميع وجوهها . هذا فضلاً عن أنه يبحث هذا الموضوع الدقيق في صراحة لا تخدش الحياء وبأسلوب علمي سهل واضح

واذا كان المؤلف قد أراد بهذا الكتاب ان يدرس الطبيعة ويبحث نفسية الانسان في حالتها السوية والمرض فان المترجم قد اراد فضلاً عن ذلك ان يؤدي واجباً يشعر بضرورة القيام به نحو الثقافة الجنسية في مصر . فان اللغة العربية ظلت الى عهد قريب محرومة من كل ما يتناول المسألة الجنسية بذكر قريب او بعيد وبقي الشباب من الجنسين جاهلاً بثقافة الجنسية الصحيحة مع تقدمه في مختلف نواحي التفكير الاخرى

والمترجم اذ يقدم هذا الكتاب الى الشباب ليدرك تمام الادراك أنه يعرض في الفصول الاخيرة منه بعض الآراء التي تخالف التقاليد السائدة ولكنه يرجو ان تكون هذه الآراء موضع الناقية والتمحيص من القارئ فلا يتعصب لها أو عليها دون تفكير أو بحث

وفي ختام هذه الكلمة يجب ان أعترف بالخدمة الجليلة التي أسداها الدكتور محمد بك شرف الى اللغة العربية فقد كان « قاموس المصطلحات العلمية » عوناً دائماً لي في اختيار اللفظ المناسب لكثير من المصطلحات الغربية ام من مقدمة المترجم

عقيدة الألوهة

رسالة محمد — المال في الاسلام — بقلم الدكتور أبو عادي

لا يذكر الدكتور أبو شادي إلا ويذكر بمجانيه النشاط العقلي والعلمي الاذان يتصف بهما والاذان لا يقفان به ضد حد واحد أو اتجاه بذاته . وها هي رسائله الثلاث الاخيرة تشهد له بسمة اطلاع في نواحي دينه ، ولكن بعقل العالم وبصيرة الباحث الذي يريد ان يتقصى الحقيقة من وراء البحث والاستقراء . فقد لاحظنا كثيراً من الاطباء تنزعزع عقائدهم لسببهم عن التوفيق بين الدين والعلم وذلك راجع لضعف ايمانهم الفطري وسطحية نظرهم ولأن ازيد تقدم العلوم اصبح معه التدليل الموروث على وجود الله لا يقنع عقل الباحث للمفكر في حين أن الاسلام لم يفقد الادلة العظيمة الحجة التي لا تخالف العلم السليم ولا الاحساس النفسي التي لانها تقوم على ركنين أولهما الاحساس الصوفي الفطري : إحساس الجزء بالكل . وثانيهما وحدة الوجود . وقد دلل الدكتور أبو شادي على ذلك في رسالة عقيدة الألوهة تدليلاً علمياً

أما « رسالة محمد » فهي رسالة تمجيدية لنبي الاسلام الكريم أظهر فيها الكاتب ديمقراطية الاسلام وضمان حرية الفكر والتسامح وما كلفه النبي الكريم للمرأة من حقوق رفعت من شأنها ونهضت بالعرب من جرائها والحض على العلم والمعرفة والعمل وحسن التصرف في نظام الحياة وانتهى من كل ذلك الى أن « رسالة محمد (صلم) هي رسالة انسانية تقوم على الديمقراطية والبر والتقوى والاخاء الشامل ، ولها في مثاليها الرقعة جناحان أحدهما وجداني والآخر عملي يأخذ بقوانين الحياة ، وقوتها متصلة بالتنمير والاصلاح وزقية الانسانية وتأخيا . فكل ما يماشى هذه الغايات فهو منها ، وكل ما يناقضها فهو غريب عنها ، ولذلك قيل في صدق تام إن العلم روح الاسلام »

أما الرسالة الاخيرة « المال في الاسلام » فهي من الرسائل النفيسة التي لا يمكن ان تتناولها سطور قليلة فقد تالج فيها اقتصادية الاسلام واحكامه وبين فضل هذا الدين في الانحاء الاقتصادي لاوروبا بهذا التنظيم الجديد مما حمل برناردشو على الاشارة بصلاحيه تعاليم الاسلام لاوروبا الحديثة

وبالاطلاع على هذه الرسائل تتضح للقارئ جهود المؤلف في إعزاز دينه القويم ومحاولة التقريب بين احكام العلم واحكام الدين مما يثبت العقائد على اساس صحيح في زمن يحتاج فيه الدين والعلم الى كل هذا التقريب والى جميع هذه الجهود حسن كامل الصيرفي

الهام

قصة مصرية تحليلية في ١٩٢ صفحة من القطع الكبير بقلم قولبا يوسف
لم يقصد المؤلف بوضع هذه القصة الى الدعوة لاصلاح اجتماعي معين أو علاج ناحية من
التفاصيل المألوفة بقدر ما عني بالناحية الفنية التي يقصدها التحليل والصور . ولذا فهو لم يتبع
طريقة السرد الروائي الذي نهده في القصص الشعبية المطولة التي يسهب مؤلفوها في اختراع
الحوادث والمفاجآت المثيرة بل كان مؤلف هذه القصة شديد الاهتمام بالتحليل السيكولوجي
وتصوير الشخصيات فهو في سياق الرواية يصور لنا عدداً من الشخصيات المتباينة الطباع والخلق
من نساء ورجال ويعمل على تطبيق فروع علم النفس في استجلاء الحفايا النفسية فيتغلغل الى
بجاءل النفس البشرية ويصور مكنوناتها والى القلوب الحساسة في رسم خباياها . وهو في هذه
الناحية يدرس الحواطر التي تنساب في الرأس بلا ترتيب في بعض الظروف

وفي القصة عدد من الشخصيات المختلفة الا أن أبطالها من الشباب الذين يتميزون بشعور
قوي وقلوب متلهية تبدل عليها شتى الازمات النفسية فتريدم بحارب في الحياة وقوة في الشخصية —
كما ان بها عدداً من المناظر المصرية طبيعية واجتماعية صورها المؤلف بأسلوب سلس واضح فلا
يمل المرء تتبعها والاستمتاع بها فهذه صورة شم النسيم ، وصورة الريف المصري في مختلف أشكاله
وروائيه ، وصورة كاتب مصري يكافح في الحياة بقلمه ويلاقي القبات فينتظها تارةً ويتورط
بها تارةً أخرى ، والراقصة « الهام » التي تقف حيرى بين الفن الذي وقعت عليه حياتها وبين
الزواج والبيت الهادئ . والحسناء ايزيس التي تمش في جنات النجوم تقطع أوقاتها في الموسيقى
والمطالعة وهناك صور الفقر والشرذم والبيئة التي تدفع المجرم الى اقتراف الآثام . ولا تخلو القصة
من مواقف ينتصر فيها العقل على العاطفة الخامسة ومواقف ينتصر فيها الخير على الشر . والنفس
البشرية التي لا تخلو مطلقاً من ضئيلة مستترة أو جملة فضائل تختفي في مجاهل النفس ثم تظهر كبصيص
من نور وسط ظلام . وتطلب هذه التحفة القصصية من جميع مكاتب القاهرة ومنها • قروشم .

البوق

بين ايدينا العدد الاول من مجلة البوق لستها الثالثة وهي صحيفة مدرسة فؤاد الاول
الثانوية يحورها طلبة المدرسة بما تجود به أقلامهم بإسديتهم الظرفية وحوادثهم الطريفة وقد
استلوه بحديث تمتع لحضرة صاحب العزة ناظر المدرسة ضمنه نصائح قيمة منها قوله « النظام
والطاعة والصدق » فاتبوا النظام في اعمالكم والطاعة لاساتذتكم والصدق في قولكم
وستجدون مني أيسر على راحتكم وامنكم ويداب بلا كلل على ما فيه رخصة شأنكم وجيل
ذكركم وخير وطنكم . والصحيفة مطبوعة على ورق مصقول طبعاً متقناً فهي طلبة مدرسة
فؤاد الاول الثانوية بصحيفتهم الادبية وتتمنى لهم اطراد التقدم والتجاح

فهرس الجزء الثالث

من المجلد الثاني والتسعين

وجه	
٢٥٩	أنمن من الیواقیت أو الزجاج والحضارة
٢٦٧	الطفل المتأخر : للدكتور امير بقطر
٢٧٩	التعليم بين المؤثرات التاريخية والاختلاء البورجوازية : لمبد الرحمن شكري
٢٨٣	أساليب الخطابات الكهربائية وارتقاؤها في العصر الحديث
٢٩١	الترجمات الادبية العامة قبل دستور ١٩٠٨ : لانیس المقدمي
٣٠١	الفلسفة العربية ما أخذت وما اعطت : لقلیون الحوري
٣٠٧	الذرة وبنائها الكهربائي : للدكتور اسماعیل احمد آدم
٣١٣	الطلال الوراثية الجسمية والعقلية : للدكتور شریف صیران
٣٢٢	معركة الكلام أو التنافس الدولي في الاذاعة اللاسلكية
٣٣٠	الدكتور محمد اقبال رسالة شعره : لسید ابو النصر احمد الحسینی الهندي
٣٣٤	عمرو بن العاص : لحسن حسن علي
٣٣٨	باب الاخبار العلمية * المؤتمر الدولي للواملات السلكية واللاسلكية . مشكلة مؤتمر الراديو . مشكلة مؤتمر التلفزيون . المامان يلال ويبرو . نقل الصور التلفزيوني . خارطة للجو المتقلب . حديث الدكتور جويت . الرسائل المتددة على سلك واحد . نقل الصور التلفزيوني . عوائق تقدم التفرة . الخدمة العامة السريعة
٣٤٠	مكتبة المقتطف * تاريخ اليهود : ليوسف بن كريبون . اعتقادات فرق المسلمين والمشرکين . المجموعة السنوية . راجع علم الآثار والتراث الاسلامي . سارة . الرد على مستشرق . محاضرات دينية . المسألة الجنسية . عقيدة الألوهة . الهام . البوق

بشر فارسی

مشرق الحریق

لحی

مکتبہ فارسی ۱۳۲۸

قد سخط الناشرين والتراويعي الرسام حسن مكاوي
تفلا عن قصم ومنه المؤلف
وأما المؤلف علي إخراج الكتاب في
شكته الذي الأستاذ محمد زكي خليل

حقوق الفعير والمجمل والترجة محفوظة للمؤلف

سرچینہ تفصیل واحد

الكتاب المسند المسند

ب.ف

تمهنة

إنَّ وجهة هذه المسرحية بما انشاق له قلبي ورقَّت إلي نفسي بعد التحصيل والروية والاجتهاد . فرأيتُ أن أصنع للمسرحية مقدِّمة أبسط فيها الأسلوب الذي أجريتها عليه ، فضلاً عن قصائد نظميتها قد وقف على مقاصدها من يدأب في قراءة «المقتطف» ، لكي تكون يائناً لبعض ما نشرته حتى اليوم ثم بعض ما أنا ناشر بعده إن شاء ربك .



هذه قصة تمهيلية على الطريقة الرمزية—إذا شئت . وليست الرمزية ههنا بـ توفّر على الرمز بشيء إلى شيء آخر . ولكنّها—فوق هذا—استنباط ما وراء الحس من الحسوس وإبراز المضمّر وتدوينُ اللوامع والبوادر ، بإهمال العالم للتناسيق للتواضع على المختلف اختلاقاً يكدّد أذهاننا ، طلباً للعالم الحقيقي الذي نضطرب فيه رضىنا أو لم رضىنا : ندهشنا ظواهره وكثرونا بواطنه وتعجزنا مبادئه — عالم الوجدان المشرق والنشاط

الكامن والجماد المتأهب للصعرك إلى ما يجري فيها من العلاقات الغريبة والإضافات الباطنة في منعطفات الروح ومثاني المادة ، يشترك في كشفها الإحساسُ الدفين والإدراكُ الصيرف والتخيّلُ للصرح :

كلُّنا بطوى في المكافئ القصي من مريرته شيئاً لا بدّ له من أن يُقال — شيئاً أجنياً عما يحصل بالألوف أو المنتظم أو الاجتماعيّ. صاحبه يكتّمه حتى من همسه وربما جهله، على أنه يحكم ويصعرك وهذا الشيءُ شاغلهُ بحيث تُسمي طائفة مُعيّنة من أقواله وأفعاله مجموعة رموز ، لا رموزُ آراءٍ تكشف مصادرها وتطرد مجاريها ولكن رموزَ نزوات مُبهمة وممكنات ضائعة ومتمنّيات متمشّكة ومطالبات إنما تُرتقب عواصفها في الساعة التي يهيم فيها الظلام أن يفرش فيتصوّر المرتقبُ هزيرَ الريح وصفق الموج — ثم إنَّ مثل هذا الشيء لا يفتصل ولا يطلّ ولكنه يعرض خطفاً . فكانَ المثلثُ يوجسُ كيف تجاوب همسه جرسَ الأشياء الخارجية من دون أن يحصل ترتيبها ولا تأويلها ، فيعدل عن البسط والتبين إلى إثبات اليرق الذي التوى في السحاب فزأ الظلمة لحظةً ، كأنما اليرق آيةٌ وحيّ .

وبعد أن يكون الرمز لوناً من التشبيه أو الكناية إلى غير ذلك من ضروب المجاز ، للذهن في وضعها ثم قبولها الخطأ الأعلى . بل هو صورة أو قلّ سرب صور جزئية يترعها المثلث من للبذل كما تسترّع الأشكال من هيات الموجودات على مرقم رسام موفور الحواس ، مشغول الخيلة ، محدث القلب ، بعدد الملموس . منبثق الاطلاق إلى عالم أمتل ، إلى عالم روحاني يوفق بين الواقع والموهوم . فيجمل ذاته الفتانة تعكس على الوح الموضوع الرئي بفضل عينين دربتا على لمح مشاهداته الباطنة . فيمزج الرسم لوائح الرسام الخارجية ، فتسجم سرّاً : كأنَّ المخطوطَ الالفبائية انهاساً غسه ، والمخطوطَ العمودية انبعاثاً ، والدوائر انطواؤها ، والمتمنّيات انقباضها ، وكأنَّ الضياء

من مسحوها ، والظلال بعض مشكلاتها ، وكان "أوجوه الوضاح" أشواهاً ، والمناظر -
المغيرة من غمومها: الوجداني تحيل في المادي ، حتى إن الأشكال ربما تبدو ناقصة أو
مغلطة أو مائلة تتردد عند حدود القول لمن لم يكن موطأً لفهم لها مرهف البصيرة .

وذلك بأن هذا الرسام لا يكاد يحفل بالمنطق ، لأن للنطق اصطلاحاً لأنه
العقل ، والعقل إنما يجرّد الأشياء أو يشذّبها ثم يغفل بعضها أو يحفل بعضها . فالتوضيح
الذي ينتهي إليه أقرب إلى الاختراع منه إلى التحقيق . والرقان الجيد شعورٌ بالحقيقة
لا العلم بها . وبين العقل والشعور ما بين المتضبة الصغيرة والروض الرفاف .

وإن قيل إن للنطق هو القانون بل للميار بل ضابط التناسب ، وإن قيل إن
المنطق كمثل الزخرفة العربية في أجادها ومساقاتها ومقاديرها فما لا يرتقي الشك إليه أن للنطق
يلبّس عنه تديرو معقول إنما يُعوّز لهب الحياة: أنظر إلى صورة اتفق أهل الدراية على
أنها خطأ للمين تصيب في جوانبها شيئاً يترجّح شيئاً يقول لك : « بين وبين صرك
صلة ، صلة الیقظة والإحساس بالوجود » . ثم انظر إلى رسم لا يخرج عن خطوط هندسية
غاية في الدقة أقلّ تفتّض صدرك البرودة المناسبة فيه؟ هذا الرسم الذي دبره العقل من
باب الحساب لا يعرف السبيل إلى هسك ، لأن النفس على فطرتها تهوى كل ما يرجع إلى
الطبيعة الصادقة ، والطبيعة تجهل الأحكام في التخطيط والمخود في التصوير : « الطبيعة — على
قول المصورين التأثيرين les Impressionnistes — لون » ، تخاطبنا من طريق اهتزازاته
الضوئية مخاطبة متقطعة ومتغلبة .

ومثل الشيء إذن مثل راقصة تنحرف عن قواعد الرقص المضبوط فتنة
التأتم اعتماداً لا اندفاعاً ، فتأني أن تخطّ أشكالاً محصورة في ظاهرها ما تهدي إليه ،
بأن تُحلّل التفات وتُقطع الموازين ليكي تردّها في الغشاء وحيدة متأسكة حتى

النشيج، وانعجة وضوحاً يضرق البصر له . وإنما تكني بالطوي والتوثر، والنزوان والتقبض عن افعالات إحساسها للموسيقي : السماع يتقلب حركة افراها مُنْقَلِّ قدميها على الأرض خفيفتين تهباً لقفزة هل تعود بعدها ؟ وتسلط ذراعينها على الخلاء الذي حولها ترف منه طرائف تهبها لمن تلحظه عينها دون أعيننا ، وتمد أصابعها وتزويها كأنها تحث وتزجر قلوباً تطوف بها ، ثم تهير الحصر وتطلق العطف وتقبض التدي وتلني الرأس كأنها تُنادي رباً لا يفتت إلى عياده حتى تأوه أجسامهم فريد أن تهدم . فإذا بها ترقص حسنبا يخفق قلبها وينبض عرقها إذ طائلاً لإشراق الساعة واتقياداً لها وجسها : فتخلص الغريزة من الكبت وتصر الاضطراب النفساني من الاخلاج المضوي ، فتدثر الرقص وثبة حرّة ، وثبة النفس اللطيفة نحو النبطة المضنية .

ولا يستخلص من هذا أن الإلهاء يصبح ضرباً من الهذيان أو أنه يستحيل مجموعة روي شوارد وبدات نوادر . وإنما المنشئ يعرض عن الراسيم الجامدة إرادة أن يجعل الكتابة لحناً يطلب فيه الارتجال الملهم على الصنعة الموقوفة: إذ يجنب فيه النغم الحادي المطلق كالسيف الصدي فوق المقاطع واللوازم والقواصل ، ويحذف الانتقال للتواتر تارة المستدير أخرى من القرار حتى الجواب ثم من الجواب حتى القرار في مجرى منساوي النسب منتظم التقاطيع ، وينفذ تدريج الصوت من الشدة إلى اللين أو من اللين إلى الشدة ، ويهمل توطئة الخروج من طبقة إلى طبقة، ويترك تحليّة ثقيلة . لينهض التأليف على خط هش متكسر، ينحني ويستقيم مع موضوع اللحن ، يهمل ويندفع به ، كأنما اللحن حديث يجاذبه فتية أنس بعضهم إلى بعض ، فيقطع ويتصل ويذهب ويحيى ويصعد ويخفض . وإنما الذي يجدو اللحن طائفة من المدات والهمسات والهمزات تلائمه مرة وتنافره مرة ، طائفة من الاصوات المفردة بين حادة وثقيلة ، ومُعْخَمَة ومُرْخَمَة ، ومن التقلات المنفصلة بين

مقلقة ومضغوطة ، ومقيمة وطافرة ، كأنها من فضلات الحن تحكي غاصيل
موضوعه وراسل تاريخه قنساوق أغاسه حتى ينقضي .

بقي أن هذا الإنشاء الذي يخالج ما يلي للمادة المباشرة لاصلة له بأنواع أخرى
من التأليف : منها الخطابة التي تأكل أدبا شعره ونثره منذ نشأته ، لأن الخطابة حيلة تم
كذب : فإما أن تسرق بمفرداتها الضخمة وجملها الوارمة بضاعة ضاوية ، وإما أن
تزوِّق ما يكاد يكون مُدرَكًا وتبالغ في التعبير عما يكاد يكون محسوسًا — ومنها
التحليل المطرد اطراداً الذي يفصل الآراء والميول ويشد بعضها إلى بعض فتبدو
بسيطة معقولة متلاحقة لأن مباحثها لاتزال طي الضائر — ومنها التأثير القريب الثور الذي
يهرز أعصابك دون أن يجعلك تتقربى المواقف البعيدة أو تجس الرعيدات الدقيقة ، بالأساسه
للموضوعات العنيفة السهلة في آن نحو مقابلة الحب بالواجب — ومنها الوصف الواقعي
الذي يقعد عن الخلوص إلى ما وراء المنظورات : من خواطر وواردات لاتبرز لمشهد
الحس — ومنها التفتيق الأدبي الذي يستل الأشخاص من العالم الإنساني ، فارة يعطيهم
فحسبهم آلهة وأخرى يهبطهم فحسبهم شياطين — ثم منها الإبداع الفني لأن بلوغ التام
المتناهي في الصنعة نتيجة الحذق لانتيجة الشعور ، وإنما نتيجة الشعور تطلع قلبك إلى تامل
لا ينأى .



وبعد فإن أشخاص هذه المسرحية دُمى تحرّكهم عواطفهم الدفينة ، كما أن

الناس آلات في قبضة الحياة الجائشة ، إذا هم استبسلوا فزولوا إلى ساحتها . وقلّما يفعلون (ولا سيما في الشرق العربي) .

وكأنّ الحياة الجائشة تحيّر العقل الثير فصخطط عليه شؤونها اختلاطاً شديداً حتى يُتاح له أن يدرب على خشونتها ويسأفئس بدقائقها من طريق التألم والتأمل والضمّ فيقدر أن يطوّح ببصره إلى الحوادث التي وقعت له حياته فتتسبّق فصولها كلّها أو بعضها بين يديه ، كذلك يحسن من يقف على هذه المرحيّة — المُبتهمة معاملها أوّل الأمر — أن يتدبر نواحيها من بعد الوقوف عليها ، مستضيئاً باللاحق ليُبصر السابق .

والذي يزيد في إيهام معالم هذه المرحيّة أنّها تجمع في العاظم معدودة طائفة من الآراء والتأثيرات صبّغها الزمان في قلوبها . وكلّ شيء لاحق بعالم الفكر طال عهد نشأته واستوائه لا ينقاد للذهن دفعةً ، بل على الذهن أن يتأثّر له يستشقه — وفي ذلك من اللذة ما فيه . وعندئذٍ قد حان الزمن الذي فيه أصبح الاجتياز والايواء في الانشاء الرفيع أحبّ إلى القارئ العربيّ للهدب من التطويل والتذيل ، حتى إذا رجع القارئ عن الحس الظاهر إلى الحس الباطن تجلّس له ما وراء السطور . فتذكر أنّه بذلك غاية الأدب العالي ، ومدارها أن يجعل المثنى القاريّ يُشاطرهُ فنه .

وأما لغة المرحيّة فقد أردتها سهلة ، لأنّه من العسف أن يُغرب المؤلف أو يتكلّف الصياغة اجتناء التهويل ، ولا سيما إذا التّف للمرح ، ذلك أنّ المرح إنّا هو منقل ألوان الحياة . والحياة الحقّ طفل يلهو وما يدري أنه لاه ، وزهرة تضوع وتعجب لمن يستروح شذاها ، ونهر يهدر ولا يطرب لترنيمه . وليس في هذه العماير كلّها تصنع ولا استكراه . ثم إنّ الذي أميل إليه أنّه كلما بعد غور التفكير فشطّئت المعاني ونزع الأسلوب إلى الإيهام والتلوّح بحيث ينسبط على الكلام ظلّ لطيف ، جسد الأداء بأنّ يترنم السلاسة والوضوح . على أن تنزّه الكتابة عن اللبّجالات ، عن تلك التراكيب

المطروقة المطروقة حتى صارت وساوس ينصبها الادب الياس في وجه استقلال القلم ،
 فتمنع الانشاء أن يدل على صاحبه دلالة حافظة ، ثم على أن يستخير اللفظ مُحَاذَرَة أن
 يزوغ مدلوله عن المعنى المقصود قهزُلَ الفكرة ، وأن تهذب العبارة لثلاث تسقط إلى
 الركاكة فيسُمَّجُ الأدب .

القاهرة ، ديسمبر ١٩٣٧

قد ورد في هذه التوثيقة عدة ألفاظ وتراكيب
 اصطلاحية ترجع الى التصوف والفلسفة والموسيقى وما
 اليها جياً ، قد تكون غير شائعة لهذا العهد ، غير أنني
 استخرجتها من المصادر العربية الثبته ، نحو « الرسالة
 القشيرية » و « مقدمة ابن خلدون » و « الرسالة
 الشريفة في النسب التأليية » لسيدي الحسين عبد المؤمن
 ابن قاهر الأرموي (مخطوطة ، مخزونة في دار الكتب
 في باريس : B. N. 2479) . ثم ات هنالك
 أخطاءً أخرى وضعتها أو نقلتها من معنى الى معنى
 فضلائم تراكيب انصرف اليها علمي ، منها : النشاط
 الكامن (أي القائم في النفس بالقوة لا بالفعل) ،
 والتخييل المنسرح (أي التي لا يقوم دونه سد) ،
 والمتنظم (أي المدرج في نظام معين) ، والمبفول
 (أي ما يقع تحت الحس) ، والذات الثناة (أي
 جانب من جوانب النظرة مهيأ لتأثر بألوان الفن
 أو ابتداعها) ، والصناعة الموقوفة (أي التي
 لا تقبل التنوير) ، والنم الحادي (أي الثاب
 في اللحن والمتردد في تنايه : Leitmotiv) ،
 والمقل (أي المكان الذي ينتقل الشيء اليه) ،
 وغيرها مما يظن له الناري من سياق الكلام .

مشرق الحريق

مرحمة فاضل واحد

المسرح

مؤخَّرُهُ

صفتُ من المنازل المنخفضة على شكل المنازل التي تُصَّاب الآن في الأحياء القديمة في مصر . من نافذة من نوافذ أحد المنازل الواقعة في الجانب الأيمن من المسرح يخرج نور . نور مصباح « جاز » (غُطَّاة) كبير . المصباح لا يرى . وإذا أريد إظهاره فليكن مطلقاً بالخائط بمسار ضخم معقوف .

مقدمُهُ

طريق ضيق .

على الأرض جزازات ورق

وبقايا من قصب السكر . يمتد إلى جانبي

المسرح يميناً ويساراً . الجانب الأيمن منه يضيئه النور

الخارج من النافذة إضاءة ضئيلة . وأما الجانب الأيسر فبين المظلم

والنار، وتشتد الظلمة في أوله من اليسار . والطريق يتحدر من الجانب الأيمن النار

إلى الجانب الأيسر للمظلم . ثم إنه غير مستقيم بحيث يلتقي جانباها وسط المسرح زاوية متفرجة .

الاشخاص

سميرة

امرأة في السابعة والعشرين أو ثمانينها. نحيفة، رشيقة، حسنة الشكل. بَشَرَتُهَا ضاربة إلى الصفرة. شعرها أسود متدلّ بعض الشيء حتى كعقبها. ترتدي «فستاناً» (دُرّاعة) نظيفاً عادياً أسود لا يخلو من أناقاة بسيطة، كالذي ترتديه فتيات من العامة في مصر لهنّ هذا، مشدوداً إلى ما فوق خصرها، ليس بالواسع بحيث يشقّ عن رشاقة جسمها، مرتفعاً إلى أسفل العنق، ساقطاً إلى القدمين حتى الخذاء وإلى الذراعين حتى المصممين. فلا يُرى من الفتاة سوى وجهها السافر وكفّيها. الخذاء أسود. والمطلوب أن تشتدّ للقاءة بين سواد اللبس وصفرة الوجه واليدين.

الأبله

فتى لا عمر له. مستحكم البنية. منقوش الشعر. يرتدي «جلييّة بلدي» (جلاباً بمصرياً) صفراء. خذاؤه أسود عتيق جداً. تبدو على هيئته القذارة.

هو

شاب في الثلاثين أو يقاربها. جميل المنظر. على رأسه طريوش [هذا غير واجب]. يرتدي «بدلة» (حُلّة) لونها زاهر. وفي عروة في أعلى «البدلة» وردة. خذاؤه أبيض. بَشَرَتُهُ محمرّة بل شديدة السمرة.



المصرح

في مفرق الطريق أي حيث يفرج بيننا مناراً وصاعداً ويساراً مظلاً ومنحطراً ، يلتقي العقل والشعور ، فيتجاوزان المرء ويسلك منها حظه من القوة والطية . وأما الجانب المظلم حيث يقرر الشعور العقل فيتعثر المرء وقدعمى رشده إلى فاية تحترق عندهما النفس . وأما الجانب المنار حيث يصرح العقل الشعور فيسلك المرء في صمود متلوج بجيا عنده ينجوة من الاحتراق ، بجيا كمثل شجرة شظف عودها وجف وزقها وذوى زهرها — على ما هو مبين في رسم التلاف .

معمدة

نفس مضطربة تتنازعها حلاوة الماضي الموحج ورواحة الحاضر المقتدر ، تطعن إلى حياة يلجسها العقل وتجذبها حياة يتدلج فيها الشعور . فهي كاللوسوسة ، يبدو كلامها هنيئاً لأن وأيها لا قرار له . وزأها كلما لست الحقيقة الفاحشة فزعت منها إلى متمللتها المورقة . وإذا انقضت هذه آوت إلى التلف المنوي إرادة أن تجس حركات نفس رطابة في الاحتراق .

الأبله

لا يقوى على الكلام ، ولكنه يفهم كل شيء . ولا يتكشف أسره حتى ينخلع قلبه ، كظلوم راض بما قسم له بحسب الناس سادراً ، قاعد الاحساس ليستظنون به ، حتى إذا بنى الجرح الذي يضرب في جنبه قار فارفض فأصاب الظالم رشاش من بردة إلى الواقع . فبكاء الأبله في محض هذه القصة — ذلك البكاء الذي زرع النطاء عن عيني سميرة فتمتها أن تبث على يد مغربها إلى الشعور — صرخة مظلوم يعرف أنه من أجلها مقتول .

هو

عنوان الإنسان المادي، المنشأ في خلقه المواضع الاجتماعية (وما أكفها في الشرق العربي طامة ومصر خاصة) ، المبني على البني ، الرقيق لساعته ، العاجز عن ادراك المآل المجرى حتى يؤخذ يده فيقاد إليها فيصرعه جلالها ، ثم يود لو يعيش في ظلمها دون أن ينقل نفسه بثلاً في سبيلها كأنه يقتنع بالوقوف بباب هيكلها له يظفر يعض ما فاته من اللذة الخالصة ، فتعوزه الفرصة لبذل الأحوال التي كانت تكتنفه .



المشهد الأول

الأبله ، سميرة

الأبله جالس في الجانب الناز على الأرض، على مقربة من
جدار منزل ، بين يديه زجاجة قصب سكر . يشر
قصبه بأخراسه ثم يدفع «علة» القصب (الأنبوبة)
إلى المرأة فتضع فيها شيئاً وتعيدا إليه فيأتي
عليها مصاً . من آد إلى آد يضحك ضحكة خفيفة
لا معنى لها .

سميرة تجيء وتلهب أمامه في هلهوه ويطاء . تنتظر
إليه أحياناً في ذعول .

يستمر هذا التثليل الصامت زهاء دقيقتين.

ويبدأ الأبله بكسر « علة » من عود قصب على
ركبته إذ يشد العود إليه بقوة كأن أحداً يريد
خطفه من خلف ، وذلك في أثناء مرور سميرة أمامه
بحيث تراه .

سميرة

ما بك ! أريد أحد خطف - قمبيك ؟

الأبله

بوى أن نس

معمرة

معاذ الله ! ومن هذا ؟

الابله

بجارك صوت الكلب وهو لا يزال
قائماً على عود القصب يصر

معمرة

كلب ؟ ومعى كانت الكلاب تنصّ القصب ؟

الابله

يضحك

معمرة

كفى ضحكاً ! كم أشتغى أن أراك تبكي يوماً ، فتُبكي . [مهة] أممكن هذا ؟
[تنظر إليه] .

الابله

يا أملي في جد

معمرة

أممكن هذا ؟ ولِمَ لا ؟ فهذه الكلاب أصبحت تنصّ القصب .

الابله

بطرق

معمرة

أكلب هو ؟

الابله

يوميء أن نعم

معمرة

لا . إن هذا لا يُمكن حصوله ... كما أن بكاءك لن يكون . [ستت] المستحيات
في هذا العالم معروفة [تضحك إليه] .

الأبله

يرفع يصر تائه اليها ورأس النسيه
بين أضراره وهناك لا يتحرك

مكثرة مخاطب نفسها

ولربما أحببتنا أن يكون الأمرُ المستحيل ... مُمكنًا . [هبة] ماذا أقول ؟
لا . لا . . . ولو أن الكلاب أصرّت على امتصاص القصب لقتلتها جميعاً ، جميعاً .
[مخاطب الأبله] أسمعني ؟ [آمرة] إضحك !

الأبله

يضحك ضحكة فيها تكلف وشبه رنين أسي



المشهد الثانى

الأبلة ، سميرة ، هو

هو يقدم من الجانب الأيسر في تباطؤ شديد فينصرف الى
أول منزل من هذا الجانب . يحاول أن يقرأ اسم
الطريق عليه . الأبلة ينظر اليه شذراً . سميرة
ترمقه في غير عناية . يقبل هو وسط الطريق حيث
المكان بين المظلم والنار وحيث المرأة واقفة . البديته
و بين المرأة مقدار « مترين » بحيث يشمله الظلام
فوق مايشمل المرأة . يلزم الأبلة نظره طوال
الحديث الذي يجري بين هو وسميرة مهلاً امتصاص
القصص . يسر عن أعماله في صمت .

هو سميرة

من فضلك يا ست : هل هذا زقاق مي عبود ؟ إني — والظلمة على هذه الشدة —
لا أستطيع قراءة الاسم المكتوب على جدار هذا المنزل [ينتد الى المنزل الذي كان انصرف اليه]
إن كانت هناك كتابة .

سميرة

نعم ، هذا زقاق مي عبود .

هو

شكراً .

محمدة

هل لك أن تخبرني كما أفدتك ؟

هو

يشير أن اضلي

محمدة

هل بلغك ، عمرك ، أن الكلاب تهمص القصب ؟

هو

يؤثر رجلاً كن ذعر من أسر

محمدة

سألتني عن شيء أقلاب بحق لي أن أسألك عن آخر ؟

هو

ولكنه سؤال ... سؤال ...

محمدة

لي لهجة من بني شيئا قائماً لي ضمن خصه

لاغرابه فيه .

هو

يتحجب سامتا

محمدة

لي بطء

كل شيء يبدو غريباً لك إنما هو جيد مقول عند صاحبه . إن سؤالي يدهشك ، ولو جالت أفكارني في ذهنك وتجاوزت على نحو ما تجول في ذهني وتصواب لزال دهشك . إن الأشياء لا وجود لها إلا بنا ، وكل واحد منا عالم قائم برأسه .

هو

هل لك أن تُجيلي أفكارك في ذهني وتعملها تتجاوب لمأتي أقوى على الرد ؟

محمدة في تميم

إسمع . إن هذا [تنير الى الأبله] لا يستطيع غير الضحك ، وإني يضحك به
لسعيدة . وإن عرف يوماً ما البكاء شقيت به . [مهلة] [في تمسكاتها تخاطب نفسها] ولكن ...
أصادة أنا ؟ [تم فكرتها بإشارة] وعندي أنه يستطيع البكاء إذا استطاعت الكلاب امتصاص
القصص .

هو

إني أوتر ألا يجوز مثل هذه الافكار في ذهني وألا يجاب .

محمدة

لأنها أفكار مجازين . [ست] كلاً ، بل هي أفكار فتنة من الناس يشعرون فوق
ما تشعرون . والحق أني لا أفهم ليم قدرة هذا الأبله على البكاء مرتبطة بقدرة الكلاب على
امتصاص القصص . خاطر هجم علي من جانب فامض .

هو ساخر

صديق .

محمدة

سبها قل جميعاً في يقيني أن وقوع الامر الثاني ينشأ عنه وقوع الامر الأول .

هو

يقين مشكوك فيه .

محمدة

قلت : يقيني .

هو

ولكن إذا بدا لكل واحد منا أن يستقل يقين له فإلى أين مصيرنا ؟ إلى الشك العام .

مهمرة

كلا ! إلى الأمل . [مهة] [يبطئ شديد] الحقيقة ، أليست ذلك الوادي الشَّطِيف
يُخْضِلُهُ قَيْضُ مُشَاهِدَاتِي الْبَاطِنَةِ ؟

هو

أفَ لهذا الكلام المقدِّد ! [بهم بالانصراف من حيث جاء] .

مهمرة

تريدون الأمور واضحةً [مو يلبث في مكانه] خشيةً على سلامة أذهانكم . أبلغني
لكل أمرٍ يحصل أن يساق إلى ناحيةٍ معلومة في ملتويات أفهامكم ، تنتظروه ؟ [بي سخرية]
متاع يتدرج في خزانة .. لا شيء أكرهُ إلى الحياة من إطارٍ يُعَدُّ لجرأها ، إنَّ الروح
والفكر مع ما يجيش فيهما من نزعات ووثبات يُنكران السدَّ والحدَّ . إنَّكم تهكون بهما .

هو في ضجرك ، يشعير في عنف

كفى !

مهمرة أمرة في لطف

أعدت هذه الكلمة !

هو

لم ؟

مهمرة أمرة

أعدت .

هو في شيء من الخشية

كفى ...

مهمرة

لا . أعدتها بالثيرة قسها وأردفها بالإشارة عينها ... أدنُ مني ... لا تخف .

هو يدنو منها ويقول ويشير كاللثة الأولى

كفى !

مهمرة بالثيرة قسها والاعارة عينها

كفى !

هو كن يخاطب متوها

مساء الخير !

معمرة تهجم عليه وتمسك بياحه وترسل
طرفها في وجهه ثم في جسده منتفضة

أي معمرة ؟

هو

من معمرة ؟

معمرة

هل عرفت معمريتين ؟

هو ينكس رأسه ثم يرضه ويمدق الى
وجه المرأة ويقول في لهجة الدهوش

أنتِ ؟

معمرة

لا تجاوب ، وعيناها تكادان تتحلاه

هو يواصل كلامه

هنا ؟ وهكذا ؟

معمرة

الحب مرحلة الى الفناء ! مهة [أمراً آخر غريب .

من الآن فصاعداً ينظر هو الى سميرة وجلاء زائع البصر،
تخلع النفس . يترك يديه الحيتين بيد الحين في نهيج،
ولكن التحريك ليس فيه غلو . وجهه الى الجمهور
وسميرة ظهرها الى الجمهور بحيث لا يرى منها الا
الثقافات يسبحا وكثيها . وأما الألبه فيظل طوال
حديث المرأة مبهوتا كالسقيقى على كره من حلم قبيذ
والقصبة فيده مائة ممدودة نحو فنه . يشاهد ما يجري
وهو يتألم في صمت . كل ذلك حتى يسمع صوت
النأي فتبدل هيئات الأشخاص الثلاثة .

مميرة في هلود متمة حديثها

... وما غراجه ؟ جرت الحوادث لي كما يجب أن تجري . أحبتك ، قائمتك على ما تملكه يداي حتى أتى يوم قلت لي فيه : كفى ! وأشرت على نحو ما أشرت الآن [تبتدئ اللفظة بالبرة والاشارة مرتين كأن اللفظة شيخ يلزم ذهنها] ... فانطلقتُ عنك إلى حيث تنطلق المرأة التي تريد أن تُذلَّ الرجال لأنَّ واحداً منهم أذلَّها . [مبهمة] [في سرعة] وأتاني يوماً فيمن كان يأتي من الرجال الذين كنت ألهو بهم شاب صوته منحوت من صوتك ، فطربت لحديثه وأنا لا أعلم السبب . وأردتُ أن اطرب فوق ما طربت [مبهمة] [في تهييج] أمتنع هذا ؟ [في بقاء] فطمتته الكلمات التي كنت تنطق بها وأنت مائل عليّ ... ظلُّ عريض مطروح على صورة ناصعة . وما كنتُ لأذكر أنَّها منك ، لأنَّ همي كانت شربتها فطوتها أضلعي ، ونشرتها شفتا قلبي . وإذا الشاب يوماً يلفظ تلك الكلمات في ذلك الصوت ... ذلك الصوت ، وهو مائل عليّ . فإذا بك تتمثلُ لي دَفْعَةً ، فكنت كالنار ترفع من بعيد للثاءه للمطمئن ... أنت ، أنت الذي أشرني تلك الكلمات ، أنت الذي قال لي . كفى ! بذلك الصوت . [تنبذ على نحو ما كان أثار] أنت متقاد لي مرةً أخرى ، وتظفري ... فحَنَقْتُه ! [هو يتراجع ويرفع يده كأنه يرد شيئاً] [سميرة تواصل كلامها] إنَّ أمور القلب لا تنقضي إلاَّ بالحنق ! [سميرة] منذ ذلك اليوم أشرقتُ نجاتي ، إذ غاب الذي كان يحسُّ من همي وانطلقا الذي كان يشتعل . والآن أعيش في الثلج ... إبعدي ! تلتفت إلى الأبه وتصبح [إضحك]

الأب

يضحك في نراخ

مميرة

هذه الضحكة هي التي تَنَلُّجني ، كلَّ يوم ، كلَّ لحظة . أراك دهشاً لأنَّ يشقنا يثقة إحساس محض ... إلاَّ أنَّه إحساس لا يبلغ الاحراق . أمّا أنا فقد جُبلت من نارٍ قياً كل

بعضي بعضاً . [مهلة] إنتما أحيا ، والتلنج من حولي ، طيّفَ شجرة جرداء !

هو

ولكن ألا تهو تمسك إلى الدفء أحياناً ؟

مميرة في استرخاء.

تعاليني فتهو . خير أن الذي يُدفئنا الشمس ، ولذّة الشمس في حرّتها .

هو

بقليل من الثقل تصجّبين الحُرقة .

مميرة

الثقل جُميل لمن يحسب أنه يُحسّ . مثلي لا بُدّ له من الاحتراق .

هو

إنّك مسرفة .

مميرة

كنتُ كذلك لما كنت إنسانة ، لما كنت أحبك ، أيّام احتوت

هو

كم أودّ أن أبذل لك الدفء .

مميرة

منلك يُحرق ولا يُدفئ .

هو

علّمني كيف ادفع .

مميرة

قلت الأوان . ما أعرف اليوم إلا كيف احرق ، أقلم أنخرّج على يديك؟ ولیم
تريد العودة إلى ماكان؟ هل انتهى إحساسك إلى أقصاه؟ كلا ، بل تراني أحاول النجاة

من أرضكم فاصمو عليكم ، فنتدم على تيهيتك لي هذه القدرة . [في شدة] إجلد ! [بهلة] إتنا
حياتي في التلج .

هو

بينك وبين التلج لا أبرح قائماً .

مكمرة

يني وبين المغمه رائحة حريق .

هو

ولكن.. قلبك .

مكمرة في غير عناية

قلبي ؟ [بهلة] لفظ طالما أداره لساني حتى ضاع معناه .

هو

مكمرة !

مكمرة

ألم أقل لك إني لست أنا . هذا اسم فني .

هو

ولكن...

مكمرة

إنك تكفر الاستدراك . ألا تستطيع إطلاق الكلام .

هو

أما تعرفين أن كل شيء مقيد ؟ [صت] هل من شيء يطل عنده الاستدراك ؟

مكمرة بهلة ، وفي بطة تليل

إذا احترق . [بهلة] [في تلف] قلبي . . .

هو في لهجة من لا يسلم بمصول أسر

لفظ ضاع معناه .

محمرة في لهجة من يقيم حجة

ألا ترى البدوي يأمّل الصحراء ليلته ونهاره ، إذا سئل عن لون رمالها تلعم ؟

هو

قد عرفتك امرأة لا تحمل كل هذا القدر من العلم . فمن أين أتاك ؟

محمرة في بطن

أما للحرق قَيْض ؟ [ملة] [في تلف] قلبي . . .

هو في لهجة الحائر

لفظ ضاع معناه . . . ولكن هنالك ألقاها لا يموت . هذه لفظة الله لا يشك

الخلق يذكرونها ، أفلا يزال الله الله ؟

محمرة

كما أن القلب لا يزال على حروفه [تنظر إليه تائهة البصر] .

هو يدنو منها ويمس إليها بفريها

الدفء ! الدفء !

محمرة تحول نظرها عنه كأنها تخاف أن تلين لكلامه .

على أنها لا تتبد عنه . تظهر أنها متجذبة

ذلك وم .

هو يقتربا

لولا المراب أية فائدة لا ينسبكها طول الرحلة : ساعة اليأس — إذا وارت البئر

كثرها عن الأعين القلقة كأنها فتاة غضة خفيرة ، أو أمست كعجوز تشج جلدها

لا يبلد سوى الجفاف — يضحك المراب فتعلو الممم .

محمية

إنني عرفت ذلك السراب ، بل شربت منه . وكان للآء أجاباً على لذّة . وإنني أود
لو أرتشفه مرةً أخرى . آه ! حتى هذا يغوتي اليوم . [ملة] [في بلاء] الحب مُعتركة
قَتْلَاه الأوهام .

هو يدنو منها ، يتنصّلها

الشعورُ عكّاز المرأة .

محمية تنظر اليه في هياج

وما هو للرجل ؟

هو

مراجعه إذا أدرك جوهره .

محمية

ومنى أدركته ؟

هو

الليلة .

محمية

شيء تمّ بعد حين تمامه .

هو مدافعا

من ذا يرى أن ليس للعب نشوة من بعد نفضجيه ؟

محمية نائية

في ظنني أن المرأة جُمعت لصحيا بالحب ، وقد ميت به . وهأت ذا كأنك تحيا
به عني إن الأمور تنقلب أو ضاعها على أيديكم ، لأنكم يُفزعكم الخلوص إلى أسرارها

هو

ما أغلظت كلامك !

محمرة

ولم أتو بعد . [مهلة] أصبت امرأةً تأتلك راضيةً فرحة ، فقلت متعة .
وما كنت لتقوى على النزول إلى مضطرب الحياة ، فتعرف مراحها ، فتقول نعمة ...
المرأة عندكم زهرة تقطع لأن إناكم لم يلمنكم أنها تُقطف . وأنني لمن أن يفعلن
وهن يخشينكم أبدأ ... في عرفكم أن نساءكم يهبن لكم أنفسهن . ما استخفكم !
إنهن يفرشنها لكم . [مهلة] أمّا أنا فقد أردت أن أشيد عنهن فوهبت لك همي حقاً .
فرحت ضحيةً أدام جديداً للمرأة .

هنا يلو صوت ناي من النافذة المتارة . صوت خفيت
يظل دقيقة . يلتفت الأبله وسيرة وهو الى
النافذة . الأبله ينتظر شراً وي طرح بالقصة التي
بيده أرمنا . سيرة تضم يديها الى صدرها كالصليبة .
هو ينتظر كالأخوذ .

محمرة ل هو

كم يشغلك الناي !

هو

إنه لجبل المذات !

محمرة كأنها في وجد ، شاحنة الى النافذة

إنها لضلوعي تنقص مصبدة في معارج الهواء الصافي . وكم يلد لي أن تُفعلت
ضلوعي من بين جوانبي ! هل تدري ما الإفلات مما يلازمك على كسره منك ؟ إن هذا الناي
يُحيلني على التجاة من الأرض . ولذلك ألبث في هذا المكان ، تحت هذه النافذة ... صاحب
الناي ينفخ فيه كل ليلة ، فأحب أن أعيره ضلوعي وهو لا يدري . ولو درى لهشم حلمي .
وما أشد حاجتي إليه ! آه ، إنني أحسن الحين بعد الحين كأن ضلوعي تريد أن تعلق صدري
لطمش فيه أعرفه وأها به .

هو يشير نحو الآية كما يقول:
ألا يسكن هذا عطشك

وهذا؟

مكية

ضَحِيكُهُ لَا يَقْوَى عَلَى تَسْكِينِ ذَلِكَ الْعَطَشِ ، وَلَا مَيِّتًا فِي اللَّيْلِ . بِرُودَةٍ إِلَى بَرْدَةٍ
تَهْدِ الْعِزْمَ ، عِزْمَ امْرَأَةٍ .

هو

وفيم كل هذا ؟

مكية

أنت لا تهمني وأنا أفهمك .

هو يشير نحو الآية

وهل هذا يفهمك ؟

مكية

إن جهله بي من باب آخر .

هنا يلو صوت الناي ، فيتنم الآية

هو ينظر الى سيرة ويشير نحو الآية

ماذا ؟

مكية

كثيراً ما يَضِجُ إذا مَعَ النَّايِ .

هو

أترى صوت الناي يَغِيظُهُ ؟

مكية

أَتَفْظَنُ يُدْرِكُ أَنَّ النَّايَ يَسْمَعُنِي عَلَى عَشْرَةِ ؟ مَتَى أَتَى خَطِيءٌ . [تَلَفَّتْ إِلَى الْآيَةِ
تَأْمُرُهُ] لِضَحْكِكَ .

الأب

لا يضطك بل ينظر الى الأرض واجبا

محمرة التمثيل قسه

إضطك !

الأب

التمثيل قسه

هو لسيرة

لطفه بفهمك وأنت لا فهمينه.

محمرة

تظهر العجب والتفكر

هو يواصل فكرته

علمتي اليوم أن الحياة مجموعة سوء تمام .

محمرة في لهجة المنكر ، تشير نحو الأب

إلا أنه خفيف العقل .

هو

كما أنك وائمة.

محمرة

كما أنك مغرور .

هو بدد مهلة تصبوة

ثلاث أحوال من مثلة واحدة .

هنا يلو صوت الناي مرة ثالثة، ولكن نصف دقيقة فقط

محمرة في أثناء ذلك ، ل هو

أسكت الآن .

هو بعد سكوت الناي

حقاً إياه لاخّاذ .

صغيرة

إياه لمطاء ا

هو

يبدل لك النجاة .

صغيرة

من الاختناق .

هو بعد مهلة قصيرة

مسيكة ا

سيرة لاخّفل بهذا الردء بل تتطلع الى الثالثة في شغف .
وأما الألبه فبرمها منيظاً .



المشهد الثالث

سميرة ، هو

هو يدنو من سميرة ويحمل كفه على كتفها ويحلبها بلطف
الى الطريق المظلم وهي متفادئة مذهولة وهيها منصرفة
الى النافذة ووجهها يحول الى مؤخر المسرح لا الى
الجمهور . يرى الأبطال هذا فيهمض يتبعها بحركات
واشارات متألقة . وبعد أربع خطوات أو خمس يمد
أذنيه ويتردى عن المسرح ناحية « الثيابات »
(الكوليس) . وفي هذه اللحظة يملو صوت الناي
قائما في الشجرة .

سميرة

أهل .

يقان . يظل صوت الناي دقيقة كاملة

هو يمد سكوت الناي

أصبحت لاجبة لك فيه .

يود الناي دقيقة أخرى كاملة الى مداته الشجيرة . تستمع
سميرة اليه كأنها تنفض .

سميرة بعد سكوت الناي ، تشير نحو النافذة

دعني أودعه ... إنه قام مقام عكازي لي دهرأ... ولم يحطم قط. وما يُدريني؟
ربما عدتُ إليه ... أفلا أفرقه على وداد؟ [في بدء] لا تزال بنا حاجة الى ما ملأ أيدينا
لم نؤمل [تبيل بانها نحو النافذة كأنها تريد أن تسمع صوتا متقبلاً] .

في هذه اللحظة عينها يسمع من داخل النيات بيتاً — حيث
الأله منزه — نشيج رقيق يقارب مدات الناي
الشجيحة .

سميرة

إسمع الناي يكتفي .

هو يرهف الأذن

لا . إن هذا بكاءُ الأله [مهة نصيرة] عدوَّ الناي .

سميرة زهف الأذن وتلوي رأسها تبحث الى داخل النيات
من الخمين وتبسط يدها كأنها تدفع عيلاً مكروهاً . في
هذه اللحظة يرسل الناي بعض مدات مهبة تشابه
نشيج الأله .

هو يواصل حديثه

عجباً ! إن الناي يرسل الأله في البكاء . [مهة نصيرة] عدوَّان اتفعا !

سميرة

ألم تتفق نحن ؟

هو

جمعتنا اللذة وجمعهما الألم .



المشهد الرابع

الآبله ، سميرة ، هو

تتلفن سميرة كتبها من كف هو وتسرع نحو الآبله ،
تتجذبه من يده في شيء من العنف حتى وسط
المرح ، ثم تدور بحيث تجمل ظهرها ناحية الجانب
النار وظهر الآبله ناحية الجانب المظلم على بعض
خطوات أمام هو .

سميرة الآبله

أبيكي ؟ ومن علمك البكاء ؟

الآبله

ينظر إليها في تساؤل

سميرة الآبله ، في حدة

إِنَّ الكلاب تمتصّ القصبِ إِذْنَ ! وقد قاتني قتلها . [ثم لدو لي لين] أَحرقته
وهو يُلْجُنِي [ثم للآبله في تراخ] بكائك منع البعث !
يتراج الآبله حتى يقرب من هو

سميرة والآبله يتراجع

ها ! أنت مثلاً . بيكي وتضحك . ولكن ضحكك أكثر من بكائك . فاذكر —
إذ كنت في بدء أمرك — أَنَّ للبكاء ألفيةً أبدأ . [مهله] [للآبله وهو جيباً وهما واقفان جنباً

مملكة النحل

مملكة النحل في النحل والشمس

THE BEE KINGDOM

تصدر (مملكة النحل) بانتظام في منتصف كل شهر شمسي بالفتن العربية والانجليزية حاملة رسالة الاصلاح والارشاد الى هذه الصناعة الزراعية الاصلية في وادي النيل. فاذا أردت المساهمة الاقتصادية في خدمة وطنك فاعمل على نشرها في جميع الاوساط لا بين النحالين فقط، فان هواية النحالة ليست موقوفة على طبقة معينة من الشعب

بدل الاشتراك السنوي ثلاثون قرشاً صاعاً ترسل مقدماً
الى الادارة في شارع منفا رقم ٦٠ بالاسكندرية

الجريدة السورية اللبنانية

الجريدة الرسمية للزلة العربية في الارجتين
تصدر صباح كل يوم من ١٦ صفحة بالفتن العربية والاسبانية
ألفها الاستاذ موسى يوسف عززه في ١٧ ك ٢ سنة ١٩٢٩
مديرها الحالي: أمين قسطنطين

رئيس التحرير المسؤول في القسم العربي: الياس قصص
محررها نخبة من حملة الاعلام الحرة عنوانها:

EL DIARIO SIRIOLIBANES

Reconquista 339

Buenos Aires Rep. Argentina.

مجلة الشرق

ادبية سياسية مصورة

انشئت للدعاية عن الشؤون البرازيلية وما في الزلاء الشرقيين في البرازيل تصدر
باللغة العربية مرتين في الشهر — صاحبها ومحررها الاستاذ موسى كريم ويشترك في
تحريرها طائفة من اكبر ادباء العربية في البرازيل وبدل اشتراكها ٢٤٠ قرشاً صاعاً
وعنوانها: Journal Oriente
Caixa Postal 1402, Sao Paulo, Brazil

مخطوط الملووك

الاستاذ نجيب هروانى

يحتوى فحوص الاوراق المطعون فيها بالتزوير بمصر وغيرها من البلاد ويطلب منه كتابه «التزوير الخطي» لمعرفة المخطوط والاختام المزورة والصحيحة عربية وافرنجية ثمنه ٥٠ قرشا صاغا . وتطلب منه كرايسه «السلاسل الذهبية» التي تمل المخطوط الجميلة بوقت قصير واسلوب مبتكر ومقررة في جميع المدارس ، وكتاباه «المجلة» وهو مجلة الاحكام العدلية الصحيحة الوحيدة المصدق على صحتها من باب المشيخة الاسلامية مشروحة ومشكلة بقلبه وهو يحتوى عمل كليشيات وأختام وغيرها . ويكنى كتابه كله : «مصر» عند تخارته ، أو مخاطبته بظيقون ٥٠٣٣٠



لا غنى

للشاة في مهدها

والسيدة في دنيا

عن

صديقتها

الطالبة

مجلة شهرية

تبحث

في الادب والاجتماع والعلم

والشئون النسوية

٣ ميدان سوارس بمصر

لذكرى أدبسن

أكبر مصباح كهربائي

في العالم

وهو المصباح الذي

أقيم في منلو بارك بنيو جيرسي

بأميركا حيث أنشأ أدبسن

معامله وقد احتفل بتدشينه

يوم ١١ فبراير سنة ١٩٣٨

ويبلغ ارتفاع المصباح

وحده دون البرج القائم

عليه ١٤٤ قدماً . وبلغت نفقة

إقامة البرج والمصباح ٢٠

الف جنيه وهما لذكرى

أدبسن المستر ولیم بارستو

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثاني والتسعين

٣٠ محرم سنة ١٣٥٧

١ أبريل سنة ١٩٣٨

المجرات

بحث في أمراء الكون الكبري

— ١ —

وصف أحد الكتّاب الأرض بقوله «أن الإنسان يعيش على ذرّة من البار الكوني يحيط بها قبة من الهواء ورشّة من الماء وعلى سطحها مسحة من الحياة». ألا أن الإنسان على عجزه عن الأفلات من هذه الذرة ، سعى قروناً طويلاً إلى التفتّل في أسرارها من ناحية وفي خفايا الكون العظيم الذي يحيط بها من ناحية أخرى . وكان في عهده الأول مولماً بالتخيّل فنصوّ الكون صوراً متباينة . فقد كانت الأرض في نظر طاليس قرصاً سابحاً في محيط من الماء . وذهب أناكسيندر إلى أن الأرض مسطّحة وأنها في مركز الكون وأن الشمس ليست إلا ثقباً في قبة الجلد الصلدة تضيئ منها نار الآلهة التي وراءها . ألا أن أناكسينيس رأى صورة أخرى إذ خيّل إليه وهو رقب السماوات من سطح الأرض أن النجوم سماير فضية مدفوفة في القبة الصلدة وتهاوت هذه الصور القديمة صورة إثر صورة ، إذ كثّر عدد الرصّاد فكشفوا واحد بعد واحد حقائق عن حركات النجوم والسيارات ، فصحت لهم الباب إلى معرفة شيء عن هندسة هذا الكون العظيم . فثياغوراس علم تلاميذه أن الأرض كرة تدور حول الشمس فلم يؤه بقوله . وأرسطرخس ذهب في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد إلى أن الشمس مركز الكون وحاول أن يقيس المسافة بين الشمس والأرض الدائرة حولها . فلم يصح أحد إلى ما يقول .

وانقضى نحو النسي سنة قبل ان ولد علم الفلك الحديث . ففي ٢٤ مايو سنة ١٥٤٣ كان كوبرنيكوس يمانى سكرات الموت عند ما حجيء اليه بنسخة من كتابه « دوران الاجرام السماوية » وهو الكتاب الذي ذهب فيه الى ان الارض كرهة ، ليست ثابتة كما قال بطليموس ، بل متحركة دائرة حول الشمس كما قال فيثاغوراس وارسطرخس

كان الكون الذي تصوّره كوبرنيكوس كوناً صغيراً لا تمدو حدوده أبعد السيارات المعروفة حينئذ . إلا أن التجوم التي ظنها ارسطرخس قليلة ، والتي لم يحصر منها بطليموس إلا ألفاً ، أخذت دراساتها فنمولاآت الرصد الحديثة بمد ما صنع غليليو المرقب (التلسكوب) الاول في القرن السابع عشر . فأحصي منها أولاً نحو خمسمائة ألف نجم . وعندئذ بدأ علماء الهيئة يدركون ان الشمس ليست إلا « جندياً في جيش السموات » . وكذلك بحث علم الهيئة في القرن السابع عشر وتراجعت الآفاق الكونية من حدود النظام الشمسي الى حدود المجرة وريداً رويداً . ثم جاء اسحق نيوتن ، وهو ابن فلاح انكليزي ولد بيد وفاة والده ، وكشف عن ناموس الجاذبية العامة ، ففسّر به افلاك الاجرام الفلكية وحركتها ، وهو موضوع عجّزت عبقرية غاليليو عن ادراك كنهه

هذا الكشف بحث حياة جديدة في علم الفلك . فأقبل الرصاد على دراسة التجوم المتلاثلة وراء أبعد السيارات وعينوا بمد عنام كبير مواقع مئات منها . وكان ين هؤلاء البحاّث ، رجل الماني انكليزي يدعى وليم هرشل ، نشأ موسيقياً وهاجر الى انكلترا فراراً من ويلات الحرب الدائرة حينئذ ، وتحوّل وهو يعلم الموسيقى في سبيل الرزق ، الى الفلك ، اذ كان في الخامسة والثلاثين من العمر . ولو لم يتح له في ليلة ٣١ مارس سنة ١٧٨١ اكتشاف السيار أورانوس لظل على الراجح موسيقياً طول حياته يسترق اللحظ الى السواوت في ساطات الفراغ اشباعاً لرغبته الخاصة . ولكن اكتشافه السيار أورانوس افضى به الى عناية وجهت اليه من الملك والى زواجه من سيدة ذات ثراه ومال

ومضى هرشل وقد كني مؤونة البش ، يتقن صنع المرايا للراقب العاكسة ، وشغف بعمله هذا شغفاً عظيماً حتى روي عنه أنه كان لا يتوقّع عن عمله لتناول الطعام فكأن شقيقته كارولين تلقته يدها وهو ماضٍ في عمله . ولما تمّ له صنع مرقب قطر مرآته تسع عشر بوصة وجهته الى السموات فكشف ما يعرف بدرب التبان أو المجرة . وقد وصف المجرة هذه في الجمعية الملكية سنة ١٧٨٤ بقوله « انها طبقة ممتدة من التجوم وليست الشمس ومجموعتنا الشمسية الا جزءاً منها » . والواقع ان الراصد على الارض يرى المجرة كأنها شيء منفصل عنه ولكنه عند التدقيق قريب من مركزها . وعني هرشل بهذه الناحية من الموضوع فحسب ان الشمس منحرفة قليلاً

عن مركز المجرة، وإن المجرة شديدة بقرص قليل التسطيح أو بساعة جيب وأن قطرها ستة أضعاف مما كتبها. ولما قضى هرشل نجمة حفر على شاهد قبره « أنه قد أتى إلى السموات ».^(١)

ثم جاء على علم الفلك الحديث فترة من الجمود. ذلك أن الامم لم تعجب خلالها طلاقاً على اكتشافه وشاح غاليليو ونيوتن وهرشل، فيستطيع أن يقذف من المجرة إلى ما وراءها إلا أن ذلك كان يقتضي أولاً، معرفة أبعاد التجموع على وجه من الدقة. ولم يكن قياس أبعاد التجموع بالأمر السهل. حتى هرشل نفسه كان قد حاول قياسها وأخفق. ولا يخفى أن أقرب التجموع إلى ثمننا هو التجمع المعروف باسم « بروكسيا صقودي » وهو يبعد عنا أربع سنوات ضوئية وخمس سنة. أي أن الضوء يستغرق هذه المدة في سيره منه البناء مع أن سرعته ١٨٦٣٠٠ ميل في الثانية. فالشمس على هذا الأساس تبعد عنا ثمان دقائق. فليس من الغريب أن يعجز علماء ذلك العصر عن قياس أبعاد التجموع، وهذا التجمع وهو أقربها إلينا يبعد عنا ٢٥ مليون مليون ميل يقابله أن الشمس تبعد عنه ٩٣ مليوناً فقط.

الأمر أنه لم تنقصر ست عشرة سنة على وفاة هرشل حتى اجتاز علم الفلك مرحلة جديدة كبيرة الشأن. ذلك أن ولیم هرشل كان له أن يدعى جون زرم خطوط آية. وإذ كان جون زرمياً بتصنيف التجموع التي في غيوم مجلان البادية في نصف الكرة الجنوبي جاءه في سنة ١٨٣٨ كتاب من باحث يدعى فردريك بيسل Bessel. وكان في هذا الكتاب أن بيسل تمكن من تعيين بعد التجمع المرقوم برقم ٦١ في صورة الدجاجة بأسلوب جديد سمّاه أسلوب زاوية الاختلاف الثلاث Trigonometric Parallax وأساس هذه الطريقة أن التجموع تبدو نوابت لبعدها العظيم عن الراصد الأرضي. إلا أن مراقبتها تسفر عن أنها ليست ثابتة بالقياس إلى نجوم أخرى أبعد منها. فإذا قيست الزاوية الحاصلة من مراقبة كل من نجمين من موقعين مختلفين على الأرض أو من موقع واحد في مكانين مختلفين من فلك الأرض حول الشمس أمكن أن بيسل حساب لبعدها أقربهما إلينا بطرائق علم الثلاث. وهذا العمل شبيه بما يصمله المهندس الذي يقيس بعد جبل من مكانين لرسم مثلث يعرف به بعد الجبل من معرفة البعد بين المكانين والزاوية التي بين خطي النظر.

وكان بعد التجمع ٦١ في صورة الدجاجة بحسب طريقة بيسل ٦٠ مليون مليون ميل عن الأرض. وما انقضت شهور على ذلك حتى أعلن توماس هندرسن وهو اسكتلندي كان يشغل بالرصد في مرصد رأس الرجاء الصالح أنه قاس بعد ألفا قنطوروس فإذا هو ٢٥ مليون مليون ميل أي نحو أربع سنوات ضوئية وثلاثة أعشار السنة. ثم قاس ستروف بالطريقة نفسها « ألفا السلياق »

(١) راجع موجز سيرته وآثاره العلمية في أساطين العلم لحدث صفحة ٣٤ - ٤٠ من الطبعة الأولى

الآن أن الطريقة كانت صعبة ، ولذلك كان عدد النجوم التي قيست إبعادها بها حتى مستهل القرن العشرين لا يزيد على ستين نجماً . وكان منها أحد عشر نجماً فقط بقيت بعد عا إحدى عشرة سنة ضوئية أو أقل ، والباقي كان أبعد من ذلك

غير أن العلماء ظلوا مكبّين على هذه الطريقة على الرغم من صوبتها ، ولكنهم تولوها بالتحسين والاتقان فشرع علماء مرصد يركس في استعمال التصوير الضوئي سنة ١٩٠٣ فنددت هذه الطريقة أدق مما كانت ثم كشف العلماء ولتر آدمز — مدير مرصد جبل ولسن — طريقة طيفية لتعيين زوايا الاختلاف من دراسة خطوط الطيف المختلفة وقوة الاشراق فأسفر استعمال هذه الطريقة الطيفية من سنة ١٩١٦ الى ١٩٢١ عن قياس إبعاد الفين من النجوم . ومع ما أضيف الى طريقة زاوية الاختلاف من التحسينات على أيدي فان مان و رسل وشابلي ظل عدد النجوم التي قيست إبعادها قليلاً جداً بالقياس الى الوف الوفها المنشورة في رحاب الفضاء



فلنا ان الشمس والسيارات وسائر الاجرام الداخلة في مجموعتها جزء من تلك المجموعة النجمية التي اطلق عليها اسم المجرة . فهل وراء المجرة عوالم أخرى ؟ يرى الباحث في نواحي شتى من الفضاء «لطخاً سحابية» مضيئة يبدو له انها وراء المجرة . ما هي ؟ وهل هي مجرات أخرى ؟ وهل تعبى مجرتنا ؟ ليست هذه الحواطر بشيء جديد في العلم . بل ان الفيلسوفين كانت وسبينوزا اشاروا اليها وكتبوا فيها . فقالا ان وراء آفاقنا عوالم لا حدها ولا عدد . بل استرعت نظر ابني الحسن الصوفي الفلكي العربي قبلهما فوصفها

وكذلك وقف العلم هنيئة عند حدود مجرتنا ، بعد عدته ويوحده بحارته وربابته لرحلة جديدة في رحاب الكون الشاسعة وراءها . ففي سنة ١٧٨٢ كان الفلكي الفرنسي ميسييه (Messier) قد أحصى مائة وثلاث لطخ من هذه اللطخ السحابية المضيئة . كان بعضها أشبه ما يكون بأقراص السيارات ، وكان بعضها لا شكل خاص له كأنه قطعة مشعّنة من النجوم . ثم في ١٨٤٨ تمكن لورد ريس من رؤية أول لطخة من هذه اللطخ الحلزونية الشكل . وكان سيله اليها مرقب قطره ست أقدام وطول أنبوبه خمسون قدماً . ثم تمكن Huggins في أواخر العقد السابع (١٨٦٧) من استعمال المطياف في دراستها . قال : وجهت المطياف الى أحد هذه السدم Nebulae الصغيرة ، ولعل القارئ يستطيع ان يتصور شعور الرهبة والتطلع الذي خالطني عندما وضعت عيني على المطياف . فكانت هذه الطريقة الجديدة في البحث الخطوة الاولى الى هذه « العوالم الحلزونية » السكّانة من وراء المجرة ، ومعركة تركيبها ، وتبين ان بعضها مجموعات كبيرة من النجوم تبدو نجمة مضيئة لبعدها ، وإن البعض الآخر غاز مضيء على الأكثر

كانت السدم بعيدة عنا جداً بحيث لا يمكن قياس مسافتها. فطريقة زاوية الاختلاف لا تنجدي. لأن الاختبار كان قد أثبت أن هذه الطريقة لا يمكن تطبيقها على نجوم تبعد عنا أكثر من مائة سنة ضوئية. فكان لابد من طريقة أخرى تقوم على قاعدة جديدة. وكذلك انقضت السنين وعلماء الفلك يبحثون عن هذه الطريقة. أما كيف كشفت فن روائع العلم الحديث



من أنواع النجوم التي ترصع القبة الفلكية نوع يعرف باسم « المتغيرات القيفاوية » وقد دعيّت هذه النجوم كذلك نسبة إلى نجم « ذلتا قيفاوس ». هذه النجوم تتغير إشراقاً كثيراً دورياً فاذا تكون خافية الضياء تراها وقد أخذت تزداد إشراقاً ثم تأخذ بعد ذلك بالانحسار حتى ترجع إلى حالتها الأولى. وقد شبهها جيز بنار الموقد الحامدة وقد التي فيها قدر من الفحم فما لبثت حتى اشتدّ سعيها. وقد وصفناها في مقتطف ديسمبر ١٩٣٥ قفلاً « هذه النجوم قد تكون حمراء أو مياضنة أو صفراء، ولكنها على اختلاف ألوانها تنبض نبضاً منتظماً كأن كلًّا منها قلب كبير ينقبض وينبسط أو كأنها شمعة من الناز تمدّها خفية فتفتح وتغلق في فترات منتظمة فإذا فتحت كبرت الشعلة وإذا أفلتت ضوئها الشمعة حتى تكاد تطفئ ». أما فترة التغير هذه فتختلف باختلاف النجوم من بضعة أيام إلى شهر أو أكثر

والفضل في كشف الطريقة الجديدة لقياس أبعاد النجوم لسيدة أميركية تدعى المس هنريتا ليفيت Leavitt. كانت هذه السيدة تشتغل في مرصد جامعة هارفرد سنة ١٩١٢. وكان قدمضي عليها سنوات وهي تدرس الألواح المصورة لنواحي مختلفة من السموات بغية أن تكشف ما تنطوي عليه هذه الألواح من حقائق جديدة عن النجوم مفردة ومجمعة. وإذا كانت مكبة على صورة لأحد القنوان النجمية التي على حدود المجرة، تبيّن فيها شيئاً جديداً. ذلك أن طائفة من المتغيرات القيفاوية كانت قد ظهرت في تلك المجموعة النجمية. فلاح لها من دراسة الصورة أن المتغيرات القيفاوية الكبيرة المشرقة كانت أبطأ تغييراً من المتغيرات القيفاوية الصغيرة الخافية. فالفترة التي تقضي بين خفاء القيفاويات الكبيرة وبلوغها ذروة إشراقها ثم رجوعها إلى ما كانت عليه كانت أطول من فترة التغير في القيفاويات الصغيرة. فأسرّت ذلك الحائط وعمدت إلى ما تجمع من الصور الضوئية للسدم الأخرى التي صورت منذ استعملت تلك الطريقة الفلكي دراير في سنة ١٨٨٠ وخرجت من بحثها الدقيق المستفيض بأن طول فترة التغير متصلة صلة وثيقة بقوة الإشراق. فأعلنت هذه القاعدة الجديدة في علم الفلك

ولكن الاشراق البادي لنجم من النجوم يختلف عن اشراقه الحقيقي . لان ما يبدو من اشراق أحد النجوم يتوقف على بعده . فقد يكون نجم عظيم الاشراق ولكنه عظيم البعد في الوقت نفسه فيبدو للراصد الارضي نجماً غائراً . فاذا كان هناك نجمان فيفاويان على بعد واحد من الارض وكانت فترة التبثّر في أحدهما اقصر من فترة التبثّر في الثاني ، فالاول أقل اشراقاً من صاحبه

فلما وضعت هذه القاعدة هذا الوضع ظهرت قائمتها في قياس ابعاد النجوم . ولنفرض أن أماننا نجمين فيفاويين فترة تبثّرها واحدة . ثم لنفرض ان اشراق أحدهما البادي يفوق اشراق الآخر مائة ضعف . فالنتيجة الحتمية التي نخرج منها — إذا صحت قاعدة المس لثيت — ان أقلهما اشراقاً يجب ان يكون أبعد من الآخر عشرة اضعاف لان الضياء الصادر من جسم مضيء يقل كربع المسافة . ثم لنفرض ان أحد هذين الفيفاويين واقع في مجموعة من النجوم عرف ببعدها عن الارض . ففي هذه الحالة يمكن استخراج بعد الآخر استخراجاً دقيقاً وكذلك تمّ للعلماء أسلوب جديد بارع لدرع الفضاء ^(١)

هنا دخل هارلوشابي Shapley البدان . كان شابي قد توفّر على علم الحيوان ، ثم انقلب الى الصحافة وأخيراً استهواه علم الفلك فأقبل عليه . فلما أعلنت المس لثيت قاعدتها الخاصة بملاقة فترة التبثّر في النجوم الفيفاوية المتبيرة بقوة الاشراق كانت في مرصد جبل ولسن بكاليفورنيا يرصد القنوان الكروية Globular clusters لما بدا له فيها من خواص تجعلها عوالم قائمة بذاتها وفي الوقت نفسه جزءاً من المجرة ، فوجد في بعضها طاقة كبيرة من النجوم يبلغ عددها ٣٥ ألفاً . فلما ثبت له ما لقاعدة المس لثيت من الشأن جعل شغل الشاغل البحث عن المتغيرات الفيفاوية في هذه القنوان . وبعد بحث رياضي دقيق تمكن من استخراج طريقة سهلة من قاعدة المس لثيت تمكن الباحث من معرفة ابعاد هذه النجوم الحقيقية بدلاً من معرفة ابعادها النسبية واستعمل طريقته هذه في قياس بعد قنورق — وعدد نجومه ٣٥ ألفاً — فوجده ٣٦ ألف سنة ضوئية . واذاً فهذا القنورق جزء من المجرة ولا يمكن ان يكون خارجها لان قطرها نحو مائة ألف سنة ضوئية . ثم استعمل الطريقة نفسها في قياس ابعاد مائة من هذه القنوان الكروية فوجد ان ابعادها — وهو الموسوم NGC 7006 — يمد ٢٢٠ ألف سنة ضوئية ، عن الارض ومن غرائب هذا الباحث انه كان في اثناء بحثه الفلكي يرتد الى البحث في الحيوان ليربح ذهنه فيعدّ رسائل في طبائع بعض الحيوانات وينلونها على اكااديمية العلوم الاميركية

(١) راجع مقتطف ديسمبر سنة ١٩٣٥ صفحة ٥٢٥ مقالة « ذرع الفضاء »

هوذا طريق جديد وممتدة المس لثقت وسار فيه شاذلي الى بعد ٢٢٠ ألف سنة ضوئية ، فن يجرؤ على ان يقولوا كمال العلم الى رحاب الفضاء حيث السدم اشبه ما يكون بالناثر في مجار الكون القائمة تومي الى الرواد

وجد علم الفلك هذا الرائد المتقدم في شخص باحث يدعى ادوين هبل Hubble . ولد هبل في مارشفيلد بولاية مسوري الاميركية وتلقى العلوم العالية في جامعة شيكاغو فكان ملكن الطبيعي مدرّبه وهايل الفلكي مصدر إلهامه . وكان علم الفلك اقرب العلوم الى قلبه تليه الرياضة العالية . وظهر نبوغه وهو لا يزال حدثاً فكانه وهو في الحادية والعشرين من الفوز بجائزة مهّدت له سبيل الدراسة في جامعة اكسفورد . والترب فيه انه تلقى في اكسفورد علوم القانون وعندما عاد الى اميركا مارس المحاماة في مدينة لويسفيل بولاية كنتكي . فلما احس انه بصرم بقوانين الناس ارتد الى قوانين الكون فبين باحثاً في مرصد يركيس ثم استدعاه هايل الى مرصد جبل ولسن بكاليفورنيا في سنة ١٩١٩

هناك شرع هبل في دراسة السدم وكان قد سبق له ان صورها في سنة ١٩١٧ وسأل نفسه وهو بصورها هل هي جزء من المجرة . وكان اقرب هذه السدم يبدو لطحاً خفيفة الضياء في حجم قرص القمر . فوجه نظره أولاً الى السديم المرقوم Messier 31 وهو سديم حلزوني في صورة المرأة المسلسلة Andromeda وصفه اولاً ابو الحسن الصوفي احد كبار علماء الهيئة عند العرب بقوله انه « لطححة سحابة » . ثم صرف عنايته الى السديم Messier 33 في صورة الثلث . فوجد ان السديم الاول — اي M. 31 ^(١) — أضف اشراقاً من اجرام سماوية أخرى معروف بعدها عن الارض . ولكن ذلك لم يدلّه على اشراقه الحقيقي . فعمل يبحث عن متغيرات قيفاوية فيه فوجد طائفة منها نحو المثرة او أكثر قليلاً وظهر له ان فترة التبر فيها تماثل فترة التبر في بعض القيفاويات التي في المجرة . فاستد الى قاعدة المس لثقت كما أفرغها شاذلي واستخرج الاشراق الحقيقي لهذا السديم فاذا هو يزيد على اشراق الشمس أربعة آلاف ضعف . وعلى هذا الاساس قال ان السديم M. 31 يبعد عن مجرتنا ٩٠٠ ألف سنة ضوئية . واذن فهو خارج المجرة . وقد أسفر البحث الدقيق في هذا السديم المعروف باسم سديم المرأة المسلسلة علاوة على ممتد العلمية M. 31 فاذا هو شبيه بالمجرة شكلاً وتركيباً

بعد ذلك انصرف الى السديم الثاني M. 33 فبحث فيه عن متغيرات قيفاوية فلما وجدها اعتمد عليها وعلى قاعدة المس لثقت في تعيين بعد هذا السديم عن مجرتنا فاذا هو خارج المجرة كذلك ويبعد عنها مليون سنة ضوئية

(١) سنستعمل حرف M في ما يلي من السلام اختصاراً لـ Messier

وكذلك شرعت سفينة العلم في رحلتها خارج حدود المجرة . لقد أثبت هبل وجود عوالم أخرى هناك ، وأشار الى أنه من الجائز وجود الوف منها . إن نظرية « العوالم الجزرية » التي أشار اليها هرشل ثم اتممت ، حادت الآن وجلست على عرش الفلك !



كان بحث هبل للمتقدم فاقحة فصل جديد عجيب في الريادة الفلكية . وما مهدت السيل حتى أقبل الرواد من كل جانب يبحثون عن عوالم جديدة في الرحاب التي خارج المجرة . هو ذا المراقب الكبيرة مسددة الى صدر السماء . وما هي ذي « اللطخ السحابية » تمحل بفعل المرقب والمصورة الضوئية والمطاف الى نجوم تامة التكوين وسحب مضيفة لا تزال في حالتها البدائية . هنا وجدت متغيرات قيفاوية مكنت الراصدين من تعيين ابعاد هذه السدم بل وجد في بعضها نجوم جديدة Novae تبدو حيث لم يكن ثمة نجم او حيث كان هناك نجم غار ، وإذا النجم الجديد ينبثق مشرقاً كأنه نار شبت فجأة ثم لا تلبث يبدد اشتعالها حتى تتمد وتنطفئ . كان الصينيون قد رصدوا بعض هذه النجوم في الزمان القديم . وروى عن هبارخس انه صنع زيججه لانه رأى نجماً جديداً عظيم التألُّق . فأراد ان يعرف هل هو ظاهرة نادرة او كثيرة الوقوع فجعل يحصي النجوم ويدون مواضعها ليعلم متى ظهر نجم يحسب جديداً ، بالقياس الى النجوم الثوابت . وكان اول نجم جديد ظهر في مصر الحديث فاسترعى غاية العلماء نجماً رآه نيقو براخي في صورة ذات الكرسي Cassiopeia سنة ١٥٧٢ وقيل انه بلغ درجة من التألق جعلت رؤيته مستطاعة في رابعة النهار . وظل على ذلك ستة اشهر . ومن احدث ما رصد من هذه النجوم الجديدة نجم جديد في صورة هرقل سنة ١٩٣٤ زاد اشرافه خلال شهر واحد مائة الف ضعف وكان اشرافه قبيل احتفائه مثل اشراف النجم القطبي . وليس في تاريخ الفلك منذ سنة ١٥٧٢ الا ذكر ثمانية وأربعين نجماً من هذه النجوم الجديدة . ولعل نجم بيت لحم الذي استدل به الرعاة على ولادة المسيح كان احدها . ولكن العلماء لا يزالون في شك من اصلها ونشأتها ويذهب بعضهم الى انها نشأت من اصطدام نجم غار بآخر مظلم ويقول آخرون انها قد تنشأ من انفجار النجم بما يحشد في داخله من الطاقة

هذه النجوم الجديدة ، من الوسائل التي تمكن الباحثين من تعيين ابعاد السدم لان البحث اسفر عن ان معظم اشرافها يدل بوجه عام على بعد الصورة التي تظهر فيها عن الارض

[موضوع الفصل التالي في
هذا البحث «الغلاب» تشرق
السدم وتمدد الكون »]

الشيخ ابو علي

ابن سينا

بقلم مؤرخ مؤيد زاده

صاحب جهره نما الابرانية

— ١ —

الشيخ الرئيس ، حجة الحق ، رئيس العقلاء ، شرف الملك ، أبو علي حسين بن عبد الله ابن سينا . هذه هي الألقاب التي نعرفها بها غير أن لقب (الشيخ الرئيس وحجة الحق ورئيس العقلاء) ليست ألقاباً سلطانية أو أميرية بل هي ألقاب لقبها العلماء وعرف بها بينهم ونرى أن كلمة (حجة الحق) قد استعملت من بعده لقباً لبعض أعاظم الفضلاء كالتيام مثلاً . أما الشيخ الرئيس فهو من ألقابها المخصوصة وقد يقال له (الشيخ) اختصاراً فألقابها استعمل هذا القاب في الكتب الفلسفية فهو المقصود به . وأما كلمة (الرئيس) فكانت تستعمل في ذلك العصر لقباً لأعاظم الرجال وكانوا يضيفون إليه بعض الاحيان ألقاباً كالاستاذ والفاضل وما اشبه ذلك من الألقاب الدالة على زيادة في الإجلال والاکرام . ومنها لقب (الشيخ الرئيس) الذي تفرّد به ابن سينا وأصبح علماً له بعد ذلك

وشرف الملك من الألقاب السلطانية التي عرف بها الشيخ . ويظهر لنا أن اشتغاله بالمناصب الملكية والتصدي لأمور الوزارة قد منحاه هذا القاب . ونراه مذكوراً في رسائل كتبت للشيخ من معاصريه وصرح به القاضي ابن خلّكان في كتاب وفیات الاعيان ايضاً ولكنه ليس من الألقاب المتداولة كثيراً بين الناس

وأما نسبة قالشهور هو ما ذكرناه ولكن ثمّة طائفة تزعم غير ما قرّرناه وتجعل سينا جدياً نائلاً للشيخ أبي علي ، ويذكرون نسبة كما يأتي : أبو علي حسين بن عبد الله بن حسن بن علي بن سينا -

وكان أبوه عبد الله من مدينة بلخ وقد هاجر في أيام نوح بن منصور أحد ملوك السامانية

(من سنة ٣٦٥ — ٣٨٧ هجرية) الى مدينة بخارى^(١) عاصمة الحكومة السامانية وفي زمن نوح ابن منصور المذكور توطّف في دوائر الحكومة وبأشر أعمال الدولة وكان طاملاً في إحدى قرى بخارى تسمى خَرَمَسَبِينَ (فتح الحاء المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح الميم وسكون الياء وفتح التاء المثناة قرية من قرى بخارى — معجم البلدان ص ٤٢٤) وقد تزوّج من فتاة من أهل قرية أَفْسَنَسَه (وأفشنه بفتح الهززة وسكون الفاء وفتح الشين المعجمة قرية من قرى بخارى. — راجع معجم البلدان صفحة ٣٠٥ من المجلد الاول) تسمى ستاره — حسبما ذكرها ابن خلكان — فاولدها أبا علي (وستارة لفظة فارسية بمعنى كوكب). وقد اختلفوا في سنة ولادة الشيخ فذهب من قال انه ولد في سنة ٣٧٣ هـ وقد نظم فيها بعض الشعراء بالفارسية ما معناه أن حجة الحق أبا علي ابن سينا ولد في (شعب — ٣٧٣) ودرس كل العلوم ومارسها في (شعبا — ٣٩١) وتوفي في (تكر — ٤٢٧)

وبما يستفاد من المقدمة التي كتبها تلميذ الشيخ (أبو عبيد الجوزجاني) الآتي ذكره على كتاب «الفقاء» أن أستاذه كان يبلغ من العمر ٣٢ عاماً سنة ٤٠٤ مما يدل على انه ولد عام ٣٧٣ ويقول الشهرزوري ان ولادة الشيخ أبي علي كانت في سنة ٣٧٠ ويوافق جُلُ المؤرخين القائلين ان وفاة ابن سينا كانت في سنة ٤٢٨ وكان إذ ذاك يبلغ من العمر خمساً وخمسين سنة وهو مطابق للتاريخ المذكور أيضاً

ويقول لنا ابن سينا في رسالة كتبها عن نفسه وأودع فيها سيرة حياته ما ترجمته : انه عند ما قرّع من الطب وأنتم دراسته كان لا يبلغ من العمر أكثر من ستة عشر عاماً ثم دماه الملك الساماني نوح بن منصور لمعالجة مرضه الذي أصيبه الاطباء واستصحب عليهم وكانت وفاة نوح في سنة ٣٨٧ فإذا فرضنا ان ولادة ابن سينا كانت في سنة ٣٧٣ كما يدّعون تكون سنّه عند ما توفي نوح بن منصور لا تتجاوز الاربعة عشرة او الخامسة عشرة وهو يخالف كل المخالفة ما ذكره

(١). وكانت بخارى في ذلك العصر عاصمة الدولة السامانية الايرانية التي ينهي نسبها الى بهرام جور الساساني وكان لهم اهتمام بالشر والادب الفارسي الذي أخذ ينمو بعد ان أخذت جلوته الفتح الاسلامي فأكبروا الشراء واصطغروهم وأسبغوا عليهم تسميم وبنوا لهم الصلات والهيئات قرها الشر النارسي ونما وأزهر وأينع وصارت بخارى مقصد الشراء وعط رحلهم فكثرت الشراء والادباء حتى لم تكن مدينة او بلد او قرية لم يقم منها شاعر او أديب من الايرانيين وقد أمر ملوك بني سامان بنقل كتب من اللغة العربية الى الفارسية فنقلت. ومن أهم ما نقل في هذا العصر كتابا للتاريخ والتفسير للطبري وهما اليوم أحسن أثر ودليل على الثقافة الادبية الايرانية في ذلك العصر الذي يعد بحر النهضة وسلاحة الاقفاط والعلوبة اللتين تظهران في هذين السكتين وتدلان على ذلك الاستعداد العظيم الذي نهض بالادب الايراني في نهضة لم يكن يتظرها التاريخ

الشيخ عن نفسه قانه يقول أنه أتم دراسة الطب في السادسة عشرة ولا بد أن يكون قد اشتغل قبل ذلك بالطب وارتقت شهرته وعلا صيته حتى دعاه الملك الساماني لمداوانه. ولكن إذا جملنا تاريخ الولادة سنة ٣٧٠ خرجنا من هذا المأزق. أليس من السج أن يكون الراوي لهذه الرسالة والمذيل لها هو أبو عبيد المذكور مع ذلك نراه يقول في مقدمته على كتاب «الشفاء» أن استاذہ كان يبلغ من العمر اثنين وثلاثين عاماً سنة ٤٠٤ ؟

ففي ما ذكرناه ما يكفي لأن نقول أن ولادته على أصح الروايات كانت في سنة ٣٧٠ والآن لوود الى سيرة حياته فنقول : —

بعد ما وُلد أبو علي في أفشنة انتقل به والده الى مدينة بخارى وسكنها وأرسل ولده الى احد الكتاتيب. ومن هنا بتدئ حياته العلمية وثقافته النادرة قانه لم يبلغ العاشرة حتى كان قد حفظ القرآن الكريم ودرس اكثر فنون الادب.

وكان أبوه من الشيعة الاسماعيلية القائلين بإمامة اسماعيل بن الامام جعفر الصادق وكان يراجع رسائل اخوان الصفا وأبو علي يسمع ما يدور بين أبيه وأخيه وما يتذاكران فيه من المسائل الفلسفية الاسماعيلية في بحث العقل والنفس وما أشبه ذلك فتأثرت نفسه بما سمعه منهم وتمكن حب الفلسفة من نفسه ورغب في دراستها. ولكن أباه أرسله ليتلم الحساب فاشتغل بدراسة وأقنعه على احد أستاذة هذا الفن. واتفق ان أبا عبد الله الثاني زار مدينة بخارى في تلك الايام (ونازل بلدة قديمة من بلاد طبرستان) وأبو عبد الله هذا هو أحد فلاسفة القرن الرابع وكان من جهابذة فن الالهييات وعن يُشار اليهم بالبنان في هذا الفن وقد ألف كتباً في الفلسفة ومنها كتاب في بيان «مدى السر الطبيعي». وقد نقل عنه البيروني في كتابه المسمى بالآثار الباقية ص ٨٣ ومنها كتاب آخر في شرح الوجود ورسمه وقد شاهده الشهرزوري وارتضاه وكانت عنده نسخة منه.

وقبل ان يزور أبو عبد الله الثاني بخارى كان أبو علي يقرأ الفقه على اسماعيل الزاهد ولما ورد أبو عبد الله بخارى أخذ عبد الله أبو الشيخ أبي علي بن سينا الى بيته وأضافه عنده ليدرس ابو علي عنده الفلسفة فقرأ هذا على الثاني بعضاً من المتطرق وقسمه من هندسة اقليدس ولكنه بعد ان درس ستة من الاشكال الهندسية ونهم طريق حلها استخرج باقي الاشكال ودرسها من نفسه وقرأ أيضاً بعض المجسطى عند الثاني ولم يشكل عليه فهم بقية الكتاب ولكن أباه لم يقدّر هذا الاستاذ حق قدره فهو يحتقره فيما يقول عنه وبما يقول فيه انه قرأ عنده ظواهر المنطق وأما الدقائق فلم يكن للتأني للنام بها، ويقول ايضاً «عندما شرعت في قراءة المجسطى قال لي اقرأ الكتاب وأوضح مسائله ثم اعرض علي أفكارك لأصلح

لك الخطأ ولأدراكك على الصواب ولكن هذا الرجل (اي الثاني) لم يكن يفهم الكتاب، ففهرعت أنا في المطالعة والدرس وأوضح ما أشكل من القضايا والمسائل وما أكثر القضايا التي لم يفهمها حتى عرضتها عليه وأوضحتها له »

ثم سافر الثاني بعد ذلك الى مدينة جرجان وظل أبو علي يطالع الكتب الفلسفية ويدرسها وحده وقد نجح في ادراك اكثر مطالبها وايضاح معظم مسائلها المشككة المويضة

ثم أقبل ابن سينا على دراسة الطب وهو يستند ان هذا العلم ليس من العلوم الصعبة ولذلك تمكن من اتقائه في زمن قليل واشهر فيه فقصده علماء هذا الفن وأخذوا يقبلون عليه للاخذ عنه فأصبح مقصداً لعلماء هذا الفن ومحطاً لرحلم . وكذلك قصده المرضى فجعل يداوي من قصده حتى برع في الطب ووقعت له تجارب ذات شأن ربما لم يسبها من كان قبله . وكان اشتغاله بالطب بينما كان يدرس الفقه وهو لم يتجاوز السادسة عشرة ثم عاد الى دراسة المنطق والفلسفة وأخذ يدون القضايا الفلسفية ثم يعرضها على القوانين المنطقية واستمر مثابراً على عمله هذا زمناً لا يقل عن ثمانية عشر شهراً لم يم فيها الا قليلاً طرفاً من الدليل فأقن الفنون المنطقية والطبيعية والرياضية وقهها وأوضح ما أشكل منها . ثم شرع في دراسة علم الآسميات وقرأ كتاب (ما بعد الطبيعة) لارسطاطليس وأعادته اربعين مرة حتى حفظه عن ظهر قلب ولكن مع ما بذله من الجهد لم يتمكن من فهم ما حواه الكتاب من المطالب فتطرق اليه اليأس وربما اراد الانصراف عن تعلم الآسميات ولكن واقاه الخط وقتاً ما عثر على رسالة لابي نصر الفارابي كان قد كتبها لبيان اغراض ارسطو في (ما بعد الطبيعة) فكانت هذه الرسالة أحسن سبب في فضاء ما أشكل عليه من علم الآسميات ففهمه واتقته كسائر العلوم . ثم ارسل اليه نوح بن منصور ودعاه ليداويه فأنهز الشيخ هذه الفرصة ولم يضيعها وطلب من الملك الساماني ان يسمح له بالدخول الى المكتبة الملكية فأذن له وكانت هذه المكتبة من المكتبات العظيمة تحتوي على كتب ومجلدات نفيسة نادرة الوجود فدخلها ابن سينا وأقبل على المطالعة والقراءة وأكب على الاخذ من كتبها النفيسة وأعمل حافظته فأخذت تلمهم ما يجد امامها من قنون وعلوم وعثر هنالك على كتب لم يرها احد قبله فشرع يكتب عنها مذكرات نافعة قيمة ذات فوائد عظيمة ولم يبلغ الثامنة عشرة حتى اتقن العلوم الفلسفية . اي اتقان وارثوى من منهلها العذب وبل غلته . واتفق ان تطرقت النار الى هذه المكتبة العظيمة واحترقت بما حوته من الكتب وذلك بعد خروج ابي علي منها فرماه أعداؤه بالهمة ونسبوا اليه احراق المكتبة لينفرد بالعلوم والكتب التي اكتسبها منها وليشتهر بهذه العلوم وينسبها الى نفسه . ولكن مؤلفات هذا التطاسي العظيم التي حوت العلوم الفلسفية والحكيمة قد ملأت الفراغ الذي أحدثه احراق المكتبة وسدت تلك الثغرة التي

حدثت من جراء ذلك . ثم شرع أبو علي في التأليف وصنف كثيراً من الكتب واثق ان توفي والده في تلك الايام — والظاهر ان وفاته كانت سنة ٣٩٢ هـ — قصدى الشيخ بعد ذلك للاممال السلطانية التي كانت لايه واستمر في ذلك العمل حتى اضطربت احوال ماوراء النهر واحتلت الامور فسافر الى خوارزم اضطراباً وتزلزلاً ضعيفاً كرمياً على أبي الحسين السهلي وزير علي بن المأمون خوارزمشاه فأكرم منواه وتلقاه بكل ما يليق بمقامه وطلب اليه أن يصنف الكتب — وكان أبو الحسين السهلي هذا من جلة أهل الفضل والادب في ذلك العصر وكان ينظم الشعر وله اشعار عربية رائعة ذكر بعضها صاحب معجم الادباء في كتابه . وكان وزيراً لخوارزمشاهية ، وفي سنة ٤٠٤ هـ أي في عصر المأمون بن المأمون سافر الى بغداد دار الخلافة الباسية وطاش فيها الى سنة ٤١٨ هـ — وأما أبو علي فقد طاش في سمة ورخاء في البلاط الخوارزمشاهي ونال من علي بن المأمون والمأمون بن المأمون بمدة كل اكرام وطاش بعض أهل الفضل واحتلط بجلّة العلماء كأبي ربحان البيروني وأبي نصر بن عراق وأبي سهل المسيحي — وكان أبو سهل عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني من اعظم علماء هذا العصر وله تأليف كثيرة منها كتابه المعروف (بالمائة) في الطب . قال ابن البري في كتابه تاريخ مختصر الدول « ودرس ابن سينا الطب على أبي سهل المسيحي » وهو من تأب فيها بقوله والظاهر انه قول لا يبا به لان أبا علي لو كان متلمذاً عليه لذكره في رسائله ولو اعتقد فيه كالتأني لذكره أيضاً . ثم من ابن نعلم أن أبا سهل كان في مدينة بخارى ؟ وبعد هذا كله فان أبا علي قد صرح ان الطب ليس من العلوم الحرجة وانه قرأ على نفسه ولم يدرسه على احد ولم يشر احد من المؤرخين الى ذلك فكون أبي سهل من اساتذة أبي علي لا يخلو من تأمل

وفي سنة ٤٠٣ هـ سافر أبو علي من خوارزم لسبب غير معلوم ولعل عدم اكتراث خوارزمشاه لأبي الحسين السهلي الحامي لاهل العلم والادب وعدم الاهتمام به كان هو السبب . وقد ذكر صاحب كتاب (جهار مقاله) في السبب الذي سافر من اجله أبو علي حكاية لا ريب في سقمها حيث يقول إن قراره كان خوفاً من السلطان محمود التزنوي بين الدولة وقد علل القاضي نورالله في كتاب مجالس المؤمنين ذلك وقال أن تشيع أبي علي وتمصّب السلطان لمذهب اهل السنة كان سبب هذا الخوف فأراد أبو علي ان يذهب الى شمس المعالي قابوس بن وشمكير الذي كان من السلاطين المتشيعّة والظاهر ان أبا علي لم يقصد قابوساً لتشيعة بل لانه كان من الفلاسفة والادباء وكان يحب اهل الادب ويهمهم فقصده لذلك . غير انه لما كان على وشك الذهاب الى جرجان مع ان قابوساً قد قبض عليه وسجن ثم قتل فاضطرّ الى السوء الى دهستان ومرض هناك ولما عادت اليه صحته وتماقي من مرضه ذهب الى جرجان . وفي كتاب (جهار مقاله) رواية

عن زيارة الشيخ لقابوس بن شمسكير والطريقة التي داوى بها الشيخ أحد أقارب هذا الأمير وقد نظمها مولانا جلال الدين الرومي في الجزء الأول من كتابه المسمى بالمتوي . غير أن الاستفادة من رسالة أبي علي أنه لم يلاق قابوساً . فلا بد لنا إذن من أن نقول أن الرواية المذكورة في كتاب (جهار مقالة) - قيمة لا أصل لها

ويقول أبو الفداء في تاريخه أن أبا علي قد ذهب إلى قابوس بعدما أقام عند مجد الدولة البويهية وخدمه مدة ولكن الذي نعلمه هو أن أبا علي سافر إلى الري في سنة ٤٠٤ ولم يكن قابوس حياً في ذلك التاريخ . وعند ما كان أبو علي مقيماً في جرجان استأجر له أحد الفضلاء ينأى إلى حطب بيتيه وأرسل أبا علي فيه وكان يتولى أموره ويصمدها وهنا انفصل به أبو عبيد الجوزجاني للمشار إليه آنفاً ألا في ذكره في محله وكان هذا يحرض الشيخ ويستفزهمته في التأليف والتصنيف . وكان الشيخ يتصدى لبعض الأعمال السلطانية في جرجان أيضاً ولم يكن لديه متسع من الوقت للتأليف والتدريس . ومن الكتب التي ألفها في جرجان المجلد الأول من كتاب القانون ومختصر المجسطى وبعض رسائل ألفها لأبي محمد الشيرازي . ويستفاد من مقدمة هذه الرسائل أن الشيخ قبل وصوله إلى جرجان أصيب بمرض صعبة كان أبو محمد الشيرازي سبباً في تخفيف وطأتها . ومن جرجان قصد مدينة الري وخدم مجد الدولة وأمه المرووفة بالسيدة والمساءة بزييدة وداوى مجد الدولة وكان مرضه السوءاء ثم سافر إلى قزوین ومنها إلى همدان واتصل بكذبويه - ولم نعرف من هي - وورد على شمس الدولة بن غفر الدولة حاكم همدان في مجلسه وشفاه من مرضه الذي كان يشكو منه وقد اختلفوا في السنة التي سافر فيها الشيخ إلى همدان فالشهرزوري يقول في كتابه سافر قبل بدر بن حسنويه (وحسنويه هذا كان يحكم بعض بلاد كردستان) وقال أبو عبيد في مقدمته أن سفره هذا كان بعده قتل هلال بن بدر بن حسنويه . وأنا نعلم حق العلم أن بدر بن حسنويه وأبيه هلالاً قد قُتلا (سنة ٤٠٥) فعلى قول الشهرزوري يكون سفر الشيخ إلى همدان قبل سنة ٤٠٥ أو بعد هذه السنة على ما قال أبو عبيد في مقدمته . والظاهر لنا أن الثانية أصح لأن الشيخ قد طالت إقامته في جرجان وذهب من هناك إلى الري وقزوین . ثم إن رواية أبي عبيد أصح ولعل الاشتباه الحاصل للشهرزوري هو من تصحيفه كلمة (قتل هلال) إذا كان قد قرأها (قبل هلاك) بدر بن حسنويه فنقلها كذلك . وأما أبو علي فقد أصاب منزلة رفيعة عند شمس الدولة البويهية ولازمة في إبقائه فاستوزره وفوض الأمور إليه ويظهر أن تصديه للوزارة كان بين سنتي ٤٠٥ و٤١٢ لأن حوادث سنة ٤١١ تذكر لنا تاج الملك بهران وزيراً لشمس الدولة وأما قبل ٤٠٥ فلم يكن قد سافر الشيخ إلى همدان . وكان قد ضف أمر الدبيلة وأقل نجم سعادتهم ولم يبق لهم في بلاد الحليال ما كان لهم من القوة وحاج الجند ونهبوا دار الشيخ أبي علي

واحتق هو خوفاً على نفسه ولم يضيع هذه الفرصة فاشتغل بالتأليف في أيام اختفائه ولم تمض ٤٠ يوماً على ذلك حتى أصيب شمس الدولة بالقولنج فاستدعى أبا علي لـلـداويه وفي بعض الروايات أنه استوزر الشيخ ثانية . وفي سنة ٤١٢ توفي شمس الدولة وخلفه من بعده ابنه مملوك الدولة وقبض على الشيخ وحبس في قلعة فردجان وبقي عسجوراً عليه وله في هذه القضية قصيدة مطلعها : —
دخولي في اليقين كما رآه وكل الشك في إمر الحروج

ولم يفته أن يستغل هذه المدة ويضمّن هذه الفرصة فقضاها في التأليف والتصنيف فألف فيها شطراً من كتبه وتأليفه . وفي سنة ٤١٤ هاجم همذان علاء الدولة أبو جعفر كاكويه حاكم اصفهان الذي كان أبو علي منهماً بمكانته وحبس لاجله ففرّ تاج الملك ومملاء الدولة من همذان. ولما رجع علاء الدولة عنها طاردا إليها واخذها في استمالة الشيخ ووعده بالحنى . ولما بنس من انجاز ما وعده به سافر مستتراً الى اصفهان. والذي يظهر لنا من رسائله وما يرويه غيره أنه لاقى شدة وعنة في همذان وإن الدجالين من أهل العلم والادب قد آذوه وناصبوه البداء واتهمه بعضهم بمعارضة القرآن الكريم واتخذوا بعض خطب الشيخ في التوحيد والآلايات دليلاً لمذاهبهم . ويظهر من كتاب ارسله الشيخ الى أبي عبيد الجوزجاني أن بعض الفضلاء قد رشا بعض الدجالين ليهموا الشيخ في منقده ومذهبه ، ومن الخطب التي استدل بها أعداؤه على زيفه هي الخطبة المسماة بالزواء وقد شرحها الحكيم عمر الحياحي في سنة ٤٧٢ بالفارسية وكان أحد فضلاء همذان يقول إن الكلّ الطيبي له وجود في الخارج وكان الشيخ مارعاً له ويظهر أن هذه المعارضة قد اشتدت بينهما حتى اضطرّ أبو علي أن يستغنى علماء بغداد ويرض المسألة عليهم ليحكموا فيها

ولا نعلم على وجه من الوجهة السنة التي سافر فيها الشيخ الى اصفهان ولكن المظنون أن سفره هذا كان بعد ٤١٤ . والذي نستفيد من مقدمة أبي عبيد الجوزجاني على كتاب « الشفاء » أن هذا الكتاب قد تمّ تأليفه في اصفهان وكان الشيخ في ذلك الحين قد بلغ من العمر أربعين سنة ولكن لا يمكن الركون الى هذا القول لأنه يتقضى في شرحه لسيرة أبي علي حيث يقول أن أبا علي لم يتوجه الى اصفهان إلا بعد أن انقضت مدّة طويلة على وفاة علاء الدولة ومهاجرة همذان . فإذا كان ما يدعيه أبو عبيد من أن عام تأليف كتاب الشفاء في اصفهان وإن عمر الشيخ كان في ذلك الحين أربعين سنة فيلزم أن يكون الشيخ قد توجه الى اصفهان قبل الواقعة بسنتين حيث شرع هناك بإتمام التأليف . ولكن أبا عبيد قد نقض هذا القول . وأقام أبو علي في اصفهان عند أبي جعفر كاكويه

فارغ البال منعم الحال وهرغ الى التأليف والتصنيف فأظهر درر فضائله ودون غرر حكمه وأودعها بطون كتب لا زال البشر يستفيد منها ويرتوي من منهلها العذب . قال ابن الاثير « أبو جعفر كاكويه كان ملحداً زنديقاً ولذلك صنف أبو علي كتبه في الزندقة والاحاد ورد الانبياء عنده » ولكن لم نعلم حتى الآن اي كتاب لابن علي كتب على رد الانبياء على اتنا نقول ان الرجل قد أيد الانبياء وأخذ بجانبهم الى حد ما وكان أبو جعفر يعقد في كل ليلة من ليالي الجمع مجلساً ويدعو اليه العلماء فكان أبو علي يتكلم ويتكلمون ويباحثون في شتى المسائل . ومن الامور التي اقترحها علاء الدولة على الشيخ فأجيب طلبه وقام بما اراد هو الرصد الذي اشتغل به الشيخ مع تلميذه أبي عبيد الحوز جاني مدة لا تقل عن ثمانين سنة ولكننا وبالأأسف لا نعلم من ذلك الرصد والامر الذي انتهى اليه شيئاً . وكان أبو علي ملازماً لابن كاكويه في جميع اسفاره ومنها التي دارت فيها الحرب بين علاء الدولة وحش خراسان في سنة ٤٧٣هـ وقد حضرها أبو عبيد واصيب بالقولنج وكان يجب مصاحبة علاء الدولة وعدم التخلف عنه فاستعمل ادوية حادة أثرت فيه فانصرفت صحته ووضف مزاجه فاعتلّ وفقد نشاطه ولم يقدر على القيام بالامور كدنى قبل وزاد الطين بلة ما ارتكب بض الاطباء وغلمانهم من ذوي الاغراض حتى استعمل من الادوية اكثر من اللازم فأحدث له ذلك غصاً في الامعاء وأدى الى وفاته وذلك سنة ٤٢٨هـ وهذا قول أجمع عليه المؤرخون وكتبه أبو عبيد أيضاً فعلى هذا يلزم ان يكون الشيخ قد عمر ٥٨ سنة . ولكن أبا عبيد قد احتلط عليه الامر فهو يقول ان الشيخ في سنة ٤٠٤ كان يناهز الثانية والثلاثين من عمره فعلى هذا القول تكون ولادته في سنة ٣٧٣هـ ويكون عمره عند وفاته ٥٥ سنة يدان أبا عبيد مع انه يتفق مع غيره في سنة الوفاة يقول ان عمره كان ثلاثاً وخمسين سنة وهذا سهو منه

ولكن هناك ملاحظة أخرى وهي انا اذا جلنا بكلي (شجع) و (تكرز) المذكورين تاريخاً للولادة والوفاة فكلية (تكرز) تساوي ٤٧٧ وعلى هذا يكون عمره ٥٤ سنة وهذا لا يطابق ما كتبه أبو علي عن نفسه في سيرة حياته . وقد اختلف المؤرخون في محل وفاته وقبره أيضاً . قال ابن الاثير في وقايح سنة ٤٢٨هـ « وفيها توفي أبو علي بمدينة اصفهان » وهناك قول آخر بأن الوفاة كانت في مهران وحمل جثمانه الى اصفهان ودفن فيها . والمصحح انه توفي في مدينة مهران ودفن فيها وقبره معروف هناك يزوره السائحون والناس

[لبحث تمة]

الشعلة الدستورية

للنيسى المقرسى

استاذ الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية



الشعلة الدستورية سنة ١٩٠٨

وانقضاء العهد الحميدي

أدرك أحرار الأتراك حرج الموقف السياسي ، وكانما نظروا بلحظ النيب الى العواقب السيئة بل الى الاستعجار المتوقع من استمرار الدولة على فسادها فعموا الى اصلاح الحال ويمكنوا ان يحملوا السلطان عبد الحميد عند تسلمه العرش سنة ١٨٧٦ على اعلان الدستور والحكم التيايى لكن ذلك الدستور لم يلبث — كما رأينا — ان خفق في المهذ . وعادت الدولة الى نظام الحكم الفردي فكان ما عرفناه من تفاقم الاضطراب السياسى والاجتماعى طيلة العهد الحميدى (١) . ولعل الايات التالية لولي الدين يكن ترسم لنا بوضوح صورة ذلك العهد . قال (٢)

يبكى بنوك ويضعك الزمنُ ماذا أصابك أيها الوطنُ
ما أوشكت ان تنتهي عن الا وجاءت بعدها محنُ
أما الرسوم فانها درستُ أما الرجال فاتهم دفتوا
المصر راجت سوق باطله فالحق فيه ما له من
يا قوم هبوا من مضاجعكم طال المدى حتم ذالوسنُ

وما رآه ولي الدين في تركيا نفسها رآه جميل الزهاوي في العراق فقال من قصيدة موضوعها « نحن في غفلة » (٣)

(١) راجع وصف هذا الاضطراب في مقالات الانقلاب الثماني — الهلال م ١٧ ولا سيما
م ١٥٧ — ١٦٣ (٢) دبوانه (الطبعة الاولى) ٣٢ (٣) ديوان الزهاوي (مصر) ١٩٢٤ ص ٢٩١

نحن في غفلة نيامٌ وعنّا ثابت الزمان غير نيام
نحن في دولة تداركها الله تبيح المحظور للحكام
وعدها بالاصلاح جمٌ ولكن لا يجوز الاصلاح حد الكلام
نحن قوم قضت ارادة شخص واحد ان نعيش كلاً تمام

ومن الطبيعي ان يصعب الاضطراب الاداري اشتداد العوامل الهدامة من الخارج ومن الداخل . وقد صدق روجي الخالدي اذ قال ^(١) « فبسبب تشويش الادارة وتذبذبها لم يعد للحكومة قاعدة مضطردة ولا اصول مرعية لا في سياستها الداخلية ولا الخارجية ولذا سقط اعتبارها عند الدول الاجنبية حتى نجروا على تهديدها في المسائل الطفيفة العادية وسقط اعتبارها أيضاً في نظر رعاياها وصار أكثر الموجودين منهم في الديار الاجنبية يأقون من دخولهم في التابعية العثمانية » فلا عجب اذا رأينا ممتلكاتها البلقانية تفصل عنها واحدة بعد واحدة فضلاً عن كريت وقبرص وسواها . وفي الشعر العربي اشارات كثيرة الى ذلك كقول الزهاوي ^(٢)

رعي الله شعباً أهملته رعايته وملكاً كبيراً ركنه مترزع
تقطع منه كل يوم مدينة وما الكف الا أصعب ثم أصعب
وكقصيدة في جريدة المشير مطالعها ^(٣)

ذهبت ويا للهول أرض كريد بمصائب هتكت ستار النيد
وكلها طعن في جسد الحميد وسياسة التي أدت بزعم القاصر — الى تجزئة الملكية وزعزعة
أركانها . وكثيراً ما رى هذه الاشارات الى ضعف السلطة مقرونة بشعور الاسى والجزع كقول ولي الدين في مناه الى سيواس ^(٤)

يقول أحبتي صبراً وهل في النار يُصطبِرُ
ونحن أماننا وطن نراه اليوم يحترق
فن يهزج فمذور ولكن قل من غدروا
فيا أفق التهب حزنًا وجد بالدمع يا مطر

ففي مطلع القرن العشرين رى السلطة الثانية بين المطامع الاوربية والفساد الداخلي في موقف شديد الدقة . وكما تمكن الاحرار في مثل هذا الموقف سنة ١٨٧٦ من اعلان الدستور طادوا بعد اثنتين وثلاثين سنة تحت لواء « الاتحاد والترقي » قاضوا عبد الحميد الى اعلانه والشروع في انتخاب نواب الامة . وهكذا كان يوم ٢٤ تموز (يوليو) ١٩٠٨ يوماً عظيماً في تاريخ السلطة

(١) الهلال ١٧ — ١٦٢ (٢) الباب ١٣ (٣) المشير ٢٧ فبراير ١٨٩٧ لاسد حادي

(٤) ديواته ٥٦

العثمانية اذ تقادى زعماء الامة بالحربة والمساواة والاخاء فتجاوبت أصواتهم في أنحاء البلاد وكان لها دوي عظيم بين أبناء الشرق العربي

(الاستبشار العام بالهد الجديد) وإعلان الدستور سرت في قوس العثمانيين عموماً وأبناء العربية خصوصاً لقوة جبر لم يمهدها مثيل. فقدوا الحفلات الباهرة في الوطن وفي المهاجر. وانبرى خطباؤهم وشعراؤهم يشيدون بحسنات الانقلاب وأعمال القائمين به^(١). ولا بالغ اذا قلنا انه ما من حدث حرك الاقلام العربية كهذا الحدث العظيم فقولنا قول من شهد بعينه تلك الحال وعرف باختباره شعور الناس وشاركهم في غبطتهم العامة وأماهم الواسعة. خذسوريا ولبنان مثلاً وراجع صفحتها لذلك العهد فتدرك عمق ذلك الانتصار الادبي فيها. ويكفي ان نلح هنا الى قصائد عبد الله البستاني، وعجي الدين الحياط، وشكيب أرسلان، والياس فياض، ونقولا فياض، وقارس الخوري، وأمين ناصر الدين، وعبد الرحمن سلام، ومصطفى الفلاييني، وشبلي ملاط، وبشارة الخوري، وسوام من شعراء الوطن، وسعيد شقير، وأسعد رستم، والقاهر القروي، وشبل دموس، ونوم مكرزل وأمثالهم في مصر والمهاجر القريبة. هذا فضلاً عن عشرات الاناشيد الوطنية والازجال العامة التي لبست من البيان سعة لم يمهدها في عهود الاستبداد

وما يصدق على سوريا ولبنان يصدق على العراق ايضاً. وهناك الزهاوي، والرسافي، والنجي، والبادي، والشبيبي، والمهنداوي، والازري، والعبيدي ممن شهدوا هذا الانقلاب وكان كلامهم معبراً عن عواطف الامة

وقد رسم لنا الزهاوي يومئذ صورة لبغداد كمد مثلاً صادقاً لجميع المدن العثمانية. قال^(٢)

وقفتُ والين تبكي من مسرتها أمام شعبه من الافراح عجنج

أمام مجرمي الافكار مضطرب أمام جيش من الاصوات رجراج

ان الشعوب اذا حاجت عواطفها كالبحر يضرب أمواجاً بأمواج

أزاء هذه ألحمة الدستورية لشي شاعرنا ما كان يثير اشجاناً من مساوي العهد الماضي —

عهد الظلم والجهل والقوضى — كما كان ينهض قبلاً، فقال والامل يملأ فؤاده^(٣)

البرق أهدى لنا بشري بها هدأت أرواحنا بعد طول الخوف والرهيب

بشري كما تبتني الآمال صادقة أجلبها الناس من قاصي ومقرب

لقد أفرّ لمصري أعيناً صحت ما ناله فئة الاحرار من أرب

(١) قال الملتطف (٣٣ — ٩٠٥) كان لاعلان الدستور أعظم وقع في قوس العثمانيين فنقدوا له خلات باهرة في بلادهم وفي كل البلدان التي هاجروا اليها تلي فيها من الخطب والقصائد ما لوجع للامجدات كثيرة. (٢) ديوانه (١٩٢٤) ٢٧٤ (٣) ديوانه (١٩٢٤) ٢٧٥

وقال آخر يصف شعوره وشعور الناس في إحدى حفلات الدستور في بيروت (١)
 « هذه أول مرة شرت فيها بالوطنية التي يشعر بها كل من قدر الوطنية قدرها . وبترأور
 الناس من جميع الطبقات وهم فرحون منشرحو الصدور قاليوم شعر السوربون بطيب الحرية
 وأدركوا سوء منية الاستبداد والاضطهاد وعرفوا ان التصب الذي يفرق الكلمة بفرق القلوب.
 اليوم دروا ان أوربا لم تستفعل صوتها الا بالاتحاد ، ولا اتحاد مع التصب »
 وليس في هذا الكلام شيء كبير ولكنه شعور الناس يومئذ . وقد كان ذلك الشعور يتدفق
 شعراً ونزاعاً على ألسنة كبار الادباء وعلى ألسنة صغارهم وكان للشعر العامي نصيب وافر منه
 ولا سيما في لبنان ومهاجرة ومن أمثله قول أحدكم أرنجبالاً (٢)

يا اسلام ومسيحيه اجمعوا لي ها القضية
 اهل الارض بطول وعرض يقولوا تحيا الحرية

أهل الارض بطول وعرض يقولوا تحيا الحرية
 فليجبا نيازي وأنور والحيوش الشاهانية

أهل الارض بكاملها من أولها لآخرها
 تركيا الله بعمرها بجاء رب البرية

بطل روح الاستبداد نادوها بكل البلاد
 زمان الماضي ما ينقاد الظلم نجومه مخفيه

وقد اشترك في هذا التهليل اشهر قوامي ذلك الحين تحليل النغالي الشعروزي والياس الفران
 وسواهما . وللاول تخمس دناه صوت الحرية ومطلعه

صوت البري من قاع يوسفورالميق لما وصل لله من أقوم طريق
 المجد ظلل حزب تركيا الفتاة واتصر عهد الجديد على السيق

المجد ظلل حزب تركيا الفتاة والروح لبستها بعد ذاك المات
 والرب أوهبها علا ونصر وحياة من بعد ما كانت حزنة بائسة
 والمظالم راح يتحقها حقيق

(١) جريدة لسان الحال ١ آب ١٩٠٨ (٢) الاداب في القرن التاسع عشر (شيخو) ٢ - ١٦٢

وقد ذكره الاب شيخو في متجذاته الدستورية . وكذلك ذكر « فرّادية » للفرّان مطلقا

كنت بأصغر بلّيه بسجن البوديه

وبعض أقوال المهاجرين فلتراجع^(١)

ولم تقتصر مصر في مشاركة سائر الاقطار الثمانية بهذا الابهاج العام . على أنه لا مناص للناظر المتعمق في الحوارج الشعرية يومئذ من ان يلح هنا كالمح من قبل شيئاً من التفاوت بين النزعة المصرية الصميمة وغير الصميمة . فبينا ترى الاخيرة تفرق البطة الدستورية بذكريات العهد البائد وما أثر رجال الاتحاد ، ونحوم دائماً حول ما كان يقاسيه الناس من ظلم واضطهاد . ترى الاولى هزجة بالعرش الثماني داعية الى توثيق عرى الاخلاص له . ولما ترى فيها ما يشير الى اضطرابه أو فساده ، وحال الرعية في أبان استبداده . وهذه قصيدة شوقي في الدستور الثماني^(٢) ومطلعها

بشرى البرية قاصيا ودانها حاط الخلافة بالمستور حاميا

فهي قبض من الجود ، وبشرى وضاعة بمستقبل زاهر ستقر له عيون الثمانين ولكنها عند التحقيق قلادة دويبة يضما في عنق السلطان . اثنا وخمسون بيتاً أكثرها يدور على السلطان وعمله العظيم في اعلان الدستور من مثل قوله —

أسدى البنا أمير المؤمنين يدا جلّت كما جلّت في الاملاك مسديها

وليس مستظلاً فضل ولا كرم من صاحب السكة الكبرى^(٣) ومنفيها

إنّ التدى والرضى فيه واسرته والله للغير هاديه وهاديا

خلافة الله في احضان دولتهم شاب الزمان وما شابت نواصيا

بل هو يزو الى عبد الحميد قبول الدستور [راضياً مرضياً وأنه لو أراد لرفضه وأحدث حرباً أهلية عظيمة —

حققت عند مناداة الحشوش بها دم البرية ارضاء لبارها وهكذا يجري في مدحه وتبيان فضله ولا يشير الا بيت واحد فيها الى رجال الدستور وفي نهايتها ينهى الثمانين ويشير الى حال مصر والى آماني المصريين فيقول —

يا شهب عثمان من ترك ومن عرب حبّك من يمت الموتى وبجيبها

صبرت للحق حين النفس جازفة والله بالصبر عند الحق موصيا

ما بين املاك اللائي ظفرت بها وبين مصر معان أنت تدريا

(١) الآداب في القرن التاسع عشر (شيخو) ٢ - ١٦٠ - ١٦٢ (٢) التوقيات ١ - ٣٥٨

(٣) اشارة الى السكة الحديدية المحاذية

ومثل شوقي حافظ إبراهيم في قصيدته « نحية الاخلاص » ^(١) للامة الثمانية الدستورية
 فيها يمدح السلطان عبد الحميد لاعلائه الدستور ومدّه سكة الحجاز . ويستهلّها بقوله —
 اتنى الحبيج عليك والحرمان
 ارضيت ربك اذ جعلت طريقه
 انا وفزت بنعمة الرضوان
 شئ المذاهب حجة الاضغان
 وجعت بالدستور حولك امة
 ومنها مشيراً الى سرور الناس بالحرية —

تلجعت صدورهم وقرّر قرارهم
 يا يوم عاد النازحون لارضهم
 لله كم الحفّات من نار ذكت
 هذا يطير الى «فروق» ومن بها
 خلوا الشباب على البشير وأخلقوا
 لما حلفت باوثق الأيمان
 يساقبون لرؤية الاوطان
 دهر أوكم هدأت من اشجان
 شوقاً وذاك الى ربى لبنان
 باقم عهد خليفة الرحمن

وينتهي باللائمة على شريف مكة ويحمل عليه وعلى أعوانه همه شعواء . وفي القصيدة وصف
 للحرية ممشوقة الجميع . وذكر خاص لشهر تموز (يوليو) شهر الدستور ومن أن يكون لمصر نصيب منه —

تموز أنت أبو الشهور جلالة
 تموز أنت منى الاسير العاني
 هلاّ جعلت لنا نصيباً علينا
 نخبري مع الاحياء في ميدان
 ايمود منك الآملون بما رجوا
 ولعود نحن بذلك الحرمان

وهي تدعو الى الوثام والانحداد في ظل الهلال

وعلى غرار شوقي وحافظ أكثر قنات المصريين الدستورية . ويقابلها قنات الذين ذاقوا مرارة
 الهدد الحميدي : فيها كما أسلفنا بقرن الحبور بذكر الماضي ، كما ترى في شعر ولي الدين يكن
 ومنه قصيدة في افتتاح البرلمان الثاني يقول فيها ^(٢)

بالاس كنا مشيراً
 تبكي لحالتنا المعاصرة
 فتنادنا الابدي الائمة لسجون والعقابر
 وبصول أنصار المليك على الاكابر والا صغار

ومنها مشيراً الى المجلس الثاني : —

له قصر شامخ مد التواظر عنه قصر
 قصر به يلو التنا وي رأس مأمور وآمر

وتحيث عاطفة الشكر في نفسه فيقول
يا دهر شكرك واجبٌ يا دهرُ ما في الناس كافرٌ
لم يبق ظلمٌ يتقى دارت على الظلم الدوائرُ

هذا الميل الى مقابلة العهد الحاضر بالعهد البائد — الى ذكر المساويء التي كانت زعج الناس وتؤلهم تعظيماً لحسنات الدستور وبما كانت تكظمه الصدور تراء شاملاً في المنظومات الدستورية خارج الحلقات المصرية . وقد ذهب الشعراء في ذلك كل مذهب وهاموا في كل واد . ولا يدع فهم يبرون عن شعور أمة كانت ترسف بقيود النبل فجاءها فجأة من حطمت تلك القيود ، وأطلقتها حرة تم بسادة الوجود . ولو أردنا ضرب الامثلة على هذه الظاهرة الروحية لملأنا صفحات عديدة من قصائد الشعراء وخطب الخطباء ولكننا نكتفي هنا بأعجوبة منها . وهو آيات من قصيدة لسعيد باشا شقير قال فيها مخاطب الجند الذين تم على أيديهم اعلان الدستور

اليوم نمرحُ احراراً بفضلكمُ نفدو ونمسي ولا تم ولا نعصبُ
قد أطلق الحر من سجنٍ أحين به وحاد للوطن المحبوب مغربُ
فلا جواسيس نخشى من وشايهم ولا جرائم تأينسا فترعبُ
تام في الليل لا الاحلام تقلقنا ونهض الصبح لا خوف ولا رعبُ
كم بين حال اقتنا كلها طربُ وبين حالٍ عدتها كلها رهبُ
ومثلاً قول قولاً رزق الله من قصيدة مطلقاً^(١)

يا ايها الناس حبوا ذلك السلمنا وسبّحوا مانع الحرية الأما
وفيها يطلب من الناس مناصرة عصبة الاحرار الذين احيا البلاد ، وحرروا البلاد
والدعاء لهم بالبقاء حتى تدوم للوطن هذه الآلاء . ثم يلتفت الى العهد الماضي فيقول
سواكم العدل اخواناً سواسيةً فليس يُظلم فيكم غير من ظلمنا
وليس يقضى اديب عن مواطنته ولا يضام عليهم قال ما علمنا
ولا يكافأ ذو مال لثروته ولا يجازى فقير فقره أئسنا
ولا يقوم على النذل الموزنُ كن قد شقّه الداء حتى طاش السما
لا يبين بحق من حقوقكم ذو سلطة جائرهما علا وسما



وسواءً كان الشعر العربي مائلاً للعرش العثماني ام غير مائلى فان الدستور التي عليه عموداً

مسحة ظاهرة من الزهو والاستبشار اذ فتح الناس ابواب الرجاء فأصبحوا ينظرون الى المستقبل نظر الوثوق والتفاؤل . وكان الدستور عندهم شعار السادة الفردية والقومية ومفتاح الرقي الاقتصادي والاجتماعي . شعور لذيذ هز القلوب حيناً ولكنه لم يطل

{خلع عبد الحميد} والذي يلاحظ من دراسة الشعر ان هذا الجهور العام الذي عقب اعلان الدستور كان في اول الامر مقروناً بالتناء على عبد الحميد . ذلك لان الذين احدثوا الانقلاب لم يمسا بادى ذي بدء عرشه فظل حيناً يتمتع بنفوذ عظيم . على انه لما حدثت الفتنة الرجعية سنة ١٩٠٩ رأى الدستوريون ان في بقاء ذلك السلطان خطراً على نظامهم فغلموه في ٢٧ نيسان من تلك السنة واجلسوا على العرش اخاه محمد رشاد . وبجملته سرت هزة شعرية لا تقل عن هزة الدستور : فتصجرت القلوب بما كانت تكنه لشخصه ولهمده ، واخذ الشعراء في سوريا والمراق والمهاجر يتبارون في تمديد مساوئه . ومن امثلة ذلك قصيدة فارس الحوري^(١) مطلعها

الله اكبر فالظلام قد علوا
لاي منقلب يفضي الاولي ظلموا
لقد هوى اليوم صرح الظلم واتقضت
اركانه وتولت اهله التسقم
ومنها يخاطب عبد الحميد ساخراً به ذا كراً بعد اسلافه

شادوا لك الزمة التمساء من قدم
فجئت تهدم ما شادوا وما رسموا
كانت لهم دولة بالسيف ناهضة
وفي زمانك لا سيف ولا قلم
حدثت ما زرعو فرقت ما جموا
هدمت ما رفعوا يمرت ما نظمو
وهي طويلة وكلها من هذا النفس البليغ . وأشد منها تشفيماً قول احد شعراء المهجر من قصيدة لشعرتها جريدة امرأة الغرب^(٢)

مضى عبد الحميد الى مكان
دمت فيه أم فقمم الرحالا
مضى وله بفعل الشر ذكر
عما ذكر الا الى كانوا مثالا
ملك قد تسربل بالخمازي
وعم الارض غدراً واحتيالاً
امير المؤمنين دعوه زوراً
فكان الذنب لم يبرف حلالاً
عدو الدين والاسلام هلاً
علت بان في الدنيا زوالاً

ولمعروف الرصافي في ديوانه قصيدة معروفة يصف فيها زحف الجيش من سلايك على الاستانة وخلمهم عبد الحميد تأييداً للحرية وحفظاً للدستور . ومطلعها —

لقد سمحوا من الوطن الانينا
فضجوا بالبكاء له حينما

(١) فارس بك الحوري (رئيس المجلس النيابي السوري الآن) راجع القصيدة في المقتطف ١٣٧-٤

(٢) الاداب العربية في القرن التاسع عشر (شيخو) ١٨٥

ونادام لتصرته قفاموا جيباً للدقاع مُسَلِّحينا
ومنها مغيراً الى زحف الجيش وارغامهم أنوف الرجيين —
أتينا دار قسطنطين صباحاً وقد فتحت لهم فتحاً مُبِينا
وظلّ الجيش جيش الله يشي بحدّ سيفه الداء الدفينا
فأرحق اقس الطاعين حتى سقام من عدائنا المتونا
وحطوا قصر يلز عن مملو له قاطعاً أسفل سافلين
هوى عبد الحميد به هويّاً الى درك الملوك الظالين
وفي ختامها — واسقط ذلك الحيار قهراً وأنباء بشاره البقين
فقرت أعين الدستور أمناً وشاعت أوجه التمردين

وله في ذلك قصيدة أخرى اسمها « وقفة عند يلز » وهي لا تقلّ عن احتها مضاعف. وفيها
يخاطب الشاعر قصر يلز بعد أن سقط صاحبه (عبد الحميد) وأرسل سجيناً الى سلاينك ،
فيذكر ما كان له من مساوئ ومظالم ويحتم القصيدة بنقطة نقرية حماسية فيقول —

إنما نحن أمة ندرأ السقيم ولا نستكين لوال
أمة سادت الانام وطابت عنصراً من أواخر وأوال
فاذا ما علا النشوم نهضنا ففقدناه سافلاً من طال
نحن من شعبة الجعيم خلقنا لأبي الجور لا من الصلصال

وهنا نحمله الحماسة الى أقصى مدى فيهدد طغاة الانام جيباً منذراً لإيام بسوء المصير فيقول —

يا ملوك الانام هلاً اعتبرتم بطوك تجور في الاضال
فاتركوا الناس مطلّين والاعتم موقنين بالاحوال



تلك كانت عواطف الشعر العربي في العراق والاقطار السورية والمهاجر . اما في مصر او
في الاوساط المصرية الاصلية فنن الطبعي ان لا نتوقع هذا الاندفاع في الحل على عبد الحميد
والتهليل لسقوطه . فالعصريون او بكلمة اصح فالشعر المصري قد قابل خله برعشة مقرونة
بالعطف والشفقة . وذلك على ما يظهر لسبين رئيسين . (١) لما ذكرناه سالفاً من ان المصريين
الحديثين لم ينزفوا من الادارة الحميدية ما ذاقه اخوانهم في الاقطار الاخرى . (٢) لانهم كانوا
ازاء احتلال اجنبي قد أثار حفاظهم الدينية والجنسية فليس من الوفاء الوطني وقد جاهدوا

مراراً بمودتهم للثمانية ان ينقلبوا على الخليفة الآن ويخطوا من شأنه امام الاجانب وقد كانوا الى الامس يعظمونه ويدعون له . فليس غريباً اذن ان تظل علاقتهم بعرش الخلافة حية فعالة ، وان يكونوا أعطف على المهوي عنه وأقرب الى الصفح عن سيئاته . وعلى ذلك نرى شوقي يقول في قصيدته « سل يلهذا ذات القصور »^(١)

خطبُ الامام على السنظيم يمزّ شرحاً والنشير
شيخ الملوك وان تَضَضَّع في الفؤاد وفي الضمير
نستغفر الله له والله يغفو عن كثير
وزراء عند مصائبه اولى يالكِ او عذير
وانظر الى روح العصف كيف يظهر في قوله مخاطباً عبد الحميد

عبد الحميد حساب مثلك في يد الملك النفور
ماذا دهاك من الامور روائت داهية الامور
دخلوا السرير عليك يحسبون في رب السرير
أعظم بهم من آسرين وبالسخطفة من اسير

وكما كان طبيعياً ان يتلبس شعر شوقي بثوب الوفاء للسلطان والعصف عليه كان طبيعياً ايضاً ان نرى شاعراً كولي الدين ذاق ما ذاق من أهوال الاستبداد يمارض قصيدة شوقي فينظم قصيدة^(٢) على وزنها ورويها مندداً بعبد الحميد معدداً سيئات حكمه كقوله : —

ان التلايين التي مرّت بنا سرّ الصبور
وهبتك تجربة الامور قصفت في جهل الامور
من كان يدعوك الخبير فلت عندي بالخبير
ويقول مشيراً الى شوقي وطبقته متألاً من عظمهم ومسيئاً الظن بمواطنهم
لما أدبل عن السرير بكاه عباد السرير
أسفوا عليه وانما أسفوا على المال الدرير
طلبوا له غفو النفور وشدّ عن غفو النفور

وما زأه في شعر شوقي زأه في شعر حافظ وإسماعيل صبري وأحمد نسيم وسوام ونود
ان لشير هنا إشارة خاصة الى قصيدتين لحافظ ^(١) قالوا لي مطلعها

لا رعى الله عهدا من جدود كيف أمسيت يا ابن عبد الجيد
ومنها — شمت المسلمون قبل التصاري فيك قبل الدروز قبل اليهود
شمتوا كلهم وليس من الهمة ان يشمت الوري في طريد
انت عبد الحميد والتاج مفقود وعبد الحميد رهن القيود
خالد انت رغم اقب البالي في كبار الرجال أهل الخلود

وهذه القصيدة ، رغم ما يتخللها من ذكر بعض السايء الحميدية ، مرتبطة بشعور
واحد هو شعور العطف والوفاء لخليفة

ولي الامر تلك قرن ينادي باسمه كل مسلم في الوجود
على ان هذا العطف اخذ يحفز في شعر حافظ وهاتين زاء في اليد الدستوري الاول
ينشد قصيدته التي مطلعها « اجل هذه اعلامه ومواكبه » فيذكر حماد الدستور وما في محمود
شوكت ونيازي وأنور ، ويقف على بلذ واصفا ما اصابه ، مددأ أو هام صاحبه واخطاه ثم يقول

سلوه أغنت عنه في يوم خلمي عجائبه او احزنته رقايبه
وأخرجه من يلدز رب يلدز وجوده من سيف عثمان واجبه
وأصبح في سقاء الجيش دونه يقالب ذكرى ملكه وقالبه
يناديه صوت الحق ذق ما أذقم فكل امرئه رهن بما هو كاسبه
مضى عهد الاستبداد وانك صرحه وولت أقاليم ومات عقارب

واذا تابنا حافظاً في قصيدته هذه التي نظمها بعد خلق عبد الحميد بنحو ثلاثة أشهر وجدنا
ان تحول عطفه عن ذلك السلطان لم ينحرف من ولائه لعرش الساني والخلافة الاسلامية فهذا
الصيد يستحقه لمجد السلطان الجديد محمد رشاد وتظيم عرشه فيقول —

لتهني امير المؤمنين محمداً خلافته فالمرش سعد كواكبه
ستملك امواج البحار سفينه كما ملكت شم الحياض كتابه
عالمه محروسة وثوره ركائبه منصوره ومراكبه

[موضوع الحلقة التالية من هذا البحث النقيس — الدستور والروح الوطنية —]

حواء الخالدة

لمجد الرحمن بكري

أنتِ يا من ألفتِ بين الفنون دوحه الفن التي تحبو الورى
وهي لولا ما جنت منك ظنون كل لحنو او قريض او دُمى
بجناها من تطوف الفاطنين نُحِيتْ اوصورة منك تكون^(١)
من حسان جمعت سحر الفنون كل من قد خلبت لب الرصين
نخبة قائمة للناظرين كُتِبَتْهَا في الناس حالاً بعد حالٍ
وخبرت الحب حيناً بعد حين قلبت الحسن شكلاً بعد شكلٍ
وفهمت الناس في ضيق ولين ورأيت الكون في ضحوته
كنت في البؤس عزاء البائسين كنتِ أمّا كنتِ أحثاً كنتِ زوجاً
وأساء موجع القلب حزين فلى صدرك يمي هم
لك ما تضرع في ماضي السنين كم قوس وقلوب بسطت
وعرفت النفس والسر الكين فرفرت القلب ما ينشده
وبلوت الخلق في مرّ القرون وفقرات الروح دهرأ بعد دهرٍ
اي سر قورى لا تمرين اي قلب مطلق لم تفتحني
يندب القردوس كل الماين كُنتِ حواء التي من أجلها
يفقد الخلق جنان الخالدين وقيل لك يا حواء ان

آدمٌ كان بجمل قائماً ناعماً بالجبل في خضف ولين^(١)
 ليس يستطلع امرأً تامضاً في ثمار العيش والسر المصون
 بكِ شام الكون غضاً زاهياً اكذا النين فيا لم النين
 جنوة القطنة في الهب وفي نفسه من حسنك النض ، شؤون
 كغفري في النسل عن لائم مضي وتي بالله خير النافرين
 لم يكن إنك الأ قدراً كي يلد الناسُ سعدَ المالكين
 لا يُحسُّ السُّدَّ إلا هالكٌ قد أحسَّ ألم في القلب الحزين
 كُنْتُ هيلين التي من أجلها خربت طير وادة ذات الحصون^(٢)
 وقليلٌ لك يا هيلين أن يهلك الأقبال في الحرب الزهون
 كُنْتُ شيرين التي قد ذلت عُنق كمرى وهو ذوالملك الكين^(٣)
 كُنْتُ نائيس إذا ما خطرت خفق القلب كبير في وكون^(٤)
 كُنْتُ سيفو اذ رمت بالشر كالجمر تُذكي لفظه للسامعين^(٥)
 كُنْتُ اسبزيا التي قد قتلت باقران الحسن والفهم القطلين^(٦)
 كُنْتُ ليل كنتِ بُشنا كنتِ عزاً باضات الوجد والعمر المين^(٧)
 كُنْتُ ما كنتِ ولكن اُستزنت لك سجر الضوء والبل النجين
 وغداً كيف تكونين وما انسبك بين الناس في الآتي الشطون^(٨)

(١) خضف العيش نبيه وكذلك الين والمراد بهم حواء المذكور في القصيدة أكلها من الشجرة المحرمة وحث آدم على الأكل منها (٢) هيلين الاغريقية الحسنة التي كانت سبب حصار وتخريب طروادة كما جاء في القصص (٣) شيرين من حسان القرس (٤) نائيس ممثلة اغريقية فانتة (٥) سيفو شاعرة اغريقية اشتهرت بالقتل (٦) اسبزيا حسنة في عهد يركلز اشتهرت بالقتل (٧) بئنا هي بيئنة التي نظم جبل بن مصر فيها الشعر وعزا هي عزة التي نظم فيها كثير وقد وردت هاتان البيئتان في شعر جبل وكثير (٨) الشطون البعيد

فكرة التقدم

ما كان منها وما آت اليه

لعلى أُرهم

لكل عصر من عصور الحضارة فكرة خاصة تسيطر عليه ويتسم بطايعها وتحدد اتجاهه وتلعب عن عقل المجتمع الذي نشأت فيه وتبين مدى ادراكه وتدلل على تصوره للحياة وموقفه من مشكلاتها . وفي ابان قوة هذه الفكرة وامتداد سلطانها وشدة استيلائها على النفوس تسود على البحث وتزده عن النقد لاتها تشير في ذلك الوقت من المبادئ المقررة والقضايا التي لا يرتقي اليها الشك ، فلا ينظر اليها من حيث هي فكرة سائدة فهي من أجل ذلك عرضة للدثور والبقاء لانها وليدة ظروف متقلبة ونبت ملايسات لا تني تتغير وأما ينظر اليها من حيث هي حقيقة خالدة مطبوعة في صفحات الكون مسطورة على جباه الاشياء فهي من الوضوح والابانة بحيث لا تتطلب تفكيراً ولا تستلزم بحثاً ولا تحقيقاً

وفكرة التقدم من قبيل هذه الافكار التي شغلت مكانة كبيرة ولعبت دوراً هاماً في سير الحضارة الغربية، ولم تكن مجرد زعرة طارئة او فكرة فلسفية رائجة وإنما كانت عقيدة ثابتة مدة تقارب القرنين يسير الناس في مدارجها ويتصنون بأسبابها وكانت في الواقع هي الايمان المحرك والقوى الدافعة في الحضارة والحكم الذي يقدر به نصيب المذاهب الاجتماعية من الصلاح والفساد والنفع والضرر ، وكانت جميع النظريات التي نشأت في ذلك العصر تستجدها وتتعلق بأذيالها نلبة الاعتقاد بأن النظرية السياسية او الفكرة الاجتماعية التي لا توأمن فكرة التقدم لا تستطيع ان تستجمع عناصر البقاء ولا تتوافر لها دواعي الحياة

وقد كان السواد الاعظم من الناس في العصور الوسطى يتجهون بتفكيرهم وبغزوعون بآمالهم الى الحياة وراء القبر ، وكانت الدار الآخرة هي مجال خواطرم ومهوى أفتدثهم وكانوا ينظرون الى الاشياء بمنظار هذه الفكرة ويعايدرون الامور بمعاييرها ، ثم حدثت احداث زعزعت الثقة بهذه الفكرة وأزالتها من مكانها السالية فهي وان كانت لا تزال طالقة بالنفوس ولكنها أصبحت في العصور التالية فكرة غير رئيسية وأخذ الاعتقاد بحياة سعيدة هائلة في هذا الكوكب

الأرضي قد تيسر أسبابها وتدنو قطوفها للأجيال القادمة يحل محل فكرة السعادة المنشودة في العالم الآخر والكمال المرتقب وراء الموت. وبذلك التحقت فكرة العالم الآخر بتلك الحكم الأخلاقية والمواظب الدينية التي يرددها الناس بألسنتهم ولكنهم لا يستحيون لها في أعمالهم ولا يبنون عليها أساس تفكيرهم وليس لها أثر مذكور في وزن الاور وتقدير القيم



وقد قامت فكرة التقدم في الصور الحديثة مقام الافكار الدينية ، ومعلوم ان الدين في طليعة القوى المحركة للحضارة ولكن الدافع الى الدين قد يبدو في صورة التفكير السياسي والاتجاه الفلسفي

وفكرة التقدم في معناها الواسع تتضمن الاعتقاد بان العالم يتدرج في سبيل الكمال تدرجاً شاملاً وينتقل على الدوام من حسن الى أحسن ويرتقي من منزلة الى منزلة أرقى ، ولكن المعروف ان أشباع فكرة التقدم كانوا ناقلين على حاضرهم برمين بما في القوانين من نقص وعيوب وما بهم الحياة وتمتلى به جنباتها من ضروب القسوة وألوان الظلم ، ولما كان المستوى الذي بلغته الانسانية هو نتيجة تطور قصي للذي بيد الاصول استغرق عصوراً غير معدودة فاقا خلفاء ان نستخلص من ذلك ان حركة التقدم جد بطيئة وان بلوغ الانسان مرتبة الكمال المأمول مسألة موصولة بالمستقبل البعيد الذي يصعب علينا تصوره وإدراك كنهه ، وكان ذلك قنباً بأن يكف من حاستهم ويطامن من آمالهم

ولكن مفكري القرن الثامن عشر والتاسع عشر لم يلجأوا للتقدم من هذه الناحية ولم يقيسوا مداه بألوف السنين ، وانما كان يطلب عليهم الامل في قرب اقبال عهد جديد للعدالة والاستقامة تتحقق فيه آمالهم وتصدق ظنونهم ولم يكن المؤرخين الذي تمودوا اقتضا اثر الانسانية واستقراء تاريخها فضل كبير في توطيد الفكرة والاشادة بها وكان أكثر انصارها من المفكرين السياسيين وانصار المذاهب الثورية والاضطرابات الاجتماعية وكانت انظارهم متجهة صوب المستقبل القريب بحكم مذاهبهم السياسية والغايات التي كانوا يعملون لتحقيقها وكانوا يستنبطون بهذه الفكرة على مرارة الكفاح ويتقنون بها آلام الهزيمة ، وكان ينبغ على مصلحي القرن الثامن عشر والتاسع عشر الاعتقاد بإمكان اصلاح المجتمع وعلاج عيوبه واستدراك نقائصه والاتقال من الفساد الطامي والاضطراب المستحكم الى الصلاح التام والاستقرار الكامل والخروج من الظلمة الحالكة الى النور المشرق للتلائي. وكان هذا الايمان القوي بفكرة التقدم منطوقاً في الحقيقة على حسن ظن بالطيعة الانسانية وقابليتها للرفق والكمال

أما طامة الناس فكانت فكرة التقدم فتون في أذهانهم بالتغير الاقتصادي الذي بدأت طلائه وظهرت مقدماته في القرن الثامن عشر وبذلك الرقي الصناعي الذي توالى انتصاراته وامت فواضله ويسر لهم استمال السيارات واللاسلكي والمذياع والصور المتحركة ومكنهم من الافتتان في الاختراع والكشف ، وقد يبدو لنا أن فسخر من هذا التقدم الذي تشبه دلائله ومحاته أمثال هذه المظاهر البراقة والمرائي الحادعة وليكن لا نزاع في أن القرنين الأخيرين قد شاهدا براعة منقطعة النظير في تسخير قوى الطبيعة وترويض عناصرها وتطبيق العلم على الحياة البوية واخضاعه لمستلزماتها وكان من أثر ذلك ان ظهرت حضارة علمية صناعية ليس لها مثيل في سالف الصور وغابر الحضارات وقد أدى ذلك الى استفاضة الثروة وتكاثر السكان على مثال غير مهود وانتشار الثقافة وتيسير اسبابها



وفي القرن التاسع عشر بسطت الحضارة الغربية سلطانها على العالم وكانت الحضارات الشرقية القديمة قد استنزفت قوتها وضعف شأنها فلم تستطع ان تثبت لها وتقاوم تأثيرها ، واستقلت الحضارة الاوربية كنوز العالم الجديد لتضخم روثها وتكثير مواردها وتمكين أهلها من العيش الرغيد والنعمة السابغة ، واخذت الافكار السياسية والاجتماعية تغير البهار وتجوب الاقطار وتعمل عملها وتسري مسراها في العقول وتنسخ الافكار القديمة والا راء البالية وذاعت مبادئ الديمقراطية وانبثت النهضة القومية ونهضت الامم تطالب بالحكومة الذاتية وتحققت حرية الرأي الى مدى بعيد وكفلها القانون وسمت الفكرة الانسانية وناهضت فكرة الرق والعبودية واعلنت عليها حرباً شمواء وطاردتها مطاردة عنيفة وبطلت العقوبات القاسية التي كانت تقوّه الحضارات القديمة وترزى بالطبيعة الانسانية وانتشر التعليم وشمل مختلف الطبقات وهذب عقلية الجماعات وصقل مداركها ، فالتقدم من هذه الناحية حقيقة لا سبيل الى نكرانها والمראה فيها وليس حلم حالم ولا خيال وهم

ولكن لا ينبغي ان ينسبنا ذلك ان هذا التغير الملحوظ والتقدم المشهود الذي نلزه به هو في ذاته تحول نسبي وليس نتيجة حتمية لتطور حيوي تام شامل لحياة الانسانية جماء فهو تقدم خاص بموقوت منوط بمرحلة من مراحل الانسانية ودور من ادوار التاريخ وصنف من صنوف الحضارة ولا يقتضي ذلك ان يكون اكثر جماء واشد استمضاء على عوامل الهدم ودواعي الفناء من الحضارات القديمة وهو لا يفيينا من ان نسائل اتقنا هل التقدم في ضروب الحياة المادية هو تقدم في المعنى الدقيق والتفسير الصحيح للكلمة ؟ وهل الانسان في العصر الحديث اسعد حالاً

وألمع بالآ وأسمى قسماً وأرجح عقلاً من الإنسان في سواك الصور ومؤتف الحضارات ؟ كثير من كبار المفكرين لم تفتحهم الحضارة الحديثة ولم يخلب ألبابهم بربقها وقد حذرونا عواقب الاندفاع في الكثير من نزعاتها وطاؤوا عليها الكثير من الاخطاء والنقص وتطرف بعضهم فآثروا العودة الى الماضي او نبذ الحضارة والفرار من مغرباتها ، وبض المفكرين الذين أطلالوا النظر وأجادوا البحث في أحوال تلك الحضارة تكشف لهم عيوبها ودخائل ضعفها وراعيهم ما قد يؤدي اليه تقدم الصناعة والاختراع من ارهاق للجسام وازدحام للعقول واقناء للشخصيات وهبوط بالن الرقيع والثقافة المالية ، وأثار وخاوفهم الاقراط في استغلال موارد الطبيعة واقناء ذخائر الارض للربح الماثل والحاجات المارضة ، وقليل من المفكرين الآن من يجترئ على ان يمزج الرقيع المادي بالتقدم لآنا لنرف حق المعرفة ان حضارة من الحضارات قد تكون في مظهرها الخارجي شاذة البنيان ضخمة الثروة موفورة المرافق والموارد في حين ان جيويتها الاجتماعية وقوتها المعنوية في هبوط وانحلال وتدهور وهي تفقد في كل لحظة جزءاً من مدخر تقاليدها المالية وثقافتها السامية



ولم تساور أمثال هذه الشكوك أهل القرن الثامن عشر لأنهم كانوا يشقون ثقة تامة بمبادئهم وساعد على تقوية تلك الثقة وحماها غوائل الفك انتشار فلسفة ديكارت ، كان طرافة فلسفته قائمة على أنه يحمل العقل قوة منفصلة ناهضة بذاتها لا تخضع لاحكام الجسم ولا تتأثر بمؤثراته والعقل عنده في مكتته ان يحصل المعرفة التامة الاكيدة من الحقائق الواضحة البسيطة المودعة فيه والكامنة في كيانه والتي يستطيع ان يدركها بالبداهة المباشرة دون ان يركن الى السلطة والتقاليد او يرجع الى التجربة والمشاهدة ، وهذا هو الاساس الذي يستنبطه ديكارت وبشيرة باعادة النظر في مختلف العلوم في ضوئه ، ويرى ديكارت ان ذلك العلم النزي والمعرفة المستنبضة والتقاليد الجملة التي يتكون من مجموعها تراث الثقافة الغربية وجميع الافكار والاعتقادات التي أفادها الناس من التجارب وانزعوها من المشاهدات لا قيمة لها ولا غناء فيها فهي معرفة مدخولة يلبس فيها الحق بالباطل ويختلط الف بالسين وهي لا تستحق ان نولها عنايتنا ونوقف عليها بحثنا وعليان ان نحل محلها المعرفة الحديثة التي لها دقة الرياضة واحكامها والمستمدة من أشعة العقل الذي لا يمرض له لخطأ ، وهتكير الرجل الكيس الاريب له من القيمة والصحة أكثر مما في العلم المستقى من الكتب والمدارس لأنه قائم على الادراك البشري المباشر للدلول على الصواب والمولك بالالباب

وقد أثر هذا الاسلوب في التفكير تأثيراً بعيداً وفي ظلاله ترعرعت الافكار المجردة عن

الحضارة والتقدم والعلم والعقل ، وهذا الاعتقاد غير المحدود بقوة العقل ظاهر في أكثر ما كتبه فلاسفة القرن الثامن عشر عن المسائل الاجتماعية والسياسية وفي اعتقادهم ان الآداب لم يكن لها تأثير ذو بال في تقدم الانسان وانما الفضل كل الفضل للعقل والاختراع ومن ثم تحامل مفكري القرن الثامن عشر على الادين وتشديد التكير عليها واعتبارها خرافات تعوق التقدم وترتد بالانسان الى الوراء وانها قائمة على الحداثة والقسوة ولم يحضر لهم أنها صادرة من اعماق الضمير وأنها صدى لماطفة متغلغلة في أطواء النفس وحاجة من حاجات القلب الانساني واذا كان تاريخ الإنسانية القريب والبعيد تمتلأ بالسحق والتمكرات حاشداً بالضحايا البريئة فما أحرانا بالشك في حركة التقدم والياس من طبيعة الانسان ولكن الحقيقة أن مفكري القرن الثامن عشر لم يستقدوا بالتقدم المستمر المنتظم الحركات المتتابع الادوار وانما كانوا يؤمنون بتقدم فجائي للعقل الانساني مصدره الثورة الفكرية التي أحدثها ديكارت ، واستيقاب سلطان العقل كان عندهم دليلاً على اقبال عصر كله سعادة وخير ورخاء تحطم فيه الإنسانية قيودها الموهنة وتسمو على أحكام المصادقات وتطلق في سبيل الحق والخير نابعة الخطوات موقفة السمي ، وقد أوحى ذلك الى رجال الثورة الفرنسية محاولة إعادة بناء المجتمع على أسس جديدة عمادها العقل وألمهم مصلحي القرن التاسع عشر الاجتماعيون الاعتقاد بإمكان تغيير نظام المجتمع

الخلاصة

وقد كان لاحقا الثورة الفرنسية رد فعل في عالم الفكر والسياسية ولكنه كان رد فعل وتقي وظل أكثر المفكرين السياسيين امتاء لمبادئ عصر الاستقارة وظلوا يستمدون بفكرة التقدم وفكرة الحضارة المطلقة القائمة على مبادئ صالحة لجميع الناس وجميع العصور وقد امتاز النصف الاول من القرن التاسع عشر بمحاولة انشاء علم الاجتماع وجعله علماً مستقلاً يتوج جهود سائر العلوم وكان اقدر ممثلي ذلك العلم الحديث الفيلسوف اوجست كوت وهو أول من تناول بالتفصيل والاسباب العلاقة بين علم الاجتماع والعلوم الاخرى وعنده أن هناك تطوراً متتابع الحلقات مستمر الخطوات من العلوم التجريدية كالرياضة الى العلوم الاوفر نصيباً من التمين والتخصيص مثل الفلك والكيمياء وعلم الحياة وعلم الاجتماع ، وتقدم علم الاجتماع يوضح المرحلة الاخيرة لتقدم العلمي ويحيل من الممكن ان تكون من ضروب المعرفة الانسانية كلاً عضوي التكوين منسق الاجزاء وهذا العلم الوضعي الذي يشمل علم الانسان وعلم الطبيعة الخارجية في علاقتها بالانسان يحل محل المذاهب القائمة على المتعديت الدينية او نظريات ما وراء الطبيعة التي كانت لها الغلبة قبل أن تستم الروح العلمية قوتها وتأخذ أحبها ولنا

اشتهر كونت في نقد آراء القرن الثامن عشر وعمل على نقضها لأنها في رأيه منشعبة بالفكر ما وراء الطبيعة فهي هادمة وغير صالحة لبناء وكان المنظور أن يؤدي به ذلك إلى نبذ الأفكار المجردة أمثال فكرة التقدم وفكرة الإنسانية وفكرة الحضارة وأن يحصر تفكيره في الأفراد والمجتمعات الخاصة ولكنه على النقيض من ذلك أصر على أن الإنسانية هي الحقيقة العزة وإن الفرد في ذاته عرض تجريدي وأن جميع التغيرات التي تطرأ على المجتمعات خاضعة لقانون التقدم وهو الحقيقة النهائية لسلل الوضحي الاجتماعي

ولما كان هذا الكلبي المركب العلمي ثمرة الفلسفة الوضعية اجتماعياً في صميمه فقد نبع ذلك أن الطبيعة كانت تفسر بموجبه تفسيراً يلائم حاجات الإنسان ويتجاوب مع مطالب المجتمع ولا ينظر إليها من حيث هي كل شامل المجتمع نفسه جزءاً منه ووظيفة العلم عند كونت مقصورة على خدمة الإنسانية وقد أدى ذلك إلى تقويم الطبيعة بالقيم الإنسانية ونفوه ديانة الإنسانية ولم ترق هذه النزعة الدينية مفكري القرن التاسع عشر وأثارت شكوكهم في صحة فلسفة كونت

وحوالي سنة ١٨٤٨ أخذ تأثير الفلسفة المثالية الألمانية ينحصر شيئاً فشيئاً وأخذ يثار الفلسفة المادية يشتد ويلو وراجت أفكار بختز وظهرت نظرية التطور وأثرت تأثيراً شديداً في التفكير الاجتماعي ويبدو ذلك واضحاً في فلسفة هربرت سبنسر أكبر ممثلي علم الاجتماع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عند الكثيرين ، ونظرية التطور هي محور بحثه وأساس تفكيره وهو يعتبر التقدم الاجتماعي فرعاً من فروع قانون التقدم الكوني العام ورفي الحضارة هو أحد مظاهر ذلك القانون الذي يشمل الخليفة بأسرها ، وهنا نرى فكرة التقدم في أقصى امتدادها وأوسع تطبيقاتها فهي لا تشمل حياة الإنسانية وحدها وإنما تشمل لنظام الطبيعة برمتها



وهناك شيء لا من التناقض بين تصور مفكري القرن الثامن عشر للتقدم والتفسير العلمي الذي فسره به مفكرو القرن التاسع عشر فقد كان فلاسفة القرن الثامن عشر يصفون الإنسان في مرتبة اسمي من مرتبة الحيوان وينظرون إليه متفصلاً عن الطبيعة ويحجبون العقل مبدأ تطور الحضارة ولكن نظرية النشوء والارتقاء طادت الإنسان إلى احضان الطبيعة ولسبت تقدمه إلى عمالة آلية تقوم بها قوى الطبيعة الميلاء ودوافعها الخفية التي تسيطر على العالم المادي في مختلف صوره والعقل نفسه عضو كسائر الاعضاء تكامل تركيبه وتطور عوّه تحت تأثير جهاد الإنسان في الملازمة بين نفسه وبين البيئة والتقدم هنا لا يعرف إلا أخلاق ولا الرحمة لأنه قائم على تنازع البقاء وتطبيق ذلك على حياة الإنسان يهدم الكثير من مثله العليا ويبدد أحلامه في العدالة

والمساواة وهي من خصائص فكرة التقدم القديمة ويؤدي الى الجمع والانانية وكان على المفكرين الذين قبلوا نظرية دارون في الانتخاب الطبيعي ان يواجهوا نتائج التناقض العميق بين اعتقاداتهم العلمية ومثلهم العليا الاخلاقية وكيف أن الانسان ذا الآمال البعيدة والاحلام السامية هو ابن الطبيعة الشاهقة السلاح المؤلفة الانياب التي تأكل أبناءها وتضحي بذريتها ، وقد عني بذلك التناقض الملامة هكسلي والتقدم في رأيه يقوم على تمطيل عمل التطور الكوني في كل خطوة من خطواته ومرحلة من مراحلها والاخذ بالتقدم الاخلاقي ، وطبيعة الكون عنده منافرة لطبيعة الاخلاق والحركة الكونية لا ترمي الى خير الانسان والطبيعة لا تعرف فكرة الواجب ولا تحفل بالآداب ، والحقوق عندها قائمة على القوى المفترسة المستنزفة

ولكن اذا كان الامر كذلك فان الامل ضعيف في قلب الانسان على حركة الطبيعة المستمرة وخطأها الابدية ولا مناص للانسان في هذا الموقف الا في العودة الى الاعتقاد بقوة شاملة صمدية خارجة عن حدود الزمان والمكان او الانطواء على اليأس الاليم وتوديع الآمال الخلقية وتوطين النفس على احتمال الحياة والصبر على احداثها حتى يقبل الموت وتنتهي السبة أو يعمل على الاستفادة من الظروف جهد الطاقة وبجاري سائر الحظوظات في الاخذ بقانون المحافظة على الذات دون ان يتورع عن الاجرام او ينف عن الشر



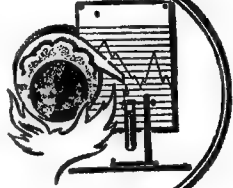
وهكذا كان مصير فكرة التقدم التي اوحى الآمال الكبار والاماني الحسان وامتت باخلاف الفثتون وخيبة الآمال وتبها الشك في مقدرة العقل نفسه على الاصلاح والخلاص من نوازير الاهواء ونوافر الترائر وقد شجع ذلك انتشار النزعات المتمردة على العقل التي بدأت في اواخر القرن التاسع عشر

وعلى هذا الاساس قام مذهب الترائع (البراجتزم) والمذهب الحيوي ومذاهب تحليل النفس وكلها ترمي الى اضافة الثقة بالعقل وعلم الاجتماع نفسه اخذ يوجه ثقافته الى هذه الناحية التي تبدو واضحة في نفسية الجماعات وغريزة القطيع . وقد كانت الحرب الكبرى آخر صدمة عنيفة اصابت فكرة التقدم ومهدت السبيل لانتشار المذاهب القدورية التي ترى ان الحضارة الحديثة مشرفة على الانحلال والازوال وانها ستلحق بالحضارات البائدة مثل مذهب شبنجار الذي قوبل بالترجيح وأثر تأثيراً كبيراً في التفكير التاريخي

فرتز هابر

Fritz Haber

لحسن الطحار



في عام ١٨٩٨ كان الرئيس لجميع تقدم العلوم البريطاني العالم الكبير السيروليم كروكس، فاختار السيروليم موضوعاً لحظبة الرأس « الحبز والعالم » ، لأنه كان يعتقد ان البشرية لا بد ان تبلغ يوماً ثم العالم فيه مجاعة كبرى . ذلك لان الجنس الايض الذي يبشئ على الحظبة يزداد طاماً بعد طام زيادة مطردة . بينما مجموع الاراضي الزراعية في العالم محدود وزيادة مقادير الحظبة المستتبنة في تلك الارض تنقص طاماً بعد طام . فاذا مارأيت تلك الزيادة وهذا النقص فلن يحل عام ١٩٣١ حتى تظهر اولى بوادر المجاعة العامة ولن تمر عشرة اعوام على هذا التاريخ حتى تكسح المجاعة جميع انحاء العالم

ويسندل كروكس على رأيه هذا بالادلة التالية : ان الاسمدة وهي العامل الاساسي في زيادة مقادير الحظبة والحبوب الاخرى ، على نوعين الاسمدة الطبيعية — اعني الاسمدة الحيوانية والنباتية وهذه تستعمل لتسميد الاشجار والانجم والخضر ، والاسمدة الكيمياوية التي يكثر استعمالها في تسميد الاراضي لزراعة الحبوب . فالاسمدة الاولى محدودة المقدار وتزوجيتها تفصل عنها عند ما تتحلل ، اما الثانية فقاديرها لا تنكفي لما تحتاج اليه الارض مدداً طويلة ، وهي املاح النتروجين المستخرجة من تقطير الفحم الحجري او من الارض ذاتها في بلاد شيلي . وبما لا ريب فيه ان املاح النتروجين سواء اكبريتات الامونيوم كانت ام نترات الصوديوم نافذة مها يطل عليها الزمن ويزوالها سيقل الحبز وهو الطعام الاساسي للناس وبقنى الماشية ، وتنتشر المجاعة فيهلك الناس وتأخذ المدينة بالزوال . وقد مر عام ١٩٣١ على العالم بسلام والمجاعة لم تظهر، وربما لن تظهر بعد اليوم . فكيف نوفق بين ما ذهب اليه كروكس وبين الواقع ؟ أكان كروكس غمطاً في احصائه وتدقيقه ؟ أم حدث في العالم ما غير مجرى الحوادث ؟ ذلك ما سنقنه

من دراسة حياة الكيمياوي الالمانى المشهور فرتز هابر

في التاسع والعشرين من شهر يناير (كانون الثاني) عام ١٩٣٤ انتقل من هذه الدنيا عظيم من عظماء

العصر ، وقائدهم قواد العلم الحديث وأحد الواضحين لأسس الصناعة الكيماوية . توفي فرز هابر في وطن غير وطنه وبين شعب غير شعبه . وخذت شعلة حياة هذا المجاهد في سبيل العلم دون ان تحتفل الامة التي أنقذت حياته من أجلها بذكره ، مع انها تقسم بنار جهوده وسبقى مدينة له ما زالت المدينة قائمة . لكن العلماء أبناء البشرية جماء وليسوا بأبناء امة واحدة ، فإذا ما قصرت امة من الامم في ما يحتمه الواجب عليها نحو علم من اعلامها فان تلاميذ ذلك العالم والمجنيين بأبحاثه في مشارق الارض ومناكبها لا يدان يقيموا له مجداً في قلوبهم وان يذكروا دائماً الخدمات الجليلة التي اسداها لأبناء البشرية طامه

بمد هابر ولا ريب من العلماء الخالدين الذين سيقى أثرهم ما بقيت المدينة الحديثة . فقد خلق صناعة طالية وسبقى العالم محتاجاً الى هذه الصناعة ما زال عدد قهوسه في ازدياد وما زالت الصناعة سائرة في طريق التقدم حبراً حثيثاً . فبفضل هذا العالم بلغ مجموع ما انتجه العالم من الامونيا الصناعية خلال عام ١٩٣٥ ثلاثة ملايين من الاطنان . فما مقدار ما سينتج عند ما تستخدم جميع مصادر الطاقة الكهربائية ؟

ولمدهابر في التاسع من شهر يناير (كانون الاول) عام ١٨٦٨ بمدينة برسلو ، وأكمل دراسته العالية على يد العالم الألماني الكبير لايرمان Lieberman أحد المكتشفين لصيغ الاليزارين الصناعي . وقد شارك أستاذه في بحوثه واتخذ الاليزارين موضوعاً لاطروحته التي نال بها « الدكتوراه » . ولكن ما ان ترك حجرة الدرس حتى استقل في بحثه خوفاً من ان يتأثر برأي أستاذته وانصرف لدراسة ما لم يحل من مشكلات الكيمياء الكهربائية والكيمياء الصناعية . ولم يستقر على بحث ما حتى قادته الصدفة الى الاجتماع بفرز بوت Bont عام ١٨٩٤ في مدينة كارلسروه Karlsruhe وكان منهما مع رفيقه انكسر Engler حينئذ في بحوث صناعية متعلقة بالوقود صنف الكيماوي ولهم أوسفاك العلماء فيز بين فريقين الاول ويشمل أولئك الذين أتبعوا في مهتل حياتهم ثم خبت نارهم عندما تقدموا في السن أمثال لايمج وجرهارت وورز . والثاني ويشمل العلماء الذين أنتجوا في مختلف مراحل أعمارهم أمثال فراي وأديسون وجب وهلمولتز وأضرابهم من الذين لم تنطفئ نار عبقرتهم الا بمحمود أقاسهم . أما هابر فانه يصعب علينا ان نضمه في أحد الفريقين ذلك لانه قضى الشطر الاول من عمره دون ان ينتج للعالم إنتاجاً يستحق الذكر ولكن بزغت شمسه عند ما بلغ منتصف العمر وقام بجلائل الاعمال مما بوءه المكان الرفيع بين كيميائيي العالم

للمواد العضوية نوعان من الجزيئات ، الجزيئات السلسلية Straight Chain Molecule والجزيئات الدائرية Closed Chain Molecule . فالزيوت المعدنية ومشتقاتها مكونة من جزيئات

سلسلة ، وتمتاز هذه المركبات بأن حالتها الطبيعية متوقفة على طول السلسلة ، فإذا طالت السلسلة اشتدت كثافة المادة وتماستك جزيئاتها والحالة على ضد ذلك عند ما تقل ذرات الكربون في السلسلة كانت هذه الحقائق معروفة لدى الكيميائيين ، ولكن ما لم يدرك أحد منهم كان العلاقة بين أفراد طائفة الهيدروكربونات . وقد أنكب هابر على دراسة هذه العلاقة دراسة علمية ، وبعد تجارب دقيقة متعددة عرف أن ذرات الكربون في المواد الهيدروكربونية متحدة بعضها ببعض وبالهيدروجين . فالبنزين مثلاً وهو أبسط المواد الهيدروكربونية تركيباً قوامه أربع ذرات هيدروجين تحيط بذرة كربون بينما الايثين قوامه ست ذرات هيدروجين محيطة بذرتين متماستكتين من الكربون وهكذا إلى أن تصل إلى سلسلة مكونة من خمس وثلاثين ذرة كربون كل ذرتين منها متماستكتان ويحيط بهذه الذرات الكربونية اثنتان وسبعون ذرة من الهيدروجين . وهذه المادة معروفة باسم بنتا تري - ا كوتين Pontatriakontane ، وهي مادة صلبة تصهر عند ما تبلغ الحرارة ٧٥ مئوية وتغلي عند الدرجة ٣٣١ مئوية .

والهم في هذا أن هابر هو المكتشف الأول لطريقة تحطيم جزيئات المواد الهيدروكربونية بفعل الحرارة . فقد تمكن من تكوين مواد هيدروكربونية قصيرة السلسلة من أخرى طويلة . فمثلاً عند احماء المادة المعروفة بالمكسين وهي مكونة من ست ذرات كربون وأربع عشرة ذرة هيدروجين دون ترميضها للهواء ، تكون لديه عدة مواد هيدروكربونية بسيطة السلسلة بعضها مشبع وبعضها غير مشبع . وتدعى هذه الظاهرة « بالتحطيم Cracking » والتحطيم كبير الشأن ولا سيما في صناعة البترول ، إذ لا يخفى أن البترول الخام سائل كثيف قوامه عدة مواد هيدروكربونية مشبعة تتفاوت سلاسلها طولاً . فعند التقطير تنفصل هذه المواد بعضها عن بعض وتجمع في أنابيب خاصة بها بحسب درجة غليانها . ولما كان بعض هذه المواد كبير الشأن ، من الناحية الصناعية كالفازولين مثلاً تضطر معامل تكرير البترول أن تحطّم جزيئات المواد التي تلي الفازولين في الكثافة لتحضرو منها

ومن الغريب أن هابر لم يشتهر بمحضه في هذا الموضوع ولا يحثه في طرق أكيدة المواد المضوية واخترها بالاساليب « الكهر كيمياوية » Electrochemical ، ولكنه اشتهر وعرف في العالم أجمع باكتشافه طريقة تحضير الامونيا الصناعية من تروحين الهواء

كان هابر يبحث في التوازن بين جزيئات الغازات عند ما أدرك أن لاضغط علاقة كبيرة بالتفاعلات الكيميائية الجارية بين الغازات أو بين الغازات والمواد الصلبة والسائلة . وكانت غايته من بحثه هذا أن يحقق بعض القضايا المتعلقة بالحركة الحرارية Thermodynamics وكان في هذا الاتاء . يؤلف كتاباً عنوانه « الحركة الحرارية لتفاعلات الغازات الصناعية » . ولقد

نُشر كتابه هذا عام ١٩٠٥ وما زال يعد من خير ما كتب في الموضوع ، ومن يطالعهُ يستونق من أنه لو لم يكتشف نيرنست القانون الثالث من قوانين الحركة الحرارية لاكتشفه هابر عندما اشتهرت بحوث هابر في البلاد التي تتكلم الألمانية ، وجه إليه شقيقتان يشغلان بالصناعة الكيماوية فينا سؤالاً أسفراً فيه عن إمكان تحضير الامونيا من التريديتات والهيدريدات. وكان هذا السؤال كان وميض برق أضاء له سبيل البحث عن تحضير الامونيا بالطرق الصناعية. فسمى أولاً لتحضير الامونيا بإحمايه الهيدروجين والتزوجين مما حتى تبلغ درجة الحرارة نحو ألف مئوية مستملاً عناصر مختلفة كمواد مساعدة ، أهمها الأورانيوم والاومبيوم ، فكانت لمسة الامونيا المتكونة من الفلة بحيث لا يمكن الركون الى هذه الطريقة من الناحية الصناعية . ولما كان التفاعل بين الهيدروجين والتزوجين باعثاً للحرارة Exothermic بمكس كثير من التفاعلات الكيماوية فاستعمل الحرارة وحدها مما يخالف القانون الثالث من قوانين الحركة الحرارية . فلم يبق أمام هابر عندما أدرك هذه الحقيقة إلا أن يستعمل الضغط كاملاً للاتحاد . وبحقيقاً لفكرته هذه صنع جهازاً مكوناً من اسطوانة معدنية مهيكة داخلها أخرى من الكوارتز ، ويحيط بهذه ملف لاحتماها على أن تكون بين الاسطوانتين مادة طازلة . ويتصل بالاسطوانة الصغرى انبوبان متبركان أحدهما لارسال المزيج من غازي التزوجين والهيدروجين والآخر لاجراج غاز الامونيا المتولد داخل الاسطوانة الصغرى ، ويمر هذا الانبوب بمكبث لتكثيف الامونيا . وقبل إمرار الغازين يضفطان ضغطاً شديداً لا يقل عن مائتي ضغط جوي على أن يحمى الانبوب المصنوع من الكوارتز حتى تقرب حرارته من خمسمائة درجة مئوية . وقد جابه هابر لأول وهلة مصاعب كثيرة أهمها ان التفاعل لا يتم ما لم يكن كل من الغازين نقياً حتى لا تحول أي مادة دون التفاعل . والصوبة الاخرى ان الاجهزة المستعملة لا تتحمل الضغط العالي مدداً طويلة . أما مقاومة النازات فقد قلب عليها بتحضير التزوجين من الهواء السائل وبتحضير الهيدروجين من الغاز اللأئي ، وأما الصوبة الاخرى فقد قلبت عليها الميكانيكية الحديثة

كان هابر يفيض الحرب لانه كان من الذين آمنوا بأنها سبيل من سبل تدهور المدنية الحديثة. ولكن ما إن اشتعلت نار الحرب بين بلاده والحلفاء ، وأدرك أنها حرب ضرورية ستدوم أكثر مما كان يظن ، وأن حكومته في أمس الحاجة الى الرجال العاملين ، حتى تقدم عارضاً علمه ونشاطه على حكومته وانتظم في خدمة الجيش واشترك في المعارك الحربية اشتراكاً فعلياً . كانت ألمانيا تستعد لتلك الحرب قبل وقوعها بمدة طويلة ، على عكس حلفائها الذين خاضوا غمارها دون سابق استعداد ظانين أنهم بمساعدة حليقتهم الكبرى ألمانيا سيكسبون الحرب وأنها وإن طالقت فلن تدوم

أكثر من علم واحد . ولكن ما ان انقضى عام ١٩١٤ حتى ادركت جميع الامم التي اعلنت الحرب ولا سيما حلفاء المانيا ان الحرب ستدوم عدة أعوام وانهم سيهزمون شر هزيمة ان لم يستعدوا لها أنهم استعداد . وبديهي أنهم يقصدون بالاستعداد التزود بالمقادير الكافية من المفرقات والمتجبرات . ولا يخفى ان المادة الاساسية في صناعة حُس وتسمين بالمائة من مختلف انواع المفرقات والمتجبرات تحضر باستعمال الحامض النتريك ولا يمكن تحضيرها بغيره . ومعنى ذلك ان الفوز في الحرب العظمى كان حليف الامة التي تمتلك اكبر مقدار منه

كانت الحكومتان الالمانية والنسوية قبل الحرب تحضران الحامض النتريك من تفاعل حامض الكبريتيك مع ترات الصودا او ملح شيلي . ولكن عندما اشتعلت نار الحرب وحوصرت المانيا حصاراً بحرياً تمرد على المعامل النسوية والالمانية تحضير المفرقات اللازمة للجيش ما لم تهتم الحكومتان بابتكار طرق اخرى

ولو لم تساعد الصدف الجيوش الالمانية فتفتتح احدى المدن البلجيكية انتورب وتستولي على خمسين الف طن من ملح شيلي لانهمزمت الجيوش الالمانية في ميادين الحرب قبل انقضاء عام ١٩١٥ . ومع هذا فان الحكومة الالمانية لم تجد بداً من تأسيس معملين كبيرين لتحضير الامونيا بطريقة هابر احدهما في اويو والاخر في مرسبرج وتبلغ المقادير المحضرة في هذين المعملين اربعمائة وخمسين الف طن في العام الواحد . وكذلك استطاعت المانيا ان تتابع الحرب حتى عام ١٩١٨ . وما يجب ان لا يرب عن البال ان انخزال المانيا وحلفائها لا يميز الى قلة عتادها وانما لقلة المواد المغذية فيها

هذه طريقة هابر في تثبيت نتروجين الهواء وما كان لها من الاثر في الحرب الماضية وما قد يكون لها من الاثر في الحروب القادمة ، أما شأنها في حالة السلم فلا تقدر ، لان نجاح الامم زراعياً متوقف على مقادير الاسمدة النتروجينية التي يمكن الحصول عليها والاستفادة منها . وما لا ريب فيه ان العالم بأسره سيقبل على طريقة هابر عند تقود ملح شيلي وغيره من الاملاح النتروجينية وعند تمكنه من الاستفادة من جميع مصادر الطاقة الكهربائية

وبعد انقضاء الحرب عاد هابر الى دراساته وبحوثه العلمية قرأه خلال عهد الجمهورية الالمانية جمعيات علمية متعددة اهمها جمعية التيسر ولهم للابحاث الكيميائية الطبيعية ، وبقي رئيساً لها حتى اضطر الى مفادرة بلاده في عهد الرجخ الثالث . وتشابه الظروف القاهرة ان يضي بضمة أعوام مريضاً عليلاً في بلاد التربة وبوافيه الاجل وهو بيد عن التربة التي شب فيها وزرع ، والتي احبها واخلص لها وصرف جميع ما يملك من اجلها ولكن ذكره سبق في قلوب طلاب العلم الذين لا يعرفون فروقاً بين عالم وآخر

— البصرة —

الجيش المصري

والاستكشاف في أقربينا

للعلازم الاول عبد الرحمن زكي

— ١ —

لما أراد الخديو اسماعيل إعادة تنظيم الجيش المصري رأى أنه يوزع الاكتفاء من الضباط الحريين والاداريين والمهندسين . فوقع اختياره على ليف من الضباط الاميركيين لتأليف هيئة اركان حرب الجيش وعين الجنرال « ستون » رئيساً لها . فانتخب نحو اربعين ضابطاً منهم « لورنج » و« داي » و« شايبه لويج » و« بروت » و« پوردي » . وبعد قليل من الزمن تمكن « ستون » وزملاؤه من تخرج فئة من الضباط المصريين لهم من المهارة والتدريب على الاعمال ما ملا صدر الخديو والامة نفراً وإعجاباً . ومن هؤلاء الضباط مختار وواصف وحدي وفوزي وغيرهم ممن اضافوا صحيفة تاريخ مصر الحديث في السودان^(١) كانت با كورة اعمال القسم الجغرافي من هيئة اركان الحرب في الجيش المصري استكشاف الصحارى المصرية

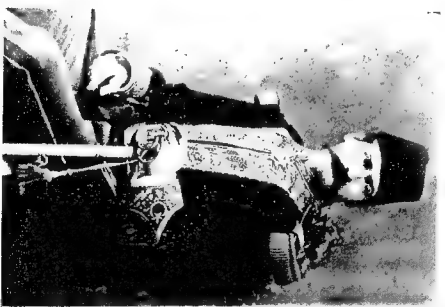
في اوائل عام ١٨٧٠ اضطلع الكولونيل ميسون Mason ومعه بعض الضباط المصريين بمهمة استكشاف الطرق والدروب الموصلة الى واحة سيوة . وقامت بشة الكولونيل پوردي « Purdy » عام ١٨٧١ برسم ضواحي حلوان واستكشاف المنطقة التي بين النيل والبحر الاحمر ابتداء من الخط الممتد بين المقطم والسويس الى خط يوازي القصير . وقد استقرت اعمال هذه البشة طاماً . وصادت بمقاتل وافية عن طبقات الارض وما فيها من مناجم المعادن والمخاجر وعروق الذهب التي عرفها قدماء المصريين في تلك الجهات^(٢)

وفي عام ١٨٧٣ قام الكولونيل كولستون Colston بكشف الطريق الموصل بين قنا وبريقه Beronice على ساحل البحر الاحمر جنوب رأس بناس . وفي هذه المدينة التي بالكولونيل پوردي

(١) فتح العربية في عهد الخديو اسماعيل للاستاذ محمد رفعت (٢) مصر والجغرافيا تأليف الدكتور فردريك بنولا بك وترجمة احمد زكي بنشا — المطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٣١٠ هـ



احمد روفى زينا



راڌي زينا

قادماً عن طريق البحر الأحمر. فاستعجبه في التجول بالبقعة الواقعة بين بيرنيقة وبربر للتوفيق بين اتجاهاته الجديدة وبين اتجاه لبنان دي بلقون التي بدأها فيها قبل ذلك بأربعين عاماً^(١)

الاستكشاف في كوردفان ودارفور

ولما أتمت القوات المصرية فتح كوردفان ودارفور (١٨٧٤) أصدر الخديو اسماعيل أمره إلى الجنرال ستون بتظيم بعثة كبيرة لأتمام الاستكشاف في تلك البقاع. فأشأ ثلاث بعثات من الضباط كان على رأس البعثة الأولى منها الكولونيل كولستون لارتداد كوردفان ثم الانضمام إلى البعثة الثانية بعد انتهائه من أعمال بعثته. وتألفت البعثة الأولى من الضباط المصريين :

الملازمين الأول عمر رشدي (باشا) ومحمد ماهر (باشا) وأحمد حدي (باشا) ويوسف حلمي وخليل فوزي وأربعة ضباط آخرين. وقد لازم هؤلاء القائمقام الأميركي ريد لكننه لم يصبر على مناعب الرحلة فناد إلى القاهرة. وقد اصطحب رجال هذه الحملة العالم اللوالبدي الدكتور بفوند Pfond وتسعين رجلاً. غادرت هذه البعثة القاهرة في شهر ديسمبر عام ١٨٧٤ وسلكت طريق النيل إلى وادي حلفا ثم سارت بجانب الشاطئ الأيسر إلى مدينة الدبة ثم نهجوت في وادي ماتول عن طريق إيلاي وبلت مدينة الإيض في ١٢ يونيه سنة ١٨٧٥

في هذه الرحلة أصيب الكولونيل كولسن بمرض شديد فاضطر أن يهد بقيادة الحملة إلى الميجور بروت Major Prout قائد الحملة الثانية. وقد ألق كولستون كتاباً نشرته بحجة أركان حرب الجيش المصري كما نشرت له مجلة الجمعية الجغرافية الخديوية رسالتين أرفقت بهما خارطة عن بيان خط السير الذي اتبعه^(٢). ثم تقلد قيادة البعثة المذكورة الماجور بروت. وكان غرضه الوصول إلى الإيض عن طريق سواكن والخرطوم ورسم الطريق الذي تخترقه البعثة. وقد أنجز مهمته وسافر في يوم ٢١ مارس سنة ١٨٧٦ إلى دارفور لحاق بعثة الكولونيل بردي. وفيما يلي تلخيص أهم الأعمال التي أتمها الكولونيل بروت وفريق الضباط المصريين الذين كانوا معه^(٣)

- ١ - رسم خط سير طوله ٦٠٠٠ كيلو متر عمل بواسطة جميع الضباط متفرقين
- ٢ - خارطة عمومية لأقليم كوردفان مقياس ١:١٠٠,٠٠٠ رسمها بروت والملازمان ماهر وفوزي
- ٣ - خارطات تفصيلية أهمها خارطة الطريق من سواكن إلى بر بمقياس ١:٨٠,٠٠٠ رسمها «بروت» و «ماهر». وأربع مناطق من الطريق بين النيل إلى الإيض

(١) رسالة كولستون بعنوان يوميات الرحلة من قنا إلى بيرنيقة وبربر للمنشورة في العدد التاسع من القسم الثاني من المجلة الجغرافية الخديوية

(٢) تقرير عن كوردفان الشمالية والوسطى في مجلد واحد بمطبعة أركان الحرب باللغة الانجليزية

(٣) راجع الطريق من الدبة إلى الإيض في العدد الرابع من القسم الثاني من مجلة الجمعية الجغرافية ١٨٨٨

- ٤ — تعيين سبعة عشر موقعاً بالأرصاد الفلكية
٥ — خارطة مدينة الأيض بمقياس $\frac{1}{٢٠٠٠٠٠}$ رسمها الضباط خليل فوزي وعمر وشدي

ويوسف حلمي

- ٦ — رسوم شتى وصور متنوعة أهمها خارطة تبين توزيع الغابات في كردفان
٧ — ملاحظات وبيانات بعلم الجيو وطبيعة الاراضي
٨ — مجموعات نباتية وجيولوجية جمعها الدكتور بفوند
٩ — رسائل مفيدة جداً في الكلام عن السكان والتجارة والاخلاق والمادات^(١)
وقد اتم الامبرالاي بروت اعمال حملته في ثلاث سنوات . ثم قام من الايض قاصداً الى
الفاشر قبلها في اليوم الرابع والعشرين من ابريل بعد ان رسم الطرق والمسالك التي مر بها^(٢)



اما الحملة الثانية بقيادة الكولونيل بردي Col. Purdy فكان قوامها القائم مقام ميسون بك
Col. Mason الفلكي والملازمين الاول محمود صبري (باشا) ومحمد سامي وسعيد نصر (باشا)
من ضباط هيئة اركان الحرب (قسم الجغرافيا) والملازم الثاني خليل حلمي والطبيب محمد امين
واثنى عشر صف ضابط وجندي من اركان الحرب. وقد سارت هذه الحملة من دقة العجوزالى
الفاشر عن طريق جديدة اختطتها ورسمتها حملة الكولونيل بردي في سنة ١٢٩٢هـ ١٨٧٥م وكانت
محفوظة في مكتبة اركان حرب الجيش^(٣). ولم تنشر نتائج هذه الحملة العلمية مفصلة . وان كان
الكولونيل ميسون قد كتب بحثاً ملخصاً لاعمال الحملة لم يجز منه علماء الجغرافيا فائدة كبيرة
وقد قطعت البعثة في رحلتها ٦٥٠٠ كيلو متر واستكشفت كل ما مرت به اثناء سيرها وعينت
٢٢ موقعاً فلكياً . وقد توفي اثناء هذه الرحلة الدكتور بفوند في اليوم الثاني والعشرين من
اغسطس ١٨٧٦م وترك مجموعة نباتية واخرى جيولوجية وكتابها حفظت بالجمعية الجغرافية
ورسمت الحملة الطرق الآتية :

الى البرالاي يوردي من دقة الى الفاشر الى حفرة التحاس
» ميسون من الفاشر حوالي جبل ميدوب . من الفاشر الى جبل مرة . والى

(١) راجع التقرير العام عن مديرية كردفان باللغة الانجليزية المطبوع بمطبعة عموم اركان الحرب عام ١٨٨٧

(٢) راجع خارطة الطريق من الايض الى الفاشر رسمها الضباط ماهر وفوزي بمقياس $\frac{1}{٢٠٠٠٠٠}$
فيها خمسة مواقع فلكية والارتفاعات وخارطة الطريق من فوج الى الايض التي رسمها بروت

بمقياس $\frac{1}{٢٠٠٠٠٠}$
(٣) راجع خارطة خط السير من دقة العجوزالى الفاشر عن طريق وادي محال الى الكرك
بمقياس $\frac{1}{٢٠٠٠٠٠}$



الکونین برادہ



الکونین کولستون

الحدود الغربية للترجة. وغربي جبل مرة من دارا الى شكا والطويشة
حول منطقة جبل مرة. وفي جهة الشمال عند قوم الزطارة وقد رسم
خارطة لها بمقياس $\frac{1}{100,000}$

الملازم محمود صبري في الشمال بجانب نخوم دار تاما في فوجه وقد رسم خارطة للمنطقة
« محمد سامي شرقي الفانثر والطويشة والمودة منها ورسم خارطة ^(١)

اما البشة الثالثة فقد كانت برئاسة المهندس الاميركي ميتشل Mitchell الملحق بقسم اركان
حرب الجيش المصري ^(٢) وبصحبته الضابط عبد الفتاح حلمي. وكان غرض البشة كشف المعادن
بين النيل والبحر الاحمر. وقد كسفت مناجم الذهب في « الحمامة » شمالي قاتم عرجت بشور
البحر الاحمر وخليج عدن كالنصير ومصوع وتاجورة وزيلع. وأوغلت في الداخل ثم طادت
الى مصوع وكشفت الجهات الشرقية من الحبشة ^(٣)

ورسم البكباشي محمد عزت احد ضباط حملة منزنجير باشا خارطة للجهات الواقعة بين باجورة
وبحيرة عوسا بالحبيشة

فتح هرر واستكشاف اقليمها

وبينا كانت اعمال الاستكشاف الجغرافية سائرة بنشاط في غربي السودان كانت القوات
المصرية قد اخضعت هرر فأصبحت منفذاً للحضارة الحديثة الى اواسط افريقيا. ولاسيما بعد
ما تنازلت تركيا للحكومة المصرية في منتصف عام ١٨٧٥ عن مدينة زيلع مقابل اتاوة سنوية
وفي العام المذكور كان الهواه رؤوف باشا قد اعد حملة عسكرية نجحت في اخضاع اقليم
هرر وظل العلم المصري يفتق على ربوع تلك البلاد الى مارس ١٨٨٤ ^(٤)

وكان لزاماً عقب هذا الفتح العسكري ان تقبض البعثات العلمية لدرس تلك الاقطار الجديدة
وارتداد طرقها وجيالها واوديتها وخيراتنا الطبيعية

ولسنا نبالغ مطلقاً اذا قلنا ان نصيب مصر من الاعمال التي تمت في ميدان البحث الجغرافي
في افريقيا الشرقية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر مجهول لدى الباحثين الاوربيين
الذين عنوا بتاريخ الكشف. فقد خلف لنا رجال الكشف المصريين تراثاً ثقيلاً من الاعمال

(١) راجع مصر والجغرافيا ص ٤٥ والتطبيقات المذكورة رقم ٧٥ و٧٦

(٢) راجع تقريره عن أعمال هذه البشة في مجلة الجمعية الجغرافية المدعوة بمجموعة ١ عدد ٦ — اكتوبر

سنة ١٨٧٩ ص ١٥٣ (٣) عبد الرحمن الرافعي — عصر اسماعيل — الجزء الاول. ص ١٧٨

(٤) راجع الكلام على سيادة مصر في بلاد هرر بقلم المؤرخ البولندي « بوليشك » في العدد الحادي
عشر من القسم الثاني من مجموعة الجمعية الجغرافية المدعوة

الجغرافية التي لا تعتبر بأي حال من الاحوال قليلة . وثبتت هذه الاعمال لنا بدون أدنى شك سبق الرواد المصريين الى فتح داخلية بلاد الصومال وحصولهم على معلومات جغرافية قيصة فانه لما خضعت ميناء زيلع للرقابة المصرية سهل لمصر ان تصل بسكان داخلية البلاد . وتم لها اخضاع هرر فأطردت فتح الطرق التجارية القديمة . فكانت النتيجة ان أصبحت مصر على اتصال قريب بجنوبي شرقي الحبشة . وهذا يشبه ما تم عندما احتلت مصر مصر فأخذت السيادة المصرية تنسرب أيضاً الى الجزء الشمالي الشرقي من تلك المملكة . وفي ذلك الحين كان النفوذ المصري يمتد بطول الى الجنوب حتى أصبح معناه في النهاية الرقابة على كل ساحل الصومال الى الجنوب حتى ميناء كسايو ونهر جوبا . وفي جميع الحملات كانت التحقيقات الطيبة تسير بجانب العمليات الحربية المصحوبة بالتغلغل السلمي . وقد سعى رجال القسم الجغرافي من هيئة أركان الحرب في الجيش المصري لجعلوا اسم مصر وهاجاً في العالم العربي وللأخذ بيد الحضارة في فتح مبادي جديدة للتوسع (١) ولم تكن جهود هؤلاء الضباط الشبان الجريئين مقتصرة على شرقي أفريقية بل أنها امتدت واتخذت سبلا متعددة الى داخلية مناطق السودان الشاسعة والى المناطق المجهولة حتى الآن من أطالي التبل . ولقد سجلت معظم أعمال الكشف الاولى ما تركه لنا هؤلاء الضباط من تقارير ورسائل وابحاث وخرائط لم ينشر كلها . وإن كانت الجمعية الجغرافية نشرت منذ سنين (٢) بحثاً فقيماً لأعمال مصر الجغرافية التي تمت في القرن التاسع عشر . وعلى الرغم من خلو هذا البحث من التجميع لاختصاره الا أنه الذي ضوءاً على ما بذل من النشاط في ميدان الطبوغرافيا ورسم الخرائط . ورسم صورة واضحة للعمل العظيم الذي تم في البلاد التي كشفت ومسحت

ولنبداً أولاً بالإشارة الى الدراسات الجغرافية الجديدة التي اشترك في القيام بها الضباطان المصريان البكاشي محمد مختار والهاغ عبد الله فوزي في هرر وساحل الصومال لنستطيع الحكم على نوع العمل العلمي الذي اتم الاثنان جزءاً كبيراً منه في ذلك الوقت لولا أنه أوقف فجأة نتيجة لحوادث السياسة في مصر عام ١٨٨٢ (٣)

وبعد فانه يظهر لنا ان الكتاب الاوربيين لا يعلمون شيئاً عما انجزه المكتشفون المصريون في أفريقية وذلك على الرغم من ان معظم بحوث الضباط نشرت باللغتين العربية والفرنسية في حينها . وكان

(١) Mustafa Amer: Some Unpublished Egyptian Maps of Harar (١) المكتبة — مجلد ١٩ . ص ٢٨٩ — ٢٩٩ عام ١٩٣٧ . وهذا البحث مرجعنا الاساسي في كتابة هذا الموضوع (٢) F. Bonola Bey : L'Egypte et la Geographie Le Cairo 1890 مترجم الى اللغة

العربية أيضاً بقلم المترجم له احد زكي يثا

(٣) راجع مقالاتها في مجلة الجمعية الجغرافية الخديوية (بالنسبة الفرنسي) ومجلة اركان الحرب العامة للجيش المصري باللغة العربية



الجنرال سرتون



الكولونيل عاياه لونغ بك

[جميع صور القاتل مبدأة من انجيه الجنرال في الكتيبة]

الجغرافيا الاستكشافية
والرحلات والبعثات الجغرافية
لصالحه هبة أركان حرب الجيش في عصره استبا عيل

نظم سيرة الحمير والبرص والبرص

عبد ربه الدولة المصطفى في عهد اسماعيل

0 100 200 300 400 500 600 700 800 900 1000

مقیاس الرشید



هؤلاء الكتاب قد ارتبطوا بمحاولة للصمت وعدم التحدث عنها أو أنهم يعمدون الجهل بها. ومع ذلك فلا يفقد الحق مناصره . لا تأستثنى من هذا الحكم أوربيين شهدا بالجهود العلمية التي قامت على اكتاف ضباط الجيش المصري وأولها الدكتور بوليتشه (Dr. P. Paulitsche) ^(١) الذي زار هرر بعد خروج القوات المصرية منها مباشرة وألف الادارة المصرية في تلك البلاد كما نوه في كتاباته بما للعمل الجغرافي الذي انجزه الضباط المصريون ولا سيما البكاشي مختار من الشأن الكبير. وثانيهما العالم الايطالي روبيتشي بريشتي (L. Robecchi Bricchetti) الذي زار هرر فيها بعد وأدرك عمل مختار وأعوانه ^(٢) ولقد ترك لنا الضباط المصريون مجانب ملاحظاتهم وتقاريرهم وأوراقهم مجموعة قيمة جداً من الخارطات ما زال البعض منها محفوظاً لأن . وهي بدون أدنى شك ليست الخارطات الاولى من نوعها . لكنها في الحقيقة هبة ثمينة في علم الخارطات . فقد كان كشف المنطقة الواضحة بين مصوع وهضبة الحبشة والعمليات الحربية ضد الحبشة خبر وسيلة لامتداد علم الجغرافية باتواع المعرفة المفيدة وأهمها عدد وغير من الرسوم والتخطيطات الكروكية . ونذكر في هذا الصدد بيان خط السير الى بحيرة عوسا الذي عملهُ الضابط محمد عزت سنة ١٨٧٥ ^(٣) وعمل الضباط ضياء ونظمي ومجدي على حدود الحبشة في عام ١٨٧٥ ^(٤) . ونذكر أيضاً خارطة المكتشفات العسكرية على الحدود الشمالية للحبشة التي اشترك في عملها ستة من ضباط الجيش (١٨٨٠ — ١٨٨١) كما كان اللواء راشد باشا حاكماً ل مناطق الحدود ^(٥)

ومن الخارطات المهمة — خارطة زيلع وضواحيها التي رسمها مختار ونوزي (١٨٧٥) ^(٦) وخارطة بربر وضواحيها التي رسمها الضابط عبد الرزاق نظمي وآخرون ^(٧) ثم خارطات البكاشي مختار الخاصة برأس جردقوى بمقياس ١ : ١٨٨٠ (وادي طحين ومناطق هندوبنا) ^(٨) . وأخيراً تخطيط نهر جوبا وتصحيح خارطة ساحل الصومال الذي تم على يد الضباط حسن وأصف وعبد الرزاق وصديق وجيمهم كانوا من ضباط حملة ماكيلوب باشا

P. Paulitsche : Le Harrar sous l'Administration Egyptienne (1876-1885), (١)
Bull. de la Soc. Geog. Le Caire, No. 10. pp. 575-591.

L. R. Bricchetti : Nell Harrar, Milan 1896, pp. 28 and 114 (٢)

Dor Bey : Werner Munzinger Pasha. Bull. 1876, Serie I. No. 1 pp 124-127; Bonola : p. 61 (٣)

مجلة الجمعية الجغرافية الحديثة — المجلد ١ رقم ٨ ص ٣٨ عام ١٨٧٦ ورقم ١٠٩ ص ٤٣ — ٢٦ (٤)

Bonola — ص ٢٤ — خارطة بالغة البرية وتحتوي على ثلاث لوحات مطبوعة في الطبعة الاحلوية بالقاهرة (٥)

مجلة أركان الحرب — السنة الثالثة — مجلد ١ — جزء ١ — القاهرة ١٨٧٦ ص ٢٩ — ٣٥ (٦)

مجلة الجمعية الجغرافية — السلسلة ٢ — رقم ٧ ص ٣٤٩ (٧)

مجلة الجمعية الجغرافية — السلسلة ١ — رقم ٨ ص ٢٩ — ٤٢ ورقم ١٠٩ (٨)

والكولونيل شايه لونغ^(١) وكان من نتائج تهديد لورد دوري للخدوي اسماعيل (يناير ١٨٧٦) ان اعمال هذه الحملة لم تتم كما كان يتنظر

وكان قوام هذه الحملة بارجنتين حريتين مصريتين وهما محمد علي ولطيف وسفيتين نقاتين — طنطا ودسوق — وثمانية بلوكات، مشاة وبلوك خيالة وآخر من المدفعية . وقد اقلعت السفن المذكورة من السويس في يوم ١٧ فبراير ١٨٧٥ فوصلت الى مصب نهر جوبا وتمكن شايه لونغ من استكشاف البلاد الكاتمة على ضفتي النهر مسافة ١٥٠ ميلاً بزورق بخاري ورسم اليوزباشي حسن واحف الذي كان رفيقه بجري النهر . ووقفت هذه الحملة لتصحيح خارطة سواحل الصومال واستكشاف مينائي كسايو (بور اسماعيل) ودقورد على المحيط الهندي وسر اعماقها بمعرفة الكولونيل وارد واليوزباشي صديق وضابط آخر من اركان حرب الجيش^(٢)

وقد تبادون ضباط القسم الجغرافي بعضهم مع بعض فأخرجوا خارطتين تامتين عن مصر وملحقتهما: كان مقياس الخارطة الاولى وقد عرضها مندوبو مصر في المعرض الجغرافي الدولي الذي عقد في البندقية في سبتمبر ١٨٨١^(٣) والخارطة الثانية مقياسها احتوت على جميع المعلومات التي جمعت في خلال الاعوام الثمانية عشر للفتوحات والاكتشافات والدراسات المصرية وما يؤسف له ان هذه الخارطة قد ضاعت لما سقطت الخرطوم في ايدي الهنديين^(٤) . ومن الآثار النفيسة التي خلفها القسم الجغرافي ذلك المصور العظيم لافريقيا (Carte General de l'Afrique) وليس هناك ادنى شك في ان هذه الخارطة المفصلة الفخمة خير ما انتجه ضباط اركان حرب الجيش عام ١٨٧٧ . وهي أدق خارطة عرفت الى ذلك الحين اشترك في رسمها كل من الاميرالي لوكت والقائم مقام مختار بك والصاغ عبد الله فوزي وعبد الرزاق نظمي والضباط محمود صبري وأحمد فائق (باشا) وأحمد فهمي وحسن حارس (باشا) وحسن صفوت وإبراهيم حلمي ومحمد جودت ومحمد خير الله ويوسف ضياء (باشا) وعلي حيدر (باشا) وأحمد رشيد^(٥)

ومن حسن الحظ انه ما زالت النسخة الاصلية لهذه الخارطة محفوظة في قصر هابدين في في احد ابنائها العظيمة . وكان المغفور له جلالة الملك فؤاد قد امر بإعادة طبعها واخراجها في نصف حجمها الاصيل . فتقننت ارادته بهمة رجال مصلحة المساحة المصرية . واخرجت الطبعة الاولى عام ١٩٣٠ ثم أعيد طبعها بتهديب وتحسين واخرجت عام ١٩٣٤ [بجيت تمة]

(١) Bonola, 66-66 et 72 ; M. Sabry, L'Empire Egyptien sous Ismail, Paris (١) 1933, p. 397-398

(٢) عن مذكرات مخطوطة أرسلها الكولونيل لونغ الى الدكتور يونولا . ومقالة أخرى نشرتها له الجمية الجغرافية الاميركية الصادرة سنة ١٨٧٨ وعنوانها « على نهر جوبا » (٣) مجلة الجمية الجغرافية الملكية — القاهرة ١٨٨٢ — السلسلة ٢ رقم ١ ص ١ - ٢١ (٤) Bonola : p 75 (٥) عبد الرحمن الراعي - عمر اسماعيل - الجزء الاول ص ١٨٠

الى وكرك يا قلبي !

لمن كاد الصديق

الى وكرك يا قلبي ففي وكرك أحلامك
تُمايقُ فيه ما يُوجبه من شيعرك إلهامك
وتفتى في جلال السوحى والأحلام آلامك
وتزخر فيه اصداؤك بالتجوى وألغامك
فقد تسحر ك الدنيا فتستقط آلامك
إذا ما حدثت عن وكرك أو غرتك أو هامك

الى وكرك يا قلبي فقد حاصرنا الليل
وجئت حولنا الدنيا فلا وحي ولا عقل
وخفت زمر الشيا في كالأحلام نرسد
دعنا الشهوة العيا : فالفاسق بها الرجل
وهامت في ضلالها بكأني قلبي فخلو
فلذ بالوكر يا قلبي حسبك ذلك الظل

الى وكرك يا قلبي لتطرح عنك أعماك
وتسمع في سكون الليل من جارك اصداك
ولا تعباً بأضواء يُسميتك أضواءك
فحللك لم يزل يقظان يستلم إيماءك
يطل عليك من مرقم يستطلع انباءك
فلا تحفل بمن تبسم، أو تزعج إغواءك

الى وكرك يا قلبي فإني الليل خداع
ترى الاضواء ساهرة وهذا السحر إيقاع
وهذه الفتنة الحبرى غوايات وأطباع
وهذا الحب يا قلبي ملذات وإمتاع
وهذه حبة الجنات تلهو بالآلى أصعاع
فقد لوكر يا قلبي ففي وكرك أسعاع

بحث الثقافة

وأثره في النهضة العربية

لقرسى حافظ طوقان^(١)

وطد الحاضر لحاضره بذكر ما أدركته أمم الغرب وبعض أمم الشرق من ان
بعث الثقافة أهم العوامل التي تستند اليها التهضات السياسية والحركات الاستقلالية وان
الامة التي تبني جدياً وسودداً عليها ان تخلق في الافراد روح الابدان بقا بليتهم على
للاشباع وان تنقى فيهم الشعور بالذمة القومية وذلك بالاعتماد بماضيا وربطه بحاضرها
وتسريع الناشئة بجهود أسلافهم وما زرعهم في ميادين العلوم وما كان لهم من اثر في تقدم
الحضارة . ثم أشار الى ما هلك الامتان اليونانية والارمنية في هذا الميدان . ثم
وجه الكلام الى الامة العربية وراثتها المثلّي الجيد فقال : — [المحرر]

ان الامة العربية من الامم التي خلّفت آثاراً جليلة في ميادين المعرفة طادت على الحضارة
بالتقدم والارتقاء . وقد لا يكون هناك امة لها ما للامة العربية من تراث خالد وأثر بليغ في
سير العلوم فلولا نتاج الترجمة العربية لتأخر سير المدنية بضعة قرون
وعما يؤسف له حقاً اننا اهملنا تراثنا ولم نلتفت اليه ، وأنه باهملنا هذا وعدم التفاتنا الى ما كثر
اسلافنا اصبح لدى الكثيرين اعتقاد في عدم قابليتنا وأنه لم يكن لاجدادنا اي جهد فكري
طلبي ، وأنه لم ينشأ بين العرب من استطاع ان يبلغ في ميدان العلم مبلغ علماء أوروبا وعابقتها
ومن اغرب ما نشاهده اليوم ان نجد كثيرين ينكرون على العرب ما زرعهم في مختلف العلوم
والفنون وقد زيد استراجمك اذا علمت ان هذا الانكار سائد وسيطر على المثقفين وأصحاب
الشهادات والالقب العلمية ، وليت الامر يقف عند هذا الحد — حد الانكار — بل يتعداه
الى الاستخفاف بكل ما هو شرقي مائة وعربي خاصة والى التنقص من جهد السلف
وقضلم على المدنية ، بينما نجد في الغرب من قام يدافع عن الحقيقة لانها حقيقة ومن قام يظهر
الحق لانه حق . وقد دفعهم الاخلاص للحقيقة ان ينصفوا الحضارة العربية بعض الانصاف
فاعترف غير واحد بما للمدنية العربية من فضل على مدنية أوروبا التي يضمون بها . وقد ثبت لهم

(١) من الحاضرة النجسية التي ألقاها تدري حافظ طوقان في منتدى جمعية الشبان المسيحية بالقدس
برئاسة الاستاذ احمد سامح الحافظي عميد الكلية العربية بالقدس

انه كلما تقدم العلماء في البحث عن نتائج قرائح العرب نجلى لهم فضل العرب على العلم والعمران بصورة أوضح وظهر لهم ان العرب سبقوا الغرب في وضع النظريات الرياضية والفلكية والفلسفية . وقد قال أحد علماء الفرجة ان بعض ابتكارات واختراعات حسيها من عملنا ثبت بعد قليل ان العرب سبقونا بها . واعترف بعضهم بملء كعب الحضارة العربية وبما أسدته من خدمات جلى الى المدينة . قال فلوريان : « ... كان للعرب عصر مجيد عرفوا فيه بانكبابهم على الدرس وسعيهم في ترقية العلوم والفنون ، ولا نبالح اذا قلنا ان أوروبا مدينة لهم بمخدمتهم العلمية — تلك الخدمة التي كانت العامل الاول والاكبر في نهضة القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد ... » . وقال (ويز) عن حضارة العرب ما يلي : « وكانت طريقة الغربي ان ينفذ الحقيقة بكل استقامة وبكل بساطة وان يحلوها بكل وضوح وبكل تدقيق غير تارك منها شيئاً في ظل الابهام . فهذه الخاصة التي جاءتنا نحن الاوروبيين من اليونان وهي لشدة التور اما جاءتنا عن طريق العرب ولم تهبط على أهل المصراع الحاضر عن طريق اللاتين ... » وبما لاشك فيه ان الحضارة العربية هي حلقة الاتصال بين حضارة اليونان والحضارة الحالية فهم الذين حفظوا علوم اليونان وغيرها من الضياع وهم الذين نقلوها ونقلوا معها اضافاتهم الكثيرة الى أوروبا عن طريق الاسبان ، ويعترف (البارون دي فو) بأن الرومان لم يحسنوا القيام بالميراث الذي تركه اليونان ، وبأن العرب كانوا على خلاف ذلك فقد حفظوه وأتقنوه ، ولم يبقوا عند هذا الحد ، بل قدموه الى ترقية ما أخذوه وتطبيقه بأذلين الجهد في تحصيله وأما في حقه سلوه للصور الحديثة . وم فوق ذلك أساندة أهل أوروبا اعترف بذلك العالم الافرنسي الكبير (سيديو) حيث قال : « وان نتاج أفكارهم الفزرة ومخترعاتهم النفيسة تشهد انهم أساندة أهل أوروبا في جميع الاشياء ... »

هناك أناس يضيرون على نعمة جديدة اقتبسوها عن الجاحدين لفضل العرب والاسلام ، وهذه النعمة تدور حول قولهم ان العرب لم يكونوا غير نفقة للعلوم ، ومن الغريب ان لا تجد من العرب من رد عليهم ، ومن الغريب ان يكون الرد عليهم من طام أميريكي أشهر بالبحث والتفتيش . قال الدكتور (سارطون) : « ان بعض التريين الذين يجربون ان يستخفوا بما أسداه الشرق الى العمران يصرحون بأن العرب والمسلمين نقلوا العلوم القديمة ولم يضيفوا اليها شيئاً ما ... هذا الرأي خطأ ... لو لم تنقل اليها كنوز الحكمة اليونانية لتوقف سير المدينة بنعمة قرون ... » ويمضي الدكتور في كلامه فيقول : « ... ولذلك فان العرب كانوا أعظم مسلمين في العالم في القرون الثلاثة الثامن والحادي عشر والثاني عشر للميلاد ... »

في الرب علماء عابرة استطاعوا ان يسدوا جليل الخدمات الى العلم كاتحي اسداها نيوتن وقراداي ورتسجن وغيرهم من نوايح التريين . وقد اعترف (ويدمان) بأن العرب أخذوا بعض النظريات

عن اليونان وفهموها جيداً وطبقوها على حالات كثيرة مختلفة ثم أنشأوا من ذلك نظريات جديدة وبحوثاً مبتكرة « فهم بذلك ... » يقول ويدمان « ... قد أسدوا الى العلم خدمات لا تقل عن الخدمات التي أتت من مجهودات نيوتن وقراداي ورتجن ... » والذي لا أشك فيه ان علماً له مقامه العلمي الممتاز كالاستاذ (ويدمان) لا يلقى الكلام جزافاً وهو يعرف ما يقول ويزن كل كلمة يفوه بها بميزان الحقيقة والانصاف. اتنا أولى من غيرنا بحرفة عابرتنا ونوابنا . انه لواجب مقدس علينا أن نهم بترائنا وبما أوردته أسلافنا الى الاجيال . أليس من الصعب الفاضح علينا ان لا نعرف ان الخوارزمي هو من كبار رياضيي العالم وانه أول من وضع (الجبر) بشكل مستقل عن الحساب وقد بوبه ورثه وزاد عليه زيادات هامة قد اساساً لكثير من بحوثه . وعلم الجبر — يا سادني — من اعظم اوضاع العقل لما فيه من الدقة واحكام في القياس

ولقد جمع العرب بين الجبر والمهندسة وطبقوا المهندسة على المنطق كما طبقوا اكثر العلوم على مختلف مرافق الحياة . واعترف (كاجوري) بفضل العرب على الجبر فقال « ... ان العقل ليدش عند ما يرى ما عمله العرب في الجبر .. » وقال ايضاً . « ... ان حل المعادلات التكميلية بواسطة تقطوع الخروط من اعظم الاعمال التي قام بها العرب ... » ويمكن القول ان بحوث العرب في الجبر والمهندسة وفي احكام العلاقة بينهما كانت سابقة لبحوث (ديكار) و(فرما)

أليس غريباً ان لا يعرف كثيرون ان العرب هم الذين هذبوا الارقام الهندية التي تستعملها الآن والتي وصلت الغرب بواسطة الكتب العربية . وليس المهم هنا تذيب العرب للارقام بل المهم ايجاد طريقة جديدة لها ، طريقة الاحصاء المشري ، واستعمال الصفر للثانية التي تستعملها الآن ووضع علامة الفاصلة للكسر المشري . ان أثر ذلك في تقدم الرياضيات والعلوم الاخرى وارتقاء الحضارة في مختلف نواحيها ليس مما تسهل المبالغة فيه

هل سمعتم شيئاً عن البتاني الذي امتاز على غيره بمواهبه وقد تبوأ مركزاً طليعاً في ميادين العلوم ولاسيما في الفلك والمثلثات والجبر والمهندسة . ولقد اطلع (لالاند) وهو عالم غربي لمع في سماء البحث والاستقصاء والاتاج ، اقول اطلع (لالاند) على ما أثر البتاني فكان ان عدّه من المشيرين فلكياً المشهورين في العالم كله . وكان من العرب علماء آخرون ادهشوا الاوربيين وحلّوهم على الايمان بقوة العقل العربي وابداعه ، ومن هؤلاء العلماء ابن سينا الذي قال عنه (سارطون) انه من اشهر مشهوري العلماء العالمين . والكندي الفيلسوف الذي يسرى ذكره في كل ناد ، وهو من الذين امتازت مواهبهم بنواحيها العديدة ومن الذين عديم (كاردانو) العالم الايطالي الشهير من الاثنى عشر عبقرية الذين هم من الطراز الاول في الذكاء في العالم كله أليس من المؤسف حقاً ان لا يعرف الناضئ العربي ان اجداده تبنوا الكيمياء وانهم

ابدعوا فيها وانهم سبقوا غيرهم في الالتجاء الى التجربة ليحققوا من صحة بعض النظريات .
والىهم يرجع الفضل في استحضار كثير من المركبات والاحماض التي تقوم عليها الصناعة الحديثة .
فلقد استحضروا مركبات تستعمل الآن في صنع الصابون والورق والحبر والفرقانات
والاصبغة والسبائك الاصطناعي . وقد يجهل كثيرون ان جابر بن حيان هو من ألهم علماء
الكيمياء العالمين ومن الذين اضافوا اضافات هامة الى الثروة الانسانية العلمية جعلته في عداد
الحالمين المتقدمين في تاريخ تقدم الفكر

وقد تدهشون (ايها السادة) اذا قلنا انه وجد في الامة العربية من اشتهر في كثير من
العلوم كالبيروني وانه كان ذا كعب عال فيها . ففاق علماء عصره وعلا عليهم وكانت له مبتكرات
كبيرة الشأن وبحوث نفيسة في الرياضيات والفلك والتاريخ والجغرافيا . وقد توصل (شاو) العالم الالاماني
بعد دراسة حياة البيروني وبعد اطلاعه على مؤلفاته الى الوقوف على حقائق لم تكن معروفة
خرج منها باعتراف خطير وهو : « ان البيروني اعظم عقلية عربها التاريخ » . ولو ان هذا
الاعتراف صدر عن باحث عربي لرُمي بالتحيز والمغالاة ، لكنه بحمد الله صادر عن
عالم يزن كلامه ولا يبدى رأياً الا بعد بحث ونمحيص . (شاو) هذا يقترح ان تؤلف جملة لمجيد
البيروني واحياء ما تركه . واني اقترح على الاستاذ الخالدي - ونحن في هذا الصدد - ان يميل
على احياء ذكر البيروني بقامة مهران (على غرار مهران الجاحظ) يدعو اليه العلماء من الاقطار
العربية ليتكلموا في نتاج البيروني في نواحيه المتعددة ، وبذلك ينصف عالم كبير اسدى الى العلوم
والمدينة اجل الخدمات . ومن بحاث القرب من جعلته دراسته للتاريخ والجغرافيا على القول بان
مقدمة ابن خلدون هي اساس التاريخ وحجر الزاوية فيه وان كتاب مسجم البلدان لأبي صداقة
ياقوت هو مسجم غني جداً بالمعرفة وليس له من نظير في سائر اللغات

لولا العرب لما كان علم المثلثات على ما هو عليه الآن ، قالهم يرجع الفضل في وضعه بشكل
مستقل عن الفلك وفي الزيادات الاساسية الهامة التي جعلت الكثيرين يسترونه علماء عرباً .
ولا يخفى ما لهذا العلم من أثر في الاختراع والاكتشاف وفي تسهيل كثير من البحوث الطبيعية
والهندسية . ونظرة الى بحوث الضوء ونظرياته تثبت انه لولا العرب لما تقدم هذا العلم تقدمه
الحاضر . يقول (ماكس مارخوف) . « ان العرب اسدوا جليل الخدمات الى هذا العلم الذي تجلّى
لنا فيه عظمة الابتكار الاسلامي .. »

وبقيت كتب ابن الهيثم في البصريات منهلاً ينهل منه أكثر علماء القرون الوسطى كروجر
باكن وبول وانيلو وليونارد فونشي وكوبرنيكس وكبلر وغيرهم . وتتمت دائرة المعارف البريطانية
بان كتابات ابن الهيثم في الضوء أوضحت اختراع النظارات . ويمكن القول ان ابن الهيثم هو من

صافرة العالم الذين أسدوا الى العلوم خدمات لا تثنى . ومن يطلع على مؤلفاته ورسائله تتجلى له لما أثر التي خلفها مما ساعد كثيراً على تقدم علم الفيزياء الذي يشغل فراغاً كبيراً في الطبيعة والذي له اتصال وثيق بأهم المخترعات والمكتشفات والذي لولاه لما تقدم علما الفلك والطبيعة تقدمهما العجيب ، قدماً يمكن الانسان من الوقوف على بعض أسرار المادة في دقائقها وجواهرها وكهاربها وعلى الاطلاع على ما يجري في الاجرام السماوية من مدهشات ومجرات . وأثبتت التحريات الحديثة بأن العرب هم الذين اخترعوا الرقاص والاسطرلاب واكتشفوا الخلل الثالث في حركة القمر . وبأنهم من الذين مهدوا لايجاد التكامل والتفاضل واللوغاريتمات ، وبأنهم من الذين قالوا بدوران الارض كما ان أرسادهم تقيم الدليل على اهليجية فلك الارض وقد سبقوا (غاليليو) في وضع بعض قوانين الرقاص . ولذا شئت المضي في تعداد ما أثر العرب في العلوم والفنون طال بنا القول وقد نخرج عن موضوع المحاضرة

أبها السادة — يظهر مما مر أن في الغرب منصفين ، وان في الغرب من حفزه الانصاف والروح العلمية الصحيحة الى الاهتمام بالتراث العربي والاعتراف بمظمة النتائج الذي خلفه العقل العربي للعلم والممران ، وقد ثبت لهم ان المدينة العربية مدينة يزدان بها التاريخ وبحق للدهر أن يفاخر بها . وأرى ان هذه المدينة لو لم تكن حافلة لما أثر مليئة بالمفاخر، سامية رائدة لها طابعها الخاص وخصائصها المنازلة لما اشتتل بها الريون ولما كتبوا عنها المجلدات ولما اهتمت جامعاتهم بالبحث عن آثارها والفوس على كنوزها . فلقد قدرت جامعة (برنستون) الاميركية خدمات العرب وافضالهم على الانسانية والثقافة فراحت تخصص أنظم ناحية في اهل ابلتها لما أثر علم من أعلام الحضارة الخالدين — الرازي — كما راحت تنشئ داراً لتدريس العلوم العربية والبحث عن المخطوطات واخراجها ونقلها الى الانكليزية حتى يتمكن العالم من الاطلاع على اثر التراث العربي في تقدم العلم وازدهار الممران . وعلى الرغم من هذا الاهتمام ، وعلى الرغم من البحوث التي قام بها العلماء في تراثنا فلا تزال هناك نواح لم تطحقها من البحث والاستقصاء ولم يقض عنها بعد غبار الاهمال . وما لا ريب فيه أن مثل هذه البحوث والموضوعات ليست بالتي يمكن اعطاؤها حقها بسهولة . ولن يتمكن الباحثون والمنقبون من الوقوف على نتائج العقل العربي كاملة وخدماته للانسانية الا اذا تابعوا استقصاءهم وواصلوا تقييهم ، وعندئذ يتمكنون من إزالة السحب الكثيفة المحيطة بتراثنا وما ثرنا واذا كان في الغرب منصفين فإن فيه كذلك من هو غير منصف او من له مطامع وأغراض لا تستقيم ونهوض العرب . فشوء كثير من الحقائق ، وقلب البعض الآخر ، وادخلت الشكوك والريب في كثير من الحوادث التي تمجد العرب ، وفوق ذلك أخذ بعض النظريات والاختراعات العربية ونُسب الى غيرهم وقيل باسم العلم والحقيقة ان العرب غير متعجين وانهم لم يكونوا غير

نقطة ، وإن الحضارة العربية لم يكن لها أثر يذكر في سير المدنية الحاضر ، ووصم العقل العربي بالجمود وبكونه دائماً عالة على غيره . وقد يسأل البعض هل من قصد وراء ذلك ؟ والجواب على هذا أن القصد التثييط من عزائمتنا وإدخال اليأس الى قلوبنا من نجاحنا ومن المؤسف حقاً أن تتحقق بعض غايات هؤلاء وبعض ما يرمون إليه ، إذ كان لذلك كله الأثر الكبير في عقيلة طلابنا وكتابنا واخذ الاعتقاد بدم قابليتنا يفسرّب الى الكثيرين منا واصبحتنا هدامين لكتابنا ، منكربين ميراثنا لا نرى فيه خيراً ولا جهلاً ولا متاعاً ولا انتفاعاً ورحنا مفتونين بالحضارة الغربية ما كفين عليها مهملين تاريخنا وحضارتنا واصبحتنا نعرف عن شكسبير ودانتي وجيتي وفراداي ونيوتن وإديسون وبستور أكثر مما نعرف عن المتنبي والمري والبيروني والبوزجاني والخوازمي وابن الهيثم والبتاني وجابر بن الأفلح وابن رشد والكندي والمجريطي وغيرهم . واصبحتنا نرى في المدنية الأوروبية كل الخير وكل الجمال وكل المتاع وكل الانتفاع

أيها السادة — قد يسمي بعضكم الظن فيرى في أقوالني هذه دعوة الى إهمال العلوم الأوروبية ونيز الحضارة الغربية . أنا لا أدعو الى ذلك ، ولا أطلب مقابلة تيار المدنية الحالية من كل النواحي . أنا أقول وأطلب أن ندرس الى جانب المدنية الأوروبية ثقافتنا وتاريخنا . أما أقول بدرس ما يأتي به الغرب والتعرف على سبله ومسالكه وإن نضيف الى ذلك ما في حضارتنا وثقافتنا من عناصر خالدة . زيد أن يعرف النشء العربي مآثر أجداده في ميادين العلوم والفنون ومكتشفاتهم فيها . زيد أن يشعر الناشء العربي أن أجداده كانوا شيئاً في هذا الوجود ، وأنهم بالعمل الجدي استطاعوا أن يفتدوا حضارة شرقية عربية لا تزال أوروبا تتم بما أثرها . زيد أن يمتدح العربي بقابليته وإن يؤمن بنبوذعوانة في إمكانه أن يفتح وإن يبدع

سادتي : ان في استطلاع علماء العرب ومفكرهم أن يمددوا لهذا كله بمقد مؤتمر للعلوم العربية (كما اقترح الدكتور مشرفة بك) تمحصر غاياته في بث الثقافة العربية واحياء الآثار العربية بمختلف الوسائل : كانشاء مجمع دائم للدراسات العربية والاسلامية يعمل على نشر المؤلفات العربية مع شرحها وبها بأمان متدلة حتى يتمكن الجميع من الاطلاع عليها والوقوف على مآثر السلف وراث الاجداد ، والعمل ايضاً على ادخال تاريخ العلوم العربية في برامج التدريس في الجامعات والكتبات في الاقطار العربية ، وبذلك تستطيع هذه للمساعد ان تقوم بواجبها القومي والوطني ويصبح عندئذ معنى لوجودها . وقد اتصلت بمسيد كلية العلوم في الجامعة المصرية الدكتور مشرفة بك وطلبت منه ان تقوم كلية العلوم بهذا العمل الخطير وان تولى الدعوة لهذا المؤتمر . ويسركم ان تعلموا ان هذا الطلب تحت الدرس وعمل غاية المريد . وأملنا وطيد بأن فكرة بث الثقافة عن طريق عقد هذا المؤتمر ستخرج قريباً الى حيز الوجود

لا أظن ان أحداً يخالفني في ان الحكومات العربية والجماعات وبعض الافراد في الاقطار العربية بدأت تسعى لسدّ النقص الذي لازم الحركات الوطنية والقومية مدة طويلة . فلقد بدأت النهضة الثقافية تسير حثيثاً وستود على الامة بالقبضة وعلى ابناء الجبل بالاعتزاز . وها نحن اولاء نجد ارباب المعاهد وبعض القائمين بأمر الحكومات العربية يهتمون باجاء رأت العرب واظهار ما ترمم وما قدموه من جليل الخدمات الى المدينة . مَنْ منا لم يسمع عن المهرجانات المديدة في مصر والمغرب وسوريا التي اقيمت احباً لذكرى شاعر العرب المتنبي ؟ وقد كانت هذه المهرجانات موقفة ورائمة ، نية المقاصد سامية الغايات كشفت عن بعض التواحي التي كانت محاطة بضيوم الفموض والايهام

وَمَنْ منا لم يقرأ عن اسبوع الجاحظ الذي اقامته كلية الآداب في الجامعة المصرية وقد تكلم فيه فريق من فحول الادب وأئمة البيان ؟ بل ومن منا لم يلح الحركة الجديدة نحو احياء الكتب القديمة واظهارها الى الناس والسعي لنقض غبار الایهام عنها ؟ وها هي ذي الحكومة المصرية تشترك مع الافراد والجماعات في بث الثقافة العربية عن طريق احياء ذكرى كبار الادباء والشعراء ونوابغ رجال العلم والفن وعن طريق اخراج المخطوطات وطباعتها ونشرها . وها هي ذي الحكومة السورية تعمل على اقامة مهرجان كبير احباً لذكرى المعري بمناسبة مرور الف عام على وفاته وقد انتهت من وضع تصميم لبناء ضريح الشاعر الفيلسوف في مسقط رأسه (المرة) من ولاية حلب

ومن المبهج ان نجد هذا التوقّز نحو بث الثقافة العربية لا ينحصر في جهة واحدة ، بل يشمل جهات اخرى . فقد اخبرني الدكتور مشرفة بك ان في نيته اقامة مهرجان لاحياء ذكرى ابن الهيثم في عام ١٩٣٨ اذ يكون قد مرّ على وفاته تسع مئة عام . ولا شك ان هذا الاتجاه الجديد سيدفع بالحكومات العربية والجماعات والافراد الى اخراج مؤلفات نوابغ الرياضيين والطبيين ورسائلهم وجملها في تناول المتعلمين . ولست بحاجة الى القول ان هذه النهضة لا تزال في اولي مراحلها ونحن لم نقطع فيها بمدى جديراً بالاعتبار . ولكن ما نراه من الشروع في الاهتمام بالتراث العربي لما يؤكد لنا ان العرب أصبحوا يدركون ان بث الثقافة واحياء القديم وربطه بالحاضر من أقوى الدعام التي عليها يبنون كيانهم ويشيدون استقلالهم

وأختم كلامي بأنه ما من أمة تستطيع احترام حاضرها وتحقيق مثلها العليا اذا لم تكن على صلة بماضيها محترمة له واقفة على ما فيه من جلال وبهاء ، وعلى الامة التي تبني عزاً وتبني سؤدد ان تصل ماضيها بمحاضرها وان تبني حضارتها على حضارة أسلافها ، وبذلك لا يفرده تستطيع تلك الامة ان تشرع ناشتها بأن لهم كياناً محترماً وشخصية مستقلة ، وهذا كله يدفع بالامة الى حيث المجد والمظلة

الفلسفة العربية

ما أخذت وما أعطت

لعليموه موسى

— ٢ —

لم يكن يد قبل الدخول في قلب هذا البحث من الاشارة الى الذين شادوا أركان الفلسفة العربية وكانوا بناءً مجدها وشهرتها وما كانت اشهر آرائهم ومذاهبهم . وقد أننا على أم تلك الآراء في القسم الاول من هذا المقال بقدر ما سمح به المجال

اما موضوع المقال وهو « ما أخذت الفلسفة العربية وما أعطت » فقد تقدم القول أن الفلسفة العربية كمنظيرتها الفلسفة اللاهوتية (Scholasticism) في بلاد الغرب لم تطلع بمذهب جديد ولا اتخذت لنفسها طريقة خاصة بل كان ما جاءت به منقولا عن فلاسفة اليونان . وقد أخذ العرب عن هؤلاء جميعهم فلم يدعوا فيلسوفاً لم يقلوا عنه من طائفة الى أرسطاطاليس الى افلاطونوس وبروكلس من زعماء الافلاطونية الجديدة . ولكن جل اعتمادهم كان على المذهب الافلاطوني الجديد لأنه أكثر موافقة لتزعمهم الدينية

على أنه وإن كان الفلاسفة العرب لم يستقلوا بمذهب خاص يعرفون به فقد كانوا كما تقدم أعظم الشارحين للفلسفة اليونانية وأكثرهم دقةً وتحقيقاً . وإنما كان بفضل شروحاتهم هذه ان انتشرت الفلسفة وذاعت في الاقطار شرقاً وغرباً كأنما يشت على أيديهم من مرقدها فكان عليها المعول في كثير من معاهد الفلسفة والعلوم طيلة القرن الثالث والرابع عشر الى أواخر الخامس عشر تقريباً حين بدت طلائع الفلسفة الحديثة والعلوم الحديث في مستهل القرن السادس عشر فضربت حجباً كثيفة على جميع الفلسفات القديمة والوسطى والتت معظم مذاهبها ونظرياتها

لأن من راجع آراء فلاسفة العرب ومذاهبهم المختلفة يجد فيها كثيراً مما له قيمة فلسفية كبيرة ولكن الفلسفة الحديثة وبكتشفات العلوم الحديث قضت على معظمها كما قضت على كثير من نظريات الفلسفة اليونانية . الا أن من يتم النظر يرى فيها ما يشير اشارة واضحة الى أم مبادئ

الفلسفة الحاضرة وأشهر مذاهبها. وهذا ما قصدت بالإشارة إليه بقولي «ما أعطت الفلسفة العربية» صارفاً للنظر عما لا أثر له أو صدّى في الفلسفة الحديثة

فمن هذه الآراء ما ذهب إليه زعماء المدرسة الشرقية مثل الفارابي وابن سينا من وجوب تقرير الحقائق الفلسفية بناءً على درس نوايس الطبيعة ومراقبة مجاريها وأحكامها. وهذا ما يمزوه علماء المصير المجددون من أهل الترب فيلسوف الانكليزي باكون مع أنه تقدمه فيها كثيرون غيره مثل روجر باكون وأوكام وغيليو. ولكن الفارابي وابن سينا سبقوا جميع هؤلاء إلى تقرير هذه الحقيقة بثلاث السنين

ومنها قول أبي الوليد ابن رشد بأن في المادة نفسها قوة طبيعية لتوليد صور الاشياء (forms) أي ان هذه الصور تحصل بسبب قوة كامنة طبيعية في المادة نفسها. وهو يخالف بذلك مذهب أرسطو القائل ان صور الاشياء محل في المادة بقوة من الخارج. أليس في رأي ابن رشد هذا من النظر الطبي ما فيه ولا سيما لمن لم يعرف شيئاً عن النفوس الطبيعية في مذهب المتأخرين ومنها رأي ابن سينا والفارابي في الكون وقسمة الوجود إلى واجب وممكن. وهذا من البراهين التي اعتمدها الفيلسوف الألماني الكبير كانت (Kant) وأطلق عليها اسم البراهين الكونية^(١) (cosmological proofs) على وجود الخالق جل وعلا

يزعم ابن سينا والفارابي ان الاشياء الطبيعية ليست من الامور الضرورية حقاً اذ من الخاطئ ان يوجد غيرها بدلاً منها. فهي اذاً من الاشياء الممكنة لا الواجبة الوجود. والممكن يستدعي او يقتضي طبيعة الحال وجود ما هو واجب الوجود بذاته ليكون سبباً او علة لوجوده. فالواجب الوجود بذاته هو الخالق جل جلاله ولا احد سواه. وكل ما عداه فهو في دائرة الممكن. وقد افاد هذا الرأي الفارابي وابن سينا كثيراً اذ تخلصا به من القول بأزلية المادة تباعاً لرأي أرسطو وهذا منافٍ لمقتضى التعاليم الدينية كما تقدم

ولابن جبرول الفيلسوف العربي (١٠١٠ — ١٠٧٠) الذي اشتهرت فلسفته عند علماء العرب وكان له المناظرات الشديدة الهجة مع اعظم فلاسفتهم فكان له منهم الانتصار والخصوم، آراء ذات قيمة فلسفية كبيرة تدل بأوفى بيان على أسمى مبادئ الفلسفة في هذا المصير فمن تلك الآراء ما ذهب إليه من اتحاد النضرين العقلي والمادي في مادة واحدة طامعاً اذ

(١) أما البرهان الثاني من هذا النوع الذي اعتمده كانت فهو مذهب أرسطو من حيث السبب او المحرك الاول. يقول أرسطو ان كل حركة في الكون لا بد لها من محرك. فاذا تبعتها سلسلة الاسباب او المحركات وجدنا انه لا بد لنا من الوقوف عند السبب او المحرك الاول غير المتحرك. فالمحرك الاول في اعتقاد أرسطو هو الباري جل جلاله

قال ان المادة الحولية والمادة الروحانية ليستا سوى جزئين من المادة العامة وقد اتيت على ذكر هذه النظرية مفصلاً في مقال نشرته بجملة المقتطف القراء في عدد حزيران (يونيو) من السنة الماضية تحت عنوان « بين اسينوزا وابن جبرول » وفيه اشارة كافية الى وجه الشبه في مذهب الاليتين في المادة الاصلية^(١)

وقد ورد في المقال نفسه ايضاً نظرية ابن جبرول في الارتقاء الطبيعي وكيفية ذلك الارتقاء وهو بحث لم يتناوله اهل القرب الا بعد القرن السابع عشر . قال ابن جبرول « ان المادة الطبيعية (يريد مادة الكون الاصلية) اي الجوهر المنتشر يتحرك لينخذ صورة العناصر الاربعة ثم يرغب في اخذ صورة الجماد ثم النبات ثم الحيوان . ثم يطمح الى الامتزاج بالعقل والارتفاع الى ذلك العقل العام الذي هو منتهى كل الارتقاء واليه تنتهي كل حركة » . واما اذا تأملنا هذا القول على ما فيه من بساطة المعنى والتركيب واعتبرنا الوقت الذي قيل فيه لم يستألاً اكبار هذا الرأي وانزاله منزلته من المكانة والاعتبار

ولان جبرول فكرة اخرى جذرية بكل اعجاب وهي اعتقاده في الارادة وابراده اياها كاحدى علل الوجود ومبادئه . فقد جاء في خلاصة مذهبه قوله « ان لكون ثلاثة مبادئ الوحدة الخالصة وهي الخالق . ثم المادة والصورة وهما العالم . ثم الارادة وهي الواسطة بين الله السامية ومفاعيلها » . ان الارادة كما يعلم المطلعون هي المبدأ الاول لوجود في مذهب الفيلسوفين شوبهور وهارتمان وغيرهما من فلاسفة القرن التاسع عشر (will to live) أو ليس ان ارادة او حب البقاء معناه في نظر المحدثين وعطاء المصير تنازع البقاء ؟ فاما ان تكون ظهرت هذه الفكرة في عصر ابن جبرول على ندرة المادة العلمية في ذلك العهد فذلك امر يستحق الذكر بل الاعجاب . ثم ولئن كان نظر ابن جبرول في الارادة يختلف عن وجهة نظر هارتمان وشوبهور فجوهر الفكر واحد والفضل للتقدم . ولا حاجة بنا الى القول ان نظرية شوبهور هذه في الارادة هي من اشهر مذاهب الفلسفة في وقتنا الحاضر

ومن ماثور اقوال ابن باجه الذي عرفه الافرنج باسم (Avempace) قوله في الخلق الاجتماعي في الانسان نقلاً عن كتابه تدبير حياة المنزل « ان بين الانسان والحيوان نسبة كما بين الحيوان والنبات وبين النبات والجماد . فما احتسب من الاعمال بالانسان وكان صحيح النسبة اليه هو ما صدر عن ارادة مطلقة اي عن ارادة مصدرها التبصر لا ما صدر عن مجرد الهداية الطبيعية كما في الحيوان . مثال ذلك : انسان كسر حجراً لكونه صدعه فهو عمل حيواني

(١) ان هذا الرأي ينسب الفريول الى الفيلسوف الهولندي اسينوزا ولكن ابن جبرول تقدمه فيه بمئات السنين كما اشرنا الى ذلك في المقال المذكور

فلو كسره كي لا يصدع غيره . لكن عملاً إنسانياً . وقلنا فعل الانسان افعالاً حيوانية محضاً وكثيراً ما فعل افعالاً إنسانية محضاً فعلى المعتزل ان يفضل ما كان من النوع الثاني ويمتدح من مطاوعة النفس الحيوانية ولا يكون دليله الا النفس المدركة ، ويفضل الافعال المستقيمة على النافعة حتى اذا تبارت فيه النفس العقلية والحيوانية تسبق الاولى الثانية سبقاً مبنياً . ويشتي باصلاح صفاته الادبية فتصير اعماله اقرب الى الانسية منها الى الانسانية ، فاذا جرى المعتزل على هذا السبيل فإنه يتدرج في الوصول الى معرفة العالم الروحاني وهي غاية سبيله »

ألا يجد القارئ في هذه العبارة اوضح دلالة على مبدأ الفيرية altruism في حياة الانسانية

الاجتماعية والفيرية هي اظهر صفات الخلق الاجتماعي في الانسان كما لا يخفى هذا أم ما وقفت عليه في نظريات فلاسفة العرب وآرائهم مما له أثر في الفلسفة الحديثة وكان من وضعهم ولا أصل له في الفلسفة اليونانية . وما أدراك ان الفلاسفة المحدثين من أهل الغرب لم يأخذوا بضع الاصول والمبادئ في فلسفتهم الحاضرة من الفلسفة العربية . فرب فكرة صغيرة قلبت مع الايام فصارت مذاهباً خطيرة . ورب حادث يسير حول مجرى تاريخ مملكة بأسرها . فسي ان يواتنا بعض ذوي الاطلاع بشيء من هذا النوع استيفاءً للبحث وتعميماً للفائدة . على اني أرى أدينا العربي يستطيع ان يروي من الذاكرة مئات الايات من الشعر لشاعر واحد وقد يغني الساعات يحلل بيتاً من الشعر لبتين مواطن القوة والضعف فيه . انه قد يفعل ذلك وربما كان لا يعلم انه قام في تاريخ الامة العربية أفراد كالفارابي والفرابي وابن باجة وابن الطيفل من أعلام الفكر وأقطاب الفلسفة . فهل يقلب لنا المستقبل صفحة جديدة من الجدد والاهتمام فنقبل على ذلك المورد المذهب من آثار فلاسفتنا الاعلام لستي آيات الحكمة الشرقية ونجني ثمرات تلك العقول الفياضة بالمعرفة والاختبار . هل تقل ذلك انصافاً لانفسنا واحياءاً لذكر فلاسفتنا العظام الذين عرف ابناء الغرب قدومهم فأجلوه وأكرموه وجهلتنا نحن فكان جهلنا علينا خسارة

ان القرن العشرين هو عصر التيقظ والتسامي لمعرفة حقائق الكون السكينة وعدم الركون الى الامور السطحية او التلهي والاشتغال بالاشياء القليلة الجدوى . هذا هو الطابع الفلسفي المعني للقرن العشرين فسي ان يكون لاهاء الاقطار العربية حظ من هذه البقطة العامة كما نستطيع ان نحيا أفراداً وجماعات الحياة المستنيرة للثلى ونكون اعضاء طاملين حقاً في جسم هذا المجتمع العظيم

الدكتور محمد اقبال

أكبر شعراء الهند المسلمين في الوقت الحاضر

رسالة شعره

السيد أبو النصر احمد الحسيني الهندي

— ٣ —

اما الجبود وهو ترك الدين الذي هو عنده بمنزلة الروح في هبكل الاجتماع الاسلامي أو
الانسلاخ عن الماضي ، والانجراف في سيل الغرب ، فيرى انه خطر مهدد لكيان الهبة
الاجتماعية الاسلامية واكبر دليل على السجز وقتور العزيمة ، اذ به يزدي للمرء ماضيه ، ويحتقر
مناعه ، ويصغر نفسه . فتَمَلَأُ أرجاء قلبه بعظمة النير ، ويحتل جوانب نفسه اعمال الاجنبي . فلا
يرى الخير الا في محاكاته ، ولا التجاح الا في تقليده فيموت استمداده للعقل ، وتقني كفاءته
للابداع . لذلك ينشدهم :

« انني ارى عند المسلم التقليد والظن

فروحي ترتش في جسي في كل وقت

خشية ان يجرمه (الله) يوماً

ويطفي حرقه (حبه) في قلب النير »

وقال ايضاً : « وان كان عند الفريحي اساليب كثيرة

ولكنني لم استفد منه الا العبرة

يا من اسبغت اسيراً في تقليده ! كن حراً »

اسلك ذيل القرآن وكن حراً »

وقال ايضاً : « مزق قميص التقليد

لكي تلم به التوحيد »

وقال ايضاً : « ان صاحب القلب الحي يخلق الاعصار والحدود

ولكن روحه تصبح من التقليد عروسة من الحضور^(١) »
وقال أيضاً : « انه ينقل على البعد الحر
ان يمش في عالم الآخرين »
وقال واصفاً قبجة التعليم الغربي :

« وان كنا مسرورين بتعليم الشبان ولكن
نخرج من شفتينا الضاحكتين سروراً ، الالهة كذلك
لاننا كنا نعلم ان تعليمهم سيأتي بالرخاء
ولم نك نعرف انه يأتي سمة الالحاد
وقال أيضاً مصوراً حالة الشاب في العصر الحاضر :
« انه قد أصبح من حب الظهور عبداً للافرنج
فيأخذ منهم الرقص والغناء
هو يبيع نقد حياته بالهوى
وقد أصبح العلم عليه صعباً فيهم بالهوى
وغدت فطرته ثقيل ذلك
ان البحث عن السهل في هذا الدبر القديم
دليل على ان الحياة قد ذهبت عن الجسم »

وعلى ذكر الهمود رأي الشاعر فيه أذكر انه لما نزل الدكتور مصر من سنوات جاءه شاب مصري
من المشهورين بالعلم والادب فسأله وأنا جالس عنده رأيه في مصر فقال
— انا لم اكن هنا الا بضعة ايام ولكن ما وصلت اليه ملاحظاتي هو ان مصر تحتاج الى قيادة
اخلاقية قوية اشد الاحتياج . فكنت بالابس اخره في جهة الجزيرة اذ رأيت هناك مدينة الملاهي
فاستغربت جداً . فباله عليك قل لي يا سيدي اياهي الواجبات التي تقيم بها حتى وجدتم متسماً من
الوقت لتأسيس مدينة الملاهي وضياح حياتكم فيها . ثم انا ارى انكم تحبون تقليد أوروبا أكثر
من ان تخلقوا انتم طالعكم لا قسمكم بأقسمكم
— نحن قلل أوروبا لان نهضتها لم تهم الا تقليداً نهضة الاسلام . قاثورة الفرنسية في أوروبا
في الحقيقة كانت صدى الحركة الاسلامية

— ما دمتم تمتقدون ذلك فلم لا تهلدون الاسلام عوضاً عن تقليد أوروبا ؟

— وما رأيك في مصطفى كمال ؟

— ان مصطفى كمال لم يأت بشيء جديد بل كل ما عمل باسم التجديد انه قلد أوروبا ولا غير .
وعندي الحركة الفاشستية خيرٌ من حركة مصطفى كمال ، لانها تخلق من الايطاليين طائفاً جديداً
وبدون اي تقليد كما خلق الاسلام من العرب

لم يكن انتقاد الدكتور مبنياً على سوء النية بل على ما يتنى للبلاد الاسلامية من الخير والجد . فهو رجل مفكر
للحضارات القديمة والحاضرة وعلى ما يتنى للبلاد الاسلامية من الخير والجد . فهو رجل مفكر
يرى فكره الثاقب ضرورة تجديد الحضارات في ايمان قيامها عن القنون والملاهي الضارة لها . وهو
عندي رأي سديد . وقد وضحه هو منذ عشرين سنة في مجلة الهد الجديد ونحن نلخصه هنا قال :
« ان الغاية القصوى لجميع الاعمال الانسانية هي الحياة . فما يريد الانسان من أعماله وجدّه ،
وما يبتغيه من عوائده وكده إن هو الا أن تكون حياته ذات خصب ومجد وقوة . لذلك يجب ان
يكون جميع القنون الانسانية قاصدة هذه الغاية العظمى ومصوبة الى هذا الهدف الجليل ، وان
يقدّر كل شيء في هذا العالم على حسب كفاءته لتحقيق هذا الفرض وبلوغ هذه الغاية — الحياة .
وعليه فالقن الذي يقدر ان يوقف قوتنا الارادية الرائدة وينقح فينا روح النزعة والجدل لمحاربة
عن الحياة وآلامها بالطولة والصعولة ويقودنا على هذا النمط نحو مجد الحياة وقوتها ، أرفع وأعلى
وأجدر بالاهتمام والناية . وما سواه جميع تلك الاشياء التي تمسنا ونحملها على غرض عيوتنا عن
الحقائق المحيطة بنا التي على سيادتها توقف الحياة هي في الحقيقة بلاغ الزوال ورسول الموت .
وعلى هذا يجب أن لا يكون الفن مسكراً لكبة الافيون تحذر الاعصاب فتوهن النزعة وتفتر الهمة
تقتل الاماني وتجعل الانسان ينسى واجباته نحو نفسه وغيره ويقع في هاوية الحول والضمه
وأما القول ان « الفن لأجل الفن » فهو من إيجاد التدهور والاحتطاط قد احتقر لخدمنا
ولا يبادنا عن الحياة والقوة » انتهى

لذلك يرى الدكتور أقبال ان المماثلة التي عامل بها الاسلام القنون والملاهي هي في المسألة عين
الرشد ونقص الهداية لنوع البشر قاطبة في كل مكان وزمان



سادساً : ومن مالم رسالة شعر أقبال الدعوة إلى غرس الانانية ^(١) وتربيتها ونيل الكمال .

(١) مرادنا « بالانانية » هنا الانانية المجردة عن صفاتها الحسنة والسيئة وليست كما هي معروفة عند
العامة بصفتها السيئة ونحن قد اعتمدنا في ترجمة هذه الكلمة على رأي الدكتور أقبال نفسه لان الدكتور
يعرف السرية ولان صاحب القول أدرك بما يقول

وهو موضوع فلسفته الخاصة ، بسط مبادئها في جميع دواوينه وعلى الاخص في اثنين منها اي « أسرار خودي » و « رموز بيخودي » . ففي الاول قد وضع طريق تربية الانانية وتكوينها ، وفي الثاني طريق نيل الفرد الكمال وذلك بدخوله في نظام الاجتماع الاسلامي وهو عنده المثل الاعلى في جميع النظم الاجتماعية في العالم . فالاول يشمل المبادئ والاصول لتربية الانانية ، والثاني يحتوي على الاركان والاسس للنظام الاجتماعي الاسلامي التي بالخضوع لها ينال الفرد الكمال . لذلك سمى الاول « أسرار خودي » اي أسرار الانانية والثاني « رموز بيخودي » اي رموز انكار الانانية لان الخضوع في الحقيقة انكار الانانية . ونحن نقدم اليك أولاً صورة موجزة لفلسفته ^(١) ثم نرف اليك ترجمة بعض الايات المختارة التي تمس الموضوع من دواوينه المختلفة

ان الحقيقة عند اقبال عبارة عن عمل مستمر للتكوين والتغيير وليس معانها حالة الوجود الساكنة او الوجود المقيد والمعين . وما يريد به هيجل من تمسيه ، وابداتاً ^(٢) من برها ^(٣) والصوفية من الله انه روح سارية في الكون ليس الا صورة من تصوير ذهن او جولة من جولات الفكر . وبإزاء هذا التمسك لهيجل وبرها لويداتا وتصور الله للصوفية يرى اقبال ان المراكز المبنية للتجربة هي الحقائق الاساسية للكائنات . وتلك المراكز تجعل في الانسان في شكل الانانية المالية شخصيته على صفحة الوجود . فالحياة عند اقبال شيء منفرد خلاف ما يصورها هيجل او ويداتا او الصوفية بأنها الشاملة السارية في الكون . وعلى هذا فانه عنده فرد واحد أعلى وأسمى ليس كغيره شيء تتمتع بصفاته الافراد الاخرى . ثم الحياة عنده عبارة عن حركة مستمرة في التقدم تجذب الكائنات بالغلبة على مشاكلها الى نفسها (أي الى مركزها الانانية) كما تجذب الصفات الالهية الى نفسها (اي الى مركزها الانانية) . والانانية هذه تتقوى بالمعنى الذي هو أسمى صورة للحركة المستديرة في الطلب والسعي في نيل المطلوب غاية الحياة . وأما المقياس لمعرفة الخير والشر في الطلب فهو ان جميع الطلبات التي تقوى الانانية خير ، والتي تضعف الانانية شر . فالسعي خير لأنه يقوى الانانية ، والاستجداء شر لأنه يضعف الانانية . فكلما تقدمت الانانية على هذا المتوال تتقرب الى الانانية العظمى (اي الله) وينال صاحبها الكمال . ولا يريد اقبال بذلك التقرب او الكمال ان يكون نهاية الانسان الفناء في تلك الانانية العظمى او الانضمام اليها كما يقوله الصوفية او يمسّه لنا ويداتا ، بل الانسان الكامل

(١) وقد كتبنا قبلاً مقالة ممتدة في فلسفته نشر في الرسالة في عدد ١١٨ من سنة الثالثة فن أراد التفصيل فليرجع اليه (٢) اسم للكتاب المقدس عند ديانة البراهمة وهو أساس فلسفتهم (٣) اسم علم عندهم لله تعالى

عنده هو الذي يجذب تلك الانانية العظمى الى نفسه اي يتصف بصفاتهما ويخلق بأخلاقها . وهذا الكمال لا يمكن ان يناله الفرد الا بالدخول في أمثل النظم الاجتماعية وأعلامها وهو عند الدكتور نظام الاجتماع الاسلامي كما قلنا

نقتطف من تمهيد ديوانه « أسرار خودي » بعض الايات التي ترجمتها في ما يلي قال :

أنا أنتظر قائمي الفجري
سعداء عبياد ناري
أنا التهمة ولكن غير محتاجة الى المضرب
أنا صوت شاعر الندى
ان عصري لا يعرف الاسرار
ويوسني ليس لهذه السوق
أنا قاطع من أصحابي القدساء
ان طُوري يحترق لأجل موسى للقبول
إن بجز أصحابي ساكن مثل الندى
ولكن نداي يحمل طوقان البحر
ان تفتني من عالم آخر
إن هذا الجبرس لقافة أخرى
كم شاعر ولد بعد موته
فهو غصص عينيه وقنع جيوننا
ورحل الينا من الدم مرة أخرى
وازدهر مثل الورد من تراب قبره
أنا الماشق والصراخ ايماني
وضجيج الحشر ممفوقي .

وقال في ان أساس نظام العالم الانانية وان تسلسل حياة الافراد يتوقف على توطيد الانانية واليك ترجمة بعض الايات المختارة :

إن مظهر الكائنات اثر من آثار الانانية
فكل ما تراه سر من أسرار الانانية
ان الانانية متى ابتظت نفسها
كشفت عالم الفكر (لها)

إن ماث من العوالم مخفية في ذاتها
 فإن الاعتراف « بأننا » يبط اللثام عن « غير أنا »
 وقال أيضاً : على أن حياة العالم قائمة بقوة الانانية
 فالحياة فيدي على حسب تلك القوة
 وقال أيضاً : ان الفطرة حين فهمت الانانية
 حوّلت وجودها التافه الى المألوف
 ان الجبل متى انعدمت أنانيته أصبح الصحراء
 وأن من شدة جربان التهر
 وقال أيضاً : ان الموج الى أنه موج في البحر
 حقيق بان يركب اكتاف البحر
 وقال أيضاً : ان الشعب متى نال قوة النمو من أنانيته
 قلقت همته صدر الحقيقة
 وقال في ان حياة الانانية قائمة من خلق الآمال وابتعاد المقاصد ما يلي ترجمة بعض الايات منه : —
 ان بقاء الحياة من الآمل
 ان قافلها تسير بمجرى الآمل
 وقال أيضاً : أحيي الآمل في قلبك
 لتلاّ تصح حفنة زرايك قبرا
 وقال أيضاً : ان التمني هيجان الانانية
 انه موج مضطرب من بحر الانانية
 وقال أيضاً : ايها الغريب عن سر الحياة اقم
 قم اسكران من خمر الآمل
 فان كنت ذا آمل فانت مشرق كالصبح
 وتار محرقه لغير الآمل .
 وقال في ان الانانية تتقوى من المشق ما يلي ترجمة بعض الايات منه : —
 ان نقطة النور التي تسمى الانانية
 في رابنا شرار الحياة
 هي تصبح من المشق اكثر ثباتا
 وحياة واحترقا ولما نأ

وقال أيضاً : تلم الصق واطلب محبوباً
ولنظر نوح وقلب أيوب

وقال في ان الانانية تضف من الاستجداء ما يلي ترجمة بعض الايات منه :—

يا من جمت الضرائب من الأسود
وأصبحت تطلب الطعم من الاحتياج
الى متى تكون سائل المنصب
وتركب الصا مثل الاولاد

وقال أيضاً : ان الفقر يزداد ذلة من السؤال

ان السائل يزداد فقراً من السؤال

ان اجزاء الانانية تفك بالسؤال

ويحرم به تحيل طُور الانانية من التجلي

وقال أيضاً : ان القمر يأخذ قُوته من مائدة الشمس

لذلك يحمل التدية في قلبه من احسانها

وقال أيضاً : ان تحت السماء ذلك الشاب الشريف

يمشي طلي الرأس مثل الصنوبر

الذي يحافظ على عزة نفسه أكثر عند ضيق اليد

وان كان حظه راقداً ولكنه أكثر يقظة

وقال في الحياة ما يلي ترجمته :

« ان الحياة شرح اشارات الانانية

ان « لا » و « الا » من مقامات الانانية ^(١)

وقال أيضاً : ان الحياة هي زين الانانية بالذات

وطلب الشهادة على وجودها من الغير

طاغور و اقبال

هذه اهم المعالم لرسالة شعر اقبال ، وفي الاخر نجيب ان نقول كلمة في الفرق بين رسالتي
الشعر للشاعرين الهنديين العظيمين الدكتور السر محمد اقبال والدكتور السر رايندرا نات طاغور

(١) « لا » و « الا » إشارة الى كلمة لا اله الا الله

الذين هما كفرنسي رحان في العصر الحاضر فتمزج بين قريتهما الهند وتبهاى لاتبها ركبها اموتها ورضيا لبانها . ولا يساعدا المجال ان قصيب عُدْبَقَه ولا الوقت ان نوافي جُذْبِلُهُ هنا برسم جميع معالم الفرق بينهما لفنارىء . فما تقدر عليه هو ان تتصفه بصورة مصغرة لكل منهما فيضغ له الفرق فنقول :

ان ام الفرق بين رسالتى شعرها هو الذي بين السكون والحركة . فروح شعر طاغور كلها هدوء وسكون وهما من لوازم التفكير المبني قبا وراء الطبيعة الذي لا يزال الصفة المميزة والمطمح الرئيسي للديانة الوثنية الهندية وثقافتها من القديم . لذلك جولان فكر طاغور لا يمتد هذا المدى . فهو يقدم لك مناظر أنيقة بضبط يكاد سنا ضوئها يخلب قلبك ومشاهد رائعة بأسلوب يكاد بهاء حسنها يذهل تفكك ، فيقص به جناح فائرك ويطمس معالم فائرك ، ويدفعك الى التزام الهدوء والسكينة والتفكير . وهذا الهدوء والسكينة اللذان يمتناهما المرء كثيراً ويحزن اليها في معام الحياة وجلبة الاعمال حينئذ قد قدما القرب منذ زمن بعيد . لذلك عندما سطر نور شعره فرح به القرب وأسبح عليه جائزة نوبل فأصبح سيأ هاماً في ذبوع شهرته في العالم ما لم تبلغه شهرة أقبال بعد . وقد يكون السبب لذلك اختلاف طبعه ايضاً عن طبع طاغور . فانه يكره الظهور^(١) وطاقور لا يكرهه كما يدل عليه ترشيحه لقصة للجائزة . وعلى كل حال فمهر طاغور صورة هبة للمناظر الطبيعية وجمالها وهذه مؤثرة للفتين من معارك الحياة ومشاكلها ، ووحى السكينة للفاقدين لما ينتمون في منافسات الحضارة ومنازلها

واما روح شعر أقبال فكلها حركة وإقدام . وهما ايضاً من الصفات المميزة لدعوة الاسلام وثقافته . فمهر ثورة تتأجج لهدم السكون ، وبركان نار يلهب لحرق الجلود . هو يوقظ بشعره من النعومة وينفك على المفوة ويسبح بك الى العلاء سبحانه ، ويفتح قلبك به روح العزيمة ويحذرك من قنور الصبرية ويسبح بك الى المجد سبحانه . لذلك رسالة شعر أقبال رسالة نحتاج اليها الحياة الانسانية اشد الاحتياج في حين قد وهت علاقتها بأسراف القرب في الاقدام على غير الهدى ، وتضضعت دعاتها بأصوات الشرق في الاحجام على غير العيرة ، خلافاً لرسالة شعر طاغور قائما علاج وقفي لما لا يمتد أثره ظروفاً وأحوالاً خاصة كما لا تمسها ايضاً الحاجة الى تلك الرسالة في كل حين وآن . وعلى هذا فمهر أقبال روح الثقافة وصور التقدم وجسم الرجل الى رقة لا تطاول وقوة لا تضام ، وبذاء عام لتقسى الى ذروة الشرف والتوقل في معارج المجد

(١) وقد صور الدكتور طبعه هنا في بيت ترجمته « أنا لا آتصل دلال الملوك ولا جرح الاحسان .
يا من اتخذت بالطمع انظر الى همة هذا الفقير »

مقام الكربون

في الافضل الحيوية

والنوازل العضوى

للكربون مقام خاص بين العناصر لانه يدخل في مركبات متنوعة متعددة يزيد عددها على مركبات جميع العناصر الأخرى . فمن المسلم به عند الكيميائيين ان جميع العناصر ما عدا الكربون، تدخل في تركيب عشرين ألفاً الى اربعين ألفاً من المركبات مع انها لم تتركب جميعاً منها . يقابل ذلك ان الكربون يدخل في تركيب نحو ٣٠٠ ألف مركباً، ولا يمدان بزيادة هذا العدد في السنوات المقبلة حتى يصبح ٦٠٠ ألف . فليس ثمة حدث من الناحية النظرية للمركبات التي يمكن تركيبها من الكربون . ولعل الصفة المميزة لقدرات الكربون قدرتها على توليد مركبات دائية . وهذا يجعل المركبات الكربونية مما لا عد له ، وقد اثبتت التجربة في احوال متعددة وجود مركبات كربونية كان الدليل اليها البحث النظري فقط . وعلى ذلك نرى ان تغييراً يسيراً في بناء الجزيء الكربوني من الناحية الكيميائية ، كابدال ذرات بذرات ، او مجموعات من الذرات بمجموعات أخرى ، يمكن الباحث من احداث تعديل في الخواص التي يتصف بها ذلك الجزيء . وهذا حل الطاء على الاعتقاد بان هذا العنصر هو اساس لا غنى له لأعظم ظاهرات الطبيعة ، فني ظاهرة الحياة . وقد عرفت الكيمياء العضوية بانها « كيمياء مركبات الكربون »

اثبت الطاء بالبحث الطيفي الدقيق ان نحو ٦٠ عنصراً من العناصر الاثني والتسعين موجودة فعلاً في الاجرام السماوية . والكربون منها . فليس ثمة ريب الآن في ان هناك كربوناً غازياً في اكبل الشمس (كروموسفير) . ولما كان متوسط درجة الحرارة في الاكليل يبلغ ستة آلاف درجة مطلقاً ، فمن المتعذر على الغالب ان يدخل الكربون هناك في تركيب مركبات كربونية . وما يجدر ذكره في هذا الصدد ان الكربون يدخل في بعض مركبات شمسية قلما نراها على الارض ومنها ثلاثة غازات احدها يعرف باسم داي كربون Dicarbon وعبارته الكيميائية C_2 — كـ والثاني اسمه مونسيان Monocyan وعبارته الكيميائية O_2N — كـ والثالث ميثاين Methine وعبارته الكيميائية O_2H — كـ يد . وهذه الغازات معروفة عند علماء الفلك وقد وجدوا آثارها في اجواء الشمس او النجوم التي من قبيل شمسنا . ويوح العلامة الالمانى نوداك Noddack

ان هذه المركبات الكربونية الثلاثة هي الاركان التي تقوم عليها الكيمياء العضوية. وقد ظهر من دراسة التيازك ان بعضها يحتوي مركبات عضوية. ويبحث هذه المركبات لازال في مستهل لقله ما أمكن استخراجها منها من التيازك التادرة لاجراء البحث عليه ووجودها في التيازك يثبت على الاهتمام. ذلك ان المسلم به ان التيازك لا أثر للحياة فيها واذا ن هذه المركبات نشأت فيها بالتكيب الكيميائي قد يظن انه يسهل على البحوث والطلاب ان يروا بأعينهم تحول المواد غير العضوية الى مواد عضوية على الارض ولكن هذا ليس في الواقع بالامر اليسير. ذلك ان دهوراً طويلاً اقتضت على الاحياء وهي العامل الفعال في انشاء المواد العضوية على الارض، حتى لتصبح اقامة الدليل على ان بعض المركبات العضوية المقعدة نشأت من اصل غير عضوي

والكربون عنصر واسع الانتشار ولكنه ليس اكثر العناصر مقداراً في كرة الارض، والغالب في رأي نوداك، ان متوسط مقدار الكربون في الارض يبلغ ثلث واحد في الالام يستدل بنتائج الباحث الجيولوجية على انه كان على الارض من نحو الف مليون سنة احياء كثيرة. والظاهر ان الحياة على الارض بدأت على سطحها بعد ما برد رداً كافياً ولكن العلماء لا يعلمون على وجه من الصحة كيف بدأت الحياة ولا متى. وما بدأت الحياة على الارض وغطت سطحها حتى اصبح لنصر الكربون شأن في تطور الحياة على سطح الارض اكبر جداً مما يمكن ان يؤخذ من متوسط مقداره في قشرتها

والراجع ان الافعال الحيوية في مختلف الصور كانت على سطح واحد ولكنها كانت متفاوتة في شدتها. وهذه الافعال بعضها المادة عادة بكلمتين منها «دورة الكربون». ولا يخفى ان كثيراً من العناصر والمواد على سطح الارض يطرأ عليها وجوه من التغير تنتهي بها الى المرحلة التي بدأت منها. وأشهر الامثلة على ذلك الماء. قلنا منتشرة في الجو بخاراً ثم يتقدم مطراً ويسقط على الارض ويجري جداول وانهاراً الى البحر ثم يقيصر بفعل حرارة الشمس فيعود بخاراً مائياً في الهواء أما الميزة التي تمتاز بها «دورة الكربون» فهي اشتراك الاحياء في انماها. فنصر الكربون موجود في قشرة الارض في الصخور الكربونية وأطباق الفحم وماء المحيط والهواء والاحياء. والاحياء فثمان طمان الثبات والحيوان. ومن صفات الثبات الاساسية قدرته على تناول ثاني أكسيد الكربون من الهواء ثم تحويله بفعل الضوء الى مركبات عضوية وأوكسجين. ثم يتناول الحيوان هذه المركبات الكربونية طعاماً فيحوّلها ثانية الى ثاني أكسيد الكربون بعد ان يستعمل بعضها في توليد الطاقة. فالثبات يطلق في الليل ثاني أكسيد الكربون في الهواء. وبعد الموت تحلل الاجسام العضوية فينتقل منها ثاني أكسيد الكربون. واذا نحن أمام دورة تامة لنصر الكربون تشترك فيها الاحياء اشتراكاً فضلاً فتنتقل ذرات الكربون من الهواء الى الثبات

ومنهُ الى الحيوان ثم تعود الى الهواء . الا ان جانباً من ثاني اكسيد الكربون الذي ينطلق من اجسام الحيوانات لا ينطلق في الهواء حتى يتناوله النبات ويمثله .
اما النباتات البحرية فتتناول ثاني اكسيد الكربون من ماء البحار . والحيوانات البحرية تطلقه في الماء ، حتى يدم موتها وتحللها فيطلق منها هذا الغاز ويدوب جانب كبير منه في مياه البحار الا ان « دورة الكربون » لا تسير دائماً هذا السير المطلق . لان بعض الحيوانات يستطيع ان يحدث تفاعلاً بين ثاني اكسيد الكربون وعنصر الحير فتولد مركبات تعرف باسم « الكربونات » وفي هذه المركبات يخزن جانب غير يسير من عنصر الكربون في الارض . او قد تحرق « دورة الكربون » بتولد اطباق الفحم . ولكن اطباق الفحم اقل من رواسب « الكربونات » الحيرية مقداراً . وكلا الفعلين يزِيل من الطبيعة جانباً من الكربون الذي تتناوله الافعال الحيوية على التوالي المتقدم ، لاسيما لان هذين المدين — الكربونات الحيرية والفحم — من المواد التي تقاوم التفاعل الكيميائي . والغريب مع هذا ان البحوث الجيولوجية أثبتت ان مقدار ثاني اكسيد الكربون في الهواء والماء ومقدار الكائنات الحية كانت مقداراً ثابتاً مدى ملايين من السنين . والظاهر ان التقص يسد بما ينطلق من ثاني اكسيد الكربون من الطبقات السفلى من القشرة الارضية ومن تحت الصخور البركانية

واذا بحثنا هذا التوازن بين ثاني اكسيد الكربون والنبات والحيوان وجدنا انه لا يستمد فقط على كون مقدار ثاني اكسيد الكربون ظل ثابتاً دهوراً طويلاً ، بل ويستمد كذلك على تركيب الاجسام كذلك ولذلك يصح ان ندعوه « التوازن الضوي »

قلنا ان النباتات تستطيع ان تحول ثاني اكسيد الكربون بفعل ضوء الشمس وحييات الخضير (الكلوروفل) الى مواد عضوية ولو كسجين . وان الحيوانات تأكل النباتات فتأخذ مقداراً من الكربون المثبت فيها وتحوله الى ثاني اكسيد الكربون . ولما كانت النباتات لا تستضيء من ضوء الشمس لتركيب المواد الضوية فضاء الشمس اذا عامل لا غنى عنه في حفظ التوازن الضوي . ولا يخفى ان معظم الطاقة في ما يصيب الارض من ضوء الشمس يستفيد في تدفئتها مما يجعلها قابلة لسكن الانسان ، وان قليلاً منها فقط يستفيد في التركيب الضوئي

والكربون الذي يخزن في النباتات كل سنة ليس كل الكربون المثبت في اجسام النبات لان كثيراً من النبات يموت ، وكثيراً منه تأكله الحيوانات ومنها ما يموت ايضاً ، فالجانب الاكبر من الكربون المخزون على هذا التوالي غززون في الاشجار المعمرة . وما في الحيوانات من الكربون يبدل تقريباً مقدار الفحم الذي يحرق كل سنة . ويقدر نوداك ان مقدار الكربون المثبت في اجسام النبات والحيوان يبدل نصف مقدار ثاني اكسيد الكربون في الهواء

واذا قارنا بين مقدار الكربون الذي تثبته النباتات كل سنة بمقدار المخزون في الارض كان الثاني اعظم جداً من الاول . وسبب ذلك واضح وهو ان الوف الالوف من السنين انقضت والنباتات تثبت الكربون في جسمها فضلاً عن الحيوي ثم تقبر في الارض . ومع ذلك فان مقادير الفحم وكربونات الحجر المدفونة في الارض يسيرة جداً اذا قيست بملايين السنين التي انقضت على فعل النبات في تثبيت الكربون وهذا يدل على ان جانباً قليلاً جداً من هذا الكربون المثبت يتحول غمّاً وكربونات . والبحث يدل على ان النباتات تأخذ من الهوا مقداراً من الكربون يكاد يبدل تماماً للمقدار الذي تطلقه الحيوانات بالتنفس . اما ما يتحول الى كربونات الحجر او غم فلا يزيد على خمس واحد في المئة . الا أن هذا التوازن قد ينحرف الى ناحية النبات لان في الهوا من ثاني اكسيد الكربون ما يكفي لمقدار من النبات هو ضعف مقداره الحالي مدى ثلاثة قرون . وهذا إذا تمّ يعني نشوء حراج كثيفة على نحو ما شهد العالم في بعض الصور الحالية . وأما انحراف التوازن الى ناحية الحيوان فلا يدوم — اذا تحقق — لان الحيوانات لا تلبث حتى ترى ان ليس أمامها نبات يكفي لغذائها . والتريب ان الطبيعة تحتفظ بالتوازن الضوي وتحافظ عليه بحافظة دقيقة تدعو الى العجب . فالوازنة بين الحيوان والنبات تشمل عصوراً طويلة . ولا يلم الباحثون كيف يحتفظ بهذا التوازن الضوي . ولكن لا ريب ان هناك وسائل طبيعية لا نعرف الا شيئاً يسيراً عن بعضها

فهل يمكن الاحتفاظ بهذا « التوازن الضوي » الى ما شاء الله ؟ سؤال عظيم الشأن ، فاذا حاولنا ان نجيب عنه من ناحية العوامل التي تجعل هذا « التوازن » مستطاعاً عجزنا عن ذلك لجهلنا معظم هذه العوامل . ولكن اذا نظرنا الى الموضوع من ناحيته الكيميائية والبيولوجية استطعنا ان نجيب بالإيجاب . ذلك ان الحياة تعتمد على اشعاع الشمس ووجود ثاني أكسيد الكربون في الهواء والماء . وليس ثمة ما يدل على ان قوة اشعاع الشمس قد ضفت في الصور البيولوجية التي درسناها . ولا ما يدل على انها قد تضاءل في المستقبل القريب . أما في ما يتعلق بثاني أكسيد الكربون في الهواء فالتسألة تختلف قليلاً . ذلك ان النباتات والحيوانات حوّلت أثناء تطورها مدى ملايين ومئات الملايين من السنين ، مقداراً عظيماً جداً من كربونها الى غم وكربونات الحجر . فالكربون الذي في هذين للمدين تثبت فيها لا يعود منه الى « دورة الكربون » الا مقدار يسير لا يزيد على الربع على الاكثر . وعلى هذا الاساس ومن هذه الناحية وحدها ، لا يمكن ان يقدر مدى التوازن الضوي — كما هو الآن — بأكثر من ٢٠٠ الى ٣٠٠ مليون سنة . أما هل تستطيع الاحياء ان تتحول نحولاً عجيماً يمكنها من اطلاق كربون الفحم وكربونات الحجر ، فمن أمرار المستقبل وحده

أسرحدون

ملك أسور او ومرة الحاة

للروائي الروسي تولستوي

غزا أسرحدون ملك أشور ديار الملك لبلي ، ودمر بلاده تدميراً وتركها طعمة لقتيران واستأمر سكانها جميعهم وساقهم معضدين في الاغلال، وأطاح رؤوس المفاتنة وأهلك بعض الزعماء ومثل بالباقيين أفضع تمثيل ، وحبس الملك لبلي نفسه في قفس

وبينا كان الملك أسرحدون مستلقياً في فراشه وهو يفكر في ابتداع طريقة لقتل الملك لبلي سمع نجاة ركزاً على مقربة منه ، ولما فتح عينيه أبصر شيخاً طاعناً في السن ذا لحية بيضاء منسدرة تشع عيانه وداعة وحناناً

وقال له الشيخ « أنت فكر في قتل الملك لبلي »

فاجابه أسرحدون « نعم أريد ذلك ولكني لم اجد بعد الى طريقة لتنفيذه »

فقال له الشيخ « ولكن أنت نفسك لبلي »

فاجابه الملك « كلا هذا غير حق ، إن لبلي هو لبلي وأنا أنا »

فقال له الشيخ « أنت ولبلي شخص واحد ، وإنما أنت توهم أنك لست لبلي وأن

لبلي ليس اياك »

فقال الملك أسرحدون « ماذا يعني بذلك . هأنذا مستلق على فراشي ألويهم وحولي من رجالي والموالي عبيد خاضعون واماء طائعات ، وغداً سأولم ولجمة لاصدقائي كما فعلت اليوم في حين ان لبلي محبوس كالصפור في القفس، وغداً سينخزق ويظل في وصب مندلق اللسان حتى ترحق روحه ويطرح للكلاب توسع جسده تمزيقاً »

فقال له الشيخ « ليس في متناول قدرتك ان تقتك بجياته »

« ولكن ما حال الاربعة عشر ألفاً من جنوده الذين افنيهم ورفعت من دمهم تلالاً ،

وأنى ما ازال حياً ولكنهم الآن لا وجود لهم ، ألا ترى في ذلك دليلاً واضحاً على أنى
استطيع ان أنهب الاعمار وأعو الحياة ؟

« ولكن من أين جاءك أنهم غير موجودين ؟ »

« لاني لا أراهم ، وفوق ذلك انهم قد تمذبوا وذاقوا النقص والآلام ولكني لم ألق عذاباً

ولم أكابد الماء ، ولقد كان ذلك نعمة عليهم ولعمة لي »

« هذا يبدو لك كذلك ، وانت انما عذبت نفسك ولم تمذبهم

فقال الملك « انى لا أفهم حديثك »

« أتريد ان فهم »

« نعم أريد ذلك »

فقال له الشيخ « اخذ تقدم هنا » وأشار الى حوض متسع متأنق بللاء

فنهض الملك ودنا من الحوض

« اخلع ثيابك وادخل الحوض »

فعل آسرحدون ما أمره به الشيخ

وقال الشيخ وهو يملأ الجرّة ماء « عندما أجيب عليك الماء غطس رأسك » وأمال الشيخ

الجرّة على رأس الملك وأخفى الملك رأسه حتى صار تحت الماء



أخذ الملك آسرحدون بعد ذلك بشعر بأنه أصبح شخصاً آخر غير آسرحدون ، ولما أحس
بأنه ذلك الشخص الآخر رأى نفسه مستلقياً على فراش فاخر والى جانبه امرأة حسنة لم يكن
قد رآها من قبل وإنما أدرك أنها زوجته ، وهبت المرأة وقالت له

« زوجي العزيز ليلى ! لقد انهكك مجهود الالمس وقد نمت أكثر من المعتاد وقد حرصت

على راحتك ولم أبغضك ، ولكن الامراء ينتظرونك الآن في البهو ، قابلس ثيابك واخرج لهم »

فهم آسرحدون من هذه الكلمات انه ليلى ولم يستغرب ذلك وإنما عجب كيف لم يدر ذلك

في خلده من قبل ، ونهض من فراشه وارتنى ملايسه وخرج الى البهو حيث كان الامراء ينتظرونه

وحياً الامراء ملكهم ليلى وألصقوا جباههم بالأرض ثم رفعوا رؤوسهم بعد ان ألقى

عليهم كلمة ، وجلسوا أمامه وشرع أكبر الامراء سناً يتكلم قائلاً انه أصبح غير ميسور احتمال

اهاطات الملك آسرحدون وأنه يلزم ان تملن عليه الحرب ، ولكن ليلى خالفهم وأمر بإفاد

الرسل للاحتجاج على أعمال الملك آسرحدون وصرف الامراء من حضرته ، واختار بعد ذلك

جماعة من الاعيان ليكونوا سفراء ولقنهم ما يقولونه للملك آمرحدون ، ولما أنجز آمرحدون عمله — وكان يشعر — بأنه ليللي — امتطى جواده وانطلق ليصطاد الحمر الوحشية ، وأصابه التوفيق فقتل يديه حمارين وحشين ، ولما عاد ادراجه الى قصره أولم ولجة لاصدقائه وشاهد رقص الجوارى ، وفي اليوم التالي ذهب الى البلاط حيث كان ينتظره مقدمو الرائض واصحاب الدعاوى والاسرى المجلوبون للسحاكة ، وهناك فصل كمادته في المسائل المعروضة عليه ، ولما اتم عمله وقام بواجبه اقمده صهوة جواده وتوجه للصيد ولجأ لاصدقائه وشاهد خلالها الرقص وسمع عزف ليرة عجوزاً معها شبلاها ، وبعد الصيد أولم ولجة لاصدقائه وشاهد خلالها الرقص وسمع عزف الموسيقى ، وقضى ليلته مع الزوجة التي يحبها

وهكذا كان وقته مقبلاً بين واجباته للملكية والمتع والمسرات ، وقضى اياماً واسابيع ينتظر عودة رسله الذين اوفدهم الى الملك آمرحدون الذي كانه يوماً ، ولم تعد الرسل الا بعد مضي شهر ورجعوا وقد جددت انوفهم وصلت آذانهم ، وامرهم الملك آمرحدون ان يلبثوا الملك ليللي ان ماضع بهم سيصنع بالملك ليللي قسه اذا لم ييادر بإرسال الجزية من النضة والذهب وخشب السرو والحضور بنفسه ليقدم الطاعة للملك آمرحدون

فجبع ليللي — آمرحدون سابقاً — الامراء وشاورهم في الامر فاشاوروا عليه جميعهم بان لامناس من الحرب ومهاجمة الملك آمرحدون قبل ان يفرزوم في عقر دارهم ، واقرهم الملك على ذلك وسار في طليعة الجيش وبدأ الجهاد ، وكان يركب كل يوم ليستنهض عزيمه رجاله ويثير حيتهم ، وفي اليوم الثامن من مسيره اتى جيشه وجيش الملك آمرحدون في واد متسع يشقه نهرا واستمر القتال واستنسل جيش الملك ليللي ، ولكن ليللي — الذي كان آمرحدون سابقاً — رأى جيش المدبوزحف من سفوح الجبال في عدد التمل حتى غص به الوادي وتقلب على جيشه ، فطار في عربته الحريمه الى بهرة المعركة وانحنى في المدواثخا وبطش بهم بطشاً ذريعاً ولكن جيش الملك آمرحدون كان يفوق جيشه عدداً وشعر ليللي بأنه قد جرح ووقع اسيراً وطوى تسعة ايام في سفر مع سائر الاسرى مكبلاً بالقيود وحوله جند آمرحدون ، وفي اليوم العاشر دخل ينفوى ووضع في قفص وكان لا ييالي السنف ولا الم الجراح وانما كان يحز في نفسه مار الهزيمة والاحساس بالعجز ، ورأى ان كل ما يستطيعه في هذا المأزق هو ان يحرم عدوه سرور رؤية آلامه ولذا صمم على ان يحتمل صابر اكل ضروب التعذيب وضوف الآلام وامضى في قفصه عشرين يوماً ينتظر الاعداء ، ورأى رجال حاشيته واصفياءه وأقاربه يقادون الى الموت وكانت همهمهم تخرق صياحه اذنه وكان أجبعهم يشق سمعه فيضهم قطعت ايديهم وبترت ارجلهم ، والبض سلخت جلودهم أحياء ، وقد احتمل رؤية ذلك دون

ان يظهر توجعاً او رثاءاً او تفرعاً ، ورأى زوجته وربحانة قلبه مقيدة بالسلاسل يقودها اثنان من الحسيان السود وعرف انها مسوقة الى الملك آسرحدون واحضل ذلك بلا تذمر. ولا تأفف ، ولكن احد الجند للملكين بمرسته قال له «انا مشفق عليك يا ليلي ، لقد كنت بالامس ملكاً فانظر ماذا صار اليه امرك ؟ ولما سمع ليلي هذه الكلمات تذكر ملكة الضائع فأمسك بقضبان الفص وضرب رأسه فيها محاولاً الاتحار ولكن لم تكن به قوة على القيام بذلك فأن من الالم وغلبة اليأس وارتدى في اسفل الفص

وحضر اثنان من الجلادين وقمحا باب الفص وأخذا في تكتفيه وقاداه الى مكان الاعدام وكان مخضباً بالدماء ، ورأى ليلي خازوقاً يقطر منه الدم وقد انزعت منه جثة احد اصدقائه فصرق انه سيمأ لقلته ، وتزعوا ملابسه فهاله نحف جسمه الذي كان قوياً جميلاً وحمله الجلادان وكانا على وشك وضه فوق الحازوق

وفكر ليلي في الموت والدم ونسي اعزامه ان يظل الى النهاية محفظاً بهدوته قائماً شجاعته وارفع صوته بالبكاء والتعجب والتمس الرحمة دون ان يصفى لشكائه احد

ولكنه فكر اخيراً «هذا لا يمكن ان يكون ولا بد ان اكون في نوم عميق ولا بد ان يكون ما انا فيه حلم رهيب» وحاول البقطة من التوم وما عثم ان استيقظ ولكنه لم يجد نفسه آسرحدون ولا الملك ليلي وانما وجد نفسه نوعاً من الحيوان فجب لذلك ، وكان اشد ما يثير عجيبة هو انه كيف لم يعرف ذلك من قبل



كان يرمى في واد ممحوش وبمزق الكلاء بأسنانه وأنيابه ويطرد القدياب بذنيه المسترخي وكان يرحح حوله جحش اشهب طويل الساقين منمر الظهر ثم انطلق يعدو الى آسرحدون ولكزه تحت بطنه بفمه التاعم المستدق ملتسماً بالضرع ، ولما اسابه اخذ يترشف منه ترشفاً متعللاً وأدرك آسرحدون انه أثنان ولم يدعش ذلك ولا احزنه بل مره ان يرى حياته نامية سارية في ذريته ، ثم سمع حوله حفيفاً وأحس بسهم صارده قد حده السنون من الجلد الى اللحم وشعر بالمرضى ، وتزع آسرحدون — الذي كان في نفس الوقت أثناناً — بالضرع من فم الجحش وارخى اذنيه وانطلق يعدو الى العانة التي ضل منها يتلوه الجحش ، ولما قارب العانة التي أجفلت أصاب سهم آخر رقبة الجحش وأصابه مختزقاً الجلد الى اللحم فزحر زحيراً مؤلماً وأقمى على ركبتيه ولم يستطع آسرحدون ان يتركه وظل واقفاً الى جانبه ونهض الجحش مترجماً على سيقانه الهزيلة وسقط من الاعياء ووثب اليه الرجل واحترأ رأسه

ففكر آمرحدون وغنم نفسه « هذا لا يمكن ان يكون لا بد ان أكون في حلم وبذل
مجهوداً ليستيقظ ويضيق من حلمه حقيقة أنني لست ليلي ولست الحمار الوحش ولكني آمرحدون »
وصاح ورفع في نفس الوقت رأسه من الحوض وكان الرجل السجوز ما يزال واقفاً الى
جانبه يصب على رأسه آخر قطرة من الجرة

فقال آمرحدون « لقد تأملت كثيراً واحسبني قضيت في تلك الآلام ردحاً من الزمن ؟
فقال له الشيخ « كلاً لم يطل عهدك بالآلم لقد غسست رأسك في الماء ورفعته وانظر الى
الجرة تر بها بقية الماء فهل تدري الآن ؟

فلم يجر آمرحدون جواباً ونظر الى الشيخ نظرة ملؤها الرعب واسترسل الرجل السجوز
يقول « أتدري الآن ان ليلي هو أنت وان الجنود الذين أعدمتهم هم أنت ؟ وليس الجنود فحسب
وانما الحيوانات التي ذبحتها وانت تصيد ونهشت لحما هي كذلك انت ، ولقد جرى في وهمك ان
الحياة مقصورة عليك وحدك ولكني رفعت عن بصرتك حجاب الوهم وجعلتك تدرك انك بساءت لك
الى الغير انما تسيء الى نفسك ، والحياة واحدة في الجميع وحياتك جزء من نفس هذه الحياة
العامة ، وتستطيع في ذلك الجزء من الحياة المنوح لك ان تجعل الحياة احسن او اسوأ وتضيها او
تقصها ، وتستطيع ان تسمو بالحياة في نفسك وان تحطم الحواجز التي تفصل حياتك عن حياة
الغير ، واذا احببت للغير ما تحب لنفسك واختبرتهم مثلك زاد نصيبك من الحياة ، وأنت تنقص
حياتك اذا حاولت ان تزيد على حساب الغير ، وتحطم حياة الغير من وراء طاعتك ، وحياة
من سفكت دمه هم ومثلت بهم قد احتفت عن ناظرينك ولكنها لم تقدم ، ولقد توهمت انك تطيل
حياتك وتختزل حياتهم ولكن هذا ليس في وسعك ، والحياة لا ترف الزمان ولا المسكن ، وحياة لحظة
وحياة آلاف السنين وحياتك وحياة الكائنات جميعها خفيها وظاهرها متساوية متعادلة ، ومحو
الحياة او تبديلها غير ممكن لان الحياة هي الشيء الوحيد الموجود »
ولما نطق الشيخ بذلك احقق



وفي صباح اليوم التالي اصدر الملك آمرحدون اوامره باطلاق مصراع الملك ليلي والاسرى
جميعهم ومنع عقوبة الاعدام
وفي اليوم الثالث استدعى ابنه اشور بانيال وسلمه صولجان الملك وانطلق الى الصحراء
ليفكر فيها فلهمة ، واخذ بعد ذلك يسبح في المدن والقرى ويدعو الناس الى معرفة ان الحياة
واحدة وانهم عندما يلحقون الاذى باحد انما يضررون انفسهم

طبقة الاوزون

في أعلى الجو

التي تبينا من البوار

يبلغ قرأه المقتطف بما يطالونه فيه انا تلقى من الشمس اشعة كثيرة عدا اشعة الضوء التي نرى بها ، وان تلك الاشعة بعضها اطول امواجاً من اشعة الضوء وبعضها اقصر امواجاً ، ولكن الطويل الامواج منها والقصير الامواج لا نحس به صوماً على السواء . ولا يخفى ان الامواج التي اقصر امواجاً من اشعة اللون البنفسجي تؤثر تأثيراً عظيماً في الاحياء . فهي تبت الاحياء الدنيا التي من قبيل البكتيريا والجراثيم . وتؤثر في البشرة فتلفها . وتعمل في بعض المواد الكيميائية فتجعل التصوير الضوئي ممكناً وفي الجسم فتحول بعض مواده الى فيتامين D الوافي من الكساح ، مع انها تظل جامدة عاجزة من التحول حتى تقع تحت تأثير هذه الاشعة ان منطقة الاشعة التي فوق البنفسجي منطقة واسعة تمتد من عاذاة الاشعة البنفسجية حيث يبلغ طول امواجها اربعة آلاف انجستروم^(١) الى حيث يبلغ طول امواجها مائة انجستروم . الا ان الامواج التي تتفاوت اطوالها من ٤٠٠٠ انجستروم الى ٣١٥٠ انجستروماً لا تؤثر تأثيراً يولوجياً مميّناً مع انها تؤلف معظم الاشعة التي فوق البنفسجي التي تلقاها من الشمس . ثم يزداد هذا التأثير ازدياداً سريعاً وفقاً لقصير امواجها فتصبح قادرة على لفتح البشرة وقتل الميكروبات والتأثير في الالواح الفوتوغرافية وتوليد الفيتامين المقاوم للكساح .

ولكن المشاهد في دراسة ضوء الشمس ان طيف الاشعة التي فوق البنفسجي تنتهي فجأة عند حد معين من دون ان تتدرج قصراً . وهذا غريب لان في قدرة الباحثين ان يولوا بأجهزهم ، من الاشعة التي فوق البنفسجي ما هو اقصر امواجاً من الامواج التي يقف عندها الطيف الشمسي . وهذا لا يصدق على ضوء الشمس فقط بل يصدق على ضوء التجوم ، اي ان تحليل الضوء الواصل الينا من التجوم المختلفة ، يسفر عن منطقة واسعة من الاشعة التي فوق

(١) وحدة قياس الامواج القصيرة وهي تميل جزءاً من عشرة ملايين جزء من المتر

البنفسجي ، ولكن هذه المنطقة تنحني فجأة عند حدٍّ واحدٍ في جميعها ، فكان الاستنتاج الطبيعي الذي يمكن الخروج به من هذه الدراسة ، أن في الغلاف الغازي الذي يحيط بالكرة الأرضية شيئاً يخص تلك الأشعة القصيرة الامواج فلا نستطيع ان نتبينها بأدق الاجهزة العلمية التي يعتمد عليها فإذا صحَّ ذلك كان وجود هذا الحائل دون وصول تلك الأشعة الى سطح الأرض من الغرائب لان الهواء عند سطح الأرض يأذن للأشعة القصيرة الامواج في اختراقه . وقد جرب نقل هذه الأشعة في مسارٍ أفقي من الهواء على سطح الأرض طولهُ عدَّة أميال ويزيد مقدار الهواء فيه على مقدار الهواء الذي تخترقه الشعاع في سيرها من أعلى طبقات الجوِّ الى سطح الأرض ، ثبت أن ذلك مستطاع . وأذن في الجوِّ شيءٌ غير الهواء يحول دون وصول هذه الأشعة إلينا . وكان الرأي أن الأوزون هو ذلك الشيء . والأوزون أو كسجين قوام جزئيه ثلاث ذرات حالة ان الاوكسجين العادي قوام جزئيه ذرتان فقط . وفي سنة ١٩٢٠ أثبت الباحثان الفرنسيان شارل قاري وهنري بويسون صحة ذلك . فقالا ان هذا الاوزون موجود في طبقات الجوِّ العليا ، وأنه يعمل كأنه غشاء كثيف يحول دون وصول هذا الضرب الخاص من الأشعة إلينا ، حتى ولو كانت المياه صافية كمين الديك

ثم عمد هذان الباحثان الى أساليب ضوئية وبصرية دقيقة لقياس مقدار الاوزون ، فمراقبته مقدارهُ ولكنهما عجزا عن معرفة مدى الطبقة التي يشغلها . والقريب ان مقدارهُ يسير ، أي أنه لو بلغ الضغط عليه مبلغ الضغط على الهواء اللصق لسطح الأرض لكوّن طبقة من الاوزون التي لا تزيد كثافتها على ثلاثة ملغرات . ولكن هذا لا يعني ان طبقة الاوزون حيث هي في أعالي الجوِّ تبلغ هذه السماكة ، او تشكل طبقة رقيقة من الهواء ، لان الضغط هناك قليل جداً فالغاز لطيف ثم هو مختلط بغازات أخرى ولا يبعد ان تكون سماكة الطبقة التي تحتوي على هذا القدر من الاوزون بضمة أميال

ومن العجب العجائب ان يكون مقدار يسير من الاوزون كهذا المقدار كافياً لاجداث هذا التأثير . ولكن التجارب الدقيقة في معامل البحث تؤيد النتائج التي توصل اليها قاري وبويسون . وقد ظهر علاوة على ذلك أنه لو نقص الاوزون مقدار الثلث لكفى لمرضنا بضع دقائق لضوء الشمس لاحتراق بشرتنا كما لو اصابتها نار حامية ؛ يقابل هذا أنه لو تضاعف مقدار الاوزون لفضي على الجنس البشري بالوباء لكثرة ما يمرضون من البكتيريا والجراثيم ولقلة ما يتولد في الاجسام من الفيتامينات اللازمة للحياة

إلا ان تبيُّراً يسيراً في مقدار الاوزون يحدث في فصول مختلفة واحوال متباينة ، فقد ينقص حتى يبقى مقداره مساوياً لطبقة سماكتها مليمتران ، أو يزيد حتى تربي سماكتها على ثلاثة

مليمترا. والغالب ان الاوزون أكثر في الربيع والخريف من المتوسط ، ثم انه على أقله في المناطق الاستوائية حيث التغير في مقدارهِ يسير جداً

وتفاوت علو هذه الطبقة من الاوزون عن سطح الارض من عشرة اميال الى أربعين ميلاً . ولكن القاري قد يسأل اذا كان مقدار الاوزون في طبقات الجو العالية ذا شأن في مقدار ما يصلنا من الامواج القصيرة من الاشعة التي فوق البنفسجي ، فما شأن ارتفاع الطبقة التي تحتوي عليه ؟ وهو سؤال في محله والرد عليه ان له شأنًا يذكر في حرارة الارض وغلافها النازي

لا يخفى ان حرارة الارض نتيجة لتوازن بين ما يتصل بها من اشعة الشمس فتمتصه وما تطلقه من هذه الاشعة بعد امتصاصه . ولما كانت حرارة الارض دون حرارة الشمس الوف الدرجات ، فالاشعة التي تطلق من الارض تقتصر على الاشعة التي تحت الاحمر من طول معين — يزيد طول امواج هذه الاشعة عشرين ضعفاً على طول الامواج الحمر — . يقابل هذا ان الاوزون تمتص بصفة أخرى غير امتصاص الاشعة التي فوق البنفسجي من طول معين . ومن هذه الصفات قدرته على امتصاص الاشعة التي تحت الاحمر . ومن غرائب الاقواق ان امواج الاشعة التي تحت الاحمر التي يمتصها ، هي من قيل امواج الاشعة التي تطلقها الارض . واذن فالاوزون في الهواء ، يمتص جانباً من الاشعة القادمة من الشمس الى الارض وكذلك جانباً من الاشعة التي تطلقها الارض في الفضاء . وامتصاصه لهذا الضرب الاخير من الاشعة يرفع حرارة سطح الارض وغلافها النازي ، لان جانباً من الحرارة التي يمتصها ينتقل منه الى الغازات الاخرى إما بالاصطدامات الجزيئية ولما بالاشعاع . فحفظه للحرارة التي يمتصها من اشعاع الارض ، او انتقالها منه الى غازات الهواء الاخرى يتوقفان على الضغط الجوي او بكلمة أخرى على ارتفاع الطبقة المحتوية على الاوزون عن سطح الارض . وفعل الاوزون في كل ذلك يشبه فعل ألواح الزجاج في مستتب ، فلها تقي النبات من تطرق بعض العوامل الجوية الخارجية اليه كالبرد ، وفي الوقت نفسه تحفظ الحرارة التي تولد فيه من التشمع الى الخارج

وقد دلت التجارب على ان الطبقات المحتوية على الاوزون مرتفعة جداً بحيث لا تحميها اساليب البحث الطخوري (اي ارتفاع البونات الى الطبقة الطخورية سواء أ كبرية كانت فيها علاقه مع أجهزتهم أم صغيرة لا تحتوي الا على الاجهزة المدونة من تلقاء نفسها) في قياسها . ولكن هذا الاسلوب من البحث سائر الى الامام وقد يتاح للفلكي والبيولوجي في المستقبل القريب ان يبيت بأجهزته الى الطبقة المحتوية على الاوزون او إن يتخطاها ويحتد يستطيع ان ينفذ الى بعض أسرارها وأسرار الاشعة الواردة من الاجرام السماوية

الإذاعة

اللاسلكية المصورة أو التلفزة

وسائلها وأطوارها وارتقاها

لعرضي جندى

رى بعض الناس أنه من اصعب الصويات ، ادراك طريقة اطلاق صورة متحركة من احدى غرف الاذاعة ، على اجنحة الاثير الى بيوتنا حيث تتجلى لنا على ستار صغير بكل سهولة . وذلك لاننا اذا ما تأملنا ملياً التفصيلات الفنية لناعصر الرؤية باللاسلكي ألقيناها عريضة . يداناً عند ما نحجز الجهاز المستقبل لتلك الصورة ، لا نلبث أن نوقن سهولة فهم القواعد للمؤسس عليها . وأساس الاذاعة اللاسلكية المصورة ، الحداد النظري . فالصورة التي تقبل بها تخدع السيون التي تبصرها . ولنا نفاهد على الستارة صورة مفردة ، بل سلسلة كاملة من نقط تغير بأقصى سرعة . ولو حدثت عن كذب في صورة فوتوغرافية مصورة في جريدة ما ، لوجدتها مؤلفة من نقط صغيرة متباينة درجات الضوء والظل . حتى اذا ما أميستها عن بصرك قد ذراع واحدة وتطلعت اليها ، تبينت لك صورة كاملة . وتكاد الصورة التي يتم نقلها بالراديو تؤلف على ذلك البطل . ولا يزال مستحيلاً نقل صورة كاملة في آن واحد . ولكن من الميسور نقلها أجزاءً نقلاً طحلاً يخدع العين البشرية فتظن انها ظهرت بأجمعها مرة واحدة . وسبب نجاح هذه الطريقة قوة أو خاصية الحفظ أو الاستبقاء التي في آلة البصر . ومن ثم كانت بحرثة الصورة أولى العمليات الجوهرية للتلفزة . ونحجز الصورة بطريقة اضافتها تدريجياً

وتعاضد الصورة اضاءة تدريجية بمدة وسائل . وقد تكون الصورة غير فوتوغرافية ، بل كاتماً حياً اي مثلاً يمثل في مقر الاذاعة المصورة . وربما تتناير وسائل تلك الاضاءة التدريجية المصورة ، غير ان قاعدتها الاصلية لا تتغير ، وقوامها قرص مثقّب عدة قلوب ، ويسلط الضوء المراد انارة الصورة به ، على ذلك القرص فيمر من قلوبه الى الصورة المرغوب فيها ، بدلاً من سقوطه عليها مباشرة مرة واحدة . ونحبل قلوب القرص على شكل حلزوني . وعندما يدور القرص دوراناً سريعاً يصيب الضوء الصورة على شكل قط صغيرة او خطوط يلتقطها الجهاز الناقل ويطلقها في

الاثير واحدة في إثر الاخرى ،فصل الى الجهاز المستقبل حيث نحشد حشداً طاجلاً جداً فتألف الصورة المنقولة. وحينما يستعمل عدد كبير من النقط، او الخطوط المقسمة الى نقطه في تأليف صورة تظهر الصورة في الجهاز المستقبل متصلة واقرب الى اصلها مما لو ألفت من نقط قليلة . ومثال ذلك ان الصورة التي مساحتها عقدة مربعة تؤلف من الف نقطة ، ويجب ان تكون هذه النقط ابعاد بعضها عن بعض ، منها لو تألفت الصورة من عشرة آلاف نقطة ، فتصير درجات الضوء والظل في الثانية المؤلفة من عشرة أمثال نقط الاولى ، اوضح كثيراً منها في الاولى

ومن المقبات الكبرى التي اعترضت مخترعي الاذاعة اللاسلكية المصورة ، نقل عدد كبير من الخطوط في ثانية واحدة . ولكنهم قد ذلوا حديثاً هذه العقبة الى حد ما . وبذلك تصبح الصور المنقولة بالراديو المصور مضبوطة ، أسوة بالصور الضوئية التي تصور في الجرائد ولاضاءة الصورة المزمع نقلها بالراديو وسيلتان اساسيتان وأولاهما جعل الضوء يتحرك حركة سريعة على الاشخاص المراد نقل صورها ، غير ان لهذه الطريقة عوائق عديدة ومنها وجوب تعميم البيئة التي يجري فيها العمل . وهذا يقتضي حصر العمل في غرف الاذاعة

والوسيلة الثانية هي اضاءة الشبح اضاءة طبيعية كما يضاء على المسرح بالانوار المخصصة لتلك الغاية ، او وضه خارجاً في نور الشمس بحيث تلفظ الانوار او الظلال بمدسة مجهزة ثم توجهها الى عجلة منيرة . وفي احدى تلك الحالتين يتجزأ الضوء اجزاء قبل وصوله الى الشبح . وفي الحالة الاخرى يتجزأ الضوء المنكسر هزيمة تامة بمد مفادته الشبح ، فتكاد النتيجة تكون واحدة في كل حالة ما دام الموصل على الجهاز الاخير . وبذلك فصل الى أنفع الاجزاء في جهاز نقل الاذاعة المصورة . ونفني به البصاصة الكهربائية وتألمجها اعجب كثيراً من تفصيلات تركيبها القليل

اننا متى تكلم في التليفون تهتز طبلة فتحدث ذبذبة في التيار الكهربائي الضئيل الساري في الجهاز . وذلك وفقاً لتبرأت صوت التكلم في بوق التليفون . وهذا عينه ما فعله البصاصة الكهربائية في الضوء ، بدلاً من الصوت ، لأن أضال تفار في الضوء والظل يستحيل بالبصاصة الكهربائية ذبذبات في التيار الكهربائي

ذلك ان سلسلة سريعة من ومضات الضوء تنبث من القرص المضيء ، فتسدد الى البصاصة الكهربائية فتحدث ذبذبات في التيار الكهربائي . فتضخم مثلها عند ما تولد من الصوت بالميكروفون . ثم تداع من الموصل الجوي اللاسلكي ، أما في محطة الاستقبال فتعكس هذه الطريقة اذ يلتقط الموصل الجوي اللاسلكي أمواج الاثير كما يحدث في محطة استقبال الاذاعة حيث تلتقطها صمامات الاستقبال في جهاز الاذاعة المصورة وتضخمها . ثم ان هاتيك التيارات يتوسل بها الى قضير قوة مصدر الضوء او المصباح وعمر في قرص مضيء آخر ومنه الى الساترة حيث

بإد تأليف الصورة الأصلية التي أذيعت من غرفة الاذاعة . وقد روت مجلة العلم العام أنه « اخترع في ألمانيا حديثاً جهاز جديد يقيح لهجاءير المتشددة صمّاع الخطب العامة ورؤية خطيبهم جلياً ومماعه جيداً . والجهاز مؤسس على آتاط الاذاعة اللاسلكية المصورة اذ يكبر صورة الخطيب بمجھما الطبيعي عدّة أضاف فتظهر للحضور جميعاً واضحة ينما يسمعون صوته الجھير بأبواق الراديو المعتادة . ولنتك يمتلي الخطيب منبر الخطابة وتوضع المبكروفونات المألوفة منجأه وتوضع بصاصتان كهربائيتان بمنّة ويسرة . ومتق شرع الخطيب في الفاء خطبته ، تصوب الى وجهه ، شعاعة خضراء من جهاز الرض ، تكاد لا تبصرها العين ، فتسجج إزاءه ثمّوجاً خفياً لا تصحه غير تينك البصاصين الكهربائيتين الحساسين بالضوء أيّا كان قنساير الاشعة المنعكسة من ملامح الخطيب فتطلق سلسلة نبضات كهربائية مطابقة لتلك الاشعة فتستجبل ضياء مرة أخرى وذلك بصمام من صامات الاشعة السالبة من قوة ٢٠٠٠٠ فولط . ثمّ تقوم عدسة قوية بالقاء الصورة على الستار . وقد أزمع مخترعو هذا الجهاز تعميمه في السارح ليجلوا كل مقعد من مقاعدها مساوياً للآخر في التمع برؤية الخطيب وسماع صوته من كتب » وليست عملية اضاءة صورة الفصح شيئاً فثيثاً بالقرص المتقّب كلها هيئة جدّاً كالنوح للقارىء أول وهلة ، فاذا لم يتحرك القرص المضيء في طرف الجهاز المستجبل بالسرعة حينها التي يتحرك بها في طرفه التأفل ، حدث في الستار اضطراب وتقويس ، اذ ينبغي جل ذبلك القرصين في مركز مضبوط ، الواحد بالقياس للآخر . ويجب تحريكهما بسرعة واحدة تماماً . وقد اخترعت لذلك التوازن عدة أجهزة بدعية . واذا أدبر جهاز استقبال الاذاعة المصورة بتيار كهربائي متغير من نوع التيار الذي يستعمل في جهاز النقل ، كان الامر حيناً الى حدّ ما ، لان ذبذبات التيارات الكهربائية ثابتة جداً فلا تبدل البتة ولذلك تستعمل لادارة الساعات الكهربائية . وليس ذلك ميسوراً دائماً لانه قد يتفق ان يكون مقر الاذاعة للصورة في منطقة يسكنها لقيف من الناس لا يستخدمون تياراً كهربائياً من منبع واحد . ولنتك اخترع المخترعون قاعدة ارسال نسخة مستمرة تعمل بمثابة مسيطر على القرص المضيء في طرف جهاز الاستقبال على ان يضبطوا سرعته ضبطاً يطابق سرعة القرص المضيء في جهاز النقل

وقالت مجلة العلم العام الاميركية في جزء يناير ١٩٣٨ انه قد نيين للخبراء ان الصبغات الجمر التي تستعملها مثلات السينما في ترجمهن لا تظهر في وجوههن عند تصويرها بآلات التصوير فتجلى صورهن عند نقلها بأجهزة الاذاعة اللاسلكية المصورة ، مشوّهة غير طبيعية ، فاستبدلن بالدمام ، صبغات خضراء وأنجنذن منها اقلاماً لصنع شفاههن وتخضيب وجنّاهن فتلوح شفثا المثلثة ووجنّاهما متناسقة مع ظلال الصور الفوتوغرافية لسائر ملامح وجھها عند ما تعرض الصورة على ستار جهاز الاستقبال

أما وقد أوضحنا القواعد الاساسية للاذاعة المصورة ايضاحاً موجزاً، فجدراً بنا ان نشير الى شتى التفاصيل التي أفضت الى تحسين الاذاعة اللاسلكية المصورة . ومنها ان الثقوب التي تثقب في قرص الاضاءة قد استعيب عنها بالرأني او العدسات لكي يزيد منعة الضوء وذلك على نسق عدسة آلة التصوير اذ انها تقفل من الضوء أكثر مما ينقله ثقب دقيق مجرد

(مرآة مغناطيسية مهتزة تمكّن الصور المنقولة بالراديو) اخترع الدكتور لي دي فورست والمستر ويليم پريس Wiliam Priess أسلوباً لاثارة الاشباح في الاذاعة المصورة فيوامه مرآة هزازة تمكّن الصورة المنقولة بالراديو على ستارة مساحتها قدمان فتبدو الصورة للناظر متقنة واضحة بلا استعمال الصمام السليبي الشعاع . ولذلك يستقطب (يبطى خاصة الاستقطاب) الضوء من مصباح العرض من قوة ٥٠٠ واط فيمر في بطارية كير Kerr فينظم الشعاع ومن ثمّ تمكّن المرآة الضوء المنظم على الستارة . وتؤلف المرآة من لوحة فولاذية صفيحة ذات سطح من معدن الروديوم rhodium معلقة بين قطبي ملف مغناطيسي يمتط بجهاز يحوّل التيار المتغير الى تيار ثابت ويستمد قوته من دائرة التور الكهربائي المنزلي المعتادة . وتهتز المرآة نفسها ٥٠٠٠ مرة في الثانية . ويهتز الاطار الموضوع في فيلتي صوراً مؤلفة من ٢٥ خطاً \times ٢٠٠ خط على ستار العرض في كل ثانية ويمتاز هذا الجهاز المضيء برخصه وسكونه »

وكانت مساحة الصور القديمة التي نقلتها الاذاعة المصورة قلما تزيد على مساحة طابع البريد فكان لا بد من الامان في التقيب عنها ايماناً يكاد يضارع البحث عن شرط الصور المتحركة « السينيما » في عهد شيوخ صناديق الدنيا أو صناديق السجب . وقد تضاعف حجم هاتيك الصور فأصبح في وسع المرء مشاهدتها عن بعد قليل وهو جالس على كرسيه ومن جهة اخرى يرى الحيريون أنه غير محتمل تكبير ستار الاذاعة اللاسلكية المصورة تكبيراً يظهر عليه صور الفيلم النظرية الا إذا اخترعت قاعدة جديدة من كل الوجوه أو أحدثت في تلك الستار بضعة تحسينات خطيرة

(صمام الشعاع السليبي أو الصمام السليبي الشعاع) وأحدث ما تم من التحترفات الخاصة بالاذاعة اللاسلكية المصورة صمام الشعاع اللاسلكية الذي ذاع ذيوهاً واسع الانتشار فاستعمله المحترعون بدلاً من مصدر الضوء الاعيادي الذي يميزه التيار الكهربائي . وهو بمنزلة دورق او قنبنة ضيقة العنق يقوم قعرها المسطح مقام الستارة وقد اخترعت منذ عدة سنين قبل صيرورة اللاسلكي مذهياً عملياً . والذين لم تظهر خاصية هذا الصمام النافعة الا قريباً . وهي جعل شعاعه من الكهرومغناطيسية تنطلق الى الستارة وتتموج وفق شحنة المكثف الكهربائية . وكان استعمالها في بدء الامر مقصوراً على المباحث الجوية . غير انه يبدو لنا ان هذا الجهاز سيجد على الاربع مكاناً في كثير من

أجهزة الاذاعة اللاسلكية المصورة عوضاً عن مصابيح التيون الأصلية وليس صمماً لإدراك العقبات الميكانيكية التي اعترضت المحترعين حتى قازوا بوسائل إنجيل تجزئة الصور وإعادة تكوينها وهما النصران الجوهريان في الاذاعة اللاسلكية المصورة وقد استخدم هذا الصمام السليبي الشعاع في كثير من الآلات الجديدة . وهو شبيه بصمام الراديو الكبير ومجهز في أحد طرفيه بفتيلة مغطاة بغشاء من الاوكسيد . وهي المؤلفة للقطب السالب . واسلاك الصمام محمولة على الجزء المبرشم من مشكاته « زجاجته » ويحمى ذلك المنصر بمرور التيار الكهربائي فيه أسوةً بصمام الراديو فينشأ عن ذلك الاحياء اضطراب الكهربات فقير بالنور الكهربائي المركز وتجه صوب نقطة التركيز الكهربائي . وفي الطرف الآخر من الصمام السليبي الشعاع ، سطح منبسط وهو بمثابة ستارة مغطاة بطبقة من مادة متألفة تتألق متى صدمتها الكهربات التي تتناثر من القطب السالب فتلوح للناظر بقعة زاهية الضوء من خارج الصمام . وفي ذلك المجاز الكهربائي زوجان من اللوحات يستطيمان عند شحنها بالكهربائية شحنًا ملائماً ، فحرف الاشعة السلبية عن أعجابهها الاصل فتندوكلها صادرة من خرطوم يسدها الى أية جهة مقصودة . والتوصل بهذه الوسيلة الى الاذاعة اللاسلكية المصورة ، جليل المنفعة إذ يتاح بالوسائط الكهربائية حمل تلك البقعة الضوئية نحترق الستارة برمهادون ندخل الآلات الميكانيكية المتعقدة المتعدة التي لا تفي بالمرام

والصورة التي تستقبل بالصمام ذي الشعاع السلبية (وهي البقعة الضوئية التي تستقبل صورة ، مؤلفة من نقط يضيء وسود) تتناسق عاجلاً مع حركات البقعة للضئفة في الطرف المرسل من الجهاز ويتم ذلك التوازن كله بالكهربائية ولذلك يحدث فلا تمب يذكر . ومع كل تلك التحسينات لما تبلغ الاذاعة اللاسلكية المصورة أوج النجاح المنشود لها . فلا مرة في القول انها ما زالت حينئذ إذا ما قسناها باجهزة الراديو للتقنة المختلفة الاشكال

« جهاز الايكونوسكوب »^(١) Iconoscope وثمة طريقة اخرى يظهر أنها مرجوة النجاح جداً وذلك بإقترانها بالوسائل الاخرى ، ولتني بها طريقة الايكونوسكوب لمخترعه الدكتور فلاديمير ك. زوريكين وهو المنظار الذي سيدلل العقبات التي ما زالت تحول دون بلوغ الاذاعة اللاسلكية المصورة الشأو العملي الذي يفشده لها العلماء . ويؤلف الايكونوسكوب من ديوه من البصاات الكهربائية المنفصلة بعضها عن بعض . وهو من اقنع آلات الاذاعة اللاسلكية المصورة التي تم اختراعها حتى اليوم

ولا مندوحة لنا على وجه التقريب في كل حالة من حالات اختراع الاذاعة اللاسلكية

(١) عين صناعية لها شبكة من البصاات الكهربائية وقد وصفناها وصفاً شاملاً في مقتطف يناير سنة ١٩٣٤

المصورة ، عن الاشارة الى الاشعة الضوئية ايّما كان نوعها وطول موجتها ، ولو كان من الاطوال التي لا تراها العين المجردة . وهذا يتضمن استحالة نقل الصور في اثناء انتشار الضباب وفي الليل ، ويبين لنا تمدد ادخال التلون عليها ايضاً في آخر الامر . ولا بد أنه سيأتي وقت تمكن فيه من اضاءة الصور بأجسام ونقلها مقرونة بتلحين الصوت والناصر التي تألف منها على بعد صورة ميكانيكية جذابة ذات رونق يستوي مشارب المتعلمين وذلك بموجات متحرك في آن واحد (جهاز بيرد J. L. Baird) هو من النماذج العملية الاولى وقد قررت شركة الاذاعة البريطانية بحرية جهازين مختلفين من اجهزة الاذاعة اللاسلكية المصورة جنباً الى جنب لكي تختار اصلهما اختياراً نهائياً . وكانت تلك التجارب الابتدائية تجريباً بأجهزة معظما وقية مصحوبة بحملة عدسات قديمة وشمع الخم والذوابة ، ومع ذلك فقد اسفرت عن النجاح اذ انبع نقل صور متقنة واضحة جداً في سنة ١٩٢٥

وقد تحسنت الاجهزة في السنين التالية تحسناً عظيماً فعدت شركة الاذاعة البريطانية تنقل الصور نقلاً منتظماً وكان من العوائق التي تكشفت في بدء الامر ضرورة وجود قوة الضوء العظيمة لآثاره الاشخاص المراد نقل صورهم . لحاول العلماء تذليل تلك العقبة باكتشاف نافع وهو التمكن من نقل الصور بالراديو نقلاً جيداً بواسطة الاشعة الخفية ، يكاد يضارع نقلها بالضياء الايض المألوف ونفني بالاشعة الخفية الاشعة التي تحت الاحمر التي تستطيع اختراق الضباب والتي لا تراها العين المجردة . فأضحى ميسوراً نقل صورة شبح في الظلام الحالك تقريباً . وقد تبين فائدة اختراع هذا الجهاز عند تطبيقه على البواخر . فكل باخرة يُركب فيها منظار ليلى قوي (نوكتوفيزور Noctovisor) يمتص لها رؤية غيرها عندما تدنو منها في الضباب الكثيف ، ولو كانت تلك الباخرة القادمة مخفية كل الاختفاء عن العين البشرية المجردة

وقد اقترح بعضهم إمكان استعمال جهاز الشعاع السلية ، لتلك الغاية . فاذا ما أُرسلت إحدى البواخر اشارة ثابتة في اثناء انتشار الضباب الكثيف ، ظهرت الاشارة على ستارة رقص الشعاع السلية بمثابة سلسلة خطوط قنبله وبن الباخرة الى دوائر الباخرة الاخرى منه . ويتوقف نجاح الاذاعة اللاسلكية المصورة على صفة الصور ، وقوامه في الاغلب ، السرعة والضغط ، اللذان يستعملان في ارسالها . وفي مطلع هذا الاختراع كان يستعمل ٢٤ خطاً ثم زيد هذا العدد الى نحو ٤٠٠ خط و ٣٠ أطواراً في الثانية ، فكانت النتيجة صورة تكاد تكون مشابهة للصورة الاصلية . اما في حالة نقل الصور السريعة الحركة فيدخل فيها تعقيد آخر ، لان السينما المعتادة مشهورة بكونها صيغة من صيغ الخداع البصري ، لأن الذي نراه على الستارة ليس صورة متحركة ثابتة حقيقية بل سلسلة كاملة من الصور الفوتوغرافية تعرض تباعراً عرضاً حيثما جدد بحيث يندمج عينك فتشاهدها صوراً متواصلة

واضح سرعة يمكن عرض تلك الصور بها على ذلك الخط تاحز عشرراً في الثانية يد أنه قد تبين بالاختبار ضرورة عرض عدد يتراوح بين ٢٢ و ٢٥ صورة في الثانية . فإذا ما أريد جعل الصور المذاعة بالراديو غير مطبوسة ولا مهترئة فلا بد من مراعاة هذه القاعدة لأن عيوبها يجب أن تخدع بالنتق المتحركة وبجعل عدد الصور المعروضة ٢٥ صورة في الثانية على الأقل حتى تمتنع العيون بأنها تشاهد حركة ، لا سلسلة صور منفصلة بعضها عن بعض . ولما كانت أسطوانات الجراموفون تؤلف جانباً كبيراً من برامجنا اللاسلكية ، رجح المليون بأن أفلام السينما سوف تستعمل في ملاحظتنا التي نوافينا بها الاذاعة المصورة لأن نقل فيلم السينما بطريقة الاذاعة المصورة ، أسهل كثيراً في الحقيقة من نقل مشاهد من غرفة الاذاعة . ويتم عرضه بالطريقة المألوفة غير أن الضوء الذي يوجه من السينما الى الستارة ، يستبدل به جهاز منير تسدد أضوائه الى بصاصة كهربائية . ومن ثم تلتقط الصور بالطريقة المتأداة — وفي أثناء ذلك يكون الجزء الناطق من الصورة ، الذي يستوعبه مجاز ضيق من فيلم الصوت تحت حافته ، قد مر بما يسمى باب الصوت حيث يلتقط ذلك الصوت ويرسل على موجة مستقلة الى حيث يستقبل ويضخم وينقل الى بوق الراديو . ويكون الصوت على الأفلام دائماً سابقاً قليلاً للصورة لأنه لا بد من مضي بعض الثانية قليل مرور الفيلم من جهاز عرض الضوء الى جهاز عرض الصوت . وهذا التأخير يبيع مثل فتح فيه في اللحظة لللائمة بعكس ما اذا كان سجل الصوت والصور موضعين جنباً الى جنب قليل ذلك بقليل . وما زالت الشروح الخاصة بمسابقات العدو وغيرها ، تؤلف شطراً مألوفاً جداً عند الجمهور من برامج الاذاعة اللاسلكية الشفوية . ورجو كل امرئ بواسطة الاذاعة اللاسلكية المصورة زيادة المنع بالملاهي وذلك بتمكنه في الحقيقة من رؤية مباراة كرة القدم أو مسابقة الملاكمة ، لا ان يبنى فقط الى الشروح التي يلقيها حامل الاذاعة على أنه من سوء الحظ ان نقل الحوادث بالراديو في الهواء الطلق ، من اشق الامور . وقد تبين بالاختبار ان تسجيل الحوادث على الفيلم ونقلها بالراديو انصور اسهل . وليست هذه الطريقة بطيئة كما يظن ، اذ قد اتضح بجهاز بديع صغير ، سهولة نقل الفيلم بالراديو المصور في عشر ثوانٍ بيد التقاطه ، وذلك بأن يلتقط المصور الصورة بالاسلوب المتأداة ثم يحمض الفيلم بذاته بيد اظهاره ويثبت ويحفظ ، ويتم تحفيقه في سلسلة من الحياض ثم يتقل بلا مواناة الى جهاز الارسال الخاص بالاذاعة ، المصورة حيث ينار حالاً . ومع ان ذلك السمل يحدث بيد الزمن الحقيقي بنهية فان هذه الثلاثين الثانية التي تمضي بيد وقوع الحادث فلما يمكن ملاحظتها الا في نهاية السباق ، وعند الفوز جنباً يسمع ضجيج النظارة قليل حدوث الحادث بلحظة . وأي تأخير ثابت يقضى اصلاحه بكل سهولة

ومن التحسينات التي لا مندوحة عنها للاذاعة المصورة (التليفون الظاهر) أي الذي تظهر فيه صورة المتكلم . ولم يبق إلا قبل من الشك في أن كثيراً من حطائر التليفونات العامة في المستقبل ، ستركب فيها أجهزة للاذاعة المصورة بحيث يمكن إثارة محيا المتكلم فتلقظ ذبذبات التيار الكهربائي وترسل الى الجهاز المستقبل حيث تصور الصورة بجوار سماعة التليفون المعتادة



ومن الاسباب التي تحتم تكوين جل البرامج الابتدائية للاذاعة المصورة من الافلام ، هو أن مدى اشارات الاذاعة المصورة محدود ، أكثر منه في اذاعة الصوت ، لأن الاشارات اللاسلكية العادية يتيسر اطلاقها الى مدى مئات من الاميال بلا صوبة كبيرة . أما اشارات الاذاعة المصورة فلا تمدو ٢٠ أو ٣٠ ميلاً حينما يراد الحصول على نتائج مرضية في هذه الآونة . وكثيراً ما تصادف الاذاعة مناطق تسمى « باليتة » وقد تعرضها العوائق بسهولة أكثر منها في حالة الراديو المعتاد . أي أننا لو شئنا تعميم الاذاعة المصورة في مملكة انكلترا مثلاً لاحتجنا الى ٢٠ أو ٣٠ محطة لنقل الاذاعة المصورة . ومع ذلك قد يبق مليون أو مليونان من الناس يمدون عن أجهزة النقل بدلاً لا يسمح لهم بالرؤية دون حائل . فإذا ما أريد تمثيل ثلاثين رواية مختلفة أو أكثر على أيدي شركات مختلفة كل يوم ، كانت تقفها باهظة جداً . أما اذا صوّرت تلك الروايات على الافلام تصويراً خاصاً لاذاعتها بالراديو المصور ، أمكن نقلها من المحطات المركزية جميعها في آن واحد بلا نفقة قاذحة وقد يكون الفيلم في الحقيقة نافعاً للاذاعة المصورة كتنفع جهاز البلاترفون^(١) للاذاعة العادية . وقد شرع الخبراء في تجربة نقل اشارات الاذاعة المصورة الى ابعاد أكثر مما بلغها حتى الآن ، فظهر لهم أن تلك الموصلات الجوية اللاسلكية تتأثر بالارتفاع كل التأثير . فأقام المهندسون الالمان في سيارة نقل جهازاً طوّافاً لنقل الاذاعة المصورة ليحول في منطقة واسعة ابتناء الحصول على نتائج أفضل مما حصلوا عليها من قبل . والمرحواهم بالتوقف في جبل ارتفاعه ١٤٠٠٠ قدم سبتمكنون من ارسال اشارات جيدة تقطع أكثر من مائة ميل . أما بلاد انكلترا فغير صالحة لعمل كهذا اذ لا تزال تحتوي هضاباً صغيرة بجوار المراكز الكبرى الحافلة بالسكان . ولتلك سيضطرون الى انشاء محطات صغيرة مفرقة لتستعمل بضع سنين . وثمة بعض الشك بأن العموية الناشئة عن البعد ستدلل أخيراً قتيباً وتقتذر الاذاعة اللاسلكية المصورة الدولية مكانها وتصبح ضرورة من ضرورات الحياة اليومية

[تولا عن كتاب الاستاذ لودوالم الانكليزي ويجلي « العلم العام » و « الميكانيكا العامة »]

حَذِيقَةُ الْمُقْتَطِفِ

السرّاب

لشاعر ياسين دورقيلي
تلقا خليل متناوي

الادب العالمي

على هامش خمسة كتب جديدة
لكامل محمود حبيب

السراب

للشاعر باربي دورفيلي

آه ! الميون المعبودة ليست بالميون التي يرى أصحابها

أنهم كانوا يحبونها وتضوى أهدانهم من أجلها !

والاحلام — أكثر الاحلام نشوة ليست بالاحلام التي يبدعها

كاثمان ترميا قلباً على قلب وباتا ذراعاً على ذراع !

والسعادة — بل أكثر السعادة غلاء على أنفسنا الظمأى —

ليست بالسعادة التي يكي عليها بعد زوالها !

بل الحب الجليل الذي كان في الحياة ،

لم يخرج ابداً من القلب . . .

انه هناك ! يحيا ابداً ، ويبقى مرصدا .

لا تؤثر فيه السنون ، ولا يتأثر منه الزمان شيئاً

يظنون انه قد توارى وضاع وهلك في تايام المقادير ،

ولا يخالون البائد الا لرباه .

ولقد يحبون بعده عشر مرات .

الفتوة قد تدحرجت مفعجة ملتهبة .

والزمان يحجر يده الكهولة التي تطوينا احشاؤها ، وتلفنا أطواؤها .

ولكن هذه الاحشاء القوية التي يظن انها سليمة من الجراح ،

لم فيها جرح يحسونه !

انه جرح لم يندمل ، ولكنه لا يسيل دما .

هذا ليس بشيء !

انه كني الورود الاولى التي سقطت في الربيع على القلب عندما يتبرعم .

ما أكثر ما هناك من أشياء غبرت على هذا القلب .

ولكن هذا (اللاشيء) الباقي هو كل شيء .

ليس أحد يتكلم عنه أبداً ،

وليس أحد ، هناك — يقصر بأن فتح اطواء القلب تتوارى

طاطقة لا اسم لها ، ولا يستطيع أحد انزعاجها .

ليس هذا الشيء هو الحب الذي فسر على ذراع المحبوب ،

ثم أخذ يُمَقَّت قليلاً قليلاً .

ليس هذا الحب ،

انه ليس إلّا حلماً ، ولكنه حلم أجل من الحب .

تحت كل هذا الحب الذي يترك الحياة زاهية .

وتحت كل السعادة التي تستطيع ان تسكرها

نجد دائماً هذا الجنون الذي لا يجد له القلب قريناً

وانا نحملنا — في كل مكان — أثر هذه المملكة الفرية من هذا الحلم القوي

المبهم المتنصر .

والى ذراعيك — يا حبيبي — يمضي هذا الحلم الجميل ويرسو على قلبي !

انك لا تدرين ما يرو قلبي ويصر قمي .
 انك تطوقين جبيني بذراعيك ، وبالزراع الأخرى التي تسكب في قمي لميها
 وتبعث عن هذا القلب ، حيث أنت لا تكونين .
 تنفخين عنه لتتظري قسك فيه أيها الغادة الثابتة !
 وتقولين « انك صامت يا جبيني فاذا عراك ؟ »
 لا شيء عراي يا مبهودني ، ولكي رحت أفطر الى ذلك (اللاتشي)

إن هذا اللاتشي . يتصب في فكري !
 انه ليس إلا خيالاً ، أو وجهاً وميماً .
 ولكن ين جميع ذكريات أنفسنا السبعة
 تظل الذكرى البعيدة هي الأقوى .

ومن خلل القلب للمشتعل الذي يأكل بضه بضاً
 رى الغابر المتدحرج هو الاكثر لماناً لميوقة .
 والتهار الأصنى والاتق جبالاً ما هو الأ لطيف
 فخير ماد يطوف في السموات .

وانت انت كنت لطيف غير لا يحبو شعاعاً أعدي أبدا .
 ولكنتك — يا نور عيني — يا من رحت اصدها ،
 لم تمحي ابدأ هذا (الغير) الذي رحت أحبه .
 ان نجمة عحلة على البحار التي لا تُحصد ، تمكس على امواجها وتضعك من تلاطمها .
 ألا اكم فتقر نحن الى نساء مملكن ، لكي يستطن ان يساوين تلك التي
 لا تملك عليها

[قلها خليل هنداوي]

الادب العالمي

على هامش خمسة كتب جديدة

- ١ -

البطل

ان البطل رجل خرافي عاش في خيال الناس زماناً يحكيون حوله الاقاصيص والاساطير ليكون لهم لا تسوا اليه الانسانية الضعيفة ، او بشر أفضى عمره في بشرية خارقة هي فوق طاقة البشر . هكذا قال اللورد راجلان في نظريته الحديثة التي طلع علينا بها منذ حين في كتابه (البطل) . ولعل في نظرية اللورد راجلان ما يفزع عابرة الكتاب والشعراء والمؤلفين والعلماء ، وما يهيج في صدورهم الاحقاد والضغائن ، فهو قد نقي التبوغ والشذوذ والتفوق في وقت معاً ، وركب متن المشطط فراح ينقض حوادث التاريخ من بعد قوة أنكثاً « إن روين هود الذي عاش عند سنة ١٢٠٠ لم نثر له على وثيقة واحدة تثبت وجوده » وقال « إن كيث مارلو انطلق يحدث عن هيلانة زوج منيلاوس وعشيقه قاريس ، والتي ارسلت الحرب شعواء طاحنة بين قوم زوجها وعشيرته خليفها بعد ان فرغت عن دار الاول لتستقر في أحضان الثاني ... قال :

افكملت هذه الظلمة الفتانة هي التي قذفت بألاف من السفن الى قاع البحر

وأججت النار في أبراج إليون

يا هيلانة الجبلية ، هي لي الخلود بقية واحدة

ولكن شيئاً من ذلك لم يكن . ثم اندفع بهدم حوادث فريام (ملك الطرواديين) وزعم ان حروب طروادة أساطير لم تكن في الوجود بل هي قصص كان يتقن بها القسيسون والرهبان في عماريهم ومعابدهم ضُمتْ اشتاتها بعض الى بعض لتكون ملحمة عظيمة ، هيلانة منها براء ، وهي المرأة الشريرة الطاهرة التي ترضى حق زوجها وحق دارها معاً ، وأخذ يضرب على هذا الوتر طويلاً لا فرق عنده بين سندريلا وموسى او يوسف

وفي الحق لا بد ان نطمئن الى هذا الرأي قليلاً قليلاً فهو منطقي الى حد ،

وهو قد كشف لنا عن أساطير وأكاذيب فيها التلفيق والحشو «إن الملك آرثر — مثلاً — وأخيل وروميولوس وبريس... أناس عاشوا على الأرض زماناً ودوت أمماؤهم في أرجاء الدنيا، غير أن الالسن قد تناقلت عنهم أقاصيص هي من وحي الخيال فحسب، لا برضاها العقل ولا يستسيها الفكر، وحسبنا أن نرى في أقاصيص الاقتصاد بطلاً هو هو... كلفن كوليديج

غير أنه يترأى لي أن اللورد راجلان أرخى لخياله السنان قليلاً في كثير مما جاء في كتابه

ولقد وضع لفسب عينه ثلاث قواعد: أن يكون البطل رجلاً عادياً ماشِ عمره على الأرض ثم حكمت حوله الأساطير الخرافية لتسمو به، أو أن يكون بلغ مكاناً رفيعاً فذهب بممه في الناس، أو أن يكون خرافة ولدت في خيال خصب فحسب فهاذا، إذن، لا يقول اللورد إن البقري رجل ضم في حياته ناحيتين فجمع بين الحقيقة والخيال، وألف بين الواقع والخرافة، ثم حالت قصة حياته إلى شيء من التدبير الذي يقرب من العبادة؟

— ٢ —

ديبوسي، الرأس المفكر:

لقد قضى كلود أشيل ديبوسي أيام شبابه في باريس طالباً مرحاً بطير من نديّ فلا يقع — حين يقع — إلا في مقهى، حيث يحتشد القنادون، فيجلس هو صامتاً يردد بصره بين التمدل والجالسين في وقت مكا ويحدّق فيهم كأنه ينفش عن شيء لا يجده. وهو دائماً يهفو إلى المقهى «فير» يجلس إلى النافذة فما يحول بصره عن النافذة التي على مدّ البصر منه، أو إلى نديّ «شا نوار» — (المرّ الأسود) — فيسمر مع إحدى رفيقته: جاي ديون الجميلة ذات العينين الخضراوين أو إلى روزالي تكستير الفتاة، حتى استطاعت الأخيرة أن تقلبه على أمره فتزوج منها، وانطوى عن الأولى وفي قلبه صباية من حب

وفي الحق لقد كان الرجل زوجاً وفيّاً لا يبدل بقاته امرأة أخرى، وهي أيضاً قد قاسمته حياة الضنك والفاقة في صبر ووقار. وحين أُلّف «أوبرته» «فيلاس وميليزاند» التي سمّت به إلى أوج الشهرة،

تدافع اليه الناس يجذبه من خلوته الحبيبة الى نفسه ، ولكنه أودت اليها رويداً رويداً ثم زعم مرض السرطان الذي أصيب به عن كل رفيق وهو ما يقتضي عن الى أصدقائه ورقاقه يقضي معهم ساعات فيها اللفة والسعادة

ودب الشك في قلب الزوجة الصالحة حين رأت في فلياس صورة جاني صديقة زوجها القديمة. ولعل لما بض المذرة فصاحبنا قد وضع أساس «أوبرته» هذه في حين كانت جاني مجلس اليه وتحدثه وتقضي الى جانبه بض عمرها: ففتت فيه من روحها ثم اندفعت الزوجة في زرق وطلش — والفيرة تنسمر في قلبها تريد أن تلتهمه — اندفعت تصوب الى نفسها قوهة (مسدس). غير أن الرصاصة طاشت عن الهدف ... وزوج ديموسي من إيما بارداكفرماه الناس بالطبع لانها كانت ذات ثراء ومال ولكن الرجل كان في مئاة عن كل ذلك، فهو قانع بدو قناعته في حياته ودارم وقته في وقت مما ولقد اقتض عليه (واجز) يذيقه من لاذع القول وقارس الكلام يريد ان يوهي ما اشتد من قوته ، وهو صامت لا يرد عن نفسه ، ولا يدفع قولاً بقول ... ولكنه استعمر قوة أخرى طاحفة تكاد تهب فتجتاحه ، تلك هي قوة (بارت) الحيار ، قاتري لحصيه بهجوه ويسفه ذوقه بكلمات قاسية حزت في نفس واجز واعتز ديموسي في الادب الرمزي والموسيقا التأثرية ، وهما بعض سمات عصره ، فصلا في أسلوبه وقنه

ومع انه نزع عن التقليد وعن النظريات الموقوفة في الفن ، فلقد بلغ هامة المجد الموسيقي ، لانه جعل همه ان ينفذ الى صميم الشعور الانساني في بساطة وسهولة تفرّد هو بهما ، ثم استطاع ان يتألب كل الاهواء والاضطرابات التي جرفت كثيراً من بطون أوج الشهرة في زمانه مثل واجز وفير وبيتهوفن نفسه فتألق نجمه ساطعاً خلافاً بينهم . وكان رفيق النفس ، مشبوب الماطفة ، عبقري الشعور « لو استطاع الانسان ان يسمع صوت التبتة وهي تممو ، لوجدنا — بعد حين — لحناً يترنم به ديموسي » وكان ينظر الى الطبيعة فظرات فيها الفلسفة والمقل مألم تكن الطبيعة في عيني ديموسي ملهى بموج بالممثلين فأيهدأ ولا يستقر ، ولكنها كانت وطاه الحياة تشع في جنباته روح الانسان ، وتضطرب في أرجائه كل عناصر الحياة ، فليست الدنيا طريقاً موحفاً يجتاز الانسان ما بين طرفيه على مضض ،

ليبلغ الغاية فيسلم الروح ، بل هي شيء مقدس لا بد أن يبدد الناس لأن فيه لهم
لحن موسيقي أخاذ . . . وأراد أن ينث في حياته معاني الموسيقى الحبيبة الى نفسه ،
فتأى بقلبه عن الآلهة فهي لا تملك عليه السيل ولا تزعزع من عزيمته الحياشة ،
ونأى بقلبه عن أفراحه فهي لا تسيطر عليه فتسلبه رزاقته وهدوءه ، ثم ألجأ إلى
حياته وفيها الرضا والطأنة . . . وأغرم بالبلاغة والبيان شأنه في ذلك شأن أربابه
من الأدباء الرمزيين . . . وشرب الخمر بقدر فخر رأى في سني عمره مرة واحدة
ممتاخ العقل يضطرب في مشيته ، أو ذاهلاً يترخ ويهذي بما لا يعي . . . ولقد
ما أساعت إليه الخلوة فكان يشعر كأن شيئاً يحبس نفسه فيتمل في سكون . . .
هكذا كان ديوسي كاتباً ومؤلفاً وناقداً وموسيقياً ، أفقن في كل ذلك ليخلف
من وراثته صفحة طيبة الذكر من صفحات تاريخ الباقرة على الأرض

— ٣ —

من أدب المرأة الألمانية :

تحدثت المرأة عن نفسها وآلامها فتبدي عن شيء وتخفي شيئاً حياً منها
وكبرياء . ثم هي تنخل الى القرطاس فتطرح عنها ثوب الكبرياء والحجل ، وتفتح
أمامه مغاليق قلبها ليرى فيها أشياء غُصت على الناس ، وبين جنبها قلب يحمل في
اضافه أنداء من العاطفة النبيلة حيناً وأطاسير من روح الشر العاصفة أحياناً . . .
ثم هي تجد في قلبها لسان الهوى فتنسى كل شيء إلا الرجل الذي أحببت أنانية
منها وطيفاً ، والمرأة هي في كل حين وفي كل وطن

وأسلوب المرأة رفيق طلي يأخذ بالالباب كأنه رثبات صوتها العذب ، وقلها
مطلق دائماً بالامل الحلو . . . الدار والرجل والولد ، تلك أمنية لا تستطيع أن تفرغ
عنها وإن هي فعلت فلا تلبث أن تزدى فيها من ناحية أخرى

جريت جولبرانس وفريدة اشتريندرج والبصابت شخت ، ثلاث من كتهن في
القصص الألمانية فأبدعن وصفاً واقفاً ، والمرأة — دائماً — تسبح في آفاق من
الحيال منفسحة الأرجاء ، فتجد الوصف والتصوير . هكذا كانت السيدة جريت
في قصتها الأخيرة « ظلال محبوبة » "Geliebte Schatten" فهي تصف في روعة

ومهارة حياة أسرة عاشت تغلب بين ربوع سويسرا وحيال ألمانيا الجنوبية
وإذا كانت جريت قد نشرتها أمالنا صورة من خيالها الراقي الجميل فريدة

نجذبنا الى عصور كان الناس فيها يهيمون بالعقريه ويرفونها الى سماء التقديس. ففي
 أواخر القرن التاسع عشر كان أمد كل قفاه مهذبه ان تلقى بنفسها بين احضان رجل
 نبه جسمها وروحها ثم قاسمه متاع حياته واعبائه. ولقد سيطرت هذه الحافطه
 على عقل الفئاة (فريده) فوقت في حباله كاتب كبير يكبرها بسنوات وسنوات هو
 أوغست أشترنديرج وقت في حباله حين اسرتها عقريته وظرفه فزوجت منه، غير
 ان حياتها الزوجية لم تقدم طويلاً فافتراقاً. وبعد سنوات راحت هي تصور حياة الكاتب
 الكبير من الناحية النسائية—وهي ما زال تهفو نحوه—، ولعل الفيرة التي تأججت
 بين ضلوعها—حين رأتة قد تزوج من غيرها—هي التي دفقت بها الى ان تحلل خواطر
 الرجل الذي عاشت الى جانبه عمراً من عمرها، بعد اذ أحست بعض شقاوته في داره
 الجديدة، فأخرجت قفاس قطعة من الادب العالمي هي درة في جبين تاريخ الادب العالمي
 وكسبت البصابت شخت قصتها « يونكا » قصص حاداً فيه السلوة والمثمة ،
 فهي تصف لنا قفاه جمت بين الجمال الاوربي الجذاب وبين سمرة البشرة الشرقية
 الفشانة هي « يونكا » نفسها ، كانت أمها أميركية وأبوها أوربياً فاختار هو لها
 هذا الاسم يعني به الفريده ، وفي الحقي لقد كانت فريده في كل شيء ، في خلقها
 العالمي النبيل ، وفي عاطفتها الشريفة المضطربة ، وفي نفسها الرقاقة الصافية ،
 وفي عقلها الحصيف الناضج ، وفي جمالها الأسر الحلاب . . . تزوجت « يونكا »
 من ضابط الماني فتفتح الزواج عن طفلة جميلة هي ليل يمت بها ابوها الى بلاده
 لتتاقى علومها هناك ، وبعد حين نجحت المرأة في زوجها ، على حين كانت قد تملقت
 رجلاً من وطنها أميركا . . . واصطرعت الحواطر في رأس المرأة ، أفتركت وحيدتها
 هناك تملق مرارة الوحدة والفرقة معاً ، أم هي تسرع اليها فتخلف قلبها عند الرجل
 الذي أحبت ، أم هي تدعو صاحبها ليرافقها الى هناك ؟ وآتى للرجل أن يفضل وهو زوج
 وامرأته على فراش المرض ما تستطيع ان تبرح ؟ وجاءت ساعة الوداع لتطلق الام
 الى اهنتها ويظل الرجل الماشق الى جانب زوجته المسكينة . . . وفي هذا الكتاب
 وصف رائع لاقطار كثيرة هي من معجزات الادب ولاسيا وصف يونكا لبلادها
 ثلاث قصص تكتبها المرأة فلا تستطيع ان تخفى بعض ما يضطرب في قلبها وهو
 يتحرق شوقاً الى ان تسبح هي ربة دار وزوجة وأماً . . . كامل محمود حبيب

سِيرُ الزَّمَانِ

الخلق القومي

في ألمانيا وفرنسا وإنجلترا

مشكلة العالم

الاقتصادية وعلاجها بحسب تقرير قان زيلند

الخلق القومي

في ألمانيا وفرنسا وانجلترا

ان السياسي الذي يقيم للعواد الخام وزناً في تقديره السياسي أكثر مما يقيم لفلسفة الشعب، او يستند ان الارقام افضل اثرأ في توجيه التاريخ من الشعور، لا بد أن تأخذ الدهشة عندما يشاهد بأمر عفيه، ما لم يكن يتوقعه من تحول او انقلاب في اخلاق امته من الامم، والفلاسفة وحدهم يستطيعون ان يستشفوا تطوّر الاحوال الانسانية بدقة، وهذا حكم يصدق على افلاطون وقرون وينتشر صدقاً على الفلاسفة المحدثين. ولو ان الالمان ضوا قبل الحرب الكبرى، بفهم الخلق الانجليز سكسوني، أكثر من عنايتهم ببناء الجوايس وارقام المدافع، لما اقدموا على الحرب، واذا عني الانكليز والاميركيون الان بدراسة الخلق الالمانى فقد يكون في وسعهم ان يحولوا دون حرب أخرى تتجمع نذرها في الافق الدولي

ان الفرق الخامس بين تاريخ ألمانيا النفسي وتاريخ الشعوب الاخرى، هو التمازج في ألمانيا بين العقل والدولة. ففي الصور الزاهية في فرنسا وانكلترا ترى ازدهار الثقافة مقترناً باستتعال القوة المادية في الامتين. اما ألمانيا فقد كان عقلها يزدهر وعقائنها تشرق في الصور التي تتألف فيها بد التمزيق والضعف. فاذا تحدثت على العدو وانسبط فوقها ظل القوة ضف فيها الوزن الذي يقام للاعتبارات الروحية العالية. وفي وسع الباحث ان يتبع هذه الظاهرة من عهد ارسطو المصلح الديني الى بلانك العلامة الطليعي. بل ان جوته وهو اعظم حدث في تاريخ ألمانيا، نشأ في عصر كانت فيه ألمانيا عمزقة في الداخل مقهورة في الخارج. اما كوكبة للموسيقى من بلخ الى شوبرت فارفعت فوق ضف الامة ونماذها كما تحلق الطيارة فوق اطباق الضباب الكثيف ان الرجال الذين اذاعوا ذكر ألمانيا في الحافقين، رجال الفن والاختراع والتفكير والشعر، نشأوا واطشوا في اظلم عصورها بل وفي ولايتها الصغيرة الضعيفة بالقياس الى روسيا. بل ان روسيا لم تعجب خلال التاريخ الالمانى من القرون الوسطى الى عصرنا الحاضر موسيقياً واحداً ولا شاعراً واحداً في الطبقة الاول بين الشعراء والموسيقين

وليس بين رجال الفكر والقلم في ألمانيا من ادرك هذه الحقيقة كما ادركها جوته أو كان أشد منه تقدراً لها. ولذلك روي عنه أنه ذكر وهو شيخ ان الملحن الثلاثة الذين يدن لهم بكل شيء كانوا شكسبير الانكليزي وليفيوس السويدي وسبيتوزا اليهودي. وقد طاش طوال حياته وهو يحس أن الالمان «عظام أفراداً ضاف أمة». ثم ان بطل جوته كان عدو وطنه — نوبليون — وأما ينتشر فقد حمل على بشارك لأنه جبل ألمانيا قوية

هذا الفصل بين الدولة والعقل في تاريخ المانيا ، ناشئ عن فقد روح الحرية الحقيقية . الا ان المانيا لم تكن الدولة الوحيدة التي قامت فيها طبقة عسكرية أخذت يدها مقابليد الحكم لا ينازعها فيها منازع . ولكن الشعب قام في البلدان الاخرى على الطبقة العسكرية فانزلهما من رفيع عليهما . أما المانيا فقد ظلت ثلاثة قرون متوالية ، والحاكم الحقيقي فيها طبقة الضباط (اليونكرز) وعليهم كان اعتماد الملك والامراء في الحماية وفي قمع كل ثورة . ولم يقم من صفوف الشعب من يثور على هذه الحالة . وللمانيا هي البلاد الوحيدة في اوربا التي لم تقع فيها ثورة . فحرب الفلاحين قاومها لوتر مع انه أوحى بها ، وثورة سنة ١٨٤٨ انقضت قبل ان تترك أثراً باقياً ، أما في سنة ١٩١٨ فلم يكن هناك ثورة على رغم التحول من ملكية تكاد تكون مطلقة الى جمهورية . وكل ما حدث في سنة ١٩١٨ ان طائفة من الامراء فروا من البلاد ، تاركينها في أيدي فريق من أقطاب الاحزاب ، ليس لهم من المراتة والقدرة ما يمكنهم من تسيير مقدراتها . وهذا يفسر لك تلك الظاهرة الغريبة في تاريخ المانيا الحديث ، وهي ان ملكاً أو أميراً من يوتها المالك لم يخلعه الشعب . وقد تبين ذلك بنفسه بيد الحرب اذ زرت معظم الولايات الالمانية فكان أفراد الشعب يهاون بأنهم آخر من أشار على أمرائهم بالفرار عن عروشهم

ثم ان الشعب الالمانى ، فلما كان برماً بأنه لم يمنح الحقوق التي تتمتع بها الشعوب الاخرى . بل كان مكتئباً راضياً بأن يترك مقاليد الحكومة والجيش لطبقة الضباط ، فطغوا وبهوا وكانت النتيجة ان الحرية أخذت تحتق حالة ان التجارة أخذت في الاتساع . ومن غريب ما أرويه في هذا الصدد اني كنت أحدث أحد دعاة « اليونكرز » قبل الحرب فقال لي « سأخلف مالي وأرضي لاذكى أبنائي وأمان من يليه فليتنظم في الجيش والثالث في وزارة الخارجية » . اما الرجل من الطبقة المتوسطة فكان يعقد أمله على نجاح ابنه في تجارته او صناعته او فنه . وكذلك ترى ان معظم اصحاب العقول الثاقبة والارواح الثيرة في الامة الالمانية مستمدة من الطبقة الوسطى . وأما القواد والوزراء فيكادون ينحصرون في الطبقة الارستقراطية . ولا يسعنا ان نقول ان مجد المانيا الحقيقي قام على مثلي الطبقة الارستقراطية ، يستقى من ذلك بسمرك السياسي وكلايست الشاعر هذا الفصل بين العقل والدولة في كل المصور كان الباعث على رسم صورة مزدوجة لالمانيا تنشئ اضطراباً وغوصاً في ذهن من يحاول ان يفهمها . فالتبعية لتاريخ الالمانى ، المعجب بمجدها الفني والفكري كثيراً ما يسأل : ما السر في أن البلاد التي انجبت جوتة وبيتوفن ، ترتد في الحين بعض الحين ، او بالحري تحط في الحين بعد الحين ، الى مستوى هو دون المستوى العالمي الذي بلشته في الثقافة والحضارة ؟ إن السر في ذلك ان الرجل — رجل الشارع كما يصفونه — يميل على طول الزمن الى تقليد الرجال الذي يمثلون القوة والسلطان في قومه . فاذا رأى الطلاب ان للمالي الكبير او الاستاذ العظيم ، لا يدخل ذلك المجتمع الزاهر الا من باب الرتب العسكرية

والملايس الرسمية الفخمة ، فلا تعجب اذا رأيهم يخلدون الجنود في مظهرهم وان يمدوا الى
 انحناء وجوههم بالجراح في مبارزات يقيمونها لادوى الاسباب . ومن كان وجهه اكثر ندوباً
 كان أعلى من زميله مقاماً . ان الملايس العسكرية والمبارزات الدامية استمادت مكانتها في ألمانيا
 الحاضرة ، وغدا الضابط كما كان يطل كل فتاة

وكانت نتيجة هذا التنظيم العسكري الدقيق ، فوضى الروح . ذلك ان صورة الدولة كما كانت
 طبقة الضباط تخيلها ، جاءت بعيدة البعد كله عن مثل العقل وأهدافه العليا . فالطاعة والنظام لا
 بدءاً منها في دولة من هذا القبيل ، ولذلك رُفعا الى المقام الاول بين الفضائل . والالمان هم الامة
 الوحيدة على الارض التي تطيع عن شعور لا عن ضرورة . وكذلك انكشفت «مشيئة الحرية»
 فلم تجد لها مبدأناً الا في ساحة العقل ، فتولدت منها «زعة الفردية» التي أشار اليها جوتة وترسخت
 هنا تقبل على أهم الفروق بين الخلق الشعبي الالمانى والخلق الشعبي الفرنسي . ذلك ان
 « الطاعة » تسود الحياة السياسية والاجتماعية في ألمانيا ، بقلبها زعة قوية أساسها مقاومة
 القواعد الجامدة في حياة العقل . أما في فرنسا فالامر على قبيض ذلك . فالكاتب الفرنسي اذا
 استعمل صفة من الصيغ التي ليست في القاموس الانسكويدي اتهم بانهاك احد القوانين . ولكن
 اذا علق في الشارع اعلان يأمر الناس في باريس ان يمشوا الى بين الشارع مشوا الى اليسار
 إن أكبر خطر يترسّخ له سياسي ألماني ، اشتهاره بأنه عالم بحانة في موضوع ما . ولو ان
 وزيراً ألمانياً ألف كتاباً عن هوميروس كما فعل غلادستون ، لكان موضوع سخريه . ثم ان فريقاً
 غير يسير من وزراء انكلترا ألف روايات . اما في فرنسا فقلما تجد وزيراً لم يؤلف . ولكن ماذا نجد
 في ألمانيا — انها تهزأ براينيو لأنه ألف ونشر خمسة مجلدات او ستة . وقد ظل البرلس يولوف يعني
 عن قومه عشر سنوات أنه من المتعمقين في دراسة قوست وفهمها . فالألماني يحكم بالسيف بالقلم
 وهذا من اسرار الخلاف الدائم بين الجارين الكيرتين ألمانيا وفرنسا ، وهو لا يمكن
 ان يفهم على صحته الا اذا درس الخلق القومي في الامتين . الواحدة تملك ما يميز الاخرى .
 وما يضنف الاولى يميز من قوة جارتها . هنا على جانبي خط واحد ، امة دقيقة النظام جامدته
 تقابلها اخرى قليلة النظام وقلما تبايه اذا زاد عن حد معين . الواحدة متصفة بزعة الى
 الصوفية . والثانية باجلال للمنطق . احدهما بغني التوسع والثانية لا تريد سوى الدقاع
 ان الالمان يستريون كاسة الفرنسيين . والفرنسيون لا يأمنون توقّر الالمان . فالرجل
 الفرنسي يريد ان يترك وشأنه ، بل يؤثر ألا يلق اسمهُ على باب داره . اما في ألمانيا فتمة رجال
 مهمتهم ان ينظموا كل ناحية من نواحي الحياة حتى ناحية الملاهي . السلطات الحكومية في فرنسا على
 جانب عظيم من اللطف والظرف . ولكن بعض الخطابات فضل طريقها . اما في ألمانيا فتصلك خطاباتك

في مواعيدها ولكن أولي الثأن يدمدمون في وجهك . كل انسان في فرنسا حتى رئيس الدولة «موسيو» . اما في المانيا فكل جزار وخياز يجب ان يكون ذا لقب . الفرنسي يحب مرءه لانه يحتفظ بزلته وبأني كسبدم ان يتلق الاوامر من احد . وأما الالمان فيحب كلبه البوليسي الذي يقب كسبدم طائما منتظرا الاوامر للاقتضاض على العدو . ان الخضوع محقر في فرنسا مجل في المانيا . وهذان الرجلان — هاتان الامتان — مقضي عليهما ان يعيشا جنباً الى جنب... واذا قابلنا بين الحلق القومي الالمانى والحلق القومي الانكليزي ، تبيننا وجوهاً من الغبه في سجي الكفاءة في الاعمال وحب المفامرة في سبيلها . الا اننا نجد فطرة الحب ورة فيهم عنصر اساسيا في الحلق الانكليزي وكلتاها بيده عن الحلق الالمانى . ان الانكليزي يظلب عليه حس التهلز ، والالمانى حس المسأة بل و «حب الموت» على قول كلنصو . انه غير متصف بذلك التجرد الذي يحسب اساساً لفطرة الحب السليمة . فهو لا رغب في الظفر فقط بل ويحتقر الخاسر . وقد قيل ان الجنود الانكليز الاول الذين وقفوا في أسر الالمان في الحرب الكبرى حاولوا ان يصالحوا أسرهم فلم يمد الالمانى واحداً يده اليهم

لقد شامت المانيا وكلها في ظل حكم دكتاتوري مطلق — اذا استثنينا عهد الجمهورية — مدى ثلاثة قرون وفي هذه الفترة لم يكن في وسع السلطة الحاكمة ان تتساهل في شأن التصور الهزلي (الكاريكاتور) اذ ليس في المانيا شيء اسمه الجمع بين الولاء للحكم والهزل منهم . والهزل لا يمكن ان يكون بغير شعور الحرية ، والحرية لا تؤخذ الا بالكفاح في سبيلها . ان الالمانى يصور الدولة هرمكاً ، ومطسحة الاعلى ان يكون اقرب ما يكون الى قته . اما كيف يتناول زعيم المعارضة في انكلترا مرتباً من الخزينة العامة فيجيره . عدد القوانين المسطوره في انكلترا على أقله وفي المانيا على أكثره . والقاعدة في انكلترا أن كل مالم يمنع مباح . أما القاعدة في المانيا فان كل ما لم يُبَح ممنوع . واذا ذكر اني عندما رأيت ركاب القطار في انكلترا بأخذون امتهم من حربة الامنة بلا وصل أو وثيقة ، وأن الاحياء في ذلك على «الكلمة» والثقة ظننت اني في جمهورية افلاطون . على اني تبينت بعد ذلك بعض الفروق بين انكلترا والجمهورية الافلاطونية ويجب ان نضيف الى فقد روح الحرية وشهوة الطاعة او الخضوع ، صفة ثالثة اساسية في الحلق الالمانى ، وهي حب الالمان للموسيقى . ان فهمهم لا يمكن ان يكون كاملاً الا اذا فهمنا ار هذا الحب في قوسهم . فالوستي هي الواحة الظليلة التي يلجأون اليها من متاعب التنظيم الدقيق . وكذلك لجأ الالمان الى موسيقى ويتوفن بعد خذلانهم في الحرب العالمية ، فزفت موسيقاه في المانيا في السنوات التالية لتعد الصلح اكثر من أي عهد سابق

وليس من مجرد الاتفاق ان شمين يكادان يكونان ابناء خؤولة وعمومة — كالانكليز

والألمان — يختلفان في موقفهما من الموسيقى هذا الاختلاف . فالألمانيون شعبٌ سياسيٌ . والسياسة قائمة على النزعة العملية . وهو إذن ليس بالشعب الموسيقي ، لأن حب الموسيقى الأصل المتأصل ينبع من نزعة صوفية . ولذلك فالشعب الألماني ، ليس شعباً سياسياً أو بحرياً ان الناحية السياسية من حياته تقلب عليها نزعة صوفية تجعلها خطراً دولياً ، وتقتض مضاجع الحكومات ولا سيما وقد اضعفت الآن ممة الصوفية على « القوة » لاعلى الدولة فصبغت بمنزلة المقيدة الرابطة منذ ما انشا بسمارك الرمح الاول ، خشي اعظم المفكرين الالمان ، وطلى رأسهم بنتشه تأثير الانتصارات العسكرية في نفس الامة . وقد قال لي راتينو وهو من خير من اسدى خدمة لالمانيا خلال الحرب ، « اذا انتصرنا فسنذهب الى سويسرا وأعيش فيها » ذلك انه كان يخشى طغيان الطبقة العسكرية وقد واتاها النصر . هذه الطبقة العسكرية هي الحاكمة بأمرها في المانيا الآن وسيبئ ان تدرب الشعب على الحرية ، وغرس اصولها في نفسه ، في حاجة الى نظام اقوى وارسخ من جمهورية فايمر

والعالم يواجه المانيا اليوم ، وهي على عهده بها سنة ١٩١٤ مستعدة للقتال والبلوت ، خاصة للنظام ، آخذة بطاعة حكامها ، شاكية السلاح . ولكنها كانت سنة ١٩١٤ غنية واسمة التجارة جاهدة العمل مبدعة مبتكرة . يقابل ذلك انها تحس اليوم بقوتها ولكنها تحس كذلك بان العالم غلبها ، وانها اخلفت للحكم ولكن النصر اقترع منها خدعة وميناً . فهي واقفة اليوم في دروعها تطلب الثأر . والخطر الصادر من المانيا في حالتها الحاضرة ليس سبباً الرغبة في الحرب لصون الكيان بل الرغبة في الحرب لاسترداد ما تحسبه شرفاً مضاعاً

ان الالمان في قرارة قوسهم لا ينفون المواد الخام والمستمرات وحقول اوقراينا . انهم يسمون وراء شيء ينزل في طبقة المثل العالية . انهم لا ينفون الحرب ليجزوا آباراً من الزيت خاصة بهم ، ولا ليزدعوا القطن الذي يحتاجون اليه في حقولهم . انهم يريدون الحرب لنصر نفسه . انهم يريدونها لينأروا لاقسم من الجناية التي اقترعت ضدم عند ما انتزع منهم النصر خدعة وغصنة ملوثة في ايديهم ثم توجت هذه الجناية بذلك الحزبي ، خزي منهم عن التسليح لا يقتنعهم اعجاب العالم بانهم بنتوا في وجه العالم اربع سنوات ، ولا باعجاب العالم بالعلم الالمانى والاختراع الالمانى والسفن والطائرات الالمانية وبما احدثته الامة الالمانية من مؤلفين وفلاسفة وشعراء وموسيقين وكيميائيين وأحيائيين . ان ذلك ليس مجدداً كما تهمه الامة العسكرية . اما المجد في نظرها فيعني النصر بقوة السلاح . وكل من يعمر انه غبن يبالغ في مطالبه . وخطر الحرب تتجمع نذره في الحوب ، اذ ليس هناك ما يرضي المانيا ان نالته بالمفاوضة لا بالقوة والفتح . اعطهم تسخيفاً غداً فيطالبوا بمد يد جميع المستمرات . اعطهم دانستيج فيطلبوا في الحال الحجاز البولندي . انهم يشعرون

اتهم ضحايا بريئة لفساد العالم، ولكنهم يحسون في الوقت نفسه أنهم على جانب من القوة لاختلاف الأثر وإذا كان الألمان يطلبون النصر فذلك النصر يجب أن يتحقق في باريس . اذ من فرض عليهم ما فرساي ؟ ولما نجد من يفكر في أن الفرنسيين — لولا تدخل ولسن — كانوا ينوون ضم الضفة الشرقية من نهر الرين وأن الألمان كانوا طامعين على استبقاء جميع البلاد التي فتحوها . على الشروط الباهظة التي فرضها الألمان على رومانيا وروسيا لا تسوِّغ في نظرهم ما ارتكب في مساعدة فرساي من الأخطاء . ذلك أن المشهد الذي تمَّ في بهو المرايا في قصر فرساي عند توقيع معاهدة فرساي مطبوع في ذهن كل طفل ألماني . وقد ولَّد فيهم شعوراً بالصغار لا بدَّ من التخلص من ربهما مهما يكن الثمن

وقد أفتنا نحن دعاة السلام من الألمان ، نكتب ونذيع مدى عشر سنوات ، داعين إلى التفاهم الأوروبي وتأييد العصبة كما يجب أن تكون ، وجاءت علينا فترة من الزمن بدى لنا فيها ريق أمل في أن يحل الفهم محلَّ الأثر . ولكننا نسبنا أن إحدى هاتين الامتيازات أعظم حيوية ، وأضيق أرضاً بشعبها ، وأشد استعداداً للكفاح من جارتها وإذا كان الشعب الفرنسي بعد هزيمته في حرب السبعين يحمل آثار هذه الهزيمة بصبر مدى أربعين سنة ثم تعرض ثانية لاعتداء المنتصر الأول عليه ، فأحرى بالألمانيا وهي المهزومة أن تستمدَّ لإعادة الكرة . وإذا كنا قد عقدنا الأمل يوماً ما على الحيولة دون هذا ، فاقنا على خطأ لأن الحلق الألماني يناهض على خطئ مستقيم ومن غريب الأمر ، أن الطفل الألماني يتعلَّم في كتيبه المدرسية أن شرابوبورج كانت ألمانية وستظل ألمانية ، حالة أن هنري ديدريخ في خطبه متكرراً أنه يرغب أو يفكر في السعي إلى استعادتها . واذ يؤكد لفرنسا أن لا باعث للفرزاع بين الامتيازات ، يباع « كفاحي » في ألمانيا بعشرات الألوف من النسخ وفيه ما فيه عن أن فرنسا هي « العدو الأصلي » . كان العالم يحسب أن نقض معاهدة من كبائر الأمور ، وجاءت عليه عشرون سنة منذ نشبت الحرب الكبرى ورواية « قصاصة الورق » من أكبر ما يوجه إلى ألمانيا القيصرية من التهم . ولكن ألمانيا اليوم تقول « أن المعاهدات تظل نافذة ما زالت مؤاتية لمصلحة الدولة » . وقد قبل هذا القول ونشر في الجرائد الرسمية مصدبوا على معاهدات قبلها ألمانيا عن رضا ولم تكره عليها إكراهاً كمعاهدة فرساي . ومع أني كنت متخافاً لهر بروتنغ في الحطة السياسية ، إلا أن ذلك لا يمنعني من أن أقول أن بروتنغ كان آخر ألماني فاض وعقد معاهدات على أساس من الثقة واحترام التوقيع

هذه الخصائص الأساسية في الحلق القومي الألماني متجسمة بارزة في عهد الحكم الحالي — على رأي أميل ليدنغ وعن مقال له في الألتسكي مثلي لحصنا ما تقدم — فروح ألمانيا المنبثقة لا يمكن أن تهم إلا بدرس من هذا القليل

مشكلة العالم الاقتصادية

وعملها بحسب تقرير فانه نيلنر

كان موضوع الحوائل التجارية في مقدمة الموضوعات التي استرعت عناية رجال الحكم والاقتصاد منذ ما وضعت الحرب اوزارها . وقد تنوعت هذه الحوائل ، حتى كان نظام الحماية والحواجز الجمركية حيث لم يكن كافاً موضع نظام خاص لتقييد الاستيراد في كثير من البلدان فلا يستطيع التاجر ان يستورد بضاعة ما الا اذا استصدر رخصة بذلك . وكانت حكومات تلك البلدان في كثير من الاحيان لا تدفع الاحصاءات الرسمية الخاصة بالوارد ولا عدد الرخص التي صدرت لاستيراد اصناف معينة من العروض ، فكان ذلك مانعاً دون الاعتراض على تخمك اصحاب الشأن في التجارة . ثم استغني عن نظام الرخص رويداً رويداً حتى التي في افاق عقد سنة ١٩٢٨ واتفاقات اخرى تلتها

ولكن حل محل نظام الرخص الخاصة بالاستيراد رفع الضرائب الجمركية في معظم بلدان العالم . فلما اجتمع المؤتمر الدولي الاقتصادي في جنيف سنة ١٩٢٧ برئاسة السيو تونين رئيس وزراء بلجيكا سابقاً ولاحقاً ، اشترك فيه فريق من اكبر رجال العمل والاقتصاد في العالم فظهر في موضوع الضرائب الجمركية واعرب عن رأيه في وجوب « وضع حد لزيادة الضرائب الجمركية والسمي الى خفضها » . واخذت عصبة الامم بهذه الخطوة فقررت في جسيها العمومية المتبعة في خريف سنة ١٩٢٩ الموافقة على اقتراح اقترحه فرنسا وبلجيكا وانكلترا مشتركة ، افضى في سنة ١٩٣٠ الى « مؤتمر الهدنة الجمركية » . ومع ان اعضاء المؤتمر لم يتفقوا على هذه الهدنة الجمركية المرغوب فيها ، عقدوا اتفاقاً تجارياً من شأنه ان يجعل كل زيادة تخمكية في الضرائب الجمركية عملاً صعباً او مستبعداً لانهم جلوه خاصاً لشروط معينة

الا ان هذا الاتفاق لم يبرم وعلى ذلك ظل العمل الدولي المشترك لخفض الضرائب الجمركية حبراً على ورق . الا ان طائفة من الدول الصغيرة اقتنعت بالبدء بتطبيقه في دائرتها الخاصة وهي الدول المعروفة بدول « كتلة اوسلو » التي تشمل بلجيكا والدنمارك ولوكسمبورج وهولندا والنرويج والسويد . ثم انضمت اليها فنلندا . وكذلك اتفقت هذه الدول على ان تطبق مبدأ الاتفاق التجاري في معاملاتها بعضها مع بعض ووضعت لذلك اتفاقاً وقته في ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٠ وهو مشهور بسم « اتفاق اوسلو »

الا ان الازمة الاقتصادية العالمية ، ما لبثت حتى استعجلت ، فصدت شتى الدول الى

أساليب مختلفة جديدة لتقييد التجارة وفي مقدمتها نظام الحصص وتقييد التبادل النقدي والواقع ان نظام الحصص هو نظام الرخص وقد اتخذ شكلاً دقيقاً . ذلك ان القيد لا يفرض على مجمل الوارد من بضاعة ما فقط ، بل وعلى ما يستورد منها من كل بلاد . أما تقييد التبادل النقدي فكان من شأنه إقامة الحواجز دون تسديد ثمن ما يستورده التاجر الأجنبي من الحكومة . والقاعدة في هذا القيد ان يجعل تسديد المال ثمناً لما يستورد من بلاد ما ، خاصاً لنطاق التبادل التجاري بين البلدين . حتى لا يزيد ثمن ما يستورد من بلاد ما على ثمن ما يصدر إليها بوجه عام وكذلك أخذت صورة التجارة الدولية تتحول ، من تجارة تفترك فيها دول متقدمة ، الى صورة وحدتها التبادل بين دولتين

وقد كان في مقدمة البواعث على ظهور هذه الحواجز اضطراب سعر الذهب في مختلف البلدان . وهذا الاضطراب طغى على حدود المنافسة التجارية العادية ، فاضطرت الدول ان تعتمد الى وسائل خاصة لحماية منتجاتها . ولكن الحالة تحسنت في أواخر سنة ١٩٣٦ باتفاق بعض الدول على تسوية أسعار قدها ، مما مهد السبيل الى عقد الاتفاق النقدي الثلاثي بين انكلترا وأميركا وفرنسا في ٢٨ سبتمبر من سنة ١٩٣٦ معلناً خفض سعر الفرنك ومسرراً عما تعلقه الدول من الشأن العظيم بالتخلي رويداً رويداً عن نظام الحصص وتقييد التبادل النقدي سعيًا الى التامهما

وعندئذ بدأ لأولي الامر انهم من الحكمة اجراء بحث دقيق في خير الوسائل لتحقيق هذا الغرض . وذكر اسم المسيو بول فان زيلند في هذا الصدد على اعتبار انه خير من يتولى القيام بهذا البحث ، وذلك لانه من الخبراء المتمكنين من أساليب التجارة الدولية بما أتبع له من دواسها عند ما كان مديراً ووكيلاً للبنك الاهلي في بروكسل ثم وزيراً للخارجية ورئيساً للوزارة البلجيكية . يضاف الى هذا ان الرجل الذي يمهّد اليه بهذا العمل الخطير يجب ان يكون ممثل دولة من مصلحتها السعي الى اطلاق التجارة الدولية من قيودها . وقد كانت بلجيكا تلك الدولة . يستدل على ذلك بأشراكها في غير اتفاق واحد من هذا القبيل كاتفاق أوسلو — المشار اليه آنفاً — واتفاق أوشي المقود سنة ١٩٣٢ بينها وبين لوكسمبرج وهولندة على هذا الاساس

وفي شهر نوفمبر ١٩٣٦ كان المسيو فان زيلند — وكان حينئذ رئيساً للوزارة البلجيكية — في لندن فذكر له بعضهم اقتراح قيامه بهذا البحث ، ولكنه لم يخاطب رسمياً في هذا الموضوع الا في شهر ابريل من سنة ١٩٣٧ فقبل ما عرضته عليه الحكومتان الفرنسية والانكليزية في هذا الصدد واستعان بأحد رجال الاقتصاد البلجيكين — المسيو فرير — لاثبات مهام منصبه كانت تحول دون قيامه بجميع أعمال البحث وما تقتضيا من أسفار ومقابلات وحده . فزار

المسيو فريز ممظلم حواضر أوروبا وحادث أقطابها الاقتصاديين والسياسيين وسافر للمسبو فان زيلند الى اميركا فاجتمع بالرئيس روزفلت ، وانتهى البحث في اواخر الصيف الماضي ، فلما استقال فان زيلند من رئاسة الوزارة البلجيكية لاسباب تتعلق بالسياسة الداخلية في البلجيكيه قرع موضع تقرير وما عن له في هذا الموضوع الخطير من آرائه ومقترحات

التقرير ثلاثة أقسام . أولا مقدمة عامة تناول فيها مسألة أساسية عليها يتوقف ما في التفسيرين التاليين . وهذه المسألة يمكن إيجازها في السؤال الثاني : هل نسمى الى الرخاء الدولي بتزير تبادل العروض والخدمات بين الأمم على اساس من حرية التعاقد والتبادل او نسمى اليه عن طريق الاكتفاء الذاتي فتعنى كل دولة في سد كل ما تحتاج اليه بالاعتماد على مواردها وصناعاتها الخاصة ؟ والمسبو فان زيلند يعترف بان هناك ما يمكن ان ينهض حجة لتأييد خطة الاكتفاء الذاتي وانها قد تؤدي ثمرة نافعة ولكنه يضيف الى ذلك ان الدول المكنتية ليست بمنزل عن تقلب الاسواق العالمية . فليس في وسع اية أمة ان تنسحب من مجمع الأمم . وجميع الدول التي حادث فان زيلند وصاحبة أقطابها جمعة على وجوب القيام بعمل مشترك لتقليل الحوائل التي تعرقل التجارة العالمية . نعم إن هذا الاجماع كان في كثير من الاحيان عموماً بالتحفظ الشديد ، ولكن فان زيلند تين في جميع محادثات اثر الرغبة الصادقة فنجسه ذلك على المضي في بحثه

أما القسم الثاني من التقرير فنقد دقيق لأنواع الحوائل القائمة دون التجارة العالمية الحرة وما يقترحه في سبيل علاجها . فالضرائب الجمركية ليست الآن أعظم هذه الحوائل بالقياس الى نظامي الحصص وتقييد التبادل التقدي . ولذلك يود في ما يقترحه في هذا الصدد الى فكرة « الهدنة الجمركية » التي اقترحت سنة ١٩٣٠ الا أنه يستثنى من الهدنة ، بعض الضرائب الجمركية المرتفعة جداً عن المستوى العام ويقترح خفضها حتى تنسق وإياه . أما نظام الحصص فاقترحه بشأنه يقوم على اساس من الجسم أي أنه يجب ان يلغى . ولكن الفاعه لا يمكن ان يتم إلا رويداً رويداً ، وإذا كان مستوى الضرائب الجمركية في بعض الاحوال غير كافٍ لحماية مقولة البضائع الخاصة لنظام الحصص فلنرفع الضرائب قليلاً ولبتج هذا النظام . والحصص التي يجب ان تقدم الفاء على غيرها هي الحصص المفروضة على المصنوعات . وهو يرى ان الاحتفاظ بنظام الحصص في ما يخص الحاصلات الزراعية له ما يسوغه اذا كان الفرض منه توزيع المستورد منها على شهور السنة بحيث لا يضار الحاصل الذي تنتجه البلاد المستوردة . وعلى كل حال يرى المسبو فان زيلند أنه يجب ان لا تقرض حصص جديدة ولا ان نجعل قيود الحصص القائمة اشد ما هي فاذا اتفقتنا الى موضوع الاضطراب التقدي والتباين الكبير في اسعار الكيبيو وجدنا ان لا امل للمسبو فان زيلند في علاج ناجح الا في المستقبل البعيد عند ما تعود احوال العالم

الاقتصادية والمالية الى الطائفة والاستقرار . هذا العلاج يمكن ادراكه في آخر عهد غير نصير من الاتعاش الاقتصادي والتعاون العالمي لا في مستهله . ولا بد في رأيه من تقيح الاتفاق التقدي الثلاثي — انكلترا وفرنسا وأميركا — وتوسيع نطاقه حتى تضم اليه كل دولة ترغب في الاشتراك في حركة انهاض التجارة العالمية . وكذلك يتاح نوع من الاستقرار الوفي للقد ، اما الاستقرار النهائي فتنبه عوامل متعددة داخلية وخارجية ، ولا يمكن ان يحقق الا تدريجياً وضد المسيو فان زيلند انت تقييد التبادل التقدي اكثر الحوائل الاقتصادية ضرراً بالتجارة العالمية ويجب ان يلقى . ولكن قبل ان تمكن الامم من ذلك عليها ان تعالج مشكلة « الاموال المتجمدة » . اي يجب ان تسوي بقايا النظام القديم وهذا لا يستطيع الا بمقد اتفاقات لتسوية الديون ولا سيما في الدول التي طرأ على تفدها تغير كبير . ثم توحد الديون وتحوّل الى سندات تصدرها الدول الدائمة وتضمنها الدول المدينة وتعمل لتمويل التجارة العالمية بواسطة هيئات طالية مبنية . وعند ذلك نستطيع ان ننظر في مونة البلدان التي انت نظام تقييد التبادل التقدي فيها . وهذه المونة يجب ان تخرج في شكل اعتمادات تفتح لها وتمكنها من التصدير والاستيراد . ولعل بنك التسويات الدولي خير هيئة تتولى هذا العمل . وقد تقتضي الحاجة ان تشارك الدول في انشاء صندوق خاص بهذا البنك لتمويل الاعمال التجارية المشروعة

حصرنا الكلام حتى الآن في الحوائل التجارية مجردة عن صلتها باحوال العالم مامة . والاختبار يدل على ان هذا الحصر أو هذا التجريد لا يجديان في اصابة الهدف المقصود . فشكلة التعاون الاقتصادي تعتمد بطبيعتها على عوامل متعددة منها السامي ومنها النفسي . والواقع أننا اذا قلنا في الموضوع الى منبعين لنا ان اساسه تميز شعور التعاون والرغبة فيه ، في البلدان التي مضت عليها سنوات وهي تسعى الى الرخاء عن طريق القطيعة والاكتفاء الذاتي . والغالب ان البلدان التي احتارت هذا الطريق لم تحتره مدفوعة بواعث اقتصادية في المقام الاول ، بل بواعث سياسية وقسية . واذن فحين أمام نوع آخر من العقبات التي تعترض التجارة الدولية وعلى هذه العقبات وقب المسيو فان زيلند القسم الثالث من تقريره . ولما كانت المهمة التي عهد اليها لا تشتمل على هذه الناحية من الموضوع فان ما يقوله فيها محوط بشيء كثير من التحفظ . وعنده أن أم المسائل التي يجب ان تعالج قبل ان هي ما يلي : ١ — مسألة توزيع المواد الخام توزيعاً غير متساو وهذه المسألة متصلة ومجرب في آخرها مسألة توزيع المستعمرات ٢ — مسألة توزيع رؤوس الاموال توزيعاً غير متساو ٣ — مسائل الاقليات النصرية ٤ — الحاجة الى تسوية الديون والقروض الدولية ٥ — تأثير التنافس في التسليح ٦ — المشكلات السياسية بوجه عام

ويبد ذلك عهد المسيو فان زيلند الى تلخيص بعض المقترحات لمعالجة هذه المسائل . ففي ما

يتعلق بالمستعمرات مثلاً يشير الى تحويل البلدان المشمولة بالأتداب الى بلدان خاضعة لرقابة الدولية ، و الى اعتماد سياسة الباب المفتوح في للمستعمرات ، او الى ائشاء شركات كبيرة برؤوس اموال دولية تمنح امتيازات خاصة للقيام بأعمال اقتصادية بحث في المستعمرات . اما في ما يتعلق بالمواد الخام فيتجئل صاحبنا أنه في الممكنة وضع نظام للمقايضة بين المواد الخام في البلدان التي تنتجها والخدمات العامة والمصنوعات في البلدان الصناعية . على ان كل هذا لا يمكن ان يتحقق ويطمئن اليه الانسان الا اذا عقدت تسوية سياسية عامة بين الدول

ومن الواضح اذن ، أنه من المتعذر وضع اقتراح عام شامل محل بمقتضاه مشكلة الحوائل التجارية في أوسع مقتضياتها ، ولا بد حثيثاً ان يكون الاعتماد على قواعد عامة يسهل تطبيقها وملاءمتها للمقتضى الحال ، والمسوقان زيلند يصور ععدة تفهدها الدول وتقطع بها عهداً بأن تبدل ما في رسمها لرفع مستوى الحياة في بلدانها وبين شعوبها . وهذه الهبة لا بد أن تشمل على ناحية سلبية مؤداها إلغاء جميع الاعمال والاتصال التي تعارض المصلحة العامة وعلى ناحية ايجابية مؤداها التمهيد بحيث جميع الحوائل التي تمرض سبيل التجارة بروح الصداقة والمودة . ولا تكون هذه الهبة الا توطئة اذ لا بد أن تعقبها اتفاقات عملية قائمة على البحث الدقيق التي قام به حتى الآن القسم الاقتصادي في عصبة الامم

ومن المستطاع تطبيق هذا الاقتراح في ثلاث مراحل . أما المرحلة الاولى فهي مرحلة التوطئة وفيها يجتمع ممثلو الدول الاقتصادية الكبرى او على الاقل ممثلو فرنسا وبريطانيا وأميركا والمانيا وإيطاليا (ولماذا أغفل اسم اليابان ؟) فيدرسون الموضوع درساً عاماً . ثم يوسع نطاق البحث وينشأ مكتب خاص يتصل رجاله بالحكومات المختلفة دائماً ايها لسيط المصاعب والعقبات التي تمانها في تجارتها الدولية ، وما هو اللون الذي ترتبه من الدول الاخرى في هذا السبيل ، او الذي تستطيع ان تبدله لغير . ثم يجمع هذه الاجوبة وتيوب ويوضع على أساسها برنامج عملي وبلي ذلك المرحلة الثالثة وهي مرحلة المفاوضات الدبلوماسية لعقد الاتفاقات وتقيدها

ان التقرر الذي وضه السيوفان زيلند آية في باب . ذلك ان الرجل خير اقتصادي وقد اتاح له منصبه ومقامه وهو مشغول بدراسة الموضوع الذي عهد اليه ، ان يتصل بأنطاب الامم . ثم انه رجل عرف كيف يفصل في تقريره بين الاقتصاد والسياسة . فالقول الذي قاله لا ينزع عن قوم سياسية معينة فقوله أشبه ما يكون برأي الطبيب لان السيوفان زيلند كتب كاتقصادي لا كسياسي ، وبجرد ذكره للمشكلات المنقسمة بالسمة السياسية يدلك على انه لم يجاب . فهل تأخذ الحكومات به ؟

لقد قال الطبيب قولته ، صلى المريض ان يدل ان فيه مشقة للحياة — وتطبيق العلاج

بَابُ الْمَرَاتِلَةِ وَالْمُنَاطَةِ

هندسة الكون

بحسب ناموس النسبية

رد على رد

قرأت باعنان كلمة الأديب البعثة نقولا الحداد في مقتطف فبراير (ص ٢٤١ — ٢٤٣) ردًا على كلمتي المنشورة بمقتطف يناير نقلاً لكتابه النفس «هندسة الكون بحسب ناموس النسبية» وكان بودي أن يلاحظ العالم الفاضل نقولا الحداد أن تفرقي علم الفزيقا قسمن ، أساسية في الطبيعات الحديثة من وجهة نظري ، وليان هذه التفرقة أقول ان جسمًا ساكنًا مشحونًا بالكهربائية على الكرة الارضية ، طالما هو ساكن فهو يحدث من حوله مجالًا كهربائيًا ولا يحدث مجالًا مغناطيسيًا ، ولكن هذه الحقيقة تدخل في اي قسم من الطبيعات الحديثة ؟

أنا شخصيًا أراها تدخل في نطاق الفزيقا الثانية لانها قائمة على اعتبار الساني ، لانه بالنسبة لراصد في احدى السدم خارج مجرتنا ، او بالنسبة لراصد مستقل عن حركة الارض ، سيكون هذا الجسم الساكن المشحون بالكهربائية لفزيقا الارض جسمًا يتحرك بسرعة ١٠٠٠ ميل في الثانية ، ونحن نعلم ان شحنة متحركة تحدث تياراً كهربائيًا تابعاً للحالات التي تسمح بها قوانين الكهرباء المغناطيسية وتنخفض عن مجال مغناطيسي

اذن المسئلة تصل بمجرة الجسم وسكونه وما أمر ان اعتبارين يدخلان في باب نظرية النسبية وكذلك يدخل في هذا الباب خلق الجسم المادي المشحون بالكهربائية لجال كهربائي او مغناطيسي . وكل هذه المسائل معروفة للباحثين في علوم الفزيقا ولكن هؤلاء الباحثين يندء عنهم ان هذه الصور التي رسمها في علم الفزيقا اعتبارية ، ان صححت من جهة رسم صورة لطبيعة المدركة فاتها لا تصح لرسم صورة للطبيعة من حيث هي طبيعة . ويجب ان نلاحظ ان النظريات العلمية لا تخرج عن كونها شيئاً ذهنيًا ؟ ونحن لا يمكننا الا ان نكشف عن أثر خطانا ، ولا نستطيع الخروج من التعميم الصادر عن ذواتنا الا في ساحة واحدة هي ساحة « علم المقدار »

هذه التفرقة أساسية ، وعدم اتباعه جلّ علماء هذا العصر ان لم يكن كلهم جعلهم يتردون في

خطاً قاحشاً وينقلبون من علماء واضحين الى متالين، ذلك انهم لما رأوا امكان ربط العالم الخارجي في صيغ معادلات رياضية ورموز حساية ظنوا أن هذا يؤخذ على ان الوجود عقلي مثالي ، اعني برّد في نهاية تحليله للفكر ، فهذا السر ارثور ستانلي ادنجتون الفلكي الانجليزي المعاصر ينشر بحثاً في صحيفة « الازرغر » في عددها الصادر في ٢١ ديسمبر سنة ١٩٣٠ يكتب فيه ان العالم المادي ليس الا قرارة الرموز التي تتظاهر في واقعنا ، وهذا السر جيمس جيز الرياضي الانجليزي الشهير ينشر في نفس الصحيفة بحثاً في عددها الصادر في ٤ يناير سنة ١٩٣١ ويلن في هذا البحث انضمامه للتالين متبراً الوعي اس الوجود وان العالم المادي مشتق منه ، وأنت لو ذهبت تستقصي آراء اساطين العلم في عصرنا لوجدتهم يتفقون في هذه النقطة ، ولكنهم يعمون في التناقض فيما يكتبون ، وهذا راجع للخلط في التفكير المجرد ، اذ هم لا يدركون ان مجال الوجوه الرياضية في ربط الحوادث وتفسير تصرفاتها لا يحمل على ان طبيعة الاشياء رياضية بل يدل على ان هناك قاعدة مقولة تصل بينه وبين طبيعة الاشياء ، فالاشياء هي الكائن الواقع والرياضيات ربط ما هو واقع في نظام ذهني على قاعدة العلاقة والوحدة وبعبارة اخرى ان الرياضيات نظام ما هو ممكن والكون نظام ما هو واقع . والواقع يتضمنه الممكن ، ولذلك فالواقع حالة خصوصية منه . ومن هنا يتضح انه لا غرابة في انطباق الرياضيات على الكون الذي تألفه بل كل الغرابة في عدم انطباقها . لان لكل كون رياضياته المخصوصة فكون كون من الاكوان مضبوط بالرياضيات شرط ضروري لكونه كوناً . ومن المهم ان نلاحظ مع الاستاذ ا . وولف استاذ المنطق بجامعة لندن ان هذا الخطأ الذي تردى فيه علماء هذا العصر وقرّ من جلة علماء العصور الماضية يرجع لممارستهم الكثيرة للاستدلال الرياضي حتى لقد رسخ في ذهنهم ان العالم لا يخرج عن نسب وعلاقات رياضية ترد في نهايتها من حيث التحليل ، الى الفكر ، مع ان استعمال الرموز الرياضية لا يعني وجود الفكر وحده ، لان العمليات الجبرية والرموز الرياضية تظل صوراً جوفاء حتى يتحدد لكل منها قيمة حساية خاضعة للقياس والتقدير ، والرياضة في ذلك تكاد تكون التفكير الذي يجري بين نسب فكرية خاصة تظل جوفاء حتى تدل كل منها على صور واحساسات لها قيم مخصوصة في العالم الخارجي

هذه هي تلكه تفكيرنا في التفريق بين ضريين من الطبيعيات ، ضرب كما تخلفه تصوراتنا وتخيالاتنا وكما يخضع للتعيمات الصادرة من قوسنا . وضرب يعرض للطبيعة من حيث هي ، وهذا الضرب لا يتأتى الا في بعض ساحات علم الفيزيقا ومنها ساحة « علم المقدار » على هذا الاساس يتبين حقيقة نقدنا لتعليل ظاهرة التقلص عند البجافة نقولاً الحداد ، وهي تصب على الفصل الثاني كله من القسم الاول من كتابه (ص ٣٥ — ٤١) ، لانه فسر

ظاهرة التقلص وكأنه واقع حقيقة وبناءً على توازن القدرة والتبار الذي ينشئه سرعتها أو تسارع القدرة فقال ص ٣٦ :

« ان الجو الكهربائي المغناطيسي الذي تحدته القدرة يتقلص في اتجاه سير النواة ولا يتقلص في الاتجاه المعاكس له » وشرح هذا ص ٣٧ وص ٣٨ وملخص هذا الرأي :

« ان القدرة حين تكون متحركة نحدث جواً كهربائياً مغناطيسياً موجياً يشبه الجو الجاذبي تماماً . وامواج هذا الجو حالاً تصدر من القدرة تنتشر الى جميع الجهات متتامة حرة غير خاضعة لاي تأثير من قبل القدرة التي اصدرتها اي ان القدرة لا تحرج جوها معها بل ان التواء تندفع في جوها ، وكهربها يحذو حذوها ، يسير امواج الجو الذي نحن بصده . وتنتج عن ذلك نتيجة طبيعية وهي ان اقواس الامواج امام خط سير القدرة تكون اقرب بعضها الى بعض من اقواسها الخلفية ، ومعنى ذلك ان الجو الكهربائي المغناطيسي الذي احده القدرة اشد حدة امام القدرة واقل حدة ورأها منه الى جانبيها . اما الكهرب فيجتهد ان يحافظ على بعده المقرر عن التواء ما امكنه . ولكن لان التواء سائرة يصبح كأنه يدور في فلك اهليلجي في حين يكون الفلك موازياً لخط السير . وكل ذرة من موكبة القدرات تحذو حذو القدرة التي نحن نصف تحركها وجوها وبطبيعة الحال تدفع نحو القسم الاقل حدة من القدرة التي امامها لان قوة التدافع بين فلكي الكهربين المتلاصقين اقل ولذلك تصبح المسافة بين القدرتين المتلاصقتين اقصر منها بين القدرتين المتجانبتين المتجاورتين »

وامت زى ان هذا التفسير فوزيقي يفسر ظاهرة التقلص وكأنه واقع في عالم القدرة ، ولا اقول عن هذا التفسير خطأ من الوجهة الفيزيائية لان قرأ من العلماء يقولون به ويطارضون به تفسير اينشتين ، وأما اقول انه لا يتفق ونظرية النسبية التي كان البجاعة نقولا الحداد في مقام المبسط لها والمعارض

ان نظرية اينشتين ترى التقلص ظاهرياً اعني لا وجود له في العالم الذري وهو نتيجة من عدم امكان الراصد التفريق بين الزمان والمكان تقريباً موضوعاً لانه مفيد بالآلة وبحركة النسبية التي تعطى له وجهة من النظر غير الوجهة التي تعطى لراصد آخر له من حركة النسبية ومكانه موقف آخر وقد شرحت وجهة نظر اينشتين في المقال الذي اشرت اليه في تقدي لكتاب البجاعة نقولا الحداد وأحب ان الفت نظر البجاعة نقولا الحداد لمؤلفات لورانتز ومينوفسكي وهو سيقف على حقيقة الفرق بين نظرية نسبية اينشتين ونسبية لورانتز لظاهرة التقلص . كما أحب ان يلاحظ أنني لا أعيب عليه لبساً او غموضاً في شرحه لقضية اينشتين في التوافق ، وأما كانت كل ملاحظتي تصب على نقطة واحدة وهي انه نظر لنظرية اينشتين في النسبية كنماوس كوني وبني عليه

هندسة للكون مع ان فكرة اينشتين في التوافق غير مقبولة علياً لانها قائمة كما قلت على خلط بين نظريتين من هيات القياس ، وانما فكرة لورانتز في نسبة التوافق هي المقبولة من العلماء وقد توسعت في هذه النقطة وأقردت لها بحثاً في الجزء الثالث من كتابي Die Grundlangen der Relativitaetstheorie فيستحسن ان تراجع هناك . او في احد المصادر التي تناقش نظرية النسبية

أما اشارتي لقضية انحراف شعاعة النور عند مرورها على مقربة من الشمس فهي تنصب على ان تفسير البعانة نقولاً الحداد ليس من نظرية النسبية العامة في شيء ، لانه قائم على قس النظرة التي نظريها لقضية تقلص الاجسام في اتجاه سرعتها (انظر ص ١٠٩ — ١١٠ من كتابي) وهي ليست من نسبية اينشتين ، انما تدخل في باب آخر من مبحث النسبية هي نسبة لورانتز — ولورانتز نفسه في نسبيته يفسر انحراف شعاعة النور التفسير الذي قدمه في كتابه البعانة نقولاً الحداد ، غير انه يتعرض على هذا التفسير بأنه لا يتفق واعمال البعثين الفلكيين الذين رصدنا ظاهرة الانحراف لانه ينزب على ذلك ما قاله البعانة نقولاً الحداد في هامش الصحيفة ١١٠ من كتابه مع ان نتيجة الرصد تثبت ان الانحناء واحد من جهة كوكبة النجوم التي امام الشمس وكذلك من جهة الكوكبة التي وراءها ، وقد اول لورانتز هذا تأويلات وخرجهما مخربجات تراها في مبحثه الاخير الذي نشره عن نسبيته عام ١٩٢٣

اما قضية تحجب الابعاد الاربعة فاشارتي تنصب على ان التحجب الذي قال به الرياضيون منصب على اربعة ابعاد فراغية . اما التحجب الذي يقول به اينشتين فكان في عالم مناهدي « الزمان — المكان » . وهذا التحجب الرياضي في عالم للمكان غيره في عالم « الزمان — المكان » وهذا الفرق دقيق لم ينتبه له الكثيرون من شراح النسبية حتى ان ادغجون والاول رسل وجيمس جيزر تردوا فيه . والبعانة نقولاً الحداد جارام في خطتهم وظن ان التحجب الذي قال به الرياضيون في عالم رباعي الابعاد هو ما انتهى اليه اينشتين نفسه وبودي ألا يظن البعانة نقولاً الحداد اني اعيب عليه هذه الفرطات ، لانه لم يرا من مثلها او ممّا يماثلها احد من شراح النسبية ، واني لا انكر ان السبيل الوحيد لعدم الوقوع في هذه الاخطاء هو ان تبقى النسبية في علمائها في صيها الجامعة الرياضية ولكن من يفهمها وتشتتر من غير القين في مكنهم السير في الاستدلال الرياضي العالي ؟ لا اشك ان لا أحد !

اذن ليس هناك سبيل الا الوقوع في مثل هذه الاخطاء حتى تساق النسبية الى الافهام العامة ، واني واثق بان البعانة نقولاً الحداد لو صحح هذه النقط من كتابه لجاء فريداً في باه ، بين الكتب المبسطة لنسبية اينشتين اسماعيل احمد آدم

الدهن والشحم

Oil and Fat

أرى الآن ان اعود الى هذا البحث للفصل فيه فانه لا يلبق تركه فاللفاظ واضحة لا تقبل التأويل. فن جهة ما قاله الاب انسئاس ما يأتي بنصه :

ومن تسمير القويون للدلالة على ان الدهن يكون في اللسان شرحهم لكلمة الففارة قد قالوا فيها خرقه تكون دون المقتنة توفي بها المرأة فخارها من الدهن. وقالوا مثل ذلك في الصقاع والصوفة (ق) . وليس المراد هنا الدهن القوي تستمله النساء لتطيب بل الدهن الذي يفرزه او يقذفه الرأس إذ لو كان من دهن التطيب لما عشم القويون الكلام واطلقوه على كل امرأة تستعمل الحاروا واما خصوصاً به النساء لأن الرجال أقل استعمالاً لما يلبس على الرأس من النساء لأنه يلازمهن ليل نهار والأفرووس الرجال تقذف الدهن كما تفيض به رؤوس النساء . انتهى

قلت ان سيادة الاب وامم هنا واليك ما جاء في تاج العروس في مادة غفر : الففارة ككتابة خرقه تكون دون المقتنة توفي بها المرأة فخارها من الدهن . وفي مادة صقع : الصقاع خرقه تكون على رأس المرأة تقي بها الحاروقه الجوهرى كالصوفة . وفي معجم لاين في مادة صقع وهو ترجمة التاج قال :

الصقاع خمار a piece of rag which a woman protects her

from oil in her hair putting it on her head

فتجد ان الاب انسئاس وامم في ما قاله فالدهن لا تفرزه رؤوس الناس لا نساء ولا رجالاً بل هو الدهن او الزيت كما جاء في القرآن الكريم قالاب جعله شحماً رغبة منه في جعل الدهن كذلك وهو مخالف للآية التي ورد فيها الدهن . ومن السجب ان ذلك يجوز على الجوهرى والفيروزابادي والزيدي ولاين الاعجمي . ولو تبصر الاب انسئاس في عبارة التاج لما حصل له هذا الوهم فالدهن كما ذكرت في المقالة الاولى ولا يمكن غيره وكما ذكرت في مقتطفى ابريل ويونيو سنة ١٩٣٦ التي قبل السنة الماضية

فاذا أراد الواحد ان يقول الدهن قليل انها طامية او مولدة امنكاً للشارفلا بصطدم الدهن بكتب الفقه والآية الكرعة اما الدهن والشحم فكما ذكرت في صدر هذه المقالة والتي قبلها . ثم ان الدهن والشحم لم يردا في القرآن الكريم الا في آيتين فقط وقد ذكرتهما . عرفت ذلك من فهرست فلوجل اشتراء لي وانا في بغداد الاب انسئاس . امين العلوف

حول «مفرق الطريق»

مسرحية في فصل واحد

الى محرر المقتطف : — هذه طرفة ادية ، لوقيل لك : ان ثمنها زنتها لا تىء ، قل لهم : انكم تبخسون حقها ، لانها ترى بالبرء ، وتسخر بالايض والاصفر ، وما ذلكم الا لانها عروس بكر ، لم يعرفها انس ولا جان ، ولم يهد مثلها اهل الدراية ولا ارباب الرفاق هي مسرحية ، افرت في قالب بديع ، وضعت لها حضرة الدكتور الفنان ، الاستاذ بشر فارس ، وقد قدم عليها توطئة هي غرة البيان . فنحن لا نعلم ما نقرظ ، الا التوطئة وقد تفردت بمحاسن دلت على ما في صدر منشأ من دقائق الادب ، ام روائع الفن التي ترى في المسرحية نفسها ، فجعلتها بتيمة فذة في بابها

تلك راعة دلت على براعة ، لا يأتي بثلها الا من قضى انهرأ وليالي ، في تذوق فن الروايات وصبا في قالب عصري فنان ، وصوغ مفردات لها هي فرائد ، فاص عليها صاحبها في البحر العربية ، ومماجها اجلة ، ومخطوطاتها المتددة . فجاءت فخال بأية ودلال ، تتحدى بمحاسنها الشائقة كل ما جاء من امثالها ، بمن سبق موشها الى هذا الطراز أما مغزاها فن احسن المغازي ، اذ حسبك ان تلم انه وصمها (مفرق الطريق) فهو يحذر بها من اراد ان يختار لنفسه شري الطريقين ، عند وصوله الى هذا المفرق ، وان لا يتبع الا حسناهما . وقد صور كل ذلك بريشة إحدى الفئات القرنيات فضلا عن وصفه يراعية الساحرة . وعبارتها محكمة متقنة شائقة راقية ، تجذب القاريء الى تتبع ما فيها من الوصف الانيق ، السليم الذوق ، الخالي من كل تسف وتكلف

على انا تأخذ على حضرة الكاتب انه قال في ص ٩ : « فترد الرقص وثبة حرّة وثبة النفس اللطيفة نحو النبطه المضنية » . ونحن لم نسمع في حياتنا كلها « نبطه مضنية » فهذان لفظان متضادان متافران في معناهما . وعندنا انه لو قال : نحو النبطه اليمونة أو الموقفة أو الفالحة او نحو هذه النظائر ، لكان كلامه أوفى بالمقصود

ورأيانا يكثر في التوطئة من استعمال «انما» حتى اتا لو اطلقنا على حضرته اسم «الدكتور انما» لما ظلمناه حقه وبخسناه مقامه . ولعل الكاتب الضليع اتى في توطئة مسرحيته هاتين الشائتين ليقال عليهما : انها شبتا لون هذه العروس البكر ليبر حسنها ، حسن سائر ما تقدمها من أشباهها او ليكشف جمالها الساحر الفنان ، جمال البدر التم . فكفى بذلك عذرا !

الاب المستاس الكرمل

بَابُ الْإِخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

الرحلة الأخيرة للمنطاد هنربرج

ليونهاردت ديلت

كاتب هذا المقال كان أحد الركاب الناجين وهو يصف تلك الحادثة المروعة

خدرها وانكسرت أشعتها على الثلوج متموجة
بديمة فكان منظرها يسلب القلب ويأخذ بجامع
القلوب ورأيًا بطون الأودية ومرشد السفن
الكبير ضد كايبر ريس وغابات الصنوبر الشاسعة
ثم احتفى الشاطئ. وارتقتنا ثانية — منطاد
سنجابي اللون يخترق فضاء سنجابيا فوق
المحيط الكبير اللانهائي. موبد ظهر اليوم الرابع
من الرحلة كنا قد وصلنا إلى الحدود الأميركية
من تحتنا يوسعون ملتفة في ضباب كثيف

وكان الجميع في هرج يجمعون أوراقهم
الخصوصية وأتم الحدم بأسرة التوم فكموها
في نهاية المشى ورتبوا الحفائب الكثيرة في
الهبوط الأسفل وكنّا حينئذ فوق نيويورك حيث
رأينا طامحات السحاب وقد لقيها الضباب فظهرت
رؤوسها كأنها مسامير بارزة من لوحة كبيرة .
وعند ما بدت الشمس بسد هنيئة قلت
كثافة الضباب وكنا على علو يسير فامكننا ان
نرى مصوري الصحف على قمة امير يلدنج
ورأيًا الجسور (الكباري) ظاهرة كأنها في

أبدأت الرحلة مبشرة بنجاح أكيد
وكانت هي المرة الأولى التي أركب فيها منطاداً .
كانت رؤية العالم الأرضي من المنطاد متعذرة
أولاً ولم نكد نتميز شمال الاطلنطي حتى
كنا عبرناه . اما الركاب الآخرون فقد أمضوا
وقتهم بين تسلية وعمل فبعضهم كان يقرأ والبعض
يحرر خطابات والبعض الآخر يتكلم عن
مشكلة ألمانيا في حجرة التدخين واجتمع
الأطفال يلعبون في براءة الطقولة وانهمك النساء
في التطريز وشغل الصوف . واخترق السفين
السحب القائمة كأنه يخترق سحب ليل مقبر
وفي صباح اليوم الثالث تمكنا من رؤية
نيوفاوندلند فظهرت التظاهرات المسجرة وآلات
التصوير من ضاديقها وما زاد في مرور زوجتي
انها رأت خلال النظارة ان التقط البيض
الصغيرة التي لم تستطع تمييزها بالعين المجردة انما
هي جبال الجليد العائمة ولقد أمر الكابتن ان
يطير المنطاد على قرب منها فقرأناها في جلاء
كأنها تماثيل رخامية حائلة وبرزت الشمس من

كانت الحركات جميعها ساكنة ولكن خيل اليّ وقتئذٍ أن العالم جميعه قد شمله سكون عميق مرعب ولم أسمع أمراً ولا نداء ولا صوتاً قط ورأيت من مكاني الناس على الأرض وكأنهم قد فصلت أجسامهم وأخذوا ينظرون ناحيتنا في بلاءه ورعب ومممت أثر ذلك فرقة خفيفة كصوت زجاجة البيرة عند فتحها فدرت يصري الى المقدمة ورأيت التار مشتملة فيها . لم تكن هناك إلا وسيلة واحدة للتجاة وهي ان أقفز في الحال . أظن ان المسافة كانت وقتئذٍ ١٢٠ قدماً وخطر يالي ان آتي بملاء الفرائش لا تخفف من أثر الصدمة ولكن في تلك اللحظة اصطدنا بالأرض صدمة شديدة نصحت بأعلى صوتي الى النافذة وسحبت زوجتي وقد أخذت ترنم فرقا

ولقد أدرك الجميع الحقيقة المروعة وبخيل اليّ الآن ان القدر الظالم لم يسط ضحاياه الفرسه حتى للشعور بروعهم وإدراكه واني لست أعلم الآن ولا زوجتي كيف قفزنا من النافذة كان المنطاد قد ارتطم بوجهي ولما كنا في الجزء الاعلى فقد كن بيننا وبين الأرض نحو ١٥ قدماً . لم نشعر الا وقدمانا على الأرض وكانت الصدمة قاسية نوعاً فركزنا على ركبتينا بضع ثوان وقد احاطت بنا سحب الغاز المشتملة ولهبها يشوي الوجوه . كان على كل منا ان يترك بدزيمه ليفسح لنفسه طريقاً وسط الاتون الحديدي المشتعل واقسم اني كنت أوسع يدي

تصميم هندسي نائق ، أما تمثال الحرية الكبير فظهر كدمية خزفية صغيرة . وبعد قليل بدأنا نهبط بطء ناحية القاعدة في لا كهرست حيث كان الجميع يتوقفون وصولنا في الساعة الرابعة ولكن العاصفة الشديدة وما تخلقها من رعد وبرق كانا يحيطان بنا ويقبنا كذئاب جائلة مفترسة اجبرتا على التأخر . ورأيت السيارات الكثيرة واقفة على جوانب المطار والناس يلوحون بأيديهم في حماسة . وما زاد في اغتياطي علي بان اخوي من المستقبلين ولم اكن رأيتها منذ ثلاثين عاماً

وكان المنطاد متجهاً رأسه ناحية الجنوب والعاصفة على اخدها والبرق يخطف الابصار ولكن لم يكن هناك رعد . ودار المنطاد نصف دورة وعلى فجأة هدأت العاصفة قليلاً وكانت جميع العوامل تبشر بنزول المنطاد في سلام تام ورغم ذلك لم ينقطع البرق الذي كان يحيط بنا ويتبعنا بينما انجح رأسه الى فوق وصار بسرعة كبيرة وسط الامطار التي أخذت تنهر ورأينا الخطيرة وقد فتحت ابوابها ودار المنطاد دورة مريعة لتجنب مواجهة الرياح وابتدأ في النزول ورأى القائد ضرورة هريغ المياه لتقليل سرعة الهبوط ورمينا حبلين طوليين لاتا كنا وقتئذٍ على بعد ١٥٠ قدماً من الأرض وأخذ الهال يجذبون المنطاد ناحية إحدى الصاريات المتحركة

وكننت وزوجتي وقتئذٍ نتطلع من نافذة جانبية ونجأة لحظت سكوتاً فجائياً مطبقاً وطبعاً

رأيت زوجتي متمدة على الأرض بجاني
ومعها ثلث آيين الموت
أمت مركبة الاسفاف وحلتنا الى مستشفى
المطار الذي كان يبعج بالناس وتصادعت آفات
الالم من الجميع وأخذ المرضون يحقنون الجميع
بللورفين ولقد صمت بأذني شاباً يطلب
حضور عروسه من المانيا وقسباً . ودخل
ضابطان يساعدان كهلأ على المسير وقد
احترق نصفه الاسفل فكانا في الحقيقة يحملانه
ورأيت كثيرين وقد احترقت شعورهم وآخري
امتزجت بالدماء حروقهم ورأيت رجلاً يبعث
عن زوجته وقد ذهب بصره

ولم تكن حروقي على كثير من الخطورة
فقادوني الى الحجرة المجاورة حيث كانت
الكائنات لمان معدداً على التراس وقد زعت
عنه ملابسه وعلت ان ظهره قد انكسر مما زاد
في خطورة حالته فاقتربت منه وقلت له ما
السبب؟ فقال: البرق ولم يقل بعدها في حياته كلمة
وعندما خرجت من الحجرة كان المتطاد
لا يزال يحترق . . . قلها : محمد سعد فوزي

هل تعلم

* إن أقدم الطيور طائ من نحو ١٥٠
مليوناً من السنين وكان عاجزاً عن الطيران ؟
* وان عمق بعض آبار النفط في الولايات
المتحدة الاميركية بلغ ميلين وان المهندسين
يزعمون انهم قادرون ان يملئوا عمق ثلاثة أميال
بما لديهم من الاجهزة الآن

الطريق ولم اشعر بالالم من جراء مسك الحديد
الحامي . لم يكن هناك منفذ قطعاً لتار تحيط بنا من
جميع التواحي فكنت كأني في حلم غريب
وليس لجسمي حقيقة او وجود بل كان كأنه
يسبح في الفضاء

وفي لحظة تيسنت أن زوجتي ليست بجاني
فالتفت الى الوراء ففاجأتني ألسنة اللهب
والسخان الحارقة في وجهي كأسواط اللجيم
ورأيتها شبطحة على الأرض فذهبت اليها وكرتها
فقامت بنفسها وأخذت تبني كأنها في حلم او
كانها دمية ميكانيكية ادير مفتاحها وتنفث أنا
الآخر بدوري ولكن بالزيت الملتهب الذي
كان ينطلي الأرض

غمرني وقتش شعور غريب، شعور من وصل
الى نهاية الطريق شعور من أدرك ان الهاية
قد دنت . وسعدت به فقد كان الموت اكثراً
يتمنى وسط ذلك اللجيم المرعب . ونظرت ناحية
زوجتي فرأيتها تهجري بسرعة غريبة وقد
احترق نصف وجهها فزودني ذلك بشعاعة
جديدة وقت من عزتي وداومت الجري ناحية
الحياة كشيطان رجيم

وعلى فجأة تقست الهواء ووقفت جامداً
ثم انجبت مصري ناحية المتطاد فرأيت خلف
الاهب الكثيف قطعة من نار واقسم ان وازعاً
دفعتي للانجباء اليه ولم يكن ذلك طباً لا تقاذ
غيري ولعلها غريزة المخاطرة واهلاك النفس
التي تدفع بالفراشة الى التار وفيها حتها
ولكني سرعان ما رجعت الى سوابي عندما

عنصره أثقل من الأورانيوم

لا وجود لها في الطبيعة

فيه القوى الكهربائية فيستطيع ان يخترق التطاق الكهربائي المضروب حول نواة الاورانيوم فاذا اصاب نوترون نواة الاورانيوم قذف منها كهربا ولصق هو بالنواة فتصبح نواة عنصر جديد هو العنصر الثالث والتسعون

الا ان العنصر الثالث والتسعين ليس مستقرا اي انه مشع ولا تلبث نواته حتى تطلق كهربا آخر فيصبح عنصرا جديدا هو العنصر الرابع والتسعون

وكان الظن ان العنصر الثالث والتسعين الذي صنعته فرمي قصير العمر فلا يلبث حتى يتحول بالطلاق ذرات (دقائق الفا) من نواته الى راديوم قالى رصاص. ولكن مباحث ايلسن في كليفورنيا اثبتت ان وراء الاورانيوم عناصر ليست بقصيرة العمر كما كان يظن وان نصف حياتها نحو الف سنة — وهو حقيقة جديدة — اي ان العنصر يفقد نصفه بالاشعاع في مدى الف سنة على نحو ما يتقعد الراديوم نصفه بالاشعاع في مدى ١٦٠٠ سنة

والطريقة التي يعتمد عليها في احداث هذا التحويل هي تناول نوى الايدروجين الثقيل — وهي تعرف باسم دوترونات من دوتيريوم اسم الايدروجين الثقيل — فتوضع في جهاز جديد استقبله لورنس الاهمكي

في جامعة ستانفورد بكليفورنيا باحث طبيعي شاب يدعى فيليب ايلسن اعلن في الاسبوع الثاني من شهر ديسمبر الماضي ما قد يكون من أهم المكتشفات العلمية الحديثة. ذلك انه تمكن بحسب قوله من تحويل عنصر الاورانيوم الى عنصرين أثقل منه فأيد بذلك مباحث فرمي الايطالي الذي اعلن من ستين انه صنع من الاورانيوم عنصرا جديدا

في الجدول الدوري الذي وضعه مندليف الروسي وفي جدول الاعداد الذرية الذي وضعه موزلي الانكليزي، مكان لاثنتين وتسعين عنصرا. اخف هذه العناصر هو الايدروجين ورقه الذري واحد واقلها عنصر الاورانيوم ورقه الذري اثنان وتسعون. وكان الظن الى ان اذبح اكتشاف فرمي الايطالي ان ليس وراء هذه العناصر عناصر اخرى في الطبيعة. ولكن اذا تأيدت مباحث فرمي وايلسن فقد اصبح في وسع الانسان ان يخلق عناصر لا وجود لها في الطبيعة. بل ان ايلسن يقول ان هناك ما يدل على وجود عنصرين آخرين عدا العنصرين اللذين صنعهما ٩٥ و٩٦ ولكن هذه الادلة ليست بواقية الآن

صنع الاستاذ فرمي العنصر الثالث والتسعين باطلاقه التورونات على عنصر الاورانيوم ذلك ان التورون لاشعة كهربائية له فلا تمل

وتمنح زخماً عظيماً بدوراتها دوراناً وروحياً فيه
فاذا بلغت 'مرتبة معينة من الزخم اطلقت على
لوح من عنصر البريليوم فتصيب ذراته وتقتذف
منها نوترونات وهذه النوترونات تصيب بدورها

التلفزة الملونة

فوز عظيم للمخترع الانكليزي ويرد

الاحصاء ان أصحاب التلفيز الاقطة في
المنطقة التي يشملها البرنامج لا يزيد على ثمانية
آلاف وهو عدد قليل بالقياس الى عدد السكان
في تلك المنطقة وهم نحو اثني عشر مليوناً وعدد
الاجهزة اللاسلكية الاقطة نحو مليونين ويصل
ذلك هؤلاء الاجهزة وخشية الناس ان يكون
التقدم سريعاً في اقتانها فيضطرون الى نبذها
وقصر الوقت الخفض للاذاعة التلفزية

الا ان هذا لم يبط من همة المخترع العظيم
ويرد فبعد ان قدم جميع المخترعين في تحقيق
فكرة التلفزة تحقيقاً عملياً عمد مؤخراً الى جعلها
ملونة وذلك باستعمال ثلاثة ألوان اساسية في
التلفاز المذيع صادرة من ثلاثة مصادر مختلفة
وهي الازرق والاخضر والاحمر ثم تجميع هذه
الالوان في التلفاز اللاقط فتولد منها ظلال
الالوان المختلفة وتبدو الاشباح في ألوانها الطبيعية
ولا يترك المستر ويرد ان التلفزة الملونة لم
تبلغ مبلغ الافلام الملونة من حيث دقة التلوين
ووضوح الاشباح ولكن الاختراع لا يزال
في دور التجربة ولا بد ان يسفر البحث
والامتحان عن اقتانه

« التلفزة » لفظ عربياً به لفظ التلفيزيون
الفرمسي ولفظ « التلفشن » الانكليزي وهو
يعني نقل المراثيات عن بعد وفي الوسع استعمال
الفضل « تلفز » واسم الآلة « التلفاز » يتلوه
وصفه بالمذيع أو باللاقط وكذلك اسم المفعول
« المتلفز » ففتح التاء والقاف

ان قراء المقتطف يعرفون ان شركة
الاذاعة البريطانية لها محطة خاصة في قصر
الكسندرا بلندن تذيع منها برامج تلفزة فيلتقطها
كل من يملك تلفازاً لاقطاً وقد سبق لنا ان
نشرنا رواية « آخر المرحلة » وهي من أشهر
مسرحيات الحرب أذيت كاملة بالتلفاز المذيع
من قصر الكسندرا فتتمكن اصحاب « التلفاز »
اللاقطة ان يتبعوا قصصها ومشاهدتها وقد
بدأت شركة الاذاعة البريطانية اذاعة هذه
البرامج في شهر اكتوبر من سنة ١٩٣٦ ومن
المشاهد التي أذيت منها موكب التويج وصباق
السيارات ومباريات التنس يوميلدون والفوتبول
والملاكمة وغيرها وحفلة محافظ لندن وحفلة
يوم الهدنة

ولكن يؤخذ من آخر ما اتصل بنا من

الفترة التكيفية وتأثيرها في النمو

الولادة وبروز الأسنان في الجرذان السوية ثمانية أيام. وتحت عيون الصغار في هذين الحليين بعد انقضاء يومين مع ان هذا لا يتم عادة الا بعد انقضاء أربعة عشر يوماً على الولادة ويمكن من قطعها بعد ثلاثة أيام من ولادتها وبعد ثلاثة أيام أخرى استطاعت ان تسبح وما بدا في أعمالها الجبوية والفسولوجية من اسراع بدا كذلك في نمو غرازاها الجنسية فحليها العاشر استطاع ان يتخلف لسلاً بعد انقضاء ٤٣ يوماً على ولادته مع ان السوي منها لا يتخلف لسلاً في المادة قبل انقضاء مدة متفاوتة من ٨٠ يوماً الى ١٢٠ يوماً ولو أسرع نمو الترازز الجنسية في الصبيان والبنات بهذا المعدل بلغوا سن التخصب التناسلي في الثامنة الى العاشرة من العمر

ان الباب الجديد الذي فتحة هذه المباحث الطريفة ولا سيما في تربية المواشي لباب سحري بسبب منه الانسان وبروع عند يتأمل في ما قد يقضي اليه

هبوط المراض

قامت الارض حول مدينة لندن في العصر الحجري أعلى مما هي الآن نحو ستين الى سبعين قدماً وانها لا زال آخذة في الهبوط بمعدل تسع بوصات كل قرن ؟

في سنة ١٨٥٥ ظهرت رسالة موجزة في موضوع الفترة التكيفية ولكن مؤلفها كان يجهل وظيفةها. وكان بعضهم يظن انها عضو أضي لا عمل له الآن. الا انها قد تضحك أحياناً فتضبط رقة العقل فيموت اختناقاً. وهي جسم رخو وردي اللون قائم فوق القلب يكون وزنه عند الولادة نحو ربع أوقية ثم يكبر حتى يبلغ وزنه عند البلوغ أوقية كاملة. ثم يضمز رويداً رويداً فلا يبقى منه الا أثر يسير وقد ظل عمل هذا الجسم نامضاً حتى أخذ باحث يدعى جودر ناقش قطعاً من الفترة التكيفية وغذى بها الشراغيف (صغار الضفادع) قست نمواً عظيماً من دون ان تتحول الى ضفادع تامة وضع الباحث « ريدل » خلاصة من تكيف الثور وحقن بها حاملاً مصاباً بنصف في غدته التكيفية فبدت في هذا الحام آثا عجيبة اذ جعل يبيض يضاً سوياً بعد ما كان يبيض صفار البيض فقط

وفي سنة ١٩٣٤ تمكن الباحث دوقري من تحضير خلاصة هذه الفترة وغذى بها الجرذان فجاز بنتائج تبعث على الدهشة

ذلك ان الاجيال المتتالية من الجرذان كانت تتوق بعضها بعضاً في سرعة نموها وتكبر نشاطها الجنسي. فلما كان الجيل الرابع والخامس برزت أسنان الجرذان بعد انقضاء ٢٤ ساعة فقط على ولادتها مع ان المدة التي تتقضي ين

مَكْتَبَةُ الْمُقْتَضَفِ

مقاييس الكفاءة للاستقلال

تأليف الدكتور والتر هولز رتسر — أستاذ العلوم السياسية في جامعة بيردوت الأميركية

مطبعة ١٥٠ قطع المتقطف

ألف الدكتور رتسر هذا الكتاب باللغة الانكليزية ونشره سنة ١٩٣٤ ثم طلب اليه فريق كبير من اصدقائه ان ينقله الى اللغة العربية، فهد الى مساعدته فؤاد خليل مفرج بترجمته وبمساعدة مضي شوطاً غير يسير في نقله الى العربية «دعي لملأ آخر خارج الجامعة فأفضي الى وقف الترجمة» فأنشأ الكاتب البالغ شاكر خليل نصار ووقف على الطبع في المطبعة الاميركية ببيروت فنفرج الكتاب كجميع ما تخرج من جامعة بيردوت الاميركية فائدة وروحاً

والفكرة التي تدور من حولها بحوث الكتاب بحجة اجالاً طيباً في توطئته قال المؤلف :—
«ان نظام الانتداب الذي نصت عليه المادة الثانية والشرون من ميثاق عصبة الامم مسلم به انه بطبيعته نظام وتي وأنه سيتشاهد ان عاجلاً أو آجلاً إلغاء الانتدابات عن البلدان المنتدب عليها والاعتراف باستقلالها . والميزة الهامة في هذا النظام اقراره بأن هذا التطور الذي يؤدي الى الاستقلال لا يتم الا بعد ان تبرهن الامم المنتدب عليها أنها قادرة ان «تقف وحدها تحت ضغط الاحوال في العصر الحاضر» . على ان هذه الاحوال لم تحدّد بطريقة ما كما انه لم توضع مقاييس للكفاءة طامة القبول يمكن ان تتجه اليها انظار الامم المنتدب عليها أو أن يقاس بها مقدار الرقي الذي تبلغه كل أمة من هذه الامم

«وغير خاف ان وضع مقاييس معينة لمعرفة كفاءة الامم المنتدب عليها وقرير مؤهلاتها للاستقلال ضروري لا مرن أولها اعتباره خطوة جوهرية نحو إلغاء الانتداب وانها نزع الشك وعدم الثقة الذين يتطامن عقول الامم المنتدب عليها من جراء ما سمعو من الوعود غير المحدودة بنيل الاستقلال ، واقامة هدف ظاهر تتجه اليه تلك الامم بقواها في سعيها الى الاستقلال . وقد كان الامل عند ابتداء بحثنا هذا في سنة ١٩٢٧ ان نلتي نوراً على هذه المشكلة المظلمة كما انه كان غرضنا ان نقوم بالبحث مقابلين بين مختلف المقاييس التي تقدمت بها الامم التي تطلب الاستقلال في نهضاتها القومية التحريرية لملنا نستخلص منها مقاييس صحيحة طامة يمكن تطبيقها سياسياً تطبيقاً يظهر شيوع استعمال هذه المقاييس . وما جاء في سنة ١٩٣١ حتى قامت اللجنة الدائمة للانتدابات في عصبة الامم ، بمد تحليل المشكلة تحليلاً استدلالياً ، بوضع بعض الشروط العامة

التي يجب ان تحققها الامة قبل رفع نظام الانتداب عنها . فانخذنا هذه الشروط هدفاً للإشارة والمقابلة بينها وبين المقاييس التي اظهرها تحليلنا الاعمال والسوابق التاريخية تحليلاً استقرائياً « وقد قادنا البحث الى هذه النتيجة وهي ان المقاييس التي كانت توضع لحالات مختلفة الظروف من حيث الجنس او النضر وجغرافية البلاد وماضيها التاريخي كانت تتشابه تشابهاً ظاهراً على وجه العموم الامر الذي يؤيد صحة الافتراض ان هناك مقاييس عامة يصح استعمالها في كل الاحوال . واذا كان قد ظهر فرق بين هذه المقاييس فانه كان نتيجة الملاءمة والمقتضيات السياسية ويمكن اعتباره شذوذاً يؤيد القاعدة العامة ولا يقاومها اذ انه كان شذوذاً ايضاً في تصرف الدول المختلفة

« والظاهر جلياً ان مقدار الفائدة التي نحظى من هذه المقاييس في تقرير اهلية جماعة ما للاستقلال تتوقف على تمكنا بطريقة حسية ظاهرة من معرفة ما اذا كانت الجماعة المذكورة قد حققت الشروط التي تتطلبها هذه المقاييس . ولسوء الحظ ليس لدينا الا القليل من الوسائل التي تمكن بها من قياس درجات التقدم التي تبليها الجماعات قياساً بالكمية والمقدار . وإيجاد وسائل كهذه لازال مشكلة قائمة أمام مهارة الخبراء والعلماء الباحثين الاحصائيين »

فاذا عرفت ان المؤلف طبق هذه القواعد العامة على العراق وجزائر الفلين والهند في دراسة مفصلة مقابلة وافرة الاسانيد شملت ثلاثة فصول مسببة وانه ضم اليها فصلين في « مقاييس الاعتراف بالدول الجديدة » و « مقاييس الدخول في عصبة الامم » ، علاوة على مقدمة عظيمة الفائدة في تحديد موضوع الكتاب عرفت ان الدكتور رثمر ومساعديه قد أسدوا خدمة كبيرة للدول العربية بنشر هذا الكتاب الحافل بكنوز الحقائق والمبادئ السياسية .



على هامش السيرة

الجزء الثاني

للدكتور طه حسين بك ٢٨٤ صفحة من القطع المتوسط

حقاً ان الدكتور طه حسين بك عميد كلية الآداب في مصر قد بلغ الناية التي كان ينشدها من وراء تأليف هذا السفر النفيس ، وذلك بطريقة كلها حذق ودراية . وقد ابرز هذا احسن ابراز صديقنا الدكتور بشر فارس في الحوار الذي كلف وضه لحظة تكرمهم معالي محمد حسين هيكل

بلشا التي اقيمت في دار الاوبرا الملكية في الثامن عشر من شهر مارس والحوار يجري بين استاذ وطالب في الجامعة المصرية بعد مائة سنة . وموضوع الحوار « محاكمة فرسان السيرة الثلاثة » والفرسان هم محمد حسين هيكل (مؤلف « كتاب محمد ») وطه حسين (مؤلف « على هامش السيرة ») وتوفيق الحكيم (مؤلف « محمد ») ونورد هنا الجانب الخاص بكتاب الدكتور طه حسين بك لما فيه من صدق النقد والرشاقة في التعبير

الاستاذ — واما الكتاب الثاني ؟

الطالب — صاحبه كان دطامة من دطائم جامعتنا ، حفظت وسلت ا وكان قد حلق لينصرن الفكر الحر فاني في سبيل ذلك مصاصب والرجل رسالة جلية منشورة في مجلة كانت تبرز في مدينة حلب (بنى « الحديث ») ساق فيها ما وقع له ودفع الاشكال القائم بين الدين والعلم . واما الكتاب فعمل محكم تملص من بين اصابعك ، تقرأ فتقول : ما هذا علماً بل اساطير جُمعت ومردت في اسلوب لطيف وعجالة اخاذة . ثم قلب فيه النظر فتقول : ليس هذا بعلم ولا بأدب وان كان جامعا لها ألطف جمع : لقد والله كان ذلك الرجل على جانب عظيم من الخلق . تراه يشعبت بنص السيرة اذ تحدث عن الرسول واقض في الاخبار المتواترة ، ثم فلت وينسرح ساعة يأخذ الحديث في غير ذلك . وبينه في الحال الاولى علمه الثاقب بتاريخ الاسلام وفي الحال الثانية غيظه الزاخرة

الاستاذ — وما كانت غايته ؟

الطالب — ان يرد جانباً من جوانب المنقول ادباً جيداً تصاب فوائده على غير كلفة

الاستاذ — وهل ادرك غايته ؟

الطالب — نعم يا سيدي الاستاذ

ففي هذه الجمل القلائل ابرز صاحب الحوار ميزة الدكتور طه حسين المفكر الحر والمنشئ المتمكن في « هامش السيرة » ثم دل على انه لم يزل عند رغبة طمة القراءة اذ طالع الكتابة في السيرة وقلمه مستقل فقال ما شاء ان يقول متفتناً مصوراً من دون ان يتعرف عن الاصول وهو العالم بها ، حتى ان كتابه جاء بحجر العقول بل يطلبها على امرها فيضطرها ان تقبل الادب القديم في شكل جديد كله رواء ، ثم دفع صاحب الحوار ما اتهم به الدكتور طه حسين بك من جانب بعض النقاد لما قالوا انه انما طالع الكتابة في الاساطير . والتحقق ان « على هامش السيرة » كتاب فيه ادب وعلم يراسلان نحو غاية جلية مفيدة هي « ان يرد جانباً من جوانب المنقول ادباً جيداً »

مفروق الطريق

تأليف بشر فارس — طبعة فاخرة جداً في ٤٠ صفحة من القطع الكبير — مطبعة المعارف بمصر التي ١٧ قرشاً عند آجرة البريد

عرف أبناء العربية عامة وقرءاء المقتطف خاصة ورجال الاستمراق الدكتور بشر فارس أديباً متفتناً، ومجتهداً مدققاً، ولفظياً متضلماً، وعُرف إلى جانب كل هذا بشاعريته الرمزية العميقة التي بصورها أحاسيسه تصويراً ليس فيه جود الواقع فتحس أن وراء ألفاظه عوالم شتى بها أشباح متلاحقة. ما تكاد تميز واحداً منها حتى تلقاه قد انطوى خلف سحر آخر يلاحقه وللدكتور بشر رعاية دقيقة باللفظ المتفق مع الجو الذي ينظم فيه أو يكتب عنه بل إن اللفظ من ألفاظه يخلق بذاته جواً للشيء، ومن يقرأ قصيدته « الحريف في باريس » يسمع قطرات المطر وهي تساقط، ومن يقرأ أغنيته طليبتة في الشروق ويستمع إلى البيت التالي يسمع إلى سقسقة الصغور منبعثة من ثمايا الالفاظ : —

سقسق الصغور ما سقسق حمساً في وصادك

وما ذلك إلا الهناية التي يمدحها شاعرنا في المزاوجة بين اللفظ والمعنى وخلق الجو من هذا التزاوج ولقد شاء أن يتحف لغته في ناحية من نواحيها التي احتطت حديثاً في الادب العربي — ناحية الادب المسرحي — بأثر من آثاره، فوضع مسرحية في فصل واحد، وكلنا نعلم قلة هذا النوع في أدبنا حتى يكاد يكون إلى الدم أقرب منه إلى اللغة غير أنه لم يستطع أن يتخطى عن أسلوبه الرمزي فغمس ريشته من ألوانه وروم أفكاره وأغراضه وأهجاهاً نفسه رسمياً خلق للفكر مجالاً بعيداً للتأمل وأفقاً متراحي الاطراف للخيال المنسرح، وقد أتحف المقتطف بدوره قرأه بهذا الاثر. وقد مهد لهذه المسرحية بتوطئة فريدة في بابها بسط فيها الاسلوب الذي أجرى عليه مسرحيته، وهذه التوطئة قطعة من الادب التحليلي الخالص للاسلوب الرمزي قد يجد القارئ العادي صعوبة في فهم هذه المسرحية بل قد تسب القارئ الذي لا ييها إحساسه كله عند المطالعة أو المشاهدة فتمر به كما تمر الفرصة السعيدة بالتأوم المتكامل. وقد أشار إلى ذلك المؤلف في توطئته

والمسرحية تصور لنا التجاذب النفسي بين العقل والشعور فتعرض لنا صورة تمثل على مسرح الحياة، وخصوصاً في هذا الزمن الذي طفت عليه موجة الاستهتار، أشخاصاً ثلاثة رجالان وامرأة فأما الرجلان فأحدهما غارق في نفسه تائه عن رشده، وثانيهما أحد هؤلاء المسحورين بالاضواء التي تلمح بين دهشتها وتأخذهم بريقها، وأما المرأة فهي معلقة بين عالمي الرجلين تسوقها طامتها فتكاد تهوي بها إلى الحضيض قصرها ويحبسها عقلاها وقد ردها إليه الالم المنبث

من نفس الرجل الاول فستبقى وثوب الى رشدها وتجه صعداً الى ثلج العقل تطفي فيه
حرارة العاطفة . إن قراء العرية التي طلع عليهم الدكتور بشر فارس بهذه المسرحية ليشاركونا
في شكر على المتعة النحوية التي أتاحها لنا ولم أملين ان لا ينقطع هذا الفيض « الصبري »
السير

محاضرات اذاعها محمد سعيد لطفي الحاضر لشهادة الشرف من جامعة اكسفورد ومستشار
الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية - صفحاته ٢٣٧ قطع للتكف حرف ٢٤ ايض

لسنا في حاجة الى إقامة الدليل على ما للاذاعة اللاسلكية من مقام وأثر في تعليم الشعب
وتهذيبه . فهي مدرسة الامة ، تصل اثرها بأصغر القرى وأنأى الدور . او هي منبر طام يقف
عليه الخطيب سواء أطلأ كان ام اديباً ام مؤرخاً ام واعظاً ، فلا ينحصر صوته بين أربعة جدران
ولا تقتصر فائدة ما يقول على عشرات او مئات . ومن هنا المكانة الاجتماعية التي احرزتها
الاذاعة اللاسلكية في عصرنا ، وعلى مقدار ما يذله رجالها من السعي لتحقيق اغراضها التعليمية
السامية ، نهوضاً بالتبعة العظيمة الملقاة على عواتقهم ، يحكم لهم او عليهم

وليس تمذير في ان الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية - ادرت منذ يومها الاول -
على حداثة عهدها - ما عليها من تبعة كبيرة في نشر التور ، نور المرقان والارشاد - في
طبقات الامة المصرية والامم الناطقة بالعربية في البلدان المجاورة . فاستغانت بالادباء والعلماء
والعلماء والمؤرخين علاوة على حشد اسباب الطرب على انواعها لكي تهض بجانب من التبعة
الاجتماعية التي يشعر رجالها بانها تبتم الخاصة . والفضل الاكبر في تنظيم كل ذلك لمستشار
الاذاعة الأستاذ محمد سعيد لطفي . ومع ان العمل الذي قام به يستغرق وقت وجهد اكثمن
رجل واحد ، عمد الى اعداد احاديث في « سيرة الرسول وبض اصحابه وقراءته » واذاعها .
ولا لشك في ان المؤلف المذيع اسدى خدمة عظيمة الشأن لسماع الاذاعة المصرية ، لاتنا اشد
ما نكون حاجة في هذا العصر الى بث ما اتصف به اولئك الافئدة من خلق قويم ، وعزم صلد ،
وفضائل جلهم أئمة في الدين والعلم والسياسة يؤتم بأرائهم النافذة وحكمتهم العالية ويقتدى بهم
وقد وصف المؤلف طريقته في مقدمة ساقها الى والده الكريم في الدار الآخرة فقال :
« رويت التاريخ ياوالي كما كنا تحدث ساعات التسلية فلم ارحق المستمعين ولم اذكر اسماً إلا
لضرورة ولا بدأ إلا لحادث جلل وزهت من تناولت سيرهم جياً عما لهج به الخاسدون وأدخله
عليهم الاعداء والموتورون » . ثم اوجز طريقة تناوله لسير الخلفاء الراشدين ومعاوية وعمر
ابن عبد العزيز وهشام وابي الباس السفاح وهارون الرشيد والامين وغيرهم من أقطاب الاسلام
ولهذا الكتاب ميزة أخرى على غيره من الكتب في أنه أول كتاب عربي ألف خاصة

للإذاعة اللاسلكية . وسيرى متقبو الادب العربي الحديث ، إن الفشاء محط الاذاعة اللاسلكية العرية ذو أثر كبير في توجيه أساليب الكتابة العرية ، لأن ما يكتب لبذاع ، يجب ان يتصف بخصائص يانية تختلف عما يكتب ليقراً ، وفي مقدمة هذه الخصائص اليانية الوضوح وقصر الجمل وتخير الالفاظ السهلة الجزلة ، وكل ذلك حتى يستقيم للذيع تحقيق غرضه وهو الاستئثار بأصاء الجمهور . وكتاب الاستاذ محمد سعيد لطفي مثل طيب على هذا الاتجاه .

نباتات النحل الاوربية

European Bee Plants

ومجلة مملكة النحل

تأليف القس بايت آلن — طبعته مجلة مملكة النحل بالاسكندرية —
صفحات ١٥٠ قطع المقتطف (مصورة)

ليس في مصر من لا يذكر للدكتور ابي شادي فضل الدعاية للنحلة المصرية واذاعتها والنهوض بهذه الصناعة الزراعية الى فن من الفنون يمارسه الطفل والفتاة كما يمارسه الرجل فقد دأب منذ ثمان سنوات على تمزير هذه الحركة حتى استطاع ان يحمل وزارة المعارف على ادخال النحلة في مدارسها وتدريب التلاميذ عليها ، وألفاً من اجل ذلك مجلة «مملكة النحل» وأسس لها رابطة تضم كبار المشتغلين بهذه الصناعة وأصبح امر النحلة بطرقها المصرية من المسائل التي تعنى بها جميع الطبقات الزراعية في مصر . ولقد خطت مجلته الى سنّها التاسعة وهي تحمل لقراءتها آثار كبار المشتغلين بالنحلة في العالم . وبهذه المناسبة نشر الدكتور ابو شادي كتاباً حديثاً باللغة الانجليزية عن النباتات الصلية او نباتات النحل الاوربية لعالم انكليزي هو القس بايت آلن . وليس بغير ان يكون احد القساوسة الانكليز طاماً نحّالاً فتاريخ الانكليز

المغلي حافل بأثار العلماء ولا سيما الموالدين منهم من طبقة رجال الدين

الكتاب علمي عملي يتناول امم النبات الباذر واللمي وترتيبه في جدول التفاصيل النباتية وخصائصه ووصف حييات لقاحه ومقامه بين النباتات التي يختص اليها النحل لا يتعصص اربها ونحوه عملاً هذا الوصف الموجز لا يني ببيان قيمة الكتاب العلمية وقائده العملية ولكن العالم الفاضل الاستاذ محمود مصطفى الديماطي فضّل فسد الى ترجمة أسماء النباتات الواردة في هذا الكتاب على نحو ما فعل في طائفة كبيرة من النباتات في الفصول التفصيلة التي نشرها له المقتطف بعنوان « مفردات النبات » بين اللغة والاستعمال ، وسيلحق باسم كل نبات أشهر أوصافه وما يستعمل له وبذلك تصبح مقالات الاستاذ الديماطي — ونشرع في نشرها في مقتطف مايو —

مرشداً نافعا يزيد من فائدة هذا الكتاب لمتحاليين في مصر والبلدان العرية

تاريخ ابن الفرات

المجلد التاسع : الجزء الثاني — بحريته ونشره الدكتور قسطنطين زريق والكتورة نجلا عز الدين — جامعة بيروت الاميركية — وطبع بالطبعة الاميركية بيروت — صفحاته مع الفهارس ٩٠٠ قطع المقتطف قلنا في مقتطف ديسمبر ١٩٣٦ عند صدور الجزء الاول من المجلد التاسع من هذا السفر النفيس ما يلي « صاحب هذا التاريخ هو ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الفرات المصري الحنفي ولد سنة ٧٣٥ هـ ودرس على جماعة من علماء زمانه وأجازه فريق منهم . . . وأكسب على دراسة التاريخ وكتابته فوضع فيه مؤلفه الكبير . وتوفي ليلة الفطر سنة ٨٠٧ هـ »

« أما تاريخه فقد أجمع المترجمون له على أنه كان كبيراً جداً تبلغ مسودته نحو مائة مجلدة وأن ابن الفرات لم يكمل تبويضه بل آتم تبويض المائة الثامنة ثم السابعة ثم السادسة منه ، فلما بلغ المائة الخامسة قال رابعة أدركه أجله . وذكروا أن هذا التاريخ كثير الفائدة إلا أن عبارته غامضة جداً غير سليمة من الاخطاء القوية . وقد جرى على قاعدة اكثر المؤرخين في عصره قرب حوادث تاريخية بحسب السنين وأورد الوفيات في آخر كل سنة »

« لم يحفظ من هذا الكتاب الا نسخة واحدة فريدة يوجد منها في المكتبة الامبراطورية في فينا تسع مجلدات وقد نقلت بالفوتوستات للعلامة المنفور له احمد تيمور باشا فوضع لها مقدمة وحيزة واستقصى المصادر التي اعتمد عليها ابن الفرات وذكر ما في النسخة من السقط والتقديم والتأخير ، وهذه النسخة محفوظة في دار الآثار المصرية . وفي مكتبة الفاتيكان مجلد يستند لوستراخ أنه أحد المجلدات الساقطة من نسخة فينا وبين مخطوطات المكتبة الوطنية بباريس مجلد يظهر من وصف ده ملاين له أنه بمثل ذلك الى النسخة الاصلية . وفي مجموعة شيفر مخطوطة وصفها بلوشيه بأنها المجلد التاسع او الثامن من تاريخ ابن الفرات وهي تبدأ بأخبار الملوك الساسانيين وتنتهي بسمراء الجاهلية »

والجزء الثاني كالجزء الاول منشور على أحدث الطرق العلمية في نشر الوثائق والاصول التاريخية تحقيقاً ومقابلة واستناداً . وفي هذا الجزء مائة وعشر صفحات من الفهارس للاشخاص والقبائل والشعوب والاماكن وهي تشمل متن التاريخ دون المقدمة اما الحواشي فلم يؤخذ منها الا المنقول عن هوامش الاصل . والقاعدة في صنع الفهرس : « ايراد اسماء الاشخاص باكثر ما يمكن من التفصيل ذا كرين — بالترتيب — الاسم فالكنية بـ (ابن) فالنسبة ، فالكنية بـ (ابو) فالشهرة وتبيين بقدر الامكان ترتيب المؤلف عند ذكره للاعلام بصورتها التفصيلية في الوفيات او في المواضع الاخرى . ولم نسير في الترتيب الابجدي الكلمات الموضوعه ضمن قوسين او حاصرتين او كلمة اطلب . كذلك اعملنا اداة التعريف والفق ابراهيم واسماعيل واسحق وابن حنن وقوعها في وسط الكلم . . . »

تاريخ الفن المصري القديم

تأليف الاستاذ محرم كمال

اخرج الاستاذ محرم كمال الامين المساعد بلمتحف المصري هذا السفر النفيس وقد بذل في اخراجه جهداً كبيراً وبحسناً مدققاً قسم الكتاب الى عشرة فصول شرح فيها باسهاب كل ما تناوله قدماء المصريين من تنوع الحرف والصناعات في جميع الفنون صرف في الفصل الاول طبيعة الفن المصري وقال ان فن كل امة ينحصر كما ينحصر اخلاقها ومؤثرات عدة تختص بطبيعة الاقليم الذي نشأت فيه . قلناخ والمناظر وسائر ما تميز به امة عن اخرى ، كل ذلك يكيف الروح الفنية كما يكيف القوم انفسهم . « واذا اراد فن ان يفسج على منوال فن آخر كان هذا خلطاً بين الافكار » . تصور معبداً كورثياً او كنيسة نورمندية او هيكلأ صينياً تعجداً منها بطبيعة الحال مناسباً وملائماً لاحواله الخاصة التي اقيم فيها . ولكن اذا بني المعبد الكورثي في إنجلترا والكنيسة النورمندية في الصين والهيكل الصيني في مصر ، كان وضع كل منها خطأ كبيراً . ومن اجل ذلك اذا اردنا ان نفهم فنّاً ما وجب علينا ان نبدأ بتعرف عوامل هذا الفن واحواله وخصائصه والجو الذي نشأ فيه

فالفن المصري اذا نظرنا اليه من وجهة الفن الصحيح الحقيقي نجده قد وصل الى اعظم مرتبة من الحقيقة ولقد بنا ذوق هذا الفن عن اقامة الابراج العالية التي لا يحيط ولا يسك بها شيء ، كما انه لم يرد ان يسير عن الجمال الخيالي ومشاعره في البناء بما يخرج عن حدود الرسوخ والنبات والكتاب مزين بالصور الكثيرة التي تشرح كل الاعمال والصناعات التي قام بها القدماء المصريون . ومن فصوله فن العمارة المدنية والحربية والعمارات الجنازية والتحت والحفر والتفوش في الدولة القديمة ، وقد وزعته بحجة الهلال النراء هدية على مشتركيها

الضرائب ومصرفات الدولة

تأليف روثايل مسيحه — صفحات ١٠٠ من قطع المتحف ، مطبعة المجلة الجديدة
الاهتمام بدراسة المالية العامة حديث بالنسبة لتغيرها من العلوم ولعل السبب في هذا راجع الى ان العلاقة بين الفرد والحكومة كانت قائمة على الرهبة وقد اخرج الاستاذ روثايل مسيحه هذا الكتاب وطالع فيه المبادئ العامة للضرائب وفي ارادات الدولة بشيء من الاجاز توخى فيها الناحية الاجتماعية لا الناحية الادارية التفصيلية كطرق جمع الضرائب وطرق صرف النفقات العامة ولقد تعددت الضرائب في المجتمع الحديث فقلما يجد الانسان شيئاً خالياً من الضرائب ، فالتياب التي ترتبها والمأكولات التي تتخذى بها والمسكن الذي ناوى اليه والكتاب الذي قرأه والمهلى الذي رزح فيه عن نفسنا كل هذه موضوعات للضرائب ولذا أصبح الانسان مجموعة متحركة من الضرائب ولهذا فقد أصبحت متصلة بحياتنا انعمالا وثيقاً والكتاب مطبوع على ورق جيد طبعاً نظيفاً ويطلب من جميع المكاتب الشهيرة بمصر

فهرس الجزء الرابع

من المجلد الثاني والتسعين

- ٣٥٥ المجرات : بحث في اجزاء الكون الكبرى
- ٣٦٣ الشيخ ابو علي ابن سينا : بقلم منشور مؤدب زاده صاحب جهرنما الايرانية
- ٣٧١ الشعلة المستورية : لانيس المقدسي
- ٣٨٢ حواء الخالصة : (قصيدة) لمبد الرحمن شكري
- ٣٨٤ فكرة التقدم ما كان منها وما آلت اليه : لملي ادم
- ٣٩١ فرز هار الكيمياوي : لحسن السلطان
- ٣٩٦ الجيش المصري والاستكشاف في افريقيا : للملازم الاول جد الرحمن ذكي
- ٤٠٣ الى وكرك يا قلبي : (قصيدة) لحسن كامل الصيرفي
- ٤٠٤ بحث الثقافة وأثره في النهضة العربية : لقندي حافظ طوقان
- ٤١١ الفلسفة العربية ما أخذت وما أعطت : لقليمون خوري
- ٤١٥ الدكتور محمد اقبال رسالة شعره : للسيد ابو النصر احمد الحسيني الهندي
- ٤٢٣ مقام الكربون في الافعال الحيوية والتوازن المضيوي
- ٤٢٧ آمردودون ملك اشور او وحدة الحياة : للروائي الرومي تولستوى
- ٤٣٢ طبقة الازون في اطالي الجواليقي تقينا من البوار
- ٤٣٥ الاذاعة اللاسلكية المصورة او التلفزة : لموض جندي
- ٤٤٣ حديقة المقتطف * السراب : للشاعر باربي دورقلي : نقلها خليل هندراوي . الادب العالمي : على هامش خمسة كتب جديدة : لكامل محمود حبيب
- ٤٥١ سير الزمان : الخلق القومي في المانيا وفرنسا وانكلترا . مشكلة العالم الاقتصادية وعلاجها بحسب تقرير فان زيتلد
- ٤٦٢ باب الرسالة والمناظرة * هندسة الكون بحسب ناموس النسبية . رد على رد : لاسماعيل احمد ادم . الدمن والششم : للدكتور امين الملوفا . حول « مفرق الطريق » مسرحية في فصل واحد : للاب انستاس ملوي الكرمل
- ٤٦٨ باب الاخبار العلمية * الرحلة الاخيرة للمنطاد هتدبرج . هل تعلم . عنصران اقل من الاورانيوم . التلفزة المروية . الهندسة الذكيفية وتأثيرها في الجو . هبوط الارض .
- ٤٧٤ مكتبة المقتطف * مقاييس الكفاءة للاستقلال . على هامش السيرة الجزء الثاني . مفرق الطريق . السير . نباتات النحل الادرية . تاريخ ابن الفرات . تاريخ الفن المصري القديم . الضراحي ومصروفات الفولة .

خَطَاطُ الْمُلُوكِ

الاستاذ نجيب قراويني

يتولى فحص الأوراق المطعون فيها بالتزوير بمصر وغيرها من البلاد ويطلب منه كتابه «التزوير الخطي» لمعرفة المخطوط والأختام الزورة والصحيحة عرية وافرنجية ثمنه ٥٠ قرشا صاغا . وتطلب منه كرا رسه «السلاسل الذهبية» التي تعلم المخطوط الجميلة بوقت قصير واسلوب مبتكر ومقررة في جميع المدارس ، وكتابه «المجلة» وهو مجلة الاحكام العدلية الصحيحة الوحيدة المصدق على صحتها من باب المشيخة الاسلامية مشروحة ومشكلة بقلمه وهو يتولى عمل كليشيات وأختام وغيرها . ويكني كتابة كلمة «مصر» عند مخارته ، أو مخاطبته بلفظون ٥٣٣٠

لا غنى ...

للسبيدة في يديها

والفتاة في معهدها

عن صديقتها

الطالبة

محلة شهرية

تبحث في شؤون المرأة والادب

والعلم والفن والرياضة

الاشتراك السنوي

عشرون قرشاً

الادارة — ٣ ميدان سوارس مصر



مملكة النحل

THE BEE KING DOM

تصدر (مملكة النحل) بانتظام في منتصف كل شهر شمسي باللغتين العربية والانجليزية حاملة رسالة الاصلاح والارشاد الى هذه الصناعة الزراعية الاصيلية في وادي النيل. فاذا أردت المساعدة الاقتصادية في خدمة وطنك فاعمل على نشرها في جميع الاوساط لا بين النحالين فقط، فان هواية النحالة ليست موقوفة على طبقة معينة من الشعب

بدل الاشتراك السنوي ثلاثون قرشاً صاغاً ترسل مقدماً الى الادارة في شارع مفقار رقم ٦٠ بالاسكندرية

الجريدة السورية اللبنانية

الجريدة الرسمية للنزلة العربية في الارجلتين

تصدر صباح كل يوم من ١٦ صفحة باللغتين العربية والاسبانية

ألفها الأستاذ موسى يوسف عزرة في ١٢ ك ٢ سنة ١٩٢٩

مديرها الحالي: أمين قسطنطين

رئيس التحرير المسؤول في القسم العربي: الياس قصص

يجرر فيها نخبة من حملة الاقلام الحرة عنوانها:

EL DIARIO SIRIOLIBANES

Reconquista 339

Buenos Aires Rep. Argentina.

مجلة الشرق

ادوية سياحية مصورة

انفتحت للدعاية عن الشؤون البرازيلية وما في النزلاء الشرقيين في البرازيل تصدر باللغة العربية مرتين في الشهر - صاحبها ومحررها الأستاذ موسى كريم ويفتكر في تحريرها طائفة من اكبر ادباء العربية في البرازيل وبدل اشتراكها ٢٤٠ قرشاً صاغاً

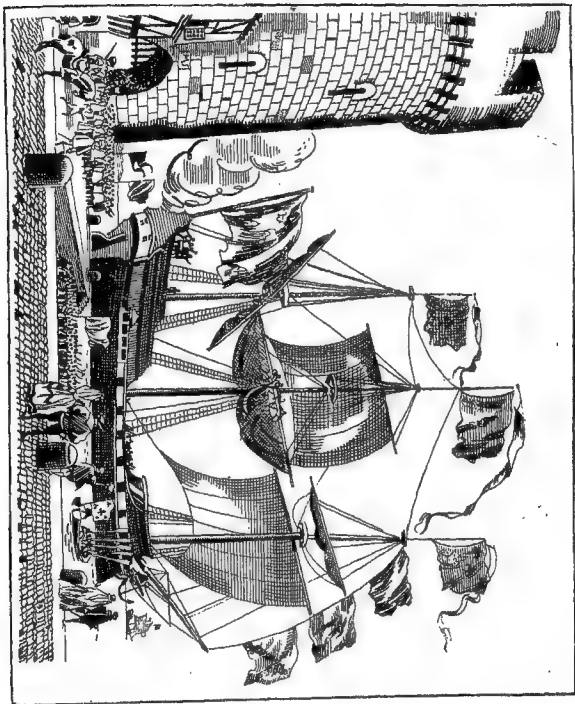
Journal Oriente

Caixa Postal 1402, Sao Paulo, Brazil

وعنوانها:

هذه الصورة

منقولة عن كتاب كتب خاصة للأطفال
عنواناً على سيرة رائد بحري فرنسي أميركي
يدعى جاك كارتيه (١٤٩١ — ١٥٥٧) وقد
لشرنا هنا تحت " كتاباً على وضع تراجم
لرواد الرب المشهورين أمثال الاصطخري
والمسعودي وابن حوقل والبيروني وغيرهم وان
يراعى في هذه التراجم أسلوب التبسيط
والتشويق لأغراء الصغار بالمطالعة وتزيين
صفحاتها بصور من قيل هذه الصور الجيدة
من ريش الرسامين العرب في مصر وغيرها
من بلاد الشرق الأدنى . ولا ريب في ان
عملاً من هذا القيل يكون ذا شأن عظيم في
الثقافة العامة



المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثاني والتسعين

١ ربيع اول سنة ١٣٥٧

١ مايو سنة ١٩٣٨

(١) بعد عهدي بعلم الفلك

للدكتور فارس نمر باشا

كنا سنة ١٨٧٤ ، نحسب بعد الشمس عن الأرض ٩٥ مليون ميل ، على اعتبار ان زاوية اختلافاً الاقني الاستوائي ٨٥٧٧٦ ، كما حسب الفلكيون من عبور الزهرة على وجه الشمس سنة ١٧٦٩ ، ولكنا كنا نسمع أن بعض الذين جاؤوا بدم من الفلكيين ، قاسوا زاوية اختلاف الشمس الاقني من النظر في اضطرابات حركات القمر ، ومن رصد المريخ . وكان متوسط قياسهم لها أيضاً ٨٤٩٤ أي أكثر من ذلك بأقل من ٣ أضعاف الثانية من القوس . وذلك يجعل بعد الشمس عن الأرض ٩١٤٣٠٠٠ ميل فقط . وكان الجميع ينتظرون ان يتوصلوا الى حساب أدق من ذلك حين عبور الزهرة على وجه الشمس ، في ديسمبر ١٨٧٤ ، فلما حان الزمن كنت في بدء عهدي بعلم الفلك ، وقد ناهزت العشرين من العمر ، فبت أقرب ذلك بشوق عظيم ، كما في سألني به غاية المقصود . ولكنا لما أصبحنا في ذلك اليوم ، كانت السماء مطبقة بالغيوم ، غابت مني الآمال ، واشتدت بي الضوم ، وهرعت الى المرصد لاستقبال مديرة ، أستاذتي المرحوم الدكتور « كريستوس فان ديك » ، فوجدته مثلي كسف البال ، ولكنا مع ذلك يمل النفس بالآمال ، خلافاً لما كنت أنا عليه . فجعلنا كل لحظة نخرج من المرصد ونزق وجه

السحاب فلا نجد إلا سحاباً يملو سحاباً، حتى إذا اقترب ميعاد البور، رأيت السحاب قد صحت واليوم انقضت عن وجه الشمس، فظهرت ساطعة في القبة الزرقاء. فأسرعنا إلى المنظار والساعات المدة لتقدير زمن البور، ووقف أستاذي برصد الزهرة، وأنا وابنته نقيذ وقت مآستها لقرص الشمس، وجورها عليه بالساعات والدقائق والثواني أيضاً، وأتينا من ذلك على ما يرام، وقضيت بقية يومي وأنا أتبه تارة عجباً وأطفر طوراً سروراً بما ثم. وفصل غيرنا مثل ما فعلنا في مرصد عديدة متفرقة على وجه الكرة، ولما حسبوا حسابهم وجدوا أنهم غير متفقين في زاوية اختلاف الشمس الاقني، وإن اختلافهم لا يزال يدور على كسر من الثانية من القوس، بسبب الصعوبة في رؤية مائة قرص الزهرة لحرف قرص الشمس بنام الضبط والدقة، ذلك لأن الكسر الذي يساوي نحو ثلث الثانية من الزاوية، لا يزيد عن غلظ شعرة من شعر الإنسان إذا نظر إليها من بعد ١٢٥ قدماً (أو أربعين مترًا) ومع كل هذا الصغر وهذه الدقة في الزاوية، فلما نجعل مقدار الفرق في بعد الشمس ضا نحو ٣ ملايين من الأميال. فبقينا حيث كنا. ثم عبرت الزهرة ثانية على وجه الشمس في ٦ ديسمبر ١٨٨٢، فقلنا في المقتطف عقب ذلك ما نصه :

« ولكن أبي الطمس الذي قضينا زهرة النمر في رصد قتلاني ومراقبة أحواله، إلا أن يجر من مرآها، فسدل على وجه السحاب رقع السحاب صفيقاً ملبداً لا تذيبه حرارة الشمس، ولا تنفذه أشعة نورها. فأتينا عن المنظار أسفين، وودعنا الزهرة وراصديها، طلين أنا لن نرى عبورها، لأنها لا تمود قسراً قبل مئة وإحدى وعشرين سنة ونصف سنة، بعد أن يقضي العمر، وتعني عظمتا رمياً »

وما زال الفلكيون بعد ذلك يقيسون زاوية الاختلاف هذه بطرق مختلفة، كأنحراف الثور، ورصد إحدى النجيمات حين اقترابها من الأرض، حتى طست من مطالعاني أن مؤخر باريس الذي عقد سنة ١٩١١، اعتمد على حساب بعد الشمس عن الأرض ٩٢.٨٧.٠٠٠ ميل. ولكن للتحقق عليه الآن أن زاوية الاختلاف الاستوائي ٨ر٤ وهي تساوي ٩٢.٨٧.٠٠٠ ميل، والفرق (٢٧.٠٠٠) سبعة وعشرون ألف ميل، فلا نحاسبهم عليها

كان آخر عهدي بلم الفلك، أن النظام الشمسي مؤلف من الشمس وثمانى سيارات فقط، تدور حول الشمس عدا النجيمات والمذنبات والنيازك والشهب. ولكنهم كشفوا بعد ذلك، أي سنة ١٩٣٠ سيارةً تسمى « إفلو طون » وهو (إله الجحيم واليران المستبطن الأرض عند قدماء اليونان) واقع وراء « فبتون » ويعد عن الشمس أربعين ضعفاً من بعد الشمس عن الأرض. وأذكر بمزيد السرور والتعجب من مطالعاني لاخبار هذا السيار الأخير، أنه كان

لخبرة اخينا الفاضل الدكتور محمد رضا مدور مدير المرصد المصري بحلوان ، واحد اعضاء مجعنا الموقر، مشاركة تذكر فتشكر في رصد هذا السيار بمنظار مرصد حلوان العاكس، وتصوير مواقمه لتتبع حركاته بين النجوم ، وتيسير حساب عناصره الفلكية على اهل الحساب

فارقنا مرصد بيروت سنة ١٨٨٤ ، وكان المعلوم حينئذ ان المريح ليس له اقرار تدور حوله كازهرة وعطارد، ولكننا علمنا بعد ذلك ان الفلكي «آصاف هول» مدير مرصد «وشنجن» بالولايات المتحدة ، اكتشف له قرين صغيرين سنة ١٨٧٧ ، واكبرهما لا يزيد طول قطره عن ١٥ كيلو متراً ، والآخر نصف ذلك القدر

وكان المعلوم ان للمشتري اربعة اقرار فقط ، اول من اكتشفها «غليليو» بمنظاره سنة ١٦١٠ . ولكنهم اكتشفوا له خمسة اقرار اخرى بين سنتي ١٨٩٢ و ١٩١٤ فأصبح عدد اقراره تسعة ، وهذه الاقرار تدور حوله في جهة دورانه على محوره ، الا الثامن والتاسع ، قائما يدوران حوله في خلاف جهة دورانه ، اي على خلاف التوالي

وكان المعلوم ايضاً ان زحل ثمانية اقرار فقط ، فاكشف له الفلكي «بكنج» قرأ تاسعاً سنة ١٨٩٩ . وهذا القمر التاسع يدور حول زحل في جهة مخالفة لجهة دوران زحل على محوره ، ولجهة دوران الاقرار الثمانية حول زحل

أما «أورانوس ونبتون» ، فلم يكتشف لهما اقرار اخرى غير الاربعة التي كانت معلومة «لأورانوس» ، والقمر الواحد الذي كان معلوماً «نبتون»

وكان طول يوم السيار «أورانوس» ، اي مدة دورانه على محوره ، غير معلوم . ولكن في سنة ١٩١٢ وجد الفلكيان «برسيغال لويل» و «سيفر» ، من رصد طيفه (بالسبكتروسكوب) الذي سماه الاستاذ فؤاد صرّوف محرراً للمقتطف^(١) وأجاد بالمطيف ، ان طول يومه ١٠ ساعات و ٤٥ دقيقة . ثم أبدهما «مور» و «مينزل» الفلكيان في مرصد «لوك» بالولايات المتحدة ، سنة ١٩٣١ وكذلك السيار نبتون كانت مدة دورانه على محوره غير معلومة ، ولا زال غير معلومة تماماً حتى الآن . ولكن «مور» و «مينزل» المذكورين آخراً ، حسب انها ١٥ ساعة . واستدل «مكسويل هول» من تغير إشراقه ، أن هذا التغير يتم في ٧ ساعات وخمسين دقيقة. فإذا حسبنا ان لإشراقه بتغير مرتين في مدة دورانه على محوره ، كانت تلك المدة ١٥ ساعة و ٢٠ دقيقة والاكثرون الآن على ان مدة دورانه على محوره بين ١٥ و ٢٠ ساعة

(١) محرر المقتطف : — بمطبعة الاستاذ عبد الرحمن بن محمود

وكان عدد الكويكبات التي كنا نسميها نجمات Asteroids زداد ازدياداً مطرداً في عهدنا فقد اكتشف « يازي » الايطالي ، أول كويكب منها في سنة ١٨٠١ ، واكتشف غيره بعده ثلاثة أخرى ، حتى بلغ عددها أربعة كويكبات سنة ١٨٠٧ ، وبعد ذلك لم يكتشف احد غير هذه الاربع مدة ٤٠ سنة ، وفي سنة ١٨٤٥ اكتشف احد هواة علم الفلك واسمه « هنكي » الكويكب الخامس . ومنذ ذلك الحين توالى اكتشاف الكويكبات الجديدة وخصوصاً بعد أخذ صورها بالتصوير الضوئي ، حتى تجاوز عددها ٢٧٠ كويكباً ونحن في بيروت . وتبيننا اخبارها بعد ذلك الى أن بلغ عددها ١١٠٠ كويكب سنة ١٩٢٨ ، وأرجح الآن أنهم اكتشفوا مئات اخرى غيرها ، ولكنهم لم يستوفوا رصدها ليصبوا أفلاكها وهي لصغرها لا تكاد جاذبيتها تكون شيئاً مذكوراً ، حتى أنه لو وقف إنسان في احدها وقفز إلى علو ٥٠ ذراعاً من سطحها لما اعتراه من الأذى ما يعتريه لو أنه قفز الى علو نصف ذراع وهو على سطح الارض وتذكر أنه في سنة ١٩٠٠ اهتم علماء الفلك اهتماماً عظيماً بأمر كويكب من هذه الكويكبات يسمى « إروس » (Eros) لأنه يدور حول الشمس في فلك اهليلجي يدنيه كثيراً من الارض ، حتى تصير على بعد مليوني كيلومتر منه . ففي سنة ١٩٠٠ دنا منا حتى لم يبق يتنا وبينه سوى مليون كيلومتر ، فأنهز الفلكيون الفرصة في جهات مختلفة من الارض ولماونوا على رصده حيث تدر للوصول الى معرفة بعد الشمس عن الارض

والشيء بالشيء يذكر — فقد اذاع فلكي ايطالي (سكياباري) في سنة ١٨٧٧ ، أنه رأى بمنظار مرصده خطوطاً مستقيمة على وجه « المريخ » . ثم عاد فأذاع سنة ١٨٨١ ان كثيراً من هذه الخطوط التي كانت مفردة ، صارت مزدوجة ، وصماها (Canale) أي رِعاً أو قِرباً ، فهاج خبره هذا خواطر الفلكيين في الاقطار ، وكثر أخذهم وعطائهم فيه . وانصلت اقوالهم بالسحب السميكة فأذاعوها في الاصقاع طولاً وعرضاً ، وبها عليها اللالي والتصور . فقال قوم ان المريخ مسكون بأناس مثلاً يحرثون ويزرعون وفيهم الهندسون الذين يهندسون الترع لري . وقال آخرون ان اهل المريخ حفروا الترع للمزدوجة بعد الترع المفردة ، لكي يحاطبوا أهل الارض وينبؤهم الى وجودهم . وجعل البعض يقترحون عمل ترع مثلاً على الارض ، أو اضرام نيران عظيمة على مسافات طويلة ، أو وضع علامات اخرى ظاهرة على سطح الارض ، لاقناع اهل المريخ أننا فهمنا مرادهم من حفر ترعهم ، ونحو ذلك من القال والقليل ، والكلام المريض الطويل

ولا ازال اذكر استاذي العظيم ، قدس الله روحه ، وهو يرصد سطح المريخ بالنظار

العاكس في تلك الليالي ، وأنا واقف بجانبه ، ثم يقول لي لعل وانظر ، فأرى أحياناً خطاً أو خطوطاً مفردة أو مزدوجة ، ولا أكاد أقطع حتى الآن إن كانت خطوطاً على سطح المربع أو ممدادير في عيني من شدة التحديق . وكان أستاذي يطرُق طويلاً وهو يفكر ، ثم يقول : ترى أهذه من صنع الطبيعة ؟ وكيف يمكن أن تكون من صنع الاحياء ؟ وبعد ما يطلق كلامنا السنان للخيال حتى يطاول المربع ويكتشفه ، ثم يعود ولا يأتي بطائل ، يقنهد أستاذي ويحصر ويقول : آه ، ياليتني كنت قد ولدت بعد اليوم بخمسة سنة ، لكي أعلم ما يجتبه عنا الزمان الآن . فأقول في سري ولو ولدت بعد ألف عام لتحصرت كما تنحصر الآن ، لأن ما يبق خفياً عنا حيثئذ ، يكون أكثر من الخفي الآن

وبعد ان فارقت بيروت ومرصدها ، وطلعت علم الفلك بأعوام ، سافرت الى أوروبا سنة ١٨٩١ ، وأتيت « ميلانو » وقصدت مرصد « برزا » وقابلت مديره « إسيكبارلي » وسألته في سياق السلام عما جرى بهزعه ؟ فضحك وقال : ان قوماً يتآمرون وآخرون يخالفوني . وهز كفيه كمن يقول ، دنا منها الآن ، وسنضحك الى الزمان

ثم علمت من مطالعائي ان هذه الخطوط لم تعد تظهر مدة ١٠ أعوام أو أكثر ، وبعد ذلك عادت فظهرت وراها الراصدون ورسموها في خرائط « المربع » وصورها تصويراً ضوئياً أيضاً . ولا يزال الفلكيون مختلفين في أمرها ويقولون انها تختلف كثيراً في عرضها واتجاهها . وأن زيدا أراها على شكل ، وعمراً على آخر ، بحسب المنظار الذي ينظرها به

وهناك ظاهرة أخرى دامت أيام اشتتالي في مرصد بيروت ساعداً لذكور « قل ديك » مديره ، ثم مديراً له بعده ، وهي البقعة الحمراء الكبيرة التي ظهرت على وجه المشتري سنة ١٨٧٨ ودامت حتى فارقت المرصد سنة ١٨٨٤ . وقد كان لظهورها سماع ودين كثير بين الفلكيين ، والصحف التي تروي أخبارها . فقد كان شكلها في أول أمرها مضيقاً ولونها أحمر داكناً ، وبلغ عرضها نحو ١٤ ألف كيلو متر (٨٧٠٠ ميل) وطولها نحو ٤٠٠٠٠ كيلو متر (٢٥٠٠٠ ألف ميل) وظهرت ظهوراً جليلاً جداً على سطح المشتري ولقباها بالفرنج بالبقعة الحمراء العظيمة ، واشتدت حررتها بعد مضي الحول عليها ، ثم سال لونها على توالي الأعوام . وقد علمت من مطالعائي لاخبارها انها خفت شيئاً فشيئاً ولم يبق منها إلا أثرها منذ ٢٠ سنة الى الآن . ويظهر لي من قراءة ما قالوا في تحليلها ، ان حقيقة أمرها لم تزل مجهولة الآن كما كانت أيام رسدي لها منذ نصف وخمسين عاماً ولست أقصد في هذه المحاضرة استقراء كل ما جد اكتشافه في النظام الشمسي بعد عهدي بعلم الفلك . وإنما اذكر اكتشافاً آخر وهو تقييد عرض المكان من حين الى حين تبعاً لتغير المحور الذي تدور عليه الارض دورتها اليومية ، بسبب ترحح مواد في باطنها عن مواضعها

الى مواضع آخر ، بسبب تمرّي سطح القارات ، وتأثير اختلاف الفصول فيها . وقد خطر ذلك على بال « يور » من اكابر علماء الرياضيات في القرن الثامن عشر ، وحسب حسابه ، وعين مقدار تأثيره . ولكن لم يستطع احداثاته فضلاً بالرصد والمشاهدة ، الا في سنة ١٨٨٨ حيناً اثبت « كستور وشندلر » — (Keistner & Chandler) ومن تبهما من الفلكيين ، ان قطب الارض يتغير تغيراً ضئيلاً جداً في مدد معينة ، وبالتالي ان عرض المكان يتغير كذلك ولكن تغيره محدود وقليل جداً ، بحيث لا يؤثّر في هواء المكان واقليله على اختلاف فصوله وانتقل الآن من النظام الشمسي الى غيره

ايّما فيها تقدم ان علماء الهيئة اكتشفوا في الحسّين السنة الماضية ، اقاراً واكتشافات اخرى مختلفة لم يكتشفها الذين سبقوهم . ولا خلاف في ان اكتشافهم لما كان بضه بمجدهم واجتهادهم ولكن لا جدال ايضاً في أن معظم توقيهم كان زيادة الاقن في صنع الآلات الفلكية ، واستانهم بالتصور الضوئي والحلّ الطيني والآلات الاخرى التي بلغت الغاية في دقة الصنع ، وتقسيم الزوايا . فقد كانت آلات مرصد « بيروت » وأنا أدبره ، وافية بأغراض الرصد وحاجاته ، ولكنها على ما أسمع ، كانت بالقياس الى آلاته الآن أو الى آلات مرصد حلوان ، كأنوال الحماكة في الدراسة بقرب الاحرام ، الى أنوال معامل الفزل لشركة مصر في المحلة الكبرى . ولا أزيد في المبالغة فأقول : كنيسة أسلحة الاحباش الى أسلحة الايطاليين الذين يقاقلونهم في وادي نهر « تين » . ويطول بي الكلام جداً لو أردت الاسهاب في بيان تلك الآلات لإجمالاً بل يعجز قلبي عن التشرح او الوصف لو شئت شرحها ووصفها تفصيلاً ، فأضرب صفحاً عن ذلك ، وأقول ان المنظار كان أعظم ميمر لعلم الهيئة عند المحدثين ، على ما كان عليه عند المتقدمين . ولا أدري ما الذي كان البشر يلعبونه عن الكواكب لولاه ، غير ما وصل اليهم من الاقدمين عن صورها وأسمائها وحرركات بعضها وأزمان دوراتها . فالفضل فيها اتصل اليه علماً بعد ذلك ، معظمه للمنظار ونوابه ، وللتصور الضوئي ^(١) (الفوتوغرافي) وللمحلّ الطيني . والمنظار إما كاسر للنور ، وإما ماكس له . ولعل « غليليو » كان أول من استعمل المنظار الكاسر الذي صنعه لنفسه في أوائل القرن السابع عشر في رصد الشمس والقمر والكواكب ، فاكشف الكلف على وجه الشمس والخيال في القمر ، والاربية الاقار الاولى من أقار المشتري ، وكان الفيلسوف « اسحق نيوتن » أول من استعمل منظاراً ماكساً لرؤية النجوم سنة ١٦٦٨ وكان قطر مرآة الشبح في

(١) بحر المتطف : فضل المتطف التصوير الضوئي على الشسي لان هذا القرب من التصوير لا يكون دائماً بضوء الشمس

منظاره لا يزيد عن يوصتين . ثم أخذ صناع الآلات البصرية والفلكيون يشتون في الصنع وينتارون في الاقنان . وامتاز الفلكي الانجليزي « وليم هرشل » بصنع عدة مرايا ماكسة ، الواحدة اكبر من الاخرى بين سنة ١٧٧٤ و ١٦٨٩ حتى أبلغ قطر مرآة الصبح أخيراً ٤ أقدام (٤٨ بوصة) واكتشف بها أقمار « أورانوس » وغيرها من أقمار « زحل » ، و ٢٥٠٠ سديم ونجوماً ثنائية أي مزدوجة حقيقية . وفي سنة ١٨٤٥ صنع اللورد « رُسن » منظاره الماكس المشهور وقطر مرآة الشبح فيه ٦ أقدام (٧٢ بوصة) ورأى به السدم الحلزونية ولم يزالوا يقارون في تكبير هذه المناظير الماكسة حتى اوصلوا مرآة الشبح فيها الى ١٠٠ بوصة في منظار « هوكر » سنة ١٩١٩ وهو المركب في مرصد جبل « ولسن » بولاية « كاليفورنيا » في الولايات المتحدة الاميركية ، وهو الآن اكبر منظار ، ووزن مرآة الشبح فيه ٤ اطنان ، وقد شرعوا في صنع مرآة أكبر من هذه قطرها ٢٠٠ بوصة ، ويتظر ان يتم صنعها وتركيبها سنة ١٩٤٠

وكما تساقوا في صنع الماكسات وتكبيرها ، تساقوا ايضاً في صنع الكاميرات وتكبيرها ، حتى أبلغوا قطر بؤرة أكبرها ٤٠ بوصة في المنظار المركب في مرصد « ميركس »

ويجمل اليّ أنه بعد هذا الاقنان والتكبير في المناظير ، وفي بعض الوسائط التي استنبطوها ليستينوا بها على رصد ما لا يستطيعون رصد المناظير وحدها ، كالتصوير التجوم بالتصوير الضوئي وحل ضوئها الى الالوان المختلفة التي يتركب الضوء منها لمعرفة للمواد التي تركب منها ولاكتشاف حركاتها ، وقسمه الزوايا الى اقسام في متتى الصفر والدقة ، وغير ذلك من الآلات البصرية والهندسية التي تقامد الآن في المرصد المستكة وسائط الرصد — أقول إنه يجمل اليّ بعد ذلك كله أنهم يحوكون عنايتهم الآن بصفة خاصة الى مجموعات التجوم والكواكب الخارجة عن النظام الشمسي ، ويقدمون في ذلك بمخطى أوسع كثيراً مما كانوا يقدمون بها في عهدي . فقد كانوا يقيسون بعد التجوم بمقياس زاويتها الاختلافية ، متخذين فلك الارض حول الشمس قاعدة لذلك ، فلموا بذلك الاختلاف السنوي لاثني عشر نجماً ، وانما بعد عنا بعداً هائلاً ، تتخذ فيه سرعة النور مقياساً له .

ثم احدثوا الى التصوير الضوئي لقياس زاوية اختلاف الثوابت ، فلم تات سنة ١٩١٤ حتى كانوا قد علموا اختلاف ١٨٧٠ نجماً ، وحسبوا أبعادها عنا ، ثم وجدوا ان قياس زاوية الاختلاف بهذه الطريقة يحتمل خطأ $\frac{1}{100}$ من الثانية من القوس ، بزيادة أو نقصان ، و $\frac{1}{100}$ من الثانية يكاد لا يبعد البصر ، ولكنه مع ذلك يؤثر في معرفة البعد المدقق ، فعدل كثير منهم عن هذه الطريقة ، وجعلوا يمولون على المطياف (Spectroscope) لقياس زاوية الاختلاف ، فبينوا به ، اختلاف ١٦٥٠ نجماً بحسب مطالعائي حتى الآن

الليل في صحراء مصر

شاعر المتر (William Gray) وليام جراي
مهندس اللاسلكي بالبحرية البريطانية بمصر

بدا الهلال غملاً في القبة الزرقاء . وكأنما خلت عليه « إيزيس » من
جمالها القنان ! ها هو الفضاء ينثا ساججاً وكأنه يحلم بنجوم لم تولد بعد !!

فوق صدر السماء الأزلية يمضي الهلال في رحلته . لا يملّ المسير ! بينما أنا ،
اضطجعت على الرمال مأخوذاً كمن قد سُحِرَ . أحلم بأُمون ...

ها هي ربه الفناء ! كلما حركت أجراسها استيقظت بضئ لسانها لا تلبث
أن تموت ! وهناك من أعماق وادي الموت يُسمع نداؤها . الرهيب !!

ولأله الشر يوجهها المتجهّم ! قد كُفّت عن الجولان
ورقدت مسرّبة في طارها لتستريح ! بينما تتعابوب في جوف
الصحراء صيحات ابن آوى المنبث صداها من الغرب !!

والوادي الحبيب ! تملوه ابتسامات الكرى غارقة في الثوم على نغم هدهده
حنون . وقد رقدت « إيزيس » على شاطئ النيل تملأ ألهم بغيض دموعها ...

وحق عيون « أبي الهول » ، تلك العيون التي لا تنام ، يدعو عليها
قصور الوَسَن وهي ترنو إلى السماء تنتظر الإله « راع »^(١)
راكباً قاربه طائداً مع الشروق . من خلال ضباب الفجر !!

... وهنا امتدت يد الكرى السحرية إلى أحفاني قتلاشي كل
شيء وتركنتي على صدر الرمال يخضو عليّ الليل في صحراء مصر !!

[قلها : عند همي]

(١) اسم الإله الشمس التي كان يسمونها الممرين

أبو العلاء المعري

وفلسفة التاريخ

بحث في أحد جوانب الفلسفة العلائية

لعلى أدهم



أبو العلاء المعري شاعر كبير عرك الحياة وبلا الناس وترك في شعره ذخيرة لا يستهان بها لقراء القلب البشري ومفسري غرائب النفس الانسانية ، ولكن شعره الحاشد بالترحم والسخط والفص بالتشاؤم والتظير لا يسمو بك فوق متناقضات الحياة الى عالم الاتساق والانسجام ولا يرفعك الى الجو الفني الهادئ حيث تنسى الاوطار واللبانات ولا تهفو بك احزان الحياة ولا تطرقت هموم العيش ، وهو حكيم مخلص يكشف لك عن اعماق علاقات الكون بالانسان ويجلو لك افانين الطباع ويرسل الضوء في غيابات النفس ولكن حكمته لا تهدي الضال الى الصراط المستقيم ولا ترفع المصباح لساري الليل وخابط العشواء ولا تؤاسي من ساء الدهر وتكر له الحفظ ولا تزد الى الامل من ازمع اليأس ولا تريد المقدمة الشجاع اقداماً وشجاعة بل قد توهن ارادته وتلم عزيمته ويتسه من الصعود الى مصاف الابطال ومراتب المظاء

وأبو العلاء هو هادم صروح اليقين وقاطع طريق الآمال البشرية، وهو يكتن لها في الضباب والمثاني لاغتيالها ولا يكتفي بتزكها جريحة دامية بل يقصفها قصفاً متكرراً ويجهز على حياتها، ونحوه من شعره في صحراء مترامية يقصر عن مداها الطرف ومهما ضربت في نواحيها فلن تصادف شجيرة واحدة تستدري بظلمها، بل لا ترى فيها أثراً للنبت والحشائش وتساؤم من الرسوخ والقوة بحيث يصح ان يكون مبرأ عن تشاؤم حيل برمته او سلالة من السلالات البشرية بأمرها ، ولئن كان المنفي يمثل جانب القوة والطموح من النفس العريية والبحرّي يعصف الجانب المتأوج الطروب من حياتها فان المعري يسبر عن الجانب المتظير منها كما عبر شوبنهاور عن تشاؤم الألمان وكما انصح ليوباردي عن تشاؤم اللاتين في القرن التاسع عشر ، وقد اعلن المعري على الحياة معركة لامهادة فيها ولا هوادة وتدرّع لها بدرع موضونة من اليأس والزهد وجلل يقذفها بحملات شواء استظل تتعاجوب باصدائها الدهور وسيجد فيها كل مفكر مهما بلغ من رضاء عن الحياة درساً صالحاً وعبرة صادقة

فأهو سر قضاؤم الرجل ؟ وهل هو عدوى عصره ومرض جيله ؟ وهل يشس المري لانه أبعد الامل وأغرق في حسن الظن بالحياة فأيقظه من رقاده نذير الشقاء وداعي الالم ؟ وهل حلم المري حلم الكمال وصحا من نفوة الحلم ولا تزال صورته باقية في معالم ذاكرته ثم التي بالواقع المشوه الجديد فكره وأشاح بوجهه عنه ثم شرع بمد ذلك يثار لنفسه الخندوعة بمحاولة هتك اسرار الحياة وتمديد مساوئها ؟ وهل طاش المري حسير لباناته وصريح امانيه وعلاواته ؟ وهل كان له طموح في الحياة وامل في الصولة والتغلبة فلما سلبه الحر بصره ونكبه في سلاح من أقوى الاسلحة مضاعف في معركة الحياة أضمر في نفسه كراهة الحظ وتمرد على الاقدار ولعن الايام ؟

لست ارى رجاحة اي وجه من هذه الوجوه ، وليس في حياة ابي العلاء وما انتهى اليها من اخباره ما يدل على انه كان حليماً بالكمال ولو لمّا بالمثل الاعلى ، ولم ينجذع المري عن حقيقة الحياة وقد أحسن من أول امره فوضى الحياة وخداع الاقدار وبمطلة الحفظ وظل طول عمره يجمع الحقائق ويبشها وينظمها ويسلط عليها ملكته الفنية ليهاجم بها الآمال ويمزق شملها

واذا رجنا الى عصر المري لتستقرى علاقته به ولنعرف هل استمد المري تعبيره من احوال عصره المضطربة ونشج به من جوه القاتم وجدنا المسألة غير مقمنة ولا شافية ، ولقد كان عصر المري عصر شك وانحلال وانحدار في مهابط التدحور ، ولكن تشاؤم المري كان أبعد اعراقاً من ان ليزوه الى حالة عصره ، وعقريه المري بطبيعتها عقريه حزينة وقد قوى عصره نزعة التطير في نفسه وشحن بأسه وأكد حقه على الايام وتصارفها ولكنه لم يخلق هذه النزعة ، وقد لاحظ انا تول فرانس ان الفلاسفة المتطيرين قد يظهرون في اوقات ازدهار الحضارة وصفاء الجو ، والمسألة قبل كل شيء مسألة مزاج شخصي وطبيعة قسية قد يزيدنها الصبر قوة دون ان يوجدنها وقد يضعفها ويحبس تيارها ولكن دون ان يقضي عليها ، وام

الموامل المكونة لتطير المري كامنة في نفسه ضاربة في صميم طباعه ومرددا الى احساسه الفردي ومشاعره الشديدة البقطة والنبه ، واما العلاء بمزاجه من الارواح المستوحشة من زهرة الدنيا التافهة على الوجود المؤثرة لظلمة الدم وصمت الفناء ، وهو يكره الحياة في الصمم والجوهر فضلاً عن الصور والاعراض ولا يشكو عصره ليدح آخر وانما كل الصور عنده سواسية والتاس جيعم اشرار خساس الطباع ليس لكسرم جبر ولا لئامهم دواء يستطب به فلاصيل للامل ولا معنى للحرص على النسل في مثل هذا الوجود الخاسر ، ويرى شونهاور ان الحياة في نفسها « جريمة » تكفر عنها باحتمال آلامها ويرى المري انها « جناية » جناها الآباء القساة على اولادهم المساكين وانها مصيبة تعالج بالبر والاحسان

فكونك في هذي الحياة مصيبة يميزك عنها ان تبر ونحسنا

ويفرد ابو العلاء من بين شعراء العرب قاطبة بيمزة واضحة لا سبيل الى نكرانها وهي انه

أقربهم في مستوى الفكر والثقافة الى فكر الغرب في الصور الحديثة ، وكان فكره الجوال قد نقله من عصره الى افق الفكر الاوربي الحديث ، ومن يمدن قراءة المري يلحظ اوجه الشبه بينه وبين امثال شوبنهاور وليوباردى وفيتنجر وانا تول فرانس وكارلايل وغيرهم من اعلام الفكر الغربي ، بل ان هناك مشابهة قوية بينه وبين شكسبير نفسه ، وفي اعتقادي ان هذه المشابهة البارزة لم تحجب عنها كلها غفواً ويمكن الاستمارة على فهمها بشيء يسير من التحليل التاريخي ، ولا ريب ان في كل عقري جانين ، احدهما عالمي والاخر زميني محلي ، والجانب الاول متصل بزمانيه الخاص وقسه الدخيلة المطوية في ظلمات الحفاء ، والجانب الثاني متصل باحوال العصر وخاضع لتفسير والبحث وأرى أن هناك شيئاً من وجوه كثيرة بين عصر المري والقرن التاسع عشر من ناحية وكذلك مشابهة تامة في المزاج الاصيل والطوية الكامنة بين المري والكثيرين من كبار مفكري الغرب والثام هذين السنين قد زاد الشبه العام توكيداً وجهه من الوضوح بحيث يسهل لمسه من غير كبير كلفة كان عصر المري من أدنى عصور التضييق الفكري للحضارة الاسلامية مع اضطرابه الشديد من الوجهة السياسية ، وقد تقوى عوامل الانحطاط في ابدان التضييق الفكري ، والمروف ان الصور التي تراخى فيها الروابط الاجتماعية وتفكك الوحدة ، هي عصور الضعف في حين ان الصور التي تقوى فيها تلك الصلات ويكون المجتمع أشبه بوحدة عضوية هي عصور القوة ، وقد تكون عصور القوة والوحدة واكدة من الوجهة الفكرية والعلمية مجددة من الروح الفنية ، وقد تكون عصور الانحلال والضعف زاهية بالحياة الفكرية مشرقة بالآثار الفنية ، وقد كان عصر المري في جلته من عصور الضعف التي غلب فيها الفك اليقين. ومثلت فيها الصيوات وفترت المبادئ وضفت فكرة « السلطة العامة المحترمة » وانتهت في شخص الخليفة البامبي أكبر مثلها وتبأت الافكار لشيء كثير من حرية الفكر ، وانما مهد لها السبيل ضعف التصبب وانطفاء جذوة اليقين وانتشار الفك وتماول كل شيء بالبحث والتقد . وكذلك في القرن التاسع عشر كان العصر بمفهر الاقوى قد تخلخلت فيه أركان المجتمع بسبب الهزّة التي أحدثتها الثورة الفرنسية وهدمها لتطم القديعة ومخاربتها الآراء الشيعية ومحاولتها القضاء على التقاليد ، وكان الانسان واقفاً بين بناء اجتماعي مهدم وبناء لم تم بعد اقامته ، وكان الموقف موقف شك وحيرة وسؤال ولهفة يكثر في منه الفلاسفة المتشككون والمتطهرون ويظهر من ناحية أخرى دعاء الاصلاح وبناء النظام الجديد يعيشون بالصبر المقبل ويمجدّون اليقين الواسع ، وأمثال هذه الاوقات صالحة للفكر مثيرة له لأنه يُجبر في اضطرابها وفوضاها بحالاً لبقاء والاسراع وبأمن خطر المدوان على حرية واقتحام حرمة لان فرصة التفكك والانحلال تهيء له أسباب الحرية ويمكنه من تصفيع الحواطر المختلفة والقيام بمساحته في عالم الافكار المتناقضة والمذاهب المختلفة ، وليس في وسع

مفكر مثل نيقشه او شوينهاورد اورتان ان يعبر عن نفسه التميز الكامل في عصر مثل عصر لويس الرابع عشر او الصور الوسطى ، وما كان يسمح عصر مثل عصر عبد الملك ابن مروان او عصر الرشيد بوجود المتنبي او أبي الملاء ، وهذا من أشد ما يهناه القرديون على أفسار الاشتراكية لانها تحاول باحكام الروابط الاجتماعية ان تصب الناس جميعاً في قوالب متشابهة وتقضي على التثوقات الفردية واختلاف ألوان الامزجة . وقد كان أبو الملاء كسائر كبار الشعراء منهم الفكر شغواً يتصرف كل شيء مطبوعاً على تلك العالمية الخاصة بالبعديين ، وهذا الاتساع النفسي من شأنه ان يوجه النظر الى التاريخ ويفري بالتصق في تأمل حوادثه واستعراض صورته ومن ثم كان لتثافة التاريخية دخل كبير في تكوين كبار شعراء العالم وفي أشعار هوميروس وفرجيل وروايات شكسبير وحيثي وشرل وبيرون وشواهد نواطق بذلك ، ولم يكف بعض الشعراء بتناول التاريخ في منظومات الشعر ورائع الملاحم بل أوقف جزءاً من حياته على كتابة التاريخ كما فعل شارل في كتابة تاريخ حرب الثلاثين سنة وكما فعل هيني في مقالاته الانتقادية

وأبو الملاء الذي بزّ شعراء العرب وحلق فوقهم بصقريته العالمية واخلاصه الجمل للادب والحياة يفوقهم جميعاً من ناحية النظرة التاريخية ، ومن كان في عمق أبي الملاء فلا مفر له من ان يطالع قصة الخليفة ويجول في تاريخ الانسانية ليسرد أخبارها وينص عبرها ويتأمل ما اتانها من آمال وآلام وما لحقها من بأس ورجاء وما تعلقت به من عقائد ومذاهب وما مر عليها من مختلف الاطوار ومتنوع الحالات ، وقد وجد في التاريخ مجالاً رحباً لتطيره ومنفذاً لسخريته ، وكان يشعر بضرورة معرفته التاريخية ويقول

ما كلف في هذه الدنيا بؤ زمناً إلا وعندي من أخبارهم طرف

وفي الحق ان أبا الملاء لم يقصد بهذا البيت المباحاة الكاذبة والنقحر الاجوف وإنما قرّر حقيقة تدعمها لزومياته وتشدقها سائر آثاره

ومن أمدن النظر في التاريخ وأطال التأمل في حوادثه لا بد ان يتبعني فيه الى رأي خاص ويكون نفسه فلسفة ينظر الى التاريخ في ضوءها كما كانت قيمة هذه الفلسفة من الحق او من الباطل وسواء أراد قارئ التاريخ ذلك ام لم يردّه وأدركه أم لم يدركه . ورجل مثل أبي الملاء حائر شاك منفرد بنفسه ماهر في التقبيل على مواطن الضعف في الانسانية تزعج فطرته الى التطير من الواضح اللازم ان تسمع في فلسفته التاريخية صدى بأسه وترى أثر تلمحه وتسخطه ، وقد كان أبو الملاء شديد الفردية في احساسه يصادم المجتمع بفرديته الاوحدية الفاذة ولا يرضى التزول من برجه الساجي للانقياس في تيار الجماعة وإنما الدنيا ملتب وهو منفرج لا لاعب كما في قوله والارض رفة لمأب مقسمة منها سهول وأحبال وحزان

وهو لا يرى من ثم في التاريخ إلا الأفراد المحدود القدرة يحاول النهر فينبط والمجتمع في نظره كلمة من الافراد لا وحدة عضوية ، ولم يجتمع هؤلاء الافراد في ظل فكرة روحية او باعث سام ، كلاً وانما ادغمهم على الاجتاع الطامية والحياة

ما اشبه الناس بالانعام ضممهم الى البسيطة مصطاف ومربوع
وتطير ابي العلاء حله يرى انتصار الشر على الخير واستغاضة الظلم والبي في الحركة التاريخية ، والحقيقة ان لكل ناظر في التاريخ مذهباً خاصاً يتلون بألوان مزاجه ويعمل بعقيدته وطبيعة اعتقاده ، وقد جمع الاستاذ روبرت فلت في كتابه الحفيل عن فلسفة التاريخ نيفاً ونمائين فلسفة من فلسفات التاريخ لطائفة من أئمة المفكرين من قدماء وعديدين

ويختلف المؤرخون في تفسير التاريخ واستكناه حقيقته المتوارية وراء مظاهره اختلافاً واسعاً ولهم في ذلك مذاهب مختلفة ، واشد تلك المذاهب تناقضاً مذهبان ، مذهب يفرع اليه المتفائلون وهو مذهب التقدم ومذهب يلوذ به المتطربون وهو مذهب الحركة الدائرة وبمثله التقدم بالاقصى التي تأكل ذنبها ، وأتصار هذا المذهب ينكرون الوحدة الاجتماعية والتقدم التدريجي الشامل ولا يستمدون ان هناك غاية منصوبة تمجده اليها الانسانية ، ويرون المجتمع والانسانية طامة شراذم من الافراد تستحقها للمطالب المادية وتسوقها الحاجة الى الاجتاع استجابة لتلك الرغائب والحاجات وعندما تكون الظروف موافقة تكون نواة امة ، وكل هذه الامم خاضعة لقانون الحركة الدائرة ، فهي تمر في أدوار متتابعة من الحكومة الملكية الى الحكومة الارستقراطية ومنها الى الديمقراطية وهذه تسلمها الى القوضى ومن القوضى تتحدد الى الحكم المطلق وهكذا دواليك

والانسان في رأي اتصار هذا المذهب موكول لصدف المعباء مهجور في هذا الكون اللرب ^(١) تلعب به الفراز وتثبت به الاهواء وتقر به الاطام والشهوات فلا يجد من أمرها فكاً ولا يملك لها دفء ، وليس هناك غاية الهية مشرفة على هذا الكون تزيق الضوء في حباة الانسان وتأخذ يده في هذه الاحوال والارجاس والبوائير ، فما قيمة الاعمال والجهود وما أثرها في عالم كهذا العالم ؟ كل فكرة كبيرة تقف حياتك على خدمتها وكل تضحية غالية تقدمها لغاية سامية وكل يقين صادق وعقيدة متينة ضالمة عديمة الاثر في هذا الوجود كما تضع قطرات الزيت في الرمال ، والسعادة ظل زائل وضباب متقطع ، ومن أصحاب هذا الرأي فريق ضفت في قوسهم الحاسة الاخلاقية وتمت الغلبة لغولهم على عواطفهم فغاشتهم مداورة الايام واقتناص القرص وعبادة القوة المادية والانتجار بالمبادئ والتقلب في اقدار الحياة قلب السكة في البحر ، وفريق آخر من ذوي التفوس الحيرة والقلوب الكبيرة قد راعهم هذه الفكرة وملاّت قوسهم

(١) قالون هذا يقول المري : تورعوا يا بني حواء عن كذب فا لك عند رب صاعك خطر

مرارة والمآ فهم يمشرون باليأس والزعيم في الحياة ويندبون حظ الانسانية ويقفون على اطلال الحضارات ليكون مصائر الامم، وفلسفتهم حزينة مجللة بالسواد ملأى بصور الفناء، والاتصار في نظر اصحاب هذه الفلسفة نذير الهزيمة والحياة دليل الموت والضوء رسول الظلمة، وكل عمل يتم على حماسة ويقين ينظرون اليه نظرة المتشكك المربى فلا ينجو من سحرهم آثم ولا مصلح ولا يغفلت من تهكمهم حامل القلم ولارب التاج، وهم يسخرون باقتسامهم بالطبيعة والكون وبالله نفسه وانبيائه، وكأن الطبيعة التي ضنت عليهم روح الامل والسرور الخالص قد جنتهم بالنصيب الاوفر من ملكة السخرية والاستهزاء ويعد اصحاب هذه الفلسفة الى طرق كثيرة للتسلي، فمنهم من يتلهى بالكأس والقهقهرة على طريقة عمر الحجام او بتحليل نفسه على طريقة فردريك اميل او بالاشتغال بغير الفقه كما كان يفعل ابو العلاء مصنف كتاب الايك والنصون وكما فعل ليوبلدي الذي كان امام المتطربين في عصره وكان في قس الوقت اكبر لنوي في زمينه في آداب الفقه اليونانية، ومثل بسكال الذي برع في الهندسة وان كانت الروح الدينية التي غلبت على عصره قد منعت من الانبال في التطير

اما المدرسة الثانية فهي تؤمن بالتضامن الاجتماعي وقانون التقدم وترى ان الانسانية سائرة الى الكمال وهي تستخلص ذلك من نزعة الاجتماع الفريزية في الانسان ومن وحدة النوع الانساني واتحاق الفرض الذي ترمي اليه الانسانية وتوجه نحوه جهودها المشتركة، وهي ترى ان خير كفييل بتحقيق امل الانسانية هو انتقال الحق من حيل الى حيل وذلك النزوع الى الكمال الذي يهون التضحية ويوحى الايمان ويمر القلوب بالايمان، وجهود الامم والافراد ليست ضائعة ولا ذاهبة صبا وما ترمي خالدة والشر الذي لشكوه سينفض عن الخير وستستحيل اخطاء البشر على مدى الايام منافع جزيلة وخيرات سائفة وبأسف اصحاب هذا المذهب لوجود الشر والقوضى في الحياة ولكهم لا يأسون من مقاومته واصلاح الحياة وتهذيبها

ويضجر كلا المذاهبين بمطابقة من الاسماء البارزة في تاريخ الفكر الغربي، فمن انصار المذهب الاول ما كافيي وشوبنهاور الذي يقول «ما دامت الحياة أبدية فان فكرة التقدم لاحالة باطلة» وكارلايل، ومن القائلين بالتقدم يكون وديكارث ومشليه وأوجست كنت، وابو العلاء في نظره لتاريخ ينسب الى المذهب الاول فهو ينكر التقدم ولا يرى جديدا تحت الشمس فيقول عن الناس

ينسون في النهج السلوك قد سبقوا الى الذي هو عند النثر مخترع

ابكار هذي المماني ثيمات حجا في كل عصر لها جان ومفترع

وهو لا يهتف للتصنوع وانما يحذره ماقبة كفاية المألوف فيقول له

لا ترحن بدولة أوتيتها ان المدال عليه مثل الدائل

وينذر من احتوت يده على شيء بأنه سيفقده لان

من يسط شيتاً يستلبُ ومن ينج الظلام فانه سيؤرق
 وابو الملاء لا ينظر الى الماضي فطرة اكبار ولا يحيط بهالة من التقديس والقدما في
 نظره لم يكونوا اكرم طبعاً وأبر قسماً من اهل عصره
 ما كان في الارض من خير ولا اكرم فضل من قال ان الاكرمين قنوا
 وأما حكم العقل في قضية المفاضلة بين القدماء والمحدثين فهو كما يروي لنا ابو الملاء
 يخبر العقل ان القوم ما كرموا ولا افادوا ولا طابوا ولا عرفوا
 عاشوا طويلاً وماجوا في ضلالتهم ولا يفوزون ان جوزوا بما اقترفوا
 بل لم يتم فرد واحد منهم بالحكمة وفصل الخطاب ولم يؤت العقل والرشد احد والارض
 لم تعرف الانسان الاعلى ولن تعرفه

ما كان في هذه الدنيا اخو رشد ولا يكون ولا في الدهر احسان
 وانما يتقضى الملك عن غير كما قعقت بنو نصر وعسان
 ويردف ذلك بقوله: ولم يأت في الدنيا القديمة منصف ولا هوأت بل تظلمنا جزم
 فاذا ضقت ذرعاً بصرك وبرمت بسروره آساك ابو الملاء بقوله
 شكوت من اهل هذا الصر غدرم لا تنكرون فلي هذا مضى السلف
 فاذا شككت في ذلك اكده بقوله

لا يخذلك اخوانا كأولنا في نحو ما نحن فيه كانت الامم
 فاذا وصل الى مسحه ان هناك قوماً يملقون الامل على المستقبل ويرجون من ورائه الخير
 وتحقيق الاحلام هز رأسه وأبشده

يقال ان سوف يأتي بعدنا عصر رضي فضبط اسد انابة الخطم
 هيئات هيئات هذا منطق كذب في كل صغر زمان كأن قلم
 ومن يدي قد يستعمل الشر ويتفاهم الخطب في المستقبل
 والله يجعد كلما طال المدى طغت الشرور وقلت الاخبار

وكان المرعي يرسل فكره الى الماضي السحيق والمستقبل البعيد يرى الحياة بين هاتين التاهيتين صوراً
 سرية يتتالها الفناء وخيالات تزول كما تزول دوائر الماء حول مواقع الحصات في سطوح البحيرات،
 فاقية الدول العظيمة والآثار الضخمة وما تأثير التجوم والامعة والشمس الساطعة وما قيمة المواطف
 البشرية ومنع الروح ولغات النفس ؟ كل هذا ضائع في الابد الزاخر، والانسان هذا الطيف
 الزائر والسائح للتريب في هذا الكون يعيش قليلاً ثم تطوى صفحته ويدرج في قبره والدنيا بحالها
 تمضي وتترك البلاد عريضة والصبح انور والتجوم زواهر

وقد تضعيخ اخبارنا وتدثر آثارنا كما ضاعت في جوف الدهر آثار من قدم الارض قبلنا
 سبيل ناس ما قرئش ومكة كما قال ناس ماجديس وما طسم
 والبشرية التي نهامت في التاريخ وتلك الاحيال المتلاحقة انما هي صور تقرأ الى اهل
 الابدى وتفرق في زواجر الدهر وهي اشبه بالحالات والاشباح تلوح ثم تختفي وانما البشر
 اشباح ناس في الزمان يرى لما مثل الحباب تظاھر وتواري
 أو شخص اقوام تلوح فأمة قدمت مجددة وأخرى تهلك
 والدهر هكذا مستمر في دورته يطحن الاحيال ويطوي الايام
 عش ما يدرك لن ترى الأمدى يطوى كمادته ودهراً داهراً
 وانما هي حركة مكررة مصادرة والدهر اكو ان تمر سريّة ويكون آخرها نظير الاول
 والوجود كله كدر لا صفو فيه

لا ازعج الصفو ملازجاً كدرأ بل مزجني ان كله كدر
 ولا امل في اصلاح الكون وتقوم اعوجاج الناس وعلاج الطوائع
 لم يقدر الله تهدياً لئلا تلتنا فلا ترومن للاقوام تهدياً
 وم كذلك لان التبعة التي استقوا منها نعمة قاسدة
 تفرغ الناس عن اصل به درن فالعاللون اذا ميزهم شرع
 والآنكى من ذلك انه

يكفيك شرّاً من الدنيا ومنقصةً ألا بين لك الهادي من الهادي
 والناس في غفلة لا يشيقون منها

وما عيون الناس فيما ارى منتهات من طويل السنة
 ولقد اجري اناتول قرانس على قم المؤرخ الكهل لملك قارس المحتضر في احدى محاورات
 كتاب آراء جديوم كواينار كلمة هي خلاصة فلسفته التاريخية وهي قوله في تلخيص تاريخ البشر
 « انهم ولدوا وتألوا وماتوا » ويصح ان تكون هذه الكلمة موجز رأي ابي السلاء الذي يقول
 خلقتا لشيء غير باد وانما لبش قليلاً ثم يدركنا الهلك
 بل قد انحدر به اليأس الى ابد من ذلك حيث فقدت الاشياء في نظره حقيقتها واشتبهت عليه بمزاتها وصفاتها
 فحزن في غير شيء والبقاء جرى مجرى الردى ونظير المآثم العرس
 وهذه هي اعنى قرارات اليأس ولكنها ايضاً القدوة العالية التي ارفع اليها المري في عالم المفكرين
 المتطيرين واستحق بها ان يكون الامام الثبت والحجة الثقة في وصف علل الحياة وأدواء القوس،
 ولئن كان يشك من ابي السلاء حجامه الحزن الذي لا ترده به اطبيب الحياة ولا تطربه انقامها
 فقد يسليك منه بسم الساخر منها هف الذي لا يعني شيئاً من سخرته ولا يفطن لحظّة عن نهاته

الانسان والنبات

للكنور محمد همت

اختصاصي قسم البساتين بوزارة الزراعة

تملك النباتات مملكة واسعة عظيمة تحوي عدداً كبيراً من الاجناس والانواع موزعة على الارض بل وعلى البحار والانهار توزيعاً عجيماً تقررهُ وتحددهُ عوامل البيئة المختلفة كالمطارة والرطوبة ونوع التربة والضوء وغير ذلك من العوامل الظاهرة والخفية . ومن افراد تلك المملكة ما هو ضئيل الى ابد حدود الضلالة بحيث لا يقضى لاعتنا البشرية ان تراه ، وربما استطاعت ان ترى البعض منه اذا استعانت بأقوى المكبرات الحديثة التي يمكننا من رؤية عالم عجيب خفي يزخر بالحياة النباتية ويؤثر من مصار الانسانية أعظم تأثير — ذلك هو عالم البكتيريا والفطر والجراثيم . ونرى بها من الناحية الاخرى افراداً بلغت من الاكتناز والفضامة والذهاب في كبد المياء مبلغاً عظيماً يدعو الى الدهشة والتعجب . ولا يسع المرء عند ما يقف حيال اشجار السيكويا الهائلة التي بولاية كاليفورنيا الاميركية على ساحل المحيط الهادئ، الا ان يخضع امام تلك المبالغة التي تحسب اعمار بعضها بالآلاف السنين ويذهل لتلك المخلوقات التي كانت يوماً ما بنورا صغيرة دقيقة تذرورها الرياح فأصبحت اطواداً حية هائلة كالرواسي الشاعنات لا تقال منها الأنواء والاعاصير الهوجاء . . . ومن أفراد تلك المملكة ما هو نافع غاية النفع للانسان والحیوان ومنها ما هو ضار بهما أبلغ الضرر . . . ومن أفرادها ما هو جليل لا عينا ومنها ما هو قبيح دميم

وعلا لرب فيه ان النبات ظهر على الارض في فجر الحياة الاولى ونشأ وتدرج في سلم الارتقاء خلال عصور عديدة من قبل ان يدب عليها الانسان وتتشأ دينهُ وبين النباتات العلاقات الوثيقة التي أثرت في حالته النفسية والاجتماعية والاقتصادية تأثيراً عظيماً أوصلهُ الى منزلته الحالية من المدنية الحديثة . ولنا في التاريخ أمثلة متعددة يظهر منها ان الوقوف على سر واحد من أسرار النبات قد يؤثر في حياته الفكرية والمادية أعظم تأثير . ومن الامثلة البارزة المتعددة نبات المطاط او الكاوتشوك الذي فلم قدر أثره في مدينتنا الحديثة

ولو فقتنا ملياً عن مصدر حياتنا ونبوع نشاطنا ومدينتنا لوجدناه النبات، ذلك الكائن الحي للنسج الخلق بالاجلال والاعظام والحبة والتقدير . ولو تجاوزنا تلك النظرة السطحية وتمسكنا قليلاً

في البحث لوجدنا ان النبات مدين بحياته للشمس التي هي مصدر الحياة جميعا . ولقد أحس أجدادنا المصريون منها ذلك وأدركوا ما في خيوطها الذهبية من حياة هي السحر وسحر هو الحياة فعبدها وقد سواها . وكانوا يتخلونها زوركا يستقله الله من ألهتهم هوروس يسبح به في أجواز الفضاء من المشرق الى المغرب في نظام ثابت عجيب وتدبره حكم . وعند ما أين فيما يلي علاقة ما بين الشمس والنبات ستكشف لابعثنا حقيقة من أروع الحقائق التي ندرك منها لعملة الحياة التي ألهمها الله سبحانه وتعالى علينا وتقدر قدرته جل شأنه اذ سخر الشمس فيما سخر لنا من القوى الطبيعية التي تغنى في حياتنا الدنيا يتنفس النبات كما يتنفس الحيوان ، فيأخذ كلاهما الأوكسجين من الهواء وبسطى غاز ثاني أكسيد الكربون الذي يفره الحيوان من مخبريه والنبات من مساهم المدينة الخاصة بذلك . وإذا احترق النبات أو الحيوان نتج عن احتراقهما غاز ثاني أكسيد الكربون كذلك وهذا ينتشر في الهواء ويختلط به . . . يدخل الهواء المحمل بهذا الغاز الى النبات عن طريق فتحات بأوراقه منتشرة على سطوحها السفلية وبالقن من الصغر والدقة مبلغا عظيما . وهناك يدوب في الصادرة النباتية ويتحول بعمليات متتابعة الى سكر بسيط ومن ثم الى سكر مركب أو نشاء أو زلال أو دهن أو الى خلوص (سلولوس) — تلك المادة التي يبنى بها جدر خلاياه وأليافه وخشبها ، أو الى أي مركب آخر يحتاج اليه في غذائه وتغذيته ، ثم ان هذه المواد المجهزة تتحرك في الاوعية الى الانساج القريبة أو البعيدة في النبات للاختزان أو لأداء الوظائف الفسيولوجية المختلفة . غير ان تحويل الغاز الكربوني الى سكر ثم الى مواد أخرى اكثرت منه تمقيدا ثم دفع تلك المواد في الاوعية والانساج كل ذلك يحتاج الى جهد . وهذا الجهد يستمده النبات من أشعة الشمس . فعندما تسقط هذه الاشعة على أوراقه الخضراء المتبسطة تمتص المادة الخضراء التي بها والتي تعرف بالكلوروفيل أو الخضير جزءا صغيرا من تلك الاشعة التي هي مزيج من حرارة وضوء فتتم العملية السحرية في صمت عجيب لا يلاحظها ملاحظ أو يحس بها مستمت . ويتقل بهذه العملية الجهد الذي كان بأشعة الشمس الممتصة الى المركبات التي تكونت داخل النبات . وعند ما تحترق هذه المركبات داخل جسم الحيوان بواسطة عملية التنفس تطلق من الحرارة والجهد بقدر ما أخذت من أشعة الشمس تماما . كذلك تطلق قطعة الخشب اذا احترقت في الهواء حرارة وجهدا بقدر ما أخذت من الشمس . فتحن نستغل الحرارة التي تولد بحسونا في الحركة وفي أداء العمليات الفسيولوجية والشفل الخارجي . ونستخدم الحرارة التي بالوقود في افضاج طعامنا وتسيير عرباتنا وطياراتنا وسفننا وغير ذلك . فالاشجار التي على وجه الارض اذاً والقضم والزيت الممدنية التي في باطنها والتي نشأت من تحلل مواد عضوية نباتية كل هذه كموز عظيمة ومستودعات هائلة للقوى الشمسية اختزنت بها من آلاف بل ملايين السنين . . . فرى من ذلك انه لولا الشمس

لما كانت الحياة على سطح الارض ، وانه لولا تلك الورقة الخضراء الكريمة — ورقة النبات — لما كان انسان او حيوان . ورب سائل يتساءل وماذا يقول في أمة الاسكيمو التي تسكن الاصقاع الجليدية القطبية والتي لا يقات أهلها الا سمك البحار وحياتها ولا تسكن الا كهوفاً تتخذها من الجليد ؟ ان فضل النبات على ذلك الانسان المتمزل عن المملكة النباتية والذي لم ير ورقة النبات الخضراء ؟ والجواب على ذلك ان هذا الانسان الذي يقات اللحم فقط يستند في حياته على النبات أيضاً ولكن بصفة غير مباشرة . وذلك لان السمك الذي يأكله يعيش على أعماك او حيوانات بحرية أخرى أصغر منه . وهذه تقات الاعقاب البحرية الضئيلة . وقد حسب بعض الحاسنين ان كل رطل من جسم انسان الاسكيمو يني من ٦٣٥ رطلاً من الاعشاب البحرية التي تقذف بها اسماكها كلها الاسكيمو بدوره . فما أبهظ ما تتكفله مملكة النبات لإطاشة أمة الاسكيمو القليلة العدد ! ورب قائل يقول أيضاً ان العلم تقدم تقدماً عظيماً بحيث أصبح في مكننتها تركيب بعض المواد الغذائية في مصانعها . وسوف يأتي يوم نستغني فيه عن الحقول الشاسعة بما نستطيع تجهيزه في المصانع المحدودة ! نعم لقد استطاع علم الكيمياء مثلاً ان ينتج صلب التيل المعروف ففقد بذلك قضاء مبرماً على زراعة التيل الطبيعي بالهند، وصحح أيضاً ان بعض العلماء تمكن من تحضير مقدار صغير من السكر البسيط بواسطة الاشعة فوق البنفسجية، وصحح أيضاً أنهم توصلوا الى تحضير بعض المواد الهامة كالفيتامينات بل والكاوتشوك إلا ان تحضير كل ذلك يستفد من الجهد والنفقات الشيء الكثير مما يجعل الانسان محتاجاً الى أوراق النباتات الخضراء ومستنداً عليها كل الاعتماد وثم اعتبار آخر يجعل اعتماد الانسان على النبات أمراً محتوماً وهو ان الاخير يصنع المركبات الهامة المعروفة « بالفيتامينات » في أوراقه الخضراء . ويوقف نمو الجسم الانساني وسير وظائفه سيراً طبيعياً وصلاحيته من كثير من الامراض على تلك المركبات المعقدة النامضة التي لها في حياتنا شأن هامٌ والتي توجد في الجسم الحيواني أيضاً . فيعد ان يتنصا الحيوان من الغذاء النباتي نسترجع بضاً منها فيما ينتجه من لبن وزبد وجبن وبض وغير ذلك من منتجاته المتعددة هذا فضلاً عما نحصل عليه مباشرة من النبات نفسه عندما نأكله

ولننظر الآن كيف بدأت العلاقة بين الانسان والنبات ، ثم كيف توقفت تلك العلاقة وتطورت مع السنين والقرون وأثرت في الانسان حتى ابطلته مدينته الحاضرة . كان الانسان الاولي يسير طارداً في الغابات يلقط مما يجده على الشجر الذي ينمو لنفسه ما يطيب لدوقه من حبيبٍ وثمر . وكان يختفي في ظلال اشجارها من حرارة القيط او صبراء البرد ومن شأيب المطر . ثم هداه تفكيره الى ان يتخذ من اجزاء النبات سقفاً وعرائش يأوي اليها هو وما قد استأنس من حيوان . ومن ثم نشأت فكرة بناء البيوت والمساكن . وكان اذا

تاسل فتزايد عدده وقل قوته وكلاً ما شجته ترح الى جهة اخرى وفيرة القوت كثيرة المياه والمشب . ولما شاهد النبات ينضج جه وينثو حوله لا بقاء نوعه فطن الى استكثاره فجمع الحب وبذره لنفسه وحصده وهكذا تعلم الزراعة التي طرأ بواسطتها تغيير كبير على الأصناف البرية من حيث الكم والكيف . وكان يرى قطعة الحطب تقطع على سطح الماء فيمتلئ ليعبر عليها الأنهر والبحيرات الصغيرة ، ثم بدا له بعد ذلك ان يحفر تلك القطع او يعضها بمضاً لبعض يستوى بداخلها حتى لا يدركه البلل ومن ثم كان بناء السفن التي ساهمت بنصيب وافر في بناء مدينتنا الحالية اذ استطاع الانسان ان يحمل فيها غذاءه ويحبوب البحار ويكشف آفاقاً جديدة ويربط اطراف العالم بعضها ببعض . ولقد بدأ الانسان اول ما بدأ بتغطية جسمه وسر عورته بوراق النباتات الكبيرة ولم يلبث ان احدث الى ذات الالياف منها وفطن الى استعمالها بدل تلك الاوراق . ثم احدثى بعد ذلك الى غزل ولسج تلك الالياف . وما نحن اليوم اكثر ما نكون اعتماداً على النبات في لباسنا ، حتى تلك المنسوجات التي تمت الى اصل حيواني كالصوف والحرير فان انتاجها يتوقف على النبات فالانعام او الابل ترعى النبات وترتي صوفها . وتأكل دودة القز اوراق النباتات ثم تنسج خيوطها الحريرية بعد ذلك وكان الانسان يذوق ويأكل كل طبيعة المال كل ما يصادفه من اجزاء النباتات المختلفة فيجد في بعضها حلاوة وفي البعض الآخر غساسة ، وفي البعض ما ينفع من داء معين وفي البعض الآخر ما يؤذي اذ به بالغة او طفيفة . فاستطاع من تجاربه الكثيرة التي طافها ان يميز بين ما هو صالح منها لقوته وما هو صالح لدوائه . وما زال الانسان الى يومنا هذا يرجع في معالجة اكثر امراضه واسقامه الى النبات واصبحت النباتات العلوية المعروفة تعد بالآلاف .

ولقد غير الانسان كثيراً من معالم المملكة النباتية فما حل بقعة الا وعمد الى تقطيع الاشجار الباسقة والنباتات المتكاثفة ليفسح في رقعة سكناه . فاذا ما أقسحها واستقر بها قطع كثيراً غيرها من حوله لكي يزرع الحب لنفسه وحيوانه . وعند ما تبسرت المواسلات واصبح في استطاع الانسان ان يهاجر في افواج كبيرة الى اصقاع بكر لم يكن لها به عهد من قبل امن فيها قطعياً وتحريقاً بسرار مريع فأزال غابات طمرة بينهما وعمرى وجه الارض من زبئها الخضراء الجميلة وبدد كنوز القوى المذخورة فيها شر تبديد . وأعظم مثل لذلك النباتات القسيحة الواقعة شرقي نهر المسيسيبي بالولايات المتحدة الاميركية . كانت تلك النباتات مأمولة بمضة آلاف من الهنود الحمر الذين لا يأخذون من الطبيعة الا القليل الذي يفي بحاجتهم البسيطة . فلما نزلها الرجل الايض المتمدين ازالها وحامسها وأقام مكانها الدور والقصور والقرى الباهرة والمدن الصاخبة الزاخرة . وحصل في المهند أن اخليت الغابات لزراعة الشاي والبن والمطاط وغيرها من النباتات الاقتصادية التي يلج في طلبها الانسان . ولم يكن تقطيع النباتات وتدميرها بأوربا بأقل منه في القارات الاخرى

قد دمر الانسان فيها اكثر مما تستطيع الطبيعة انتاجه. وأخيراً فطنت الحكومات الى تلك الثروة الجسيمة المهددة بالزوال فسفت القوانين لحماية الثبات ولاستغلالها بقدر ولتدميرها من آخر... ما كان ذلك من الانسان لجرد البعث وعاربة الثبات وإنما من اجل مصلحته الخاصة فهو وان عا الاشجار من رقة ما فقد أسكن تلك الرقة أنواعاً أخرى من الثبات كالحبوب وغيرها. ونراه من ناحية أخرى يزل الأرض القاحلة او الصحراء المجيدة فيطرق إليها الماء ويغرس بها الاشجار ويؤثر فيها الحب فتصبح جنة فيحاء دائية القفوف متعددة الالوان ولئن قسا الانسان على الثبات من ناحية فقد أسدى الى مملكته ايدي يضاء كثيرة، فهو يطوف بالنبات المنزلة البعيدة ويسلق الحبال الوعرة ويسلك الصحاري الخفية ليصيد كل نادر من الثبات ثم يكوئه ويحسنه الى درجة لا يلفها ذلك الثبات في الاحوال الطبيعية... لقد فعل الانسان أكثر من ذلك فإنه زاد بطريقة التوليد على المملكة النباتية أصنافاً وأشكالاً وألواناً ما كان لها وجود من قبل فهو الذي خلقها خلقاً بقله الراجح وصبره العظيم فأنت خير ألف مرة من آبلها الوحشية. هذا فضلاً عن أنه حسن الاصناف والانواع الموجودة تصميماً عظيماً ولا ضرب على ذلك مثلاً واحداً بسيطاً ينجر السكر الذي يزرع في اوروبا بكثرة لاستخراج السكر منه بدلاً من قصب السكر الذي لا تسمح الظروف الجوية بنموه هناك. كانت نسبة السكر بالنجر من نحو ٥٠ سنة نحو ١٠ر٥٪ فأصبحت الآن بفضل عمليتي التوليد والانتخاب التي يقوم بها الانسان نحو ١٨ر٥٪. ولقد وصلت النسبة في بعض افراد منه الى نحو ٢٥٪ وهكذا أوشك هذا النبات ان ينافس قصب السكر الذي يبلغ نسبة السكر فيه نحو ٢٠٪.

ولعل أغرب وأعجب ما في حياة الانسان تلك العلاقة التي يثبته وبين النباتات الدنيئة التي لا يراها بينه المجردة. تلك البكاثات التي نسميها الميكروبات او الجراثيم تكافح في الحياة وتاضل من أجل بقائها وبقاءها قوية. فهي تهاجم النباتات الراقية كما تهاجم الانسان والحيوان وقتك بها جميعاً فتكاً ذريعاً في بعض الاحوال. انها لا تمأ بالانسان البائل الحار بل تحدها دواماً وتعيش على لحمه ودمه وزرق في كل يوم آلافاً بل ملايين من الارواح البشرية والحيوانية. لم يستطع الانسان بلمحه الواسع التفرير وعقله الحيار العظيم ان يقضي على تلك الحلوقات الضئيلة التي تتدنى بدمه وأحشائه ثم تفرز فيها سموماً نافعة تودي بحياته. وكل ما استطاع ان يفعله هو انه ألجمها وكسر من شرها وأصبح مالكاً لقيادها بحيث يستطيع ضبطها ومقاومتها. ولكن كثيراً ما يفلت زمامها من يده وتهيج مرة واحدة فتذيق الانسان والحيوان من صنوف العذاب أشكالاً وألواناً وأخيراً تذهب بالارواح جملة. تلك هي جرائم الامراض التي تفصهاها وتفرق منها. وغير ذلك بعض الجراثيم النباتية التي تقع في طعامنا وشرابنا لتتفنى به أيضاً.

فتجلبه وتجبل منه مركبات أخرى قاسدة ذات روائح كريهة أو طعم بشع . وفي مقدورنا ان نتصور عظم ما تخسره الانسانية كل عام من جراء تلك الجرائم التي تلحق باللحم واللبن والخضر والفاكهة والشراب وغير ذلك مما تقدر قيمته بملايين الجنيهات . . .

ومن الناحية الاخرى تقع جرائم من نوع آخر في كثير من صنوف الطعام والشراب فتجلبها تماماً أو بعض الشيء وتغير من نكهتها أو طعمها بحيث تصبح أطيب مذاقاً وأشهى الى النفس . والامثلة على ذلك متعددة فبعض اصناف الحين مثلاً لا تكتسب طعمها الطيب المهود من غير ان تقع عليها اصناف خاصة من الجرائم النباتية تعيش عليها وتتكاثر وتجبل بعض موادها وتفرز بها افرازات خاصة . ونحن لا نأكل من حين « الروكفور » الاذيتلشهي مادته اللبنية فقط بل والفرن الذي عليه بجرائمه مما يجعل له هذا الظم الزكي الخاص . وثم مثل آخر هو الحبز الذي نستطيع ان كنا لنستيفه أو نستطيع اكله ما لم نضع مع العجين قبل خبزه قليلاً من نبات الحميرة الذي يخمر بعضاً منه فيجعله لذيذاً شهياً . يرحب الانسان بمثل هذه الجرائم النباتية ويتركها لتعمل عملها بل ويشجعها عليه بما يهيئ لها من الظروف الخاصة المساعدة وكبحن مدينين لامثال تلك النباتات الدينية التي يتوقف على لفاعلتها الكثير من الصناعات الكبرى التي تدور علينا الحيز الوفير والبر الميم

هذا ولم تقتصر العلاقة بين الانسان والنبات على الناحية المادية فحسب بل تعدتها الى الناحية المعنوية ايضاً . فقد استعان الانسان بالنبات في طقوسه الدينية وفي افراحه وأزواجه . وأدرك ما في اجزائه وألوانه من رشاقة وجمال فأجبه وأحاط نفسه به في غرفه وحدائقه ومنزلاته واتخذ منه مبعثاً لا ينضب يشبع منه ناحيته الفنية . وسيظل النبات من اهم موارد الالهام للشعراء والمفكرين يشيدون بحجالة ويرزونه للعالم في شكل رائع جذاب . كما انه سيظل مورداً خصباً يأخذ منه الانسان ليزخرفه مسكنه ومبيله وشئ ادواته المنزلية وغير المنزلية

نرى من كل ما تقدم صورة واضحة يظهر لنا في ناحية منها التعاون بين الانسان والنبات واصناف الاول على الثاني في معيشته وأعماله بل وفي حاجاته الفنية والروحية ويظهر من الناحية الاخرى منها ذلك الصراع المائل الطويل المدى بين الانسان والنبات . فالتبات يهاجم الانسان رأساً ويهاجم طعامه وشرابه ونباته التي يزرعه وحيوانه الذي يراه ، والانسان بدوره يذود عن نفسه وعن حيوانه ونباته الذي تحت كنفه بكل ما اوتي من قوة وحيلة مستعيناً في كفاحه هذا بمشئ الوسائل كالبرودة الشديدة والحرارة المرتفعة والجواهر السامة وغير ذلك من الوسائل الطبيعية والكيميائية الفعالة . وخلاصة ذلك ان ما نفيده من التبات ليمدل الهب لاف مرة ما يصينا منه وأنا مدينون له بحجالتا المادية والروحية الى حد كبير

قصب السرعة

بين الامعاء

والطيران حول الارض في نهار واحد

يُعلم قراء المقتطف ان قصب السرعة في الكون للضوء فهو يسير بسرعة ١٨٦٣٠٠ ميل في الثانية . ويلعبون كذلك ان من الطيور ما تتجاوز سرعته مائة ميل في الساعة ، وبعضها كالصقر او البازي يبلغ ١٦٠ ميلاً في الساعة او اكثر قليلاً . وهذه سرعة عظيمة ، ولكنها مع ذلك تجعل الصقر بطيئاً البطء كله بالقياس الى حيوان آخر يزيد سرعته على مرعة امواج الصوت ! ذلك الحيوان حشرة صغيرة تعرف باسمها العلمي « كيفينومايا » Cephonomyia واسمها الشائع « ذبابة الابل » وهذا الاسم الثاني مستمد من كونها تطفل وهي رقة على بعض الحيوانات من نوع الابل فتسكن مسالكها الاقية والحلقية . ويقال انها تختزن الغذاء وهي في هذه المرحلة من حياتها وتستعمله عندما تتحول ذبابة

وقد روى المواليدي الاميركي العلامة روي تشابن اندروز — مدير المتحف الاميركي للتاريخ الطبيعي — في مجلة التاريخ الطبيعي التي يصدرها ذلك المتحف ان العلامة الدكتور تشارلز تونزند قضى سنين كثيرة في دراسة هذه الحشرات فوصفها في كتاب خاص بث به الى الدكتور اندروز بانها تحترق الجوّ تحكف البرق وانه قاص سرعتها وحقق القياس بواسطة مصورات ضوئية سريعة خاصة فاذا مرعتها تبلغ ٤٠٠ ياردة في الثانية او نحو ٨١٨ ميلاً في الساعة . وكتب تونزند مقالاً عنها في مجلة الحشرات التي تصدر بيوبروك فقال انه قد يصعب على ايّ كان ان يصدق ان حشرة تستطيع ان تسبق رصاصة بدقية ولكن « الكيفينومايا » تستطيع ان تسبق رصاص البندقيات القديمة ولا يستبعد ان في مكتبتها ان تسير قنابل المدافع الالمانية الضخمة التي اطلقت على باريس في اثناء الحرب النامية والقرى في هذه الحشرة ان ذكرها أسرع من اناها ويفسر ذلك بأنه لا بدّ للذكر

من ذلك لكي يلحق بالاثني حتى يقضى أمام الزواج . ولو كان في الامكان ان تصنع طائرة تطير بسرعة هذه الذبابة لاستطاعت ان تطير حول الارض عند خط العرض الشمالي ٤٠ مثلاً بين شروق الشمس وغروبها في يوم من ايام الصيف . ولا يخفى ان اسرع الطائرات لا تتجاوز سرعة ٤٥٠ ميلاً في الساعة . وان سرعة امواج الصوت في الهواء ١٠٨٩ قدماً في الثانية اي اقل من ٤٠٠ ياردة وهي سرعة هذه الذبابة العجيبة .



من الثابت ان كل ما اصابت انواع الحيوانات من الرقي في الحركة والانتقال مبني او متصل بمبادئ ميكانيكية مستغرة في شكلها وتركيبها ، فاذا عرف العلماء أسرار الحركة السريعة في ذباب « الكيفينو مايا » تمكنوا من بناء آلات للطيران قائمة عليها فيملتون سرعة قد يتعذر عليهم بلوغها اذا اقتصروا على انخاذ الطيور مثلاً لهم ينسجون على منواله . وان ما شاهدناه من معجزات الخنزرات والمستبطات في هذا العصر يشير الى ان الحزم باستحالة شيء لفراجه او بعده عن المؤلف جرأة لا يقدم عليها قائل

فاذا استطاع العلماء والمهندسون ان يتبينوا اسرار السرعة في هذه الذبابة ، وان يطبقوا مبادئ حركتها وقواعد شكلها في بناء الطائرات ، وان يجعلوا الطائرات بحيث تطير في طبقات الجو الطخورية حيث الهواء لطيف والمقاومة للطائرات اقل منها على ارتفاع بضعة آلاف من الاقدام ، فليس من التعذر ان تبلغ الطائرات سرعة ٨٠٠ ميل او الف ميل في الساعة فاذا اتبع لنا الطيران بطائرة من هذا القيل سبع عشرة ساعة متوالية تمكننا من الطيران بها حول الارض في نهار واحد . فبالسافة حول الارض عند خط العرض الاربعين نحو ١٤ الف ميل . فاذا طارت الطائرة بسرعة ٨٠٠ ميل في الساعة تمكننا من الطيران حول الارض في ست عشرة الى سبع عشرة ساعة . واذا فرضنا انها قامت من نيويورك في الساعة الخامسة صباحاً فلها تبلغ مدينة «أوماها» بالولايات المتوسطة الاميركية في ساعة ومدينة «رينو» على حدود كاليفورنيا في ساعة أخرى ومدينة «باكين» بالصين في ست ساعات ومنها الى «استانبول» في أربع ساعات أخرى ثم الى «مدريد» في ساعة ونصف ساعة ومنها الى «نيويورك» في ثلاث ساعات ونصف ساعة فتصلها في الساعة العاشرة مساءً

فاذا تحقق عمل من هذا القيل فاق خرافات الاقدمين عن بساط الريح وروايات حول قرن الفرنسي مع ما كان فيها من التعرّف في الخيال والوهم حين وضعت ، ولكن الحقائق التي يقوم عليها هذا الزعم ثابتة نقرؤها في فصل الحفريات من كتاب الطبيعة المفتوح

الانسان المجهول

للمعروف الكسبي لارل

تلخيص : اساعيل مظهر

ينبغي إذن ان تعرف كيف يتغير ان تؤثر أساليب الحياة الجديدة في مستقبل السلالة البشرية . فان استجابة النساء لوجه التكيف التي اتت حياتنا وادابنا ، من طريق الانقلاب الصناعي ومدنية الانتاج الصناعي ، كانت حاسمة سريعة . ولك ان ترى شيئا من ذلك في ان نسبة المواليد قد نقصت فجأة . ولقد كلف لهذا الحادث أثره البالغ الجدل في الطبقات الاجتماعية وفي الامم التي كان يظن انها سوف تكون أكثر اهل الارض استمتاعا ، إن مباشرة أو بالواسطة ، بفوائد التقدم الحديث وجنبا لثرائه ، بتطبيق للكشفات العلمية تطبيقا علميا . على ان العلم بالارادة — اي تغيير النساء بحكم الاختيار — ليس حادثا جديدا يشهده لأول مرة تاريخ العالم . فانه كان طابع بضعة عهود مرت في تاريخ مدننا بائدة . إنه تعرض طائفي . على انا ولاشك لعرف له مكانته تمام المعرفة

وإنه لمن الظاهر أن التغيرات التي اتت بحيطتنا بذبوع « الصناعية » — Technology — وبالحراري الفن الصناعي ، قد أثر في جميعنا تأثيرا بالغ المدى . يند ان نتائج هذا « الفن » قد لا يستحق خيفة لم تكن توقعها . لقد أدركنا ان لها نتائج تنافي كل المناقاة تلك التي أمسنا فيها ، والتي كان لنا ان نزعها من أوجه الارتقاء التي اتت مساكنا وطرائق حياتنا وأغذيتنا وتعليمنا والجو العقلي الذي كوّنته من حولها الخلائق البشرية في العصر الحديث إذن تسأل : كيف اتينا الى هذه النتائج المتناقضة ؟

إن هذا التغير مضر ، مادام أنه قد

تم من غير نظر صادق في حقيقتنا

قد يمكن ان نهي عن هذا السؤال جوابا بسيطا ساذجا ، فنقول : إن المدينة الحديثة قد تحرّجت وارتفعت دائما ، لاتها لا تواننا . ذلك بان قواعدها قد اقيمت من غير نظري حقيقة

طبيعتنا أو معرفة بها، وانها وليدة نزوات الكشف العلمي، وشهوات الناس وخيالهم ونظرياتهم ورغباتهم. فهي على الرغم من انها قد شيدت بمجهودنا، قلنا خلقت بيدة عن ان تكافئ منا الحجم والشكل

والظاهر الجلي ان العلم لا يتبع طريقاً مرسوماً او خطة معينة. أنه ينمو بخط عشوائي. وأوجه تقدمه رهين حالات انشاقية، الفضاء الصرف مصدرها، والقدر الاعمى منبها. مثل ذلك ميلاد الباقرة ذوي الكفايات، وتكوين عقولهم، والانجاء الذي توجه اليه قوة التطلع فيهم. وكل هذا لا يقع انبعاثاً مرغية في تحسين حالات الانسان. فإن المكتشفات التي أحدثت المدنية الصناعية إنما جاءت تبعاً لما قلب على مشاعر العلماء وميولهم من الاهواء، والظروف التي أحاطت بمشجباتهم. فلو أن غيليو ونيوتن ولافاوا به كانوا قد صرفوا قواهم العقلية الى درس الحجم الحي والوعي، اذن لكنت دنيانا غيرها الآن. فان رجال العلم لا يدرون في اي طريق هم مسوقون. انهم انما قودهم للمصادفة والتفكير البلوي، وبالحرى ضرب من الكشف القمي — clairvoyance : ان كلاً منهم بمنزلة عالم برأسه، له ستة التي تحمكه. وبين الفينة والفينة ينجلي لهم من الاشياء، ما يظل غامضاً على غيرهم. وعلى الجملة زبد ان نقول إن المكتشفات إنما تأتي عفواً من غير تقدير للتأثير التي تترتب عليها. على ان نتائجها قد أحدثت في الدنيا انقلاباً بالناً، صور حضارتنا في الصورة التي نشهدها

انتقينا من تلك الثورة العلمية الضخمة أجزاء بينها. على ان اعتبارنا لتلك الأجزاء لم يكن حليف التطرفي ما نحتاج اليه الانسانية من المصالح العليا. لقد اتبنا في الاختيار انجهاً أملته علينا ميولنا الطبيعية. ان العوامل للسيرة التي أدت الى نجاح المخترعات الحديثة في حضارتنا قد ترجع في حقيقتها الى مبادئ تطلق بها الانسان هي: الحصول على الراحة والرضا ينزل ما يمكن من الجهد، والجذل الذي تحدته السرعة واختلاف المناظر، مضافاً الى ذلك حاجة الانسان الى التخلص من ذات نفسه بعض الاحيان. ولكن قلنا سائل أحد قسه: كيف يستطيع ان يواجه عوامل الاستسراع التي اتاهت ألفة الحياة وانسجامها، تلك العوامل التي تجعل مظاهرها في سرعة الانتقال والمبرقة (التلفون) والمسرعة (التليفون) وأساليب التعامل الحديثة، والآلات الكاتبة الحاسبة، بل وجميع تلك الاجهزة التي تقوم الآن بأعمال المنازل الحديثة. فان النزعة التي حملتنا على استخدام الاجهزة الحديثة، كالمطارات والسيارات والحجالة والمسرعة والراديو، والتي ستمثلنا في القريب الماحل الى استخدام المرناة Television هي في حد ذاتها نزعة طبيعية، أشبه بتلك التي حملت أباءنا في ظلام القرون الاولى، على ان يكفوا على تماطي الحمر. فلننازل، الدقة بالبخار والتور الكهربائي والمراقي elevators وذيوخ الاغذية الكيماوية والتزام حدود

أدوية خاصة في الحياة التناسلية ، عامة ذاك لم يقبله الناس إلا لأنها مخترعات بحية الى النفس ، محلبة للرضا . ولكن لم يلتفت أحد الى شيء مما لها من الأثر المحصل في الخلائق البشرية



في تنظيم الحياة الصناعية لم يلتفت الى شيء مما يعمل من التأثير الوظيفي والعقلي في حياة العمال . فالصناعة الحديثة قائمة على قاعدة - « أكبر تاج بأقل نفقة » - حتى يتمكن فرد واحد أو مجموع من الافراد من كسب أكبر مبلغ يمكن كسبه من المال . ولقد نمت هذه الطريقة ونشبت من غير ان نساور انساناً فكرة ما في طيبة الخلائق البشرية الذين يحركون الآلات ، ومن غير ان يؤهب بالتأثيرات التي تنتاب الافراد ، وبالتبعية اعقابهم ، من طريق ذلك الاسلوب المصطنع الذي تفرضه حياة العمل عليهم فرضاً . كذلك شيدت المدن العظيمة من غير ان يحسب حساب الخلائق التي تسكنها . فالطرحات Sky-scrapers بصورها الدنيمة وجسومها العظيمة لم تلم على فكرة الحصول على أكبر ايراد ممكن من كل قدم مربعة من الارض ، وتزويد ساكنيها ، أصحاب مكاتب كانوا أم طلاب إقامة ، بأماكن يرتاحون اليها ويأمنون بها . وكان هذا سبباً مباشراً في إقامة تلك المباني المطرقة العظيمة ، التي تزدحم بعدد كبير من أبناء آدم . وأبناء المدينة الحديثة يألفون هذا الاسلوب من الحياة . وبينما هم يمشون بمباهج هذه الحياة وزخارفها التي تحوطهم في مساكنهم تلك ، يفسنون أنهم قد جردوا من حاجيات الحياة . فان المدن الحديثة انما تتألف مما يشبه الاغوار السحيقة القائمة جنباتها حفاقي شوارع مظلمة ضيقة شاع فيها لهب التزولين و تراب الفحم والغازات المسيسة ، وقطعت فيها جلبة السيارات والبريات والزام ، وازدحمت على غير اقتطاع بمباهج غفيرة من الناس . والمدرّك من هذا جميعه ان المدن الحديثة لم تُشَد بحيث تتفق مع الخير الذي يشهده سكانها

ان حياتنا الحديثة تتأثر الى حد بعيد بالاعلانات التجارية . ذلك بأن اذاعة هذه الاعلانات لم يلحظ فيه مصلحة المستهلك ، بل منفعة المعلن . ومثلاً على ذلك ان الجمهور قد لقن ان العيش الايض خير من العيش الاسمر . فطق تجار الدقيق يمنون في نخلة المرة بعد المرة حتى نجبرّد من كل عناصره المفيدة . وبذلك استطاع تجار الدقيق وأصحاب الحماز ان يحصلوا على أرباح أعظم مما كانوا يربحون ، في حين ان المستهلكين قد انحطت قيمة غذائهم ، وان اعتقدوا انهم انما يأكلون غذاءً أرفع من غذائهم الاول . وقد اقتض ان الامم التي يؤلف الحزب غذاءها الرئيس ، مضت تدهو وتصحط . والحصل ان اموالاً طائلة تنفق على الاعلان . فكان من نتائج ذلك ان مقادير عظيمة من المتوجات الغذائية والصيدية ، منها ما هو غير مفيد ، ومنها ما هو مضر ، قد أصبحت من الحاجيات التي يكف عليها الانسان المتسدين . وبهذا نجد ان طوائف من ذوي الطمع والجفع

قد استطاعوا بطرائقهم الخاصة في دفع الجماهير الى استهلاك سلهم التي يعرضونها للبيع ، ان يحددوا اثرًا بالغًا في حالات العالم الحديث

ومع هذا فان الدعاوة التي توجه طرائق عيشنا في الحياة الجديدة ، لا تخضع دائماً لبواعث الأناية . ذلك بان الظاهر من طبيعة تلك الدعاوة أنها بدلاً من ان تتجه الى فائدة الافراد المالية او قائدة جماهير منهم ، فانها في الاكثر تربي الى النفع العام . غير انها الى جانب هذا قد تكون بالغة منتهى غايات الضرر والفساد ، إذا هي صدرت عن اشخاص تصورهم ، الذي كوثهم عن هذا السكان البشري ، ناقص او خاطيء . ولتضرب لذلك مثلاً : فان اطباءنا اذ ينصحون بالترام ضرور خاصة من الطعام ، وكثيراً ما يضلون ذلك ، يزيدون الاطفال تساوياً في الغناء ، وبدل فعلهم في مثل هذه الحال على انهم ولا شك يجهلون الموضوع الذي يالجونه ، فهل الاطفال الذين هم اكبر حجماً أو أكثر قفلاً ، اصلح من اولئك الذين هم اصغر حجماً أو أخف وزناً ؟ فان الذكاء والنشاط والهمة والقدر على مقاومة الامراض لا توقف على وزن الجسم او كبر الحجم ، أو ما يجري ذلك الجري من الصفات . ومثل آخر تقتطع من معاهد العلم . فان التعليم الذي تهرسه المدارس والجامعات انما يعني غالباً بتدريب الذاكرة ومراعاة الضلالت على نمط اجتماعي خاص ، يُسلم حتماً الى شيء من النصف النفسي ، يجعل في عبادة الرياضيين ، فهل مثل هذه التنظيمات مفيدة لرجال العصر الحديث الذين هم أحوج ما يكونون الى الاثزان العقلي واثبات الاعصاب والحكم الصادق على الاشياء والهمة والشجاعة الادبية وقوة الاحتمال ؟ ولقد تساعل لماذا يتصرف رجال الصحة تصرفاً للتشكين بان الانسان عرضة لان يصاب بالامراض المعدية وحدها ، من غير ان يفكر في أنه الى جانب هذا معرض الى الاضطرابات النفسية والعقلية والى ضعف العقل بصورة عامة . ومن هنا نرى ان الأطباء والمعلمين ورجال الصحة ، ولو أنهم يعملون جهدهم رايعين الى خير الانسان ، قلوبهم لا يصيبون الفرض الذي يسعون اليه . ذلك بانهم يمالجون مقدمات لا تتضمن من الحقيقة الا جزءاً ضئيلاً . وقد يصدق هذا الحكم على كل اولئك الذين يستغيثون بمولهم واحلامهم ومذاهبهم عن تلك الحقيقة الجامدة التي ندعوها الانسان . وما هؤلاء غير نظريين يحاولون ان يقيموا مدببات لا تلائم ضد الواقع غير صورة مشوهة ممسوخة من الانسان ، لا الانسان على حقيقته . والذي لا شك فيه ان أنظمة الحكومات التي تقوم في ادمغة اصحاب المذاهب الاجتماعية من غير ان تكون اصولها مستمدة من الحالات الراحنة ، اشياء مددومة القيمة هزيلة الوزن . فبدأت الثورة الفرنسية ، واوهام ماركس ولنين ، إنما تصلح لنوع من البشر خيالي لا حقيقة لوجوده . ولذا أقول أنه من الواجب أن تؤمن بأن السنن التي تحكم الصلوات الانسانية ما تزال مجهولة حقبة ، وإن لنا ان

نقضي الى جانب هذا بأن علمي الاجتماع والاقتصاد علما نطنان حديسيان، وبالطري علما كاذبان لهذا نقول ان المحيط الذي تملون العلم والفن الصناعي على تولونه ونجحنا في خلقه ليكون للانسان مباءة، محيط لا يوائم الانسان، ذلك بأنه شديد اعتباراً، من غير نظر في حقيقة ذاته

٦ —

حاجتنا الى معرفة

أوفى بحقيقة ذواتنا

والمحصل : ان علوم المادة الجامدة قد أحرزت تقدماً عظيماً في حين ان علوم الكائنات الحية ظلت بدائية . فان بطء التقدم الذي تألسه في علم الاحياء — Biology — إنما يرجع الى الجالات المحيطة بالوجود الانساني والى تعقد ظاهرات الحياة والى الصورة التي انصب فيها ذكؤنا، وهو ذكاء يميل بفطريته الى الأبنية الآلية والى الرياضيات المجردة. ذلك الى ان تطبيق المكتشفات العلمية تطبيقاً عملياً قد قلب الآلية في عالمي المادة والعقل . وكان من جراء ذلك الانقلاب أن حدث تأثير عظيم الحظر على حالات الحياة . أما اخطر ناحية من نواحي ذلك الانقلاب فتعصر في أنه استحدثت من غير نظر او اعتبار لطبيعتنا . فان جهلنا بأنفسنا قد أوسع المجال لعلوم الآلة والطبيعة والكيمياء تلك القوة التي مكتبتها من ان تكيف نكيفاً أعمى انماط الحياة التي أليقها أسلافنا

والحقيقة ان الانسان ينبغي ان يكون المقياس الذي يقاس عليه كل الاشياء . وبالرغم من هذه الحقيقة وعلى عكس ما تقتضيه تماماً ، يعيش الانسان غريباً في هذا العالم الذي خلقه من حوله . لقد عجز الانسان عن ان ينظم دنياه ، لانه لا يملك المعرفة العلمية بحقيقة طبيعته . فكأن التقدم العظيم الباهر الذي حازته علوم المادة الجامدة وبذت به العلوم ذوات العلاقة بالكائنات الحية ، من أعظم الكوارث التي اتت بالانسانية . والمحيط الذي أبدعه ذكؤنا وتلك المخترعات التي اخترعنا ، قد أثبتت أنها غير ملائمة لنا من أكثر الوجوه . نحن إنما نلهم بأننا نساء ، واما تتعدد أدبيات وعقلياً ، وتلك عشاير الانسانية وأممها التي بلغت فيها المدنية الصناعية أرقى مبالغها ، هي بذاتها العشاير والامم التي ترى انها آخذة في أسباب الضعف شيئاً بعد شيء ، بل انها العشاير والامم التي تلحظ ان رجوعها الى الهيمنة سريع وشيك . غير انها لا تفهم بهذه الحقيقة . انها تعيش غير محمية من أثر البيئات المادية التي كوَّنها العلم من حولها . والواقع ان حضارتنا ، كالحضارات السابقة ، قد خلقت حالات أصبحت معها الحياة ، لاسباب ما تزال غامضة ، أمراً يكاد يكون مستحيلاً . فان متاعب أهل المدن الحديثة وشقاوتهم، إنما تعود الى نظاماتهم السياسية والاقتصادية ومساوهم الاجتماعية ، وفوق كل هذا ، الى ضعفهم الذاتي . وعلى الجملة نلهم أننا ضحية لتأخر علوم الاحياء وسبق علوم المادة عليها

اما العلاج الاوحد لهذه البيئات فاستباقا في المعرفة بحقيقة ذواتنا . فان استباقا وفتحنا في هذه المعرفة سوف يمكننا من معرفة وسائل الحياة الجديدة التي تؤثر في وعينا وفي جسمنا . وبهذا فقه بأي سبيل نكتف اتقنا بحيث نلأم بيئاتنا وكيف نبدل هذه البيئات ، إذا ما أصبح قلب فظلمها وأسسها ضرورة محتومة . واتا باستظهار طبيعتنا الحقيقية وكفاياتنا والطرق التي نعمل بها هذه الكفايات قوة ذات اثر واضح في الحياة ، نستطيع ان نجلو نواحي ضعفنا الوظيفي ونستبين حقيقة امراضنا الادوية والعقلية . اتا بغير الاستباق في درس علوم الاحياء لنسجز عن معرفة السنن التي تحكم أوجه لفظنا الضوي والروحي ، كما لنسجز عن ان نعرف ما يجب ان نتكلم وما ينبغي ان تقبل عليه من أشياء الحياة ، او أن نحقق على الاقل مدى حرقتنا في ان نحور من بيئاتنا أو اتقنا بعض اختيارنا

ان حالات البقاء الطبيعية قد حطمتها الحضارة الحديثة . وهذا ما يجعلنا لغير شعورا عميقا بأن العلم بالانسان قد أصبح أسس العلوم بكيئاتنا

في الادب

قال الطراني في ولده له واقاه على كبر :

هذا الصغير الذي أوفى على كبري	أفر عني ولكن زاد في فكري
واقى وقد أبت الايلم في جسدي	ظلماً كلتم الليالي دارة القمر
والشيب أردف مسوداً بمقتل	واللهر أعقب منصافاً بمسطر
سبع وخمسون لو مررت على حجر	لبات تأثيرها في صفحة الحجر
فزاد حرصي على الدنيا وجددي لي	ضراً بمالي واشفاقاً على عمري
أضوى عليه وأخشى ان ياحلتي	يومي، ولم أقض من تشريحي وطري
وأغتمني أن أراه وهو مقبل	غض الإهاب خضيب الوجه بالهر
أحي مآثر آبائي وأشبههم	في مجدهم، واقفي في هديي أنري

زواج الاقارب

أضاراً هو أم نافع

للمركن - يعني نر

مسألة الزواج بين الاقارب وما قد يسفر عنه هذا الزواج من اولاد أصحاء أو أعلاه ، مسألة شغلت عقول الناس من قديم العصور . وهي مسألة معقدة لان المرء يميل على الغالب الى الحكم حكماً قاطعاً في الموضوع وفقاً لحادثة استوقفت نظره أو مراعاة لبعض القواعد الدينية . ولكن إختلاف النسل السليم القوي غذا في عصرنا مشكلة كبيرة الشأن . ولتلك أصبح لم اصلاح النسل مكاة عظيمة في دوائر العلماء والعامه على السواء . والنتيجة التي خرج بها العلماء من بحوثهم وتجاربهم هي ان الزواج بين الاقارب لا خطر فيه ولا خوف منه اذا كانت الاسرة التي يتم الزواج بين افراد منها اسرة سليمة

ولتضرب على ذلك بعض الامثال : هوذا شاب يريد ان يتزوج ابنة عمه . فاذا دل البحث الدقيق على ان الاسرة سليمة من الصوب الوراثية ، فليس ثمة ما يفترض به على هذا الزواج من الناحية العلمية والصحية . بل على العكس من ذلك ان العلم يرى في هذا الزواج خيراً كبيراً يتجلى في صحة الاطفال التامة . او خذ مثلاً آخر . يريد اثنان من أسرة واحدة سليمة ان يتزوجا . ولكن في هذه الاسرة أفراداً مصابون بمحسر النظر (ميوبيا) وهو عيب غير بارز فلا يسترعي النظر لان كثيرين من المعايين به لا يستملون النظارات . ففي هذه الحالة يستهدف الاولاد — ثمرة هذا الزواج — لخطر الاصابة اصابة شديدة بمحسر النظر لانهم يرثون الاستعداد لهذه الاصابة من آبويهم

ولكن اذا تزوج أحد شبان هذه الاسرة فتاة من أسرة أخرى غير مصابة بمحسر النظر بل بالبول السكري ، ففي هذه الحالة يقل خطر الاستهداف للاصابة بمحسر النظر لان الجراثومة الحاملة لهذا العيب تنتقل الى العقل من ناحية واحدة هي ناحية الوالد . وعلى قدر ما يستهدف

الطفل لخطر الإصابة بحسر التنظر، يستهدف كذلك لخطر الإصابة بالبول السكري لان أسرة الأم مصابة به. وليس في هذا ما يمنع ان يصاب الطفل بحسر التنظر او بالبول السكري. ولكن الترض لخطر الإصابة بأحدهما قليل. واذن يصح ان نقول ان زواج الاقارب، اذا كانوا من أسرة سليمة من السيوب الوراثية، لا خطر فيه على الاولاد والعلماء لم يصلوا الى هذا الرأي على أساس التأمل النظري، ولكنهم خلصوا اليه من تجارب ممتدة واسعة التطاق

ففي ألمانيا بمدينة قصر روزلشتين على مقربة من مدينة شتاتارت يعيش فريق من الانباغ الاقطاعيين البيض وقد مضى عليهم مائة سنة وهم يتزوجون حتى غدت صلات القرابة بينهم وثيقة جداً. وليس ثمة ما يحجز لنا ان نقول إنه يبدو عليهم أقل دليل من ادلة الانحطاط او الحؤول البيولوجي. وفي سنة ١٨٦٤ نقل الى انكلترا ثلاثة من الانباغ الاقطاعيين من زبنة الجديدة فنسلوا في ٦٤ سنة ستة آلاف خالين جميعاً من آثار الحؤول. ثم ان الحياض الشهب في فردريكسبورج تولدت من ثمانية جوارير وثلاث عشرة أصيلة. وهي مشهورة بصفتها الممتازة على الرغم من التزاوج بين نسائها

وكانت الشريعة تقضي على ملوك « الانكاس » بأن يتزوجوا شقيقاتهم. فلما تغلب الاسبانيون عليهم في أميركا الجنوبية كان ملك يرو أحدهم خلفاً لاسلاف يسترق تاريخهم الف سنة ومع ذلك كان سليماً. أما انه عجز عن مقاومة الاسبانين فلا دخل له في الامر وما لنا وللأصحاء على الشواهد البعيدة وعندنا في تاريخ مصر القديمة ما يكفينا حيث كان زواج الملك بصفقته اجبارياً. ولم تكن هذه القاعدة مما يتميز به الاحيان بل كان عادة شائعة في جميع طبقات الشعب

ومع ذلك لا بد من ان نقول ان الامر السليمة من السيوب نادرة الندرة كلها واذن لا بد من اتخاذ الحيلة الكاملة عند التنبؤ على عقد زواج بين قريين لصيقين. ونحن نعير الى هذا عناية منا بالصحة الخاصة والعامة وسلامة الاطفال من السيوب الوراثية، وهذا يفسر عناية بعض الحكومات الاوربية بإنشاء عيادات طبية خاصة حيث يتي الاطباء المختصون بتتبع الخطيئين في هذا الموضوع الخطير واطلاعهما على ما يجب ان يظلموا عليه. وما يؤسف له ان مصر لم تفتش حتى الآن عيادات من هذا القبيل

الدستور

والروح الوطنية

لنيسيس المقدسي

استاذ الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية

عما ذكرناه آنفاً يتضح ان ما تدقق به الشعر الدستوري من عواطف الجبور والتهليل راجع بالاكثر الى ما نشأ في قوس الثمانين عموماً والعرب خصوصاً من ايمان ثابت بإخلاص الدستوريين ورجاء حيٍّ بحسن المصير. فكنت ترام على شبه يقين من انهم أصبحوا ابناءً لدولة عظيمة تحبهم وترغب في تقدمهم

ذلك الايمان وذلك الرجاء بنا في الشرق العربي روحاً جديدة أيقظت القلوب وأضرمت فيها الشهور بالنفخ والكرامة القانية فألبست الادب خلافاً قديمة من الجمال. وقد ظهر ذلك في مظهرين رئيسيين هما الاعتراز بالوطنية، والدعوة الى الاتحاد القومي: واليك البيان عما احتبرناه بأقننا وعرقناه من احتبار الآخرين

﴿ الاعتراز بالوطنية ﴾ أشارنا في فصل سابق الى ما كان للحرب الروسية اليابانية ١٩٠٥ من أثر في تخدير الشرق العربي بروح الكرامة الشرقية. وقلنا ان ذلك لم يكن الاً سبباً تمهيدياً لحركة أعمق وأوسع نطاقاً. وقد بدأت هذه الحركة فعلاً عقب إعلان الدستور. وسرى كيف تطورت مع الزمان. وكيف تغيرت أشكالها في شتى البلدان

ولا يخفى ما كان للاجانب في السلطة الألمانية من قود سياسي واقتصادي وفكري. فهم أصحاب الامتيازات وفي مساهدم نشأ سواد المتلعين، فلا بدع ان يتولد في قس الشرقي ازاؤهم ما يسميه علماء النفس بالصغار الذاتي^(١)، حتى صار عند الجمهور كل شيء غربي أفضل من كل شيء شرقي، تاجرهم أصدق، وطلمهم أعلم، وصانهم أحق، بل وعصرهم، أشرف وأرقى. وجرى ذلك بين الناس في الشرق العربي وألفوه حتى صار جزءاً من كيانهم النفسي. على ان النهضة العلمية أخذت منذ القرن الماضي تسيل على إضفاف هذا الشعور، فنشأ بين المفكرين من آثار على الصغار

الذاتي» حرباً شواءاً داعياً الناس الى احترام النفس واكرام الوطن . كقول أحدهم^(١) « كيف تؤمل نجاح صناعتنا وتأخر صناعتهم في بلادنا حال كون كل عربي يمدح صناعتهم ويطن في صناعة بلاده ، ويفضل ما كان أفرنجياً مهماً كان » . وقد نظر الكاتب هنا الى الوجهة الاقتصادية وهاله أن يرى تأخر الوطني لتأصل فكرة سقيمة فيه . ومنهم من نظر الى الوجهة الاجتماعية او الروحية فآلمه أن يرى ما يسود الناس من اعتقاد بأفضلية الغربي وهوقه القطري على الشرقي . فقال^(٢) « أم لا ترى أنك لو ضيقت بأمر قومك عنايتك بالاجنبي قوم بأمره ، وتولع بشكره ، لما لبثت أن ترى منهم من يبلغ شأوه وإن كان رقيقاً ، ومن يدرك سبه وإن كان سريماً »

وعرف الثريون ذلك الشهور في الشرقين فاستلوه بل عمادوا في استغلاله حتى صاروا لا يتورعون عن التشايع على بني الشرق وامتهانهم في عقد دارهم . فمن الطبيعي أن يولد ذلك في نفوس الأباة من الشراء والكتابة « رد فعل » يظهر في منظومهم ومشورهم كآثر في قصيدة الزهاوي قالها قبل الدستور ومنها^(٣)

كفى الغربُ غفراً أنه متقدم	وان له مالا به يتم
وان له في البر جيشاً عرمرماً	يمائله في البحر جيش عرمرم
ترقى فلما اشتد ساعده عتا	وبات يفيض الشرق والشرق يكظم
يطبل على اجحافه بحقوقه	سكوتاً كأن الشرق ليس له قم
فيا أيها الغرب المدلل بنفسه	رويدك ما هذا النور المذمم
أزعم ان الشرق بليت صاغراً	أملكك منصوباً وأنت المكرم
وتبقى عليه هكذا متسيطراً	تص دم الاموال منه وتهضم

والقصيدة حوالى ثلاثين بيتاً وكلها على هذا النسق من البرم بهذه الحال ويتخللها نغز بلاضي وأمل بالمستقبل . وظل الامر كذلك الى اوائل القرن الحالي حين أخذت الحضارة الجديدة تمس البلاد وحين توفّر الشرقيون على دراسة العلوم الحرة ، فرفقوا ما لهم وما عليهم . وكبرت قوسهم فصارت الطبقة المثقفة منهم تفسر بوجودها ، فيسوّها ما تراه في الوطن من اثره اجنبية وتحاول القضاء عليها بفتح الوسائل ولا سيما باحياء الروح الوطنية . على انها كانت تصطدم بالامتيازات الاوربية . وفيت في عضدها خنوع الدولة للاجانب وجهل العامة معنى احترام النفس والوطن . وقد زاد الطين بلة تلك الثورات الطائفية وما ولدته من ضغائن وخاوف ، مما فتح الباب لتدخل الاوربيين بحجة حماية الاقليات ، وبالتالي لازدياد قوادم الروحي والسياسي وشيوعه في جميع انحاء الشرق

(١) سليم البستاني بحالي النور (١٩٠٦) ١٠٠

(٢) أدب اسحق في الحرر ١٤٨ (٣) ديوانه (١٩٢٤) ٢٩٣

فلما أعلن الدستور وارتفع الضغط المضني عن اللسان والصدور، اتفقد الشعور الوطني اقتاداً لم يهد من قبل واخذ الادب العربي يتنسى بالقومية قنياً غريباً اشتركت فيه جميع الناصر والطوائف. ولما كانوا يفرقون يومئذ بين الكرامة الشرقية والكرامة الثمانية، بل ذهبوا الى ابعاد من ذلك في حماسهم الدستورية فقبلوا للاجانب ظهر المحن ورفضوا الهلال الثماني الى اوج التعظيم

وقد كان شيء من ذلك قبل الدستور ولكنه لا يقاس بما وصل اليه بعده والنين ادر كوا ذلك الهد لا ينسون قط تلك المحبة القومية التي كان لها في قوس الشبهة قبل للسكرات قائماتهم حتى نسوا مساوىء الهد السابق، واطلقوا لاقلامهم وألستهم النان فخرت في هذا المضار جري السوايق. فلا تسترب اليوم اذا فرأت لاحد ادباء يروت المسيحيين الاصلاحين قوله من خطاب القاه في الاسكندرية (١) :-

« لينتج الثمانيون فقد نشر الدستور، وجاء اليوم الذي ألم فيه شعث الامة الثمانية وثلاث أعضاءها، وتأخت اجزاؤها. فكلنا بنعمة الدستور عثمانيون — عثمانيون لا نعرف غير هذا القلق لئلاً، ولا نتخذ سواء لئلاً. عثمانيون قبل كل شيء. عثمانيون طول الحياة. عثمانيون مذهبنا الحرية وشعارنا الوطنية ونفرتنا الراية الملهالية وملجأنا الدولة العلية»

ومثله ما جاء في لسان الحال من اقتناحية (٢) :- « قال الكاتب يصف حالتنا الاجتماعية والروحية قبل الدستور ويقابلها بما صارت عليه بعده — « لم يكن حالتنا حال المريض فقط. بل لا نجازف اذا قلنا اننا كنا قد بلغنا حال المحتضر. وطال هذا الدور (اي دور الاحتضار) الى ان اتانا اللريق فشعثنا من عقال الحول ووثينا وثية الاسد من العرين » وبعد ان يصف هذه النهضة يشير الى علاقة الوطنيين بالاجانب فيقول (وهو من المروفين باعتدال المنهج) — « وسيرى الغريب من الفرنجة وغيرهم كيف يباد مجد الامم ويمجدد حياتها بقوة افراد رجالها » وقال احد الكتبة المسلمين (٣) واصفاً ما كانت حماسه الدولة من السياسة الاوربية — « ان الدول كانوا يواصلون الضغط على جسم المملكة الثمانية ويضاغفون السبي لايقاع الشلل في عروقها الكثيرة الشعب. ولكن قضى ربك ان يرد كيد اولئك المتساقين الى شمس هذا الجهم المتضعضع الى محرم، وتعود الثمانية بفضل الدستور قوية الشكيمة تحف في وجوههم وقفة الرثبال لا جزة ولا فزة »

وعلى هذا النوال نسج كثير من المقالات والخطب وكلها تشير الى ما كان يملأ القوس من

(١) خليل زيبه جريدة الثبات ١ عدد ٦ (٢) عدد ٢٦ (تشرين اول : اكتوبر) ١٩٠٨.

(٣) طه المور في لسان الحال ٢٢ شباط (فبراير) ١٩٠٩

القيمة على الاجانب او على الاقل من الامل بهوض الدولة فيسترد اياؤها (الترك والعرب على السواء) بخدم الغار ولا يضطرون بمد ان يقفوا امام الاجنبي وقفة الضيف امام القادر اما الشعر فحدث عن اقصاءه الوطني ولا حرج . فيه اغتركت جميع الاقطار العربية والمهاجر حتى لبنان فانه برغم استقلاله الذاتي ورغم اتجاهه نحو الغرب علقته به شرارة من ذلك الالهيب فكان من اياته في الوطن والمهجر شعراء يهزجون بتعظيم الانقلاب والاستبشار به ، ويللون للعرش الثاني وابطال الحرية . ومن اراد الاطلاع على ما قبل في هذا الباب فليرجع الى الصحف العربية في المابين ١٩٠٨ و ١٩٠٩ ^(١)

وعلا ريب فيه ان الشعر الدستوري في الستين المذكورين مفعم بروح التفاؤل شديد الحماسة للكرامة الشرقية والجامعة الثمانية . سواء في ذلك المسيحي والمسلم ، انانهم على سياسة عبد الحميد او غير انانهم . ومن امثله هذان البيتان لسعيد شقير من قصيدته المار ذكرها —

لا زلت يا حبيبتنا نقرأ لامتنا وحفظ اعلامك الاعداد والقب
زق المائي وتركنا لنا وطن للغز والمجد فيها نرفع القب

والايات التالية من قصيدة للدكتور نقولا فياض ^(٢)

يا بني عثمان انا امة
سعيد العدل تاريخنا لكم
في حمى جيش عزيز بلسلر واسع النعمة كشاف النعم

وبعد ان يصف حماة البستور الاحرار وافاضهم المحيدة وخوالج الامة يلتفت الى الغرب وعلاقته بتركيا فيقول : —

قل لاهل الغرب هنا حسبكم ان للترك باسا وكرم
حرروا الشرق وذي افاضهم جدت صبوته بمد الهرم

وكانه يرى ما كان يراه كثيرون من الاجانب سبب التفريق بين الشرقيين فيقول : —

ولمن يطعم في قمرقما كان لتفريق عهد وانصرم
غير دين الحب لا دين لنا نحن في البؤس سواء والنعم

ولعل الايات التالية تمثل زروات الشباب الوطنية عهدئذ وعصيتهم الشرقية النائرة . وهي من قصيدة تليت يوم افتتاح « المبعوثان » (البرلمان النماني) ^(٣) وتصف تألم الشرقيين من غطرسة الغربيين وشعورهم ان العهد الجديد سيضمن للشرقي حقوقه وكرامته . تبدأ بذكر

(١) راجع خصوصاً الشرق (بيروت) (٢) راجعها في مجلة الهلال ١٧ — ٨٧ (٣) للكاتب سنة ١٩٠٨

ما كانت عليه مصر وسوريا وما كان يمانية أباة الضيم فيها وفي سائر الاقطار العربية من صلف الاجانب حتى يحمل التناظم شعوره الى قوله: —

أترضي القتل من أيدر قبيلها كأنها للهدى والدين منضم
ومن تحفر في القطين سيدنا ونكرم الزعق السلوك بينهم
دلاسى في دم ابن الشرق قاتلت أهله لا همم فهم ولا شيم

ويتقدم من هنا الى ذكر الانقلاب الدستوري وانثاق التور الجديد من العرش النباني وان هذا التور سيجلو ظلمات الهوان عن البلاد وسيبرطهم بما رابطة الوطنية الحقة والولاء لصاحب العرش: ثم يلتفت الى الغرب فيقول متحسداً

لنقى من التبيل للدانوب متقد الى العراق الى البحرين ملهم
ان بكرمونا قان الشرق بكرهم او يحقرونا قان الشرق متهم
ومما يلاحظ ان هذه الحماسة كانت شديدة الاتقاد في شعراء المهاجر. كقول أحدهم^(١)
حسب الغرب حبة الشرق نوماً ورملها بأنها وهبته
كذب الغرب ان في الشرق قوماً يشفان الصمام شقوا الدج

وليس ما قدمناه إلا نماذج قليلة من الشعر الوطني الذي أنشأه الامل الدستوري في الاوساط الادبية المسيحية، فاقولك بالاوساط الاسلامية وما نشأ فيها من حماسة شعرية وما أثارته من عواطف قومية والمسلمون عموماً أكثر ميلاً الى النبانية وأشدّ قوفاً من السيطرة الاجنبية ومن الخطأ القادح ان يساء الظن بتلك العواطف الوطنية وان يقال انها لم تكن الا من قبيل التزلف والداحنة. قد تكون عواطف متختر او سكران ولكنها كانت يومئذ مخرج من قلوب كان كثير منها طامحاً بالامل والاخلاص. واليك تركية لذلك قول أستاذ عرف يمد نظره وترويه في الامور. فقد نشر له للمتلف خطبة اختارها من بين كثير من خطب ذلك العهد اذ رآها من أدل ما أثنى، في وصف تلك الحالة^(٢). وقد جده فيها وصف دقيق لحالة النبانيين قيل الاستور كقوله: — «كنا منذ بضعة أسابيع والصدور خائفة بما فيها. والتفوس واجمة من هول ما ترى من موقتها، والقلاء الزهراء لا يدرون ماذا يصنعون ولا ماذا يقولون. وكما أطيقت عليهم السماء أو سدّت عليهم منها منافذ الرحمة. وبيننا نحن في هذه الظلمة المدلّمة وفي حال من اليأس والتفوت ما شهدنا مثلاً ولا آبلؤنا الاولون سطح علينا بته نور القانون الاسامي فأشرقت على آثاره شمس الحرية الشخصية والحرية القومية والحرية الفكرية الادبية»

(١) أدب القرن التاسع عشر، ص ١٧٣ — (٢) المتلف ٣٣ — ١٩٠٥ للاستاذ جبري حرموط

ثم يتقدم الى شرح معنى الدستور وتأثيره حتى يصل الى قوله — « ترون بما ذكرته في بيان حقيقة الدستور اني لا أرى ان أفرحنا به صيانيات ثافية . ولا احتفالاتا ومظاهرنا الخارجية تكريماً له ولحماته نهوسات ضارة . بل هي مهما بلغت مع التقصد والحكمة قليلة في جنب أهميته ومقدار قيمته . وأي قيمة أعظم من قيمة الحياة — حياة الفكر والقول والعمل المشروع للفرد ، وحياة العزة والقوة والتوازن والاستقلال والاستبسال للامة . فمن أراد الحياة فليقل ليجي الدستور الثماني والقائمون به ومن أراد للموت موت الفلّ والصغار والاستبعاد فلا رحمة الله . ولجيت هذا الشخص من بين جماعة الثمانيين الحرّة »

وقد شعر الاستاذ كما شعر أكثر العقلاء يومئذ بطفان ذلك التيار الوطني وخشي كما خشوا ان يقود الى التروور والهوّر او ان يستغلّه أهل المال رب فتاغد الناس قائلاً « دعوا التسرع فان تسرعكم لا يفيدنا الآن وان كنتم أخلص المخلصين وأخير أهل النيرة الحقة على شرف الثمانية ومصلحة الثمانيين . انا في حاجة الى المخلصين أصحاب العلم والخبرة الذين قبل ان يقولوا يفكرون ويتروون ويمد ان يقولوا يفعلون كما يقولون . مثل هؤلاء تطمئن اليهم قوسنا ونسلم اليهم قيادنا وتدبيرنا » ومن ظواهر الاعتراف بالوطنية في ذلك الحين تلك الفارات الشواء التي شها الشعراء على بعض الدول الادوية لتسديها على بعض الممتلكات الثمانية وضمانها نهائياً الى املاكها . كما فعلت النمسا بالبويسنة والمهرسك . واليونان بكريت . ثم ما فعلته ايطاليا بطرابلس الغرب : فكان شعراء العربية على اختلاف فطهم ومنازهم يدأ واحدة على الممتدين . وكان شعرهم غالباً كالبهر التائر يري صفور الشاطيء بالزبد الصاخب . كقول الشاعر اللبناني من قصيدة وطنية (١)

ألا من يبلغ النمسا كلاماً لسجّلته ونورته البينا
بان جهودها كانت سراهاً وكان ودادها (بلقاء) سينا
فلا تحمد السنون الى التصافي سيبلاً ما تماقت السنونا
او النمسا تكفر عن ذنوب جنبها فاعتدت طاراً وهونا
أحسب جارة الدانوب أنا نذلّ لثلها ابدأ حيننا

ولا ريب ان الشاعر كان في هذه الايات يبرر عن الشعور العام في المملكة الثمانية ، وقتها خطر يومئذ ياله ان « جارة الدانوب » ستصح عن قريب حليفة الدولة الثمانية في الحرب العالمية . وفي حادثة كريت كان من خمسين الثمانيين عموماً ما حل شاعراً لبنانياً آخر على نظم قصيدة بدوية التزعة ومنها (٢) : —

(١) شيلي الملائط — راجع شيخو ١٧٧ (٢) لامين ناصر الدين راجبا في ديوانه صدى الحاطر تحت موضوع قلعة كريت وكذلك في شيخو ١٩١ على ان في الروايتين بسى الاختلاف

أظنّ بنو اليونان ان سيوفنا تلمنّ ام اخنى علينا التأخر
لم يذكروا بالاس ما كان بيننا على حين خضنا الموت والموت يزخر
لمه يشير بذلك الى الحرب اليونانية الثانية سنة ١٨٩٧

صدمناهم تحت السجاجة صدمة كما راع اسراب الظباء غضفر
وكان لنا معهم وقائع لم تزل احاديثها في الحافقين تُسكّر
ومنها يخاطب اليونان : —

نحيتم وقتاً توات خطوبه لادراك امره نبه متعذر
وختمت نوالي الظلم اورث شعبنا خولاً واصبحنا على الهون نصبر
قهرناكم والملك قد كان ذاوياً فكيف وروض الملك فينان اخضر

أي قهرناكم أيام عبد الحميد والدولة في حال البؤس فكيف الآن وهي زاهية بهذا الدستور الجديد
فاضمّ إكسريت بسهل قدونه صدام الرزايا والهلاك المقرّر^(١)

ولشاعرنا اللبناني فترات كهذه في حوادث البلقان وأدركه وحرب طرابلس الغرب وغيرها
من الوقائع السياسية التي كانت مثاراً للغواطر قبل الحرب الكبرى

ومثل ذلك نجد في الشعر العراقي . فالرصاصي مثلاً ، وقد عرفنا أنه كان قبل الدستور من
الاحرار أو التافين على سياسة الحكومة الحميدية ، أصبح بعده من المغالين في نصرتهاء المتحمسين
في مقارعة أعدائها . وله قصائد رائمة يستهز فيها المسلمين الى الجهاد ذوداً عن الوطن الشامي
كقوله من قصيدة في الحرب الطرابلسية موضوعها « الى الحرب »^(٢)

ألا تهض وشمر أبها الشرق للحرب وقيل غرادر السيف وأسل موى الكنب
ولا تقترد ان قيل عصر تمدن فان الذي قالوه من اكذب الكذب
ألست ترام بين مصر وتونس أباحوا حى الاسلام بالقتل والتنهيب
وما يؤخذ الطالبان بالذنب وحدهم ولكن جميع الغرب يؤخذ بالذنب
وله أشد من ذلك في هذه الحرب وفي أدركه والبلقان وسواها . والظاهر ان اقلته في
الاستانة قد أثرت كل التأثير في التاحية القومية الدينية من نفسه . فلما فُتحت الحرب العالمية وخاضت
غمارها تركيا الى جانب المانيا وانما اخذته الحجة الدينية كما اخذت كثيرين سواء فنظم قصيدة
موضوعها « الوطن والجهاد » يدعو فيها المسلمين الى قتال أعداء الوطن والدين (اي الحلفاء)
ولكي يدرك القارئ ما كانت يسود بعض الاوساط العربية في ذلك العهد (أي قبل

(١) والظاهر ان هذا البيت خفف من القصيدة في صدق المظالم (٢) راجعاً وراجع انطالها في باب
الحريات من ديوان (بيروت ١٩٣١)

ان تبدل الحال بظهور الدعوة العرية والثورة الحجازية ،) تنقل له منها بعض آياتها الاولى — قال : —

يا قومُ إن الهدى قد هاجوا الوطناً فانضوا الصوامير وأحوا الأهل والسكناً
واستغفروا لهدو الله كلَّ فتى بمن نأى في أقاصي ارضكم ودنا
واستهضوا من بني الاسلام قاطبةً من يسكن البدو والارياض والمدنا
واستبقوا في سبيل القود عن وطنه به قيمون دين الله والسكنا
وبعد ان يجري شوطاً في هذا المضمار يلتفت الى مصر فينشد بحكمونها (أو قل بسلطانها يومئذ
وزارتها) لجاراتهم الانكليز والاقباد لسياستهم . ويعود بعد ذلك الى الوطن والدعاء له فيقول
لا زلت يا وطن الاسلام متصراً بالحيث يزحف من اهنائك الأنا
إننا نحبك حباً لا انتهاء له يستغرق الارض والاكون والزمن
ويخص العراق بالقسم الاخير من القصيدة وما أشيع عن اقتراب العدو منه ، فيخص
الراقيين على الاستبسال في صدء —

إن العراق لمرء الله مسبةً ثواب الأسد فيها من هنا وهنا
ثم المغاور ان صالوا بملحة فلا يرون لهم غير المنون منى
ويجري جرى الرصافي من شعراء العراق محمد حبيب السيدي ، وخيري الهنداوي ، ومحمد
الحسين كاشف الغطاء ، وعبد العزيز الجواهري وسواهم ممن فتح فيهم المستور روحاً جديدة
خملهم على مناصرة الخلافة والهجوم على اعدائها في أوروبا ، وأصرم فيهم الثغرات الشرقية
والدينية ، حتى قال أحدهم من قصيدة موضوعها « بعد حرب الطليان والبلغان » . (١)

أظهر الثرب ما أجن من الغدر — وأبدي كوامن الاضغان
وأحاطت بالمسلمين طوج النبي — من كل جانب او مكان
أيها المسلمون هبوا فليس الموت — إلا حيانكم بهوان
قد دهاكم ويلٌ فاذا التماذي — وأناكم سيلٌ فاذا التواني
جاءكم جارف من الثرب يثار — يهدئ البنا وأسن المباني
ولحيب السيدي قصيدة اسمها « ألواح الحقائق » القاها في المنتدى الادبي العربي في الاسكندرية
بعد خطاب له في الحرب الطرابلسية وهي تقرب من خمسمائة بيت وقد ضمنها أهم الحوادث
التاريخية من عهد الرسالة الى زمن انشادها (٢) . وبما نقل البنا منها يصح ان نمحك انها تعبر

(١) محمد كاشف الغطاء . راجع في كتاب الادب المصري في العراق لروفايل بطي الطبعة الاولى ج ٢ — ٨٧

(٢) راجع في الادب المصري : لبطي ١ — ١٤٨

تميراً جليلاً عن هذه المحبة للمعوية في قوس الشرقيين وعن أمانهم في ارجاع مجدهم النابر وقض ما كان قد لحق بهم من طار التأخر — كقوله —

كيف ترضى يا شرق ان يمشي الغرب املماً وانت تمثي وراه
أقلم يا نأ ان نجد عهداً شهد الصبح فضله والمساء
أنسام الهوان دون التسايا انما الموت والهوان سواء

وهو يصل هذه النهضة الشرقية بمجد العرب الاقدمين ويختمها بذكر مفاخرهم التاريخية . ويدعو بني الشرق عموماً الى التهوض والحري في سبل العلم والتقدم . ومثل ذلك خيرى الهنداوي في قصيدته « أيها الشرق »^(١)، وقصيدته « فتاة سلايك »^(٢) ومن هذه الاخيرة قوله مثلاً —

أأم البلاد أضاعك الاقوامُ فبكى مواجع مجدك الاسلامُ
يا أيها الشرق الذي قد عمه الغرب من بعد الشروق ظلام
ما الغرب أول ظالم لك بالقي يا فيه بل ابتأوك الظلام
قد أهملوك وانت مقل عزم قاصدوتك يوطئها الاقدام

ولقد يجوز ان تهم بعض شعراء ذلك العهد بمداحة الآراك وان شعرهم لذلك لا يمكن لنا الشعور العربي الحقيقي . وهنا نكرر قولنا انما نؤرخ العواطف العربية كما تظهر في قنات أدباء العرب الشعرية ، ومهما تكن الاغراض النفسية وراءها فنلك لا يفتي حقيقتها وانها ناشئة عن الحوادث متصلة بالشعور العام . والحق يقال ان ما احتبرناه بأقسننا ، وما عرفناه من احتبار الآخرين يدفعنا الى تزبه كثير من الشعراء يومئذ عن المداحة المقصودة ، ويميل بنا الى ان نفزع عما بينهم الى ما أثارته الاحداث السياسية من شق الثرات في قوسهم

ففي أوائل العهد الدستوري كان الشعر العربي في سوريا ومصر والراق مجلى لالوان من الوطنية غير واضحة الحدود . ولكن كما ان ألوان الطيف اذا مزجت معاً كوّنت شيئاً واحداً هو الثور . كذلك تلك الالوان العاطفية من دينية او قومية مرجحها واحد هو الاحساس الحاد بكرامة شرقية لم يهبها الشرقيون او العرب منهم قبل ذلك العهد . وقد كان لنشوة الدستور يد في تسميم ذلك الاحساس والباسه حيناً لباس الجامعة الثمانية . وكانت تلك النشوة على اشدها في السنة الاولى من اعلان الدستور أيام كان الناس لا يزالون يطفرون فرحاً بزوال الاستبداد ، ويظفرون الى المستقبل بيسون التفاؤل والاستبشار ، ثم اخذت بالتراخي تدريجياً

على ان التزعة الشرقية المصطبغة بالصبغة الثمانية ظلت بارزة في الادب العربي الى اوائل الحرب العالمية . وبما يزكي ذلك ما نقله الشعراء سنة ١٩١٣ في حادثة الطيارين التركيين فتحي

(١) الادب المصري : لبطي ١ - ١٦٦ (٢) الادب المصري : لبطي ١ - ١٧١

وصادق وهما أول طيارين شرقيين ظهرا في مياه الشرق العربي . فلما وصلا سوريا ولبنان قابلهما
الادب العربي بهيئة وطنية هزت اعصاب الناس وأثارت نفوسهم الشرقية او قل الثمانية . كقول
الشيخ مصطفى الغلاييني من قصيدة حامية : — (١)

خبئنا فوق الرؤوس فأشرقت منا الوجوه وأزهرت انوارها
وقصعت يا فتحي القلوب زمرة احيا موات رجائنا نذكرها
وترعت منا الياس وهو بلية شماء عرمت قومنا اضرارها

ومثل هذه الحماسة الوطنية تتجلى في اقوال اكثر الشعراء لفظك العهد . ثم طار الطياران
يقصدان مصر ، ولكن القدر المحتوم لم يمهلهما فسقطا قرب طبريا وكان لمصرعهما رنة اسف
عمت جميع الاقطار العربية . وقد جعلهما الشعر العربي مثال الوطنية الشرقية المتحفزة لمباراة
الغرب . وفي ذلك يقول الياس فياض — (٢)

فتحي اطل من الملاء مكذبا من قال لنا امة لن تقدما
من قال ان الشرق شعب خامل لا يستطيع مع الشعوب تقدما
اليوم قد جددنا لشبابه عهداً ينسى عهده المتصرما
أمرقيا قللم افضل مهجرة كانت تراق على المظالم قبلها
هذا هو الدرس المفيد وهذه عظة الزمان فهل لنا ان نلما
من ليس يعرف ان يموت مكرما هيئات يعرف ان يعيش مكرما

ويتجلى شعور المصريين يومئذ في قول شاعرهم حافظ من قصيدة (٣)

أخت الكواكب ما رساك وأنت رامية النصور
ماذا دهاك وفوق ظهرك مريض الاسد المحصور
ومنها عاظم فتحي : حاولت ان ترد الجزمة والورد من السير
فوردت يا فتحي الحمام وأنت منقطع التفسير
وهويت من كبد السماء وهكذا هوى البذور
ان كانت اعياك السمود بذلك الجسد الطهور
فاسبح بروحك وحدها وأسد الى الملك الكبير

وعلى هذا النمط نظم كثير من الشعر الوطني في بيروت ودمشق وبنغازي والقاهرة وسواها
من حواضر العالم العربي

واذا قبل كيف ذلك والغرب يومئذ كانوا قد بدأوا يستكرون سياسة الاتحاديين الاتراك

(١) المورد الصافي ٥ — ٢٤٣ (٢) المورد الصافي ٥ — ٣٠١

(٣) المورد الصافي ٥ — ٣٠٢ مطبعة المظفر ١٩١٦ م ١٣٧ — ١٣٨

ويشوقون الى حياة قومية وكيان مستقل بدليل ما نراه من سميتهم السياسية في مصر وغير مصر قلنا ان تلك السميت لم تكن تلك من وسائل الدعاية ما يشع في جميع الانحاء مبادئها او ما يجمع القلوب على نصرتها . فقل السواد الاعظم من ابناء الحرية متلقين بآمالهم الدستورية . لا يرون لهم من رابطة غير الخلافة العثمانية . ثم ان الحركة العربية الاستقلالية لم تكن قد فضحت فضحا كافيا لتأصيل فكرة الانفصال عن الجامعة العثمانية . ويحيل البنا من دراسة عواطف الناس في ذلك الحين ان الزعماء الذين كانوا يعملون في سبيل الفكرة العربية لم يكونوا على يقظة من هذا الامر . ولو راجعت الرسائل التي كان يقيدها سراً امثال عبد الحميد الزهراوي ، وختار بهم ، وعبد الحمصاني ، وسليم الجزائري ، ورشيد رضا ، واخوانهم من اعضاء المؤتمر العربي او الجمعية الاصلاحية ، لوجدت ما يري قولنا ان الاصلاح الذي كانوا ينفذونه لم يكن يراده اولا القضاء على الرابطة العثمانية والاشهاد لمطامع الاستعمار^(١) . ولو عرفت تركيا يومئذ كيف تستغل شعور الناس لآلقت من الكتلتين التركية والعربية جامعة عزيزة الجانب صادقة الوطنية . لكن السياسة المصرية الحادة حالت دون ذلك ، فكانت من الاسباب المجلة لتجراح الدعايات الاوربية في الشرق العربي ، ثم لاشتعال الثورة العربية في اثناء الحرب الكبرى

وسواء أصبح استنادنا الى تلك الرسائل ام لم يصح فالواقع المشاهد ان الشعر العربي كان في اوائل العهد الدستوري أسرع الى الصفع عن مساوئ العهد الماضي والى تعزيز الرابطة العثمانية . ثم حدث الاحتكاك بين المصريين التركي والعربي وأخذ البعض يلهجون بحق العرب في السلطة وقد ظهر ذلك في الشعر العربي (كما سنرى) . على ان الشعر لم يقطع صلته بتهمة بآماله الدستورية التي كان يفيد بذكرها . وقد ظل طيلة العهد الدستوري أميل الى التوفيق بين الاماني القومية والجامعة العثمانية ولوثامنا رأينا انه لم يصح عدواً لهذه الجامعة الا ضد الثورة العربية والحرب العالمية

فليس من الغريب ان نراه من حين الى آخر يتأجج بالفعور العثمانية لازاء بعض الحوادث الوطنية كالتي مر ذكرها من حوادث التمرد على الدولة في البلقان وطرابلس او من حادثة الطيران التي اضمرت القلوب في عتقت الاقطار حتى قال فيها شاهد عدل هو الدكتور هورد بلس رئيس جامعة بيروت الاميركية السابق وكان يوم الحادثة في مصر — « ان ما آتته من حماسة اخواننا المصريين وشدة استعدادهم لاستقبال الطيارين واقامة المآدب والاختفالات الثلاثة بهما جلبي انصور شيئاً مما سمعته . عن عظمة الاستقبال الذي جرى لها في بيروت وعن الابهاج الذي شمل الاحلين لمشاهدتهم الطيارين العثمانيين لأول مرة »^(٢)

(١) راجع هذه الرسائل في كتاب ثورة العرب (لاحد اعضاء الجمعيات العربية) (٢) مجلة الكلية

الانسان الآلة

نظيره موسى

قدّر ان تكون فلسفة الفيلسوف الفرنسي ديكارت منشأ المشكلات الفلسفية والمضلات التي لا يزال يحالجها اهل الفلسفة الى يومنا هذا . وقد أبنت في مقال سابق نشره المقتطف تحت عنوان « العقلي والمادي » كيف ان قضية الفصل المطلق التي فصل بها ديكارت بين العقل والمادة أدت الى كثير من النظريات والافكار المختلفة وكيف تعددت فيها وجوه المسائل والقضايا الفلسفية وما انتهت اليه في وقتنا الحاضر

ولدينا هنا مشكلة الانسان الآلة (man machine) ولكن هذه لم يثرها ديكارت بل خلقها فلاسفة القرن الثامن عشر الذي كان منوع خاص خصباً بفلسفة المادة وطماء الطبيعة . الا ان فلسفة ديكارت كانت منشأ هذه المشكلة ومنبت غرسها واليك اياها التاريء : بيان ذلك :

فصت فلسفة ديكارت بالفصل التام بين المادة والعقل وجعلت كلاً في دائرته الخاصة فلا تعامل بينهما على وجه السببية ولا تتداخل على الاطلاق . وقد ارتأى ديكارت هذا الرأي وجرد الطبيعة من كل اثر للعقل خلافاً لمن تقدمه من الفلاسفة لبدء العلم الطبيعي بحالاً لتفسير حوادث الطبيعة ونواميسها تفسيراً طبيعياً ميكانيكياً بحتاً . وعليه فلا يكون ثم من قصد في الطبيعة كما يزعم الفلاسفة ولا غاية لانه اذا سلمنا بوجود قوة عقلية تدبر الكون فاقاً نكون قد حكمنا بوجود العقل في الطبيعة نفسها وهذا غير ما يريد ديكارت . ثم ان ديكارت لم يقف عند هذا الحد بل اطلق هذا المبدأ حتى تناول العالم العضوي (organic world) ايضاً فجعل حياة الحيوان والنبات خاضعة لهذا الحكم وكذلك جسم الانسان لانه من العالم العضوي . فسنه ان حياة الحيوان ومثلها الحياة في الجسم البشري تمشي على طريقة ميكانيكية بحيث نغير الالات الصماء كالساعة مثلاً او غيرها مما يدور بحركة ذاتية ميكانيكية غير ان الفرق بينهما ان المحرك في الساعة هو الرقاص اما في الجسم البشري فالحرارة المتولدة في القلب . ويقول ايضاً انه لا حاجة الى فرض اية قوة لتدبر هذه الحركة الحيوية في الجسم فمجرد تركيب الجسم على هذه الصورة هو تركيب ادوات الآلة كافر تقوم الاعضاء بوظيفتها تماماً . وان وجود الدم والحرارة هو كل ما يقتضي لهذه الغاية يتضح بما تقدم ان ديكارت لم يطلق هذه اللفظة « الآلة » على الانسان بل على الحيوان فقط

فقال الحيوان الآلة (animal machine) لا الانسان . أما الفلاسفة الماديون الذين صامروا فولتير مثل لامرتي وكونديتاك وتولاند وهارتلي وهولباخ وهلفيتيوس وديدرو وغيرهم من فلاسفة القرن الثامن عشر قائم تاولوا هذه الفكرة ووجدوا فيها دعمة قوية لمقاصدم ومبادئهم المادية فخلوها حجر الزاوية واخذوا يفتون عليها ما شاء لهم التصور من غريب الآراء والافكار . وكان اول ما شرعوا فيه بهذا الصدد قولهم « اذا كان الحيوان آلة » فلماذا لا يكون الانسان ؟ « وما الدماغ » ؟ هو آلة الفكر كما ان اللسان هو آلة النطق . وزعم هارتلي ان الفكر نتيجة اهتزازات ذرات الدماغ وهذه تتحرك تبعاً لنواميس طبيعة آلية . وذهب ريسلي وهو مكتشف الاوكسجين الى ان الاعمال والحركات الفكرية هي من نوع حركة الاجسام المادية . وقال كلابيس ان الفكر وظيفة الدماغ كما ان الهضم وظيفة المعدة وافراز الصفراء وظيفة الكبد . وفي سنة ١٧٧٤ وضع البارون هولباخ الالماني كتاباً في المذهب المادي تحت عنوان « نظام الطبيعة » يفسر فيه جميع التواميس الطبيعية وحوادث الكون بمجرد المادة والحركة فقط . وزعم ان الفكر هو عمل الدماغ وليس خالداً سوى المادة . وانه لا يوجد شيء مما نسميه روحاً . ولا قصد ولا غاية في الطبيعة ولا خارجاً عنها . اما ارادة الانسان فهي غير حرة بل خاضعة حتماً لناموس الضرورة واحكام القدر وجملة القول ان هذا هو رأي الفلاسفة الماديين في العقل البشري وقد بنوه كما تقدم على نظرية ديكارت . ولما كان رأي ديكارت ايضاً انه لا علاقة ولا تأثير للعقل في اعمال الحياة الضوية تبادر لاذهان غلاة المادية انه اذا كان لا علاقة للعقل ولا تأثير في اعمال الجسم ووظائف الاعضاء فأى حاجة اليه . ان هو الا تابع من نوابع المادة وخاصة من خواصها وليس له وجود مستقل عن المادة اصلاً

هذا وان للفلاسفة العقلين او الروحين ردوداً جمة على آراء الماديين هذه ولكن ليس هذا مجال بسطها لاني قصدت بيان قضية الانسان الآلة حسبما تطورت بين ايدي فلاسفة المادة . على اننا اذا بسطنا رأي العلامة الفيلسوف الالماني هرمان لوتزي (١٨١٧-١٨٨١) وهو احد اعلام الفلسفة العقلية وقد حاول الجمع او التوفيق بين مختلف الآراء الفلسفية وخصوصاً بين الرأي الميكانيكي والمبدأ العقلي الروحي فاقنا نكون قد اشرنا الى رأي الفلاسفة العقلين بهذا الصدد وهو ينقض الرأي المادي المتقدم ذكره والى الانهاء الفلسفي الغالب ببدالقرن الثامن عشر يقول لوتزي « ليس الانسان مجرد مرآة تمكس عليها صور الاشياء والحوادث الخارجية . ان العالم المادي الذي يسير سيراً ميكانيكياً لا يستطيع ان يفيدنا شيئاً عن الوجود المعنوي وأسرار الحياة العميقة ومقاصدها السامية . ان هذه جميعها لا يمكن ان يكون لها أثر في عالم ميكانيكي بحت . ومع هذا فلا بد من تفسير النظام الطبيعي وفقاً لهذه النظرية الميكانيكية . ان الجسم الحي انساناً كان او حيواناً يحيا ويقوم بوظائفه كما تقوم الآلة الصناعية بعملها تماماً ولا

فرق بينهما من هذه الجهة مطلقاً . ثم ان الفرق بين المواد الآلية وغير الآلية ليس بكون الاولى متماز عن الاخرى بوجود قوة حيوية فيها بل بترتيبها وترتيب أجزائها بنسبة بعضها الى بعض . وهذا الترتيب فيها هو نتيجة عوامل طبيعية نحدد لكل جزء صورته ووجهة تطوره وارتقائه . « وان رأينا كذا اذا أخذناه بظاهره كما لا يدع مجالاً لحقيقة الانسان ومقاصده العظيمة ومطالبه السامية . غير أننا اذا تخبرنا الاسباب الاولى والمقدمات التي نبني عليها الرأي الميكانيكي هذا نجد ان هذا هو غير الواقع . ذلك لان العالم الخارجي الذي نخاله ولتقدمه عالم الحقيقة انما هو عالم ظاهري فقط (phenomenal world) أي الذي تمثله لنا الحواس لا العالم الحقيقي بالذات — هو نتيجة شعورنا وادراكنا للمؤثرات الخارجية وتفسير العقل لها . يد ان هذه الاحساسات والادراكات ليس الا تأثيرات عقلية في العقل نفسه ، وما الحس والادراك فينا بل والمبادئ العقلية التي تفسرها مختلف الحوادث والمؤثرات ، الا وظاهمت شتوعة في العقل الواحد الانساني اذا ما هو جوهر الاشياء الخارجية وبمارة أخرى ماهي الحقيقة بالذات ؟ اتا اذا ألقينا النظر وتخبرنا الاسباب وللقسمات وجدنا ان الاستقراء يؤدي بنا الى نتيجة واحدة فقط وهي المبدأ النسوري (Idealism) ودليل ذلك ان الاشياء بالذات ^(١) (things-in-themselves) يجب ان تكون من طبيعتها ان تؤثر في غيرها وان تتأثر به . ان كائناً بهذه الصفة لا نجد الا في أنفسنا فقط وما هو الا ذلك الجوهر في داخلنا والذي يؤلف وحدة الوجدان فينا وهو ما نسميه الروح او النفس . هذه الوحدة في الوجدان التي تستطيع ان تجمع بين مختلف التأثيرات الخارجية والداخلية وتؤلف منها أبداً وحدة كاملة هي التي تحدو بنا الى الاعتقاد بوجود نفس قائمة الحس غير قابلة للتجزئة ومستقلة أو متميزة كل التمييز عن الجسد . وانه في النفس وفي النفس البشرية فقط نجد هذه الوحدة الدائمة بين الاشياء المتعددة والثبوت على حال واحدة وسط جميع عوامل التحول والتغير والنشوء لتلك فالجواهر التي يتكلم عنها العلم هي غير مادية بالمعنى المتعارف ولا يمكن ترميزها الا بأنها أشبه الاشياء بوحداث لينتز (Leibniz's monade) او بأنها مراكز قوة فقط كالتي نخبرها في أنفسنا . وحتى الدقائق التي في أدنى طبقات المادة ليست اشياء ميتة جامدة كما توهم بل ملوثة حياة وحركة ونشاطاً . وان في الطبيعة درجات متفاوتة من الحقيقة ولكن أسمىها العقل البشري يد ان في أحط ضروب المادة أثر من القوة العقلية ايضاً

هذا هو رأي الفيلسوف لوتزي في العقل والوجود المادي وهو يعبر به عن رأي معظم الفلاسفة العقلين فيما علم . ولعل فيه إشارة كافية لترينا ان في الوجود اسراراً لم تعجل بمد العقل البشري فلا يتوهم الواهمون ان فلاسفة المادة فكوا الطلاسم وحلوا الالغاز وهذبوا بما دبتهم الى اعماق الحياة . فهذه لم تؤت بعد الخلق وأسرار الوجود لم تشرق بعد انوارها على عقول بني الانسان

(١) هذا هو تمييز الفيلسوف الألماني كانت وهو يقصد به التمييز بين الاشياء كالمحيي في حقيقتها الاصلي وبينها كما تبدوا للحواس

الحبقريّة والنبوغ

الفروق العقلية بين البرائة والمخيط

للككتور - شريف عيسر

من الامور الظاهرة فروق البشر الجسدية فمنه الطويل والقصر والاسود والابيض والاصفر والبدن والنحيف واسود العينين وازرقتهما الى غير ذلك . وكذلك نجد مختلف الفروق العقلية كالمقري والاحق والذكى والابه والعاقل والمجنون والمفكر والجامد وهم جراً . وليست الفروق العقلية اكثر من الجسدية فقط بل تتوفا شأناً . نجد في كل امة وكل جيل افراداً يسمون على اترابهم كما يسمو الجيل الشامخ على ما يحيط به من البقاع امثال كنفوشوس وسقراط والمري وغليلو ونيون وباسكال وباستور وشكسبير والمتني وبهوفن وشورت والرازي وابنتين واضرابهم وهم معروفون عندنا معرفة النجوم الساطعة في السماء . وتظهر امارات التفوق على المرء منذ ان يشب عن الطوق . فقد رجا باسكال والده ان يسمح له بدرس الرياضيات وهو صبي فرض طلبة ريثما يدرس الفئات والتاريخ وطالما كان يشاهده يكتب على درس الهندسة رغماً عن ممانته لميوله القطرية فاستطاع ان يحل عدداً من نظريات اقليدس . وكان يزف موزارت الموسيقى في الاربعة من عمره والى قطعاً موسيقية وهو ابن ست سنوات . وظهرت بواكير بهوفن الموسيقية في الثانية عشر من عمره وكتب شار روايته المصوم وعمره ٢٣ سنة والى شكسبير كثيراً من رواياته وهو في الاربعة والثلاثين من عمره ^(١) ونظم المري القمر وعمره يقرب من الاربعة عشر سنة ومثله المتني

ونشاهد هذه الفروق بارزة في المدارس الابتدائية والى والى الجامعات فبعض الطلاب يحلون اعوص المسائل الرياضية دون عناء ويسر على غيرهم حلأً بسيطها ويصل بعضهم الليل بالهدار درساً وسماً ولا يتوصلون الى درجة اقترابهم من لا يجهدون انفسهم بالدرس . ولعرف كثيرين من تبحروا في اللغة العربية وآدابها وتضلوا من فلسفتها وصرفها ونحوها وياتها وعروضها وسائر ما

يتعلق بها ولا يستطيعون ربحاً عن ذلك فظم يث من الشعر وزى آخري بمجلون القواعد والقوافي
ويأتون بمميزات احمد فالقروك بين مختلف الافراد ظاهرة في كل موهبة من المواهب في الموسيقى
والشعر والرياضيات والتصوير وغير ذلك فالقوى العاقبة محدودة في كل امر وبموجب وراثته
ولا يفيدنا الجرب الا بقدر القوة المدخرة فيها
واول من اثبت ان البقرية والمواهب العقلية وراثية هو السير فرانسيس غالتون وقد مر
بنا انه تتبع سير ٤١٥ شخصاً من مشهوري انكلترا يمتون الى ثلاثمائة اسرة ووجد في تلك
الاسر ما يقرب من الالف مشهور



ومجدد بنا ان نفق هنية لتمييز بين البقرية والنبوغ او الموهبة . ان أسنة الناس والصف
والجملات تلوك هذين المفضلين وتستعملها في شتى المناسبات وتنفذ بها على ليف كبير من البشر
حتى ليخيل بنا ان ارضنا تسج بالباقرة والثابطين فاذا نظم فلان قصيدة او كتب مقالاً في مجلة
او جريدة قد صغى عبقرياً واذا ارادت التنويه بفضل فلان قالت صغى فابضة تخرج هذان المفضلان
عن معناها وامثنا اي امتنان

﴿البقر﴾ جاء في الطبعة الرابعة عشر من دائرة المعارف البريطانية تحت لفظة Genius
انها من اصل لاتيني ومعناها المولود وكانت رمز في العصر الروماني القديم الى عقيدة دينية
خاصة وهي جونو Jann ربّة الزوج والولادة تقابلها لفظة هيرا Hera عند اليونان وهي ربّة
النساء والزواج ثم انحرفت عن معناها الاصلي وصار يقصد بها الغيرت أو الروح (Spirit) او
الملاك الحارس وصارت تستعمل في الانكليزية مقابلة لفظة جن المريية وهي طائفة من الارواح
الصالحة او الشريرة حسبما جاء وصفها في قصة الف ليلة وليلة (١)

وجاء في تاج العروس : صقر كجفر بالبادية كثير الجن يقال في المثل كأنهم جن جفر
ثم نسبوا اليه كل شيء تعجبوا من خلقه او جودة صنعه وقوته وقال ابن الاثير قرية يسكنها
الجن فيها زعموا فكلاً رأوا شيئاً فاعلموا غريباً مما يصعب عمله او شيئاً عظيماً في نفسه نسبوه اليها وقيل
البقري الذي ليس فوقه شيء (٢) وجاء فيه ايضاً تحت لفظة جن والجن بالكسر خلاف الانس
والواحد جنّي يقال سميت بذلك لانها متى ولا ترى كما في الصحاح وكانوا في الجاهلية يسمون
الملائكة عليهم السلام جنّاً لاستئثارهم عن اليون (٣) . ففستج من هذا التعريف القوي ان البقر
هو الجن وان البقرية تقابل لفظة genius اللاتينية والانكليزية

﴿النبوغ﴾ جاء في تاج العروس نبع الذي . كنع ولصر وضرب اي ظهر نبع الماء نبوغاً

(١) ملخص عن دائرة المعارف البريطانية الطبعة الرابعة عشر تحت لفظة genius

(٢) تاج العروس لفظة بقر ص ٣٧٩ (٣) تاج العروس لفظة جن ص ١٦

مثل نبع بالعين ومن المجاز نبغ فلان أن قال الشعر وأجاده ولم يكن في ارض الشعر وفي اللسان في ارضه الشعر ومنه سمي التوايح من الشعراء والتأفة الرجل العظيم الشأن والماء للبالغة^(١) وأرى أن لفظ نبوغ أكثر مقابلة لفظ Talent الانكليزية ومعناها الموهبة

وبعد ان عرقنا معنى اللفظين القوي فآتي على تعريفها العلمي : يعرف غاتون البقري بأنه الرجل ذو المواهب المتفوقة ويميز البقرية عن المقدرة بأنها لا نستطيع تجريد الاخيرة من اثر التهذيب اما البقرية فطبيعة تخلق مع الموهبة^(٢) . ويجعل الشهرة مقياساً لتفوق الفرد ويقول يجب على الانسان ان يظهر مقدرة بارزة في موضوع ما على الاقل ليحصل على شهرة طالية او ان يمتاز بأنه آتى بشيء لم يستطع غيره او ان يكون زعيم فكرة^(٣) ويجعل المتفوق او البقري الرجل الذي يصل الى مرتبة لم يفلتها سوى ٢٥٠ من بين مليون او واحد من أربعة آلاف^(٤)

ويفرق الدكتور لزيين البقرية والموهبة او التبوغ . فالوهبة Talent هي أعلى مراتب الفن . أما البقرية فتتعدد المواهب والتفاوت بينها وبين الموهبة في التفوق العقلي كالتفاوت بين الاحق والآخرق في الانحطاط العقلي . ويوجد بين مليون شخص يختارون صدقة عدة توايح او موهوبين اما الباقرة قليلون جداً فكل بقري تأفة او موهوب ولا يكس . ومن رأيه أنه ليس ضرورياً ان يكون البقري مبتكراً او مولداً Creative بل الساناً متعدد المواهب^(٥)

﴿ البقرية والجنون ﴾ يجعل بعض العلماء صلة بين البقرية والجنون . وأول من قال هذا القول العالم الايطالي لبروزو وجاراه غاتون ولز وغيرهما ويأتون بشواهد متعددة على ذلك وحجتهم ان في أكثر الباقرة والتوايح المشهورين ضرباً من الانحراف العقلي والانحراف يمدّه خاصة اذا كان لا يمكن الشخص من القيام بأود نفسه وحمايتها Self Preservation وتؤدي المواهب الشاذة الى حالة كهذه لان كثيراً من التانيين يقصرون عن القيام بتكاليف الحياة اليومية التي تسهل على الرجل المستدل وما يصدق على الفرد من وجهة كفاء النفس في تحصيل العيش يصدق بصورة أكثر على الامرة . فكثيرون من الباقرة لا يتزوجون واذا تزوجوا كانت حياتهم الزوجية تسمه لانهم يشغلون في القيام بما تتطلبه الحياة الزوجية السعيدة فالنتيجة فناء تلك الامرة . ويوصف صاحب الحالة العقلية التي لا تمكن المرء من كفاء نفسه أو أسرته بـ « المضطرب النفس Psychopathic » وأقصى درجاته الجنون . وأغلب الباقرة والتانيين لم يخلوا من ضرب من هذا الاضطراب كفقو به وبسارك ولوتر ونيوتن وامير وفردريك الكبير وباسكال وروسو وبلوشر وشوبنهاور ووجز ونيقشه وتولستوى ونابوليون وأضراهم^(٦)

(١) تاج العروس لفظه نبغ ص ٣١ (٢) Hereditary Genius ص ٧ (٣) Ibid ص ٩
(٤) المندمة ص ٨ Ibid (٥) Human Heredity p. 567 (٦) Human Heredity p. 609—613

ولا استرسل في تحليل هذه الناحية لتعود الى موضوعنا الاصلي وربما عقدنا فصلاً خاصاً لهذا البحث في المستقبل. ينكر غالتون ان المحيط تأثيراً في اكتساب القوى العقلية ومن أقواله المأثورة: إن التهذيب والمؤثرات الاجتماعية لا تؤثر في انماء القوى العقلية بقدر ما يؤثره القرن في انماء عضلات ذراع الحداد. ويمترض البعض على غالتون بان ابناء المشهورين لا يكونون كما بأنهم وحجة غالتون ان الفرد يرث ربع صفاته من أحد والديه والصفات الباقية من الأب الآخر او من أسلافه الماضين وإذا علمنا ان نقطة الذكر ونقطة الانثى تفقدان نصف عواملهما الوراثية قبل ان يمتزجا الفصح لدينا صحة قول غالتون. اضف الى ذلك ان عدد كبيراً من المباشرة يموتون بلا عقب امثال بهوفن وشوبرت وغيرها

وقد توصل الدكتور فردريك وودس في أميركا (Dr. Frederick Adams Woods) ^(١) الى نتائج تشابه نتائج السير فرانسيس غالتون فتبع سير ٣٥٠٠ مشهور من مشهورى أميركا المدونين في قواميس كبار الرجال ووجد انهم يموتون بمسلة قرابة بعضهم الى بعض بنسبة ١ - ٥



وإذا كان المحيط عاملاً في تكييف القوى العقلية فيجب ان يتساوى ابناء الملوك في هذه الناحية — ولا سيما أولياء العهد الذين تاح لهم جميع الاحوال الملائمة من تلميم وتهذيب وتدريب وتثقيف وسائر المؤهلات التي تؤهل المرء ان يكون ذكياً خلوقاً مثقفاً. وقد تتبع الدكتور وودس المذكور في كتابه الوراثية في الاسر المالكة *Heredity in Royalty* فلم ير ان المساواة في المحيط التي تاح لكل فرد من الاسر المالكة تخلق منهم رجالاً متساوين في مواهبهم وبين الفرق بين الموهنزلين *Hohenzollern* المتفوقين بمواهبهم والهانوفرين المديمي الذكاء ^(٢) وقد ذكر وودس على سبيل المثال فردريك الكبير وازابلا ملكة أسبانيا ووليم الصامت وغوستافس ادلفس *Gustavus Adolphus* مقابلة لهم مع غيرهم من المنحطين من نفس الطبقة

ولا ينكر ان الفرص تسع المجال أحياناً لبروز المواهب الكامنة كما زاد عدد علماء الالمان في نصف القرن الاخير فلا تخرى هذه الزيادة الى ازدياد معدل ولادات هذه الطبقة بل ان تقدير العلم كان حافزاً لابراز تلك المواهب

وقد ناقش ككل *J. McKean Cattell* نظرية المواهب في درسه التي طام من علماء أميركا وقال « لو ولد دارون في الصين سنة ١٨٠٩ لما كان دارون ولو ولد لتكن هنا (يقصد أميركا)

في نفس اليوم الذي ولد فيه ولم تكن الحرب الاحلية لما اصبح لتكن . فلو استبدلنا الاثنين لما كان دارون في اميركا ولا لتكن في انكلترا . . . وقصده ان يبرهن ان الظروف هي التي تخلق الرجال . صحيح ان للظروف اي المحيط تأثيراً ولكنه تأثير ثانوي او يسير بالقياس الى الواجب الطبيعية . ربما لو ولد دارون بأميركا لا يكون دارون الذي نعرفه الآن ولكنه على كل حال ما كان يموت مجهولاً فالمحيط لا يخلق الرجال بل يبرز مواهبهم . فالساواة في المحيط تزيد الفروق بين البشر أكثر عما تنقصها ^(١) ويجب ان يكون هناك مساواة في المحيط ليصبح كل امرئ ميسراً لما خلق له ودرس الدكتور بيركس ٢٠٠ دليلاً دفعوا الى من يتبنونهم ولادتهم او في السنة الاولى من العمر ^(٢) وقابلهم مع مائة ولد نشأوا في احضان آبائهم الحقيقيين ومن السهل تمييز تأثير الوراثة في الفئة الثانية لعدم وجودها في الاولى وكان تمييز ذكثهم وتأثير المحيط والحياة البيئية يمكنين فيهم فلو كان للتدريب وتقليد الآباء والمحيط تأثير في تكييف الاولاد لكان لزاماً ان يشبه الآباء المتبنون الذين يتنوم مشابهة الآباء لا آبائهم الحقيقيين ولكن النتيجة لم تكن هكذا بل ظهر ان تأثير الوراثة في هؤلاء الاولاد بنسبة ٧٥ — ٨٠ بالمائة وتأثير المحيط البيئي بنسبة ١٧ بالمائة . والمحيط البيئي اهم من المحيط المدرسي في امتحانات الذكاء ^(٣)



﴿ القياس ﴾ اذا كان للمحيط تأثير فيجب ان يصدق على البتامة الذين يربون في البتامة اذ يسمون في محيط واحد ويدربون نفس التدريب ويجب ان يختلفوا عن غيرهم عن مختلف تربيتهم باختلاف الاسر التي ينتمون اليها . وقد جاء درس الفيتيم في تكساس مخالفاً لهذه الفكرة لان الفروق بين الايتام الذين عاشوا في محيط واحد وتربوا تربية واحدة كانت كالفروق بين سوامم من غير البتامة مما يدل على ان الوراثة لا المحيط هي الاصل في تكييف الشخصية

﴿ اللقطاء ﴾ وتجب بعض العلماء في انكلترا عدداً من اللقطاء الذين أدخلوا للمعاهد الخاصة فور ولادتهم فكان معدل ذكاء ابناء التجار وارباب المهن منهم ١٠١ بينما كان معدل اولاد الصناع labourers ٩٢ مع ان الفريقين تربوا في محيط واحد ولم يحتكوا بأبائهم وقد اتخذوا ضابطاً لهم control اولاداً من لندن عاشوا في احضان آبائهم وتربوا في المدارس العامة فكان معدل درجة ذكاء الطبقة العليا منهم ١٠٥ والسفلى ٩٦ وهكذا جاءت نتائج درس التوائم من وجهة

(١) Applied Eugenics p. 17

(٢) اختيروا في هذا السن لسببين (١) اصباح الوقت الكافي لتأثير المحيط ان كان له ذلك التأثير

(٢) غنية اختار المائات الفكرية الاولاد الازكياء

(٣) Applied Eugenics p. 3

الاجرام واستحان الذكاء والامراض وغيرها من العوامل مؤيدة لفكرة ان الوراثية هي العامل الاكبر في تكيف الفرد

﴿ تلامذة المدارس ﴾ قابل داف Duff ٧٣ لميخداً من المتأثرين بلغ حاصل ذكائهم ١٣٦ فما فوق سنة (١٩٢١-١٩٢٢) مع فئة اخرى حاصل ذكائها مائة اتخذها ضابطاً وتبع سير الفئتين في المدرسة فكانت نسبة الذين دخلوا المدرسة الثانوية من الفئة الاولى اكثراً من الثانية ونال ٥٥ بلماثة منهم جوائز بينما لم ينل احد من الفئة الثانية اي جائزة. ولما قوبل بعض افراد الفئة الاولى الذين لم يدخلوا المدرسة الثانوية مع الذين دخلوها من الفئة الثانية فاقوم في الهجة وحسن التعبير وجودة القراءة ونطقها وروح الطموح ولم يتقدم احد لتيل الشهادة الثانوية من الفئة الثانية عدا واحد بلغ درجة حاول بها نيلها بينما نال ٣٠ بلماثة من الفئة الاولى الشهادة و٧ لم ينجحوا و١٠ بدلو مدرستهم وكانوا ضاراً ولم يحاولوا دخول الامتحانات واثمان تركوا المدرسة. وذكر هولمز ولداً امتحن ذكاه هوليورث بطريقة «ستا قورد» - يشه وعمره ٨ سنوات قال ١٨٧ درجة وبلغت درجاته بعد مضي عشر سنوات ٤٤١ بينما كان معدل درجات هذا الامتحان ٤٤٠ تفرج من المدرسة بدرجة شرف ونال جائزة Phi Beta Kappa ^(١) ونال درجة معلم علوم وهو ابن ١٦ سنة ^(٢)

وقد حاولت مس أوتس زويد ذكاء بعض البنات الناقصات العقل اللواتي تجاوز سنهن السادسة عشرة بتمرينهم تمرينات خاصة على القراءة وغيرها ولما امتحنهم بطريقة «ستا قورد» - يشه وجدت درجة ذكائهم تقدمت ونشأ هذا التقدم من مفردات الكلام وفهمه لا من تحسن ذاكرتهم او عاقلتهم (reasoning) ولم نستطع تقدير تقدمهم من هذه الناحية لانها لم تكن تتقدم ومتى كانت القوة العاقلة مفقودة فلا سبيل لتمرينها

وتبع الدكتور تيرمان ومساعدوه مائة ولد ذكور واثناث بلغ حاصلهم الذكاء ١٤٠ فما فوق ولا يبلغ هذه الدرجة من مجموع طلاب المدارس الا التزير اليسير فدرسهم درساً مفصلاً من جميع التلاميذ قبل عهد الدراسة وبعدها فوجدوا انهم حققوا بدروسهم طلبة حياتهم المدرسية ولم يرسب منهم احد بأي موضوع من الموضوعات ونالوا احسن الجوائز وغير ذلك من الميزات التي ينالها المتأثرون. وظهر من تتبع سجلات اجدادهم انهم كانوا يمتحنون المهن التي تتطلب معدل المقدرة العقلية

(١) شارة اميركية بمنازة في الجامعات تمثل على التفوق الجامعي

(٢) The Eugenic Predicament p. 72

وانحدر العدد الاكبر منهم من هذه الطبقة وكان آباء عدد منهم من رجال الاعمال وفريق يسير من
أرباب المهن الرفيعة (Skilled) وواحد بالمائة فقط من ارباب المهن الوضيعة (Unskilled) (١)
وقد فحص يترس W. Peters الاختصاصي بعلم النفس تقارير عدد كبير من أولاد المدارس
ووجد على الاغلب مشابهة بين الآباء والابناء وقابل تقارير الآباء مع اعداد الاولاد وتوصل
الى نفس النتيجة فاستنتج ان أثر المحيط (كالتحذير البيئي وما أشبه) ضئيل جداً في حياتهم
التعليمية. وأجرى تجارب نفسية على عدد من التلاميذ الذين يمتنون بعضهم الى بعض بصفة نسب وقابلها
مع تقارير آبائهم فوجد الفروق بين الابناء كبيرة حينما تكون كذلك في الآباء والعكس بالعكس
وقد درس يرسون وشستر والذين تقارير خريجي جامعة اكسفورد وقابلوها مع تقارير
آبائهم فوجدوها متقاربة

﴿ التوائم ﴾ فحص نورنديك ٥٠ ثنائياً فحصاً نسبياً فوجد ان مشابهتهم بعضهم لبعض ضئيل
مشابهة الاقارب غير التوائم ولكنه لم يميز بين التوائم المتماثلة وغير المتماثلة
ودرس تالمس غوردون ٢١٦ ثنائياً في أحد ميامي كاليفورنيا فامتحنهم بطريقة «ينه» وكانت
نتائجها قريبة من نتائج غيرها ولا يمكن ان تكون الفروق العقلية ناشئة عن المحيط في الميامي
لان المحيط واحد

وذكر بوينو حادثة تميمين ماتت أمهما وعمرها أسبوعان فحضر احدهما وبيب من الحضر
وبقيت في المدرسة مدة أربع سنوات ثم انصرفت الى الاعمال التجارية وصارت أمينة لاحدى
الشركات وكانت وظيفتها تقضي عليها بالتجوال أحياناً في غير بلادها . ونشأت الأخت الأخرى
في الريف وأنهت تحصيلها المدرسي ثم دخلت الجامعة وتزوجت عقب مدة قصيرة من دخولها
ورزقت بولدين ثم انتظمت في سلك التعليم ومع ان هاتين الاختين عاشتا في محيط مختلف فلهما كانتا
متقاربتين في عقليتهما وطبعهما (١)

﴿ الاسر ﴾ من المعروف لدى أكثرنا ان المواهب تسري بين الاسر سرياناً في الافراد
وأكثرنا يعلم عن كثير من الاسر العربية التي اقتصت بموهبة من المواهب كأمرني اليازجي
والبستاني بالأدب والقامة وأسرة الملوف بالشعر . ونأتي الآن على ذكر بعض الاسر
التي اقتصت ببعض المواهب كاللوسقي والرسم والشعر والرياضيات والعلوم وما أشبه فن هذه

الامر أسرة باخ Bach التي تستطيع ان تتبع مواهبها الموسيقية مدى خمسة أجيال في الذكور. وظهر بين أولاد Johan Sebastian Bach ما لا يقل عن خمسة موسيقيين. ويستطيع المرء ان يتبع الموجة الموسيقية عدة أجيال في امرتي موزارت وفير Weber واحداهما تمت الى الاخرى بنسب وقد جمع H. Kurella مستندات عن ٢٨ أسرة استطاع ان يتبع فيها مواهب متفوقة في الموسيقى مدى أربعة أجيال امثال أسرة بهوفن وشوبرت ولزت Liszt ولسوء الحظ ان بعضهم كبراهمس وبهوفن وشوبرت ماتوا عقيمين

(الرياضيات) ومن الامر المشهورة بالموجة الرياضية أسرة Bernouillies التي اشتهر بها على الاقل ثمانية رياضيين بارزين او ثمانية

(الصناعة) ومن الامر المشهورة بالاختراعات الصناعية أسرة كروب الشهيرة بصنع الاجلحة فقد ظهر هوقها بهذه الناحية في النساء والرجال

وقد ذكر غالتون في كتابه النسب الوراثي بعض الامر التاريخية المعروفة بمواهبها العسكرية والسياسية امثال أسرة اسكندر الكبير ووليم اورانج. والفيلسوف Boyle المعروف ١٤ نسبياً من ذوي المواهب الخارقة. ومن الامر المتنازعة بمواهبها العقلية أسرة دارون وغالتون. فالسير فرانسيس غالتون ابن عم شارلس دارون مؤلف كتاب اصل الانواع وغيره من الكتب الفخمة. واسرة ارامس دارون Erasmus Darwin معروفة بشوقها قاولاده (١) روبرت دارون كان طبيباً معروفاً وعضواً في الجمعية العلمية للملكية (٢) وكان رجي لابنه شارلس دارون الذي مات بسن العشرين مستقبلاً باهر. وشارلس روبرت دارون الذي تسبب اليه نظرية التطور هو ابن روبرت وقد تزوج Emma Wedgwood وقد كان والدها من مشهورى المؤسسين لصناعة الخزف بانكلترا فولدت اربعة اولاد وهم فرانسيس دارون الثباني الشهير وجورج الفلكي المعروف وهوراس المهندس البادع وليونارد المؤلف في السياسة والاقتصاد ورئيس جمعية تحسين النسل سابقاً. وتقع Primfell سير ١٥٦ طناً من علماء اميركا وتوصل الى نتائج تقرب من نتائج غالتون ووجد علاقة على ذلك ان تزاوج لحذوي المواهب امر متعارف الى حد ما فحقنو من ٢١ طالمة من طلات اميركا تزوجن علماء بلم ايوان



هذا وشل من بحر من هذا الموضوع الواسع وفيه البراهين الساطعة على ان الوراثة هي العامل الاكبر في تكوين الشخص وان اثر المحيط ضئيل اليها وقد اكتفينا بهذا القدر خفية الملل

تفرق المجرات

مقائل الموضوع

إذا ثبت الرأي الحديث في ظاهرة تفرق المجرات كان اكتشاف هذه الظاهرة الفلكية السجية في الطبقة العليا بين المكتشفات العلمية الباهرة في جميع العصور . ذلك ان الصورة الكونية التي رسمت وفقاً لهذا الرأي تمثل لنا الكون وقد اخذت أجزاؤه الكبرى في الابتعاد بعضها عن بعض ، بسرعة تزيد في بعضها على سرعة دقائق « ألفا » المنطلقة من الراديوم . فكان الكون فضاء من الصابون ، مضت تتنفخ وتنفخ ، حتى غدا ما على سطحها وما فيها من ذرات وجزيئات يشهد بضئ عن بعض بسرعة عظيمة . وقد طلع هذا الرأي على العلماء فجأة فأخذوا به حتى كادوا يسكون انقاسهم ، وعجزوا عن تفسيره تفسيراً مقبولاً عند جمهورهم ، لما فيه من الفجأة والحجأة هذا الموضوع يبالغ من ناحيتين ، أحدهما ناحية الحقائق التي اثبتتها العلماء بالرصد والتصوير والثانية ناحية الآراء التي تفسرها هذه الحقائق

كان هبل Hubble^(١) زعيم هذا البحث الجديد . وكان هيوماسون Humason ساعده^١ الايمن . أما كيف دخل هيوماسون ميدان البحث الفلكي وصار من اعلامه ، فقصه غريبة . ذلك ان والد هيوماسون كان صاحب مصرف في كاليفورنيا . ولكن الولد كان راغباً عن المدرسة وعن أعمال المصارف . وكأب يرى من سهول بإسدينا بكاليفورنيا قمة جبل ولن قاستهونه فذهب الى فندق قائم على مقربة من المرصد المشهور ، وجعل يخدم فيه ، آنما يسوق سيارته ومركباته لنقل ما يجب نقله اليه من المدينة عند السفع . وآناً يساعد موظفيه وخدامه في شتى الاعمال . وعهد اليه في أحد الايام بأن يسوق مركبة نجارها يقال ، وكانت المركبة تقل أجهزة علمية ثقيلة الى المرصد . فالتصل ببعض رجاله ، فمسلقوا عليه ، وكان يُدعى القيام ببعض الاعمال في حجرة الساعات او في حجرة التصوير . وما لبث الفتى حتى رجع في أساليب التصوير الضوئي Photography^(٢) ثم تزوج ابنة أحد رجال المرصد ومن ثم أكسب على دراسة

(١) راجع مقتطف ابريل ١٩٣٨ صفحة ٣٥٥ مقال « المجرات » (٢) فضلاً استعمال لنظري « التصوير الضوئي » على « التصوير الشمسي » لان التصوير قد يتم في ضوء الفلزيوم مثلاً لا بضوء الشمس

علم الفلك وغدا يعتمد عليه في كثير من أعمال التصوير النجمي وفي سنة ١٩٢٢ بلغ من تقدير مدير المرصد لبراعتيه ان عبته في منصب رسمي بين رجال المرصد وأتاح له استعمال المراقب الكبيرة

بعد ان أثبت هبل — على نحو ما بينا في المقال السابق — ان وراء مجرتنا عوالم لا تحصى التفت هو وهيو ماسون الى موضوع فلكي جديد كان قد طرقه أولاً عالم فلكي آخر هو صليفر Slipher مدير مرصد فلاغستاف بولاية أريزونا الاميركية وهو المرصد الذي اكتشف فيه أولاً السّياد التاسع « بلوطو »

كان صليفر قد عني بدراسة طيوف المجرات الجلزونية وهي المجرات التي خارج مجرتنا لانه وجد ان قياس بُعدها بطريقة اختلاف الزاوية لا يجدي . فالتفت الى دراسة طيوفها لعله يستطيع ان يقيس حركتها من خطوط الطيف . وهذه الطريقة تعود الى المقد السابع من القرن الماضي وصاحبها الاول عالم انكليزي يدعى هيجز Huggins وهي قائمة على مبدأ طبيعي اكتشفه أولاً عالم بوهيمي يدعى كرسيتيان دوپلر Doppler في سنة ١٨٤١ ويعرف بمبدأ دوپلر . ولعل خير وصف لمبدأ دوپلر هذا ضربٌ مثلر عليه . ذلك ان القطار الصافر اذا كان مقترباً منا علا صفيره . واذا كان مبتعداً عنا انخفض صفيره . فأمواج الصوت في الحالة الاولى تتلاحق في مدى يقصر باقتراب القطار فتقصر اذا قصر فترقع الصفير . أما اذا كان القطار مبتعداً فان أمواج صفيره تتلاحق في مدى آخذ في الاستطالة بإبتعاد القطار عن السامع ، فتطول الامواج فاذنا طالت انخفض الصفير . وقد كان مبدأ دوپلر مقتصر على عالم الصوت وأمواجه . ولكن اللون في الضوء يقابل الارتفاع والانخفاض في الصوت . فالاحمر في الضوء اقل تذبذباً وأطول امواجاً من البنفسجي في الطرف الآخر من الطيف . فاذا طبقنا مبدأ دوپلر على الضوء قلنا انه اذا كان هناك جسم مضي ضوءاً يقترب منا تلاحقت امواج ضوئه في مدى متقاصر فتقصر الامواج فيتحرف فيه اللون من الاحمر الى جهة البنفسجي . وعلى العكس من ذلك اذا كان جسم مضي ضوءاً بنفسجياً يبتعد عنا تلاحقت امواج ضوئه في مدى متطاول فتطول وينحرف فيه اللون من البنفسجي الى جهة الاحمر . ولا يخفى ان في طيوف النجوم خطوطاً مميزة لها . فاذا قلبنا الآية المتقدمة وبكنا لدينا طيف لجسم مضي . ووجدنا في هذا الطيف الخطوط الطيفية المميزة في غير مكانها المألوف وانما حادت الى جهة الاحمر ، قلنا ان ذلك الجسم مبتعد عنا . واذا كان الحيود الى جهة البنفسجي قلنا ان ذلك الجسم مقترب منا . ومقدار الحيود يدل على سرعة الابتعاد او الاقتراب

واذن في وسع الباحث الفلكي ان يتخذ من مقدار الحيود مقياساً لسرعة ابتعاد الجسم المضيء او اقترابه . وقد كان هيجز اول من اعتمد على هذا المبدء في دراسة حركة الاجرام

السُموية . فأخذ طيوف بعض الاجرام السُموية وتبين فيها الخطوط المميزة لبعض الناسر فيها . ثم قابل مواقع هذه الخطوط بمواقع الخطوط المقابلة لها في طيوف اجسام منيرة ثابتة على سطح الارض . فوجد ان الخطوط المميزة للنصر الواحد في طائفتي الطيوف لا تتوافق . فاستند الخلف الى حركة الاجرام السُموية وثبتت الاجسام التي على الارض . فلما أعلن رأيه هذا في سنة ١٨٦٨ قول بكثير من الريب . ولم يَقم له الوزن الصحيح الا بعد ان أُعيدت تجاربه واكتنت وسائل تصوير الطيوف ودراستها . وعلى هذه الطريقة اعتمد صليفر في دراسة إحدى المجرات الحلزونية فوجدها تدور بسرعة عظيمة . فطرف منها يقترب من الرصد الارضي بسرعة لان الخطوط في طبقته تُجذب الى البتسمجي والطرف المقابل يتباعد عنه بسرعة لان الخطوط في طبقته تُجذب الى الاحمر واجتمع لديه في سنة ١٩٢٨ حقائق عن حركة ثلاثة واربعين سديماً من اقرب السدم الى الارض فظهر له انها جميعاً آخذة في الابتعاد عنا . الا ان صليفر لم يدرك مغزى هذه الارقام فلما لمح اليها هبل وعني بها تبين صلة غريبة وثيقة بين سرعة ابتعاد هذه السدم وابعادها . وان سرعة الابتعاد كما تقاس بالحيود الى جهة اللون الاحمر في خطوط طيوفها تزداد وفقاً لبعدها عن الارض . فالسدم البعيدة أسرع ابتعاداً من السدم القريبة . فهل هذه الصلة بين البعد وسرعة الابتعاد سرعة اساسية ؟ وهل يمكن تطبيقها على الاقلاق الكونية التي وراء ما بلغناه بمراقبتنا ومصوراتنا من رحاب الفضاء ؟ وهل جميع السدم آخذة في الابتعاد عن الارض ؟

ما كانت ترسم هذه الامثلة في ذهن هبل حتى ثبت له ان لا بد من امتحان هذه الصلة ليُعلم احقيقة اساسية هي ، ام ظاهرة عارضة ؟ وان هذا الامتحان يجب ألا يقتصر على السدم التي في نطاق ما بلغناه بالأتا من الفضاء ، بل يجب ان يشمل كذلك ابعداً ما يمكن ان تبلغها . واذا قال المرء الاول الذي يتبين عليه هو ان يقبس ابعاد السدم بالاعتماد على الطريقة التي كشفها للنس لفتت — طريقة للمتغيرات القيفاوية (مقتطف ابريل ١٩٣٨ ص ٣٥٥) — وثانياً عليه ان يبين مقدار الحيود الى الاحمر في طيوفها بالطريقة الطيفية التي ابتدعها هيوز وجاراه فيها صليفر . أما العمل الاول فأخذه على قاطعه . وأما العمل الثاني فهد به الى صاحبه هيوماسون . وأنبأ مدير المرصد بما ينوي فأتاح له استعمال المقرّب الكبير الذي قطر مرآته الماكسة مائة بوصة

ليس من السهل ان رسم طيوفاً للضوء القادم اليها من سدم تبعد عنا ملايين من سني الضوء بل ان سنة الضوء نفسها صورة ذهنية لا تكاد ندرك لها معنى بالقياس الى الابعاد على سطح الارض لان سرعة الضوء ١٨٦٣٠٠ ميل في الثانية الواحدة . وفي السنة ٣١٥٣٦٠٠٠ ثانية على اعتبار السنة ٣٦٥ يوماً . فكيف بنا اذا شئنا ان تصور مليون سنة ضوئية او عشرة ملايين او مائة مليون ! وكذلك كان على هيوماسون ان يقي الضوء الواصل في سديم معين ، مختزلاً هذا

الحلوة الحافل بالسدوم والتجوم ، واقفاً من أنبوب المرقب على شق ضيق في المطياف المتصل به . ثم انه كان يتبين عليه ان رقب ذلك الضوء الليل كله حتى يبق أنبوب المرقب مسائراً لمصدر الضوء مع دورة الفلك ، فلا يحيد عنه والأأ اختلط ضوءه الواقع على المطياف بأضواء أخرى .
 نعم ان للمرقب اجهزة ميكانيكية غاية في الدقة ، يمكن ضبطها فتتخط المرقب مسائراً للجسم المرصود ، ولكن سرعة حركة المرقب تتغير قليلاً بتغير الحرارة ، فلا بد من المراقبة الدقيقة للفوز بالنتائج الدقيقة . ثم يأخذ الليل في الانقضاء ، ويقرب القمر من الانبلاج ، فيجب حينئذ ان تقطى لوحة التصوير الحساسة ، حتى الليل التالي ، وكذلك حتى الليل الذي يليه ، حتى يتم تصوير السديم ، وهو كثيراً ما يستغرق من سبعين الى خمس وسبعين ساعة ، اي من ثماني ليالٍ الى عشر ليالٍ من العمل المضني . وليس بالسهل ان تقضي سبع ساعات او ثماني ساعة كل ليلة مدى ثماني ليالٍ او عشر ، وانت ترقب نقطة من الضوء الضيف ، ولكن هيوماسون نهض بهذا للعمل الاخاذ ، ولم يقتصر على سديم واحد بل صور عشرات ومئات

بعد ذلك يؤخذ القلم المصور ، ويخفض ويثبت في حجرة خاصة بالرصد ، ثم تؤخذ صورة الطيف ويبدأ البحث فيها عن الخطوط المميزة للعناصر ، ليتم هل هي في مكانها ، ام هي حادثة عنه الى جهة ما ، وما مبلغ الجلود . وهذا الضرب من العمل دقيق الدقة كلها . لاث طيوف التجوم والسدوم ، حافلة بالخطوط الدقيقة المتلازمة ، فكيف بها اذا كان الطيف في صورة طولها عشر بوصف . وكثيراً ما كان هيوماسون لا يتبين شيئاً واضحاً فيجد عمل التصوير من اوله . فاذا تبين خطوطاً معينة معروف مكانها في طيف جسم مضى ثابت ، قابل المكانين وعين مقدار الجلود وعلى اساسه تقدر سرعة السديم

كان تقدير سرعة السديم ، وعلاقة ذلك بمدى عنا ، منوطاً بالدكتور هبل . ولم يكن هذا العمل بالسهل السادي . هنا رأي يقول انه كلما بدت السدم زادت سرعة تباعدها . وهذا صور دقيقة فيها خطوط مبهمة تدل على انحراف الخطوط الطيفية . فهل ثبت الحساب ، ان السدم جميعاً آخذة في الابتعاد عنا وفي الابتعاد بعضها عن بعض ، وهل ثبت الحساب كذلك ان سرعتها تزداد بالقياس الى بعدها عنا ؟ لنلك كان البحث في كل صورة من هذه الصور ، وكأنه استكشاف سيار جديد . وكانت النتيجة ان جميع الصور ايدت الرأي السابق — اي ان السدم جميعاً آخذة في الابتعاد . وأبدها عنا اسرعها ابتعاداً

ومضى هبل وهيوماسون في سبر اغوار الفضاء واستخراج النتائج من الصور التي تجمع عندها . ثم اخذا يرتبان تلك النتائج في جدول . وهذا السديم المرقوم N.G.C. 385 في صورة القرص الاكبر بمدى عنا ثلاثة وعشرين مليوناً من سني الضوء وهو آخذ في الابتعاد بسرعة ٢٤٠٠

ميل في الثانية . ثم هناك سديم أبعد من السديم السابق وأسرع . ثمة السديم المرقوم N.G.C. 2562 في عقود السرطان ببدء عنا تسعة وعشرون مليوناً ونصف مليون من سني الضوء وسرعة ابتعاده عنا ٣٠٠٠ في الثانية . أما السديم في فرساوس فبعده سنة وثلاثين مليوناً من سني الضوء وسرعة ابتعاده ٣٢٠٠ ميل في الثانية . والسديم N.G.C. 4884 الذي في شعر برنيقة ببدء خمسة وأربعين مليوناً من سني الضوء وسرعة ابتعاده ٤٧٠٠ ميل في الثانية . وفي صورة الدب الأكبر عقود اكتشفه ولتر باد من بضع سنوات وقدر ببدء بخمسة وثمانين مليوناً من سني الضوء وهو بحسب هذه الصور المصغرة أخذ في الابتعاد عنا بسرعة ٩٥٠٠ ميل في الثانية . ولما كشف عقود الأسد في سنة ١٩٣٠ وعرف أن ببدء ١٠٥ ملايين من سني الضوء صوّط طبقه فاذا الصورة تقول أنه يستد عنا بسرعة ١٢ ألف ميل في الثانية . وفي التوأمن عقود يمد ١٣٥ مليون سنة ضوئية ويتمد بسرعة ١٥ ألف ميل في الثانية . وفي المواء عقود فيه سديم يمد ٢٢٠ مليون سنة ضوئية وسرعة ابتعاده بحسب هذه الصور ٢٤ ألف سنة ضوئية في الثانية

الصورة المصغرة	المسافة بملايين سني الضوء	سرعة الابتعاد بالأميال في الثانية	عدد السدم التي رصدت وصورت
المذراء	٦	٧٠٠	٢٣
الفرس الأكبر	٢٣ر٥	٢٤٠٠	٤
السككتان	٢٤	٢٩٠٠	٤
السرطان	٢٩ر٥	٣٠٠٠	٢
فرساوس	٣٦	٣٢٠٠	٤
شعر برنيقة	٤٥	٤٧٠٠	٨
الدب الأكبر	٨٥	٩٥٠٠	١
الأسد	١٠٥	١٢٠٠٠	١
الأكليل الشمالي	١٢٠	١٣٥٠٠	١
التوأمن	١٣٥	١٥٠٠٠	٢
المواء	٢٢٠	٢٤٠٠٠	١

هذه هي حقائق الموضوع . أتيتها بالرصد والقياس باحثان متكلمان . فما مزاها ؟ أتعني أن الكون أخذ في التفرق والتشتت ؟ وما صفة هذا الكون وما صورته ؟ هذا موضوع للمقال التالي

الشيخ ابو علي

ابن سينا

بقلم مؤرخ مؤيد زاده

صاحب جهره نما اليرانية

- ٢ -

ان أبا علي كما نرى في سيرته كان من نواحي عصره الذين لا يشق لهم غبار فان عبقريته
الفذة مكتنه من أن يتقن في زمان قليل علوماً لم يتمكن غيره من فهمها واقتنائها إلا بعد عناء
شديد ومحاولة محتاج الى زمن ليس بالقليل . نعم ان هذا الرجل اللوذعي العظيم قد حوى ما استصى
على الناس من العلوم والمعارف في اقل من شبابه وأحاط بها إحاطة تامة وفهم مسائلها وأوضح ما أشكل
منها وكشف غطاء اسرارها وشرح نكتها الدقيقة ولم يترك باباً من العلم إلا طرقه ولم يبق مسألة
إلا نظر فيها وبلغ به الامر أنه لم يحصل له اي تفاوت في زمن الكهولة عن زمن الشباب الذي
هو أو ان الطيش والبش تضرب فيه الأفكار وتزل فيه الاقدام فكان له في شبابه ما للشيوخ
من الأفكار والمسائل في شتى العلوم والمعارف

ومن هنا قال بعضهم ان دماغه كان مخلوقاً للفلسفة وممجوناً منها بل في وسعنا ان نقول ان دماغ
أبي علي كان خلافاً للفلسفة وموجداً لها . فقد كان للرجل ذكاء وخطة قويان نادران قلما وجدا
في شخص فكانا طليين قويين في استخراجاته ومستبطاته في الطب ومعالجة الامراض فقد
استنبط بفضل هذه المواهب ما ربما عجزت عنه اليوم الافكار مع ما في تناولها من الوسائل
الكاملة التي جهزها بها العلم

يقال أنه أصيب مرة بصداغ فقبيل اليه ان مادة من المواد قد توجهت الى دماغه فاذالم
يدفعها بأضمة ولطخات خارجية احدثت قرحة في دماغه فيادر الى مداواة نفسه ونجح فيها استنبط
وفضلاً عن هذا الذكاء النادر والقطعة التي فاق بها أهل عصره كانت جميع قواه في حد
الاعتدال والكمال فكان متفرداً في القوى المادية والمنوية ومشتاكاً بها . ولاجل هذا يمكن



ابن سینا
کا نقیضہ و رسمہ جبران خلیل جبران

ان يقال عنه أنه كان انساناً معتدلاً تام القوى ونحن نعلم حق العلم ان لاعتدال القوى المادية اثره الفعال في اعتدال القوى الفكرية . والفلسفة الجديدة تبرهن على هذا وتبينه لنا ولذا كان أبو علي من الوجهة الفكرية من أعدل الفلاسفة المشائين وكانت طريقته أقرب الطرق للبرهان والحقيقة فضلاً عن هذا فان القوى المذكورة قد اكتسبت الرجل قوة من الاجتهاد والتأثر على الاعمال تناسبها تمام المناسبة ولذلك زاه قد تمكن من اعمال القوة المادية والروحية واجتنب منها ثماراً فاضحة وأحرز منها نتائج باهرة لا يستهان بها بل لا يحصر مداها . فقد روى لنا أبو عبيد : قال عند ما وصل منطلق كتاب التجاع الى شيراز أورد عليه علماء تلك المدينة بضاً إشكالات أرسلوها للشيخ على يد أبي القاسم الكرماني فتناول الشيخ الرسالة وراح يشتمل بأمور كانت لديه وكان وصولها عند الاصيل ففضى الشيخ تلك اقية مع أبي عبيد ولكن أبا عبيد يقول لم يقتبس الصبح حتى وجه اليه فحضرت ووجدته جالساً في مصلاه فتناولني الجواب وكان مكتوباً على حسين صحيفة

ويروي لنا هذا الرجل أيضاً ان ابا علي قد ألّف مبحث الآتيات والطبيات من كتاب الشفاء سوى مبحث النبات والحيو ان في مدّة لا تزيد على عشرين يوماً ولم يمتحن في تأليفه الى مراجعة اي كتاب واليوم لا يمكننا ان ندرس وتفهم ما كتبه هذا البقري في أقل من سنتين . فالظر الى حافظه هذا الرجل واستحضاره للسائل والمطالب ثم تصوّر شخصيته الفذة . ولعل هذه القوى والحافظة والذكاء النادر وممكنه من ممارسة العلوم والاحاطة بجميع المسائل وفهم المطالب اكتسبه في مجالس الدرس والتقرير تلك الحدة التي طالما أشار اليها المؤرخون وصروا بها في كتبهم وولفاتهم . فقد ذكر الشهرزوري في عدّة مواضع من كتابه تاريخ الحكماء ان أبا علي كان يحبذ ويكثر من ذم العلماء ولذلك كثر أعداؤه والحافدون عليه وأخذوا يسمون بشق الطرق في احتقاره واستخفافه . ونرى كل هذا واضحاً مكتوباً في رسالته ومنها رسالته المسماة بالأضحوية وقد قال في أولها « وقد اتاني حوادث وصيّبت علي مصائب وعين لو أصيبت بها الحيلال الرّواصي لتصدّعت واندكت منها »

ومنها معارضة أبي علي لأبي القاسم الكرماني وأبي علي المعروف بمسكويه وهي دليل على هذه الدعوى . يقال ان أبا علي مرّ يوماً على مجلس درس لمسكويه فرس اليه بحجزة وقال له ما مساحتها ؟ فنأوله مسكويه رسالة كان ألّفها في علم الاخلاق وقال له يجب عليك أولاً ان تسمى في تهذيب أخلاقك

لا ريب في ان الامر لا يخرج من مبالغة وان أكثر هذه الامور قد نسبها اليه أعداؤه وخصومه الكثيرون في حياته وبعد مماته

وكيف يمكن ان يصدق ان رجلاً بلغ من العلم والحكمة مبلغاً فاق به الاقران والارباب يكون على جانب عظيم من سوء الخلق والحدة التي تلوث سمته ؟
 فاذا سلطنا جدلاً بما يقال عنه فاقنا لا يمكننا إلا أن نعترف بأن أبا علي كان من أعظم الفلاسفة بل كان على رأس أولئك الذين تثقفهم المدينة الاسلامية الزاهية وأحبيهم ذلك العصر الذهبي الزاهر. فقد درس فلسفة أرسطاطاليس من دون إلام بالغة الاغريقية او اللاتينية ففهمها بفضل قواه التاددة وذكاؤه العجيب ومع أنه لم يكن لديه إذ ذاك سوى تراجم ناقصة فقد تمكن من أن يتكلم فيها ويقررها أحسن تقرير وبينها بياناً ما عليه من مزيد حتى لمسخت مؤلفاته كتب المتقدمين ورغب فيها الناس ورغبوا عن كتب أرسطاطاليس فاحتلت هذه مكانها

ولم ينكر المتقدمون ولا التأخرون مقامه هذا وقد أقروا له بالفضل واعتفوا له بأنه أحق استاذ قرر تعاليم أرسطاطاليس وقد عرضوا عليه كل مسألة أشكلت عليهم واخذوا برأيه وجعلوا أقواله وآراءه مستنداً لهم في اثبات المسائل الفلسفية والحكمة. ومن جملة فلاسفة الاسلام وعلمائهم الذين يشار اليهم بالبنان ابو حامد الفارابي فقد قال في مقدمة كتابه (تهافت الفلاسفة) ان أقوال المترجمين لكلام أرسطاطاليس لا تخلو من تبديل او تحريف يحتاج الى تفسير او تأويل وقد صار هذا سبباً للزاع بينهم وبين أكبر فلاسفة الاسلام نقلاً وتحقيقاً اي الفارابي وابن سينا، ولذلك فحين نبذنا ما اختاره وقالنا بصحته لا نقا لا لشك فيما لم يتناووه ان يكون سقيماً أو مختلاً

ولاجل ذلك يمتد بعض العلماء ان الفارابي لم يقدم على تأليف كتابه هذا الموسوم بتهافت الفلاسفة إلا وهو يريد هدم آراء ابي علي الفلسفية والتعامل عليه والخط من مقامه وكذلك كتاب المصارعة مؤلفه محمد بن عبد الكريم الشهرستاني فهو يحكي لنا الصراع الدائم القائم بين مؤلفه والشيخ أبي علي بن سينا. وقد جاء في بعض الرسائل الفلسفية أنهم اتفقوا على ان أبا علي قد تردد وفاق الاقران في الحكمة وأصبح في الفلسفة جلاماً دهره فلم يبلغ شأوه أحد ولم يبق له غبار وكل من ادرك كلام أبي علي وفهم معناه فقد فاز بنصيب سبق وقال أعلى مقام في الحكمة والفلسفة. وكان عمر الحياشي من فلاسفة القرن الخامس والسادس من الذين يمتدنون بأبي علي أي اعتقاد وقد سأله بعضهم شأن الاعتراضات التي اوردها ابو البركات البغدادي على آراء ابي علي في الفلسفة والحكمة من الصحة والبطالان فأجاب الحياشي ان أبا البركات لم يفهم كلام ابي علي بعد

وقد بلغ المقام بأبي علي في الفلسفة والحكمة حتى أصبح تلمذ مؤلفاته وتعليمها من الامور الضرورية المسلم بها حتى أصبح المقصود من درس الفلسفة على مر الزمان هو دراسة كتب ابي

علي ليس إلا ولذلك هدأت الحركة الفلسفية وتوقف سيرها الى حذرٍ ما قال ذلك الى انحطاطها في القرون الاخيرة فقام بعض العلماء وطارض اقوال ابي علي وآراءه وأورد عليه ولم يكن ذلك الا اظهاراً للفضل والعلم وثمّر آخرون لدفاع عنه وعن تأليفه وكتبه . ومن المعارضين للشيخ والمودعين على كتبه شكوكاً كثيرة الامام غفر الدين الرازي الفارح لاشارات ابي علي وقد رد على آراء الشيخ ومبانيه حتى ممّى بعضهم هذا الشرح (بالجرح)

ثم جاء نصير الدين الطوسي من جهة حكماء القرن السابع وقرر اقوال الشيخ احسن تقرير وأبطل اعتراضات غفر الدين الرازي وحسبها واهية واتقد كتبه وجرحها بشكل مختلفه . وكذلك محمد بن عبد الكريم الشهرستاني فقد كرر في كتابه المصارعة آراء ابي علي وأقواله واعترض على أكثرها اعتراضات واهية حسبها وارادة وقد يتجاوز هذا الرجل في بعض الاحيان حده فيمدّ كلام ابي علي كالمجانين والمجنودين وقد رد الحواجة نصير الدين على كتابه المسمى بالمصارعة بكتاب سماه (مصارع المصارع) وأبطل اقوال الشهرستاني واتقد اخلاقه ولامه على تعرضه للشيخ بما لا يليق من الكلام ولعمر الله ان نصير الدين لم يلى حق فيما يقول

ولما شاعت وانتشرت فلسفة المشائين ومعتقداتهم على يد ابي علي وكتبه واذهن لما تقريباً قام رجل من اطامم علماء ابران ماضاً لهذه المعتقدات وجاء بالعقيدة الاشراقية وهي التي تعرف بالحكمة الاشراقية وجعل يقررها ويشيد لها صرحاً على انقاض اصول المشائين التي أوشكت ان تقرض ويأفل نجمها . وقد راجت الحكمة الاشراقية وكثر تأييدها وكسدت سوق مؤلفات ابي علي ورغب عنها الى حذرٍ ما وذكر تفصيل ذلك في تاريخ الفلسفة للقرن السادس



وقد حاز ابو علي فضلاً عن الفلسفة مقاماً شاعراً في الطب ووقف منه موقف الاستاذ فقد نسخ كتابه المسمى بالفاتون كتب المتقدمين وقضى على تعاليمهم . وكان ابو علي يتحيز لارسطاطاليس ويميل اليه ويتحامل على جالينوس ويحقره في كتبه ويسميه احياناً (فاضل الاطباء) ويقول عنه ان فاضل الاطباء جالينوس هو طيب غير انه يجب ان يتقلف
أما محمد بن زكريا الرازي فكان جالينوسياً ولم يكن يعتقد بأرسطاطاليس كثيراً —
فطريقة أبي علي التابع لارسطاطاليس في تدوين الطب وتقريره له منطقية بينما طريقة الرازي أقرب للمطابقة والسمل

فلما شاع منطق أرسطاطاليس بين الناس ولم يكن الاشتغال بالتشريح والتجارب الكيميائية بالامر الهين كان تقرير أبي علي وقوة يانه أحسن تأثير في انتشار طريقته وأقوى عامل وضمن للاخذ بها فلسفت طريفة جالينوس التي نشرها محمد بن زكريا وغيره من الذين عرفوا

بإزندقة وعدم التمسك بمنهج فصار كتاب قانون أبي علي يدرس في جميع جامعات الطب والمجالس التي تعقد لدراسة هذا العلم وغدا الكتاب الذي يستمد عليه . ولم يقتصر أبو علي في الطب على التقليد بل كانت له تجارب وآراء وتأملات وكان أكثرها في معالجة الأمراض ومداواتها وقد ذكرها في القانون وقد فقد ما كان منها على صورة مذكرات لم تدون بعد في كتاب — هذا ما يرويه لنا أبو عبيد

وقد ظن بعضهم أن أبا علي — كما يستفاد — من كتبه لم يكن إلاً تائماً لارسطاطاليس وقد قلّد العلم الاول في آرائه قوةً وفضلاً وخصوصاً في المطلق وكتاب الطب الاول . ولكن الامر على خلاف ما ظنوه فقد كان للشيخ في كل قسم من اقسام العلوم التي اخذها عن ارسطاطاليس آراء اودعها في كتاب مخصوص سماه (الحكمة المشرقية) وإما الحطّة التي كان قد قرّرها لنفسه في تأليفه وكتبه كالشفاء فهي تقرير آراء المشائين ليس إلاً ولعلك لم تتعرض لرد آراء شيعة أرسطاطاليس وتضمينها بل على العكس من ذلك سمى في تأييدها جهد طاقته وقد اتبع نصير الدين الطوسي الذي خلفه هذه الحطّة في كتبه التي ألفها في تقرير آراء المنكلمين والحكماء من الاشراقيين والمشائين . ومع ان الشيخ أبا علي يقول كل من اقرّ بشيء وأمن به بلا دليل لديه فهو خارج من القطرة الانسانية منسلخ من الطبيعة البشرية زاهٍ عند انبائه لقوة أجاز للفرد السكامل اباحت صيت مخالفه ودماءهم . ولعل آراءه هذه حملت المؤلّفين على ان يستقدوا فيه التكمّل ولكنه لم يكن معروفاً بذلك في عصره بل كان معاصروه يرمونه بالكفر والاحاد والزندقة . والذي يلوح لنا من سيرة حياته أنه لم يكن منكراً للعبادى الدينية وكان كلما وقعت له مسألة لم يفهمها دخل المسجد الجامع وسأل الله تسويلها وكشفها له . ولما أبقي بالوقاة تاب الى الله ووهب أمواله للفقراء والمساكين ولعل ما أهمه به المعاصرون من الكفر والاحاد جعله يستند في كتاب الحقائق الفلسفية وعدم البوح بها وقد اوماً في آخر كتاب الاشارات بكتبتها والنضن به على غير اهله وأن لا يظهر عليه إلاً من كان أهلاً له . وأما من الوجهة التعليمية فقد كان يشابه أرسطاطاليس كل الشبه . ولم يأخذ برأي فلاسفة الهند الذين يستقدون ان عمران الروح لا يكون إلاً باضاف الجسم وهدم بنائه . وقد اخذ بهذه العقيدة بض المتصوفين ولكن أبا علي لم يقدم على حدم قواه الجسدية بل تمتع بقواه الروحية والجسمية كما يقول الحقون والفلاسفة والرفقاء أن الانسان يجب ان يكون جاسماً وذات عَيْنين ويهتم بكل من مرانب الوجود في حدة . فكان كما يقول اهل الرفاق : « لا الكثرة تمنع وحدته ولا الوحدة تعجب كثرته »

الجيش المصرى

والاستكشاف في أفريقيا

للأول عبد الرحمن زكى

— ٢ —

أقليم هرر

إذا تمحّولنا من بلاد الصومال الى مديرية هرر التي زارها الرحالة الانجليزي برتون R. F. Burton بين عامي ١٨٥٤ و ١٨٥٥ وجدنا ان النتائج العلمية التي حصل عليها كانت قليلة جداً ولا يصحُّ الاعتماد عليها ويمكن ان نتحلّ بعض الاعذار لهذا الرحالة فنقول ان الاحوال التي احاطت به أثناء اضطلامه برحلاته جعلت اقامته في هرر لا تزيد على عشرة أيام. ثم انه تذكّر عليه ان يستعمل من اجهزة البحث الا بوصلة الحبيب وساعة وثرموتر ومع ذلك فقد أدت له بعض الفائدة (١) ويحتوي كتاب برتون بجانب تخطيط عام لهرر على خارطة اخرى لا قيمة لها البتة من الناحية الجغرافية تبين الطريق الذي سلكه الى هرر. وقد كان الموقع الذي أثبتته لمدينة هرر أصح من للموقع الذي اثبتته هاريس واعوانه الذين قاموا برحلة الى شوا (٢) او الرحالة كراتدن (٣) ولقد ظننت مهمة القوز بمعلومات صحيحة عن داخلية تلك البلاد شاقة جداً زمنياً طويلاً لغيره الاهالي الوطنيين ونصّبهم. فكانت المعلومات المكتسبة مبنية على التخمين والرواية وليست مؤسسة على التحقق العلمي. وظلت الاحوال على هذا التوال مدة عشرين عاماً عقب زياة برتون. ولم يحاول احد خلالها ان يقوم بفتح داخلية البلاد حتى ظهر المصريون وأفلحت جهودهم في عام ١٨٧٥ وحينذاك سهل القيام بالرحلات. فتجمعت تدريجياً المعلومات وانقطع الرئيسية للارشاد للمرة الاولى علمت خارطات لأقليم كان بالامس مجهولاً تماماً. واستطاع

R. F. Burton. First Footsteps in East Africa. London 1866. p. 62 (١)

W. O. Harris. Highlands of Aethiopia, 3 Vols. London 1844 (٢)

C. J. Cruttenden. J. R. G. S. Vol XIX. 1849 pp- 49-76, also J.R.G.S. (٣) Vol. XVIII, 1848. pp. 136—139.

الضباط المصريون بقيادة البكباشي عتار ان زهوا بسلمهم الانساني قاتشوا هرر من الظلام الجغرافي الدامس التي رقدت فيه قروناً كاملة

لقد وصل المصريون الى تاضيم الباهرة التي لم يصل اليها أحد من قبل لانهم كانوا يشرفون على ادارة تلك الاقطار ولانهم كانوا ايضاً يشمون بمزايا لم يتمتع بها غيرهم من المستكشفين . وقد استفادوا من تلك المزايا بدليل النتائج الفزيرة التي حققوها والتي زراها أمام أعيننا اليوم في عام ١٨٧٦ بعد ان أنهى البكباشي محمد عتار من جولاته لاستكشاف بلاد الصومال^(١)

لشر مع زميله فوزي بالفة العربية الخارطة الاولى لهرر والبلدان المجاورة . وقد ظهرت في مجلة اركان الحرب . وكتب ايضاً الضابط فوزي مقالاً طويلاً عن نتائج أعمال الكشف الذي قام به المصريون في مقاطعات شومب العيسى وجالا وهرر^(٢) . وتمتاز الخارطة المذكورة بدقة ما احتوته من الحقائق كالمحطات المهمة والمدن وطرق التجارة ومقاطعات القبائل وأم اوصاف الارض الطبيعية ومعالها^(٣) . وفي هذه الخارطة أثبت موقع هرر كما يأتي :

٤٨ ٢٢ ٩٠ من خط العرض و ١٥ ٢٠ ٤٧ من خط الطول^(٤) . وإثبات هذا الموقع لا يختلف الا بضع دقائق الى الشمال ومنها الى الشرق عن موقعها الجغرافي الذي أثبت أخيراً بناء الضبط كما يختلف شيئاً قليلاً عن الموقع الذي أثبتته رهوف باشا في تقريره عن مدينة هرر وضواحيها^(٥) في تقرير رهوف باشا أثبت موقع المدينة على خط عرض ٢٠ ٩٠ شمالاً و ٤٧ ٢١ طولاً كما أثبتته برتون . ولكن لم كان الاختلاف بين تقرير القائد العام للحملة الى هرر وبين تقارير ضباط هيئة اركان حرب ٢ هذا مما صعب فهمه

والخارطات الهامة الاخرى التي أحرز فيها عتار وفوزي نجاحاً باهراً خلال الاعوام الاولى للاحتلال المصري هي اول تخطيط عمل لمدينة هرر (١٨٧٦) وقد يئنا عليه أسوار المدينة وأبوابها وقلاعها وأم الابضاحات الطبوغرافية ورسمها قطعاً واحضاً يقطع المدينة في اتجاه شمالي جنوبي تقريباً^(٦) وهذا الرسم (قياس بـ بـ) يعتبر عملاً قاتماً من الطراز الاول من ناحية التفاصيل الموضحة عليه ومهارة العمل ودقته اذا قوبل بأي عمل آخر تم فيها بعد لهذه المدينة

(١) راجع النبعة التي كتبها البكباشي عتار على استكشافه في بلاد جاديبورسي المدرجة في البعد السابع من القسم الاول من مجموع الجغية الجغرافية (٢) مجلة اركان الحرب — السنة الثالثة — المجلد ١ — الجزء ٥ — القاهرة ١٨٧٧ من ٣٨٥ — ٤٠٠ وجزء ٦ من ٤٦٢ — ٤٧٩ (٣) أحمد موزي — وصف عمل الاستكشاف في العيسى والجالا وهرر — مجلة اركان حرب — السنة الثالثة ١٨٧٧ — المجلد ١ — ٥ من ٣٩٢ . ومحمد عتار — الجغية الجغرافية — ملاحظات عن مقاطعة هرر — السلسلة ١ — من ٣٦١ (٤) في هذه الخارطة يعتبر خط الطول المار بياريس صفر (٥) رهوف باشا : تقرير عن مدينة هرر وضواحيها — مجلة اركان حرب ١٨٧٦ — السنة الثالثة : المجلد ١ — جزء ١ من ٤٤ (٦) محمد عتار وواحد فوزي : خارطة مدينة هرر عام ١٨٧٦ — مطبعة اركان حرب القاهرة — القاهرة ١٨٧٧ — مجلة الجغية الجغرافية الجديدة ١٨٧٧ — السلسلة ١ رقم ٤

ونذكر أيضاً في هذا الصدد — الخارطة العربية — لبلاد الصومال التي رسمها الضابط فوزي وعرضها في المؤتمر الجغرافي بالبندقية عام ١٨٨١^(١). لكن مما يؤسف له أن تلك الخارطة قد فقدت. ومن المحتمل أن تكون قد أودعت في مكان وظلت فيه منسية مجهولة

عود إلى الصرمال وبربرة والجبهة

وقبل اختتام هذا البحث نمود إلى ذكر بعض الأعمال الجغرافية التي قام بها الضباط المصريون في إفريقيا. فقد رسم الملازم الأول عبد الرزاق نظمي وكثير من زملائه من ضباط أركان حرب الجيش مئاة بربرة وضواحيها إلى جبل دوبار. وكان المستر « سدي أفسور » مكلفاً بأتمام البحث فيها يختص بإنشاء سكة حديد بين دنقلة والقناطر

ولما نشبت الحرب بين مصر والجبهة (١٨٧٦) رسم بعض ضباط أركان الحرب برأسه الأميرالاي لوكت عدداً كبيراً من الخارطات التفصيلية لبلاد الجبهة ورسموا خارطة عامة للبلاد الواقعة بين مصوع وهضبة الجبهة. ويتر هذا العمل من أهم وأفضل ما اشتغلت به هذه الجماعة المنتخبة من أكفأ الضباط المصريين. كحقوق البكباشي عبد الله فوزي (بشا) حدود الجبهة الشمالية والطرق بين مصوع والخروط ثم رسمت خارطتها^(٢)

وفي عام ١٨٧٨ عهد الحديو اسماعيل إلى الكولونيل جريفز (Col. Graves) والقائمقام محمد مختار بارياد شواطئ الصومال على المحيط الهندي لاختيار موقع يقام فيه قنار لأرشاد السفن «تقطط» القائمقام مختار بك خارطة هذه الجهة ومكان القنار وهو يقع على بعد ثمانية أميال جنوبي رأس جردوفوي^(٣) وعلى مسافة ثمانمائة متر من مصب نهر جفري يجري فيه الماء العذب. لكن لم ينشأ القنار لانهاء حكم اسماعيل في يونيو سنة ١٨٧٩. وفي عام ١٨٨٠ كان الأميرالاي محمد مختار قد جاب نواحي السودان الشرقي لما كان رئيساً لأركان حرب السودان بصحبه من ضباطه خليل بك فوزي والملازمان محمد خير الله وعلي خيري وقد نشر بحثاً مسهباً في تخطيط أبو حراز والقضاوف (ابوسن) والقلابات وطومات وأبيديب وغيرها من مدن السودان الشرقي^(٤)

الأعمال الختامية

وتتجه الآن لدراسة آخر أعمال الخرائط التي أنجزها الضباط المصريون في هرد التي نعتبر تقدماً بآهراً على الأعمال التي سبق عملها بمعرفة مختار وفوزي وغيرها: ففي أواخر عام ١٨٨١ مسحت هرد وملحقاتها من جديد بتفصيلات متقنة وإيضاحات أكثر مما جلت في المحاولات التي تمت من قبل

(١) مجلة الجمعية الجغرافية الجديدة ١٨٨٢ — المجلد ٢ — رقم ١ — ص ٢١ — (٢) عبد الرحمن الراسي — مصر اسماعيل — ص ١٧٩ — (٣) مجلة الجمعية الجغرافية بمجموعة ١ عدد ٩ (أغسطس — نوفمبر ١٨٨٠ ص ٢٩) — (٤) مجلة الجمعية الجغرافية بمجموعة ١ عدد ١١ — فبراير ١٨٨١ ص ٥

الياس فياض

وقصيدة النجوم

ليوسف البعيني

مضى خمسة أعوام وأزيد على وفاة الشاعر الرقيق الحساس الياس فياض ذلك الليل
التريد الذي فتن بأناشيدهم أبناء العربية على السواء . وكنت طوال هذه الاعوام أمشي النفس
بكتابة كلمة ضافية عنه لا لشيء بل قدراً لروحه الكبيرة وإصفاً للشعر العربي الذي أحيتهُ
وآثرته على الآداب الأخرى لما في أوزانه من رنين ، ولما في الفاظه من حبه لم يحجبُ نوره
ولم تترسده جهرائه !!

أما أدلتي على ذلك فهي تلك المقاطع الساحرة التي رددتها تحت سماه الشرق المقمرة
عُمر بن أبي ربيعة ومجنون ليل وغيرها من شعراء الحب والغرام . . . وقد طوت أعمارهم
الحبيب الحوالي طافية كالاحلام فوق أمواج الدهور دون أن يفقدها قادم العهد تلك التشوة
المسكرة ، وذلك الدبيب المستحب

على انني لا احاول في هذه الكلمة الموجزة أن أعطي للقارئ صورة شفاقة عن الياس
فياض ، ولا أن أجهد نفسي بتبين اسرار شعره السامع اللذيذ . . . كلا فأنا لا أقصد هذا
ولا ذاك . . . بسبب اني أريد التحدث عن قصيدة « النجوم » التي كانت ولا تزال موضوع
إعجاب وفئة لدى ادباء العربية في كل مكان !

وقبل ان ابدأ بمحدثي أحب ان اطلع القارئ على اني أصرف اكثر أيامي وليالي بين
الكتب . فلعطالمة الكتب عندي لذة لا تماثلها لذة في الحياة . . . ولذلك توقفت لدي رؤية
أحاديث أدبية طريفة ، رؤية لا حدود لبحورها ولا نخوم . . . وعلى هذه القاعدة اسست
واقفاً على سير الادباء ، ليس عند العرب فحسب ، بل عند كثير من الامم الغربية التي تذوق
الادب الرفيع ، وتقديم الفن والجمال !!

ولطالما عثرتُ في مطالعاتي على ما أخذ أدبيّة جنة ، ما أخذ شمعية ونثرية ، فكنت امضي في سبيلي وهو سيل الاديب الذي لا يطلب من مطالعائه الاّ الذّة الشافية وإشباع ميوله وعواطفه بروحانيّة حلوية سامية . وظلّ عهدي كذلك حتى وقع بين يدي ديوان — الباس ففاض — وهو من أفضل الدواوين الشعرية التي اصدرتها المطابعُ العربية في مسهل هذا الحيل لكونه مطبوعاً بطابع يختف عن غيره ويتهادى في موكب من الجودة والانسجام . وقد حُرمت من هاتين الميزتين أغلب دواوين الشعر في تلك الايام

قرأت الديوان فأسكرتني قصائده العذبة وعلى الاخص قصيدة — النجوم — تلك القصيدة الرائعة المؤثرة التي قلّدها جمهور من كبار شعراء العربية في مصر ولبنان . وهؤلاء لم يقلدوها الاّ لما تحمل في آياتها من حرفة ، هي حرفة الشاعر الظالم المتألم الذي يتماق فجر الحياة ومساوئها في ظلال أجفانه !!

وهذه هي القصيدة :

قُلْتُ لِلنِّجَارَاتِ ذَاتَ مَسَاءٍ	أَتُرَى أَنْتِ مِثْلُنَا فِي شَقَاءٍ
بَاهِرَاتِ الْجَنُودِ — هَلْ لِفِرَاقِي	خَافَقَاتِ الضُّلُوعِ — هَلْ لِقَاءِ
هَاتِمَاتٍ مَعَ الْمَجْرَةِ تَجْرِي	بِنَ إِلَى غَيْرِ غَايَةٍ أَوْ رَجَاءِ
مِثْلَ سَرِيرٍ مِنَ الْقَطَا ظَلَمَاتِ	حَوْلَ مَاءٍ يُمْنَنُ وَرَدَ الْمَاءِ
أَوْ عَذَارَى مِنْ حَوْلِ لَشَى جَارِي	فِي صَلَاحٍ مَا تَقْضِي دُؤَاءِ
إِنَّ فِي لِحْظِكَ الشَّجِي خَيْناً	نَافِذاً سَهْمُهُ إِلَى أَحْشَائِي
وَأَرَى نُورَكَ التَّضْيِيلَ كَمِيعٍ	سَائِلٍ مِنْ عَجَاجِرِ مِضَاءِ

أَتُورُ كَكَيْتٍ أَمْ جِرَاحُ	أَنْتِ فِي اللَّانْهَابَةِ السُّودَاءِ
أَنْتِ بِإِجْدَةِ الْخَلَائِقِ أَمْ أَلَدُ	هَرِ يَا رَبَّةَ الْهَدَى وَالضِّيَاءِ
أَنْتِ تَبْكِينَ يَا نَجْمُ ؟ أَجَابَتْ	نَحْنُ فِي عَزَلَةٍ بِهَذَا الْفَضَاءِ
بَيْنَنَا الْبَحْرُ مِنْ قَدِيمٍ فَلَا يَفِرُّ	كَ مَا تَقَارِبُ الْأَضْوَاءِ
كُلُّ نَجْمٍ مَنَا يَبْقَى بَعْدَ	عَنْ أَخِيهِ فِي وَحْشَةٍ وَجَفَاءِ
عَرَفَا نَفْسَهُ بِسَيْرِ اسْتِقَاعِ	ذَاهِبَا نُورَهُ سَدَى فِي السَّاءِ

قد فهمتُ الذي تقولين يا شبيب فأنتنَّ أغنى الشعراء
هكنا نورها يضيئ بأفقر زلت منه منزل الغريباء

لا ترى الاقنص القريبة منها ما بها من تودد وذكاء
فتبر الظلام حيناً ونمضي في ثياب الخلود نحو الفناء



ولكنني لم أكّد استيذنها حتى طلت بأنها مأخوذة عن الشاعر الفرنسي المشهور —
سولي برودوم — وأحييت أن ابنه للرحوم إلياس فياض الى هذا المأخذ الصريح فكنت
إليه رسالة لطيفة طويتها على إعجابي به وعلى تبيان الحقيقة . وعلى الرغم من تقادم الهدى فأنا لا
أزال أذكر من تلك الرسالة جملة مقتضبة فيها جمال وإغرائي وهي : —

أخي الحبيب إلياس ،

أجنتاه ريشتك الساحرة من رياض الجنة ومطررة بأقاص الخلود ... أم قصتها من
جيب الانبياء حتى جاءت قطرة في جراحات القلوب ما تقطره ، وتسكب على الاجفاف
الذابلة ما تسكبه ؟ فلهذا درك من شاعر حنون اذا ما أهاب بأوتار قيثارو مشيت رعدة رياض
الشعر وبلا به

بشت الى تلك الرسالة نازقاً في مراشها طائفة من عواطف المرتفعة كزينة الفور عندما
يلامسها نسيم الادية وهي اول رسالة بشت بها الى شاعر يلعب اسمه في سماء الادب اذ
كنت أقل خطواني ايماناً بحيرة واضطراب كافي الفرخ بهم للظبران من الغوصه واحباً ضعيفاً
على اني ما انتظرت ان يميني ميناً لي الحقيقة . ولكنه اجابني رحمه الله بكتاب ضاف لي
على ادب سام وروح معذبة ترعها اشباح الشعرية . وهذا الكتاب لا ازال احتفظ به كأثر
قال له قيمته المقدسة

إليك بضمه :

أخي !

أي فهم موجع مؤثر هو هذا التعم الذي جئت تسميني اياه ؟ لقد أبغضت في صدري حلماً
هامداً كنت أحسبني رقدت معه يوم ودعت الشعر وقبعت صامتاً الى ان يسمح الله بنيب شمس الحياة
تسألني يا أخي عن قصيدي — التجوم — وتلج عليّ بتبيان حقيقة أمرها . لقد قلت
لي انها وقت من نفسك في العربة موقفاً اللطيف منها وهي في الفرنسية . لماذا لم تكشف بهذه
اللذة قائلاً بها وحدها ؟ أما وانت تريد ان تعرف اسرارها فأنا عليّ اذاً ألا أن احذ لك بأسباب ،
وهذا الحديث يرهقني كثيراً لكوني مريضاً اليوم بداء قديم سوف لا يارحني إلا وحياتي
في قبضته !

من عشرين عاماً تقريباً كنت أدرس الحقوق في باريس — باريس المدينة الشعرية القائمة —
 صرقت فيها قاعة جيلة شقراء على جانب كبير من الثقافة والتوسع في الفنون . وكثيراً ما أُنشدتني
 الراثع من الشعر الفرنسي . ومن بين ما أُنشدتني إياه ، وكان له تأثيراً عميقاً على عواطفني
 وأفكارني ، قصيدة — سولي برودوم — المسماة (الهجرة) فقد رسخت هذه القصيدة في
 فكري وسوخاً امتزج بقلبي وروحي

وبعد مضي زمن طويل على هذا الحادث عدت الى الاسكندرية . وفي ذات ليلة اشتدّت عليّ
 آلامي النفسية فرحت أبحت عما يمزّني . ولما لم ألقَ في الاسكندرية من أجسّهُ مصابي بكيت
 متأثراً ، ولم يكن أمامي إلا النجوم اشكو اليها كآبني . فقابلت بين احتراقها في الظلام وبين احتراق
 نفسي الحزينة لخاش الشعر في قلبي . . . ولم يطلع الفجر حتى كنت أعم أخريت من قصيدة النجوم
 هكذا نظمت قصيدة (النجوم) وأنا أحسب أنها من توليدي . ويمكنك الاعتقاد يا يوسف انني
 لم أكن انتظر ان أحيي على أبيات بكاملها من قصيدة الشاعر الفرنسي المجدّد ، وان نبرة تلك
 القاعة الحسنة ما زالت تردّد في عيالي . . . ولذلك لم أقل في ديواني انها مأخوذة !
 (أخوك الياس)



بعد شهر على تسليّ هذه الرسالة قرأت في جريدة كانت تصدر في بيروت تهجماً
 على الياس فياض من قلم أحد أدعياء الادب والفن يعب فيه قصيدة النجوم ويتهم الشاعر
 الحساس بالسرقة والتقليد . لقد أذهلني ذلك التهجم وتلك الإغارة لسكوني واثقاً بأن معارف
 الناقد المستر وراء امضاء مستار هي معارف لا تمتدّي البسيط من الادب والتقد والمضحك ان
 الناقد اخذ الخبر عن المرحوم الياس ذاته ثم رفع عقيرته بالصباب والشتائم ، وهي غالباً ما تكون
 شبة الاديب المقصر العاري من الفن والبصيرة

ولكن الامر الذي يدعو الى الدهشة والسجب هو ان ادينا الكبير الاستاذ — امين الريحاني —
 ترجم قصيدة النجوم الى اللغة الانجليزية دون ان يقبّه الى شيء . . . وقد لانت ترجمة صديقي
 فيلسوف الفريق استحياساً تاماً من ابناء هذه اللغة . وذلك لان الياس فياض سكب عليها شعوره
 فراحت تترامى بين انامل المترجم البقري في حلتين ساحرتين ، حلة الشاعر اللبناني الرقيق ،
 وحلة الاديب الفرنسي الطريف — سولي برودوم — الذي فغ الشعر المالمى بقصائد هي تماثيل
 خالية في هياكل الارواح

الركن صرّوف

كان حضرة صاحب السادة أسد باسيلي
 باشا قد تبرّع بمائة جنيه للمقطف لتوزيعها
 جوائز أدبية على الذين يغوزون في مباراة
 تقترح موضوعها ، احتفاءً بذكرى الدكتور
 صرّوف ، واجتمعت لجنة التحكيم في يناير
 الماضي وأصدرت قرارها (المنشور في مقطف
 فبراير صفحة ٢٤٤) ورغبت فيه الى الواهب
 « ان يتي هذا المبلغ من المال رهن عمل أدبي
 آخر رأت اللجنة ان يكون على غير أساس
 المباراة بأن يهد الى كتاب تخمين بكتابة
 فصول في موضوعات مختلفة وان يوزّع عليهم
 هذا المبلغ مكافأة لهم ، ثم تقوم ادارة المقطف
 بطبع هذه الفصول في كتاب تهديه الى
 مشتركها باسم سادة الواهب لذكرى الدكتور
 يعقوب صرّوف . ويسرّ ادارة المقطف ان
 تذيع انها تلقت من سادة أسد باسيلي باشا
 انه متببط بالتزول على رأي اللجنة . وقد
 شرعت الادارة في اعداد المعدادات لهذه الفصول
 بارشاد حضرات اعضاء اللجنة وستوزع بموضوعها
 هدية على حضرات المشتركين



أسعد بايلى باشا

اسعد باسيلي باشا

بقلم نغولادشكري

رجل مثقف ، هادئ ، قوي الإرادة ، واسع أفق التخيل شديد الملاحظة ، متسمر التفكير ، أوتي من وثاقة العقل وقوة النفس ، وشدة الطبع ، وسعة الحيلة ، ما لم يبرز كثير تقابله فتلقى رجلاً من الطراز الأول ، في القدر السابع من العمر ، تحيف الجسم ، معتدل القامة ، متواضع السمات ، تبدو عليه غايل الثقة العظيمة بالنفس ، والرغبة المبيقة في ان يعمل دون ان يتكلم ، على وجهه الباسم الثيل الهدوء العجيب ، والرفقة والحزم معاً ، يحدّثك في صوت هادئ ، وبسبارات سهلة ، فيهرّك بوفرة معلوماته ، لأنه دائم الاطلاع على الحركات الفكرية في العالم ، فلا تقوته بأدرة من حوادث العالم ، وقد درس فلاسفة عصره وكتبه النظام ، من أمبل زولا الى تولستوي . ذلك هو مجموع الخطوط الرئيسية التي تتألف منها صورة صاحب السعادة اسعد باسيلي باشا

وشخصية اسعد باسيلي باشا الى هذا كله فيها سهولة وفيها تعقيد ، وفيها جوانب لا تدق على الباحث ، وفيها جوانب أخرى تدق على المستعصي ، ولكنها في الحالين شخصية الحيل التي قلما تكرر . وهي شخصية فيها ما يجذب الاديب ، وما يجتذب الفيلسوف ، وما يجتذب التاجر ، لانها جمعت بها الواثاق من الخصائص التي اتاحت لها ان تكون جذابة ، وان تكون مؤثرة في اولئك وهؤلاء

واني — مع عرفاني البالغ بهذه الشخصية الكبيرة — لن ازمع للقراء اني استؤمنها وتناولتها من وجوها جميعاً ، لن ازمع ذلك فإ هو المئين ان يضم هذا الفصل اليسير خصائص ، وما هو بالامر المئين ان يكون البحث وراء هذه الشخصية وليد السرعة والابجاز ، ولكنني مع ذلك سأحدث عن اسعد باسيلي الاديب والباحث والتاجر . واني لأرجو ان اكون في

دراسته موفقاَ بض التوفيق ، وألاً يدخل في روع احد انني أقرضه التاء ، فإ لشيء من هذا كله أتحدث عن اسعد باسيلي ولكني أتحدث عنه لأنه كما أسلفت شخصية قلما تكرر في جيل واحد . . .

ويطيب لي ان اتاوله من مرحلة شبابه ، تلك المرحلة التي اكتملت فيها اسباب التكوين لهذه الشخصية المتأثرة ، فأقول ان اسعد باسيلي لم يكن من اولئك الذين يعيشون في ظل محدود ، وفي موطن محدود ، وإنما كانت له اطاع الرجل الذي اتقه الى خصائصه وفطن الى ما فيها من جلال ، وما لها من روعة ، فآخذ منها مشعلاً لنفسه وكان هذا المشعل باهر الضوء ، رائع الشعاع . ثم كان من شأنه ان يضي في كنف هذا الضوء وان يكون خطواته لامتزجها ولائتواء ولقد كانت مرحلة شبابه مقترنة بهذا البعث المائل لتلك الرسالة الضخمة ، رسالة التعجيد الشامل في بعض مرامييه ، المتحفظ في كثير من اغراضه ، وقد تحمّل نصيبه من ادائها أيام دراسته في مدينة طرابلس الشام حين كان يتولى الاشراف على التعليم في مدرسة « مار الياس » كعضو بارز في الجمعية الخيرية الارثوذكسية وراسل امهات الصحف في بيروت والقاهرة



واكبر الظن عندي ان تأثير هذه المرحلة كان التأثير القوي الثقال ، فهذه شخصية أسعد باسيلي قد بدأت تنمر القضاء الرحب ، متجاوزة حدود مدينة طرابلس ومتجاوزة مع ذلك حدود الطلاب الذين بهرم هذا القائد الشاب

ونحن في هذه المرحلة حيال ناحيتين : تمثل الناحية الاولى في جهاده كباحث واديب وقت حياته لهدم الركيب من القديم . ولبت الآراء والمبادئ الجديدة في مجلة « الجامعة » التي تولى اصدارها الكاتب الاجتماعي الكبير المرحوم فرح الطول في وسع الذين يميلون الى مراجعة الابحاث النطية التي كانت تنشر في أثناء النهضة الاخيرة ان يطلوا على نخبة من الموضوعات الفلسفية التي كان أسعد باسيلي الاديب يعلن فيها وتشترأه في « العلم والدين » وما الى ذلك من الآراء الجريئة التي كان يجاري فيها مذهب الفيلسوف « سبنسر » ومذاهب غيره من الفلاسفة ويبنى على احكامهم

وتتمثل الناحية الثانية في الحمية القصيرة التي قضاها في تجارة الاخشاب مع شقيقه المرحوم الطونوس باسيلي في طرابلس الشام . وأنها لناحية جزيلة الاثر في حياته ، فقد استطاع بمواهبه ، وبأعماله الحافلة بمجاهد الصدق والاستقامة ان يوقظ في بني وطنه عاطفة التوفير لمقامه التجاري

هاتان التاحتان — ومكانة أحمد باسيلي منهما هي مكانته — قد أيقظتا في شخصيته الجوانب التي أصرته فيها بمد رجلاً في الطبقة الأولى بين الرجال
 وأخذت شخصية أحمد باسيلي بمد ذلك تتجاوز اليبات الخاصة وتقرض نفسها على الحياة العامة من ذلك اليوم الذي أبحر فيه الى مصر مع مواطنه الاديب الكبير فرح انطون لاصدار جريدة يومية يثان فيها آراءها الجريئة ولكنهما لم يلبثا ان اختلفا على تفصيلات هذا المشروع فأفضى هذا الخلاف الى انصراف احمد باشا عن الصحافة الى ميدان التجارة حيث برزت كفايته التجارية وأطلت على مصر من هامة الاوج . وآثر فرح انطون ان يظل في ميدان الكتابة والتأليف ويسير فيه الى آخر الشوط
 ولتعد أنه لو تغير أحمد باشا وتغير ان يكون ذلك الصحفي البعثة للشغل بالمباحث المالية لما كان أقل توفيقاً وربما كان نجاحه يعود على الحيل بنتائج شديدة النفع والاثـر



اذن لم يسلك أحمد باسيلي سبيل العمل المادي إذ ذاك بعقلية محدودة كما كثر للمشتغلين بالتجارة ، وتخلبه عن سبيل العلم والادب انما يرجع الى مذهبه الوضي وعقيدته التي لا تؤمن إلا بالحقائق الملموسة . على ان مذهبه الوضي باعتباره من رجال الاعمال لم يحل دون تدينه وصدق ايمانه وهو بمن يرون « ان للدين اصولاً عميقة في الانسان لا سطحية كما يتوهم البعض وأن هناك حقيقة أساسية قام عليها بيان الاديان »
 اما قته في الكتابة فمع أنه كان محتفظاً فيه بشيء من الرشاقة إلا أنه اصبح مسبوفاً بطلاقة من الكتاب المحدثين الذين انجهم تطور العصر . ولكن رسائله سبقت على الزمن لانها من صميم المثل الاعلى . . . وقد كان كاتباً متنوعاً كثير الابواب ، جم الاحاطة ، بالغ التفوق ، فقد كتب في أدق مسائل الاجتماع ، وأعم مسائل الحياة ، فه رسائل قيمة في العلاقات الزوجية ، وبحوث أدبية شائقة . ولما تخطى نهائياً عن الاشتغال بالدراسات الادبية والعلمية الرفيعة ، وأقبل على تجارة الخشب ، أحرز في الزمن القصير مقاماً وثقة واتساعاً في الاعمال لا توافر لغيره في الزمن الطويل



أقبل أحمد باشا على تجارة الخشب في الاسكندرية والسوق التجارية تمتلئ بجسارة التجار ودعاتهم . ولكنه لا ينقصه النشاط الذي يكافح به ، وعرف كيف يقاوم العوامل السديدة التي تعمل على محاربة التاجر الناشئ . وهزيمته ، فقد وقف وحده غير مبال بضروب التضال التي

حُشدت لمقاومته ، واستطاع ان يهزم خصومه بأسلحة أشد من أسلحتهم ، تساعده في ذلك ارادة صلبة وخبرة واسعة وذكاء متوقد

وقد ظلَّ يشق طريقه بين الصفوف حتى سيطر على سوق الحطب وربما قامت وارادته مقام الضفين من واردات سائر التجار . وحسبنا ان نفترق بآمالنا لنستطيع الاشارة اليه دون ان نلقبه بملك الحطب

وبعد ، فقد تمتد الطريق وتطول أمام القين ينتنون الوصول الى الناية . ولكن الذين لا يكونون ولا يفتقون يخلفون من ورائهم خطاً مستقيماً هو سبيل النجاح في الحياة ، هو الخط نفسه الذي يخلفه البطل بين الصفوف ، دليل جهاده للقرون بالفوز ، وهو الخط الذي يتركه في التربة محراث المزارع مبشراً بالانتاج



قلنا ان الطريق تمتد وتطول أمام القين ينتنون الوصول الى الناية . ونضيف الى ذلك ان الاقدام رأس النجاح ، وفي أمثال الاميركيين المعاصرين ان فرضاً على المرء ان يضاطر وان تاقية هذه المخاطرة محدودة لانها تلمم الجراءة ، والتاجر الجريء موفور النجاح لان لا جراءة بلا بصيرة

وما زال اسعد باشا رغم مشاعله التجارية الكبيرة يسطف على الفكر والادب . فن ناداه ابن يأوي بعد الفداء الى مكتبته الانيقة ليمش فيها بين كتب الادب والاجتماع ، ثمرة أذهان جيل او يزيد نحوطة ومشارقة . فلا يحرم من الجوال الذي لا يموت فيه القسطنطين ، ولا تصدأ فيه القريحة ، وفي هذا ولا ريب عزاء الادباء بعد اغزاله ايام

ومن الحق ان نقول ان العمل التجاري لم يمتع هذا الرجل المفكر من ان يطل على الناس الحين بعد الحين . ولم يحل بينه وبين عرض الصور التي تلوح في ذهنه على الجمهور ، واخراج ثمرات فريجه ككل رأى الفرصة سانحة والزمن مواتياً ، فقد قرأنا له في العام الماضي بحوثاً طريفة في الازمة الاقتصادية بست بها الى جريدة للمقطم من اوربا وهكذا أقام الدليل على انه لم ينس الناس ولم ينصرف عن الجمهور شأن كثيرين من أهل الفكر بنسوا القدوة في التجارة ، او قصدوا مقاعد الحكومات ، وتولوا الوزارات والرئاسات ، فقد كلف لورد يكونسفيلد على رأس الوزارة الانجليزية فلم يمنة منصبه على خطورته ان يضع ذهنه في كل مكتبة ، ويمش في خزنة كل قارىء فيينا هوينشى . المحادثات ، ويوقع الماهدات ، ورأس الوزارات ، اذ هو طارح عنه كل ذلك عائد الى حجرته ، لينيب في تفكيره ، ويأخذ في وضع رواياته ، ثم نحن لانسى ايضاً

أن جوته كان وزيراً ورئيس بلاط دوق فيهار فإ كان ذلك ليقول فيه الروح المضطربة في جانحه، والنزعة الفكرية التي تمتد في قواده . ثم لا تنسى كذلك ادباء العرب الذين عاشوا في قصور الخلفاء، وولوا الولايات، فأبوا إلا أن يظلوا مع ذلك ادباء وكتاباً أكثر منهم ولاة وحكومين ...

وأسعد باسيلي باشا قد شق طريقه الى المجد بقدامه وشجاعته، وهو قدوة صالحة لمن يعني أن يسلك سبيل التجارة أو الاقتصاد، وهو يجمع الى مواهبه وصفاته الممتازة حباً للخير وللإنسانية ويرى في الاحسان وسيلة تقوى بها ارادته في العمل، وحياة الضيق في دائرة العمل المادي أقوى منها في سائر الاعمال الاخرى، فهو أديبي كريم، والتاجر الكريم عنصر غريب في أهل صناعته، لأن أكثر التجار يستسكون بالاخلاق التجارية في الحياة العامة لانهم يدخلون أموالهم في الدفائر والسلع ولعلمهم برون خروج شيء منها ضرباً من التكلف والمشقة وفساد النظام . ولكن المبرات التي يخرجها التاجر من فضل ارباحه هي وسيلة جميلة من وسائل الزيادة فيها ومباركتها، وانت ترى روكفلر الاميركي ملك المال، قد كان له من ملائحته المديدة غنى عن التماس حب المساكين، واكتساب قلوب المتكويين في الحياة، لأن له متاجر ضخمة لا تعد وأموالاً مركومة لا تعد.

ولكن الحياة لاقيمة لها اذا خرج الانسان منها ولم يستطع ان يكتسب قلباً واحداً من قلوب هذه الارض، ولو كان روكفلر هذا قصر عنايته على ماله وراثته، فلم ينشئ الملاهي والمعاهد والمستوصفات والجامعات، ولم يخرج من دقاره جزءاً كبيراً عما دخلها، لخرج هو الآخر روكفلر فقط، ولكن روكفلر عرف معنى الحياة وأدرك قيمة المال في نفسه، فاشترى بكل ثروته كلة واحدة اراد ان يذهب بها الى الابد وهي كلة « روكفلر محسن »



وعلى هذا المبدأ سار أسعد باسيلي فهو يتفق جزءاً كبيراً من ارباحه على الفقراء والمحتاجين واطاعة الاسرار التي ادركها البؤس، فلم يلبث ان اصبح محبوباً من الناس، جيل الذكر بين الطبقات، وكان من ذلك ان انتخب رئيساً للجلس الطائفي للروم الارثوذكس المصريين، ورئيساً للجمعية الخيرية السورية الارثوذكسية، ووكيلاً لقنطرة التجارة المصرية، وقاضياً محلفاً بمحكمة الاسكندرية المختلطة، ثم عرفت الحكومة للصيرية مكاتبة السامية، فطلبت الى المجلس الوصاية الموقر الانعام عليه برتبة الباشوية الرفيعة، فأصدر المجلس امره بهذا الانعام السامي . وسيمتلي آخر الامر، ان أعزف اليك ايها القاري، بانني لا أعرف رجلاً أعزب حديثاً، ولا أبعد شراً، ولا أقرب حقيراً، ولا أحلى خلقاً وروحاً، من أسعد باسيلي باشا

تقدم الري بمصر

في العصر الحديث

لعمالي حسين سري باشا

اقتطف «المقطم» ما يلي من المختصر النفيس الذي وضعه عمالي حسين سري باشا وزير الاشغال: تمّ بإنشاء القناطر الخيرية وضع الحجر الاساسي في بناء الري المستديم في الوجه البحري وأمكن بواسطتها امداد هذه الاراضي بما يلزمها من الماء مدة الصيف مما ساعد على تحويل المساحات الحوضية لتزوى بطريقة الري المستديم وكانت مساحة الاراضي التي تزرع فيها بعض المحاصيل الصيفية لا تمتدّ مليوني فدان وقت البدء في بناء القناطر فزادت بعد ذلك الى ما يربّي على ثلاثة ملايين تمتع بنظام الري المستديم ولا يخفى ما كان لهذا التوسع من اثر في زيادة مقدار المحاصيل وما تربّ عليه من ازدياد موارد البلد وازدياد ثروتها بارتقاع ثمن اراضيها وبذلك تكون الجهود المتواصلة التي بذلها المغفور له محمد علي باشا قد اثمرت وتحقيق الامل الذي تطلع اليه . كذلك كان انشاء ترعة الابراهيمية الخطوة الاولى في ادخال نظام الري المستديم في مصر الوسطى. اذ لما لسكان هذه المناطق أثر محصول القطن في الثروة الزراعية عملوا على زراعته في بعض مساحاتهم الحوضية وكانوا يحيطون هذه المساحات بحجور تقبها طينان الماء عليها مدة الفيضان ويرفسون ما يلزمها من الماء بالآلات اما من التبل وإما من الآبار الارتوازية . ومن ثمّ امتد العمل جدياً الى تحويل جانب من اراضي مصر الوسطى الى الري الصنفي فجاءت بأطيب الثمرات . ولعلنا نجد بين سطور الجدول الآتي ما يكفي لتدليل على مقدار ما جتّه البلاد من الريح منذ أن أدخل المغفور له محمد علي باشا زراعة القطن في مصر بزيادة مقدار هذا المحصول سنة بعد اخرى

السنة	قنطار	بالة	السنة	قنطار	بالة
١٨٢٠	٩٤٤	٢٣٤	١٨٨٠	٢٧٩٢.٠٠٠	٦٩٨.٠٠٠
١٨٣٠	١٦٨٦٧٥	٤٦٦٦٩	١٨٩٠	٤١٦٠.٠٠٠	١٠٤٠.٠٠٠
١٨٤٠	١٩٣٣٠٧	٤٨٣٦٧	١٩٠٠	٦٤٤.٠٠٠	١٦١.٠٠٠
١٨٥٠	٣٨٤٤٣٩	٩٦١٠٠	١٩١٠	٧٥٠.٠٠٠	١٨٧٦.٠٠٠
١٨٦٠	٥٩٦٢٠٠	١٤٩٠٠٠	١٩٢٠	٦٠٣٦.٠٠٠	١٥٠٩.٠٠٠
١٨٧٠	١٩٦٦.٠٠٠	٤٩١٥٠٠	١٩٣٠	٨٢٧٦.٠٠٠	٢٠٦٩.٠٠٠

وقد بلغ محصول القطن في عام ١٩٣٦ ما يزيد على تسعة ملايين من القناطير وهي أكبر مقدار أنتجته الاراضي المصرية منذ عهد ادخال زراعتها الى الآن . على ان زراعة الاراضي مدة الصيف تتطلب ربا في هذا الوقت الذي تقل فيه تصريفات النيل ويسجز اراده عن ان يمدحها بمحاجلتها من الماء لذلك كان على القائمين بامر التوسع في كل مرحلة ان يفكروا في توفير الماء اللازم للمساحات الصيفية ومن هنا طادت فتجددت فكرة التخزين وحجز مقادير من ماء الفيضان الزائد على الحاجة والاستفادة به مدة الصيف وسبق ان قلنا ان اول من فكر في تخزين الماء هم ملوك الاسرة الثانية عشرة وبدت هذه الفكرة من بدم محمد علي باشا فأمر مهندس لبنان باشا بدراسة هذا المشروع

وفكر هذا في منخفض بحيرة موريس القديم غير انه عدل عن هذه الفكرة لما رآه من التكاليف الباهظة التي تلازم تنفيذها . ثم رأى اقامة قناطر عند جبل السلسلة لتخزين الماء أمامها الا ان ضف القناطر الخيرية بدمائها لم يشجع على المضي في تنفيذ هذه الفكرة ولقد تجددت فكرة تخزين الماء عند جبل السلسلة مرة أخرى ثم طاد الرأي فانه عرف عن هذا الانحاء الى منخفض وادي الريان وهكذا الى ان استقر على استخدام بحري التهر نفسه لتخزين وأخذت الحكومة في بحث هذا الاقتراح وعهدت الى لجنة من المهندسين الاختصاصيين باختيار الموقع الموافق لهذا الخزان فقررت اللجنة بعد دراسة بحري النيل بين حلها والقاهرة — ان أنسب موقع يبنى عنده هو شلال اسوان بحري جزيرة أنس الوجود وكان تصميم السد في بادئ الامر يسمح بالحجز عليه الى منسوب ١١٦ متر وأتبع سعة الخزان عندها لهذا المنسوب بمحواثة آلاف مليون من الامطار المسكبة الا ان الرغبة في المحافظة على مبدأ أنس الوجود الذي يقع في حوض الخزان حالت دون ذلك واقصر في بناء السد الذي تم في سنة ١٩٠٢ على جبل منسوب التخزين ١٠٦ امتار وبذلك لم ينفأ الخزان الا ليسح ملياوا واحدا فقط

وللاستفاد من التخزين رأى رجال الري في ذلك الوقت ان يعملوا على رفع منسوب ماء النيل عند فم ترعة الابراهيمية لينسكبوا من اعطاء مصر الوسطى نصيبها من هذا الماء مدة الصيف . وكانت هذه الترعة تنفذ من النيل بدون قنطرة تساعد على رفع الماء أمامها للدرجة التي تكفي لامداد الزمام المترتب ربه عليها بل الماء اللازم له وللمعالجة هذه الحال استقر الرأي على اقامة قناطر على النيل عند اسبوط وتم بناء هذه القناطر سنة ١٩٠٢ وكذلك أمكن ترعة الابراهيمية ان تأخذ نصيبها من الماء مدة الفيضان والصيف دون ان يكون لها نصيب النيل تأخير كبير فيها

وفي سنة ١٩٠٣ تمت اقامة قناطر زفتي على فرع دمياط لتغذية أراضي شمال مديرية الدقهلية والجزء الشرقي من الغربية في الفترة الحرجة وقت طفي الشراقي واشتداد الطلب على الماء

وامتدت الجهود بمد هذه المرحلة الى الناية بتحسين وسائل الري في أواضي مصر العليا التي تروى بطريقة الري الحوضية ولما رؤي ان أراضي مديرية قنا تحتاج الى تحسين حالة ردها فكسر في اقامة قناطر اسنا على النيل لترفع أمامها ماء الفيضان بحيث تكفي لتمر هذه الحياض وبدى في اقامة هذه القناطر سنة ١٩٠٦ وم تم بناؤها سنة ١٩٠٨

ولقد جرت العادة في الماضي ان يقام سنوياً سدان من التراب في كل من فرعي النيل أحدهما بالقرب من ادفينا والآخر عند قارسكور ثم أبطلت اقامتهما في السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر حتى كانت سنة ١٩٠٠ حيث أعيد انشاء السدين ومنذ هذا التاريخ درجت مصلحة الري على ان تقيم سنوياً لمنع دخول ماء البحر المالح الى المجرى وتلوث مائه بها ولتتمكن من ان تحجز أمامها ماء الرياح الذي يتسرب من الاراضي الزراعية للارتفاع به في الري عند اشتداد الطلب . ويبدأ العمل عادة في انشاء السدين في ديسمبر ويتم قفلها في أواخر فبراير او أوائل مارس وتختلف هذه التواريخ باختلاف تصرف الهر الطبيعي ويبنى حسبها على قاعدة قفل السدود قبل التاريخ الذي يجب ألا تمر بعده قطرة من ماء النهر الى البحر او بمعنى آخر التاريخ الذي يقابل البدء في تفرغ خزان اسوان ويستمر كل منهما قائماً حتى يقطعا عند حلول ماء الفيضان في يوليو او أغسطس

ولقد دعت قلة الايراد الذي أتت به السنوات الشحيحة في اوائل القرن الحالي الى إعادة التفكير في تخزين مقادير أخرى من الماء وأنجحت الانظار الى خزان اسوان للعمل على رفع منسوب التخزين به لعله بذلك يسد النقص في الايراد الطبيعي للنهر عن احتياجات الاراضي الزراعية . وامتى هذا التفكير الى البدء في عملية خزان اسوان الاولى التي تمت سنة ١٩١٢ وأصبحت سعة الخزان بعدها حوالي ٢٥٠٠ مليون متر مكعب وقد استخدمت كمية الماء الاضافية في تحسين حالة الري وفي التوسع في جانب من الاراضي البور في الوجه البحري ولما تم الارتفاع بهذه الزيادة كانت مساحة الاراضي المزروعة بالدلتا ٣,٣٠٥,٠٠٠ فدان ومساحة الاراضي التي تروى رياً مستديماً في مصر الوسطى ١,٤٠٥,٠٠٠ فدان وبذلك يكون قد أمكن الارتفاع بماء التخزين كله عند اسوان في استصلاح نحو ٣,٠٠٤,٠٠٠ فدان من اراضي الدلتا وفي تحويل حوالي ٤٥٠,٠٠٠ فدان من حياض مصر الوسطى الى الري السقي . وفي سنة ١٩٣٠ تم بناء قناطر نجع حمادي على النيل في وسط المسافة تقريباً من قناطر اسنا الى قناطر اسيوط وذلك لضمان الري الحوضي في مديرية جرجا ولا يمكن تحويل الاراضي الحوضية بمديرتي اسيوط وجرجا الى الري المستديم بمد اتمام اعمال التخزين . وتم حفر ترعتين تأخذان من امام هذه القناطر أحدهما بالبر الايسر للنيل وهي ترعة الفؤادية والاخرى بالبر الايمن وتسمى ترعة القاروقية

جَذْبَةُ الْمُقْتَطِفِ

رولا

من أروع قصائد الفريد دي موسيه
ترجم: فليكس فارسي



رولا

من أروع قصائد الفريد دي موسيه

ترجمه فليبيسي فارسي

تمهيد

إن الفكرة والبيان لميزان على كل كاتب ، وقد تكون غيرته على يانه أشد من غيرته على تفكيره ، والكاتب يدي آراءه وأحكامه أقوالاً في كل مجال فلا يلوي عليها في حين ان صفحة تدبجها براعته تسقط عن شخصيته سقوط الجنين عن أحشاء أمه ، فكل ذي يان حريص على يانه حرص الحياة على مظهرها ، وما تدرك الحياة نفسها الا على ما كس شخصيتها

إن في بذل البيان لتفكير النثر كثيراً من التضحية لكاتب اندغم تفكيره في يانه ، لان هذا البذل يستلزم إقامة حاجز بين القوة للبدعة مما كمن فيها تذكراً وتنسيقاً ، علماً بالاستقراء وطعاً بالحق الباطن ، وبين قوة التعبير تصويراً وتلويناً وتنبأ . وفي هذا الفصل من الجهد ما لا يدركه الا من يانيه . ولا ياني هذه المشقة كل من يقتحم الترجمة اطلاقاً ، فان من الترجمة ما لا تمدى الاقتدار على النسخ وليس هذا النوع ما نفي ، فالترجم الذي ينقل عن لغات الغرب كتاباً يسهل صناعة او مسألة اقتصادية لا يكون عمله اذا هو امتك ناصية الفتنين الا عبارة عن كتابة ما سطرته الريشة من النبال الى اليمين بكتاب يخطها القلم من اليمين الى الشمال ولعل هذا العمل قيمته ولا نكر غير انه جد بعيد عن مجال البيان الأدبي ، وليس فيه غير أثر الجهد والاطلاع والدقة اذ لا يمكنه ان يتضمن أشياء من شخصية المترجم الادبية

شأن اذاً من يترجم ومن يسلخ المشاء عن تفكيره ليكون هيكلاً سوياً من البيان تحتله روح مؤلف مبدع فان لك ان تمهد الى اي مهندس شئت بان ينقل لك خارطة مهما تمددت خطوطها

وتسببت تماريحها ، فانه ليستين بالمسطرة والبركار فيأتيك بنسخة عنها لا تفرق عن الاصل بشيء ، ولو عهدت الى عشرة مهندسين بهذا العمل لآثاك كل واحد منهم بنسخة لا تفرق عن نسخ الآخرين . ولكنتك لن تصل الى النتيجة نفسها اذا أعت عهدت الى رسامين اثنين يرسم صورة انسان او حيوان او زهرة او منظر من مناظر الطبيعة . ذلك لان رسم الجداد يستلزم العمل بمساعة ثابتة الاصول ورسم ما تتجلى فيه الحياة يستلزم العمل بالفن ، وما الفن الا قوة متغلغلة كالحياة نفسها في أعماق مجهول الفنان نفسه أغوارها

ناقل المعلومات الوضعية والتخصص والاحاديث المادية من لسان الى لسان مترجم كلمات بكلمات أما ناقل البيان الفني والشعري ففنان وشاعر يعبر بانيه بلفظه ويتنازل عنه لتفكير جفري يستحق أن يسكت الناقل تفكيره أمامه ويطوي لديه شراع خياله وإلهامه

وبعد ، فهذا نصير بالمرية عن قصيدة من أروع قصائد الفريد دي موسه ان لم تكن اروعا جيكا ، تصبنا بالهاما وفننا فالتحسنا ابرادها بالمرية نأثرين لظيها معرضين عن قوافيها ، اذ لو اردنا تقيدها بالنظم العربي لأضفنا الى غموض الاصل غموضاً آخر يبعد الشقة بين إلهام موسه وبانيه ، ونحن بأعيادنا التثو كنا اقرب من الشاعر نفسه الى إلهامه وشاعريته

لاح لبعض كبار كتآبنا ان لا قائدة من ترجمة الشعر لانه قائم على عناصر لا يمكنها اجتياز حدود لفها للدخول في حدود لغة اخرى ، ونحن مع اعترافنا بما للنظم من ميزة لا نعتقد ان الوزن والقافية هما ام عناصر القصيدة بل قد تتضائل فيهما حتى ليصبغا في حكم المدموم في القصائد التي يسودها الشعر العالي وروعة الموسيقى الفنية في إحكام ألفاظها . فانك لو قرأت لموسه صفحة من انشائه المرسل لتحس بالمرّة نفسها التي تستولي على مشاعرك حين تقرأ أجمل قصائده

وهناك ظاهرة اخرى تدرك على ان ما يشجيك من سماع القصيد ليس موسيقى الساكن والمتحرك في التفاعيل او (التثك والتم) بتسير آخر بل هو انتظام الالفاظ في سلك البيان وتلازم التبرات ، وهذه الظاهرة تتجلى لك في طريقة إنشاء

القناتين للشعر فهم لا يقرأونه سواء أعرسياً كان أم أفرنجياً على الطريقة القديمة التي تدخل التفاعيل إلى الأذن كأنها قرات الدفوف بل يلقونه بـلـد والقصر تبعاً لموسيقى النثر الكائنة في النظم متجاوزين حدود القوافي ليشررك بروح القصيدة دون تقاطيعه

ولو أنك سمعت ملقياً من كبار قناتي الفرنجية ينشدك قصيدة فأنك لا تميز لأول وهلة هل ما يلقى من المنظوم أو من المنثور

لذلك لا نرى ما يراه البعض من الاستثناء عن ترجمة القصائد الخالدة من اللغات الأجنبية إلى العربية بحجة أنها تفقد ميزاتها وروحها، فأتا زى بالعكس أن المترجم إذا ملك ناصية البيانين يمكنه أن يزيد في جلاء القصيدة وجمالها بنوحيه موسيقاها ومرامياها توجيهاً أقرب إلى الفن المطلق من توجيه المؤلف نفسه. لأن المؤلف الناظم قد أكرهه الأوزان والقوافي على مجازاة قيودها

إن القريد دي موسى لا أقدر من تسليط علي الألفاظ قاتت له بأوزانها وقوافيها، ومع ذلك فقد رأيت في قصيدته (رولاً) يضطر أحياناً إلى الانقياد لأوزانه وقوافيه فتسحق بألهامه وتجبره إلى ترسمها بخطوات تخرجه عن سبيله، وكنا نحن غير مقيدين إلا بفكرته وعواطفه وأسلوبه، فأمكننا أن نرجع خطواته الثابتة إلى مواقعها وما نحتاج إلى مثل هذا الجهد عندما نترجم من نثره ونثر غيره من أرباب الفن الخالدين

ويلوح لنا أن اللغة العربية بما فيها من مرونة والفاظ موسيقية أليق من أية لغة باستيعاب فنون الأمم جميعاً، ذلك لأننا نقرأ ما يترجمه الفرنجية عن لغاتهم وعن لغتنا ولشعر بتمرد الأصل ينال المترجم فلا يتوصل إلى دمه بطابع له. وما لشعر بمثل هذا التصور عند ما نطالع ترجمة كبار كتابنا

لقد حاولنا أن نقل قصيدة رولاً فأعزناها يا تاتاً وإذا كان توقيتنا لم يتعد حدود اقتدارنا، فحسبنا أننا اقتحمنا مسلحاً غير مبدل لن يصعب على عابريننا تذليل صوابه

فليكس فارس

الاسكندرية أبريل ١٩٣٨

رولا

مهراته الى محمود تيمور

— ١ —

أيضجيك الزمان الذي كانت الارض فيه مسرحاً للبهائم فتعصّ بطيئات الآلهة :
آلهة الاساطير ، حين قمرت الزهرة من أحشاء النمر وهي تنفض بلل دموعه
وتنبّ ناقصة صفائر شعرها لتُمرح الدنيا بلواقعها . . .

أيضجيك الزمان الذي كانت فيه الحور المائجات تداعبنّ شعاع الشمس طافرات
بين أزاهر القدران متعرجات بأرباب الحقول للتراخين تحت ظلال الغاب ، حين
كانت البنابيع ترتمش لقبلات الآله الذي انقلب على ضفافها زججاً ندياً ، وبها كان
حرقل الحيارل المدثر ببيّاته النبوية يمد على الارض وأرف عدله ، وبها كان آلهة
الغابات يطلون من بين أغصان السنديان الخضراء للتأودة ويرددون أغنية السابلة
بأصداء الصقير .

ذلك زمن كانت الألوهية فيه تتقلل في كل شيء حتى في صميم آلام الناس ،
فكانوا يبديون ما يشعرون في هذا الزمان .

ذلك زمن كان له أرومة آلاف إله ولم يكن فيه جاحد واحد : زمن تمتع فيه
الكل بالعبادة فأحرم منها إلا (بروموت) شقيق إبليس المابط بهبوطه .
لقد مضى ذلك العهد فتبدلت السماء كما تبدلت الأرض والانسان ، فإذا مهد
العالم يستحيل له لحداً ، وقد هبت أماسير الشمال على انقاض روما فككتبتها
بأوشعها السوداء .

أيضجيك الزمان الذي توارى فيه عصر البربر خلفاً عصر أذهياً شهد العالم
القديم يصعد لحده ليهب حين هب العازار من قبره مطلقاً على الدنيا وقد التمع
حيثه بأتوار الغياب

أيشجيك الزمان الذي كانت اغانينا القديمة فيه تنشر اجنحتها الذهبية لتجول في آفاقها الساحرات ، حين كان كل ما لنا من صروح ومستقدات يشع ياخذ البكارة والطهر حين كان كل شيء يُبحث من لحدّه بعد ان يسط عيسى عليه راحته ، حين كان بيت الكاهن وقصر الامير يرفان كل على جبهته صلياً يمد بذراعيه الى الآفاق ؟ أيشجيك زمن كانت فيه بيعة السيدة في كولونيا وبيعة الحواري بطرس في ستراسبورغ تنصنجان كأنهما اكوام صحور جائعة في خضوعها الى اناشيد الشوب تسبح الله مستقبلة طلّاع العصر الجديد ؟ ذلك زمان كان للحياة فتوتها فيه وكان الموت فيه راسياً على الرجاء .

أي ، عيسى ، ما انا من تحملهم خطواتهم المرتكبة الى معابدك لتأدية فروض الصلاة . لست بمن يتسلقون مرتقى الجبل ليلنطرحوا امام صليبك مقبلين اقدمك الدامية ، انا بمن يلبثون وقوفاً امام ابوابها تلك المقدسة ، ميتاً تهب المدائح على جبايات المؤمنين فتلويهم كما تلوي الرياح متأودات الناب ، فيزامون على الركب متئين كلات التسليم لمسيحة الله

أنا لا اؤمن بكلمتك ، أيها المسيح ، وما انا الا قادم متأخري قم طاملاً تجاوزحد الحرم ، وهل يلد حيل لا امل له الا حيلاً وقصاً لا خفية في قلبه ؟ لقد أقفرت صماء هذا الزمان فأقلت كواكبها ونجومها وما يسود الا الصدف السياء على من انتفضوا من اوهامهم وهم يندفون شتتاً مروحاً على مراكن الاشباح لان الروح القديمة تهب على ردوم العالم مشوّهة ما في السماء من اجناد تاذفهم الى اعماق الاغوار

لقد تداخلت مسامير صليبك تحت مستدك عليه ، وزلزلت الارض تحت جدران مدقك ، فأين بجذك أيها المسيح . ان مجسّمك قد استحال رماداً على صلباتنا السوداء ..

أستبسطك ايها السيد أن أضع قبلة على هذا الرماد ، انا ابن هذا الصر الجاحد ، دعني أسبح دموعي على هذه الارض الباردة التي وهبتها الحياة بموتك وما هي ذي صائرة بمدك الى الموت

من سبيد إليها حياتها ، وقد كنت أحييتها بدمك الطاهر . من سيأتي إلى العالم مرة أخرى بما أتيت به ، من سبيد الدنيا الشباب نحن أبناء الالهي المتقبلين بأوصاف الشيخوخة والمهرم . وحال العالم اليوم كحال يوم ولدت وهذا الحيل يتوقع ما توقعه أبناء عهدك ، على أن ما فقدناه نحن قد تجاوز ما فقدته الأولون
إن المآزار هذه الأزمان مسجى في قبره الفسيح ، فأين المخلص يدرج الحجر عنه ؟ أين الحوارى بولس الشيخ يقف كما كان يقف بين أبناء روما حين كانت عيون الشعب معلقة بأطواره ؟

أين نحن من عليّة المشاء السري ومن سراديب أوائل المؤمنين ؟
من منا يحمل حالة التور على جبينه . وعلى أقدام من ستكتسب عطور المجدلية ؟
في أي جور سيصدو الصوت الخفت لأصوات البشر ، من منا سيقى مرتبة الألوهية ؟

لقد طادت الأرض إلى هرمها وقديم انحطاطها فهي ترتمش اليوم كما ارتشت حين ظهر يوحنا في الصحراء وهتف هتفه القدسية ، غير أن الأرض المنهضرة أحست في ذلك العهد بالخاض لتدائيه وتحرك في أحشائها عالم جديد
أفليس عهدنا كهده كلودىوس وطباريوس ، وقد أخلق الدهر كل شيء وارتوى كيوان من دماه أبنائه . لقد تبت الإنسانية من توليد الآمال ، وهذا ضرعها يتدلى خاوياً لكثرة ما أرضعت فهي الآن ساجية تطلب الراحة في عقمها

— ٢ —

وكان جاك رولاً أضلّ قاسق في باريس : في المدينة المجلية بين مدن العالم بانفاق رذائلها وابتذال غشائها . وما لاح بين أعمدة مواخيرها ولا أنارت مصايحها الحاسنة ولداً عريداً كرولاً على موائد ميسرها وولائمها
وما كان لرولاً من قائد غير شوائبه وقد أسلم لما زمام حياته وهي تساب أمامه طلبقة كفضيح نام عنه ، فأصبح يتطلع إلى أيامه كوسنان ينظر إلى ذاهبات الماه في التدبير

وانعصرت حياة رولاً في شوائبه فاستقرت في جسده كزلا فندق سادم السكر يتلون تارة بتخديش الجدران وتخطيم الأسرة متاوشين في الظلام متمازقين

كالحبّاذ والمصارعين وتجمعون تارة متطالين الكؤوس متاشدين كسرب اطيّار
دفنهم الريح الى شجرة مزهرة في أرض قاحلة
وكان والد رولاً وهو من صمالك البلهاء ربي ولده تربية من سيرت مبرأماً
ضخماً وقد تاملى انه بدّد هو نفسه اكثر من نصف ثروته
ووجد رولاً نفسه في ليله من ليالي الحريف سيّداً يتولى زمام نفسه وهو لا
يحسن صنعة ولا يعرف قسّاً ولو انه أحسن اي عمل لما أطاق القيام به، وهل يحمل
نفسه مشقة من يرى السعي للرزق جديراً بالخدام، ومن لا يقابل الناس إلا بأبشامة
لا يعرف احد الآله منهاها ؟
وذهب رولاً يتمتع بالزهد الباقي له إرثاً عن أبيه محتفظاً بمرور السيد لا اعتقاده
بأن الله قد أبدعه سيّداً



قبل ان هرقل جلس يوماً وقد تعب من جهوده في عمله الايدي على مفرق
طريقين تتاديه القضية من أحدهما وترأوده ملذات الفسق من الآخر قانع القضية
إذ لاحظ له أبهى وأجمل من اللذات
ذلك زمان كان فيه قبحٌ وجمال أما الآن فلا جمال لا في الخير ولا في الشر،
وليس لهذا الجيل ان يقف مشككاً حائراً بعد ان سبقته أجيالٌ احتطت لما جادتها
الكبرى بين طريقين اندثرت معالمها حول المسلك الجديد ...
وما كان رولاً وهو يتبع هذا المسلك في المشرن من عمره الا مقتفياً خطوات
من تقدموا عليه من آباءه



ما يستقبل انظار الداخل الى المدن الا مجازرها وأسوارها ومدافنها، وهكذا
من يتجه الى المجتمع لا تلوح له عند اقترابه منه الا قفائمه، قاطره والغاف محجبان
في حين ان الرذيلة والا بئذال يتماقتان أمام عين الفسق . وما يرحب الناس بان
جلستهم اذا هو تقدم نحوهم شاعراً التصل القاطع القوي وجهته إزاء السماء ليدافع به
عن نفسه فهم لا يفسحون له مجالاً إلا اذا غس هذا التصل أولاً في نهر
الضلالة والافتقار ...

وكان جاك صريحاً جسوراً رائع الجمال بأف من الانطباع على الحياة ولا يعرف له ألهاً غير الشمس ، طاش ثلاث سنوات مخصصاً لكل سنة كيساً من الذهب ، فلم تر الأرض من مشارفها إلى مغاربها آدمياً مثله ينزح احتقاره على الشعوب وأسيادها مشى رولاً بنفس طارية في مسأخر هذه الحياة معربداً صاحباً بحراً أذيل غروره فاجعل احد انه بدد جميع ما يملك في سنواته الثلاث ، وكان الناس ينظرون إليه مبسمين فيعلم لهم انه أعد قذيفة يلهب بها دماغه حين ينتهي به شوطه إلى الاملاق وكان هذا القتي الجوح ابني النفس ساذجاً كالاطفال عطوفاً كالاشفاق عظيماً كالامل لا ييالي بالدهر ولا يحسب له حساباً وهو يعتقد انه مدرع للعادات زرداً لا يفنيه الزمان

عندما يشرد فرس القفر الجوح في الصحراء وتجر الايام تغتلبه بالسعار القاتل يتطلع عبثاً إلى السماء متوقفاً منها رذاذاً يملئ التخيل المقنّع بالنهار وقد تدلت اغصانه من وحيج الساء المشتعلة كأنها غداثر التوابع ، فيذهب مفتشاً على الآبار وقد زحيتها ألسنة النار ، وتلوح له الآساد منطرحه على الصخور تسبح بالآئين وقد هدقواها الظلم ، عندئذ ، يفرس القرس منخريه الساميتين في الرمال ، والرمال المحرقة تخلص دماءه فينطرح على الصبراء وينطفئ التور في عينه فتدور به ذرات الرمال الصفراء لتلقمه بأكفائها السامة ابدأ في طيها ولشترها

لو علم هذا القرس ، عند ما مرت به القافلة قرب الساج ، انه باستسلامه لحداة اليس واقفاته آثارهم ينجو بحياته لكن ادلى بسنقه وكبت جموحه فوجد في بغداد مآلف القضب التدي المزهر وأباراً لا يدرك الطرف غورها

إذا كان الله قد جعلنا من طينة واحدة ، فلا ريب انه انشأ من صلصال قريب من يشبهون المعبان يترودم ولعله التي يحزقهم ليحف تحت اشعة شمس لاذعة ، فجاءوا الحياة بأجنحة لا تلوى ورؤوس لا تتخفف ، فماشوا في الدنيا وما امتلكوا منها الا كلمة الحرية

— ٦ —

أعلى تلج أم على دبة من رخام يتلاعب اشعاع المصباح القهبي على السائر
الزرقاء المتهدلة فوق السرير ؟ لا . . ليس التلج ولا الرخام مثل ياض هذه الطفلة
الثائمة تتردد اقااسها كالنسيم المهورم على اعشاب البحار
هي طفلة ما سر بها الا خمسة عشر ربيعاً ولما تمضخ انوثتها بدد . والملاك
المنحطف عليها يرتاب فيها فلا يدري اهو اخوها أم هو تاشق لها
لقد اقرط شرها على جسمها فكان له دناراً وهي قابضة على صليب عقدها
كانها تُشهد الليل على انها رقت الى الله صلواتها قبل استسلامها لسكرى وانها
ستكرر هذه الصلاة عند ما تتيق مع الضحى .

لقد استقرت في نومها تألق جبينها بهالة التبل والطهر فكان السماء قد اعدتها
وذاذاً من العفاف الاعلى .

هي ثائمة طارية وراحتها مبسوطة على قلبها ، فيا لروعة هذا الجلال . هاية الليل
فارتمش وشاحه الاربد . أظلالاً يداعبها التور فتزد الاظلال خاشعة عن هذا الجلال

يا لا قاس هذه العذراء نووت الرحمة كأنها صدى خطوات طابداشع امام هيكله .
في الفرقة ازهار ليمون ناضرة ، ونول وكتب ، وعلى الحائط غصن مقدس
يتدلى حزناً فوق صليب قديم ، فما اطهر كبرياؤه قد القت اليك السماء
بدرج الجلال ، وهل طاطفة الطقولة الا صلاة خاشعة كأنها حبة الارواح .
أفا يشعر من يتقدم الى هذه الطفلة الراقدة بأن فوق سريرها ملاكاً يرتش
جناحه وهو ساهر عليها

أهي امك ايها الفتاة ، هذه المرأة الجليلة قرب سررك تردد انظارها على
الساعة التابضة وعلى الموعد المستمر ، فتتنفض بهذاب صبرها من حين الى حين .
ماذا تراها تنتظر في مثل هذا المزيج من الليل ، وعلى متهض لتأمين بابك وشرفتك ،
اذا كانت هذه المرأة أمك ، فمن تنتظر غير أليك ، وأبوك قد مات منذ زمن طويل .

لمن هذه الكؤوس وهذه المائدة وما عليها من الطعام ، لمن أشملت هذه الشموع
ومن هو القادم يا ترى ؟

ليأت من يشاء ، فأنت مستترقة في وقادك ، ولست أنت الخلية المهيأة للماشق
المنتظر . ومن يجسر ان يتلفظ بالغرام أمامك وهذه أحلامك مشرقة بأنصع من
ضياء النهار في ظلمة ليك

لمن هذا الدثار تمسح المرأة الساهدة عنه ما علق به من أمطار وأوحال
أنه لدثار صغير فهو أذاً دثارك ، يا ماريا ، وهذه آثار الليل على شعرك ،
واحرار التيب على خديك . فأين كنت ذاهبة تحت العاصفة في هذا الليل
لا . . . ان هذه المرأة ليست أمك



سكوتاً . . . ان ما وراء الباب أصواتاً خافتة ، وقد لاح من فرجة دفتيه نساء
نصف طرقات تمسحت غداً رهنً وهنً ينزلن أنزلاناً في السرداب المظلم
في الفرفة المحاذية مصباح تضاءل أنواره على كؤوس متساقطة فوق الحوان
المضرج بمئات الخجور وعلى غايا ما تمتت به الفحشاء
أغلق الباب وتماثلت من ورائه قهقهات مروعة



إنها لاشباح أحلام ، يا ماريا ، فكل شيء يرقد حولك بسلام ، وهذه المرأة
الساهرة فريك هي أمك ، وما يبق حولك إلا عرف الازهار ، وليس على شعرك
إلا بلل الزيت الممطر وما احرار وجهك إلا تورود من دماء قلبك
سكوتاً . . . لقد قرع الباب ، وأقلق سكون الظلام وقع أقدام ثعالب الدهليز ،
ولم نور جسائهم يتقدم شبحين
هذا أنت ، يا رولا . . . ما ذا أتيت تفعل في هذا المكان



أي فوست . . . أفا كنت مستدماً المباحة الارض في تلك الليلة المفجعة حين
تقدم إليك الملاك المطرود من الجنان ملقاً بدثاره التاري فحملك ليجول بك في أبد الآفاق
أفا كنت قد دفنت بلمنتك الأخيرة ، وضربت بعرض جدرانك المتهدمة جبينك

المجد بضون ستين طاماً ، حين سمعت من بيد نيرات الاناشيد المقدسة قارعتشت
والسموم مجبول على شفتيك والموت يواكبك وأنت ترتكب الكبار حق وصلت الى
آخر مرحلة من امتحارك البطيء ، فاتفجر قلبك وقد أخلفه الزمان كما يفتق الصخر
من لوافح الحر أيام الصقيع

لقد كانت دنت ساعتك أيها الشيخ ، وكنت تواجه الفناء بلحيتك وقد رعى سوادها
المشيبي وهزت الحياة جذورك لتقتلها ، فإذا بملك الموت يقف حائراً بك ، حين
قطرت من ساعدك التجيل قطرة من دمك تربقها كهده لا بليس ليردك الى الدنيا
يا له من نسيم بلبل مر على رأسك الجمال بالياض ، أي فوست ، عند ما قضى
لك ان تعود الى الدنيا لتتعلق بأهداب طفلة في الخامسة عشرة من ربيع الحياة ...



خمس عشر ريماً ، هو عمر جوليت ، اي روميو ، عند ما كانت قبلاتك
تهازجان مع لشيد القنار ذاهبة معها على أجنحة النسبات
خمس عشر ريماً ، هي شجرة الحياة في الواحة الخضلة بين كنان الرمال
خمس عشر ريماً ، هو عمر حواء عندما نشأت من راحة الله فأودعها خلود الاحيال
لقد كنت زهرة الجنة ، أيها المرأة الاولى ، فراك الذبول وقادتك الحيانة
الى الحرمان . لقد كان سيدك خالداً فأوردته الموت وما تناقص حبك له ، ولئن
أعبد اليك جناتك ، فلن تترددني في اضاعته مرة ثانية ، لأنك تعلمين ان من
يبعد الرجل هو أنت ، وأنت تريدنه طريداً متنبساً لتكوني عزاءه في شقائه وموته



وأنتي رولاً بنظراته الكثية الحاسرة الى ماريا المنطوحة على سربرها المديد ،
قارعتش كان قوة سرية راعته فهزته هزاً
ان ما سيؤديه لقاء تمتع ليله واحدة بما را لمبلغ جسم وقد اضطر الى بذل
آخر دنايره في سبيلها ، وكان اصداقه رولاً طرفين بما أقدم عليه وقد اعلن لهم قبل
مبارحتهم ان احداً لن يراه بعد حين يشق الضحى ظلمات هذا الليل
لقد مرت به السنوات الثلاث وهي خير مراحل شبابه ، ثلاث سنوات مليئة بالمذات
والعريضة والسكر ، مرت تكلم وتلاشت تناريدها كالحن طير عبر في الفضاء وتواري

انها لا آخر ليالي رولا هذه الليلة ، ليلة الموت التي تطبق فيها شفتا المحتضر على آخر توسلاته ، وتقترب فيها الروح كل شيء اذ ترى كل شيء يقترب الى الحق حتى ليكاد يندغم فيه . ورولا قد جاء يقضي ليلته الاخيرة هذه بين احضان فتاة ساقطة ، على سرير ملقاة تنتظره كمن ذابل يترامى على نفسه للفتوح
يا للاختلال الايدي ... يا للجريمة تدفع بالقولة الى مهاوي الفحشاء ...
أفأكان خيراً لهذا الجسم الضيف الصغير المستسلم للدطارة ولا من يدافع عنه
ان يتأوله منجل الحصاد فيتره بترأ وان تمد يد الى عنقه فتفكك عظامه فكاً ؟
أفأكان خيراً لهذا الوجه ان يُطلى بالجير ويُشد فوقه قناع من حديد من
ان تحمي الفحشاء فتحواله الى غدير صاف تمسك على سطحه الازهار ونجوم السماء
وفي قمره قطرات الفسليين ؟

يا له من جمال يغالب القبايح قبيحاً جمالاً .. ويا لك من المهتوك ..
أية قيلة غرام سهم على هذه الشفاء . وأية أثمار تهباً للانقضاء على هذا الاملود
تهب عليه نيمات السماء بل أي لهب يمكن في هذا المسجل الطاهر تراوده لوافج الفحشاء

أيها الفقرا .. أيها الفقرا ، انت هو الفؤاد الذي ألقى على هذا السرير بهذه
الطفلة التي كانت اليونان القديمة ترفع اسمها الى هيكل (ديانا)
لقد أدت فرض صلاتها قبل ان رقدت اسس ، ولبن وجهت هذه الصلاة ، يا لله ا .
أفأكان الاولى بها ان تركع امامك أيها الفقرا لاجئة الى رحمتك متوسلة اليك .
أفأانت من جاء ذات ليلة مع حاصفات الرطخ مقتحماً الاغوال الساهدي في المسكن
الحقير لتقول للام (إن ابنتك عذراء ورائمة الجمال ، والبكارة تباع والجمال يباع)
أفأانت من غسل هذه الطفلة ، أيها الفقرا ، وأرسلها الى المهرجان ، كما تمسك
الاموات لتدرج في الاكفان ؟

أي أم أنت ، أيها الفقرا ، من التفت باله تار الصغير وترأ كض نحت لمان البروق
قاصداً باب المهر والابتذال .
من يدري ، لو أنك جدت عليها بالرفيف ، ان كانت ستلقى ما قدر لها على غير هذا الباب

ما كان هذا الحين الناصح حين قناة لا حياة فيها . وما كان لهذا القلب الطاهر
ان ترطه جرائم الفساد وهو يستقبل شفق الحياة
ويلطف هذه الطقة تدفع الى مهب المواطف المضللة الجاحجة وماطفتها لا تزال راقدة
لغوبها بماريون وهي ماريا... والتقوا بها الى حاوية الفحشاء ، وماغر لها لمعان الذهب
ولا استهوتها حياة الاغنياء ، انها بائسة لا تطلب الا قوتاً وما تستسلم تحت هذه الستائر
المروعة على هذا السرير ، سرير البار الا تنمود الى انها بما جنته من عذابها عليه ...

أين شفتكن ، يا نساء المجتمع ، الرسائل احتقاركن في العيش المرح على كل من
لا يتبع بما تستن به من جور ورخاء ؟
أين شفتكن ، ايها الامهات ، للوصدات الابواب على البنات في الحدود
والساترات المشاق تحت أسرة الازواج . ؟

إن عشتكن ذهبي الاحلام تمنح الحياة فيه جامعات الخيال
ولكن فيكن من تباهي بمثل هذا الشق لانها ليست معروضة بين الباحثات
اعراضهن لمن يشاء ، ان مثل هذه المرأة لم تشهد شيخ الجوع يتقدم ليرفع غطاء
سريرها منشداً طروباً يلصق شفثيه على فها متقاضياً قبلة لقاء كسرة خبز ...

ايها الحيل ، اترك ذاهباً في ما تيك ذهاب الاحيال المنصرمة قبلك تندفع
كالنهر الصاحب حاملاً جثثاً طائمة على مجراك مترامية الى بحر السكون ، في حين ان
هذه الارض المزمرة تشهد هذه المآسي بين الولادة والموت فنستمر دائرة حول
الشمس دون ان تتجاوز مدارها لتصدنحو خالقها شاكية اليه هذا الشقاء

لكن اذا ، ايها المومس الجلية ان تبهي وتغزقي ستر نهديك ، فالحفرة نشع
متدفقة في الاكواب ولهبات الليل تهز مهدلات الستائر وقد لاح ارتعاشها في مرآتك
انهضي انها ليلة راقدة بذلت لها ما تستحق من ثمن ، وما كان المسبح لبشر
اتناء عشائه السري بقدر ما أشعر من جفل وجور في عشائي الاخير
هيا تمالي ، وليجيا الحب التامل العريد ، دعيني أنفوق خرة الاندلس في

رضايك ، ولتحملنا ملائكة القذة على ماصها الى حيث لا صواب ولا شعور
 هياماً نشد الحب والجنون خيرأغانينا ونشرب نخب الزمان النابور ونخب الموت القريب
 نمالي نكرع الحجرة ونسلو كل شيء الا الحجرة والجمال ، فلا يتساعد هتافنا
 الا لتبجيل الحرية والحياة

— ٤ —

اي فولتير ، اترقد الآن بسلام ، ولما ترل بسمك القسيحة تلوح على موضع
 التمر من جمجمتك البالية
 قالوا ان عصرك لم يكن فاضحاً ليفهمك ، فهلا راقك عصرنا وقد ولد فيه رجالك
 لقد عملت راحتك المريضان طويلاً في زعزعة ذلك الصرح الرفيع قدعائى
 ولكنه هوى علينا بأفقاذه نحن ابناء هذه الايام .
 لقد انتظرك الموت ثمانين حولاً وهو يشوق اليك وأنت تراوده تنزلاً
 ونشيباً فما كان غرامك الا شرارة من الجحيم .
 أفلا تسحب احياً ، اي فولتير ، من فراش عروستك بنت العدم بين ديدان
 القبور لتذهب بجيفتك الشاحب تائهاً بين أقناض الاديرة والطلال القصور .
 بماذا تراها تحتاجيك هذه الصروح المقفرة والهياكل المنهدمة وأنت تقف عليها
 فأفوت وغدت خاوية لا حياة فيها .
 بماذا تحتاجيك الصلبان ، وما يقول لك المخلص المشبوح عليها ، اقتدى جراحه
 عندما يتقدم شحلك اليه في الليل محاولاً اقتلاعه كما تُقتلع الزهرة النابلة عن موارثها ؟
 أفرأى أنت ، اي فولتير ، عن عمك رضى المبدع حين فرغ من الخلق فرأى
 حسناً كل ما أبدع .
 أما وأنت الراضي المبتهج بما أنيت ، فاني ادعوك الى وليمة في هذا المساء ،
 أنمض من مرقدك فا عليك الا ان تضرب الباب بلا استئذان وتدخل الى حيث
 احد اتباعك يتناول عشاءه الأخير .
 أفأسمع قبيلات هذا الفتي وهذه الفتاة ، أفأبوحان لك وقد ينطق كل منهما بإساعدي
 رفيقه جسداً واحداً بروحين وقد زفرت شفاههما المرتخفة بشهيق كأنه نجيب وإعوال .

كلاهما فتى وكلاهما رائحة الجمال ، وهذه صرخة الفرام يشها تستهوي النساء لتنزل
بساتيرها الذهبية على عناقها المديد .
فتش على الحب بين هذين المتعاقبين ، لئلا يفرقا من قبل وما يرفقانه الآن ..



وهذه الكلمات الرائعة الساحرة أين تلقاها ، وليس إلا لنشوة الحب ان
تفوه بها بين الشهيق والزفير ؟
يا للمرأة من أداة جوار ومن أداة تعذيب ، يا لها من هيكل سرّي تعالى فوقه
محسات المصلين وصخب اللاعنين ...
أين ترى تجول من الاجواء او من الاصدااء هذه الكلمات الابدية التي لم
تزل تمر يد منذ خمسة آلاف سنة على شفاة الماشقين ؟



يا للعطالة الكافرة : ليس من حب هنا ، وهنا ملاكان وقلبان ما أحقهما
بالاعتلاء في صفاتها الى أيها الأعلى مع طغيات الاملاك
ليس من حب هنا ، وهنا زفير في الليل ، بل هنا الطيبة بأسرها ترتمش ثامة
من خمرة الفرام
هنا عبقات بخور وأقداح مبعثرة ، هنا تصدو قُبَلًا لا أعداد لها ، ولعل
هنا ، ويا للشقاء ، يتكوّن خلوق نفس سيجلن التور
إذا كان لا حب هنا ، فما هو هذا الشبح الرائع كأنه الحب بينه ؟ ..



يا مساكين الزلزلة تحت قباب الاديوار ، أينها المدافن المظلمة ، ان الحب كامن فيك .
وما من شفة ألفت قبلة ملتهبة على أعمدتك وأحجارك دون ان ترتمش بنشوة الحب العبق
تعالى أينها الصروح ، صروح المتزلزين ، تقديمي واحكي أستاذك أمام هذا
الفتى وهذه الفتاة وهما يلتهاجان بشوق النشوة على سرير لا يصلح إلا للرقاد وللموت
اضربي بقلبيهما عرض جدرانك ، أينها الصروح ، واغرمي فيها أشواك ما فيك من
مسخو دامية وارسلني على جيئتهما رشاش مياهاك المقدسة ، قولي لها كم يجب على أمثالها

من سجدة على العهود ليدركوا حقيقة الحب كما يدرك بين جذرائك أيها الادياب . . .

انكم لتكربون ثمة كؤوسكم قمرلوها الى اعماق قلوبكم ، أيها المزهبون ،
انكم ترون وجه المخلص ضد ما براود الناس أعضانكم . وعند ما ينفلق الصباح
تلمس عيونكم هذا الوجه ايضاً على زجاج النوافذ المذهبة بالتور ، وأنتم تصنون
الى ما تهفون مع الارغن من أناشيد الصلاة
هذا هو حبكم تتانون في سيله فتجدون السعادة فيه

أي فولثير ، انظر الى هذا الشاب المتدفق قوة وحياة يرامى بأحر قبلاته على
هذا الصدر البديع ، انظر اليه انه سيسجى غداً في لحده الضيق ، فهل لك ان تنبئه
لقد قرأ هذا الشاب ما كتبت للجميع فلن يجد سلواناً ولا أملاً بعد ان أصبح
عليه جعوداً ، فك غداً ان نضمة الى رقائك دون ان تهك حرمة قبرك
أقترالك تستد ، يا فولثير ، لو استقيت في نفس هذا الرجل شيئاً من الايمان
انه كان سيقا باحتضاره على فراش الفصحاء ؟
ليتك أقيت له الاعتقاد بأن الموت اجتيازٌ معبر الى قرار ، لكان اذن
لا ييالي ولا يخاف اقتحامه فينظر الى ملاك الموت فظره الى عروسة تماي في
السحاب حاملة مفتاح قلبه الذهبي لتطرحه عند عرش الله الحي

هذه صبيحتك ، يا فولثير ، هذا هو الانسان كما أردت ان يكون ، قان التاريخ
لم يفهد الا منذ أمس من يموت كما يموت رولا . . .
عند ما وقف برونوس على أقباض روما صارخاً (ما أنت الا كلمة أيها
الفضيلة) لم يكن يرسل لثة او يتفوه بتجديف
كان برونوس فقد كل شيء ، ولم يبق له لا وطن ولا مجد ولا أمل ولا حرية ،
بعد ان توارت عنه (بورنيا) وفارقة (كاسيوس) ، بعد ان أراق دمه وتفرق
جنده من حوله ، فاستمع عليه ان يؤمن بشيء على وجه الخبراء . ولكنه عند ما
رأى نفسه وحيداً ولا مقلد له الا قطعة من الصخر ، رفع أبصاره الى السماء فما

تفقد شيئاً في مداها التسيح ، بل تقس قلبه منها نسيات الامل فأدرك ان آسفته
لم تزل وان سيفه لم يزل في قبضة يده
اما نحن ، قلة الآلهة فأى شيء بقي لنا ؟

لمن تسلمون ، ايها الهدامون الاعياء ؟ ..
اي شيء تريدون ان تزرعوا على قبر المسيح اذا اتم اسقطموه عن هياكله
وقدتم بالحمام البيضاء الى الهاوي للظلمة .
لقد طمعت الى خلق الانسان من جيتكم وتكوينه على مثالكم وعلى هواكم ،
لقد اردتم اقامة عالم جديد ، فيها هو ذا العالم الذي اردتم
ان تملككم رائع والمسانكم متفوق كامل ، لقد هدمتم الحياض وانفسكم مدى
السهول واستنبتتم شجرة جديدة للحياة .

لقد كسبتم كل حائل فهدتم طرقكم على الحديد .
كل شيء عظيم وكل شيء رائع ، ولكن هذه الاجواء نكتم الانقاص وتشد
على الصدور وقد ذهبت اقوالكم الزانة على الرطح الموبوءة ترزعزع كل مبيود ،
فروع الطيار وشردتها ..

لقد قضى على الرياء ، فاثيق بالكنة احد ، ولكن القنبلة تنهار وقد ائتشر
الجحود على انقاضها

ابن التيلاء يهاون بطارف اعجامهم ، يمدان اصبعوا يرضونها للابذل في المواقير ؟
لقد اصبح التفكير حرّاً وأطلق اليان على مسارحه ، غير ان الشعب أصبح
يتوق الى الميادين تصارع عليها الثيران

لا التقير اذا عزت نفسه عليه ولا التني اذا اجتاحت المحن يلجأ الى الرهينة
في هذه الايام ، فهما يستبران هذا الانزال جنوناً ويفضل كل منهما ان يعمل
خجاً في غرقته ويوصد نوافذها ليحتمق بسمومه

— ٥ —

ولاحث لبن رولاً أوائل اشعة الشمس على السطوح فتذهب الى الشرقة يتطلع منها
الى الطريق وكانت الربيات الضخمة قد بدأت تهتز بانفصالها على التسلطقات ، فاحنى

رولاً جبينه الشاحب وقد حكمة أقدمول امام السباه يشق الضحى فيها سائر الاقنى الحمراء .
 وكانت على الساحة جوقة من رطاع المتئين تنشد أغنية قديمة .
 يا للاغنية يسسها الانسان في ساعات محته بمد ان تفتى بها في مرح طفولته .
 انها لتحوكل ما انطبع بمدها في التذكار فتحفر بين ماضيه وحاضره هوة سحقة
 واذا يشعر بمدها عنه او يمدده عنها ، اذ يشعر بتقادها او بتقادمه ، يحني رأسه
 المنسبة على نبراتها حزناً واجماً .
 ان هذه الثبات القديمة لا تقاس ما في المرء من اطلال ونحيب ما فيه من ملائك
 التذكار ترف على احلام الطفولة وحبا البرى .
 انها تهب نبراتها على أزاهر الزمان المنصرم فتورها وتعالى باكية فوق مضجع
 احضارنا بمد ان غرقت فوق مهودها .



وادار رولاً رأسه فرأى ماري مستسلمة للكرى وقد ارحتها السهاد .
 هكذا كانت الطفلة تفرغ الى عالم الرؤى والرجل يفرغ الى عالم الفناء .
 عند ما تمزق النام شمس الخريف لتقع على ركام التلوج ، تبدو هذه الركام ملتبة
 كأنها صدر الصباح تملوه حمرة الحجل من قبلات النور المحرقة .
 هكذا يتورد إهاب العذراء من دم قلبها عند ما تمسها الشهوة بأطراف جناحها .
 أي كوكب النهار اما الارض ألا معشوقك الهائمة وما تحتفظ أنت بفبا بك
 الا لتسكب عليها روعة الجمال الى الابد .



اي ، أطياف السنونو المتطائرة في الاقنى متعالية منهاوية ، خبريني لماذا فُضي
 علي أن اموت . . .
 أيه ، ما أقبح الاتسار . . . ويا ليت لي جناحين لآمدما في هذه الاجواء
 الصافية فأذهب طائراً طليقاً
 علماني ، يا أرض ويا سماء ، ما هو معنى الضحى ، وما هي قيمة يوم جديد في
 هذا العالم المحرم القديم .
 قولي لي أيها المروج المحضراء وأيتها البحار السحقة لي شيئاً يتجلى فيك اذا

كنت أنت محرومة من الشعور ليهتز القلب اهتزازاً امامك ونحو الركاب عندما توهج آفاقك بأنوار الصباح . . .

من أوثق ولبط الخطوبة بينك وبين كوكب التهار أيتها الارض .
ماذا تقول الاطيار في تفاريدها وعلى من تبكي أنداء السماء ؟
لماذا تحذيني عن حبك الآن ، وماذا تريد الكائنات مني وانا اطلب الفناء .

أية قوة كانت تدس في خيال رولاً كلمة الحب فتجول فيه بكل روعها . بل اي هاتك كان يلقي بهذه الكلمة في أذنه والموت منتصب أمامه .

اي معنى لكلمة الحب فقال لفاسق طاش يوماً فيوماً متقللاً من خسارة الى خسارة محقراً الحياة مباهياً بتحقيق كل طامعة تمت الى الحب بسبب .

أقول له هذه الكلمة وما وصفها في مسمه الا وقع لها نة توجه الى قلبه المتحجر حيث لم تبت زهرة واحدة وهو يمرض قاحلاً على الناس كما يمرض الجندى جرحاً قديماً .
أذكر الحب أمامه وهو من لا خلية ولا سكن له وهو من ماش في ملاعب الرياح متحدياً تصاريف أقداره مسلماً شبيته لكل زعرع يقضها قضاؤها اوراق ذابلة على شجرة جف جذعها .

من ترى تذهب به القطة الى الوقوف امام هذا المحضر ليذكره بالحب بعد ان كرع ثمانية كأسه والتي الى ليل الابد باخر شرارة من حياته وها هو ذا في ساعته الاخيرة يفتش على مرير ماخوور ينطرح عليه ليلفظ آخر اقاسه ويدفع بأخر لثاته .

عند ما تبارح أنثى العقاب ولكنها يتقدم فرخها الى حلقه متحفزاً فكانه يحس باقداره على نشر قوادمه والانطلاق في الفضاء

من ترى يهيب به الى الطيران ويشجعه على اقتحامه وهو لم يفرج غلباً ولم ينشر جناحاً من قبل . انه يعلم بنسبه وأن له أن يقتحم الرياح عندما تدغدغه لفحاتها على ان تحت الشمس منابت للارواح الساقطة كمنابت الكلاب وبسات آوى والاقاعي ، تستبث هذه الارواح كما تستبث هذه الحيوانات قنوت حيث ولستها امهاتها وكلها تحمل في احشائها جرائم سلالها الدنيئة كان الطبيعة تستبقي على اجناسها عماداً تسد به التراب حول القبور ، ولكن لهذه الطبيعة قوتها السرية

تعمل بها على خلق طبقة من الاحياء نيرة تمر على الحياة فلا تطلق بها ارجاسها
ومن جنة الفطرة هذا الصفاء ، فانه لينمرغ في الحانة وتدور به الشرور
خافقة سريره طوال ثلاث سنوات دون ان تقضي عليها اذ يحيى يوم ينتبه فيه ضميره
فيقتض قلبه انتفاض عبدان (سان دومينيك) الذين مرت عليهم الاحقاب حتى تمكنوا
من اقتلاع سلاسلهم من ارض المبودية حين عصفت بهم زعازع التمرد ولسات الحرية
هكذا انتبه أفكارك الآن ، يا رولاً ، محاولة تصليم قيودها فهي تصبح بك
وقد لاحت في دياجر القفر مشاعل الحياة ذاهبة الى ما وراء الحياة
أي رولاً ان هذا الدم الذي تمسك به يدك ان هو الا وهمٌ يتبدد ، انما
الدم خيال قائم لا تطفي امامه أنوار الارض حتى توهج لمعاتها في الابدية
انك ما أحييت من قبل ، فانك لن تحب الى الابد



وعلا وجه رولاً الشعوب فأغلق النافذة وهو يرتش فاذا يده تصدم زهرة
ناضرة فتقصفا واذا بالزهرة تهبط في اعماق روحه :
أحب وأموت ... : لقد ألهني النسيم قتيلاً فتور توهجي وتساقطت أوراقه ،
لقد لبست له الزهو والبهاء فجاءت القبله نهبي الحياة ، وما بهم الزهرة السحاق
قلها بعد ان فتحت اكملها



احب ... هذه هي الكلمة التي تلفظها الطيبة بأسرها لتحملها اجنحة الرياح
والايطار ، هذه هي الزهرة المنجبة زفرها الارض عند ما يحين لها ان تدفع
الى أغوار الظلام
وهل تنيم الكوكب بنير هذه الكلمة الحزينة الرائعة وهي ذاهبة في مدار
اجوائها ؟ ان أضف التجووم اندفعت منذ ابدعها الخالق متجهة الى حبيها كوكب
النهار ، واندفع ورائعها ما يشفقها من الاجرام فسارت العوالم منذ الازل متجاذبة
بالحب في أفلاكها



ووجم رولاً أمام الفتاة الراقدة مغرماً في ملاحها ، تأخذ منها روعة الجمال

وتعبد إليه رؤى كأنه شاهداً فيها مضي من الزمان ، فارتمس متسائلاً : أليست هذه المومس أحته في هذه الترفة تلحد فيها كما سيلحد هو ، أفأبحس الى جنب ما يماينه من اقتحام الموت بما تمانيه هي من اوصاب الحياة



ان الصبر يتمشى على مهل في قلب هذه المخلوقة الشقية الواحية ، أفليست آلامها احتاً لآلامي . أفأهي التمثال الذي قدّر لي ان اراه ممدداً على الحدي ، وأنا انحفز للنزول الى اعماقه ؟

لا تتبجي من رقائك اينها الفتاة ، إن اقتباحتك من حياة الارض ولكن هجوعك طاهر فهو له . دعيني أقبل التماس على اجفانك فأودعه وأوليّه حيي ، فهو لم يبع وشاح طهره ولم ادفع له ثمناً . إن وسنك لم يزل طفلاً ذاهباً في احلام طفولته ولم يلق به منك إلا روعة جالك



يا للجسم اللائكي يتلوّى وراء هذه الستائر المياوجة
أفأيكنتي الحبيب بما رسمه الخطوط في اتساقها المادي وبما يهب عليه من لسيات البهاء
ليفرّد بأشجى الحانة ، وهل الحب الا الضحية المستمرة للخداع ، الا العليل
يرتمس فرقا من زوال دائه.

اذا كان العاشق لا يظفر من الحبيب الا بما يحتاج اليه من التوهم ليتمتع بمذايه ،
فلم لم اذهب مفتقاً على الوم في الآفاق .

مالي ولاري وجايتها ، أفأهي امامي الآن مجسم الفتوة والحياة ؟
لك ان تأتي الآن ، ايها الحب ، اذا كنت انت عطر الحياة وليفع عيرك من
هذه الزهرة البائسة وقد تفتت اكملها عن مثل هذه الخضارة وهذا الجمال . . .



وقدم رولاً الى السرير وعند جنب ماري فاشتبك الناظران وتمازج التنفسان .
وقالت : — كنت أشهد رؤا غريبة ، رأيتني على هذا السرير اابق من رقادي ،
فأذا بهذه الترفة منبسطة امامي كأنها مقبرة واسعة الارحاء تبثرت العظام البالية
بين اكملها الخضراء .

ورأيت ثلاثة رجال يحملون لهماً تقدموا به واتزلوه عن اكتافهم ليؤدوا فريضة الصلاة ، فإذا بالنش ينقلب عنه النطاء وإذا انت بمدد فيه وعلى وجهك رشاش من السماء السوداء .

رأيتك تهض من النش وتقدم اليّ أخذاً يدي قائلاً لي — ماذا تفعلين هنا ، لماذا تحتلين مكاني .

واقبته الى قسي فإذا بي ممددة على قبر .

فقال رولا — إن في حلك حقيقة وإن خلا من الجمال ... ولن نحتاجي الى إغاض جفتيك غداً لتزي مثل الحلم ، فاني مستعرة اليوم

ولظرت ماري الى مرآتها وهي تبسم ، فلاح لها وجه رولا في المرأة وقد علته صفرة الموت فارتشفت واستمع لونها فصاحت به : — مالك ، ماذا جرى لك ؟

فقال : — أفا يهلك اني أفلس منذ اس ، وهل أتيت إلا لأحيي لبة الوداع بفريقك . ما من أحد يجهل هذا ، وقد قضيت بالاتجار على قسي

— أقامرت بمالك

— لآلم أقامر ولكنني بددت مالي

فخدجت الارض بأنظارها مستربة وقالت : — أفليس لك أم ، أفليس لك أقارب وأصدقاء ، أفليس لك أحد في الحياة ؟ أنتحري ، ولماذا تنحري ...

والقت عليه نظرة تشع أسمى وحاناً وترددت على شفيتها سؤالات لم تجبر على التفوه بها . فألقت رأسها الى رأسه واحتضنت عليه قبله واجفة ، وهي تقول همساً : — ليس لي مال ، فإن أُمي تأخذ ما فصل اليه يدي ، ولكنني امك عقدي الذهبي أفا تجيز لي يمه فتأخذ ثمنه وقامر به مرواداً حظك ؟

أبسم رولا على مهله وأخذ حفاً أسود صغيراً أفرغه في فيه ، ثم انحنى يقبل عبقها على عنقها ، وإذا رقت رأسها لم نجد على صدرها غير جثة لا حراك فيها

وكان رولا قد لفظ روحه بالقبة الطاهرة

وكان الحب قد ساد لحظة طليها وعليه ...

تمت

سَيَرُ الزَّمَانِ

أوروبا المتوسطة

والشرقية

مركز الثقل في السياسة الأوروبية الآن

١ — مرمرة القوقاز الفرنسية

٢ — مرمرة البوسنة المشتركة

٣ — أعمال البوسنة المشتركة

٤ — غابرة

اوربا المتوسطة الشرقية



والى الشمال من لوانيا لاتفيا فاستونيا فنلندا وهي لم تظهر على هذه الخارطة

أوروبا المتوسطة

والشرقية

مركز الثقل في السياسة الأوروبية الآن

أما وقد انتهت المفاوضات البريطانية الى اتفاق ربحي منه خير عظيم في اقرار الحالة السياسية المضطربة في حوض البحر المتوسط فقد امتل مركز الثقل في السياسة الأوروبية الى شرق أوروبا وما يليها من شرقها الشمالي وشرقها الجنوبي

هذه المنطقة وصفها ماساريك — الرئيس الاول للجمهورية التشيكوسلوفاكية — في مقال له نشره في مجلة أوروبا الجديدة سنة ١٩١٧ بقوله أنها « منطقة الشعوب الصغيرة » وهي تشمل الآن بعدما ضمت النمسا الى ألمانيا ثلاث عشرة دولة هي من الشمال الى الجنوب فنلندا وأستونيا ولاتفيا ولتوانيا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا وحنغاريا وبوجوسلافيا ورومانيا وبلغاريا واليونان والباينا وتركيا . واذا نحن تذكرنا ان بدأت الحرب الكبرى في سنة ١٩١٤ وكيف أضربت نازما الاولى تين لنا ما لمنطقة الشعوب الصغيرة من الاثر في سلام أوروبا وحررها . وما صح بالاس لا يزال صحيحاً اليوم . فما الحالة هناك ؟

ان تقسيم هذا الجانب من أوروبا الى دولات متعدّدة لا يعود الى بواث عنصرية فقط . بل ان الامبراطوريات الكبيرة في الصور للماضية لم يتم لها توحيد هذه الشعوب وادماجها بعضها في بعض على نحو ما تمّ لفرنسا وانكلترا وأسبانيا في الغرب . ذلك ان الامبراطورية الرومانية المقدسة ، وامبراطوريتا آل هوهنزولرن وآل هابسبرج والسلطنة العثمانية ، كانت تعتمد على إثارة الطواغيت العنصرية بعضها على بعض في سبيل حكمها وزعت منها في الوقت نفسه المنفشات السياسية التي كانت قد أقامت لنفسها بغير ان تسلّم لها بما ينسبها زعماً الخاصة وبحكمها من التالف والاندماج . ولعل خير الامثلة على ذلك بوهيميا وبولندية . فالأولى زرع منها استقلالها في القرن السابع عشر والثانية في القرن الثامن عشر . وحاول الجرمان من ناحية والروس من ناحية أخرى استعمارها بين المتنافسين علاوة على الاستبداد بهما . فازدادت الزعّة القومية العنصرية فيها شدة وتأسلاً . فلما نشبت الحرب الكبرى هبّا الى استعادة ما فقدناه

فهل تستطيع ألمانيا ان تحقق في القرن العشرين ما أخفقت فيه في القرون الماضية ؟ هذه المسألة محور مشكلة من اكبر المشكلات في السياسة الأوروبية في هذا العصر . فاذا استطاعت ألمانيا ان تخضع الدول الصغيرة في أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية لنظامها السياسي والاقتصادي

استطاعت ان تصبح الدولة المهيمنة على أوروبا . وكتاب « كفاحي » يبين ان زعيم الريح الثالث بنوي تحقيق هذا الحلم . فاذا لم يصدَّ صادُّ ، واذا استأثرت ألمانيا « الاندفاع نحو الشرق » Drang nach Osten غير نظر الى السواقي ، فاني اخشى ان تكون أوروبا معرضة ثانية لاهوال الحرب . لانه على الرغم من ضعف الولايات الفرنسية والبريطانية وتقلب الرأي العام الذي تستند اليه ، يخامرني الريب في ان تسلم حكومتا فرنسا وبريطانيا في آخر الامر باطلاق يد ألمانيا في أوروبا الوسطى والشرقية . لانهما ان فعلتا كان ذلك تسليماً منها بسيطرة ألمانيا على مصادر من الثروة والسطوة تجعلها ضحاياها الاولى . وانا اقول ان بعد النظر وادراك حقائق الحال ستحملها على مقاومة هذا « الاندفاع » ولكنني اقول انها ان لم تفعل فقد قضى عليهما ان تكون دولتين من الطبقة الثانية

وقبل ان تناصر ألمانيا لكسب ما تريد من طريق الحرب رآها تبذل السعي لتهدم النظام السياسي الذي انتهى بعد الحرب الكبرى للحفاظ على ما قدرته معاهدات الصلح . وكل حدث من احداث السياسة الدولية القريبة كان مظهرآ من مظاهر هذا السعي فلتنظر الآن في تحول الاتجاهات السياسية في أوروبا المتوسطة والشرقية بعد الحرب لعلنا نستطيع ان نقين ما يدنا على مستقبلها وهل هناك في « منطقة الشعوب الصغيرة » ما يشير الى انه في وسع بعضها ان يحتفظ باستقلاله او هو مقضي عليه بان يصبح تابياً لنفس ألمانيا وما لها من قوة عسكرية واقتصادية . وتاريخ هذه المنطقة منذ سنة ١٩٢٠ ينقسم الى ثلاث مراحل واضحة . مرحلة اولاً مرحلة التفوق الفرنسي في النفوذ السياسي والعسكري . وتليها مرحلة السعي لتنظيم السلامة الاجتماعية بواسطة المعاهدة والمواثيق وقد بلغت قمتها في الميثاق الفرنسي السوفيتي في مايو ١٩٣٠ ثم هناك المرحلة الثالثة التي تبرز فيها نزعة بعض الدول الصغيرة الى عقد معاهدات مقابلة للمعاهدات القديمة ، وقد كان بدؤها يوم دخلت جيوش ألمانيا منطقة الرين المجردة من السلاح في ٧ مارس سنة ١٩٣٦

مرحلة التفوق الفرنسي

دامت المرحلة الاولى — مرحلة التفوق الفرنسي — من حين عقدت معاهدات الصلح ووقعت الى شهر اكتوبر من سنة ١٩٣٣ اي الى ان خرجت ألمانيا من مؤتمر نزع السلاح وعصبة الامم وحيثما عملت الدولية . في خلال هذه السنوات كان الجيش الفرنسي يمنع جيوش أوروبا . وكان احتلال فرنسا لمنطقة الرين (الى سنة ١٩٣٠) ومحيط هذه المنطقة من الحصون بمقتضى معاهدة فرساي ، مما يجعلها من اختراق غرب ألمانيا غير ان تقف عقبة كبيرة في وجهها فتستطيع

مناجزة الجيش الألماني في الغرب، بحيث تصبح ألمانيا حاضرة عن أي عمل حربي ذي شأن في الشرق. في هذه الفترة كان الخطر الوحيد الذي تستهدف له دول أوروبا الوسطى والشرقية، ناشئاً من موقف هنغاريا وروسيا السوفيتية. أما الأولى فلم يكن في وسعها الاعتماد على ألمانيا حينئذٍ، في طلبها لثأر، فالتجأت إلى إيطاليا. وقد اعتمدت إيطاليا رأياً في وجوب تنقيح المهادنة في خطة لموسوليني القاهما في يونيو سنة ١٩٣٨ ولكنها مع ذلك ظلت تتعاون مع فرنسا وانكلترا وهي تبحث عن خير الوسائل لتحقيق أغراضها. وأما روسيا فكانت لا تزال في غمار الثورة فلم يكن في وسعها الاشتراك في حرب خارجية ولا سيما بعد هزيمتها في الحرب الروسية البولندية في سنة ١٩٢٠

ففي هذه الحالة تراءى لفرنسا أن خير وسائل السلامة أبسطها. فقدت في فبراير من سنة ١٩٢١ اتفاقاً سياسياً وآخر حريماً مع بولندة. وفي يناير من سنة ١٩٢٤ عقدت اتفاقاً سياسياً مع تشيكوسلوفاكيا وكان الاتفاق التشيكوسلوفاكي بمنزلة محالفة إلا أنه لم يمس على تعاون هيتلي أركان الحرب في الحشيش. ومع ذلك كان للهيئة الحزبية الفرنسية في براج مقام اعظم من مقامها في وارسو حيث كان المارشال بسودسكي يحد من قودها غير على مقامه. ولذلك يمكن أن يقال أن الاتفاق العسكري البولندي الفرنسي ظل حراً على ورق على الغالب ولم يوضع موضع التنفيذ الفعّال. فلما ذهب المارشال فوش في سنة ١٩٢٣ إلى وارسو ليعدّ المارشال بسودسكي في ما يكون موقف بولندة إذا اتخذت ألمانيا خطة الهجوم في شرق أوروبا، لم يفر القائد الفرنسي من القائد البولندي إلا بقوله «أزحف على موسكو». أما ألمانيا فاني اتخذ قراراً عندما اراني في الميدان «

كانت الحكومة الفرنسية قد فاوضت حكومتى بولندة وتشيكوسلوفاكيا لأن حدودها محاذية لحدود ألمانيا. وبهذا يفسّر تمثيلهما في مؤتمر لوكارنو الذي عقد في شهر أكتوبر من سنة ١٩٣٥ ولا يخفى على متتبعي السياسة الدولية أن اتفاقات لوكارنو كانت فسين احدها اتفاق خاص بمنطقة الرين وقد ضمتها بريطانيا وإيطاليا يؤيدها اتفاقان احدهما بين فرنسا وألمانيا والآخر بين ألمانيا وبلجيكا. أما القسم الثاني فكان مشتملاً على معاهدي تحكيم بين ألمانيا من جهة وكر من بولندة وتشيكوسلوفاكيا من جهة أخرى. ولكن بريطانيا وإيطاليا لم يجتبا ضمان هاتين المعاهدين فتمن على فرنسا أن تنهض بهذه التبعة وحدها فترزت اتفاقها مع بولندة (١٩٢١) وتشيكوسلوفاكيا (١٩٢٤) بتصرّيحين زعدت بمقتضاها أن تؤيد حليفتها الشرقيتين بالقوة العسكرية في الاحوال التي تشملها الفقرة السابعة من المادة ١٥ وكذلك المادة ١٦ من ميثاق عصبة الأمم. وهذه النصوص في الميثاق تشمل جميع حالات الحرب — أي حالات النزاع المروضة على مجلس عصبة الأمم إذا

عجز المجلس عن حلها بالاجماع وكذلك حالات الاعتماد الصريح الذي لم تتخذ لئمه وسائل التسوية السلمية

اما وقد قطعت فرنسا على نفسها عهداً من شأنها ان تلزم المانيا باحترام حكم القانون الدولي فلم يبق على بولندية وسائر الدول في حوض الدانوب الا ان تفعل ما يدل على تماسكها في وجه روسيا السوفيتية وبناريا . ولذلك عقدت بولندة ورومانيا اولاً اتفاقاً في سنة ١٩٢١ ثم في مارس سنة ١٩٢٦ قطعاً فيه عهداً بالتعاون على صد اي اعتداء موجه الى اراضي احدهما او كيانها السياسي . ثم حددت الاحوال التي يتخذ فيها هذا الهد وفقاً لما فصلته فرنسا في السنة السابقة بمقتضى المادتين ١٥ و ١٦ من ميثاق عصبة الامم . وازدادت الى ذلك اتفاقاً يشمل التعاون بين هيتلي اركان الحرب في جميعها ووعدت كل منهما بان لا تعقد تحالف مع دولة ثالثة قبل مشاوره صاحبها وعقدت رومانيا وتشيكوسلوفاكيا ويوجوسلافيا ثلاث معاهدات حددت فيها موقفها من بناريا وهذه المعاهدات هي أساس « الاتفاق الصغير » . والقاعدة في هذه المعاهدات الثلاث التعاون المتبادل في وجه اعتداء غير مستفز من بناريا على احدها . ثم الامتناع عن عقد معاهدة مع دولة رابسة الا بعد التشاور . والفرص السام التي اتجهت اليه هذه المعاهدات كان على ما جاء في التوطئة ، هو المحافظة على السلام الذي اشترى بتضحيات عظيمة ونص عليه ميثاق عصبة الامم وكذلك صون الحالة الناشئة عن عقد معاهدة تريانون سنة ١٩٢٠

وهذا كله يعني ان رومانيا وبولندة اتفقتا على صد روسيا وان رومانيا وتشيكوسلوفاكيا ويوجوسلافيا اتفقت على صد بناريا . وقد سبق ان قلنا ان فرنسا عقدت معاهدتين مع بولندة واحدة ومع تشيكوسلوفاكيا واحدة . اما صلها برومانيا ويوجوسلافيا فلم تعد معاهدتي التشاور والتعاون المعقودتين في ١٠ نوفمبر ١٩٢٦ (رومانيا) و ١١ نوفمبر ١٩٢٧ (يوجوسلافيا)

الا انك ضد ما تدقق النظر في هذا النظام المقدر ترى فيه كثيراً من مواطن الضعف . فالالاتفاق الصغير قاعدته صد المجر وحدها فليس فيه ما يحتم اشتراك دوله الثلاث في عمل ضد المانيا او ايطاليا او بناريا . وبولندة على الرغم من تحالفها مع رومانيا ، كانت شديدة العطف على بناريا فلم تهرم معاهدة تريانون ، وعلى شيء من التفرد من تشيكوسلوفاكيا . ثم ان تشيكوسلوفاكيا وطرفها الشرقي داخل كالاسفين بين رومانيا وبولندة ، لم تكن مرتبطة ارتباطهما بوجوب التصدي لروسيا . أما مشكلة استقلال النمسا وضمانه فلم تالج . وكانت جميع هذه الدول تحسب فرنسا صديقه لها وحليفه وتتمدد على مساعدتها في ساعة الضيق ، مع ان اساليب المساعدة وطرائق النون لم تبحث بحثاً مفصلاً . وكانت الصداقة وثيقة بين بنش وزير خارجية تشيكوسلوفاكيا وماركسوفتش وتيتولسكو ووزري خارجية يوجوسلافيا ورومانيا ، فلم يجرؤ أحد على الظن حينئذ ان هذه الصلات الوثيقة يمكن ان يبروها الانحلال

٢ — مرحلة انضمام المشتركة

في سنة ١٩٣٣ أخذت عوامل الضعف تتطرق الى هذا النظام الاوربي القائم على تفوق النفوذ الفرنسي . كانت جيوش فرنسا في منطقة الرين قد سحبت منها في يونيو ١٩٣٠ وحذفت مسألة التويضات الالمانية في مؤتمر لوزان (١٩٣٢) من سفر النزاع السياسي . وألغيت المراقبة الدولية على أعمال المانيا الحرة . وفي ٣٠ يناير من سنة ١٩٣٠ قتل المهرتل منصب المستشار في الحكومة الالمانية وأخذت الثورة الوطنية الاشتراكية طريقها المرسوم . وفي شهر أكتوبر من السنة نفسها قسم المهرتل كل صلة له بجنيف . فصرحت الدول المهددة في سلامتها انها لا يسمها الاكتفاء بضمانات السلام العامة المطوية في ميثاق العصبة . ولا سيما لان الولايات المتحدة الاميركية ظلت متمسكة بمبدأ حرية البحار مما حذر من رغبة بريطانيا في تطبيق مبدأ العقوبات (المادة ١٦ من ميثاق العصبة) تطبيقاً فعالاً خشية ان تصطدم بألمانيا . وكانت قوة الجيش الفرنسي قد أصبحت بماؤها ينقص مدة الخدمة العسكرية الى سنة واحدة . فلما تولى المسيو لوييس بارثو وزارة الخارجية الفرنسية ودرس هذه الحالة الجديدة وأدرك مزاها بث يذكرته المشهورة الى أنكلترا (١٧ ابريل ١٩٣٤) ميثاقاً فيها ان فرنسا تحتفظ بحريتها في اعادة تنظيم جيشها وتعزيزه هنا بدأت المساعي لتحقيق ما يعرف «بالسلامة المشتركة» بتحديد المقصود من تطبيق المادة ١٦ من ميثاق العصبة اذا اقتضت الحال تطبيقها . وامم المسيو بارثو مرتبط بهذه المساعي مع ان جانباً منها كان قد بذل في البلقان قبل دخوله الكلي دورساي

كان من شأن انبعاث القوة العسكرية الالمانية في هذه الفترة ان وجهت النظر ووزراء الخارجية الفرنسية المتعاقبين — هريو وبونكور وبارتو — وكذلك قواد الجيش — فيجان وجاملان — الى فكرة واحدة ، وهي استئلال القلق البادي في الدوائر الروسية من جراء السيادة الالمانية البادية في مذكرة هوجنبرج المشهورة في صدد استئلال المانيا لبض الاراضي الروسية . وان يكون غرض هذا الاستئلال حدم معاهدة رابالو الروسية الالمانية التي عقدت في سنة ١٩٢٢ ثم أبدت بمعاهدة ١٩٢٦ وجددت في مايو ١٩٣٣ في عهد الحكومة الوطنية الاشتراكية الجديدة في المانيا . وأدرك بارثو وقواد الجيش الفرنسي الفائدة الكبيرة التي يحظى من هدم الصداقة الالمانية الروسية واحلال الصداقة الفرنسية الروسية محلها . ففي المقام الاول يقتني الخوف الذي يسود حلقاء فرنسا في شرق أوروبا من طغيان روسيا عليها . وفي المقام الثاني تتمتع روسيا عن ان تكون مصدراً ثميناً لكثير من المواد الخام التي يحتاج اليها الجيش الالمني . ويضاف الى هذا وذاك رغبة الحكومة الفرنسية في تأييد موسكو لنظرية «السلامة المشتركة» التي اقترحها الوفد الفرنسي في مؤتمر نزع السلاح ، والاعتماد على قوة روسيا الجوية في حالة قيام ازمة بين فرنسا و المانيا

وكذلك حفلت سنة ١٩٣٣ والسنان اثنان تلتاها بمساعٍ سياحية متعددة لعقد موافق لضمان السلام ضاماً متبادلاً . ففي سبتمبر من سنة ١٩٣٤ ضُمَّت روسيا الى عصبة الامم . وبعدها ضُمَّت الى العصبة الى رأي وسعي كل من بارتو الفرنسي وبنش التشيكوسلافاكي وبنش البوجوسلافي ورشدي أراس التركي وبوليس اليوناني وغيرهم ممن كانوا يرغبون في أن يروا دول أوروبا المتوسطة والشرقية مرتبطة في اتفاق دفاعي يكتفي لصد أي سعي من شأنه أن يهدم النظام القائم وكان الرأي أن تكون فرنسا وروسيا قطبي هذه الكتلة احداها في الغرب والثانية في الشرق . وكان الرأي كذلك أن تقسم او تجمع موافق «السلامة المشتركة» في بضعة موافق اقليمية ، فيمقد ميثاق خاص بشرق أوروبا الشمالي تنظم فيه ألمانيا وروسيا وبولندة وتشيكوسلوفاكيا ودول ساحل البلطيق . وآخر للبحر المتوسط تنظم فيه الدول القائمة على سواحله . وثالث لأوروبا الوسطى يكون اساسه اتفاق بين فرنسا وإيطاليا وغرضه الاول ضمان استقلال النمسا لم يحقق من جميع هذه المشروعات العظيمة الا التزير القليل . منها الاتفاق البلقاني في ٩ فبراير ١٩٣٤ بين يوجوسلافيا ورومانيا واليونان وتركيا ، وذلك قبل ان يتقدم بارتو وزارة الخارجية الفرنسية . وكانت قاعدته مخالفة عسكرية للدفاع عن الحدود القائمة في البلقان ولكن الاتفاق العسكري لم ينص في الواقع الا على التعاون بين ثلاث منها فقط في حالة هجوم بلغاريا . وقد اعتذرت اليونان عن الاشتراك معها في ذلك بأن سواحله شديدة التعرض للخطر . ثم ان الاتفاق لا يحتوي على نص خاص بالتعاون بين دوله ضد احدى الدول الكبرى . ونذهب الى أن يد من هذا تقول ان لا الاتفاق البلقاني ، ولا الاتفاق الصغير ، ولا الاتفاق البلطقي ، يشمل نصاً ما خاصاً بمقاومة اعتداهم تقوم به ألمانيا او إيطاليا

كان الطريق الى عقد الاتفاق البلقاني قد مهد في سنة ١٩٣٣ بعقد معاهدات بين روسيا السوفيتية وجاراتها حدد فيها معنى الاعتداء . وفي مقدمة هذه المعاهدات ما عقد بين روسيا والاتفاق الصغير . ويمتضي هذه المعاهدات سلمت روسيا بضم بيسارابيا الى رومانيا ، تسليماً ضمناً لان حدود الدول المتعاقدة وضفت وصفاً صريحاً فيها . وعلى اثر ذلك سمت روسيا لدى صديقتها تركيا فتحلتها على الشروع في المفاوضات لعقد الاتفاق البلقاني .

وأمم من الاتفاق البلقاني ، بين المعاهدات التي عقدت في هذه الفترة ، وواقع أثر في السياسة الدولية ، المعاهدة الفرنسية السوفيتية (٢ مايو ١٩٣٥) وبمقتضاها قطعت الدولتان المتعاقدان عهداً بالتعاون المتبادل وفقاً للمادتين ١٥ و١٦ من ميثاق عصبة الامم . وتبعها في ١٦ مايو ١٩٣٥ مساعدة تشبها بين روسيا وتشيكوسلوفاكيا . فلما فسرت المادة ١٦ من مواد ميثاق العصبة في النزاع الايطالي الحبشي تيسيراً جعل تطبيق العقوبات على إيطاليا لا مفر منه ، غدت هاتان المعاهدتان

بمنزلة تحالف عسكري ، لأنه أصبح لكل دولة ان تعتبر اي اعتداء موجه الى غيرها من اعضاء العصبة كأنه موجه اليها . والفرق الوحيد بين المحالفات القديمة التي كانت تقعد قبل الحرب الكبرى وهذا الضرب من موثيق التعاون المتبادل ، ان الموثيق الحديثة القائمة على اساس من المادة ١٦ في ميثاق العصبة ليست الا موثيق دقاعة

كان المشروع الذي قصد بارتو الى تحقيقه واسع النطاق كثير التقيد والاشتباك وكان الرأي ان تشارك فيه جميع الامم وتحني منه فائدة الضمان المشترك لسلامتها . فروسيا مثلاً قد تنجده فرنسا اذا استهدفت لهجوم الماني وبنجدة المانيا اذا استهدفت لهجوم فرنسي . وفرنسا قد تنجده المانيا اذا استهدفت لهجوم روسيا ، وروسيا اذا استهدفت لهجوم المانيا عليها . وهذا النوع من الترابط يجب ان يشمل معظم دول اوربا ، واذن فقد الاتفاقات التالية بين الدول الاوروبية الكثيرة كان يقتضي معاهدات دبلوماسية لانهاية لها . ففي شهر يوليو من سنة ١٩٣٥ فاز السيو تيتولسكو من الملك كارول بالسعي لعقد ميثاق تعاون متبادل بين رومانيا وروسيا ، ولكن فرنسا أخّرت ابرامها للميثاق الفرنسي الروسي الى شهر مارس من سنة ١٩٣٦ ولذلك لم يتقدم لتفنيف الى بحث مسألة الميثاق الروماني الروسي الا في ٢١ يوليو من ١٩٣٦ موضحاً ان المفاوضات الرسمية تبدأ في شهر سبتمبر من تلك السنة في جنيف . ولكن تيتولسكو اخرج من وزارة الخارجية الرومانية في ٢١ أغسطس ١٩٣٦ فوقفت المساعي لعقد هذا الميثاق بين رومانيا وروسيا عند ذلك الحد . وفي الوقت نفسه كانت يوجوسلافيا تسمى لعقد اتفاق تعاون متبادل مع فرنسا فلم يبرها لاقال اذناً صاغية ، وكذلك رأى انه ما توارت جثة بارتو في لحدها حتى كانت عوامل الانحلال قد نظرت الى فكرته

٣ — المحمول السعرة المشتركة

كيف يُفسّر هذا التحول ؟ ذلك ان الحركة القوي التي كان يسوق دول أوربا المتوسطة والشرقية الى التغام والترايط في سبيل سلامتها المشتركة ، أصيب بما عطله ووقفه عن الحركة . وكان الباعث على ذلك يرتد جانب يسير منه الى النزاع الحبشي الايطالي ، أما الجانب الاكبر فكان يرتد الى ما بدا من ضعف فرنسا وبريطانيا يوم ٧ مارس سنة ١٩٣٦ عندما دخلت الحيوش الالمانية منطقة الرين المجرّدة من السلاح . هذا الحادث قضى على ما كانت تؤمله دول اوربا المتوسطة والشرقية من مساعدة فرنسا لها في محتها . وكانت المفاوضات التي دارت بين ١٩٣٤ — ١٩٣٦ قد أثبتت ان السلامة المشتركة في حوض الدانوب لا يمكن تحقيقها بغير تأييد فرنسا لها ، وضمان موثيقها . أما فرنسا فلم يكن في وسعها ان تؤيد وتضمن الا اذا وافقها انكثرا على ذلك

ان نظرة واحدة الى الحارطة الاوربية تحمل الباحث على السؤال ، لماذا لم تعقد رومانيا وتشيكوسلوفاكيا معاهدة تعاون متبادل مع اتفاق مصلحتها على وجوب عقدها . وتفسير ذلك ان كل اتفاق من هذا القبيل لا تفترق فيه فرنسا او لا تضمنه فرنسا وتسهل بمقتضاه ان تستعمل جيشها العظيم لشغل الجانب الاكبر من الجيش الالماني في الغرب ، لا يمكن ان يقوم على اساس سليم . فاذ نظرت الى الحالة الاوربية هذه النظرة تبين ان يوم ٧ مارس سنة ١٩٣٦ كان تاريخاً حاسماً . لانه ما زالت منطقة الرين مجردة من الحصون والاستحكامات ففي وسع الجيش الفرنسي ان يوغل في المانيا من غير ان يلقى مقاومة تذكر وان يشغل الجانب الاكبر من الجيش الالماني فتسجز المانيا عن أي عمل حربي ذي شأن في شرق اوربا أو متوسطها . وفي هذه الحالة كان في وسع فرنسا ان تذر المانيا اذا رأت منها ما يدل على نية الاعتداء فتقول لها (الى هنا وكفى) والجيش الفرنسي جيش قوي جداً (اذا استبقينا سلاحه الجوي الآن) حسن النظام والتدريب . وحصون فرنسا على حدودها الشرقية أمنع من عقاب الجوى . ولكن منذ احتلت الحيوش الالمانية منطقة الرين في ٧ مارس سنة ١٩٣٦ انشأت فيها حصوناً تحمى الدقاق عن المانيا سهلاً . ثم ان البلجيك اردت في شهر ابريل من سنة ١٩٣٧ الى خطة الحياذ . وهذا جعل دول اوربا المتوسطة والشرقية على التفكير : هل تستطيع فرنسا وانكثرت في هذه الاحوال سيلاً الى القيام بهجوم فئال على المانيا ، اذا حدثتها نفسها بالاعتداء في اوربا الشرقية او المتوسطة . وهذا التفكير هداها الى القول بان جميع المعاهدات والمواثيق التي انشأتها لضمان السلامة المشتركة أصبحت غير قابلة للتنفيذ

فلتنتظر الآن في ما تم بعد ما تبينت دول هذه المنطقة الحقائق المتقدمة مما قضى الى انحلال الجبهة الفرنسية في وسط اوربا وشرقها

الا ان الجبهة التي كان بارثو ساعياً في توحيدها وتمزيها ، بدأت تصدع في أيامه . فمقدت بولندة في ٢٦ يناير من سنة ١٩٣٤ اتفاقاً مع المانيا على تأجيل جميع المسائل المختلف فيها بينهما عشر سنوات وهو اتفاق يبدو اول وهلة انه عقد لمنع ما قد ينشأ بين الدولتين من نزاع ولا سببا بسبب المجاز البولندي . الا ان الواقع ان البائع لالمانيا على عقده مرقها ميل الكولونيل بك وزعيمه المارشال بلسودسكي . ذلك ان ميولها حملت المانيا على الاعتقاد بان بولندة تحفظ بجميع قواتها في المستقبل لمقاومة روسيا السوفيتية بل لها جنها . وانها لن تكون كامئة الولاء لفكرة السلامة المشتركة . وانها ستسعى جهدها ليزل تشيكوسلوفاكيا بالدخول بينها من جهة وبين حليفها رومانيا ويوغوسلافيا في الاتفاق الصغير من جهة أخرى . وانها لا بد ان تبذل مساعيها في براغ مع هنلين ضد بنش وفي رومانيا ضد تيتولسكو . والواقع ان تقدير المانيا

كان في حله ، لان الكولونل بك كان دائماً السعي لاضاف التفوذ الفرنسي وهدم ما ابتنته فرنسا من انشاء نظام « السلامة المشتركة »

ثم ان تفكير بلودسكي العسكري كان لا يتلاءم مع النزعة السلمية في الديمقراطيتين الفرنسية والتشكية . واما بك فكان تلميذاً وفيّاً لاستاذ وزعيمه . لم ان بولنده كانت حاققة لان فرنسا املتها بعض الاممال في معاهدات لوكانو ولانها قبلت ان توقع في ٧ يونيو من سنة ١٩٣٣ ميثاق الدول الاربع مع بريطانيا والمانيا وايطاليا . ومع ان هذا الميثاق ولد ميتاً لكن تأثيره النفسي في حلفاء فرنسا في أوروبا الوسطى والشرقية كان بالغاً أقصى حدود الضرر . ثم ان بولنده أزعمها ان تقترح فرنسا في مؤتمر زرع السلاح خططاً لضمان السلامة قبل ان تستشيرها فيها . فلما اقترحت بولنده على فرنسا القيام « بحرب واقية » على المانيا في سنة ١٩٣٣ أبت فرنسا ذلك فترعت بولنده في الحال في المفاوضات مع برلين . ومهما تكن الاعذار التي يستدريها الكولونيل بك ، ومهما يلق تصريحه بولائه لفرنسا ولصدقتها من البلاغة ، فالواقع الذي لا ريب فيه انه اختار طريقه . فاذا حدث ما أسلم أوروبا الى ازمة لا تخرج منها الا بالحرب فعلى بولنده ان تختار ، واذا كانت الكلمة العليا للكولونيل بك حيث ذاع الغالب انه يختار ان يكون في جانب الرخ الثالث . ولكنه مع ماله من المكانة ليس سيد بولنده الوحيد . ومنذ ما دخلت جيوش المانيا منطقة الرين في مارس من سنة ١٩٣٦ أخذت رومانيا ويوجوسلافيا تجري على خطه نفسه خطة بولنده من بعض الوجوه لتأمين سلامتهما من دون ان تتخذ إحداها خطوة لارجحة فيها

في ٢٩ أغسطس سنة ١٩٣٦ اخرج فيتولسكو من وزارة الخارجية برومانيا . فلما اجتمع مجلس الاتاق الصغير في براستيلافا ، في احد اجتماعاته الدورية ، بيد ذلك ، قرر حلّ الوفاق الذي كان يربط الدول الثلاث منذ فبراير سنة ١٩٣٣ وذلك باعتراف المؤتمر بأنه من حق كل دولة ان تقاوض من تعاقب من جاراتها وتنفذ معها اتفاقاً وفقاً لمصلحتها الخاصة . وكانت الحجة ان تشيكوسلوفاكيا قد عقدت اتفاقاً مع روسيا في مايو من سنة ١٩٣٥ فلماذا لا يجوز ليوجوسلافيا او رومانيا ان تفقد اتفاقاً مع المانيا او ايطاليا اذا دعت الحاجة اليه . وكان المجلس لمي حيثن ان الاتفاق الروسي التشيكوسلوفاكي عقد بموافقة الدول الثلاث ، وان وزير رومانيا ويوجوسلافيا كانا قد افضيا الى وزير تشيكوسلوفاكيا في بيان النوائد الجمعة التي تخرج من عقد اتفاق روسي فرنسي . بل أنهم ذهبوا الى ان الاتفاق الفرنسي الروسي اساس للاتفاق العام الذي يفيونه ، ولم يسلّموا بالاتفاق الفرنسي الايطالي الذي عقد في ٧ يناير ١٩٣٥ الا عند ما يفتقروا ان باريس توي ان تفقد اتفاقاً آخر مع روسيا

وعلى الرغم مما حدث في مؤتمر براتيسلافا جددت فرنسا مساعيها لتعزيز جبهة الاتفاق الصغير فأنابت الدول الثلاث في نوفمبر من سنة ١٩٣٦ أنها مستعدة أن تتخذ على نفسها عهداً عسكرياً وسياسياً أزاء كل واحدة منها على نمط اليهود التي تتخذها الدول الثلاث أزاء بعضها بعضاً . ولكن رومانيا و يوجوسلافيا لم تقبلا هذا العرض . لانهما لم تقبلا أن تتهدا بمساعدة تشيكوسلوفاكيا ضد ألمانيا . لم أن عرض فرنسا لم يرفض رسمياً ولكنه لم يقبل فهو إذن ملحق وماذا فعلت يوجوسلافيا بعد ما اتخذ مؤتمر الاتفاق الصغير ذلك القرار ؟ عقدت مع بلغاريا معاهدة في ٢٤ يناير سنة ١٩٣٧ اتفقت فيها الدولتان على أن لا تحارب احدهما الاخرى مطلقاً ولكن الاتفاق البلقاني كما لا يخفى يقضي على يوجوسلافيا بأن تشارك في الدفاع عن اليونان او تركيا او رومانيا في حالة اعتداء بلغاريا على احدها — ومع ذلك أكد المسيو ستوياديتوفتش رئيس وزراء يوجوسلافيا لحلفائه في الاتفاق البلقاني ان اتفاقه مع بلغاريا لا يحول دون نهوضه بما تقتضيه منه لصوص الاتفاق البلقاني ١

ثم انه عقد اتفاقاً سياسياً مع ايطاليا في ٢٥ مارس سنة ١٩٣٧ وبه وعدت ايطاليا بالامتناع عن اي سعي موجه الى سلامة الاراضي اليوجوسلافية ووعدت يوجوسلافيا بمقابل ذلك ان تتشاور مع ايطاليا في حالة نشوب ازمة دولية للاتفاق على موقف مشترك . وهذا لا يتواءم ولصوص المعاهدة الفرنسية اليوجوسلافية الموقعة في سنة ١٩٢٧ والمجددة في ١٩٣٢ ثم في اكتوبر من سنة ١٩٣٧ . وتفسير ستوياديتوفتش لهذه المفارقة ان التشاور والاتفاق على موقف مشترك ، اختياري في المعاهدة مع ايطاليا واجباري في المعاهدة مع فرنسا لان المعاهدة اليوجوسلافية الايطالية تستلزم اي عهود قطعتها حكومة بلغراد في اتفاقات سابقة . وما يذكر في هذا الصدد ان معاهدتي يوجوسلافيا مع بلغاريا وايطاليا عرضتا على حلفاء يوجوسلافيا ولكنهما عرضتا عن انهما امر واقع فاما ان تقبلا واما ان ينهرا للاتفاق البلقاني والاتفاق الصغير وماذا تم في رومانيا ؟ لم تجار بولتدة ويوجوسلافيا في اقصاها اتصالاً صريحاً عن السكتة التي سعت فرنسا الى انقائها في شرق اوربا ووسطها . ولكن وزارة تاتارسكو شرعت في ربيع سنة ١٩٣٧ في مفاوضة بولتدة وايطاليا . إلا أن فرنسا تدخلت في الموضوع وبذلت ما لها من مقام وقود في بوخارست لحيولة دون انتهاء هذه المفاوضات الى اتفاق معين . ولا يخفى أن الكولونيل بك وزير خارجية بولتدة لا يخفى عن بذل سعيه في رومانيا ضد فرنسا . ولكن نجاحه كان مشكوكاً ما زال يقولاي يتولسكو وزيراً للخارجية . ولقد ظلت المعاهدة الرومانية البولتدية الموجهة ضد روسيا حراً مائلاً في اثناء عهد يتولسكو فلما أخرج من وزارة الخارجية الرومانية في اغسطس ١٩٣٦ جدد الكولونيل سعيه . وكبر الامل في تحقيق أغراضه عندما

قامت وزارة جوجا في أواخر السنة الماضية . ولكن سقوط وزارة جوجا وقيام وزارة البطريك كرسيا وإمادة تأليفها من عهد قريب جعل الحالة في رومانيا غامضة وان كان السمي المبذول في الاسابيع الاخيرة للقضاء على الحرس الحديدي دليلاً على ان الملك كارول — وهو حاكم رومانيا الحقيقي الآن — ينوي ان يحتفظ بما يربط رومانيا بفرنسا وانكساراً من المرى

مُهاجرة

هذا أمم ما يمكن ان يقال الآن عن تطور الحالة في «منطقة الشعوب الصغيرة» . اما ما ياتي به الند وهل هموز المانيا يسطق قودها على هذه المنطقة ، او تمود معظم هذه الدول تتلف حول الديمقراطيتين الثريتين ، فيتوقف في رأي الكاتب الفرنسي ريتناكس — وعلى مقال له في مجلة الشؤون الخارجية الاميركية ^(١) عدد ابريل ١٩٣٨ اعتماداً في كتابة هذا الفصل — على حزم انكلترا وفرنسا . فاذا بدا لهذه الدول الصغيرة ان فرنسا وانكلترا حادتا قوة فعالة في السياسة الاوربية حاجت هذه الدول الى تأييد مساعهما . وإذا ثبت ضد ذلك ، فانها لا بد لها من ان تمضي في خطتها البادية في موقف بولندة ويوجوسلافيا ، الى أن تصبح مضطرة جزءاً من «أوروبا الوسطى» — ميتل أوروبا — الخاضعة للسيطرة الالمانية

ويروي «ريتناكس» في آخر مقاله هذا انه كان في لندن في الاسبوع الثالث من شهر فبراير الماضي — بعد ان اجتمع المهرتار بالمر شونج في رختسجادن (في ١٢ فبراير) وحمله على اجابة بعض مطالبه كضم المهرزايس انكوارت الى وزارته وتقليده منصب وزير الداخلية فيها — فخطب في فريق من اعضاء مجلس النواب البريطاني ميئناً ان ماتم في النمسا لم يكن الا نتيجة لجزء فرنسا عن القيام بعمل حاسم في ٧ مارس سنة ١٩٣٦ فتهتوا له مؤمنين على كلامه . ولكن في يوم ١٨ فبراير سنة ١٩٣٨ تلقى السيوكوريان سفير فرنسا في لندن امراً من حكومته بان يتخاطب المستر ايدن وزير الخارجية البريطانية في ارسال تصريح انكلزي فرنسي مشترك الى برلين تمرب فيه الحكومتان عن عزهما على مقاومة كل اعتداء على الماهدات الدولية الخاصة بأوروبا الوسطى . فأعرب ايدن عن موافقته على هذا الرأي ولكنه لم يلبث حتى اضطر أن يستقيل من وزارة الخارجية لما يشه وبين رئيس الوزارة من خلاف أساسي في الرأي والاسلوب ولا سيما في ما يتعلق بالمفاوضات مع ايطاليا . أما الاقتراح الفرنسي فلم يرض ولكن المستر تشمبرلين صرح في مجلس النواب بأنه ينوي ان يسعى ثانية للاتفاق مع ايطاليا وألمانيا . ولا يخفى ان الحيلوش الالمانية دخلت النمسا (في ١١ مارس) فلم تحرك فرنسا ولا انكلترا ساكناً غير الاحتجاج ثم أيد ضم النمسا الى المانيا في استفتاء ١٠ ابريل . وفي ١٦ ابريل تم توقيع الاتفاق البريطاني الايطالي

(١) Foreign Affairs, April 1938 pp 401 -- 416

مكتبة المقتطف

تأليف المستشرقين

بقلم الدكتور بشر فارس

— ١ —

Henri Pérès — La Poésie andalouse en arabe classique,
au XI^e Siècle — Editions Adrien—Maisonneuve, Paris 1937.

هنري بيريس — الشعر الاندلسي باللغة الفصحى في القرن الحادي عشر (للسبح)
ظواهره العامة وقيته من حيث هو وثيقة — ٥٤١ م — ٢٥ × ١٦

الاستاذ هنري بيريس مستشرق فرنسي معروف ، له مباحث طريفة موقوفة على الآداب العربية وقد تقدمت بعضها في هذا الباب من المقتطف . والاستاذ بيريس من أساتذة كلية الآداب في الجزائر . وما هو ذا يخرج مؤلفين قسيسين في وقت واحد ، أحدهما الذي بين يدينا والآخر عنوانه : أسبانية في أعين الرحالين المسلمين من سنة ١٦١٠ الى سنة ١٩٣٠ (ارجع الى تقدي له في مجلة الرسالة ، عدد ٢٥١ ، البريد الادبي)

يرى المؤلف ان الادب الاندلسي للقرن الحادي عشر للسبح قليل الحظ من عناية الباحثين . والتحقيق أنه على جانب عظيم من الثقل لأسباب ، منها تبدل المجرى السياسي بمرور ملوك الطوائف على اقاض الدولة الاموية ، وتحرر الافكار من الضغط الديني بفضل تأليف الفلاسفة ، وتقبض النصر الاندلسي مستقلاً عن الناصر الشرقية ، وتسرب الفكرة القومية اذن في نواحي الشعر . واعباد المؤلف في سبيل فحص الشعر الاندلسي لتلك المهد على القضايا والمقطوعات المنظومة باللغة الفصحى دون اللهجة الدارجة أي دون الازجال لان هدم كانت نادرة في ذلك الزمان . وطريقة عرض المؤلف لمباحثه ان ينظر في الشعر ظاهره وباطنه فينقل الجانب اللامع منه الى اللغة الفرنسية مع سوابقه ولواحقه مخافة ان يجيء الشعر أيتراً . وأما الثقل فما لا يخفى على المؤلف ان ترجمة الشعر العربي من المصاعب ، الا أنه لزم النص حتى أنه ربما نقل البيت حرفاً بحرف ارادة ان يحافظ على الروح والمداول

وللكتاب مقدمة مسهية يسط فيها المؤلف مجرى الحياة السياسية ثم ما يتعلق بشؤون النصر والقومية فهنا يشرح قضية الاندلسي وهناك يقابل حزب الاندلسيين بحزب البربر . والمقدمة توطئة علمية ترسل على نواحي الكتاب كلها ضوءاً وهجاً . اما مباحث الكتاب نفسه فتقسم اربعة اقسام . احدها موقوف على الشاعر وتكوينه وحالته الاجتماعية واتصاله بالملوك والامراء .

والآخر محصور في الهام الطبيعة للشعراء. والثالث يتناول الحياة الاجتماعية. والرابع الحياة المنزلية. وأما القسم الأول فيعرض طرق انتشار اللهة العربية في الاندلس، ويذكر الكتب والمواد التي كانت تقرأ وتؤخذ، ويشير إلى ما اقتبس الاندلس من الشرق ثم إلى ازوائده وتخصيصه من قيده، ويسرد طبقات الشعراء وضروب الشعر، ويدون ألوان الشعر التي توجها حياة القصور. وأما القسم الثاني فيعرض مصادر الوحي الخاصة بالطبيعة الاندلسية، نذكر منها: الصعيد والمدينة والمنزهات والقصور، قرطبة «ومعانيها الأربع»، اشبيلية وظواهرها، المرية وضواحيها، وغيرها من البلدان والقرى. ثم الاودية والخيال والحداثق والحنائل والازهار والقواكذ والخضر والبحيرات والجداول والبحر والسفن والسماء وما فيها ثم ما يتصل بها كالمطار والبروق، ثم الحيوانات من ذوات الأربع والطيور والحشرات

وأما القسم الثالث فيستخرج من الشعر مجموعة مدلولات على الحياة العامة كالسكان وعناصرهم والاقتصاد والاحوال الشخصية (من زواج وموت وملبس ومشرب) والتزلف والاستحجام والحب والرياسة والحرب ثم اللهو على ألوانه من مآدب وشرب التيزد وصماع الفناء. وأما القسم الرابع فيخاص بالمرأة والرجل والحب. وفيه تحليل لطيف لألوان شعور المرأة واخلاق الرجل ومراتب الحب

هذا وقد جيل المؤلف في كتاب خمسة فهارس: الاول للاعلام والثاني للشعراء والثالث للمراجع والرابع للالفاظ الفنية والخامس للالفاظ العربية المدونة بالفرنسية فانك لتري ما شأن هذا الكتاب الجليل، يبرز لنا قرناً كاملاً من طريق الشعر وهذه طريقة من البحث العلمي مستقيمة مفيدة

وجل ما يؤخذ على الكتاب بعض اوهام في الترجمة. منها: *bienveillant* لفظة «تتمتع» (ص ١٢٥) والوجه *tables, généreux* لفظة «موائد» (ص ٣١٦) والوجه *tables services* لان المائدة خوان عليه طام *expérimenté* لفظة «ماهر» (ص ٣٢٤)، والوجه *mettre (bijoutier)* واللفظة الفرنسية التي أوردتها المؤلف تعيد لفظة «خير»

mélodies لفظة «ترنم» (ص ٣٩٢)، والوجه *psalmodie*، واللفظة الفرنسية تعيد لفظة «الحن»

spirituels لفظة «ظرقة» (ص ١٧٥)، والوجه *agréables* في ان المؤلف قال في الحاشية الاولى لصفحة ٢٢٥ ان النسبة تعيد نسبة المسلم الى ارومته والوجه «العربي»

— ٢ —

Ibn Haiyan—Al Muktabis - tome IIIe—Texte Arabe publié par le
P. Melchior M. Antuna, O. S. A. — Editions Geuthner, Paris 1937.

القسم الثالث من كتاب المكتفيس في تأريخ رجال الاندلس ، المؤرخ الشهير أبي مروان حيال بن
خلف المعروف بابن حيال — نشره الاب ملشورم . انطونية — ٢٢ ص باللغة
الفرنسية و ١٧٥ لانس العربي — ٢٤٧ × ١٨

لهذا السفر مقدمة مسوبة يتكلم فيها الناشر على ابن حيال من كتاب القرن الخامس. فيذكر
مكاته العالية بين سائر المؤرخين من العرب وان ضاع الجانب الاكبر من تأليفه . ثم يترجم له
ترجمة وافية إذ يجبرنا أين ولد ولما تم كيف أخذ العلم وعمن أخذه ثم لمن بذله ثم في اي القنون
كتب وما كتب . وينتقل بعد هذا الى وصف المخطوطتين اللتين اعتمد عليهما في نشر الكتاب .
ثم ينصرف الى تدوين المصادر التي عول عليها ابن حيال ، وتراه يذهب في هذا الفصل الى ان
المؤرخ الاندلسي اطلع على سير وأخبار من أقلام التصاري . ثم ينتظم المقدمة بذكر اثر ابن
حيال في تأليف من جاء بعده من المؤرخين

وميزة هذا الكتاب انه يسرد في أسلوب سهل على ركاكة او ضف أحياناً الحوادث
التي وقعت في عهد الامير عبد الله صاحب قرطبة وجد الخليفة عبد الرحمن الثالث . والجانب
الاكبر من هذه الحوادث ترجع الى حروب وغزوات
هذا وقد بذل الناشر الاب ملشورم . انطونية جهده في التثبت والتدقيق ، إلا ان هنالك
بعض أوهام لا بد من التنبيه عليها . منها :

ص ١١٥ ، ص ١٠ : وهي (مدينة ياسة) في خير الطاعة — والوجه : جيز
ص ١١٧ ، ص ١٤ : وأخذ القائد احمد بن محمد رساله الى المدينة لورقة ممدراً الى
الحديث دهم . . . — والوجه : منذراً

ص ١١٧ ، ص ٢ (تحت) : ففتشت حرب — والوجه : ففتشت حرب
ص ١١٩ ، ص ٧ : ووافي بها (بأشيلية) أيضاً روء وريح ومطر — والوجه : نوء
(راجع ص ١٦ ، ص ١)

ص ١١٩ ، ص ١٢ : ثم صار السكر متردد على تلك الحصون — والوجه : يتردد

ص ١٣٣ ، ص ١٥ : ذاك الحيت المرابي بالزهد — والوجه المرابي

ص ١٣٣ ، ص ١٧ : وتدبر برائه — والوجه : برأيه

ص ١٣٦ ، ص ١٨ : فلنفر عليه الهزيمة — والوجه : فلفقر

ص ١٤١، ص ٢ : يستقرى قراءها ويتقصى أكتافها — والوجه : قراها
ص ١٤١، ص ٦ (تحت) : وجال السكر في تلك الجهة أياماً يمترق ويدمر والوجه : يمترق
ذلك الى ما هناك من الجبل المشابهة (مثلاً : ص ١١٥ — ص ١١٠، ص ١٣٦، آخر
الصفحة — ص ١٤١، ص ١١) والغلطات المطبعية (مثلاً : ص ١٢٠، ص ١١ — ص ٦)

— ٣ —

Biographie des grammairiens de l'École de Basra, par ... as-Sirafi
publié et annoté par F. Krenkow—Bibliotheca Arabica, Faculté
des Lettres d'Alger. 1936

كتاب اخبار النحويين البصريين . تأليف ابي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي . اعتنى بشره
وتهذيبه افر عباد الله الى رحته فرئيس كرتكو — ٩ صفحات للمقدمة الفرنسية ،
و ١١٦ للنس العربي ، و ٣ ألواح المخطوطة — ١٩٦ X ١٢٦

إن هذا الكتاب يخرج في عهد شغل علماء العربية فيه بلم النحو ، إذ يقبلون فيه النظر
ارادة تهذيبه وقريب مثاله الى طلبة العلم . والتحقق ان الكتاب لا يبحث في المسائل النحوية
ولا يعرض للمتواليها ، غير أنه يلوح اليها في مرض الكلام على أئمة النحو . وخير ما يستخرج
من هذا الكتاب انه يرب النحويين البصريين فيجعلهم طبقات ثم يوازن بينهم ، حتى إنك تستطيع
ان تميز النحوي الثقة من النحوي الضعيف . وانها لتنتيجة جلية
هذا ولكتاب ثلاثة فهارس : الاول لاسماء الرجال والتبائل ، والثاني للاماكن ،
والثالث لاسماء الكتب

وأما نشر الكتاب فحسن على وجه الاجال ، وهذه هنات أشير اليها :
ص ٥٩، ص ١٠ : (شعر) قَتُولِي لَمْ يُمْتَحَ بِكَفْنٍ — والوجه : يُمْتَحَ .
ص ٦٢، ص ٢ : قَطَّرَ فِيهِ — والوجه : قَطَّرَ .
ص ٦٣، ص ١ : (تحت) بِن يَدِي التَّاس — والوجه : أَيْدِي .
ص ٦٤، ص ٥ : نَمَى إِلَيَّ أَنَّ الرَّشِيدَ . . . — والوجه : نَمَى .
ص ٧٥، ص ٦ : خَلَفْتُ أُخْبَةً لِي أَصْفَرُ مَنِي أَقْبَمَهَا مَقَامَ الْوَالِدِ — والوجه : الْوَلَدِ
(كما في الاصل ، انظر الحاشية)

ص ٧٥، ص ٢ : (تحت) : قَوْلُ ابْنِي حِينَ جَدَّ الرَّجُلِ أَرَانَا سَوَاءً وَمَنْ قَدْ يَتَمَّ
زَانَا إِذَا مَا

والوجه : أَرَانَا (كما في البيت الاول ثم كما في ديوان الاعشى ص ٣٣ ، والبيت له)

— ٤ —

Les Prolegomènes d'Ibn Khaldoun 2e partie. Editions
Paul Geuthner, Paris 1936

مقدمة ابن خلدون — المجلد الثاني — ٤٩٣ ص — ٢٤ × ١٦

إن مقدمة ابن خلدون فوق التعريف . وقد اشادت عناية علماء الترجمة لهذا المهدبها منذ اليوم الذي فيه اخذت العلوم الاجتماعية ينسب ميدانها ويملو شأنها ، ولا سيما بعد قيام المدرسة الفرنسية الجارية على سنن دُرْكايم Durkheim . ذلك ان رجال هذه المدرسة أصابوا في مقدمة ابن خلدون ما يساير آراء دركايم ونظرياته . وما أعرف مفكراً عربياً قديماً يظفر الآن بما يظفر به ابن خلدون من النجاة . فالرسائل فيه متلاحقة في المشرق والمغرب

ومما لا يحمله احد ان مقدمة ابن خلدون نقلها البارون دي سلاب الى اللغة الفرنسية في باريس حوالي سنة ١٨٦٠ . وقد اصححت الترجمة عزيزة نادرة . ففطن ناشر فرنسي لاجرائها مرة ثانية للمشتغلين بالمشريات والاجتماعيات . فظهر الجزء الاول منها سنة ١٩٣٤ (اطلب ديسمبر وابريل ١٩٣٤) . واليوم ظهر الجزء الثاني . وعسى ان يظهر الجزء الثالث وهو الاخير قريباً . فتمم الفائدة ، وان كانت ترجمة البارون دي سلاب موضع نظر أحياناً لا تمثال لغة الفيلسوف من مذهب الى مذهب في اثناء تسعين سنة . ولعلني افصل هذا عند ظهور الجزء الثالث

— ٥ —

Abstracta Islamica. (5e Série) Revue des Etudes Islamiques.
Editions Geuthner, Paris.

يعني الاستاذ لويس ماسينيون للمستشرق المعروف وأحد اعضاء مجمع اللغة العربية الملكية بامبات مجرى التأليف الخاص بالعرب والاسلام في المجلة التي يخرجها في باريس « مجلة الدراسات الاسلامية » . ففي الجزء الرابع من سنة ١٩٣٥ والجزء الثاني من سنة ١٩٣٦ يصيب القارئ عناوين التأليف وأسماء المؤلفين مدونة على حسب الموضوعات . وهذه الموضوعات كما يلي :

تاريخ العلوم في البلاد الاسلامية — الفلسفة وعلم الكلام — فقه اللغة والتربية — علم الاجتماع واحوال الشعوب — تاريخ الادب ونشر النصوص — الفن والرياضة (اي للممار ، والكلمة للعلامة الاب استانس الكرملي ، انظر « اهرام » ٤/٣ ١٩٣٨ ص ٣) — تاريخ الادب الفارسي والتركي والعبري — والعربي — التشريع والتقنين والتدبير — التاريخ الديني : محمد والقرآن — التصوف والفرق — الاستحداث — الاستعمار الاوربي والسياسة المصرية — الاسلام : نظرات عامة وصلة الاسلام بالغرب — المخطوطات والبردي — المصادر والمؤتمرات والمجلات وقد اشترك في اثبات هذه التأليف كلها الاستاذ لويس ماسينيون والاستاذ بول كراوس والاستاذ هنري شارل

ولا يسع الناقد إلا أن يفرح بمثل هذا العمل المقيد ، إذ أنه يُذل لباحث المراجع مفصلةً وافيةً . ولربما نبّه على بعض سقطات في كتابة الالفاظ والاسماء العربية باللغة الفرنسية ، نحو كتابة لفظة الربح هكذا : الريح (ص ٣١٠) ولفظة اللآلئ هكذا : اللآلئ . (ص ٣٠٧) واسم ابن العربي هكذا : ابن الاري (ص ٣٠٤) ب. ف.

الفصول والغايات

في تمجيد الله والمواظ

لأبي العلاء المري — ٤٨٢ ص من قطع المتكف — يطلب من مجلة الرسالة بالناصرة ضبطه وقصر تحريه ونشره محمود حسن زتاني

ان ناشر هذا الكتاب — الاستاذ الشيخ محمود حسن زتاني — من الف المخطوطات ووطن النفس على النظر فيها وعن جل الكتب والتصانيف خطاؤه وصحبه ، ذلك بأنه ظل زماناً آمناً للخزانة الزكية وهي خزانة شيخي المرحوم احمد زكي باشا . واكبر شاهد على هذا أنه لما اعتزل عمله عقد التبة على ثمر طائفة من اسفار المتقدمين . وما هوذا يخرج علينا اول ما يخرج بكتاب ضخم له مكانة رفيعة ، كتاب الفصول والغايات للإمام الأكبر واحد عصره ونظر العربية نواً وشراً وفلسفةً أحمد بن عبد الله بن سليمان ... التوخي المري صاحب اللزوميات ورسالة النفران

واذا نحن أغفلنا التنويه بالمؤلف فما يحسن بنا ان نغير الى قدر الكتاب . فاعلم انه من الكتب التي شاع عنها انها ضاعت والتي قيلت فيها اقوال منها أن « الفصول والغايات » مؤلف يمنح الى الكفر لان صاحبه طارح به القرآن وأراد ان يأتي بالاعجاز البعيد . والتحقيق ما ائتمه الاستاذ زتاني في « المقدمة » من ان الكتاب انما تحري غايته الى « تمجيد الله والمواظ » من طريق الاقتنان في الكتابة من تدوين الغريب وارسال التوادد وبث الطرف وهي طريقة معروفة لأبي العلاء

هذا وأما ثمر الكتاب فيدل على النباية الشديدة التي بذلها الاستاذ زتاني في تحقيق وتدقيق ونظر ومراجعة . وجل ما كانت توق الى النفس أن يذهب الناشر في كتابة المقدمة الى ابدع ما ذهب اليه من التعليق على الكتاب نفسه ومن الوصف للنسخة الخطية التي اعتمد عليها (وهي بالخزانة التيمورية برقم ٨٣٨ أدب) على حسب ما يصنع الناشرون اليوم . ثم ان الكتاب تموزه طائفة من الفهارس منها فهرست للاعلام واسماء الاماكن ب. ف.

الحلل السندسية

في الاخبار والآثار الاندلسية

نخبة من تحف الامير شكيب أرسلان

عطوفة الامير شكيب أرسلان في غنى عن التعريف الى مجلة الاقلام في هذه الدنيا العربية لان الادباء والعلماء في هذه الايام أحد رجلين بالنسبة الى الامير أعزه الله :

إما عالم امتلات نفسه إعجاباً وتقديراً لفضل الامير في مختلف نواحي العلم والادب وإما متعلم من بجره الزاخر وفيضه العظيم والرجلان يتفرقان من صميم القلب بأن الامير حجة العرب في هذا القرن ومناط نفخرم في هذا العصر

الله أكبر ما هذا البحر الزاخر وما هذه الروح السامية والادب العالي والوطنية العاملة وما هذا الرجل الذي لا تراح نفسه المتواضعة الا الى خدمة يسديها الى العالمين العربي والاسلامي، فهو السياسي الذي ينوب عن ملايين العرب والمسلمين في جنيف يدافع عن قضاياهم العديدة فيهاجم أخصامهم ويشرح حججهم وينشر حقيقة أمرهم فاذا ظهر كتاب لعالم أو مقالة لسياسي أو رسالة لمستشرق وفيها شيء أو بعض شيء يفسط حق العرب أو يحاول الحط من فضلهم أو النيل من الاسلام وشعوبه رابت الامير لا تبدأ ثائرة قسه حتى ينشر في الحال الرد المفعم بفرح الباطل بحجته ويرفع صوته عالياً يدوي في الاندية السياسية والعلمية والادبية

انك لملجلك العجب حين تعلم انه على الرغم من لصح الاطباء له يواصل اخوانه في مختلف بقاع الارض بالرسائل العامة والخاصة فيجيب عن كل سؤال ويقدم بكل نصيحة ويواسي كل مظلوم ويدافع عن كل مضطهد

أما تاجته العلمية والتي يحاول ان ينقطع لها في هذه الايام فهي من أم نواحيه وسيرى العالم العربي على الرغم مما رأى من آثاره الكثيرة آثاراً خالدة يستجيم لها في جنيف ولا يضي عام أو بض عام حتى يخرج الامير كتاباً خالداً في الموضوعات التي يتوق لها العلماء والمفكرون في العالم العربي

ولقد عرف الامير ايده الله بأشد الثيرة على رآث امته العربية وولع منذ نعومة اظفاره بدراسة تاريخ الاسلام وحضارة العرب في الاندلس ذلك القردوس المفقود وقد تجلج ولده هذا في ترجمة رواية آخر بني سراج وما علق عليها . ولما شئت الحال ان تتبع للامير زيارة الاندلس منذ اعوام قريبة—وهي امنية طالما كان برحو بحقيقتها—انصرف يومئذ بكليته الى تطبيق النظريات

التاريخية على الحقائق الملحوسة فزار الممالك والبلدان وجاس خلال الدور والتصور وشاهد المساجد والمعابد ووقف مهوراً أمام عظمة الفصور الشواهي وغاص في غمرات ذلك الفردوس العظيم فتفقد كل مدرسة وكل مكان فوصف كل شيء رأى وأرجعه إلى اسمه العربي وشرح تاريخه وإيامه البيض واستقرأ الآثار واستخرج عبرها فرّاً بكل قطر وأحاط بكل عصر

ثم أفرد الفصول الضافية عن الحياة الإسلامية في تلك الجنان وكيف أخرج منها المسلمون كما أخرج أبو البشر آدم من الجنة ولم يترك حادثة تتعلق بأحوال الأمة الإسلامية في الاندلس لها علاقة تاريخية أو علمية أو سياسية إلا أشار إليها

جمع الأمير كل هذا في كتابه «الحلل السندسية» الذي نحن بصدده فكان مؤلفاً فريداً لا يمكن لعالم أو أديب أو سياسي من ساسة العرب أن يستغنى عنه خصوصاً وإن المؤلفات عن فردوس الاندلس باللغة العربية قليلة من جهة وناقصة من جهة أخرى

فقد رجع الأمير إلى مئات المصادر فصصح رواياتها بما لديه من صحيح السند فأفكر الباطل وأحق الحق وأخرج طائفة من الاسماء تعد بالمئات من عجمها المخلوطة إلى عربيتها الصحيحة مما يدل على سمة منقطعة النظير في حب البحث والصبر على استخراج الحقائق من مكامن بعيدة وأما كن ليس من السهل الوصول إليها

وقد جمع بين ذقني الكتاب مجموعات كبيرة من صور ملوك الفوط والاندلس وآثار الحضارة الإسلامية فنونها وما بداها وصور القادة والوزراء وبعض وقائع تلك الأيام أيام الوصل بالاندلس وعهد المجيد الذي خلفه العرب في تلك الدنيا التي مرت تكلسة الخنفس

وسرد الأمير شكيب في رحلته هذه أسباباً تعتبر من أقوى الأدلة على ما اتاب العرب من أسباب الضعف بعد تلك القوة ودلل عليها باستقراء واستنتاج يثبتان على الدهشة حتى يحجل اليك وأنت تطالع ما كتب وتقاوّن بما كتب الغير — أنك ذهبت إلى تلك البلاد واطنرت أهلها ودرست عن كتب حالتهم النفسية من كل وجوها

وقد أهدى الأمير رحلته هذه إلى روح أبي المطرف الخليفة أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر الأموي الذي يسحب به المؤلف أكثر من كل خليفة حاشا الخلفاء الراشدين



وقد تولى طبع هذه الرحلة ونشرها السيد محمد المهدي الحجابي صاحب المكتبة التجارية الكبرى بفاس وقدم لها بمقدمة أوجزت ما في الكتاب ودلت على تقدير عظيم للمجهود الحبار الذي بذله المؤلف الجليل حتى أخرج للملأه والباحثين هذه الموسوعة الاندلسية التي أضافت إلى المكتبة العربية ذخراً من أمس القنخار

المحجية العربية

على ضوء الثنائية والاسئنة السامية

للأب ١. س. مرمجي المومني أحد أساتذة المعهد الكتابي والآثاري الفرنسي في القدس الشريف مطبعة الآباء الفرنسيين في القدس سنة ١٩٣٧. ص ٢٥٠ ملأ

هو كتاب لغوي يبحث في بعض الالفاظ العربية وأصلها بحثاً دقيقاً ويبحث في تاريخها والبلاد التي نشأت فيها أقارسية هي أم عربية أم ارمية أم عبرية أم حبشية والبحث دقيق جداً فيه طلاوة يسهوي القارئ. ولما كنت طاجراً عن نقد هذا الكتاب لجهلي اللغات السامية الا لتقي العربية وهذه لا أعرفها الا معرفة ضيقة محدودة ولكنني سأستعرض بعض الالفاظ التي جاءت فيها اهتماماً. ووجه الالفاظ نحو تحسين لفظاً واليك بعضها

البارية ليست بفارسية

قال المؤلف سئلت إحدى الجملات هذا السؤال (« أأصاب اصحاب المعاجم العربية بقولهم البارية او البورية الحصر المنسوج من القصب وهي كلمة معربة أصلها فارسي » ! فان كان صحيحاً فما هو اللفظ الفارسي الاصل وما هو مدلوله ؟ وان لم يكن فما رأيكم في الامر) ؟ فأجبت المجلة « البارية او البورية فارسية لا تحتل شكاً وهي في هذه اللغة يورداً بضم الباء ضمناً غير صريح ومناها الاصل نوع من القصب يكثر في الآجام وينقبه البلاج بعض الشبه تتخذ منه هذه الحصر او البواري ». واما الظاهر لنا فهو ان البارية او البورية ليست فارسية قطعياً فما أصلها اذن ؟ ذلك ما يجيب عليه هذا المقال ثم أجاب المؤلف عن هذا السؤال يبحث استغرق ١٢ صفحة ذكر فيها أصلها بالاكدية والعبرية والارمية والحبشية وأتى بالشواهد الكثيرة على ان البارية أصلها من العراق اي البلاد السمرية الاكدية وهي الاكدية في الاصل من كلمة يورو ومناها البراق او القصب وانها عرافة قحة عمرها ما ينيف على الاربين قرناً

ثم الكلمة التالية

اصل الحوارين فقد قال فيها ما ملخصه. قال : الظاهر مما تقدم ان لفظة الحوارين قرآنية أم غير قرآنية ليست مشتقة من حور وأنهم قوم كانوا قصارين او ملوكاً أو أتقياء القلب او أنصاراً ولا هي سرمانية بل حبشية معناها الرسل دخلت العربية بدخول الحبشة الى اليمن وعن أهل نجران تلقاها عرب الحجاز عنهم

ثم كلمة الحج

فقد قال فيها هو يدل على اجهاد النفس انقل مناه الى معنى الرقص ثم الدوار فلاحشاد قالوسم فألبد فالقصد فزيارة أحد المقدس فزيارة كنيسة نجران عند نصارى العرب فزيارة كنيسة القيامة فزيارة الكعبة للمكة

أصل كلمة داوية

كان في أيام الصليبيين فرقان من الرهبان دعاتهم العرب أحياناً الاسبتارية أو الاسبتالية ولاشبهة في أن هؤلاءهم رهبان المستشفيات وآخرين داوية وهذه سريرية منهاها الفقراء اي الاخوة الفقراء

أصل كلمة الفصح

وهي عبرية وكلمة توراة كذلك عبرية وكلمة ليل ويوم لحم ولحم والقم وكلمة صلاة وصورت السريانية وسورة القرآنية

أصل كلمة هيكل

هذه اللفظة من عداد الالفاظ الواردة في اللغات السامية جماء اي الاكدية والعبرية والارامية والعربية والحبشية . أما المعاجم العربية من قديمة وحديثة فلا نجد فيها ذكرأ لاصلها . أما الواضح انها ليست من الاوضاع المشتقة من الالفاظ بل أحر بها ان تحسب من الاصول الجامدة كان يظن سابقاً ان أصلها عبري . ثم لما ظهرت في الرقم السامرية قيل انها آشورية . وفي الحفبة الاولى من دراسة الاشوريات حين كان الباحثون يدعون اللغة السمرية « الاكدية » قالوا انها منقولة من هذه اللغة الى الاشورية . بيد انه إذ توصل المحققون ان يشيروا بان « السمرية » لغة قائمة بذاتها ليست من طائفة اللسان السامية لكونها لغة مقطعية مجاورة غير متصرفة وقد وضوا لها تدريجياً كتب لغة وصرف ونحو—اتفق اليوم بكل جلاء ان لفظة هيكل وضع شمري ولا سامي قطعاً . ومن هذه اللغة قل الى الاكدية ومنها الى السمرية فالارامية فالحبشية فالعربية وقال والحلاصة

بما ينجم عن قصبات المتخصصين ان اللغة السمرية ليست بسامية فلا يجوز ان تظنها في سلك هذه اللسان . كلمة Ekal شمرية مركبة من علامتين صورييتين وقد أطلقت عند السمرين على البلاط والمعد . أدخل الاكديون هذا الوضع الى لسانهم غير مغيرون فيه شيئاً سوى انهم زادوا عليه علامات الاعراب التي لا وجود لها في السمرية . ومن الاكدية انتقل الى اللغات السامية الاخرى . وفي هذه اللسان لا في الاكدية نفسها المضحكة منها الحفبات تحولت الهزلة الى هاهنا أصبحت اللفظة بصورة : هيكل

هذه هي الحقيقة العلمية الناصية وما كانت في الكتب او الصحف بهذا المعنى فهو الحري بالاعتبار والاتباع . ومن هذا يتكشف وعن الرأي القائل : ان كلمة « هيكل » سامية الاصل . وهي كذلك او ما يقاربها لفظاً ومعنى في الارامية والعربية والحبشية والاشورية والكتاب على هذه الصورة يبحث في نيف وأربعين كلمة بحثاً دقيقاً وأياً فهو خير طمأنينة من شريطين وغيرين على الاطلاق الذين يبحثون في مثل هذه الامور أمين المثلوف

القانون الدستوري

تأليف الدكتور وايت ابراهيم والدكتور وحيد رأفت --- الاستاذين بكلية الحقوق المصرية
صفحاته ٨٥٧ قطع المتكف --- ثمة ستون قرشاً

جرت العادة ان تقسم دراسة القانون الدستوري قسمين كبيرين : - قسم المبادئ والنظم الدستورية وقسم دستور الدولة وهو في هذه الحالة الدستور المصري . وعلى هذا جرى المؤلفان الفاضلان . فتناولوا في الكتاب الاول القواعد والنظم الدستورية بوجه عام من دون ان يحول ذلك دون التبرج على الدستور المصري لضرب الامثلة به وتبيان ما أخذ به من هذه القواعد وقد تناولوا في الباب الاول في فصول حسنة الترتيب وافية البيان الدولة وأساسها ونفقاتها وسيادتها وأن مستقرها فيها . والحكومة وأنواعها وأجزائها والسلطات فيها . وأما الباب الثاني فقد خصصه بالدستور المصري ، وهو في أكثر من ٢٠٠ صفحة ، فهو على ما نعلم أوفى كتاب مدرسي في الدستور المصري وتحليل مبادئه ومواده . ولم يكتف المؤلفان بذلك ، بل جعلا البحث في الدستور المصري ، من النوع المقابل ، فأنت بعد أن تقرأ المواد الخاصة بسلطة من السلطات وتفسيرها ، تطالع ذيلاً عاماً فيه بسط لنشأة المبادئ التي تقوم عليها ، وكيف طبقت في دساتير الامم الاخرى المشهورة بنظمها الدستورية . وفي الكتاب الرابع من هذا السفر النفيس موجز دقيق لبعض الدساتير الاجنبية كدستور بلجيكا ودستور فرنسا ودستور انكلترا ودستور الولايات المتحدة الاميركية . ويلحق بذلك جميع الوثائق الرسمية الخاصة بالنظام الدستوري بمصر كنصوص الدستور وقانون الانتخاب واللائحة الداخلية لكل من مجلس النواب والشيوخ ويشهد كاتب هذه السطور أنه طالع هذا الكتاب مطالعة باحث منقّب ، ولا سيما ما كان منه خاصاً بالدستور المصري وأحكامه . فوجده وافياً بالاغراض التي توخاها المؤلفان الفاضلان ، واضحا في الشرح والتعليق والمقابلة ، وجيذا الحال لو خلا من بعض هفوات مطبعة يسيرة لا تعسرهم

تاريخ أورطة البنادق الخامسة المشاة

للملازم الاول عبد الرحمن زكي - مطبوعات الصحف الحربي - ٤٢ صفحة - المطبعة الاميرية بيولاى
تناول المؤلف في كتابه وهو الاول من نوعه تاريخ الجيش منذ نشأته في ايام القرعنة وتطوراتها في العصر القديم . وانتقل بعد ذلك الى وصف حالته في العهد الاسلامي فتمتته الوتابة في أيام حكم محمد علي باشا وأشباه النظام . ووقف المؤلف صفحات كتابه الاول على تاريخ الاورطة الخامسة منذ انشاء الجيش المصري الجديد في عام ١٨٨٣ فوصف أهم معاركها وعملياتها الحربية في أقاليم السودان وحوادثها الهامة التي اشتركت فيها وذكر أسماء قادتها ومشهورين ضباطها . كل ذلك أوردده المؤلف في اسلوب طلي يفرى القارىء غير المحارب بقرائه بشغف

نوايف الشباب

ببلم احمد قاسم جودة — مدية مجلة الهلال

معرفة سير عطاء الرجال وتراجهم من الامور للمستحبة التي تلذ للجميع مطالعتها ولا سيما تراجم الذين نبهوا منهم في سن مبكرة فتكون نماذج من المثل العليا يسير على غرارها الشباب سواء أفي التضحية كان أم في الايمان والجد والوطنية والاقدام ، والتراجم بطبيعتها كما يقول الفيلسوف المشهور كارليل أشمل الموضوعات قسماً وأعمها لذّة وشعة للنفوس ولا سيما تراجم الممتازين الاغذاذ والكتب الموضوعية في هذا الموضوع كثيرة نذكر منها على سبيل امثال اعلام المقطف ورجال المال والاعمال واساطين العلم الحديث غير ان الاساذ احمد قاسم جودة أحسن صنماً باختياره هذا الموضوع وجعله على عطاء الشباب اي ان يكون جميع اصحاب التراجم التي في الكتاب قد بلغوا اوج مجدهم في سن الشباب الباكورة وظلوا حياتهم موسمين بسنة الشباب

واليك بيض الذين ذكرهم في كتابه واني على سيرهم واعمالهم : الاسكندر المقدوني وموتسارت وتوماس تشارتون وطرفة بن البغد ومصطفى كامل وكينس الشاعر وغيرهم

وجميع الذين ترجم لهم في هذا الكتاب من رجال السياسة أو الفن أو الادب وكان يحسن ان يضم اليهم سيرة عالم او طلائع من القرن نبهوا في سن الشباب امثال باسكال الذي تعلم هندسة السطوح والاجسام وهو في الثانية عشرة ونشر بحثاً في « هندسة القطوع المخروطية » وهو في السادسة عشرة . ولا جراج الذي وصف بأنه « اعظم عالم رياضي حي » وهو في الخامسة والعشرين ولا فوازيه الذي منح الوسام الذهبي من اكااديمية العلوم الفرنسية وهو في الثالثة والعشرين وموزلي وقد كان أحد أركان الطيعة الحديثة وهو في السادسة والعشرين فكان قتله في حجة الدردنيل من فواجع الحرب العامة ومن اكبر ما مني به العلم من الحسائر

رئيس التحرير وقصص اخرى

اصدره الاديب صلاح الدين ذهني . وهو طائفة من القصص المصرية المستمدة موضوعاتها من الحياة المصرية دون مبالغة او غشالة . وامثال هذه القصص تبشر بهزة طيبة يقوم بها شاب الادباء الذين يتناولون الحياة الاجتماعية بالبحث والتحليل . ولقد قرأت قصصاً كثيرة وضعها ادباء مصريون اختلفت فيها عوامل « التكوين » أو الوضع وتشتت فيها مناحي البحث وانما قد دعيت كلها الى الاعتراف بأن التأثير العربي وإن كان قد تطور وارتقى حتى أصبح في مكتبة الكاتب المثقف ان يتخذ منه أداة لبحث مضللات الحياة والنفس الانسانية الا أنه لما بزل في حاجة قصوى الى المرونة والتهديب والصلق والثروة الفنية . حتى يقوم بما يقوم به

النثر في الفئات الحديثة الاوربية وحتى يؤدي رسالته في الادب كاملة . فلما فكر ان بعض الكتاب بما يرضون للابحاث الاجتماعية والنفسية بنوع خاص قد يقفون قاصرين دون التعبير عما يجول بقولهم من آراء وفكر . ويقفوسهم من ترطات ورغبات . وعما يشاهدونه في الحياة من ألوان وصور . ولن يكون « الهيكل القصصي » متمماً مؤثراً الا اذا صب فيه الكاتب المعنى القوي العميق واستطاع ان يطوِّع له أسلوباً رصيناً لا يتوره ضف او قنور . وأحب ان اثبت في هذه السجالة ان هذه القصص تستمد شيئاً غير قليل من قصة المؤلف كما انها لا تخلو في مواضع كثيرة من أثر قراءته لقصة الاوربية . ولست اعني هنا التقليد قال المؤلف قد ترك هذه المرحلة وانما اعني انه يستضيء في ابحاثه الاجتماعية بالنهي الخاص الذي يمرض له ادباء القصة في الادب الاوربي . والقصة في الادب الفرنسي مثلاً تمرض للاخلاق في شيء كثير من التفصيل والابضاح وتمرض للحياة الزوجية في شيء غير قليل من النايبة الخاصة . انها تبالغ الاجتاع في حتى صوره وأوضاعه . واما القصة في الادب الرومي فتفتح امام القارئ ميادين كثيرة للبحث والالهام . هي تضيء بأوضاع الحياة الانسانية وتعالج مشكلات الفقر والعمل والتعليم كما ان القصة في الادب الانكليزي قد تبحث مشكلة النسل والنايبة بالعقل وتمرض في اغلب الاحيان لمرض الحياة الاجتماعية العامة . فاني لست اسي انني اذا قرأت مسرحية لـ « شو » او قصة لـ « ولز » او « هكسلي » تبيئت عقب قراءتي « الفكرة » والمثل الاعلى مما يمد المؤلف الى ابحاثه لكي يخرج منه القارئ بالفائدة المرجوة . ولعل لا أعود الحقيقة اذا قلت ان هناك صوراً كثيرة من الحياة المصرية بما احتوته من مادات وتقاليد قد ينجح المؤلف فأجاد بها . كما انه وفق الى حد يمد في ان يتخذ من موضوع المرأة سبيلاً الى استهواء القارئ . والخيال في قصصه شيء يترك المؤلف لطبيعة الموقف فلا يخلق منه شيئاً قائماً بذاته وهذا ما يطبع أسلوبه الفكري بالطابع الواقعي . ولقد تری هذا عندما يتحدث عن الحياة حديث الرجل العادي لا حديث الفيلسوف الذي يبنينا طبقاً لمنطقه وبصيرته فهو يرسم باختصار حقائق الاجتاع ما يمر منها وما يجهز ولعل من خير ما أعجبت به قصة « حسنة » وما فيها من حوار أجاد الى ذاكرتي « التحقيق الجنائي » لصاحب يوميات نائب في الارياف وما فيه من حوار وذكريات ومواويل بهدية — ولست أحكم هنا ان كان منطق الحديث قصة يدعو الى تكرار بعض العبارات في سياق الحوار . واذا كان هذا يظني أو لا يظني على الوضع الطبيعي للقصة

وبعد قال المؤلف ببطء على توجيهه السليم ولانه لا يشعر القارئ بشيء من الضجر أو السآمة وذلك لانه لا يجز عن التجوال في عتق الميادين وهذا ما يهيء له مكانة ملحوظة في الادب القصصي

خليم مري

السيد رشيد رضا أو أخاء ٤٠ سنة

تأليف الامير شكيب أرسلان — طبع بمطبعة ابن زيدون بمشق صفحا ٨٣٢ يقطع المتكف
«وبعد هذا فلا شك في انه اذا وزن عمل كل من ايمان هذا النصر بل من ايمان كل
عصر كان السيد الامام محمد رشيد رضا من أرجحهم ميزانا وأوقام قسطا لا يجحد ذلك الا من
رأى عليه الضلالة او اعماه الغرض. واني لا جد نشر مناقبه والتتويه بقدره والاشادة بمصناته
الكثيرة والاثارة لبراهينه الساطعة من عزائم الله الموجية وفرائض المبرمة عملا بقوله تعالى
(وزنوا بالقسطاس المستقيم) هذا مضافا الى ما كان يشتهر من الاخاء القديم والذمام المتين والرحمى
عن قوس واحدة والافتداء بامام. لا حرم انى ارى ترجيى له ديناً على لا يجوز ان ألوي به
ما دامت لي أنامل تمسك القلم»

هذه جملة من مقدمة الكتاب تدل الفارىء الكريم على منهج ما كتبه عطوفة الامير شكيب
ا أرسلان عن صديقه السيد الامام محمد رشيد رضا طيب الله رآه بعد وفاته فقد سجل سيرته في هذا
السفر النفيس فأنى بترجمة حياته من قلمه رحمه الله وأنى يحض ما نظمه وكتبه عنه في حياته وبعد
نماته ونشر الكتب التي ارسلها اليه بعد ما حذف منها ما اقتضى ازمن الحاضر حذفه لاسباب خاصة
والامير شكيب علم من اعلام البيان في هذا النصر وهو آية الاخلاص والوفاء لاصدقائه
كتب سفرأ مسهباً عن المرحوم احمد شوقي بك كان له احسن الوضع في القوس وما هو ذا
ينصف القراء بسفر اوسع في سيرة امام من ائمة الاسلام وقد قال فيه رايابا : —

ومن لقدت لتلميذي وتهذيبي	ومضى الذي كان فيه منتهى أمني
ومن لبقاء إسمادي وتأويبي	ومن عن الاخذ عنه شد راحتي
لم يكفني طول ثريدي وتبريبي	شعرت أن خلعت الدنيا بصره
ومن أرى به في نفسي وقصبي	فمن أناحيه بعد اليوم في حزني
ذاك الشهاب بلبلات غرايب	وأحأ على حجة الاسلام حين خبا
فلا تصادف قلباً غير منحوب	وأحأ على علم الاعلام حين هوى
عن شأوه فهي منه كالاهضب	هوى وكل حيال العلم دانية
في اي فن اتانا بالامحيب	ابن الذي كان ان اجري راضه

قالكتاب آية من آيات الوفاء وتقويه بقدر عالم كبير وصديق حميم يستحق اعجاب القراء
والعناية به والانتفاع بما حواه من سيرة طيبة وكتب خاصة نفت على نصف صفحات الكتاب
والعلوم ان الكتب الخاصة تكون لها منزلة ممتازة فلو نشرها المؤلف كما هي لكان لها شأن آخر.
وفي الكتاب نص المقصورة الرشيدية الكامل فتوجه الانظار الى هذا الكتاب

فهرس الجزء الخامس

من المجلد الثاني والتسعين

٤٨٣	بد عهدي بعلم التلك : لدكتور قارس عمر باشا
٤٩٠	البل في صحراء مصر : لشاعر المستر ولهم جراي
٤٩١	ابو العلاء المري وفلسفة التاريخ : لملي ادم
٤٩٩	الانسان والنبات : لدكتور محمد يهجت
٥٠٥	تصب السرعة بين الاحياء
٥٠٨	الانسان المجهول : للعلامة الكسيس كارل : تلخيص اسماعيل مظهر
٥١٢	في الادب : لطفرائي
٥١٣	زواج الاقارب اثار هو ام نافع : لدكتور ليفي لوز
٥١٥	المستور والروح الوطنية في الشعر الحديث : لانيس المقدمي
٥٢٦	الانسان الآلة : لفليبيون خوري
٥٢٩	العبقرية والتبوغ : لدكتور شريف عيران
٥٣٧	فرق المجرات : حقائق الموضوع
٥٤٢	ابن سينا : بقلم منوشر مؤدب زاده
٥٤٧	الحيش المصري والاستكشاف في افريقيا : للملازم الاول عبد الرحمن زكي
٥٥١	الباس فباض وقصيدة التجوم : ليوسف البيني
٥٥٥	اسعد باسيلي باشا : ثقلولا شكري
٥٦٠	تقدم الري بمصر في العصر الحديث : لمعلي حسين سري باشا
٥٦٣	حديث المقطف * رولا : لالفريد دي موسيه : ترجمة فليكس قارس
٥٨٥	سير الزمان * اوربا المتوسطة والشرقية : — مرحلة التفوق الفرني . مرحلة السلامة المشتركة . انحلال السلامة المشتركة . خاتمة
٥٩٦	مكتبة المقطف * تاليف المستشرقين بقلم الدكتور جبر قارس . الشعر الاندلسي . المتنبس في تاريخ وجال الاندلس لابن حيان . اخبار التحوين البصريين . مقدمة ابن خلدون . مجلة الدراسات الاسلامية . الفصول والنبات . الحلال السنسية . المجمية العربية . القانون الدستوري . تاريخ أوروبا البنادق الخامسة المشاة . نوايف الشباب . رئيس التحرير وقصص أخرى . السيد وشيد رضا

